شرح
نهج البلاغة

للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

تاليف

يحيى بن الحسين الجلال

تحقيق

مُحَمَّد جواد الحسيني الجلالي

(الجزء الثاني)



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398



هوية الكتاب

الكتاب: شرح نهج البلاغة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

تأليف : السيد محمّد حسين الجلالي

تحقيق : محمّد جواد الحسيني الجلالي

الطبعة: الاولى ١٤٢٢هـ

الفلم والالواح الحساسة: زنكغراف قم

الناشر: المحقق

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني :



[الخطبة ١٠٣]

ومن خطبة له عليه السلام:

في التزهيد في الدنيا

هذه الخطبة خطبها الامام بصورة عامة للناس وتكشف عن اقبالهم على الدنيا ومظاهرها على حساب الاخلاق الاسلامية ممّا دعى الامام عليه السلام على ان يخطب في التزهيد في الدنيا، لان حبّ الدنيا رأس كل خطيئة، فقال:

أيّها النّاس؛ ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلدُّنْيَا نَظَرَ ٱلزَّاهِدِينَ فِيهَا؛ ٱلصَّادِفِينَ[1] عَنْهَا؛ فَإِنَّهَا وَٱللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ ٱلثَّاوِيَ[2] ٱلسَّاكِنَ؛ وَتَفْجَعُ ٱلْمُتْرَفَ[3] ٱلْآمِنَ؛ لَا يَرْجِعُ[4] مَا[5] تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلَا يُدْرَىٰ مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرُ.

سُرُورُهَا مَشُوبٌ[6] بِالْحُزْنِ، وَجَلَدُ[7] ٱلرِّجَالِ فِيهَا إِلَى ٱلضَّعْفِ وَٱلْوَهَنِ؛ فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

(١ / ط ـ ١٠٣) التزهيد في الدنيا:

١ ـ (أيّها النّاس) مخاطبا للجميع وليس طائفة خاصة من الطبقات، بل عامة المسلمين.

٢ ـ (انظروا الى الدّنيا نظر الزاهدين فيها) ومن الحكمة ان ينظر الانسان الى الامور من جوانب متعددة، فاذا نظر الانسان الى الدنيا من وجهة نظر المترفين لابد وان يغترّ بها، واذا عاود ذلك فنظر اليها نظر الزاهدين فيها فانه سوف يقف على وجهة نظر معاكسة، ونتيجة للمقارنة ـ غالباً ـ يتّخذ طريقا وسطا فيها.

٣ ـ (الصادفين عنها) والصدف: الاعراض ؛ فانّ المعرض عن الدنيا ليس لجهالة بوجهة نظر المترفين، بل لاسباب اخر أشار الامام الى بعضها، مؤكداً بالقسم، بقوله:

---

(١) في هـ ب: أي المائلين.
(٢) في هـ ب: المقيم.
(٣) في هـ ب: أي المغتر.
(٤) في هـ ب: أي لا يعود إلىٰ الناس الذي تولىٰ من أحوال الدنيا وولّىٰ الدبر، كالشباب وقوّته، ومثل الصحة والمرض والغنىٰ والفقر، وفي نتظر رجوع ذلك وإتيان هذا.
(٥) في هـ ب: استفهامية، ويجوز ان تكون موصولة.
(٦) في هـ ب: أي مخلوط.
(٧) في هـ ب: الجلد: الصلابة والجلادة.

٤ ـ (فانّها والله عمّا قليل تزيل الثّاوى السّاكن) والثاوي: المقيم في المكان ساكناً كأنّه مخلد فيها، ولكن الحقيقة التى لا يمكن ان ينكرها أحد: أنّ هذا الثاوي سيتحوّل من محل اقامته ومسكنه على الأرض الى باطن الأرض.

٥ ـ (وتفجع المترف الآمن) وهو الطاغي بالنعمة، فانه ينظر الى الدنيا من وجهة نظر المتمتع، ولكن هذا التمتع زائل لامحالة، فان كل نعمة لا تبقى الى الأبد من العمر، والمال والجمال وأمثال هذه النعم لها دور طبيعي يوجب الأمن من اضدادها في تلك الأدوار، ولكنها ستنقلب الى الضدّ، فالشباب الى الشيخوخة، والمال الى القلّة والفقر، والجمال الى تغيّر الحال.

٦ ـ (لا يرجع ما تولّى منها فأدبر) فانّ الشباب لن يعود، لنخبره بما فعل المشيب، والمال المخزون لا ينفع خازنه، والمال الذي ذهب بخسارة التجارة لن يعود إلّا بتجارة جديدة ليست من مال الخسران، وهكذا.

٧ ـ (ولا يدري ما هو آت منها فينتظر) فانّ المستقبل يتوقف على العمل من أجله، فهو عمل جديد بهدف جديد، لا يعلم بانه يخلف الربح أو الخسران، فلا ضمان للانسان.

٨ ـ (سرورها مشوب بالحزن) السرور والحزن ضدّان، ولكل فعل أثران: خير وشر، فلا سرور كامل في الحياة لانه يستلزم خسران بعض الامور لتحقيقه، كالتضحية بالوقت والمال في سبيل ذلك، فيكون هذا السرور مخلوطاً بالحزن على خسران المال...وهكذا.

٩ ـ (وجلد الرّجال فيها الى الضّعف والوهن) والجلد: الصلابة والقوّة، والوهن: الضعف؛ فان مسيرة الحياة من الطفولة الى الكهولة فالشيخوخة مسيرة طبيعية لكل انسان وحيوان ونبات في الحياة، والنتيجة المرجوّة من هذه الحقائق التى لا يمكن لأحد انكارها هي:

١٠ ـ (فلا يغرّنّكم كثرة ما يعجبكم فيها) من مظاهر العزّة والشرف والبذخ، بسبب واحد محسوس هو (لقلّة ما يصحبكم منها) فلا يترك الانسان هذه الحياة إلّا مستصحباً لقميص الكفن فقط.

(٢ / ط ـ ١٠٣) الفكرة والعبرة:

رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَٱعْتَبَرَ[1] فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ؛ وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

---

(١) في ب: فاعتبر، فاعتبر.

وختم المقطع بما يدعو اليه الفكر السليم من الاعتبار بهذه الحقائق المذكورة عن الدنيا بقوله:

١ ـ (رحم الله امرأً تفكّر فاعتبر) فكل انسان يفكر، فانه سوف يعلم بهذه الحقائق، ولكن المؤسف انه لا يعتبر بها عادة، فيرى الميت على المغتسل، ويمشي مع جنازته الى القبر، ويبكي عليه، ويقيم من أجله المآتم والدعوات والصلوات والخيرات، ولكنه لا يقول لنفسه: «ربما اكون أنا ثانياً له في الموت الآن».

٢ ـ (واعتبر فأبصر) والعبرة وحدها لا تكفي اذا لم تكن عن بصيرة، لان البصيرة تدعوا الى العمل على طبقها.

٣ ـ (فكانّ ما هو كائن من الدّنيا عن قليل لم يكن) فانّ كل مظاهر الدنيا في معرض الزوال في لحظة الموت.

٤ ـ (وكان ما هو كائن من الآخرة عمّا قليل لم يزل) وبعد تحقّق الموت تكون آخرة الحياة ولاتزال أمامنا، كأنها حقيقة، والبصيرة تدعوا الى التحرّك على اساس هذه الحقيقة.

٥ ـ (وكلّ معدود منقض) فاذا نظر الانسان الى العمر الذي يعيشه يراه محدوداً بالسنين والايام والساعات والدقائق والثواني، وكل ثانية منها تنقص من العدد منها، وهكذا تنقضي بمرور الزمان.

٦ ـ (وكلّ متوقّع آت) فانّ الموت باعتباره حقيقة فانه متوقع وآتٍ لا محالة.

٧ ـ (وكلّ آت قريب دانٍ) لنقص الدقائق المعدودة باستمرار، وان نقص الثانية يوجب نقص الدقيقة، ونقص الدقيقة يوجب نقص الساعات والايام ... وهكذا الى انتهاء العمر

وفي هذه النقاط السبع من الاعتبار اشار الامامعليه السلام الى ان الاعتبار يعني العمل لما يتطلّبه الموت، وليس الكسل اعتماداً على ما يتمتّع به الانسان من الصحة والسلامة حالاً، بل النظر الى ما يجب في المستقبل، كما قال الامام زين العابدينعليه السلام : «إعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً» ولا يستلزم الزهد في الدنيا اهمال الواجبات الدنيوية.

(٣ / ط ـ ١٠٣) صفة العالم:

ومنها: **ٱلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ**[١]**، وَكَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ.**

يعّرف الامام العالم والجاهل مشيراً الى انّ التضاد بين العلم والجهل يستلزم التناقض

(١) في هـ. د: من عرف نفسه ـ م .

بينهما، وحيث ان العلم أساس أية حضارة مادية أو معنوية فلا يكون العلم مجرد جمع المعلومات وخزنها، فان ذلك شأن التجّار الذين يخزنون المال، والعالم الذي يخزن العلم من دون ان يتصف به يكون حاله حال التاجر، وللعرفاء في هذا المجال كلمات كثيرة، ويعجبني منها كلام الغزالي:

ولم ننتفع من بحثنا طول عمرنا   سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

والامام يحدد العلم بأثره في شخص العالم في معرفة قدره الشخصي، فاذا لايكون للعلم هذا الاثر لايكون علما حقيقة، بل جمعاً للمعلومات كخزّان الاموال من دون الانتفاع بها، وعلى هذا الاساس عرف كلا من العالم والجاهل، بقوله:

(العالم من عرف قدره) فان العارف لقدر نفسه كانسان مسؤول له دور انساني في الحياة يجب ان يؤدّيه، ومن لم يعرف هذه المسؤولية فليس بعالم حقيقة، بل تاجر جامع للمعلومات.

(وكفي بالمرء جهلاً ألّا يعرف قدره) فالجاهل هو من لايعرف قدر نفسه، فتنقلب النسبة من التضادّ الى التناقض ؛ لان العلم عرفان القدر، والجهل عدم عرفان القدر.

(٤ / ط - ١٠٣) صفات الجاهل:

واكتفى الامام عليه السلام بذلك عن تعريف الجاهل، ولكنه فصل عن صفات الجهل بقوله:

وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ[(١)] ٱلرِّجَالِ لَعَبْداً[(٢)] وَكَلَهُ ٱللهُ إِلَى نَفْسِهِ، جَائِراً عَنْ قَصْدِ ٱلسَّبِيلِ، سَائِراً[(٣)] بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ ٱلدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ[(٤)] ٱلْآخِرَةِ كَسِلَ كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ مَا وَنَىٰ فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

١ - (ان أبغض الرجال الى الله تعالى لعبدا وكله الله الى نفسه) وذلك بسبب اعراضه عن التوجيهات الاسلامية في سلوك الصراط المستقيم فلا يبقي مجال حينئذ سوي الاجبار أو الاهمال، وحاشي لله ان يجبر أحدا على شيئ، بل هو قد هداه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً.

٢ - (جائراً عن قصد السبيل) والجور: العدول عن الطريق باختيار وعمدٍ من قبل نفسه .

٣ - (سائراً بغير دليل) لإعراضه عن الدليل الالٰهي في الحياة.

---

(١) في أوإن أبغض، وفي هـ. د: وان ابغض ـ ن ف .
(٢) في أوب: لعبدٌ، وفي هـ ب، في نسخة: لعبد.
(٣) في هـ. د: وبسائرٌ ـ ف ن .
(٤) في ب: وإلىٰ حرث.

٤ – (ان دعي الى حرث الدنيا عمل) والحرث: الاثر والثمر، فان دعي الى ما له أثر في الدنيا أجاب وعمل، فهو لا يري إلّا المصالح الدنيوية فقط.

٥ – (وان دعي الى حرث الاخرة كسل) فلا ينظر الى عواقب الامور، فلا يهيئ نفسه للعمل لها.

٦ – (كأنّ ما عمل له واجب عليه) فلا يرى على نفسه واجباً سوى العمل للدنيا؛ لحرصه وجدّه فيه.

٧ – (وكأنّ ما ونى فيه ساقط عنه) الونى: التراخي، حيث انه يري أنّ الآخرة غير حاضرة، فانه يتواني في العمل من أجلها، وكأنّ ما لم يأت بعد ساقط عنه، ولا يجب العمل من أجله بالرغم من العلم بأنه آت في المستقبل.

وهذه الصفات السبع ثابتة في حياة أي جاهل؛ لانه يقدّر نفسه بقدر الحيوانات التي لا همّ لها سوي علفها الحاضر، ولاتفكّر في مستقبل أمرها، وليس هذا من قدر الانسان الذي خلقه الله واكرمه بالعقل والفكر. والله المستعان.

(٥ / ط ـ ١٠٣) آخر الزمان:

يشير الامام عليه السلام الى حقيقة اجتماعية ثابتة، وهي اذا تمّ الشيئ بدأ النقصان فيه، كما في دورة القمر الطبيعية، حيث تبدأ بالنقصان بعد تمام البدر حتى تنتهي الى الضد، وكذلك هي امور الحياة.

والمؤمنون الذين عاشوا في ظل دولة الامام لا يخرجون عن هذه الظاهرة الاجتماعية، لذلك قام الامام عليه السلام بتوجيهاته للمجتمع ببيان الدور المطلوب في حالة كهذه، كضمان للنجاة من الانحراف، وسرد اوصاف الناجين بقوله:

(٦ / ط ـ ١٠٣) اوصاف الناجين:

وذٰلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إلّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ[١]، إنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وَإنْ غَابَ لمْ يُفتَقَدْ؛ أُولٰئِكَ مَصَابِيحُ ٱلْهُدَىٰ وَأَعْلَامُ ٱلسُّرَىٰ[٢]، لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ[٣] وَلَا ٱلْمَذَايِيعِ ٱلْبُذُرِ[٤]،

---

(١) في هـأ: نومة: لا يلتفت إليه، وفي الديوان والصحاح وغيرهما: «رجل نومة» ـساكنة الواوـ: الذي لا يؤبه به و«رجل نَوَمَة» مفتوحة الواو والنّوم: وهو كثير النوم، وفي الاصلاح لابن السكّيت: رجل نومه: كثير النوم، أي لا يؤبه به، وفي هـ ب: النوّمة بتشديد الواو: الرجل الضعيف، والنومة بفتح الواو: كثير النوم.

(٢) في هـ ب: السرىٰ: سير الليل.

(٣) جمع مسياح، وهو من يسيح بين الناس بالفساد والنميمة.

(٤) جمع مذياع، وهو من يفشي السر ويلغو.

أُولَئِكَ يَفْتَحُ ٱللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ؛ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ[١] يُكْفَأُ فِيهِ ٱلْإِسْلاَمُ[٢]؛ كَمَا يُكْفَأُ ٱلْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ[٣].

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ؛ إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ[٤]؛ وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ)[٥].

قال السيّد رحمه الله تعالى[٦]:

أَمَّا قوله ﷺ: «كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ» فإنما أرادَ به: الخامِلَ الذِّكْر القليل الشرِّ، و«المَسايِيحُ»: جمعُ مِسْيَاحٍ؛ وهو الذي يَسِيحُ[٧] بينَ الناسِ بِالْفِسادِ وَالنمَّائم، و«المَذَايِيعُ»: جمعُ مِذْيَاعٍ، وهو الذي إِذا سَمِعَ لغيرِهِ بِفاحِشَةٍ أذاعَها، وَنَوَّهَ[٨] بها. وَ«ٱلْبُذُرُ»: جمع بَذُورٍ[٩]، وهو ٱلَّذِي يَكثُر سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنْطِقُهُ.

١ - (ذلك زمان) واقع، ولا يمكن تغيير واقع الحال، فلابد من الحفاظ على النفس من الانحراف.

٢ - (لا ينجو فيه إلّا كلّ مؤمن) ملتزم بالقول باللسان والاعتقاد بالقلب والعمل بالأركان.

٣ - (نومة) والنومة: الكثير النوم عن المعارضة السلبية، بعدم المشاركة في مسيرة الانحراف بالمقاطعة لها عمليّاً.

٤ - (ان شهد لم يعرف) لعدم مشاركته في المسيرة الباطلة للانحراف التي يشترك فيها

---

(١) في هـ ص: ذكر ﷺ انه سيأتي على الناس زمان تنقلب فيه الأُمور الدينيّة إلىٰ نقائضها وأضدادها، وقد شاهدنا ذلك عياناً، انتهى من الشرح.

(٢) في هـ ب: يكفأ الاسلام، أي يقلب كما يقلب الاناء، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿يا أيُّها الذِينَ آمنوا إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ... إلىٰ قوله ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، فاعتبر في الطلاق حضور شاهدي عدل، ولم يعتبرهما في النكاح فقال: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ ٱلنِّسَاءِ﴾ ولكن العامة جوزوه عقلاً ولم يجوزه شرعاً ....

(٣) في هـ. ص: أي تعطل أحكام الدين وتضاع الشرائع. ذكر ﷺ انه سيأتي علىٰ الناس زمان تنقلب فيه الأُمور الدينيّة إلىٰ نقائضها وأضدادها، وقد شاهدنا ذلك عياناً، انتهىٰ من الشرح.

(٤) في هـ ب: أي انه تعالىٰ لا يظلم، ولكن ربما يظلم بعضكم بعضاً، فلا يدفعه الجاءً، ثم ينتصف حتىٰ للشاة الجماء من القرناء، وهذا إملاءٌ.

(٥) المؤمنون: ٢٣/٣٠.

(٦) لم ترد «قال السيد رحمه الله تعالىٰ» في ب ود.

(٧) أي يجري.

(٨) في هـ ب: نوّه باسمه أي رفع ذكره، وناه: ارتفع.

(٩) في هـ ب: مثل صبور وصُبر.

سائر الناس عمليّاً.

٥ – (وان غاب لم يفتقد) لانّ المجتمع لايتوقّع حضوره، فلا يسأل عنه اذ غاب.

٦ – (اولئك مصابيح الهدى) لانهم حافظوا على انفسهم من الانحراف أو التعاون مع الباطل، فصاروا قدوة لغيرهم في المحافظة على اساس الهداية، فيكونون مصابيح لغيرهم.

٧ – (واعلام السرى) السرى: السير في الليل، حيث يفتقر المسافر الى علم يتّبعه، وفي ظلمة الحياة الاجتماعية يصبح هؤلاء المتحصنين بنكران الذات اعلاماً للسير على خطاهم.

٨ – (ليسوا بالمساييح) وهو الذي يسير بين الناس بالفساد والمآثم.

٩ – (ولا المذاييع) الذين اذا سمعوا بالفاحشة اذاعوها وكانوا كالمذياع بين الناس .

١٠– (البذر) وليسوا كالذي يبذر بذرة الشرّ باللّغو في المنطق.

وهذه الصفات العشر المتكاملة تجعل الانسان المسلم في حصانة من الانحراف مع الاهواء:

مظهر الاسلام:

ثمّ انه عليه السلام خطب خطاباً عاماً وصف فيه أهل هذا الزمان بقوله:

–(أيّها الناس، سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الاناء بما فيه) والكفء: قلب الشي، وفي ذلك اشارة واضحة الى ان المظاهر الاسلامية تبقى على حالها، ولكنها سوف تفقد حقيقتها ومصداقيّتها كالإناء الممتلئ ماء، فإنه إذا انقلب فانه يبقى الإناء إناءً من حيث المظهر ، ولكنه إناء فاقد للماء المطلوب أن يكون راوياً، فوجود الإناء من دون ماء، هو مظهر فارغ، وهذا ما اثبته التاريخ في الحكومات المتتالية من الامويّة والعباسيّة حيث لم يبق فيها من الاسلام إلّا اسمه ومن القرآن إلّا رسمه.

(٧/ط-١٠٣) دفع شبهة:

وختم المقطع بدفع شبهة، وهي: لماذا لا ينصر الله سبحانه العباد في مثل هذه الحالة؟ فان استمرار هذه الحالة كالجور على المؤمنين.

أجاب الامام عليه السلام بالفرق بين الجور وبين الابتلاء والامتحان، وان الله سبحانه ليس جائراً في هذه الحالات؛ لانها حالات حصلت على اثر اهمال المسلمين أنفسهم وواجباتهم في العمل على اقامة حكم الله، فاذا أُهملوا واجباتهم فانه سوف ينتصر عدوّهم عليهم، فتكون الحالة حالة امتحان واختبار لمن يحافظ على الثوابت الاسلامية ويتحصّن بنكران الذات، وأنّ من ينزلق مع التيّار الجارف فهو بسوء تدبيره، فقال عليه السلام :

-(ايها الناس، ان الله قد اعاذكم من ان يجور عليكم) وان تسلط العدوّ عليكم انّما كان بسبب اهمالكم واجباتكم، وهذا ليس جورا من الله، بل جور من انفسكم، ثم من جور عدوكم عليكم.

(ولم يعذكم من ان يبتليكم) فان الله انما يبتلي الناس امتحاناً لهم ،بل صرح سبحانه وتعالى وقال جل من قائل :﴿ان في ذلك لآيات وان كنّا لمبتلين﴾[1] وليس الابتلاء جوراً، بل هو تمحيص وتدريب يفتقر اليه الانسان في حياته، كما تفتقر اليه الامم في الحفاظ على ثوابتها، فان لم هناك امتحان لخلد الانسان الى الراحة والخمول في حياته، وكذلك الامم، فتفقد روح المقاومة، والله العالم.

---

(١) المؤمنون: ٣٠.

[١٠٤]

ومن خطبة له عليه السلام: وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية(١)

قال الرضيّ رحمه الله تعالى(٢):

وقد تقدَّم مختار هذه الخطبة؛ إلاَّ أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان؛ فأوجبت الحال إثباتها ثانية.

يتضمن هذا المقطع الاشارة الى خصائص فترة الرسالة التي بعث فيها النبي محمّد صلى الله عليه وآله ، ثم خصائص النبوة المحمّدية ثم خصائص الامام بعد النبي صلى الله عليه وآله.

(١/ط - ١٠٤) خصائص فترة البعثة:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً.

حدد فترة البعثة بنقاط ثلاثة فقال:

(فإن الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوة في فترة من الرسل في حال امتازت بالحقائق التالية:

اولا: (وليس أحد من العرب يقرأ كتابا) لان العرب كانت امّة اميّة، لاتقرأ ولاتكتب.

ثانيا: (ولا يدّعي نبوّة) فإن الانبياء المنبئين عن الله سبحانه كانوا على الأغلب من غير العرب كموسى وعيسى، ومن كان منهم كهود وصالح وشعيب لم يكن في فترة الرسل، بل قبلها.

ثالثا: (ولا وحياً) وهو التلقّي من دون نبوّة ورسالة، فإن الوحي قد يكون للانسان نفسه كما قد يحصل للنمل أيضاً من دون ايّة مسؤولية بابلاغها، فاذا كان الموحى اليه انباء عن الوحي الالهي كان نبياً، واذا كان مأمورا بالرسالة كان رسولاً، واذا كانت رسالته عامة كان من اولي العزم، وكل مرتبة تتوقف على ما قبلها. وراجع المواد في المعجم.

وفي هذه الفترة من الرسل بعث الله سبحانه محمّداً بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً ومنيراً.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت ٦٠٦هـ):«لقائل أن يقول: ألم يكن في العرب نبي قبل

(١) في الخطبة ٣٣.

(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالى» العبارة إلىٰ آخرها لم ترد في أ في ب ص د.

محمّد ، وهو خالد بن سنان العبسي[١] ؟ وأيضا فقد كان فيها هود وصالح وشعيب .

ونجيب هذا القائل بأن مراده عليه السلام أنه لم يكن في زمان محمّد ﷺ وما قاربه من ادعى النبوة ، فأما هود وصالح وشعيب ، فكانوا في دهر قديم جدا ، وأما خالد بن سنان فلم يقرأ كتابا ، ولا ادعى شريعة، وإنما كانت نبوته مشابهة لنبوة جماعة من أنبياء بني إسرائيل الذين لم يكن لهم كتب ولا شرائع ، وإنما ينهون عن الشرك ، ويأمرون بالتوحيد ». [٢]

(٢ / ط - ١٠٤) **خصائص النبي ﷺ :**

فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ؛ يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ[٣]، وَيُبَادِرُ بِهِمُ ٱلسَّاعَةَ[٤] أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ؛ يَحْسِرُ[٥] ٱلْحَسِيرُ، وَيَقِفُ ٱلْكَسِيرُ؛ فَيُقيمُ[٦] عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ؛ إِلَّا هَالِكاً لاَ خَيْرَ فيهِ، حَتَّىٰ أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ[٧] مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، وَٱسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ.

وسرد من خصائص النبي محمّد ﷺ عدة، وفي اعلى الخصائص القتال في سبيل تطبيق حكم الله على الارض، فان الانبياء قبله كانت دعواتهم مجردة عن ذلك، ومن أجل ذلك قال ﷺ :«أنا نبي المرحمة، انا نبي الملحمة » وامتازت نبوتة بالتطبيق العملي والقتال، وهذا ما ميزه عن سائر الانبياء وميز دينه عن الاديان ، واما غيرها من الخصائص فهي وان كانت خصائص شخصية لكنها كانت توجد في سائر الانبياء من قبله، وقد سردها الامام عليه السلام كالاتي :

١ - (فقاتل بمن اطاعه من عصاه) حيث شرع القتال في سبيل تحقيق الاهداف الالهية ﴿حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾.

٢ - (يسوقهم الى منجاتهم) وليس القتال من اجل فرض الحكم، بل من اجل تطبيق العدالة.

---

(١) هو خالد بن سنان بن غيث العبسي ، ذكره الرسول ﷺ ، وقال : «وذلك نبي أضاعه قومه » . وانظر أخباره في مروج الذهب ١ : ١٣١ ؛ طبع أوروبا.

(٢) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٧: ١١٤ - ١١٥.

(٣) في هـ ب: قال عليه السلام انه نبي الرحمة يقيم في هذا السفر علىٰ كل واحد من امته سواء ما كان معنى البدن أو مكسور الداية حتىٰ يلحقه مقامه من الجنة إلّا هالكاً خارجاً عن الملة... وبلغ رسالته إلىٰ الكل .... .

(٤) في هـ ب: أي يسابق عليه السلام، يوعظ امته القيامة وان ينزل بدل من الساعة أي نزول الساعة.

(٥) في هـ ب، وفي نسخة: فيحسر.

(٦) في ب: ويقيم.

(٧) في هـ ب: حتىٰ بوّأهم.

٣ - (ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم) والمراد بالساعة: يوم القيامة، فكان ﷺ يبادر الى تطبيق حكم الله على الارض قبل حلول يوم القيامة.

٤ - (يحسر الحسير) الحسر الكشف والتعب عن ضعف، فكان ﷺ يكشف من الضعيف التعبان في حياته بمساعدته فكريا واقتصادياً.

٥ - (ويقف الكسير) وهو المكسور في حياته فكرياً واقتصادياً، فكانﷺ يساعده حتى يمكنه الوقوف على رجليه.

٦ - (فيقيم عليه حتى يلحقه غايته) بأن يقيم على الكسير ما يفتقر اليه حتى يوصله الى غايته المطلوبة له.

٧ - (الا هالكا لاخير فيه) فان في اصحاب الحسر والكسر من لا يريد المساعدة من اي انسان في الحياة، ويرفض لنفسه إلّا البقاء في الجهالة حتى الهلاك، فما كان ﷺ يجبره على شئ مادامه كذلك.

٨ - (حتى أراهم منجاتهم) فعرف الجمع ما فيه النجاة معرفة الصراط المستقيم في الحياة.

٩ - (وبوأهم محلتهم) ووصلوا الى المحل اللائق بهم بين الامم في الحياة الدنيا .

١٠ - (فاستدارت رحاهم) وعلى اثر اتباع الثقافة الاسلامية وتكامل الاسباب المادية والمعنوية استقرت حياتهم، كما تدار الرحى للطحن، بعد تكامل الادوات والاسباب .

(واستقامت قناتهم) والقناة: الرمح، وكنى به عليه السلام عن وسائل الحياة المطلوبة في اية حضارة.

وهذه الخصائص العشر مشروحة في السيرة النبوية من البعثة حتي الوفاة، فراجع: موارد الاعتبار - عصر السيرة النبوية -.

(٣ / ط - ١٠٤) خصائص الامام عليه السلام :

وختم المقطع بخصائص لنفسه مؤكدا على أنها حقائق بالقسم: (وايم الله) فان تاريخ حياته خير شاهد على ذلك، ولا يفتقر الى تأكيد، مما يكشف عن مظلوميته عليه السلام حتى يستخدم هذا القسم، فقال:

وَٱيْمُ ٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا[١] **حَتَّىٰ تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَٱسْتَوْسَقَتْ**[٢] **فِي قِيَادِهَا؛ مَا**

---

(١) في هـ ص: جمع سائق كقادة جمع قائد. وفي هـ ب: اي مؤخرها وحرمتها.

ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ، وَآيْمُ ٱللهِ لَأَبْقُرَنَّ[٣] ٱلْبَاطِلَ حَتَّىٰ أُخْرِجَ ٱلْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ!

١ – (وأيم الله، لقد كنت من ساقتها) الساقة: جمع سائق، كقادة جمع قائد، فان تاريخ حياته منذ الصغر وتربيته في حجر النبي ﷺ ومواقفه في الغزوات، ومواقفه بعد وفاة النبي كلها شاهد صدق على ذلك، فليراجع للتفصيل: موارد الاعتبار – عصر الخلافة – . ومرجع الضمير هو الاسلام، المفهوم من المقام، أو المحذوفة فيما اختاره الشريف الرضي من الخطبة.

٢ – (حتى تولّت بحذافيرها) التولّي: الإدبار، يعني حتى سارت الدعوة الاسلامية على خطى النصر كما يساق الشيء امام السائق، واصبحت الدعوة الاسلامية منتظمة (بحذافيرها) وهي كل جوانبها المطلوبة فكريا واقتصاديا واجتماعياً وعسكرياً.

٣ – (واستوسقت في قيادها) الاستوساق: الاجتماع، اي اجتمعت الدعوة الاسلامية في قيادها كما تساق الابل، فاصبحت الامور منتظمة في نصابها المطلوب.

٤ – (ماضعفت) فلم يؤثر عنه الضعف في الرأي، كما يدل على ذلك مشاورة الخلفاء له فيما أشكل عليهم أمره.

٥ – (ولاجبنت) ولم يؤثر عنه الجبن، كيف وهو الضحاك اذا اشتد الضراب في الحرب في عصر النبي ﷺ وغيره؟

٦ – (ولاخنت) ولم يؤثر عنه خائنة في القول أو العمل أو العطاء بالنسبة الى ما تحت يديه من اموال المسلمين.

٧ – (ولا وهنت) ولم يؤثر عنه تقاعس عن نصرة الحق ومحاربة الباطل منذ عصر النبي ﷺ.

وختم المقطع بما يستلزم هذه الخصائص العلوية، وهي مواصلة المسيرة حتى النصر النهائي، فقال:

٨ – (وايم الله لابقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته) والبقر: الشق، وبذلك حدد عليه السلام عزمه الراسخ في المواصلة على طريق الحق حتى النصر أو الشهادة، واعلنها سياسة مفتوحة بانه يواجه عدوا قد خلط الحق بالباطل، واصبح الحق مكتوما بسبب ذلك

---

(٢) في هامش ب: أي اجتمعت.

(٣) في هـ ب: أي لا شقن.

ولا بد له من الكفاح حتى يظهر الحق من مواضع القوة التي يعتمد عليها الباطل عادة، وهي الخاصرة من الانسان، وهي فوق رأس الورك.

وفي هذه النقاط اكد الامام مرتين بالحلف مع الاشارة على تاريخ حياته بانه سيواصل الدعوة الاسلامية التي بعث الله سبحانه محمّداً ﷺ بها، وكما بشر به مستتنا بسنته.

ص ٥٤٩ نبود

(٤ / ط - ١٠٤) بنو أُميّة:

يخاطب الامام في هذا المقطع بني أُميّة في حاضرهم ومستقبلهم، ولعل هناك ما لم يذكر الرضي من الاشارة الى ماضيهم.

(٥ / ط - ١٠٤) بنو أُميّة في عصر الامام:

فَمَا ٱحْلَوْلَتْ[1] لَكُمُ ٱلدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ[2] أَخْلاَفِهَا[3]

وسرد في وصف بني أُميّة في عصر الامام من الحقائق الثابتة ما يلي:

١ - (فما احلولت لكم الدنيا في لذتها) حيث اتجه النظام الاموي منذ النفوذ في الادارة في خلافة عثمان (رض) الى تحكيم سلطانهم في مختلف البقاع الاسلامية التي تمكنوا فيها، وخاصة مصر والشام، واتبعوا سياسة ادارية اقرب مايكون الى الانظمة الملوكية المجاورة للجزيرة العربية كالروم البيزنطيين والفرس الكسرويين، وابعد ما يكون من نظام الاسلام بالشورى والقوانين الاسلامية التي كانت في عصر وسنّة النبي ﷺ فحلت لهم الدنيا كما حلت للانظمة الملوكية الحاكمة انذاك.

٢ - (ولا تمكنتم من رضاع اخلافها) والخلف: حلمة ضرع الناقة التي يرضع منها وليدها، فان بنو أُميّة لم يتمكنوا من قطف ثمار الجهود الاسلامية التي بذلها النبي ﷺ والصحابة (رض) إلّا بالاسباب التالية، والاسباب هي :

(٦ / ط - ١٠٤) الاسباب الانحراف:

إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا[4]، جَائِلاً[5] خِطَامُهَا[6]، قَلِقاً[7] وَضِينُهَا[8]، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا

---

(١) في هـ ص: أي ذقتموها حلوة، وفي هـ ب: أي ما صارت حلوة جداً هذه الدنيا يا بني آدم.
(٢) في هـ ص: الرضاع ـ بفتح الراء ـ بمعنىٰ الارتضاع، مصدر رضع.
(٣) في هـ ب: الخلف ـ بالكسر ـ: حلمة ضرع الناقة.
(٤) في هـ ب، وفي نسخة: صادفتموها: أي وجدتموها.
(٥) في هـ ب: من الجولان.
(٦) في هـ ب: اي زمامها.

عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ ٱلسِّدْرِ[٩] ٱلْمَخْضُودِ[١٠]، وَحَلاَلُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ.

أوّلاً – (الاّ من بعد ما صادفتموها جائلاً خطامها) الخطام: ما يوضع في انف البعير، والاجالة: الدوران على الجوانب، بان افلت الزمام، كالبعير الذي له خطام ولكن لا ينقاد به، بل الخطام يدور على الجوانب وليس ممسوكاً بيد قائد.

ثانياً – (قلقاً وضينها) والوضين: الهودج، بان يتحرك الهودج مضطرباً، فلا يتمكن الراكب من السير بأمان.

ثالثاً – (قد صار حرامها عند اقوام بمنزلة السدر المخضود) والسدر: شجر، والخضد: القطع، والمراد هنا: السدر المقطوع شوكه، فهو سهل التناول، والمعنى: ان الحرام أصبح سهل التناول.

رابعاً: (وحلالها بعيداً غير موجود) لكثرة الحرام وسهولة تناوله ويسره، على النقيض من الحلال، وبحكم قانون العرض والطلب، يكون الحلال مفقودا غير موجود، أو في حكم ذلك.

فان هذه الاسباب الاربعة هي التي جعلت الدنيا تحلوا لبني أُميّة.

(٧ / ط - ١٠٤) **والنتائج:**

، وَصَادَفْتُمُوهَا ـ وَٱللهِ ـ ظِلاًّ مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ[١١]، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي ٱلْقَادَةِ[١٢] عَنْكُمْ[١٣] مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنكُمْ مَقْبُوضَةٌ.

وسرد من نتائج الاسباب الاربعة المذكورة ما وصل اليه بنو أُميّة من الحكم الملوكي بقوله:

١ – (وصادفتموها والله) فهم على يقين بأن هذه النتائج لتلك الاسباب، مؤكدا ذلك

---

(٧) في هـ ب: أي مضطربة.

(٨) في هـ ص: الوضين: حزام السرج والقتب، وفي هـ ب: وضينها: حزامها، وهو سيور منسوجة بعضها علىٰ بعض مضاعفة، وهو كالنسيج إلّا انه يتخذ للهودج.

(٩) في هـ ب: شجر معروف.

(١٠) في هـ ص: خضد السدر: اذهب شكوه، وفي هـ ب: المخضود: الذي خضد شوكه، أي قطع.

(١١) في هـ ص: أي خالية كأنه يريد خالية مما يمنع من القبيح، وفي هـ ب: أي خالية، من شغر البلد، أي خلا.

(١٢) في هـ ص: يعني أهل البيت عليهم السلام (من الشرح).

(١٣) في هـ. د: منكم ـ ف .

بالقسم:

٢ – (ظلاً ممدوداً الى اجل معدود) فالحكم الملوكي المحدث لأول مرة في الاسلام ظلّ له عمر قصير؛ فانّ الظل مهما كان ممدودا فلابدّ وان يصل الى اجل ينتهي اليه بعدّ الايام، بل الثواني. فان لكل دولة أجل.

٣ – (فالأرض لكم شاغرة) اي خالية؛ للارضية الممهّدة من قبل.

٤ – (وايديكم فيها مبسوطة) فلكم الحرية التامّة، على النقيض ممن يستحق القيادة للامة.

٥ – (وأيدي القادة عنكم مكفوفة) مع انهم القادة المستحقّين لقيادة الامة.

٦ – (وسيوفكم عليهم مسلّطة) فهم مهدّدون بالتصفية الجسدية اذا ما هم اعلنوا المعارضة لكم.

٧ ـ (وسيوفهم عنكم مقبوضة) لالتزاماتهم الدينيّة بالثوابت الاسلامية، من عدم البدأ بالحرب.

وهذه النتائج لم تكن لتحصل بدون الاسباب المتقدمة، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت ٦٠٦):«يقول عليه السلام مخاطبا من في عصره من بقايا الصحابة وغيرهم من التابعين ، الذين لم يدركوا عصر رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله بعث محمّدا ، وهو أكرم الناس شيمة ، وأنداهم يدا ، وخيرهم طفلا ، وأنجبهم كهلا ، فصانه الله تعالى في أيام حياته عن أن يفتح عليه الدنيا ، وأكرمه عن ذلك فلم تفتح عليكم البلاد ، ولا درت عليكم الأموال ، ولا أقبلت الدنيا نحوكم ، وما دالت الدولة لكم إلّا بعده ، فتمكنتم من أكلها والتمتع بها ، كما يتمكن الحالب من احتلاب الناقة فيحلبها ، وحلت لذاتها لكم ، واستطبتم العيشة ، ووجدتموها حلوة خضرة . ثم ذكر أنهم صادفوها – يعني الدنيا – وقد صعبت على من يليها ولاية حق ، كما تستصعب الناقة على راكبها إذا كانت جائلة الخطام ، ليس زمامها بممكّن راكبها من نفسه ، قلقة الوضين ، لا يثبت هودجها تحت الراكب ، حرامها سهل التناول على من يريده ، كالسدر الذي خضد عنه شوكه ، فصار ناعما أملس ، وحلالها غير موجود لغلبة الحرام عليه ، وكونه صار مغمورا مستهلكا بالنسبة إليه ، وهذا إشارة إلى ما كان يقوله دائما من استبداد الخلفاء قبله دونه بالامر ، وإنه كان الأولى والأحق».(١)

(٨ / ط ـ ١٠٤) إنذار:

---

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٧: ١١٩.

أَلَا وَإِنَّ[١] لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً[٢]، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وَإِنَّ ٱلثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ[٣]، وَهُوَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَفُوتُهُ مِنْ هَرَبَ،

ثم أنذر عليه السلام بني أُميّة بان سياسة الظلم والارهاب والاقبال على الدنيا فقط، هي سياسة خاصة، فان الشر لايولد إلّا الشر، فقال مؤكداً:

١ - (ألا وانّ لكلّ دم ثائراً) فانّ المظلوم يحاول ويعمل ما يمكنه لدفع ظلامته؛ والظلم لا يغيب من مخيّلة المظلومين أبدا.

٢ - (ولكلّ حقّ طالباً) فالحقوق تضيع من صفحات التاريخ، حتي يرجع الحق الي نصابه بنحو من الانحاء.

٣ - (وان الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه) فانه بسنّ قانون الظلم يمهّد لغيره ممارسة الظلم في حقه، وهذا الكلام من الامام بظاهره يعني دماء المسلمين الذين عارضوا قلب نظام الشورى الى الملوكية.

٤ - (وهو الله الذي لايعجزه من طلب، ولايفوتة من هرب) فهو القادر على كلّ شئ، فاذا لاتسمح الثوابت الاسلامية بمعاملة بني أُميّة بمثل ما يستخدمونه من الظلم والارهاب، فان الله سينتقم من الظالم.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت ٦٠٦):«ثم أعاد الشكوى والتألم فقال: أيديكم في الدنيا مبسوطة ، وأيدي مستحقي الرئاسة ومستوجبي الأمر[٤] مكفوفة ، وسيوفكم مسلطة على أهل البيت الذين هم القادة والرؤساء ، وسيوفهم مقبوضة عنكم ، وكأنه كان يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين عليه السلام وأهله ، وكأنه يشاهد ذلك عيانا ، ويخطب عليه ويتكلم على الخاطر الذي سنح له ، والامر الذي كان أخبر به ، ثم قال: إن لكل دم ثائرا يطلب القود والثائر بدمائنا ليس إلّا الله وحده ، الذي لا يعجزه مطلوب ، ولا يفوته هارب . ومعنى قوله عليه السلام : " كالحاكم في حق نفسه " ، أنه تعالى لا يقصر في طلب دمائنا كالحاكم الذي يحكم لنفسه ، فيكون هو القاضي وهو الخصم ، فإنه إذا كان كذلك يكون مبالغا جدا في استيفاء حقوقه».[٥]

---

(١) في د: الاوان.
(٢) ثاره: أي طلب بدمه وقتل قاتله.
(٣) أي ان الطالب بدمائنا لا يحكم عليه غيره.
(٤) أي مستحقيه.
(٥) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٧: ١١٩ ـ ١٢٠.

(٩ / ط - ٤ ب ١) العاقبة:

فَأُقْسِمُ بِاللهِ ـ يَا بَنِي أُمَيَّةَ ـ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ[1]، وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ[2]. أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ ٱلْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي ٱلْخَيْرِ طَرْفُهُ، أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ ٱلْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ.

وختم عليه السلام المقطع مؤكدا بالقسم بالله على مصير بني أُميّة من الحكم بقوله:

١ - (فاقسم بالله يابني أُميّة) والتأكيد بالقسم مرة اخري يبيّن وضوح الرؤية.

٢ - (عمّا قليل) سيزول الحكم عن بني أُميّة، والتاريخ يضبط ان العباسيين انتزعوها منهم في سنة ١٣٢ هـ أي بعد أقل من قرن واحد، في حين ان عمر الدول كانت انذاك تعيش عادة أطول من ذلك، كما عاشت الدولة العباسية في أدوار ثلاثة مختلفة، ولكن عمر دولة بني أُميّة لم تصل الى قرن واحد .

٣ - (لتعرفنّها في أيدي غيركم) وقد تحقق ذلك بالفعل بواسطة أبي العباس السفاح.

٤ - (وفي دار عدوّكم) فقد اتخذ ابو العباس الهاشمية في العراق عاصمة له، ثم حولها ابو جعفر المنصور الى بغداد، والمنطقة العامة كانت الكوفة، التي كانت دار عدوّ للامويين.

ولم تمنع هذه الحقائق الامام من النصيحة بقوله:

٥ - (الا انّ ابصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه، إلّا ان أسمع الاسماع ما وعىٰ التذكير وقبله) وان كان يعلم أنها لا تكون مؤثرة، ولكنه قد أدّى واجبه الاسلامي حتى بالنسبة الى أعدائه.

---

(١) في هـ ب: ويعلم من فحوىٰ الكلام ان الامر لبني أُميّة لا يرجع إلىٰ آل محمّد.

(٢) في هـ ب: أي دار بني العباس وفي أيدي غيرهم.

[١٠٥]

ومن خطبة له عليه السلام:

(ط - ١٠٥ / ١) افتتاح الخطبة:

حَتَّىٰ بَعَثَ ٱللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله شَهيداً وَبَشِيراً وَنَذِيراً، خَيْرَ ٱلْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، وَأَطْهَرُ المُطَهَّرِينَ شِيمَةً(١)، وَأَمْطَرُ ٱلْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمةً(٢).

والمقطع الختامي يتضمّن الاشارة الى مصباح الهداية ومخالفة الهوى ومسؤوليات الامام وواجبات المسلمين:

(ط - ١٠٥ / ٢) وعظ الناس:

أَيُّهَا النَّاسُ، ٱسْتَصْبِحُوا(٣) مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ(٤)، وَٱمْتَاحُوا(٥) مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ(٦) قَدْ رُوِّقَتْ(٧) مِنَ ٱلْكَدَرِ(٨).

افتتح المقطع بالخطاب العام: (ايها الناس) فان البيان لا يختص بطائفة دون اخرى.

١ ـ (استصبحوا من شعلة مصباح) فان الانسان السالك في الحياة يفتقر الى مصباح يستضئ به، وطبيعي ان تكون الشعلة هي أهمّ واقوى جزء من المصباح، مما ينتفع به.

وما يفتقر اليه في الهداية هو مصباح يتصف بأمرين:

الاول: (واعظ) يأخذ على عاتقه الوعظ، فهو اذاً لابد ان يكون ذا كفاءة في مهمّته الرسالية.

الثاني: (متّعظ) بأن يكون عاملا بما يعظ، فلو خالف عمله قوله لما كان واعظا حقيقتا.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت ٦٠٦):«وعنى بهذا المصباح نفسه عليه السلام».(٩)

٢ – (وامتاحوا من صفو عين قد روّقت من الكدر) الامتاح: نزح البئر، والرواق:

---

(١) في هـ ب: أي خلقا.
(٢) الديمة: المطر يدوم، والمستمطر: من يطلب المطر.
(٣) في هـ ص: أي أوقدوا مصابيحكم، يعني بصائركم من نور هادٍ مهتدٍ.
(٤) في هـ ص: يعني نفسه (من الشرح).
(٥) في هـ ص: أي اغترفوا، وفي هـ ب: أي استقوا.
(٦) في هـ ص: يعني نفسه (من الشرح).
(٧) في هـ ص: أي صفيت.
(٨) في هـ ص: أي فساد العلم.
(٩) شرح النهج ٧: ١٦٨ ط ١٩٦٠.

التصفية، قال الشارح:(وكنى بهذا ايضا عن نفسه عليه السلام».[١]

والحكمة العامة: ان طالب الشئ لابد وان يحاول ان ينتقي من كل شئ احسنه، ويغترف من منبع العين الزلال، والامام قد استسقى علومه من النبي الاعظم صلى الله عليه وآله، فانّه شعلة مصباح الهداية، والواعظ المتعظ، وصفو العين المروّق، وهو الذي قد تربّى في مدرسة النبوّة طفلاً وجاهد في سبيله شاباً ودافع عن رسالته حتى لقى ربّه كهلا.

(٣/ط - ١٠٥) الجهالة والهوى:

عِبَادَ ٱللهِ، لَا تَرْكَنُوا[٢] إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا لأَهْوَائِكُمْ[٣]؛ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا[٤] المَنْزِلِ[٥] نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ[٦] هَارٍ[٧]، يَنْقُلُ[٨] الرَّدَى عَلى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ[٩] لِرَأْيٍ يُحَدِّثُهُ بعدَ رَأيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ[١٠] مَا لاَ يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ. فَاللَّهَ ٱللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي[١١] شَجْوَكُمْ[١٢]، وَلَا يَنْقُضُ[١٣] بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ.

ثمّ أخذ عليه السلام في بيان الجهالة والهوى باعتبارهما متلازمان في الانحراف عن الصراط المستقيم، وقال:

١ - (عباد الله) من دون تخصيص للمسلمين فقط، بل عامة البشرية مدعوّة للحذر من الجهالة والهوى.

٢ - (لاتركنوا الى جهالتكم) لان الجهالة لاتهدي إلّا الى الجهل، والله سبحانه قد اكرم

---

(١) شرح النهج ٧: ١٦٨ ط ١٩٦٠.
(٢) في هـ ب: أي لا تميلوا.
(٣) في هـ. د: إلىٰ أهوالكم ـ ض ح .
(٤) في ب: هذا، وفي هـ ب، وفي نسخة: بهذا.
(٥) في هـ ص: اشارة إلىٰ محصول قوله: «لا تركنوا ... الخ». وفي هـ ب: أي الجهالة والهوىٰ.
(٦) في هـ ب: طرف موضع مخوفة السقوط، أي ما يُسقط من قام عليه.
(٧) في هـ ب: هار مقلوب من هاير، كقولهم: شاك السلاح وشائك السلاح، وفسّر هار بساقط.
(٨) في هـ ص: أي ما يملأ أوزار متّبعيه ويذيع البدعة.
(٩) في هـ ص: أي يرتّب رأيا فاسداً على رأي فاسد.
(١٠) في هـ ص: أي يحتجّ للباطل.
(١١) في ب: لا يبكي، وفي هـ ب: في نسخة: لا يشكي، أي مَن لا يزيل الشكاية، أي خافوا الله أن ترفعوا شكايتكم من حالتكم المحزنة إلىٰ من لا [يهمّه أحركم]، وفي هـ ص: اشكيته: ازلت شكواه.
(١٢) الشجو: الحاجة، وفي هـ ب: مفعول تشكوا.
(١٣) في ب: ومن ينقص، وفي هـ ص، وفي نسخة: ومن ينقض.

الانسان بالعقل.

٣ - (ولاتنقادوا لأهوائكم) لان الهوى ملازم للجهالة، ولاتوصل الانسان إلّا الى الضلالة.

٤ - (فان النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار) الشفا: الجانب، والجرف: موضع السيل، و الهار: المنهدم، لان كلا من الجهالة والهوى ظلام، والسائر في الظلام سالك في مسلك خطر في الحياة.

٥ - (ينقل الردى على ظهره من موضع الى موضع) فان اثر الجهل والهوى لو اختص بالانسان وحده لكان امرا شخصيا، ولكن من تبعهما يكون قد سنّ ذلك لمن هو قريب منه، فيسير غيره على هذه العادة بسبب تزيينه فتنتشر هذه العادة في مواضع متعددة بعدد من يتأثر به.

٦ - (لرأي يحدثه بعد رأي) حيث ان الرأي الاول صادر عن جهل، ولما ينكشف وجه العيب فيه يحدث رأيا اخر ليصلح ما افسد، كالكاذب الذي يكذب، ولمّا يظهر كذبه يتوسّل بكذب اكبر ليغطي به كذبته الاولى.

٧ - (يريد ان يلصق ما لايلتصق) فلو اعترف بالجهل ورجع الى العالم لحل الاشكال في حياته، ولو اعترف الكاذب بالكذب لما افتقر الى كذب أكبر، وهكذا الى مالا نهاية له إلّا الاعتراف بالصدق.

٨ - (ويقرّب ما لايتقارب) من الجمع بين الكذب والواقع، ومن الجهل والعمل الصائب فانهما لايتقاربان قط .

وختم ذلك بالتأكيد بقوله:

٩ - (فالله الله ان تشكو الى من لايشكي شجوكم) يشكي: اي يزيل، والشجو: الحاجة، فان الطلب من فاقد الشيئ سفه، والجاهل بحكم جهله فاقد للجواب، فلا ينبغي السؤال منه.

١٠ - (ولاينقض برأيه ما قد ابرم لكم) فان صاحب الهوى ليس له رأي، فلا يتمكّن ان ينقض برأيه المبتني على الهوى ما قد احكمه؛ لانه غير مهتد في نفسه، فكيف له هداية غيره ؟

وهذه النقاط العشر توجب للانسان العاقل مهما كان انتماءه الديني ان لايتخذ الجهالة والهوى أساساً لأي قرار يتخذه في الحياة، بل لابد وان يتوجه الى من له العلم والخبرة في الموضوع الذي يريد اتخاذ قرار حوله مهما كان الموضوع بسيطاً.

(٤ / ط - ١٠٥) مسؤوليات الامام:

إِنَّه لَيْسَ عَلَى ٱلْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ ٱلْإِبْلَاغُ فِي المَوْعِظَةِ، وَالاِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَٱلْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ وَإِقَامَةُ ٱلْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيْهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ[١] عَلَى أَهْلِهَا.

وسرد من مسؤوليات الامام باعتباره القائد الاسلامي (انه ليس على الامام إلّا ما حمّل من امر ربّه) وهي خمس نقاط كالاتي:

اولا: (الابلاغ في الموعظة) فلابدّ وان يقوم بواجب الوعظ في المناسبات المطلوبة الى أقصى حد ممكن وبالطرق المقبولة الكفيلة بايصال الموعظة الى من يفتقر اليها.

ثانيا: (والاجتهاد في النصيحة) ببذل الجهد في النصح لمن يرى ذلك فيه ضروريا، مهما توعّرت السبل الى ذلك.

ثالثا: (والاحياء للسنة) النبوية التي طبقها في حياته الشريفة، سواء في مكة المكرمة قبل للهجرة أو بعدها في طريق الهجرة ومابعد الهجرة حتى الوفاة كما هو مشروح في كتب السيرة.

رابعا: (واقامة الحدود) الاسلامية التي أشير اليها في القران الكريم والسنة المطهرة بتطبيقها (على مستحقيها) من دون استثناء قط.

خامساً: (واصدار السهمان على اهلها) والسهمان: جمع سهم، اي اعطاء الحقوق المفروضة الى اصحابها المستحقين لها من دون نقص أو محاباة.

وهذه النقاط الخمس تعد من الثوابت الاسلامية التي لايمكن للقائد الاسلامي الاعلى ان يتنازل عنها قط، ولو درسنا الخلل والانحراف في المجتمعات الاسلامية في التاريخ الاسلامي نجدها تنتهي الى الخلل في احدى هذه النقاط الاساسية، عصم الله قادة المسلمين منها.

(٥ / ط - ١٠٥) واجبات المسلمين:

فَبَادِرُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ[٢] وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا[٣] بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ[٤] ٱلْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَٱنْهَوْا[٥] عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي.

---

(١) السهمان: الحظ والنصيب، وإصدار السهمان: إعادتها إلىٰ أهلها.
(٢) في هـ ص: تصويح النبت: يبسه، وكنّىٰ به عن موته ﷺ. وفي هـ ب: أي بادروا العلم واطلبوه قبل ذهابه، وتصويح النبت: استعارة، ويقال: صوحت الريح النبت: أي أيبسته.
(٣) في هـ ص: تشغلوا بما يثور من الفتن.
(٤) الاستثارة: كَلَبُ الثور، وهو السطوع والظهور، وفي هامش ب: أي موضع الاستيثار.
(٥) في د: وانهوا غيركم.

وختم المقطع بالاشارة الى واجبات المسلمين الاساسية، وهي:

الاول: المبادرة الى العلم (فبادروا العلم)؛ فان طلب العلم فريضة على كل مسلم، والمبادرة يجب ان يكون قبل حصول امرين هما:

١ - (من قبل تصويح نبته) والتصويح: التجفيف، فاذا جفّ نبت العلم فاتت الفرصة لتحصيل العلم.

٢ - (ومن قبل ان تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند اهله) والاستثارة: طلب الظهور، فان الانسان اذا ابتلي بمشاغل نفسه فانه لا يتمكن من طلب العلم من عند اهله.

الثاني: النهي عن المنكر (وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه)، ولم يذكر الامر بالمعروف؛ لان المعروف في المجتمع الاسلامي في قيادته كان شائعا، والمنكر كان استثناء كالمرض الداخل في جسم المجتمع الذي يجب ان يعالج.

الثالث: العمل على التناهي عن المنكر (فانما أمرتم بالنهي بعد التناهي) وليس النهي عن المنكر المجرد عن العمل مؤثرا قط.

وهذه الواجبات الثلاث مسؤولية عامة للمجتمع الاسلامي، ولو سارت الامة على هذا لما عانى المسلمون اليوم من الجهل والفساد والبطالة.

[١٠٦]

ومن خطبة له عليه السلام:

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِى شَرَعَ ٱلْإِسْلاَمَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ[١] لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ[٢] عَلَى مَنْ غَالَبَهُ؛ فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِه[٣]، وَنُوراً لِمَنِ ٱسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ ٱتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّق، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ.

يتضمن هذا المقطع شرع الاسلام كما اراده الله سبحانه لعباده سلسلة الارادة الالهية، ثم نتيجة هذا التشريع في سلسلة من حقائق الاسلام.

(١ / ط - ١٠٦) شرع الاسلام:

وافتتح المقطع بالحمد لله سبحانه (الذي شرع الاسلام) بعد سلسلة من الشرائع السابقة؛ لإحياء السنة الابراهيمية الحنيفة.

وخص الاسلام باعتباره خاتمة الشرائع بما يلي:

١ - (فسهل شرائعه لمن ورده) فان في الشرائع السابقة - خاصة اليهودية منها - من تشريعات شاقة يصعب تطبيقها في الحياة اليومية كما هو مشروح في الكتاب الفقهي لهم.

٢ - (وأعز أركانه على من غالبه) فبالرغم من وجود المحاربة الجادة من المشركين واليهود والاحزاب التي اعلنت الحرب على الاسلام في عقر داره، لم تدم هذه الاحزاب في وجه الاسلام، بل اخد الدين الاسلامي ينتشر رغم كل ذلك حتى وصل الى دول اخرى.

٣ - (فجعله أمنا لمن علقه) فان الامم التي اعتنقت الاسلام ضلت متمسكة به بالرغم من وجود الحرية التامة لها في الرجوع الى اديانها السالفة من المجوسية واليهودية، فرفض من اعتنق منهم الاسلام ذلك، لما وجد في الاسلام من الأمن الروحي.

٤ - (وسلما لمن دخله) فان روح الاخوّة الاسلامية حقيقة تشمل كل المسلمين على

---

(١) في هـ ب: سهل مشرعة للواردين.

(٢) في هـ ب: عزيز: شديد ركنه للغالبين، ثم قال: انه تعالىٰ جعل الاسلام سبباً لأربعة عشر شيئاً من الرغائب، ثم قال: فهو أبلج المناهج.

(٣) في ط خاصم عنه، وفي هـ. د: لمن خاصم عنه ـ ح .

اختلاف عنصرياتهم وقومياتهم .

٥ - (وبرهانا لمن تكلم به) فان المنطق الاسلامي منطق العلم، وليس العادات والتقاليد.

٦ - (وشاهدا لمن خاصم عنه) فان في كل حجة للخصم شواهد من القران والسنة تنبئ عن العلم، ولا يوجد دين يؤكد على العلم مثل الاسلام.

٧ - (ونورا لمن استضاء به) فهو نور متواجد لمن يريد الانتفاع به، من دون فرض ذلك عليه .

٨ - (وفهما لمن عقل) فان من تدبّر القران عن فهم وجد ضالتة في حل مشكلة الانسان في الحياة.

٩ - (ولبّا لمن تدبّر) وهو سرعة الفطنة للشئ خالصا، ولا يحصل ذلك بدون تدبّر.

١٠ - (واية لمن توسم) وهو التفرّس، فان التفرّس يقود الانسان الى معرفة الايات .

١١ - (وتبصرة لمن عزم) وهو توطين النفس وعقد النيّة للفهم، فانه يوجب البصيرة.

١٢ - (وعبرة لمن اتعظ)فان في الدين والأمثال التاريخية عبر كثيرة لمن اعتبر.

١٣ - (ونجاة لمن صدق) نفسه بتحرّي الحقيقة التي يدعوا اليها الاسلام.

١٤ - (وثقة لمن توكّل) على الله في فهم الحقائق القرآنية، دون التوكل على المسموعات والدعايات.

١٥ - (وراحة لمن فوّض) امره الى الله سبحانه في الحياة .

١٦ - (وجُنّة لمن صبر) في تحرّي الحقائق، حيث يرى ما يدعم مواقف الحقيقة .

ونتيجة هذا التشريع الالهي الذي هو خاتم الشرائع الثابتة، فان الاسلام له من الحقائق ما يلي:

(٢ / ط - ١٠٦) **حقائق الاسلام:**

فَهُوَ[١] أَبْلَجُ المَنَاهِجِ[٢]، وَأَوْضَحُ ٱلْوَلَائِجِ؛ مُشْرِفُ المَنَارِ، مُشْرِقُ ٱلْجَوَادِّ، مُضِيءُ المَصَابِيحِ، كَرِيمُ المِضْمَارِ[٣]، رَفِيعُ ٱلْغَايَةِ، جَامِعُ ٱلْحَلْبَةِ[٤]، مُتَنَافِسُ السُّبقَة، شَرِيفُ

---

(١) في هـ ب: «هو» ضمير الاسلام، ووصفة عشرة أشياء من الممادح، ثم عدّ من خصائص الاسلام ستة اشياء.

(٢) في هـ ب: أي معروف الطرق.

(٣) في هـ ب: المضمار: الموضع الذي يضمر فيه الخيل.

(٤) في هـ ب: الحلبه ـ بالتسكين ـ: حبل يجمع للسبا [كذا] لا تخرج من اصطبل واحد.

ٱلْفُرْسَانِ.

التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالمَوْتُ غَايَتُهُ، وَٱلدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَٱلْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَٱلْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

١ - (أبلج المناهج) الأبلج: الاوضح، فان المناهج المادية لاتسد حاجة الروح، والاديان الاخرى غير الاسلام لاتؤكد على العمل كما عليه الاسلام.

٢ - (واوضح الولائج) الوليجة: المذهب الذي يسلكه الانسان، فليس في الاسلام احكام خافية.

٣ - (مشرف المنار) وهو ما ينير الطريق للاخرين، فانه في موضع مشرق للجميع، غير مستور عند طائفة خاصة.

٤ - (مشرق الجواد) وهو الجادة من دون لبس أو التواء في عرض الافكار الاسلامية.

٥ - (مضيئ المصابيح) ليس في الافكار الاسلامية غموض وتعقيد لفهمها أو تطبيقها.

٦ - (كريم المضار) وهو محل سباق الخيل، وهو كناية عن العدالة في اعداده وتشريعاته.

٧ - (رفيع الغاية) للشمولية التي في الاسلام بجمع الامم المستضعفة والقوميّات.

٨ - (جامع الحلبة) وهي الخيل المجموعة للمسابقة، وهو كناية عن الاستعداد للسباق.

٩ - (متنافس السبقة) السُّبقة - بالضم -، هي الجزاء، فيتنافس عليها من يعرف قدرها.

١٠ - (شريف الفرسان) فليس التسابق بين الفرسان من اجل المصالح الشخصية، بل لهداية البشرية .

١١ - (التصديق منهاجه) فان الاصول الاسلامية تصدق الاديان السماوية التى كانت قبله .

١٢ - (والصالحات مناره) فان الاعمال الصالحة يستنير بها الاسلام مهما كانت مصادرها.

١٣ - (والموت غايته) فان الدنيا سجن المؤمن، ويستمر المسلم في العمل حتى الموت .

١٤ - (والدنيا مضماره) والمضمار: هو محل السباق، فالاسلام يري الدنيا محل العمل.

١٥ - (القيامة حلبته) ونتيجة المسابقة تظهر في يوم القيامة، فانها في الحقيقة يوم

ظهور نتائج السباق.

١٦ - (والجنة سبقته) اي جزاء الاعتقاد بالاسلام.

وهذه الخصائص يبحث عنها من يدرس الاسلام، والسبب الذي يكمن في ذلك انه خاتمة الشرائع السماوية.

منها في ذكر النبي ﷺ:

حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ[١]، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ[٢]، فَهُوَ أَمِينُكَ[٣] المَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالحقِّ رَحْمَةً[٤].

ٱللَّهُمَّ ٱقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ، وَٱجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ[٥] ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. ٱللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ ٱلْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَٱلْفَضِيلَةَ، وَٱحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، غَيْرَ خَزَايَا[٦] وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِين وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ[٧]، وَلَا مَفْتُونِينَ!

قال الرضيّ رحمه الله تعالى[٨]:

وَقَدْ مَضَى هَذَا ٱلْكَلَامُ فِيما تَقَدَّمَ[٩]، إِلَّا أَنَّنَا كَرَّرْنَاهُ هاهنا لِمَا فِي الرِّوَايَتَيْنِ مِنَ الاخْتِلَافِ.

ويستعرض في هذا المقطع من اوصاف النبي ﷺ ما يستوجب الدعاء له، ثم دعا عليه السلام بدعائين يتضمنان نقاطا من أوصاف النبي ﷺ، هما:

(٣ / ط - ١٠٦) من اوصاف النبي ﷺ:

١ - (حتى أورى قبسا لقابس) القبس: شعلة النار المقتبسة للاستضاءة بها، والقابس:

---

(١) في هـ ب: قبسا لقابس، ورىٰ: أي استخرج النار من الزند، والقبس: شعلة من نار، والقابس: طالب النار من الغير، ان ياخذها.

(٢) في هـ ب، وفي نسخة: لحافظ، ويحتمل ان تكون هذه الكلمة تفسيراً «لحابس»، وفي هـ ب: والحابس: من يحبس فرسه في سبيل الله.

(٣) في هـ ب: اميناً للعلم الذي يحبس نفسه على الله، فأشار أولاً إلىٰ العلم، ثم أومأ إلىٰ الجهاد بالقرينة الثانية.

(٤) في هـ ب، وفي نسخة: رحمة للعالمين.

(٥) في د: مضاعفات، وفي هـ ب: أي مضاعفات.

(٦) في هـ ب: خزايا فعالهم، ويجمع «فعلان» مكسور ... نحو سكران وسكارىٰ، وجبران وجبارىٰ، فجعلها المذكر ... خزيان ونحو مشبّها بصحراء وصحارىٰ.

(٧) لم ترد «ولا مضلين» في ب.

(٨) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالى» في ب ود، والعبارة إلىٰ آخرها لم ترد في أ وب ود.

(٩) في الخطبة: ٧٢.

الذي يقتبس منها لايجاد شعلة ضياء اخرى، أو الذي يستهدي بها، فان الرسول القائد كان الرائد الذي اورى ذلك في الاديان، ولم يسبقه دين في استخدام القوة في سبيل تحقيق العدالة سواه، واعلان الثورة على الطغاة ما عداه.

٢ – (وانار علما لحابس) وهو صاحب الناقة في حالة ضلالة الطريق والحيرة في امره، فانه يحبس الناقة في موضع حتى يهتدي الى الطريق ، وتشرق الشمس لمعرفة الجهات الاربع، أو بالنجوم في الليل ان كان عارفا بها، أو بالنار التي تستوقد لاعلام الاخرين. والنبي صلى الله عليه وآله انار هذا العلم لمن طلب الهداية.

٢ – (فهو امينك المأمون) حيث أدى الأمانة بصدق في حياته، ولم يبدل تبديلاً، ولم يخضع لإغراءات المشركين، ولم يلن لتهديدات الظالمين قط، كما هو مشروح في سيرته صلى الله عليه وآله.

٤ – (وشهيدك يوم الدين) حيث يشهد على افعال العباد في يوم الحساب .

٥ – (وبعيثك نعمه) فان بعثته صلى الله عليه وآله كانت نعمة للمستضعفين في الارض الى ان تقوم الساعة.

٦ – (ورسولك بالحق رحمة) فانه صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين جميعا؛ لان رسالته حقا رسالة الهية لتطبيق حكم الله على الارض .

وهذه الاوصاف النبوية واثارها التي عمت على المسلمين وعلى غيرهم من المستضعفين تستحق الدعاء والثناء، وهو ما ذكره فيما بعد من قوله: وقد بلغتم من كرامة الله...الخ، مما سيأتي تفسيره.

(٤/ط - ١٠٦) خطاب الاصحاب:

ومنها[١] **في خطاب أصحابه**[٢]:

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ ٱللهِ تَعالَى لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِماؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِها جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخاف لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ.

يشير عليه السلام الى مراحل اربع لصاحب الحق بالكرامة، فاذا تقاعس عن حقة فانه سوف يسلبه الظالم ذلك، وعند ذلك يسترد صاحب الحق حقه، وقد نبه الامام بهذا المقطع

(١) في د: منها.

(٢) في هـ ب: فخاطب عليه السلام أصحابه فقال: ان الله اعطاكم خير منزلة من الاكرام يعزون يعظم جاركم ومملوككم، لا لفضل فيكم، أو تفضّل منكم، أو هيبة.

اصحابه بالاشارة الى كل من المراحل الاربع:

(٥/ط - ١٠٦) **كرامة الله:**

فاول هذه المراحل: كرامة الله للمسلمين، وتنجلي هذه الكرامة في انهم على قلتهم عدة وعددا، لهم خصائص يخافهم الاعداء، وهم الاكثر عدة وعددا بسبب الكرامة الالهية وهو ما أشار اليه بقوله: (وقد بلغتم من كرامة الله تعالى لكم) امور، منها:

١ - (منزلة تكرم بها اماؤكم) مع ان الامر كان قبل الاسلام انّ الاعداء كانوا يستعبدون الرجال ويستحيون النساء لاذلالهن واسترقاقهنّ، وقد اصبح اصحابه اليوم يكرمون الاماء وتهابهم الرجال.

٢ - (وتوصل بها جيرانكم) فالاعداء قبل الاسلام كانوا يأخذون الجار بذنب الجار، واليوم يتوددون الى جيرانكم لصلتهم بكم.

٣ - (ويعظمكم من لافضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده) فان التعظيم من اجل الفضل أمر طبيعي، واما التعظيم بدون سبب مادي فانه يدل على كرامة الهية يستحق الانسان بسببها التعظيم.

٤ - (ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة) وهي البطش والقهر، فان الاعداء يهابون المسلمين بالرغم من اعتلائهم وجبروتهم.

٥ - (ولا لكم عليه إمره) أو قوة، فليس مهابتهم خوفا من الامارة والحكم، كما هو الشأن في الحكومات الظالمة، وصدق الامام السجاد عليه السلام في قوله: (من اراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته) وهكذا كان المسلمون في التاريخ، ولايزالون يتنعمون بانواع من هذه الكرامات الالهية وامثالها.

(٥/ط - ١٠٦) **التقاعس عن الحق:**

وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ ٱللهِ مَنْقُوضَةً فَلاَ تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لنقض ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ[1]، وَكَانَتْ أُمُورُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ.

والمرحلة الثانية: هي تقاعس اصحابه في الدفاع عن حقوقهم، وهذا ما ابتلي به بعض اصحابه من الضعف في الرؤية، وليس لضعف العقيدة، فانهم بالرغم من ايمانهم بشرعية القيادة قصروا في اداء دورهم المطلوب حيث انهم لم يغضبوا للحق، فقال:

---

(١) في هـ ب: أي هذه عهود الله نقضها طلحة والزبير ومعاوية واتباعهم، وأنتم لا تغضبون، وإنٍ نقض أحد ذمة ابائكم اخذتكم الأَنَفَة والحمية، وها انا فيما بينكم اعرض امور الله عليكم ليلاً ونهاراً، فلم تنفع فيكم وصرتم منقادين لمعاوية.

-(وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون) بترك النهي عن المنكر، ظنا بان ذلك لايؤثر في حياة الانسان، مع ان اثارها ستنعكس على الامة جمعاء، بما فيهم هؤلاء الاصحاب، ولو بعد حين.

وانتقد الامام هذا الموقف المتخاذل بنقاط:

اولا: (وانتم لنقض ذمم ابائكم تأنفون) فان نقض العهد اذا كان في العائلة فانه يوجب التأثر من جانب من يتضرر بها من العائلة مهما كان الاثر لنقض العهد هذا مباشرا أو غير مباشر، فكيف لايتخذ موقفا مماثلا لنقض العهد من الولاة، مع العلم بان له تاثيراً على مستقبل الانسان تاثيرا مباشرا وغير مباشر، وانّ كل آت قريب.

ثانيا: (وكانت...) في الحالة التي كنتم متمسكين بزمام الامور، وكانت مواقفكم لها اثرها في تقويم المسار الى المسار الصحيح، ثم استند الى امور ثلاثة في القدرة على الدفاع عن الحق، وهي:

١ - (كانت امور الله عليكم ترد) لما لكم من الثقافة الاسلامية الاصلية.

٢ - (وعنكم تصدر) لما لكم من الرأي القاطع في الحوادث .

٣ - (واليكم ترجع) لان القرار فيها كان في يدكم، لا في يد غيركم.

فان هذه الامور توجب التحرك في المسار الصحيح، والدفاع عن الحق، اعتمادا على وضوح الحقيقة وعلما بأن التقاعس عن الحق يوجب ضياعه.

(١٠ / ط - ١٠٦) تعدّي الظالم:

فَمَكَّنْتُمْ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ ٱللهِ فى أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ[١] بِالشُّبُهاتِ، وَيَسيرُونَ[٢] فِي ٱلْشَّهَوَاتِ.

والمرحلة الثالثة: ان الظالم يتعدى على من تقاعس عن حقه؛ لانه لصّ، واللص لايرحم من يسرق منه، فان بسبب هذا التقاعس والتخاذل يحصل امور:

١ - تمكّن الظالم (فمكّنتم الظلمة من مذلتكم) ولولا التقاعس عن طلب الحق لما تمكن الظلمة من ذلك.

٢ - انفلات الامور (واسلمتم امور الله في ايديهم) لانكم لم تستلموها بايديكم.

ونتيجة ذلك حقيقتان، هما:

---

(١) في ب: تعملون.

(٢) في ب: تشيرون.

اولا: (يعملون بالشبهات) حيث ليس لهم الثقافة الاسلامية حتى يمكنهم تطبيقها.

ثانيا: (ويسيرون في الشهوات) حيث لا يمنعهم من ذلك مانع من وعي أو حكمة أو حكم، وكل ذلك بسبب التقاعس عن طلب الحق.

(١١/ط-١٠٦) استرداد الحق:

وَأَيْمُ اللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ[١]، لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ[٢]!

والمرحلة الرابعة والاخيرة، هي: مرحلة استراداد الحق، بعد ان تصبح الامور واضحة كاملا، فان المتقاعس عن حقه سينتبه الى خطئه ويسعى الى استرداد الحق بكل الوسائل التي يتمكن منها، وسوف يقابل خطط الاعداء بخطط أقوى، وهذه هي الحقيقة التي تتبناها الثورات في التاريخ في وجة الظالمين، واكدها الامام بالقسم (وأيم الله) واشار الى سياسة الظالمين العامة التي يستخدمونها في تحقيق مأربهم، وهي سياسة :«فرّق تسد»، بقوله: (لو فرّقوكم تحت كل كوكب) لئلا يطالب اصحاب الحق حقوقهم، فان هذه السياسة لاتنجح مع من له رؤية واضحة ؛ لانهم سوف يراجعون انفسهم ويدرسون اخطاءهم ويتحدون يوما ما، وسوف يستخدمون وسائل اقوى، وهذا ما أشار اليه بقوله: (لجمعكم الله لشرّ يوم لهم) حيث تصحح تلك الاخطاء ويتخذ منها دروسا وعبرا تنير طريق النصر.

---

(١) في هـ ب: شبه بالكوكب لتفرق الكواكب فكذلك تفرّقهم.

(٢) في هـ ب: أي ليوم القيامة.

قلت: ولعل هذا اشارة إلى تهجير أصحاب أهل البيت عليهم السلام واتباعهم في الأرض، كما حصل للكثير من الشيعة في العراق. ولعل اليوم الذي وعده عليه السلام هو يوم الوقت المعلوم المنتظر لفرج الشيعة، عجل الله لهم الفرج.

[١٠٧]

ومن خطبة[1] له عليه السلام في بعض أيام صفين[2]:

ساحة الحرب مليئة بالمفاجأت من كرّ وفرّ، ومن واجبات القائد الاشراف المباشر على سير الاحداث، ومن واجبات المحاربين: المقاومة المطلوبة فيها، والامام يصف احدى هذه الجولات التي اشرف عليها في مرحلتين:

(١/ط-١٠٧) **المرحلة الاولى – الهزيمة:**

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُم وَٱنْحِيَازَكُمْ[3] عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ ٱلْجُفَاةُ[4] ٱلطَّغَامُ[5]، وَأَعْرَابُ أَهْلِ ٱلشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ[6] ٱلْعَرَبِ، وَيَآفِيخُ[7] ٱلشَّرَفِ، وَٱلْأَنْفُ المُقَدَّمُ، وَٱلسَّنَامُ ٱلْأَعْظَمُ. (وعُبّادُ اللّيلِ فِي تَلاَوَةِ القُرْآنِ[8] وَأَهْلَ دَعْوَةِ الْحَقّ إذْ ضَلَّ عَنْهَا الخَاطِئُونَ. فَلَولاَ إقْبَالَكُمْ بَعْدَ إدْبَارِكُمْ، وَمَكْرَكُمْ بَعْدَ ٱنْحِيَارِكُمْ لَوَجَبَ عَلَيْكُمْ مَا وَجَبَ عَلَىٰ ٱلْمُولي يَومَ الزّحْفِ دُبُرَهُ[9]، وَلَكُنْتُمْ مِنَ ٱلهَالِكِينَ)[10].

وطبيعي للقائد ان يتأثر بها.

١ – (وقد رايت جولتكم) وهي الهزيمة.

٢ – (وانحيازكم عن صفوفكم) والانحياز: الهرب.

---

(١) في د: كلام.

(٢) في هـ ب: خاطب أصحابه بصفين، فقال: كيف لا تغضبون وأنتم سادة العرب وجمعتكم لإذلال أهل الشام، إلّا أنّ قلبي طاب مرّة حين ضيّقتم الأمر عليهم.

(٣) في هـ ب: انحاز عنه العدل: انساق وذهب، يقال: انحاز القوم، إذا تركوا مراكزهم، والحوز والحيز: السَّوْق اللّين، يقال: قد حاز الابل حوزا وتحييزا.

(٤) في هـ ص: جمع جاف: وهو الذي لا يتأدب بآداب الشريعة .

(٥) في هـ ب: في نسخة الطغاة، وفي هـ . د: الطغاة ـ ف ع. وروي الطفاة ـ ك . وفي هـ ص: جمع طغم الذي لا فقه له، وفي هـ ب: الذين لا عقول لهم.

(٦) في هـ ص: اللهموم: الجواد من الناس والخيل، وفي هـ ب: اللهاميم: جمع اللهموم: الجواد الشريف، ويقال للسحاب: اللهاميم ... ويكنىٰ بـ«أبي لهميم» عن الشريف.

(٧) في هـ ص: جمع يأفوخ، اما بمعنىٰ معظم الشيء أو مقدمه.

(٨) في هـ . ص: في نسخة ابن أبي الحديد: عمّار الليل بتلاوة القرآن قلت لعل نسخة ابن أبي الحديد كاتب محتوية علىٰ ذلك، ولم ترد العبارة في ط.

(٩) اشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ...﴾.

(١٠) ما بين القوسين من ص، وهو غير موجود في أوب وط ود.

ثم وصف الاعداء والاصحاب بما يشجعهم على مواقفهم، اما الاعداء فوصفهم بثلاث:

– (تحوزكم الجفاه) والجاف: الغليظ في المعاشرة، والمعرض عن العشرة، مشيرا بذلك الى قادة جيش العدو.

– (والطغام) جمع طغم، وهو الوغد الدنيء والرذل، وهي صفاتهم من وجهة نظر الاسلام والامام.

– (واعراب اهل الشام) وهم المسيّرون بأوامر القيادة الاموية، وهم اهل البادية المستخدمين في الحرب من دون علم لهم باسبابها ونتائجها.

وقد قال ابن أبي الحديد: «لما استوسق الامر لأبي العباس السفاح وفد اليه عشرة من امراء الشام يحلفوا له بالله وبطلاق نسائهم وبأيمان البيعة بانهم لا يعلمون – الى ان قتل مروان – ان لرسول الله ﷺ أهلا ولا قرابة إلّا بني أُميّة».

قال الجلالي: فاذا كان هذا حال امراء الشام، فكيف بالاعراب الذين وصفهم الله بانهم أشد كفرا ونفاقاً.

وأما اصحاب الامام، فقد وصفهم بما يشجعهم على ما هم عليه، بقوله:

– (وانتم لهاميم العرب) واللهميم: السابق من الخيل في الجري.

– (ويآفيخ الشرف) واليأفوخ: معظم الشيئ أو أعلى الرأس.

– (والأنف المقدم) وهو عضو الشامة مما يستنشم به حقائق نفسية، وبه يمثل للأنفة والحمية.

– (والسنام الاعظم) والسنام من الشيئ: اعلاه، ومن القوم: شريفهم.

وهذه الاوصاف أوصاف اهل الشام، كما انه ليس يدل على ان في اصحابه من ليس له رؤية واضحة في الحرب العقائدية.

(٢ / ط - ١٠٧) المرحلة الثانية – النصر:

وَلَقَدْ شَفَى⁽¹⁾ وَحَاوِحَ[2] صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ[3] تَحُوزُونَهَمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ، حَسّاً[4] بِالنِّصَالِ[5]، وَشَجْراً[6] بِالرِّمَاحِ، تَرْكَبُ

---

(١) في ب: وقد شفىٰ. وفي هـ ب، وفي نسخة: ولقد شفىٰ.

(٢) الوحاوح: هي الحرق والحرارات التي يقال معها: «أُح»، وب: الوحوحة: صوت معه تنحنح.

(٣) في هامش الأصل: بزنةٍ ثمرة: آخر الامر، وفي هامش ب: بآخره.

(٤) في هـ ص وب: أي قتلاً.

(٥) في ط: بالنضال، وفي ظاهر ب: بالنضال، وفي هـ. د: روي حشّاً بالنضال ـ ر، وفي هـ ط: النضال: المباراة في الرمي، وفي رواية النصال ـ بالصاد ـ، وفي هـ ب: النصل واحدة النصال،

أُولَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ ٱلْهِيمِ ٱلْمَطْرَودَةِ تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا. وَتُذَادُ[٧] عَنْ مَوَارِدِهَا.

وكذلك فان من الطبيعي للقائد ان يفرح بالنصر، فقال:

– (ولقد شفى وحاوح صدري) الوحوحة: الحرقة والحزازة .

– (ان رأيتكم بأخرة، تحوزونهم كما حازوكم) ردّاً على العدوان.

– (وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم) معاملة بالمثل.

– (حسّاً بالنصال) والحس: القتل، والنصل: حديدة السهم والرمح والسيف وماشابه.

– (وشجرا بالرماح) والشجر: الضرب.

ونتيجة هذه المرحلة: هو انهزام العدو واصفا إياهم بالإبل المطرودة، بقوله:

(تركب اولاهم اخراهم كالإبل الهيم) وهي العطاش، فهي بسبب العطش ترد الى الماء، ولكنها تطرد عنها .

(ترمى عن حياضها) التي اتجهت اليها لشرب الماء (وتذاد عن مواردها) فتمنع من حياض الماء تلك، التي هي مواردها لرفع عطشها، فاصبح جيش العدو الذي قصد جيش الامام متعطشة للقضاء عليهم مطروداً بعد ان منعوا من الوصول الى اهدافهم.

وهاتان المرحلتان طبيعيتان في كل حرب والمقايسة بين المرحلتين واصحابهما يبين مدى انطباع الموقف وتشجيع الامام عليه السلام لجيشة المحارب عن رؤية واضحة في حربه العادلة ضد الظلم والعدوان.

ويقال للسهم والسيف والرمح والسنان... .

(٦) في هـ ص وب: أي طعناً.

(٧) في هـ ب: أي ترجع وتطرد.

[١٠٨]

ومن خطبة له عليه السلام وهي من خطب الملاحم(١):

ويتضمن بعض صفات الله واوصاف الرسول، ودور القائد الاسلامي في شرح الحقائق وبيان المواقف والخطر المحدق بالمؤمنين ، ودعايات العدو، والواجب الديني، وأسباب الفشل، والاسلام المقلوب.

(١ / ط - ١٠٨) **من صفات الله سبحانه:**

اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلْمُتَجَلِّي(٢) لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَٱلظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ ٱلْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ(٣)؛ إِذْكَانَتِ ٱلرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي ٱلضَّمَائِرِ، وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ، خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ ٱلسُّتُرَاتِ(٤)، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ(٥) عَقَائِدِ ٱلسَّرِيرَاتِ.

من صفات الله المشار اليها في هذا المقطع بعد حمد الله تعالى:

١ - (المتجلي لخلقه بخلقه) فالله سبحانه ظاهر للمخلوقين لابذاته، بل بواسطة خلقه اياهم، فهم آثار ظهوره بجلاء بقانون السببية المنتهي الى علة العلل، وهو الله سبحانه.

٢ - (والظاهر لقلوبهم بحجته) وان ظهوره ليس بالأبصار الناظرة التي لاترى الا الاجسام، بل للقلوب الباصرة التي ترى الامور الخفيّة بالحجج التي تدل عليها، واليها يشير الامام عليه السلام بقوله: «عميت عين لا تراك».(٦)

٣ - (خلق الخلق من غير روية) أي تفكير، بل بالارادة الالهية بان يقول له: كن، فيكون. ثم ذكر السبب لذلك بقوله:

٤ - (اذ كانت الرويّات لاتليق إلاّ بذوي الضمائر) والضمير: مايضمره الانسان في نفسه ، ويخفيه عن الظهور للآخرين. والروية: اي التفكير لايليق إلّا بهم، لأنهم يفتقرون في صنع شيئ سواءً كان عظيماً أو حقيراً الى نوع تفكير وتخطيط حتى يخترعوا ما

(١) في هـ ص: الملاحم جمع ملحمة، وهي الواقعة العظيمة.
(٢) في هـ ب: أي الظاهر.
(٣) في هـ ص: هي الفكرة، وهي ترديد الخاطر بين امرين للترجيح بينهما فمن ثَمّ اختصت بذي الضمير.
(٤) في هـ ب: أي المشكلات.
(٥) في هـ ب: أي مستور.
(٦) ونص العبارة: «عميت عين لا تراك عليها رقيبا».

عميت عين لا تراك

يصنعون، وخلق الله سبحانه الخلق انما هو بدون روية وتفكير، بل بالفيض الالهي الذي لايدرك بالمادة والماديات، بلا حاجة الى اضمار مايريده، حيث لامجال للاخفاء والاضمار، وذلك بقوله:

٦ – (خرق علمه باطن غيب السترات) والسترة: كل ساتر، وعلم الله سبحانه الذي هو عين ذاته محيط بكل ساتر ومستور، حاضر أو غائب، ظاهر أو باطن، في الحال والمستقبل، فليس في ذلك مجال للخفاء والاضمار.

٧ – (وأحاط بغموض عقائد السريرات) السريرة: السر الذي يكتمه الانسان وينويه من دون اعلان. فان الله سبحانه محيط بكل النيات مهما كانت غامضة ومعقدة في النفس الانسانية من الخطرات في لحظات فانية.

وهذه الصفات السبع هي الاسباب الموجبة لافتتاح الخطبة بالحمد لله تعالى.

(٢ / ط - ١٠٨) **النبي محمّد** صلى الله عليه وآله:

منها في ذِكْرِ ٱلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله:

إخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ[١]، وَمِشْكَاةِ ٱلضِّيَاءِ[٢]، وَذُؤَابَةِ ٱلْعَلْيَاءِ[٣]، وَسُرَّةِ[٤] ٱلْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ ٱلظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ ٱلْحِكْمَةِ.

وأشار الى السلسلة المترابطة في شخصية النبي محمّد صلى الله عليه وآله ومن تقدمه من الانبياء الذين حملوا جميعا رسالة السماء لهداية الخلق في ادوار مختلفة، فكان النبي صلى الله عليه وآله القائد حيث انه :

١ – (اختاره) الله واصطفاه من عدة بطون:

٢ – (من شجرة الانبياء) فهي الشجرة الابراهيمية التي ينتهي اليها نسبه الشريف.

٣ – (ومشكاة الضياء) فان التاريخ الماضي لهذه الشجرة يثبت بأنّها كانت الضياء لهداية الخلق.

٤ – (وذؤابة العلياء) الذؤابة: الناصية في مقدم الرأس، ومن اجل ذلك سمي الشعر النابت عليها كذلك؛ فان اولاد ابراهيم تسنموا العلياء والمجد بمحافظتهم على سنة ابراهم الحنيف.

---

(١) في هـ. ص: أي اولاد إبراهيم عليه السلام .
(٢) في هـ ص: مشكاة الضياء: التي يخرج منها النور، أي: معدن النور.
(٣) في هـ ص: ذؤابة العلياء، أي أعلاها كالذؤابة من وسط الرأس.
(٤) في هـ ب: أي خيارها.

٥ - (وسرة البطحاء) السرة: الوسط، كموقع السرة في بدن الانسان، والبطحاء: مكة المكرمة التي كانت مسكنا لاجداد النبيﷺ منذ عهد اسماعيل وحتى عهد عبد المطلب، ومن اجل ذلك سمي ابو طالب: شيخ البطحاء، والنبيﷺ ترعرع في هذا الوسط الاجتماعي العريق.

٦ - (ومصابيح الظلمة) فقد كانت مواقفهم مواقف حكيمة في المحافظة على سنة جدهم ابراهيم.

وهذه الاوصاف السبعة من صفات النبي محمّد ﷺ تدعوا لإعلاء ذكره والصلاة والسلام عليه.

(٣ / ط - ١٠٨) الاسلام المقلوب:

وفي المقطع الاخير يبين الامام الخطر المحدق بالامة في عصره من بني أُميّة التي كانت تعمل جاهدة لقلب المفاهيم الاسلامية وتمييعها، الى الضد والنقيض من محتواها وافتتحه بان دور القائد هو دور الطبيب في العلاج وشرح الحقائق كما يشرح الطبيب المرض والصحة. ثم شرح موقف الامة التي هي كالمريض الذي يرفض العلاج ولايريد شرب الدواء المرّ، بالرغم من العلم بان المرض لا يمكن زواله إلّا بشرب الدواء المرّ.

وبالرغم من علم القائد بخطر المرض على جسم الانسان، وان الدعايات التي يستخدمها العدو لتحقيق اغراضه، وان الواجب على الامة في مثل هذا الموقف هو كواجب المريض في شرب الدواء، وان نتيجة استفحال المرض هو الخروج على الخلافة بالشورى ونقل الحكم الاسلامي الى الملوكية، وقد اشار اليها في سلسلة مترابطة، فقال:

(٤ / ط - ١٠٨) دور القائد:

ان دور القائد الاسلامي كدور الطبيب الذي يقوم بواجبه، فهو:

ومنها:

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمٰى مَوَاسِمَهُ[1]، يَضَعُ مِنْ[2] ذٰلِكَ حَيْثُ ٱلْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ ٱلْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ ٱلْحَيْرَةِ.

لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ ٱلْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ ٱلْعُلُومِ ٱلثَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ

---

(١) في ب: وامضىٰ مواسمه، وفي هـ ب، وفي نسخة: أحمىٰ مواسمه. والمواسم: جمع ميسم، وهو المكواة.

(٢) لم ترد «من» في أ وط .

ٱلسَّائِمَةِ، وَٱلصُّخُورِ ٱلْقَاسِيَةِ.

١ - (طبيب) والطبيب يقوم بواجبه من الفحص لمعرفة مواضع المشكلة وعلاجها.

٢ - (دوّار بطبّه) يدور على من يفتقر الى علاجه في مواضع المشكلة ويبدي رأيه في العلاج .

٣ - (قد أحكم مراهمه) والمرهم: الدواء المركب للجراحات والقروح.

٤ - (واحمى مواسمه) الحمى: الكي، والميسم: آلة الكي، كانت تستخدم في حرق مادة وجرثومة المرض، كيلا تتطور فتشمل سائر أجزاء البدن .

٥ - (يضع ذلك حيث الحاجة اليه) فهو يستخدم الادوات الطبيّة من المراهم والميسم في مواضع الحاجة، أو في وقت الحاجة الى العلاج، وهذا هو دور الطبيب المعالج للمرض الجسمي.

وأما دور القائد الاسلامي فهو مشابه لذلك في علاج مشاكل الامة الفكرية والسياسية والادارية، واشار منها بقوله:

١ - (من قلوب عمى) فان الواجب القيادي هو توعية من لا وعي له بأبعاد المشكلة المحيطة بالأمة حاضرا ومستقبلاً.

٢ - (وآذان صمّ) بان يتمّ الحجة على من لم يستمع الى الحقائق حتى يكون على بصيرة من امره .

٣ - (وألسنة بكم) بان يوجههم الى الاعلان عن آرائهم والمطالبة بحقوقهم.

٤ - (متتبع بدوائه مواضع الغفلة) فان مواضع الغفلة هي موارد الحاجة، فتكون لها الاولوية.

٥ - (ومواطن الحيرة) وهي في الدرجة الثانية من الاولوية، حيث أن المحتار يلتبس عليه الامر بين الحق والباطل، والغافل لا علم له قط، كالجاهل القاصر.

٦ - (لم يستضيئوا باضواء الحكمة) فان من لم يعرف الحكمة يكون جاهلا، ويبقى في جهله ان لم يكن له موجّه فيؤذي الاخرين اما بالمباشرة أو بالتسبيب.

٧ - (ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة) حيث لم يتيسر لهم دراسة العلوم الحقيقية التي توقفهم على الحقائق، بل لهم من العلوم الفطرية التي تعلموها اباً عن جدٍ في المحافظة على حاجاتهم اليومية، كما تحافظ الحيوانات على علفها، وطبيعي ان العلوم تفتقر الى تعلم، وتبدأ بقدح وشرارة كلما ازداد الانسان معرفة ازداد ضياء. فان دور القائد هو تعميم الثقافة بين هؤلاء.

٨ – (فهم في ذلك) الموقف المهمل من الغفلة والحيرة والجهل ما يوجب على القائد العمل المدروس لانقاذهم.

٩ – (كالأنعام السائمة) حيث لايرون إلّا حاجتهم المادية من دون توجيه، وعاشوا كما تعيش الأنعام المطلقة العنان.

١٠ – (والصخور القاسية) حيث تعوّدوا على الحياة بهذا النمط جيلا بعد جيل، فلابد للقائد ان يستخدم دوره في تهذيب المجتمع الذي يقوده ممن وجد على هذه الصفات من الغفلة والحيرة والجهل حتى يصبحوا أعضاء صالحين في المجتمع الاسلامي.

(٥ / ط - ١٠٨) ظهور الحقائق:

قَدِ انْجَابَتِ[١] السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا[٢]، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا[٣].

ومن الادوار المفروضة على القائد : شرح الحقائق التي ترتبط بواقع الامة – وفي عصره بالذات: مشكلة بني أُميّة والخطر المحدق بالامة من نقل الخلافة من الشورى الى الملوكية، فاشار الى ذلك بنقاط، هي:

اولا: (قد انجابت السرائر لأهل البصائر) والسريرة: النوايا المضمرة، وانجاب: ظهر، فان نوايا بني أُميّة من محاولة تحويل الخلافة الى الملوكية قد بدأت تظهر لاهل البصائر الذين يرون الامور على حقائقها، ولايأخذون بالظواهر.

ثانيا: (ووضحت محجة الحق لخابطها) المحجة: الطريق، والخابط: السائر على الطريق، فان موقف الامام كان على معارضة الحكم الملوكي لبني أُميّة.

ثالثا: (وأسفرت الساعة عن وجهها) والساعة هي الزمن الذي يطرح فيها هذه الامور، والإسفار: الإضاءة والظهور للجانبين.

رابعا: (وظهرت العلامة لمتوسّمها) وهو المتفرّس الذي يدرس الواقع الحاضر.

فان مع وضوح العلامات و وضوح الحجج واعلان المقاصد، لايبقي مجال للتردد والغفلة والاعتذار بالجهل وعدم المعرفة، فلا يبقى إلّا سلوك طريق الحق بالسعي في المحافظة على الثوابت الاسلامية .

---

(١) في ب: وانجابت، وفي هـ ب: أي ذهبت، وفي هـ. ب، وفي نسخة قد انجابت: انكشفت.

(٢) في ب: فحجة الحق لأهلها، وفي هـ ب، وفي نسخة: لخابطها، قلت: الخابط السائر على الطريق.

(٣) في هـ ب: لصاحب الوسم. قلت والمتوسم: المتفرس.

(٦/ط - ١٠٨) الموقف المناقض:

وبوضوح النيّات وظهور المحجة كان اللازم هو اتخاذ موقف العملي، لا الكسل. ولكن كان الموقف العملي الذي اتخذ حينئذٍ كان موقفا متخاذلاً متعللاً، وقد وصف الامام اصحاب المواقف هؤلاء بقوله:

مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً[١] بِلاَ أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ[٢]، وَنُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ[٣]، وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ[٤]، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً، وَشُهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ.

١ - (مالي أراكم أشباحا بلا أرواح) والشبح: الشخص، فهم متواجدون باشخاصهم، ولكن هذا الوجود الخارجي كانه بلا روح، لانه لايؤدي دوره المطلوب منه كانسان متواجد وطائفة تعلن عن وجودها، بدون عمل ظاهر.

٢ - (وأرواحا بلا أشباح) وهم طائفة غير ظاهرة، كالروح التي لايشخص لها وجود خارجي.

واذا كانت الطائفتان واحدة فالتناقض بين أعمالهم واقوالهم أظهر.

٣ - (ونساكاً بلا صلاح) فانّ النسك مستلزم للصلاح، فإذا افترقا كان نفاقا.

٤ - (وتجاراً بلا ارباح) فان التجارة عادة تستلزم الربح، وفقدان الربح بمنزلة الخسارة لا التجارة.

٥ - (وايقاظاً نوّما) فهم بحكم حضورهم في حالة اليقظة ولكن بدون الحركة كالنائمين.

٦ - (وشهودا غيّباً) فهم يشاهدون في المجالس من دون عمل، كالغائب عن الحضور.

٧ - (وناظرة عمياء) والمطلوب من النظر هو الابصار، وكيف للاعمى البصر ؟

٨ - (وسامعة صماء) فان المطلوب من السامعة السماع، وكيف يمكن ذلك للاصم؟

٩ - (وناطقة بكماء) فان المطلوب من اللسان الكلام، وكيف يمكن للابكم النطق؟ .

---

(١) في هـ ص: أي اشخاصاً، كأنهم موتىٰ لعدم قبولهم الحق ونهيهم المنكر، كما ورد في كلامه: «ميت الأحياء».

(٢) في هـ ص: بلا اشباح، كأنّه كنىٰ بهم عن الطيش والخفة، أو كالفانين الذين بقيت أرواحهم وفنيت أجسادهم.

(٣) في هـ ص: نسبهم إلىٰ [عدم] العفاف، وفي هـ ب: عباداً بلا صلاح.

(٤) في ب: وتجاراً. وفي هـ ب، وفي نسخة: وتجاراً. وفي هـ ص: نسبهم إلىٰ الرياء وإيقاع الاعمال علىٰ غير وجهها (كذا في الشرح) ويحتمل انه أشار إلىٰ ان اعمالهم منحبطة؛ بخذلانهم له، ووصفهم بأمور متضادة ظاهراً وهي مجتمعة في الحقيقة؛ لانها باعتبارين.

وهذه الاوصاف المتناقضة تكشف عن تناقض القول والعمل من الحضور، بالرغم من معرفة الحق والباطل بسبب الدعايات المؤثرة فيهم، في حين ان الموقف يستلزم العمل لا الكسل.

(٧ / ط - ١٠٨) راية ضلالة:

رَايَةُ[١] ضَلاَلَةٍ قَدْ قَامَتْ[٢] عَلَى قُطْبِهَا[٣]، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا[٤]، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا[٥]، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا[٦]، قَائِدُهَا[٧] خَارِجٌ مِنَ ٱلْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى ٱلضَّلَّةِ[٨]، فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ[٩] كَثُفَالَةِ ٱلْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ[١٠] كَنُفَاضَةِ ٱلْعِكْمِ[١١]، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ ٱلْأَدِيمِ[١٢]، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ ٱلْحَصِيدِ[١٣]، وَتَسْتَخْلِصُ[١٤] ٱلْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ ٱسْتِخْلاَصَ ٱلطَّيْرِ ٱلْحَبَّةَ ٱلْبَطِينَةَ[١٥] مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ ٱلْحَبِّ.

قال الشارح ابن أبي الحديد:«هذا كلام منقطع عما قبله ، لان الشريف الرضى رحمه الله كان يلتقط الفصول التي في الطبقة العليا من الفصاحة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيذكرها ، ويتخطى ما قبلها وما بعدها ، وهو عليه السلام يذكر هاهنا ما يحدث في آخر الزمان من الفتن ، كظهور السفياني وغيره» .[١٦]

قال الجلالي: هذا الكلام ليس منقطعا عما قبله، وان كان اسلوب الرضي التقاط الفصول وليس ما يذكره من الفتن في آخر الزمان كظهور السفياني، بل هو مرتبط بما تقدم

(١) في هـ ب: أي هذه راية ضلالة. وأشار بها إلىٰ رايات معاوية وبني أُميّة.
(٢) في هـ ص: أي تمكنت وتبتت.
(٣) قامت علىٰ قطبها تمثيل لانتظام أمرها واستحكام قوتها.
(٤) في هـ ص: أي انتشرت في الأرض.
(٥) في هـ ص: أي تتقدمكم في الأحوال وتقلقلكم كما يقلقل الكائل المكيل.
(٦) في هـ ص: أي تهضمكم وتؤثر فيكم وتقهركم.
(٧) في ب: قائمها، وفي هـ ب، وفي نسخة: قاتدها، وفي هـ ص: قائدها، أي الداعي اليها والحامل لها.
(٨) في هـ ب، وفي نسخة: المضلة.
(٩) في هامش ب: الثفالة: الثفل.
(١٠) النفاضة: ما يسقط عن شيء تنفضهُ، أي حركته لينتفض.
(١١) العكم: نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها، وفي هـ ب: المتاع، العدل.
(١٢) العرك: الدلك الشديد، والاديم: الجلد.
(١٣) الحصيد: المحصود.
(١٤) في ب: ويستخلص، وفي هـ ب، وفي نسخة: ونستخلص.
(١٥) الحبة البطينة: السمينة.
(١٦) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٧ : ١٨٨.

من فتنة بني أُميّة، فان الامامعليه السلام بعد ان شرح الموقف بظهور الحقائق عن ان بني أُميّة ينوون قلب الحكم بالشورى الى الملوكية، وان الموقف لابد وان يكون موقف العمل وليس موقف الكسل، ثم عقبه بالحقيقة التي واجهتها الامة الاسلامية في عصره، وهي ارتفاع راية الضلال من بني أُميّة:

وقد وصف هذه الراية وقائدها وآثارها في نقاط :

١ - (راية ضلال) لانها راية البغي على الامام الذي انعقدت له الخلافة بالشورى على امامته، والباغي يجب ان يحارب بقوله تعالى: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيْ الى امر الله﴾.(١)

٢ - (قد قامت على قطبها) فان الراية قائمة على قطب الحركة الداعية الى الملوكية ونقض الشورى.

٣ - (وتفرقت بشعبها) الشعبة: الفرع، فاصبحت للراية فروع تناصرها .

٤ - (تكيلكم بصاعها) أي تتعامل الراية وأصحابها معكم باستخدامكم في أغراضها السياسية كما يستخدم التجار الصاع في الكيل لتحقيق أهدافهم، فلا يكون لكم رأي أو أمر.

٥ - (وتخبطكم بباعها) الخبط: الضرب، والباع: الذراع، والمراد انهم يمارسون معكم الظلم والاعتساف.

٦ - (قائدها خارج من الملة) لتنكّره للثوابت الاسلامية والتي منها الخلافة بالشورى في الحكم.

٧ - (قائم على الضلّة) باستمراره على اقامة الضلالة في التشبث بالحكم وتغيير الخلافة بالشورى الى الملوكية.

واشارعليه السلام الى نتيجة الحكم الملوكي المستبد هذا بقوله:

٨ - (فلا يبقي يومئذ منكم إلّا ثفالة كثفالة القدر) الثفالة: ما يفثل في القدر من الطبيخ، حيث يحاول العدو القضاء عليكم.

٩ - (او نفاضة كنفاضة العكم) النفاضة: ما يسقط من الشيئ المنفوض، والعكم: العدل الذي يوضع فيه المتاع، فلا يحافظ العدوّ إلّا على من ينتفع منه للخديعة.

١٠ - (تعرككم عرك الأديم) والعرك: الدلك بقوّة، فالعدو يدلككم كما يدلك القادم

---

(١) الحجرات: ٩.

على الجلد للجلوس عليه.

١١ - (وتدوسكم دوس الحصيد) ويدوس عليكم برجله كما تدوس البقر على حصاد الزرع لاستخراج الحب منه.

١٢ - (وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبّة البطينة من بين هزيل الحب) فان العدو سيتابع المعارضة ويطاردها حتى يقضي على من يريد، كما يتابع الطير الحبة المطلوبة المستورة بين الحب الهزيل وهو رديئ الحب. فان العدو الظالم لايرحم احدا، فان راية الضلال المعلنة بين الضلاّل ليس في قاموسها الرحمة والعطف، فاذا بدأت بالحركة فانها لن تتوقف عند حدٍ، ولابد لها ان تستمر حتى تحقق مصالحها، وليس من مصلحة الظالم قط الرحمة على أعدائه، بل استخدامهم وأخذهم بأشق الاحوال كما هو مسطور في تواريخ الفراعنة ومن سار بسيرتهم مع اسرى الحرب.

(٨ / ط - ١٠٨) الدعايات الكاذبة:

ومن الطبيعي ان يرفع الظالم شعارات كاذبة ودعايات خداعة لتضليل الرأي العام في المجتمع، وسلوك سياسة «فرّق تسد» وتثبيط العزائم في الجماعات المعارضة له، وقد أشار الامام اليها بقوله:

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ ٱلْمَذَاهِبُ؛ وَتَتِيهُ[١] بِكُمُ ٱلْغَيَاهِبُ[٢]، وَتَخْدَعُكُمُ ٱلْكَوَاذِبُ[٣]، وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ. فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ.

١ - (اين تذهب بكم المذاهب)المختلفة في المواقف، مع العلم بان الراية راية ضلالة إلّا الى الذل والهوان.

٢ - (وتتيه بكم الغياهب) وهي الظلمات التي تجعلكم تائهين، مع وضوح الاسباب والنتائج؟

٣ - (وتخدعكم الكواذب) من الشعارات والوعود الكاذبة.

٤ - (ومن اين تؤتون) حيث ان العدو يأتيكم بهذه الطرق والوعود الزائفة.

٥ - (وأنّى تؤفكون) أي تصرفون وجوهكم بعد وضوح الموقف.

٦ - (فلكل أجل كتاب) فإن المحاولات للتخلّص من الموت بالذلّ محاولة فاشلة؛ فإن لكل أجل ما هو مقرر مكتوب من الله سبحانه، واذا جاء اجل قوم فانهم لايستقدمون

---

(١) في هـ ب: أي تحيربكم.
(٢) في هـ ب: جمع غيهبة وهي الظلمة.
(٣) في هـ ب: جمع كاذبة.

ساعة ولا يستأخرون [١].

٧ – (ولكل غيبة إياب) فان غيبة المحارب من أجل احقاق حقوقه لابد لها من رجوع، إما بالنصر الحاضر بالظفر على العدوّ، أو الشهادة التي هي نصر للمبادئ التي يُستشهد من أجلها.

وبذلك أكد الامام ﷺ على ان الدعايات الكاذبة والوعود الخلابة لابد وان لا تؤثر فيمن يريد الدفاع عن حقوق أُمّته ودينه ووطنه.

(٩ / ١٠٨ - ط) واجب الموقف:

وعن الواجب في مثل هذا الموقف الذي كثرت فيه الدعايات الكاذبة والوعود الخلابة، اشار الى أنواع من الواجبات ، هي:

فَاسْمَعُوا[٢] مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ[٣]، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ[٤]، وَٱسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ[٥] بِكُمْ، وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ[٦] أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ[٧] لَكُمُ ٱلْأَمْرَ فَلْقَ ٱلْخَرَزَةِ[٨]، وَقَرَفَهُ قَرْفَ ٱلصَّمْغَةِ[٩].

١ – (فاسمعوا من ربّانيّكم) الربّانيّ: المتأله العارف بالرب سبحانه، وهو الذي تكون ارشاداته خالصة لله.

٢ – (واحضروه بقلوبكم) اي اجعلوا قلوبكم حاضرة عنده، كما تحضرون باجسادكم، فيكون حضوركم حضورا بالارواح.

٣ – (واستيقضوا ان هتف بكم) والهتاف: الصياح، اي الدعوة الى اداء الواجب في ساحة المعركة.

ومن اوصاف القائد الاساسية امور:

---

(١) اقتباس من سورة يونس ١٠ : ٤٩.
(٢) كذا في ص، وفي أوب وط ود: فاستمعوا.
(٣) الربانيّ: المتألّه العارف بالله، وفي هـ ب: الربانيّ: الذي يربو في العلم، وأراد ﷺ نفسه.
(٤) في هـ ب: أي احضروا كلامه في قلوبكم.
(٥) في هـ ب: أي صاح.
(٦) في هـ ص: هو السابق للمنتجعين، يتخير لهم الماء والكلأ، وهو لا يكذب أهله.
(٧) في هـ ب: أي بيّن هذا الرباني ـ الذي هو علي ﷺ ـ أمر الدين لأجلكم، وشق ما كان ملتبساً كما تفلق الخرزة فيعرف باطنها، وفسر علم الدين وأخرجه من بين الجهل كما يخرج الصمغ من الشجرة.
(٨) في هـ ب: ثقب الخرزة المثقوبة.
(٩) في هـ ص: أي قشره.

١ - (وليصدق رائد اهله) الرائد: المتقدم للنظر في موضع الماء والكلأ لمن يتبعه.

٢ - (وليجمع شمله) بجمع عزائمه وتوحيد الصف ووحدة الكلمة.

٣ - (وليحضر ذهنه) والذهن: الفطنة، باستخدام الذكاء في أقرب طرق النصر.

واشار الامام الى انه باعتباره القائد في المعركة قد ادّى واجبه القيادي بالتوجيه الصحيح كالرائد المطلوب منه الصفات الثلاث الاخيرة.

وبالاجمال بين الواجبات لهم وله، بقوله:

- (فلقد فلق لكم الأمر فلق الخرزة) وهي الفص من الجواهر، الجيّد أو الرديئ، بثقب وبنظمه عقدا منضودا.

- (وقرفه قرف الصمغة) والقرف: القشر، والصمغة: مادة لزجة تسيل من بعض الاشجار وتصبح جامدة عليها فتقشر من جلدها لينتفع بها.

وهذه النقاط الست واجبات الموقف من القائد والجيش أساسية في الغزوات الاسلامية التي قادها النبيﷺ واستشهد بها الامام.

(١٠ / ط - ١٠٨) نتيجة الموقف:

وفي الختام يتعرض الامام الى نتيجة الموقف الذي وصفه من الجيش الحاضر بقوله: (فعند ذلك) اشارة الى الموقف المتأثر بالدعايات الكاذبة المؤثرة في العمل بالواجب العسكري المطلوب في ساحة المعركة، كما هو المفهوم من المقام، وذكر نتيجتين، الاولى: في الجيل الحاضر، والثانية في الاجيال القادمة:

(١١ / ط - ١٠٨) الجيل المعاصر:

وبالنسبة للجيل المعاصر ذكر الآثار التالية:

فَعِنْدَ ذَلِكَ[١] أَخَذَ ٱلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ ٱلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظَمَتِ الطَّاغِيَةُ[٢]، وَقَلَّتِ ٱلرَّاعِيَةُ[٣]، وَصَالَ[٤] الدَّهْرُ صِيَالَ ٱلسَّبُعِ ٱلْعَقُورِ، وَهَدَرَ[٥] فَنِيقُ[٦] ٱلْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ[٧]،

---

(١) في هـ ص: اشارة إلىٰ جملة الفتن التي أخبر عن وقوع أوّلها.

(٢) في هـ ص: أي الفرقة الطاغية، أي أهل الباطل، أي كثروا، وفي هـ ب: الطغاة.

(٣) في هـ ص: أي الفرقة الراعية للدين، وفي د: الداعية، وفي هـ. د: الراعية ـ ك ل، وفي هـ ب: الرعاة.

(٤) في هـ ب: الصيال: حملة الاسد الذي يعقر.

(٥) في هـ أ: أي صاح، وفي هـ ب: أي صوّت.

(٦) في هـ أ: فنيق الباطل: وهو الفحل.

(٧) في هـ ص: أي سكوت: أي اسكته قيام النبيّ ﷺ وانطقه قيام الفتنة، وفي هـ ب: أي

وَتَوَاخَى[١] النَّاسُ عَلَى ٱلْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى ٱلدِّينِ، وَتَحابُّوا[٢] عَلَى ٱلْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ.

١ – (أخذ الباطل مأخذه) فيقوى سلطانه بأخذ ما يريد أخذه من البلاد والعباد.

٢ – (وركب الجهل مراكبه) فان الجاهلية عندما تصبح لها دولة تركب الوسائل التي اعتادتها في الحياة السياسية.

٣ – (وعظمت الطاغية) اي الطغيان، لوجود دولة لها قائمة على اسس مادية.

٤ – (وقلت الداعية) الى الحق، لتفاحل الطغيان وتكاثر العدوان على اثر تحالفات قبلية.

٥ – (وصال الدهر صيال السبع العقور) والصيال: الحملة والوثبة، فان السباع المفترسة انما تفترس ما يهرب منها، فلو قاومت حمامة صغيرة في وجه السبع الضاري بالنقر في عينه لما تمادى السبع في الصيال، بل حاول الهرب من الحمامة المقاومة، وهكذا هي سنة الحياة، فاول ما يقوم به العدو هو الارهاب، ثم القضاء على ارادة المقاومة حتى تقع اسيرة. والعقر: قطع قوائم الفريسة بعد صيدها.

٦ – (وهدر فنيق الباطل بعد كظوم) الفنيق: الفحل من الابل، والكظم: الامساك، والهدر: صوته، فيجد الباطل حينئذ الفرصة لاعلاء صوته.

٧ – (وتواخى الناس على الفجور) حيث ان السلطة الحاكمة لاتهمها الاصلاح، بل تعمل على نشر الفسق والفجور ان كان لها في ذلك مصلحة مادية أو سياسية، فيصير الناس اخوة في الفساد.

٨ – (وتهاجروا على الدين) والهجر: القطيعة والعداء بهجران الدين ومبادئه الاخلاقية.

٩ – (وتحابوا على الكذب) فيكون الكذب أمرا عاديا في حياتهم وخاصة اذا جلب لهم منفعة مادية.

١٠ – (وتباغضوا على الصدق) فلا يكون للصدق أثر، بل يعتبر الصادق من الناس معدودا في الحمقى، والكاذب المنافق معدودا في الاذكياء.

وهذه نقاط عشر كاملة في المجتمعات المادية التي لاتستند الى الاخلاق الاسلامية في حياتها.

سكوت.

(١) في هـ ب: من المؤاخاة.

(٢) في ب: وتحاببوا، وفي هـ ب، وفي نسخة: وتحابوا.

(١٢ / ط - ١٠٨) الاجيال المقبلة:

ولاتنحصر آثار السلطة الظالمة التي ترفع راية الضلال عند حد، بل تتعدى الى الاجيال المقبلة، حيث أنها كلما امتد سلطانها امتد أثرها على المجتمع، فقد تخلق السلطة الظالمة جيلا منكرا للثوابت الاسلامية في الفكر والعقيدة والعمل، حتى يظن ان الاسلام مجرد طقوس ،كما كانت عليه الجاهلية .

واشار الامام الى هذه الاثار بتكرار اسم الاشارة، بقوله:

فَإذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ ٱلْوَلَدُ غَيْظاً[1]، وَالمَطَرُ قَيْظاً[2]، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ ٱلْكِرَامُ غَيْضاً[3]، وَكَانَ[4] أَهْلُ ذَلِكَ ٱلزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالًا[5]، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وَغَارَ[6] ٱلصِّدْقُ، وَفَاضَ[7] ٱلْكَذِبُ، وَٱسْتُعْمِلَتِ ٱلمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ[8] ٱلنَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ ٱلْفُسُوقُ نَسَباً، وَٱلْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ الإِسْلاَمُ لُبْسَ ٱلْفَرْوِ مَقْلُوباً.

(فاذا كان ذلك) مشيرا الى اختلاف هذه الاثار عن الطائفة الاولى بالنسبة الى الاجيال المقبلة في نقاط:

١ – (كان الولد غيظا) وهو الغضب الشديد، كناية عن كونه عقوبة للاسرة والعائلة، حيث تربى تربية غير اسلامية، ولا يعرف للاباء والامهات حقوقها الاخلاقية، بل لا يهمه في الحياة إلّا الامور المادية التي ينتفع بها شخصياً.

٢ – (والمطر قيظا) وهو شدة الحر، فلا يستفاد من المطر في هذه الحالة .

٣ – (وتفيض اللئام فيضا) اللّئيم: دنيئ الاصل، ففي ظل السلطة الظالمة تفيض اللئام فيضا، حيث يستخدمون في سبيل اغراض السلطة ومتعهم المادية فيضا كثيرا كما يفيض الماء.

٤ – (وتغيض الكرام غيضا) والغيض: غور الماء، فيكون موقف الكرام على النقيض

---

(١) في هـ ص: لتغيّر الاخلاق فيكثر العقوق.

(٢) في هـ ص: لانتزاع البركة، وفيكون نزول المطر كعدمه في عدم النفع، وفي هـأ: حمّارة الصيف.

(٣) من غاض الماء: إذا غار في الأرض.

(٤) في ب: وعاد، وفي هـ ب، وفي نسخة: وكان.

(٥) في هـ ص: قال في الصحاح: والاكال: سادة الاحياء الذين يأخذون المرباع ونحوه، وفي هـ ب: جمع الآكل.

(٦) في ب: وغاض، وفي هـ. ب، وفي نسخة: وغار.

(٧) في هـ ب: أي سأل، أي سفل.

(٨) في هـ ب، وفي نسخة: وتناجز، هـ. د: وتشاحن ـ ك ر .

من موضع اللئام.

٥ – (وكان اهل ذلك الزمان ذئابا) فيتحوّل المجتمع الاسلامي الذي بعث النبي محمّد ﷺ لهدايته الى مجتمع الوحوش بحكم سيطرة شريعة الغاب بدل شريعة رب الارباب، فيصبح الناس ذئابا ضارية يأكل القوي منها الضعيف من دون رحمة .

٦ – (وسلاطينه سباعا) لان الناس على دين ملوكهم، ولا يخضع الذئب إلّا الى السبع الضاري.

٧ – (وأوساطه أكالاً) الأكال: الطعام، والوسط العام من المجتمع يصبح طعاما اما للذئاب أو للسباع.

٨ – (وفقراؤه امواتا) فان شريعة الغاب تفرض ان يعيش الفقير في فقره حتى الموت.

٩ – (وغار الصدق) كما يغور الماء في الرمال، فلا يبقى له اثر .

١٠ – (وفاض الكذب) في المجتمع كسيلان الماء من دون استثناء في المواعيد والاقوال.

١١ – (واستعملت المودة باللسان) فليست هي إلّا مجاملات ظاهرة من دون اية مصداقية لها.

١٢ –(وتشاجر الناس بالقلوب) حيث تحمل القلوب الضغائن للوقيعة بالاخرين عند التمكن من ذلك.

١٣ – (وصار الفسوق نسبا) فينتسب الفساق الى الفسق، كأنه الاصل لهم في النسب، حيث يضيع النسب الاصيل، فلايعرف الانسان إلّا بإنتمائه الى الجماعة التي ينتسب اليها.

١٤ – (والعفاف عجبا) وهي الامتناع عما لا يحل ولايحسن من القول والفعل، والسبب في التعجب من ذلك هو قلّتها في المجتمع.

وقد لخص الامام ذلك بقوله:

١٥ – (ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا) فان الهدف من لبس الفرو هو التدفئة، بان يكون الجلد ظاهرا، فلو لبس مقلوبا لم ينتفع منه حينئذ.

فان هذه النقاط الخمس عشر هي قلب للموازين الاسلامية التي بشّر بها نبي الاسلام في عصره، والأمرّ والأنكى ان يجتمع الدعاة على تسويق هذه البضاعات المنحرفة الى عقول المسلمين، أعاذنا الله منها، آمين.

[١٠٩]

ومن خطبة له عليه السلام:

(ط ـ ١٠٩ / ١) قدرة الله:

سرد في هذا المقطع من صفات الله سبحانه قسمين في جمل مستقلة بالعتاب، ثم انتقل من الغيبة الى الخطاب، وفي القسم الاول سرد صفات عشر بقوله:

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ[١]، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ[٢].

مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ.

١ - (كل شئ خاشع له) لانقياد كل ممكن الوجود له، وهو يستلزم الخشوع.

٢ - (وكل شئ قائم به) لانه المحيي والمميت، وهو على كل شئ قدير .

٣ - (غنى كل فقير) فان بالتوكل عليه يعتمد الفقير على نفسه، ويستغني عن الاخرين.

٤ - (وعزّ كل ذليل) فان من يعتبره الناس ذليلا، هو عزيز عند الله؛ لانه خلق من عباده.

٥ - (وقوّة كل ضعيف) حيث يستعين به الضعيف في ضعفه بالدعاء اليه والصلوات وغيرها .

٦ - (ومفزع كل ملهوف) الملهوف: الحزين المتحسر، فلا يطمئن إلّا بالتوجه الى الله تعالى .

٧ - (من تكلم سمع نطقه) حيث انه أسمع السامعين وهو السميع العلم بالذات .

٨ - (ومن سكت علم سره) الذي اضمره في قلبه؛ لانه الواقف على السرائر وما تخفي الصدور.

٩ - (ومن عاش فعليه رزقه) الذي يتقوى به في الحياة بالكفاف، فلا يعدمه.

١٠ - (ومن مات فإليه منقلبه) فإنا جميعا مملوكون لله، وإنا لله وإنا اليه راجعون.

وهذه الصفات العشر لا تكون حقيقة إلّا في الذات المقدسة .

(ط ـ ١٠٩ / ٢) القسم الثاني:

---

(١) في هـ. د: خاضع له ـ ض .

(٢) في هـ ب: من اللهفة، وهو التحسر.

وفي القسم الثاني سرد من صفات الذات المقدسة على سبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب. قال الشارح ابن أبي الحديد:«واعلم أن باب الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة باب كبير من أبواب علم البيان ، وأكثر ما يقع ذلك إذا اشتدت عناية المتكلم بذلك المعنى المنتقل إليه ، كقوله سبحانه :﴿الحمد لله رب العالمين ○ الرحمن الرحيم ○ مالك يوم الدين ﴾ فأخبر عن غائب ، ثم انتقل إلى خطاب الحاضر فقال: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾».[1] فقال عليه السلام :

(٣/ط - ١٠٩) من صفات الله:

لَمْ تَرَكَ ٱلْعُيونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ ٱلْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ.

لَمْ تَخْلُقِ ٱلْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ[2]، وَلَا ٱسْتَعْمَلْتَهُمْ[3] لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ[4] مَنْ طَلَبْتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ[5] مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ.

كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلاَنِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ.

أَنْتَ ٱلْأَبَدُ لاَ أَمَدَ لَكَ[6]، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى لاَ مَحِيصَ[7] عَنْكَ، وَأَنْتَ المَوْعِدُ فَلاَ مُنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ.

بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ.

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ[8] مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَةٍ[9] فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ؛ وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيما غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي ٱلدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَها فِي نِعَمِ[10] ٱلْآخِرَةِ.

١ - (لم ترك العيون فتخبر عنك) لانّ الرؤية بالبصر من خواص المادة الجسمية، والذات المقدسة بريئة عنها.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٧: ١٩٦.
(٢) في هـ ب: الوحشة: الخوف.
(٣) في هـ ب: أي امرتهم بالطاعة.
(٤) في ب ود: لا يسبقك.
(٥) أي لا ينفلت منك.
(٦) في أو د: الآبد فلا أمدلك، وفي ب: الآمد فلا أمدلك: أي الغاية. وفي ط: الابد فلا أمد لك.
(٧) في أوب ود وط: فلا محيص، وفي هـ ب: أي لا معدل.
(٨) في هـ. د: سبحانك ما اعظم شأنك، سبحانك ما أعظم ما نرىٰ ـ ح.
(٩) كذا في ص، وفي أوب ود: عظيمة. وفي هـ. د: عظيمة ـ ح .
(١٠) في أوب وط: نعيم.

٢ – (بل كنت قبل الواصفين من خلقك) متصفا بالأزلية ؛ لانّ الازلية تستلزم التجرد من المادة، والمجردات ليست بجسم حتى يمكن رؤيتها.

٢ – (لم تخلق الخلق لوحشة) والخوف من الوحدة كما تصوره أصحاب الاصنام، بل الخلق فيض من الله سبحانه كفضيان الشعاع من الشمس، فان الله سبحانه نور السموات والارض.

٤ – (ولا استعملتهم لمنفعة) فان الفائض لاينتفع من المفيض عليه، كما لا ينتفع الشمس من النور.

٥ – (ولا يسبقك من طلبت) فان القدرة الالهية سبقت كل شئ.

٦ – (ولا يفلتك من اخذت) بالهرب منك، كما يحصل في الدنيا، فان المأخوذ بعقاب الله لا يتمكن من الافلات مهما بلغ من القدرة.

٧ – (ولا ينقص سلطانك من عصاك) فان العاصي يضر بنفسه روحيا وجسديا واجتماعياً.

٨ – (ولا يزيد في ملكك من اطاعك) فالطاعة لا تعود بالنفع إلّا على المطيع في الدنيا والاخرة.

٩ – (ولا يرد امرك من سخط قضاءك) لان قضاء الله سبحانه نافذ، لا رادّ له.

١٠ – (ولا يستغني عنك من تولّى عن امرك) فان التولي عن امر الله سبحانه يكون بالاعراض أو العصيان، وهذا انما يكون بالاختيار الذي وهبه الله للانسان في الحياة، ولولا ذلك لما تمكن الانسان من العصيان، والى هذا أشار الامام الصادق عليه السلام، حيث قال: «لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين».

١١ – (كل سر عندك علانية) لان الله سبحانه تعالى عالم السر وأخفى.

١٢ – (وكل غيب عندك شهادة) لان علمه تعالى هو عين ذاته، وهو اقرب إلى الانسان من حبل الوريد.

١٣ – (انت الابد فلا أمد لك) فان الله تعالى ازليّ، لا بداية له ولا نهاية.

١٤ – (وانت المنتهى فلا محيص عنك) فان كل شئ هالك إلّا وجهه سبحانه، فهو ما ينتهي اليه كل شئ. والمحيص: المكان الآمن الذي يهرب اليه الانسان في الحياة.

١٥ – (وانت الموعد فلا منجى منك إلّا اليك) والموعد: اما اسم زمان أو مكان للوعد، بمعنى العهد، أو المصدر الميمي، والمعنى ان الله سبحانه ضرب الوعد الحق بالقيامة زمانا ومكانا، وحيث انه سبحانه وعده حق فانه لايخلف وعده، فلا منجى منه إلّا اليه بالعفو.

١٦ – (بيدك ناصية كل دابة) على الارض من انسان أو حيوان .

١٧ – (واليك مصير كل نسمة) من ذوي الارواح من الانسان والحيوان والنبات.

١٨ – (سبحانك ما اعظم شأنك) في خلق السموات والارض وجميع العوالم العلوية والسفلية.

١٩ – (سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك) في الافاق والانفس؟

٢٠ – (وما اصغر كل عظيمة في جنب قدرتك) العامة على جميع المخلوقات؟

٢١ – (وما اهول ما نرى من ملكوتك) التامة لجميع المخلوقات؟

٢٢ – (وما احقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك) والسماوات العليا حيث لا يمكن مشاهدة عوالمها.

٢٣ – (وما اسبغ نعمك في الدنيا) حيث ينتفع بها جميع المخلوقات، حيث وسعت رحمتك كل شئ، واقلها نعمة الهواء والماء الذي به الحياة لكل شئ؟

٢٤ – (وما اصغرها في نعم الاخرة) للفرق الواضح بين نعم الدنيا الزائلة بفناء الدنيا وبين نعم الاخرة الدائمة بخلود الجنان .

فان هذه الصفات الازلية للذات المقدسة واثار عظمة ملكوته في الآفاق والانفس توجب التحميد من الانسان الذي يتوجه الى اثارها في الحياة في الدنيا والاخرة.

وقال الشارح ابن أبي الحديد:«ثم قال: " أنت الأبد فلا أمد لك " ، هذا كلام علوي شريف ، لا يفهمه إلّا الراسخون في العلم ، وفيه سمة من قول النبي صلى الله عليه وآله : " لا تسبوا الدهر ، فإن الدهر هو الله " ، وفي مناجاة الحكماء لمحة منه أيضا ، وهو قولهم : " أنت الأزل السرمد ، وأنت الأبد الذي لا ينفد " ، بل قولهم : " أنت الأبد الذي لا ينفد " ، هو قوله : أنت الأبد فلا أمد لك " ، بعينه ، ونحن نشرحه هاهنا على موضوع هذا الكتاب ، فإنه كتاب أدب لا كتاب نظر ، فنقول : إن له في العربية محملين : أحدهما أن المراد به : أنت ذو الأبد ، كما قالوا : رجل خال ، أي ذو خال ، والخال الخيلاء ، ورجل داء ، أي به داء ورجل مال ، أي ذو مال . والمحمل الثاني ، أنه لما كان الأزل والأبد لا ينفكان عن وجوده سبحانه جعله عليه السلام ، كأنه أحدهما بعينه ، كقولهم : أنت الطلاق ، لما أراد المبالغة في البينونة جعلها كأنها الطلاق نفسه، ومثله قول الشاعر: فإن المندي رحله فركوب[١]».[٢]

---

(١) للخنساء ، ديوانها: ٧٨، وصدره : «ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت».

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٧: ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٤ / ط ـ ١٠٩) **أوصاف الملائكة في السماء:**

واشار في هذا المقطع الى اوصاف الملائكة، وهم صنف من الارواح السماوية اشتق اسمهم من الملك، بمعنى الاقتدار، لما ينفذون من اوامره تعالى بالقدرة التي وهبها الله سبحانه لهم، وسرد من اوصافهم وخصائص خلقتهم وحدود معرفتهم ما يلي:

منها:

مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ[١] خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ، لَمْ يَسْكُنُوا ٱلْأَصْلاَبَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا ٱلْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ[٢]، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ[٣] رَيْبُ الْمَنُونِ[٤].

(٥ / ط ـ ١٠٩) **من صفات الملائكة:**

١ – (من ملائكة اسكنتهم سماواتك) فلهم مساكن عالية فوق ما يصل اليه عقول البشر.

٢ – (ورفعتهم عن ارضك) فان مقامهم الرفيع يقتضي ارفع مسكن في السماوات .

٣ – (هم اعلم خلقك بك) من البشر؛ حيث سبق خلق الملائكة خلق البشر، وانّ لهم القدرة التي ليست للبشر، ولهم العلم بمخلوقات السماوات الخافية على غيرهم، فان ذلك وما يستلزمه من صفات، يجعلهم اعلم الخلق بالله سبحانه عن طريق العلم بمخلوقاته سبحانه وآثار خلقه تعالى.

٤ – (وأخوفهم لك) لكونهم اعلم بسلطان الله سبحانه من غيرهم.

٥ – (وأقربهم منك) لكونهم أطوع في الطاعة والعبادة من سائر المخلوقات .

(٦ / ط ـ ١٠٩) **خلق الملائكة:**

ويمتاز خلق الملائكة عن مخلوقات الله على الارض من الانسان والحيوان والنبات بخصيصة الخلق النوراني الذي يفترق عن غيره من جهات اربع، هي:

اولا : (لم يسكنوا الاصلاب) في حين أن الانسان والحيوان يخلق في صلب الرجال جيلا بعد جيل ويتكاثر، والنبات لاينمو إلّا بعد فلق الحبة المستخرجة من حبة سبقتها في تسلسل وتلقيح.

---

(١) في هـ ب: من العلم.

(٢) يريد عليه السلام: النطفة.

(٣) في أوب: يشعبهم. وفي هـ ب، وفي نسخة: لم يشتعبهم.

(٤) المنون: الدهر. والريب: تصريف الزمان، أي لم يفرقهم صروف الزمان.

ثانيا: (ولم يضمنوا الارحام) التي ولدتهن الامهات بين مشيمة ورحم، يستحقر موضعها عادة.

ثالثا: (ولم يخلقوا من ماء مهين) هو المني الذي يقذفه الرجل في رحم المرأة، فانَّ أي انسان يستحقر وجود هذا الماء على ثوبه، فيزيله ويطهره باعتباره مهينا، وهذا ليس في خلق الملائكة التي خلقت من النور.

رابعا: (ولم يتشعبهم ريب المنون) فان الملائكة التي خلقت من النور لا تتغير بريب المنون، وهي: حوادث الدهر التي تطرأ على الحياة من الاسقام والامراض، من انواع البلاء التي لاتنتهي إلّا بالمنيّة، وهي الموت.

وامتازت الملائكة بهذه الخصائص؛ لانها خلقت من النور، دون الانسان الذي خلق من طين ومن ماء مهين.

(٧ / ط - ١٠٩) حدود المعرفة:

وبالرغم من خصائص الملائكة في الخلق من النور، والميزة الرفيعة التي تتمتع بها في الاوصاف الذاتية والخلق، فان حدود معرفتها ناقصة، لا يمكنها الوصول الى حقيقة الذات المقدسة. واشار الى حدود ذلك في نقاط :

وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَٱسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ[١] مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ؛ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا[٢] عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

١ - (وانهم على مكانهم منك) في القرب المعنوي والعبادات .

٢ - (ومنزلتهم عندك) حيث انيطت بهم الاوامر العليا في تنفيذ الارادة الالهية .

٣ - (واستجماع اهوائهم فيك) والهوى - هنا -: الحب وميل النفس في الحق دون الباطل، واستجماع ذلك يدل على بذل غاية الجهد لغرض معرفة الحقيقة للذات المقدسة .

٤ - (وكثرة طاعتهم لك) باطاعة الاوامر الالهية في الخلق من دون تخلّف .

٥ - (وقلة غفلتهم عن امرك) ولعل القلة اشارة الى الطائفة من الملائكة الذين ليس لهم واجب سوى الصلاة والعبادة، وقد تقدمت الاشارة اليهم في الخطبة رقم (١) ، فهؤلاء غافلون عن تنفيذ الاوامر الالهية الاخرى التي تنفّذها طوائف اخرى من الملائكة، وليس

---

(١) في هـ ب: كنه الشيء: غايته وحقيقته.

(٢) في ب: ولا زروا، وفي الف: ولزروا، وفي هـ ب، وفي نسخة: ولزروا، أي لعابوا.

منهم من غفل عن اوامره تعالى الموجهة اليهم سوى ابليس اللعين، وللتفصيل راجع المادة في المعجم.

وهذه النقاط الخمس على عظمتها لاتسهّل للملائكة معرفة الحقائق الالهية كاملا.

(٨/ط - ١٠٩) حقائق ثلاث:

وهناك حقائق ثلاث تعتبر نتيجة حدود معرفة الملائكة، وأشار الامام اليها بقوله: (لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك) لوقفوا على حقائق ثلاث، هي:

١ - (لحقروا اعمالهم) لوضوح ان ما لا يعلمونه اكثر بكثير مما علموه.

٢ - (ولرزوا على انفسهم) والرزي: العيب، حيث حاولوا معرفة ما ثبت جهلهم به.

٣ - (ولعرفوا) حقيقتين، هما:

اولا: (إنّهم لم يعبدوك حق عبادتك) فانّ من حق العبادة الصحيحة المطلقة من دون محاولة لمعرفة كنه ما خفي عليهم.

ثانيا: (ولم يطيعوك حق طاعتك) لان حق الطاعة الحمد بكل ما خلق الله، سواء علموه ام لم يعلموه، وقد انكشف بمحاولتهم تلك ان هناك الكثير مما خفي عليهم من عظمة الله سبحانه في خلقه.

(٩/ط - ١٠٩) الانسان على الارض:

وعقبعليه السلام ما ذكر من اوصاف الملائكة في هذا المقطع باوصاف الانسان على الارض، على النقيض من أوصاف الملائكة في السماء، بالاشارة الى أوصاف الدنيا ورسالة الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وحب الدنيا وآثارها وحالة المحتضر وافكاره وآماله عند الموت بوصف حقيقي كانه يشاهد محتضراً بعينه، ثم ختم المقطع بذكر الموت وهو الحقيقة التي لا ينكرها انسان في الحياة.

(١٠/ط - ١٠٩) من اوصاف الدنيا:

فسبحعليه السلام الله سبحانه لاسباب ثلاثة، أشار اليها بقوله:

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً! بِحُسْنِ بَلَائِكَ[١] عِنْدَ خلْقِكَ، خَلَقْتَ دَاراً، وَجَعَلْتَ فِيهَا مأدَبةً[٢]، مَشْرَباً وَمَطْعَماً، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً، وقُصُوراً وَأَنْهَاراً، وَزُرُوعاً وَثِمَاراً.

١ - (سبحانك خالقا) فان الخلق نعمة الايجاد الموجب للحمد، حيث خلق السماوات

(١) في هـ ب: أي نعمك.

(٢) في هـ ب: المأدبة: الطعام.

والارض والملائكة والبشر فيها.

٢ - (ومعبودا) يستحق العبادة وحده دون سواه.

٣ - (بحسن بلائك عند خلقك) والبلاء: الامتحان، فقد كان خلق الملائكة امتحانا، ولم يعص منهم سوى ابليس.

وخلق البشر امتحانا لهم في استخدام الاختيار الذي وهبهم الله في الطريق القويم، فان كل نقطة من هذه الاسباب موجب لتسبيح الله سبحانه وتقديسه وتمجيده .

واشار الى اوصاف الخلق في الدنيا وما عليها بقوله:

١ - (خلقت دارا) هي الدنيا الفانية التي هي محل يضم البناء للنزول، فيدور فيه السكان متعاقبين.

٢ - (وجعلت فيها مأدبة) وهي النعم التي جعلها الله فيها من الرزق والثمرات لينتفع بها الانسان كما ينتفع المدعو لمأدبة الطعام.

٣ - (مشرباً ومطعماً) فهم يستخدمون نعم الله على الارض مشربا ومطعما لهم ولأنعامهم .

٤ - (وازواجا) من السكان في هذه الدار الفانية من الذكر والانثى.

٥ - (وخدما) يخدم بعضهم الاخر، فالصغار يخدمون الكبار من الوالدين ماداموا صغارا، والقادر يخدم غيره من الكبار الذين يسكنون هذه الدار.

واما الدار فهي تتكون من عدة امور، اهمّها:

٦ - (وقصورا) والقصر هو البيت الفخم العالي، وكم فيها من القصورالبادية؟

٧ - (وانهارا) طبيعية تسقي الارض بروافدها الطبيعية.

واما الاثار الطبيعية في هذه الدار الفانية، فاهمها:

٨ - (وزروعا) طبيعيّة وغير طبيعيّة مما يأكله الانسان لسد حاجاته الغذائية.

٩ - (وثمارا) والثمرات: ما تحمله الاشجار حتى تنضج وتصير صالحة للاكل.

فان هذه الآثار محسوسة لمن يعيش على الارض ويتأمّل فيما فيها من الخيرات للبشر بصورة عامة.

(١١/ط - ١٠٩) الرسالة الالهية:

والانسان على الارض منعم بنعمة ليست للملائكة مثيل لها، وهي نعمة رسالة الرسل والانبياء لهداية البشرية الى الصراط المستقيم، واشار ﷺ الى مهمة الرسل الوحيدة بقوله:

ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْها، فَلاَ الدَّاعِيَ أَجَابُوا وَلاَ فِيمَا رَغَّبْتَ إِلَيْهِ رَغِبُوا، وَلاَ إِلَى مَا

شَوَّقْتَ(١) إِلَيْهِ ٱشْتَاقُوا.

(ثم ارسلت داعيا يدعو اليها) اي الى الرسالة الالهية المفهومة من السياق، وهي الهداية في الحياة روحيا واقتصاديا وجسميا، وعقب ذلك بأهم واجبات البشر تجاه هذه الرسالة، وانهم قد اخطأوا فيها، وهي :

اولا: قبول الداعي (فلا الداعي اجابوا) مع ان واجب الانسان العاقل اجابة الدعوة الصالحة .

ثانيا: الرغبة في الاجابة (ولا فيما رغبت رغبوا) فان الرغبة في الاجابة تدل على حسن الطبيعة في الانسان وعدم الرغبة تدل على التنكر لصفة الانسانية، سواء عمل بمقتضى الرغبة ام لا.

ثالثا: الشوق الى الصلاح (ولا الى ما شوّقت اليه اشتاقوا) في مباديئ الصلاح الذي شوق الله عباده اليها، والشوق: الميل النفسي الى الشيئ. والسياق يقتضي ان الشوق اضعف ميلا بالنسبة الى الحب، وهذا المعني اللغوي لاينافي ما اصطلح عليه المتأخرون من العكس، فان البشر على الارض ابتداء من آدم، بصفة عامة لم يتقبل دعوة الانبياء ، ولم يبد رغبة في قبول رسالة السماء، إلّا في عصر نبينا محمّد ﷺ .

(١٢ / ط - ١٠٩) حب الدنيا:

ويتضمن هذا المقطع القاسم المشترك الاعظم بين رسالات السماء الداعية الى الحق والتوازن بين الروح والجسد، وبين طبيعة الانسان الراغبة في المادة والماديات، فوصف الامام عليه السلام حالة البشر بصورة عامة بقوله:

أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدِ ٱفْتَضَحُوا بِأَكْلِها، وَٱصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّها، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ(٢)، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ.

- (اقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها) وهي الدنيا، فهي جيفة باعتبار ما يؤدي حب المادة اليه من الفساد.

- (واصطلحوا على حبها) حيث راوا ان الدنيا المادي فقط هو الذي يؤمّن صلاحهم.

واشار الى السبب الرئيسي في حب الانسان للدنيا، مع ان الطبيعة الانسانية تقتضي ان يرجع الانسان الى اصله، وحيث انه انسان فانه يختلف عن سائر الحيوانات بالعقل، فلابد

---

(١) في هـ ب: من الاشتياق.
(٢) اعشىٰ بصره: أعماه.

ان يتعقل ويعمل على مقتضى انسانيته وان يرفض الدنيا التي تؤول الى الجيفة، ولخص السبب بانه العشق، وهو شدة الحب. والعشق له اثر واضح في الحياة وهو:

اولا: (ومن عشق شيئا اعشى بصره) والعشي درجة من العمي، حيث لا يتمكن من الرؤية الواضحة.

ثانيا:(وأمرض قلبه) فاذا اعتاد على الشئ صار كالطبيعة الثانوية للانسان، فالعادة طبيعة لايغيرها إلّا الكفن، ولمرض القلب نتيجتان واضحتان، هما:

١ – (فهو ينظر بعين غير صحيحة) لمكان الغشاوة في البصر، فليس له طريق الى رؤية الحقيقة.

٢ – (ويسمع بأُذن غير سميعة) ولايكون له طريق لسماع الكلام الحق.

ولو يتأمل الانسان حياة المنحرفين عن طريق الصواب من المدمنين على العادات القبيحة، لابد وان يجد فيهم احد هذين السببين، وحيث ان بدونهما لايمكن الرجوع الى الصواب، اهتم الرسل ووسائل التثقيف على هذين الجانبين في الصغر لتربية الاطفال على بعض العلوم والعادات بتكرارها يوميا أو أسبوعيا على منهاج التربية والتعليم حتى تصير ملكة راسخة لهم في واجباتهم.

ومن اجل ذلك يؤكد الاسلام على تكرار سورة الفاتحة في الصلاة اليومية خمس مرات مؤكدا على طلب الهداية الى الصراط المستقيم عشر مرات على الاقل في كل يوم، والله الهادي

(١٣ / ط - ١٠٩) آثار حب الدنيا:

وسرد الامام من اثار حب الدنيا:

قَدْ خَرَقَتْ ٱلشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتْ ٱلدُّنْيا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْها نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَها وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ[(١)] شَيْءٌ مِنْها، حِيْثُما زَالَتْ زَالَ إِلَيْها، وَحَيْثُما أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ إِلَيْها[(٢)]، لَا يَنْزَجِرُ مِنَ ٱللهِ بِزَاجِرٍ[(٣)] وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ.

١ – (قد خرقت الشهوات عقله) فهو عبد للشهوات دون عقله.

٢ – (واماتت الدنيا قلبه) فان القلب الذي جسده لايعي الحقائق كالانسان الميت القلب.

(١) في هـ. د: يده ـ ض.
(٢) أوب ود وط: عليها، وفي هـ. د: إليها ـ م.
(٣) في هـ. د: بزواجر ـ م.

٣ - (وولهت عليها نفسه فهو عبد لها) والوله: التعلق بشدة الحب حتى يجعل نفسه معبودا له .

٤ - (ولمن في يديه شئ منها) فان نتيجة حب المادة ان يحب كل شئ مادي يرتبط به.

٥ - (حيثما زالت زال اليها) فيدور مع المادة حيثما انتقلت، من دون ملاحظة لكرامة انسانية.

٦ - (وحيثما اقبلت اقبل عليها) من دون ان يشعر بانه اصبح عبدا لشئ غير الله.

٧ - (لاينزجر من الله بزاجر) لانه عبد المادة عوضا عن طاعة الله .

٨ - (ولا يتعظ منه بواعظ) لان الحق والمادة طريقان لايلتقيان، فلا يؤثر فيه الزجر عن عبادة المادة، ولا الوعظ بالرجوع الى الحق.

وهذه الاثار الثمانية تشاهد في كل من أحب الدنيا. نعوذ بالله من ذلك .

(١٤ / ط - ١٠٩) مشاهدة العبر:

ويسير محب الدنيا كذلك مستمرا في مشكلته، والحال انه يشاهد من العبر في التاريخ الماضي والحاضر ما يوجب الارتداع عن حب الدنيا واهمها الموت الذي لا ينجو منه الانسان، وقد وصفعليه السلام ذلك بقوله:

وَهُوَ يَرَى ٱلْمَأْخُوذِينَ عَلَى ٱلْغِرَّةِ[١]، حَيْثُ لَا إِقَالَةَ لَهُمْ وَلَا رَجْعَةَ[٢]، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ.

فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ.

١ - (وهو يرى المأخوذين على الغرة) وهي البغتة من الاموات من دون سابق انذار .

٢ - (حيث لا اقالة) وهي فسخ عقد المعاملة، فانّ ملك الموت ينفّذ اوامر الله من دون بحث ونقاش.

٣ - (ولا رجعة) بالتراجع عن الاسباب الموجبة للموت.

٤ - (كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون) فان ملاحظة هذه الحقيقة في نفسها كافية للانسان العاقل ان يعتبر منها، فان مانزل بهم يمكن ان ينزل به ايضا.

٥ - (وجاء هم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون) فان من قبلنا كانوا في أمن من فراق

---

(١) في هـ ب: أي الغفلة.

(٢) في هـ. د: لا اقالة لهم ولا رجعة ـ ض و ح.

الدنيا بما كانوا مغترين به من الوسائل المادية، ولكن ذلك لم ينفعهم، بل فارقوا الدنيا كغيرهم.

٦ - (وقدموا من الاخرة على ما كانوا يوعدون) فهم بعد موتهم واجهوا الحقائق في الاخرة وشاهدوا بالقدوم على ما وعدهم الله سبحانه في الدنيا.

٧ - (فغير موصوف مانزل بهم) اي ما نزل بهم في الاخرة بعد الموت، فانه غير موصوف لهول الموقف، فلا حاجة الى وصف ما نزل بهم بعد الموت حيث ان الهدف الاعتبار بالحقائق التي كانت ثابتة في هذه الدنيا.

فان كل واحد من النقاط السبعة لامجال فيها لمن تدبّر وتبصّر.

(١٥ / ١٠٩ - ط) عند سكرة الموت:

واشار عليه السلام الى المحتضر عند سكرة الموت بأوصاف كأنها عينيّة وهو يشاهد محتضراً خاصا يطرأ عليه هذه الحالات والافكار، وقد فاته التهيؤ لها قبل سكرة الموت، فقال عليه السلام:

ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ وَحَسْرَةُ ٱلْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ[١] لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ٱزْدَادَ المَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً[٢]. فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ؛ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ، يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ[٣] مِنْ لُبِّهِ.

١ - (اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت) وهما حالتان عند الاحتضار للموت، فيكون المحتظر كالسكران، لا يعي كل شئ ويتحسر على ما فاته من العمل الصالح، وهذه الحالة عادة تلازم الجزع.

٢ - (ففترت لها أطرافهم) ونتيجة لهذه السكرة تفتر الاطراف، وهي اعضاء البدن.

٣ - (وتغيرت لها ألونهم) للعلم بقرب ساعة الموت الحاسمة.

٤ - (ثم ازداد الموت فيهم ولوجا) وهو الدخول، فان التدرج نحو ساعة الصفر مقدرة خطوة فخطوة.

٥ - (فحيل بين احدهم وبين منطقه) فاولى الدرجات: ان المحتضر لا يتمكن من النطق.

٦ - (وانه لبين اهله) والحال انه يعيش بعد بين اهله واقاربه الحاضرين.

٧ - (ينظر ببصره) فان المحتضر ينظر الى وجوه الحاضرين وان لم يتمكن من الكلام.

---

(١) في هامش ب: أي سكنت.

(٢) في هـ ب: أي دخولاً في اعضائها، ففترتها بذهاب الحياة والمقدرة للشهوة.

(٣) في هـ ب، وفي نسخة: ونقاء.

٨ – (ويسمع باذنه) حيث يفهم مايتحاورون فيما بينهم باللغة التي كان يتكلم بها.

٩ – (على صحة من عقله) لانه بعد في المرحلة الاولى من مراحل الموت، وهو عدم التمكن من النطق فقط.

١٠ – (وبقاء من لبه) وهو اللطف، اشارة الى الروح التي هي جوهر لطيف في الجسد ورقاء ذات تمنع، لا يعلم حقيقتها إلّا الله.

(١٦ / ط - ١٠٩) في افكار المحتضر:

يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمَرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا[١]، أَغْمَضَ[٢] فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا[٣] وَمُشْتَبَهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ[٤] جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يُنَعَّمُونَ[٥] فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ المَهْنَأُ[٦] لِغَيْرِهِ، وَٱلْعِبْءُ[٧] عَلَى ظَهْرِهِ، وَالمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ[٨] رُهُونُهُ بِهَا.

١ – (يفكر فيم افنى عمره) وفي هذه اللحظة الحاسمة التي لا يتمكن فيها من ابداء مايدور في خلده باللسان يفكر في عمل ما.

٢ – (وفيم اذهب دهره) الذي عاش فيه، منذ ان عرف يمينه من شماله، حتى في هذه اللحظة وهي سكرة الموت.

٣ – (ويتذكر اموال جمعها) من الدور والاعيان والاموال، وما اهتم بها في حياته.

٤ – (اغمض في مطالبها) اغمض عينه عن موارد طلبها، فان هدفه كان الحصول عليها من اية طريقة ممكنة من الحلال والحرام، أو قانونية بالحق أو الباطل، متساهلا في ذلك كله، في سبيل الحصول عليها.

٥ – (واخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها) والمصرح: الواضح الصريح فيها، والمشتبه: ذوات الشبهة الشرعية والقانونية.

---

(١) في هـ. د: اموالاً اغمض ـ ع.
(٢) في ب: أغمص.، وفي هـ ب: أي اشتغل، وفي هـ ب أيضاً: يذكر مالاً أغمص في طلبه وتشاغل بالاكتساب.
(٣) في هـ ب، في نسخة: من حرامها.
(٤) التبعات: ما يطالب به من الحقوق وما يحاسب عليه، وفي هـ ب: ذنوب.
(٥) في هـ ب: أي يتنعمون.
(٦) في هـ ب: المهنا: الهنيء من الطعام.
(٧) في هـ ب: أي الثقل.
(٨) في هـ ب: انغلقت وهلكت نفسه بها، أي جمع اموالاً من ....

٦ – (قد لزمتة تبعات جمعها) وهي الاثام على تلك الاعمال غير المسؤولة قبل سكرة الموت .

٧ – (واشرف على فراقها) فهو يتذكر الجهود التي بذلها لجمعها، وهو الآن مشرف على فراقها جميعا.

٨ – (تبقى لمن وراءه) من الاولاد والوراث، وهو يجدهم (ينعمون فيها ويتمتعون بها) دون غيرهم .

٩ – (فيكون المهنا لغيره والعبُ على ظهره) والمهنا: اي الهناء والفرح، والعبُ: الحمل ؛ لتحمله الاثم في تحصيلها من غير وجوهها الشرعية.

١٠ – (والمرء قد غلقت رهونه بها) وغلق الرهن: استحقاق المرتهن حيث ان تلك الاموال اصبحت لغيره وهو المرتهن لاثامها.

(١٧/ط - ١٠٩) حالة المحتضر:

وهي حالة ندامة وعجز اشار اليها عليه السلام بقوله:

فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ[1] لَهُ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيما كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ ٱلَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ.

اما الندامة:

١ – (فهو يعضّ يده ندامة على ما اصحر له عند الموت من أمره) الاصحار: الخروج الى الصحراء، وهو كناية عن انّ المحتضر تنكشف له الحقائق كاملة واضحة.

٢ – (ويزهد فيما كان يرغب اليه فى ايام عمره) فهي لحظة ندامة على ما مضى من دون فائدة.

اما التمنى:

٣ – (فيتمنى ان الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه) وما كل ما يتمنّى المرء يدركه. والغبطة محمودة والحسد مذموم. والتمنّي يشمل الحالتين.

أما العجز:

فَلَمْ يَزَلِ المَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ سَمْعَهُ[2]، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ،

---

(١) في هـ ب: أي أظهر.

(٢) في هـ ص، وفي نسخة: حتىٰ خالط سمعه كما خالط لسانه. وفي ط ود: حتىٰ خالط لسانه سمعه.

وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ؛ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ[1] رَجْعَ كَلَامِهِمْ.

ثُمَّ ٱزْدَادَ[2] المَوْتُ ٱلْتِيَاطاً بِهِ[3]، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ ٱلرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ.

٤ – (فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط سمعه) فان الموت يتدرج ويتقدم فى المراحل حتى يصل الى مرحلة العجز عن السمع، فبعد ان كان لاينطق فهو الان لايسمع أيضا.

ونتيجة ذلك كله:

٥ – (فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ولايسمع بسمعه) لتقدم الموت وتغلغله في المرحلتين معا. ولكنه لازال:

٦ – (يردد طرفه بالنظر في وجوههم) والطرف: العين الباصرة. فهو لايزال:

٧ – (يرى حركات السنتهم، و) لكن (لايسمع رجع كلامهم) ورجع الكلام: ما يراجعونه ويتداولونه بينهم من الكلام.

وتتقدم مراحل الموت، فتاتي المرحلة الثالثة. واشار اليها بقوله:

٨ – (ثم ازداد الموت إلتياطا به، فقبض بصره كما قبض سمعه) والإلتياط: الإلتصاق حيث قرب الموت بالتدريج في مرحلة ما قبل الاخيرة.

واما المرحلة الرابعة، فقال عنها:

٩ – (وخرجت الروح من جسده) وهي المرحلة التى ترافق المرحلة الاخيرة وهي:

١٠ – الموت.

فان هذه المراحل الاربع من خلط اللسان ثم السمع ثم خروج الروح يتحقق الموت الذي لا يرحم احداً.

ما بعد الموت: (١٨ / ط ـ ١٠٩)

وختم عليه السلام المقطع بالاثار المحسوسة بعد خروج الروح فهى:

فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِياً، وَلَا

---

(١) في هامش ب: ولا يستطيع رجع كلامهم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: ولا يسمع.
(٢) في هـ ب، وفي نسخة ثم زاد الموت، وفي وفي هـ. د: ثم زاد الموت ـ ر.
(٣) في هـ ب: أي التزاقاً.

يُجِيبُ دَاعِياً، ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ[١] فِي ٱلْأَرْضِ[٢]، وَأَسْلَمُوهُ[٣] فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ[٤]، وَٱنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ[٥].

١ – (فصار جيفة بين اهله) الجيفة: الجثة المنتنة بسبب زهوق الروح من الجسد.

٢ – (قد اوحشوا من جانبه) فهم باعتبار كونهم اهلا له فهم يحومون حول الجسد. وفي نفس الوقت يستوحشون من الميت.

٢ – (وتباعدوا من قربه) بالتدريج لعلمهم بانه لافائدة من الحضور عند الجسد الى الابد.

٤ – (لا يسعد باكيا) ليس فى استطاعة الميت ان يخفف البكاء عن اقاربه كما كان يفعل في الحياة.

٥ – (ولا يجيب داعيا) من احبابه الصارخين بالعزاء والمدح والثناء.

وبالنتيجة: فليس لهم سوى المرحلة الاخيرة من الواجب الاسلامي وهو:

٦ – (ثم حملوه الى مخط في الارض) وهو القبر الذي خطوه لتلحيده فيها.

٧ – (فاسلموه فيه الى عمله) فتركوا الجسد وعمله حيث لايسع لهم شئ غير هذا.

٨ – (وانقطعوا عن زورته) وهي الزيارة. فان الزيارات المذكورة لقبور الاولياء والأحباب لابدّ وان تقلّ بمرور الزمان لكثرة مشاغل الانسان، حتى يصبح الميت في خبر كان ما كان. والله المستعان.

(١٩ / ط - ١٠٩) يوم القيامة:

يتضمن المقطع اوصاف يوم القيامة وحشر الخلق للحساب وكيفية ذلك وجعلهم في فريقين: اهل الطاعة واهل المعصية، وجزاء كل فريق ؛ فقال عليه السلام:

حَتَّى إِذَا بَلَغَ ٱلْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَٱلْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وَأُلْحِقَ آخِرُ ٱلْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ[٦] السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا[٧]، وَأَرَجَّ[٨] ٱلْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا، وَقَلَعَ

---

(١) في ط ود: محط.
(٢) في أوط: في الأرض، وفي هـ ب: أي قبره.
(٣) في ط: فأسلموه.
(٤) في هـ، ب في نسخة: وعمله.
(٥) في هـ ب: أي عن زيارته.
(٦) في هـ ب: أي حرّكها، وفي هـ ب في نسخة: أمار، وفي هـ. د: أمار ـ.
(٧) في هـ ب: أي شقها.
(٨) في هـ ب: أي زلزل.

جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَّ[١] بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلاَقِهِمْ[٢]، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرِيقِهِمْ[٣]، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ[٤] مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ[٥] عَنْ خَفَايَا[٦] ٱلْأَعْمَالِ، وَخَبَايا[٧] ٱلْأَفْعَالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلاَءِ، وَٱنْتَقَمَ[٨] مِنْ هٰؤُلاَءِ.

نهاية العالم:

١ - (حتى اذا بلغ الكتاب أجله) الكتاب الذي كتبه الله على الخلق اجمعين من الاجال والمقادير.

٢ - (والأمر مقاديره) فان الأمر الى ما قدره الله تعالى لعاقبة الخلق.

٣ - (وأُلحق اخر الخلق بأوله) بان كان مصير الخلق اولهم واخرهم واحدا، وفيه اشارة الى قوله تعالى: (انا لله وانا اليه راجعون) حيث يرجع امر الخلق الى خالقه تعالى.

٤ - (وجاء من امر الله ما يريده من تجديد خلقه) بالبعث والنشور من جديد كما خلقهم اول مرة.

وعن كيفية الخلق الجديد ذكر الامام الحقائق التالية المستقاة من القران الكريم في السور المكية، فقال:

١ - (اماد السماء وفطرها) والمد هو التحريك، والفطر: الشق، فهناك يكون انقلاب عظيم في السماوات تؤثر على المجموعة الشمسية فتضطرب، وبهذا الاضطراب تفقد المجموعة نظامها المؤثر في العالم بما فيه الارض.

٢ - (وارّج الارض وارجفها) فتحصل في الارض رجفة شديدة وزلزال غير عادي، ربما على اثر اصطدامها بكوكب آخر.

٣ - (وخلع جبالها ونسفها) فتكون الجبال على اثر هذه الرجفة منسوفة زائلة من اصولها على اثر الزلزل.

---

(١) في هـ ب: أي صك.
(٢) في هـ ب: من الخلق (خلق الثوب: إذا بلىٰ).
(٣) في ط: تفرّقهم.
(٤) في ب وط : يريده.
(٥) في أوب ود: مسائلتهم.
(٦) لم ترد «خفايا» في أ وب.
(٧) في هـ ب: خبايا جمع خبيئة، وهي الشيء المستور.
(٨) في هـ ب: أي اقتص.

٤ – (ودك بعضها بعضا) على اثر هذا الزلزال الطاريئ في الارض في المجموعة الشمسية.

٥ – (من هيبة جلالتة ومخوف سطوته) فان هذا الاضطراب هو الارادة الالهية المتجلية بالهيبة والجلالة والخوف والسطوة التي تخضع لها الطبيعة.

٦ – (واخرج من فيها فجددهم بعد إخلاقهم) فهم مبعوثون بخلق جديد كما خلقهم من العدم اول مرة، فلا فرق بين الخلق الاول من العدم وهذا النشر من الخلائق، اي العدم ايضا.

والمراد العدم المادي الذي يتصوره الانسان المادي وان كانت هناك أسباب الله أعلم بها، كالجينات الحية التي يتوارثها الابناء عن الاباء جيلا بعد جيل، فلعل الله يخلق الخلق الجديد مما يشبه ذلك مما هو ثابت في علمه تعالى.

٧ – (وجمعهم بعد تفرّقهم) فكان الخلق راجعا الى حياة جديدة بعد الموت.

والى الحكمة في هذا الخلق الجديد اشار بقوله:

٨ – (ثم ميزهم لما يريده من مسألتهم عن خفايا الاعمال وخبايا الافعال) فانّ يوم القيامة هو يوم الحساب على الاعمال التي كانت خافية في الدنيا إلّا لمن أتى بها، والافعال التي كانت خبيئة، والفرق بين الخفاء والخبئ: ان الخفاء ليس عن عمد، دون الخبئ، فلا يكون إلّا عن عمد وقصد.

والعمل كل ما كان بقصد وفكر دون الفعل، فقد يبصدر عن غير عمد وفكر.

٩ – (وجعلهم فريقين) لا ثالث لهما، لانه لا وسط بين الحق والباطل، والفريقان مثّلهما بقوله:

١٠ – (أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء) جزاء وفاقا، لما كانوا في الدنيا يوعدون في الدنيا من الحساب العادل والنعمة على الطاعة والنقمة على المعصية، كما تقتضيه العدالة.

والنقاط العشر في تسلسل الحوادث من الموت الى يوم القيامة تعبر عن تسلسل طبيعي من التقدير ويقتضية الخلق الجديد والنشور والحساب والجزاء العادل.

(٢٠ / ط ـ ١٠٩) اوصاف اهل الطاعة:

وسرد الجزاء العادل لاهل الطاعة في نقاط :

فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ وَلَا تَتَغَيَّرُ لهُمُ[1] ٱلْحَالُ، وَلَا تَنُوبُهُمُ[2] ٱلْأَفْزَاعُ[3]، وَلَا تَنَالُهُمُ ٱلْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرُضُ لَهُمُ ٱلْأَخْطَارُ[4]،

(١) في ط: بهم.

وَلَا تُشْخِصُهُمُ[٥] ٱلْأَسْفَارُ.

وَأَمَّا أَهْلُ المَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ ٱلْأَيْدِيَ إِلَى ٱلْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ ٱلْقَطِرَانِ[٦]، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ[٧] فِي عَذَابٍ قَدِ ٱشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ[٨] وَلَجَبٌ[٩]، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ[١٠]، وَقَصِيفٌ[١١] هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا[١٢]، لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

١ – (فاما اهل الطاعة فأثابهم بجواره) فان العمل الصالح يستحق الثواب، ان يكون في جوار رحمة الله تعالى .

٢ – (وخلدهم في داره) وان يخلد الى الابد في دار الله تعالى الباقية.

٣ – (حيث لا يظعن النزال) الظعن: الحبل الذي يشد الهودج ونحوه، والنزال: الكثير النزول في السفر، حيث يفتقرون الى تهيئة ذلك، وهي تلازم المشقة دائما، والمنازعة على المكان غالبا، وفي الجنة لا مجال لهذه الحالة حيث تسعهم رحمة الله تعالى الواسعة.

٤ – (ولا تتغير بهم الحال) لانهم في حالة من الرحمة الالهية المستمرة الى الابد.

٥ – (ولا تنالهم السقام) من الامراض التي لا علاج لها.

٦ – (ولا تعرض لهم الاخطار) والخطر: ما يشرف على الهلكة.

٧ – (ولاتشخصهم الاسفار) والاشخاص: اخراجهم من منزل الى آخر بسبب مادي كضيق المكان مثلا.

فان هذه الاوصاف انما تعرض في الحياة المادية، وأما أوصاف الاخرة فلا تشابه ما

---

(٢) في هـ ب: أي لا تعاورهم.
(٣) في هـ ب: جمع فزع، وفي هـ ب، وفي نسخة: الاقراع.
(٤) في هـ ب: جمع خطر.
(٥) في هـ ب: أي تيهتهم. وفي هـ آخر: اشخص: حيّر، واشخص: أخرج.
(٦) السرابيل والقطران: ثياب أهل النار، وذكرها الله تعالىٰ في سورة ابراهيم: ١٤/ ٥.
(٧) المقطّعات: الثوب المقطوع. كالجبة والقميص، وهو في قبال ما لا يقطع كالازار والرداء، والمقطّعات: اشمل للبدن وأشدّ استحكاماً في احتوائه.
(٨) في هـ ب: أي شدة.
(٩) في هـ ب: أي صوت، وفي هـ. د: وروي جلب ـ ك .
(١٠) في هـ ب ـ ظاهراً ـ: أي عال .
(١١) في هـ ب: أي صوت.
(١٢) في هـ ب: أي قيدها.

في حياتنا بشيءٍ؛ لانها مغمورة في الرحمة الالهية الخالدة.

(٢١ / ط - ١٠٩) اهل المعصية:

وسرد من اوصاف اهل المعصية على النقيض من اوصاف اهل الطاعة كما تقتضيه العدالة، فقال:

١ - (فانزلهم شرّ دار) لما يستحقوه من الشر والجزاء.

٢ - (وغل الايدي الى الاعناق) بجعلها في الاغلال، وهي القيود للمجرمين.

٣ - (وقرن النواصي بالاقدام) فتكون مقدم الرأس مقرونا بالقدم ذلة.

٤ - (والبسهم سرابيل القطران) السربال: القميص، والقطران هو شجر الصنوبر.

٥ - (ومقطّعات النيران) المقطّع: الثوب الذي يقطع مصنوعا من النار.

٦ - (في عذاب قد اشتد حره) وهم في حال الحر الشديد عذابا لعصيانهم.

٧ - (وباب قد اطبق على اهله) لا يسعهم الخروج من الحالة التي هم فيها، لانغلاق الباب عليهم.

٨ - (في نار لها كلب) وهو الشديد في الاحراق.

٩ - (ولجب) وهو الصوت الذي يشبه وقد النار .

١٠ - (ولهب ساطع) على أثر شدة النار الملتهبة، فيكون له نور ولهب يعلو ما جاوره.

١١ - (وقصيف هائل) والقصيف: الصوت الشديد .

١٢ - (لا يضعن مقميها) فلا يتمكن المقيم فيها من الظعن.

١٣ - (ولا يفادى اسيرها) بالسعي في فكاك نفسه بالفدية؛ لفكّه من الأسر.

١٤ - (لا مدة للدار فتفنى) لانها دار عذاب خالدة.

١٥ - (ولا اجل للقوم فيقضى) بسبب الخلود في العذاب، فلا يكون مجال لانقضاء الاجل، حيث انه مخلد. فيكون الجزاء لكل من أهل الطاعة والمعصية جزاء عادلا كما أوعد الله في الدنيا ثوابا وعقاباً.

(٢٢ / ط - ١٠٩) زهد النبي صلى الله عليه وآله:

كل شيءٍ في الحياة انما تغرّ الجاهل بحقيقته، ولا يمكن أن تغرّ العالم. وكلما ازداد الانسان علما عن الشيءِ ازداد يقظة ووعيا لاثاره الحسنة والقبيحة، وردود الفعل بالنسبة الى اي عمل كان ما كان . والاوصاف التي يذكرها الامام عليه السلام عن زهد النبي القائد في سيرته الشريفة يكشف عن الوعي الكامل لحقيقة الدنيا، فقال:

منها في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله:

قَدْ حَقَّرَ[١] ٱلدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا[٢] وَهَوَّنَهَا[٣]، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ زَوَاهَا[٤] عَنْهُ ٱخْتِيَاراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ ٱحْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ ٱلدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ[٥]، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[٦]، أَوْ يَرْجُوَ[٧] فِيهَا مَقاماً، بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً[٨]، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً، وَدَعَا إِلَى ٱلْجَنَّةِ مُبَشِّراً[٩].

١ - (قد حقر الدنيا وصغرها) فان التحقير للدنيا لم يكن بالقول فقط، بل بالعمل حيث صغرها في حياته ولم يلبس حياته الكريمة بمظاهرها التي تهافت عليها اصحاب الدنيا، فاصبحت صغيرة عند غيره من المسلمين، وصغرها بالقول أيضا.

٢ - (وأهون بها وهوّنها) بان لا يقيم لها وزنا في الحياة كأي شئ يهون امره، فلم يهتم بها عملا قط، وهوّنها بالقول أيضا.

٣ - (وعلم ان الله زواها عنه اختيارا) الزوي: القبض، اي علم بان الله سبحانه لم يرد له الدنيا بارادة ربانية واختيار من الله له ما هو الافضل للرسالة الاسلامية، فان الامور تبقى مصونة عن الانحراف مادامت بعيدة عن الاطماع الدنيوية.

٤ - (وبسطها لغيره احتقارا) فان الله جعل الدنيا لغيره؛ ولما في الدنيا من الحقارة يجب ان يتنزّه منها الانبياء.

٥ - (فأعرض عن الدنيا بقلبه) بسبب العلم بارادة الله سبحانه لما فيه مصلحة الرسالة الاسلامية.

٦ - (وأمات ذكرها عن نفسه) فلم يذكر الدنيا إلّا منبّها على انحرافها.

٧ - (وأحب ان تغيب زينتها عن عينه) بان يعيش غير مذكر للفظها على لسانه، وهذا الحب الاصيل والتقشف لم يكن واجبا شرعيا عليه، بل مجرد حب نابع من معرفة حقيقة

---

(١) في هـ ب: حقر الدنيا ـ بالتخفيف ـ أي استصغرها، وبالتشديد: أي صغّرها.
(٢) في هـ . د: أهونها ـ ض، أهون: أي لم يعتد بها، ولم تكن عزيزة عنده، أهونها: ذللها.
(٣) في هـ ب: هون واهان بمعنىً واحد.
(٤) في هـ ب: أي قبضها.
(٥) في أوط: عن نفسه.
(٦) في هـ ب: الرياش: اللباس والزينة.
(٧) في أ و هـ . د: ويرجو ـ م ل.
(٨) معذراً: مبيّنا لله حجة تقوم مقام العذر في العقاب عند المخالفة، وتقطع اعذار المخطيء يوم القيامة.
(٩) في هـ ص وط زيادة: وخوّف من النار محذراً، وفي هـ . د زيادة: وخوف من النار محذراً ـ ح م .

الدنيا.

٨ – (لكيلا يتخذ منها رياشا) والريش: اللباس الفاخر والخصب والمال التي هي مظاهر زينة الدنيا.

٩ – (أو يرجوا فيها مقاما) دنيويا بالمقاييس المادية، فما ارادة من الدنيا كان للاخرة، الذي يتقوى به في الحياة على اداء دوره النبوي في المجتمع.

١٠ – ثم لخص هذه السنة النبوية في الدنيا بنقاط اربع، هي:

اولا: (بلغ عن ربّه معذرا) فكان ابلاغ الرسالة عذرا لما يتعقبه من العقاب.

ثانيا: (ونصح لامتة منذرا) بالغ من النصيحة بالقول والعمل .

ثالثا: (ودعي الى الجنة مبشرا) لمن أعرض عن الحرام في الدنيا.

رابعا: (وخوف من النار محذّرا) لمن لم يعرض عن الحرام في الدنيا .

ولم تكن هذه الدعوة النبوية دعوى مجردة للتقشف في كل مظاهر الدنيا وما فيها من نعم الله سبحانه وتعالى التي أحلها الله لعباده والطيبات من الرزق، كما هو مشروح في سيرته، بل أكد بسنته الشريفة بان النظام الدنيوي المادي المجرد عن الوعي الاسلامي الاصيل ينتهي الى الفشل، ومن اجل ذلك لم يبن ﷺ بيت المال للمسلمين قط، لما يستلزم ذلك من المحافظة عليها من الحراس وطمع الطامعين وتزوير الخائنين.

(٢٣ / ط - ١٠٩) اهل بيت النبي ﷺ :

وعقب الامام عليه السلام نظرة النبي القائد ﷺ الى الدنيا هذه بمقطع في اهل البيت عليهم السلام ووصفهم بقوله عليه السلام:

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ المَلاَئِكَةِ[١]، وَمَعَادِنُ ٱلْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ ٱلْحُكْمِ[٢]، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

١ – (نحن شجرة النبوة) فانه عليه السلام من الشجرة الابراهيمية ومن اصحاب الكساء الذين بشر النبي ﷺ بطهرهم من الرجس، وقد تربى في حجر النبي ﷺ صغيرا، ودافع عن رسالته كبيرا، وقضي حياته في احياء سنته حتى لقى ربه شهيدا.

٢ – (ومحط الرسالة) الالهية التي ختمها الله سبحانه بالنبي ﷺ .

٣ – (ومختلف الملائكة) الموكلين بنزول الوحي الى الرسول ﷺ.

---

(١) أي محل هبوطهم وصعودهم، مأخوذ من خلف فلان فلاناً في المكان.

(٢) في أ وهـ ب، وفي نسخة: الحِكَمْ، وفي هـ . ب: أي الحكمة، وفي هـ . د: ينابيع الحكم بكسر الحاء وفتح الكاف ـ ض .

٤ – (ومعادن العلم) الذي ورثوه عن جدهم الرسول القائد صلى الله عليه وآله.

٥ – (وينابيع الحكمة) التي فجرها الرسول القائد صلى الله عليه وآله وارتوى منها أهل بيته.

وهذه الحقائق الخمس تجعلهم القادة للمسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله للمجتمع الاسلامي.

وطبيعي أنّه لابد في كل قيادة في أيّة أمّة من طوائف ثلاث، تختلف نظرتها الى القيادة، وهي:

الاولى: الناصرون الذين يقومون بدور عملي في نصرة القيادة.

الثانية: الاحباب المتعاطفين مع القيادة من دون ان يقوموا بدور عملي في اسنادها؛ لعجزهم عن اداء الدور المطلوب منهم في النصرة.

الثالثة: الاعداء الذين يحاولون القضاء على القيادة عمليا بأي نحو ممكن.

واشار الامام الى الاولى والثانية بقوله: (ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة) بتطبيق الحكم الاسلامي.

وأشار الى الطائفة الثالثة بقوله: (وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة) وهي البطش والاستيلاء جلية وخفية.

هذا، وكانت سيرة اهل البيت الذين ورثوها من جدهم صلى الله عليه وآله انهم لم يتخذوا دارا للحقوق الاسلامية ولم يستخدموها للاستثمار، بل وزعوها على المحتاجين في أقرب فرصة متاحة لهم، ومن اجل ذلك كانوا موفقين في خدمة الفقراء والمعوزين في اسرع وقت وباقرب الطرق.

لقد سار اهل النبي صلى الله عليه وآله على سيرة جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وامتازوا على غيرهم بحمل جينات جدهم النبي في دمائهم، ومن اجل ذلك جمعهم النبي صلى الله عليه وآله في الكساء ودعى الى الله ان يطهرهم من الرجس تطهيرا، فنزلت آية التطهير:﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[1].

وحيث ان الامام عليه السلام ذكر سنة النبي صلى الله عليه وآله ونظرته الى الدنيا في الحياة في النقاط العشر المذكورة في المقطع المتقدم، ذكر اهل البيت النبوي عليهم السلام في هذا المقطع؛ لما في ذلك من الاستمرار لسنة النبي صلى الله عليه وآله فيهم، وعليه يكون هذا المقطع شديد الصلة بالمقطع المتقدم، ولكن الشارح ابن أبي الحديد(ت ٦٠٦) قال ما نصه:«هذا الكلام غير ملتصق بالأول كل الالتصاق ، وهو من النمط الذي ذكرناه مرارا ، لان الرضي رحمه الله يقتضب فصولا من خطبة

(١) الاحزاب: ٣٣.

طويلة، فيوردها إيرادا واحدا، وبعضها منقطع عن البعض».[١]

ومما قال:« واعلم أنه إن أراد بقوله : " نحن مختلف الملائكة " جماعة من جملتها رسول الله ﷺ ، فلا ريب في صحة القضية وصدقها ، وإن أراد بها نفسه وابنيه فهي أيضا صحيحة ، ولكن مدلوله مستنبط ، فقد جاء في الأخبار الصحيحة ، أنه قال: " يا جبريل ، إنه مني وأنا منه " ، فقال جبريل : وأنا منكما . وروى أبو أيوب الأنصاري مرفوعا : " لقد صلت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين، لم تصل على ثالث لنا " ، وذلك قبل أن يظهر أمر الاسلام ويتسامع الناس به . وفي خطبة الحسن بن علي عليه السلام لما قبض أبوه : " لقد فارقكم في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون ، كان يبعثه رسول الله ﷺ للحرب وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره " . وجاء في الحديث: انه سمع يوم أحد صوت من الهواء من جهة السماء ، يقول : " لا سيف إلّا ذو الفقار ، ولا فتى إلّا علي " ، وإن رسول الله ﷺ قال: " هذا صوت جبريل " . فأما قوله : " ومعادن العلم ، وينابيع الحكم " يعنى الحكمة أو الحكم الشرعي ، فإنه وإن عنى بها نفسه وذريته ، فإن الامر فيها ظاهر جدا ، قال رسول الله ﷺ : " أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب " ، وقال: " أقضاكم عليّ " والقضاء أمر يستلزم علوما كثيرة . وجاء في الخبر أنه بعثه إلى اليمن قاضيا ، فقال: يا رسول الله ، إنهم كهول وذوو أسنان وأنا فتى ، وربما لم أصب فيما أحكم به بينهم ، فقال له : " اذهب فإن الله سيثبت قلبك ويهدى لسانك " . وجاء في تفسير قوله تعالى :﴿وتعيها أذن واعية﴾[٢] : سألت الله أن يجعلها أذنك ففعل . وجاء في تفسير قوله تعالى :﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾[٣] أنها أنزلت في علي عليه السلام، وما خص به من العلم . وجاء في تفسير قوله تعالى :﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾[٤] : أن الشاهد علي عليه السلام . وروى المحدثون أنه قال لفاطمة:« زوجتك أقدمهم سلما ، وأعظمهم حلما ، وأعلمهم علما» . وروى المحدثون أيضا عنه عليه السلام أنه قال:«من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه ، وموسى في علمه ، وعيسى في ورعه ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب» . وبالجملة فحاله في العلم حال رفيعة جدا لم يلحقه أحد فيها ولا قاربه ، وحق له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم وينابيع الحكم ، فلا أحد أحق بها منه بعد رسول

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٧ : ٢١٨.
(٢) سورة الحاقة: ١٢ .
(٣) سورة النساء : ٥٤ .
(٤) سورة هود: ١٧.

الله صلى الله عليه وآله».[١]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٧: ٢١٨ ـ ٢٢٠.

[١١٠]

ومن خطبة له عليه السلام:

(ط ـ ١١٠/١) **في اركان الاسلام:**

يتضمن المختار من الخطبة مقطعين في الطريق الى الله سبحانه:

الاول: فيما يجب من الاعتقاد باحكام الشريعة التي لا يمكن تفكيكها عن الشريعة، وهي (١٢) مادة من المواد الاساسية في المجتمع.

والثاني: من المستحبات التي ليسب فريضة شرعا، فهي مواد ثانوية.

(ط ـ ١١٠/٢) **المواد الاساسية:**

في الاسلام عقيدة وشريعة ومهام الاحكام التي لها تأثير مباشر على حياة الانسان المسلم، فقد سردها عشرة كاملة، وان كان يمكن عدها اثنا عشر اصلا، فانها كما وصفها عليه السلام بانها أفضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه وتعالى في تأسيس المجتمع الاسلامي العادل، فقال:

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ[١] بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ٱلْإِيمَانُ[٢] بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَٱلْجَهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ[٣] ٱلْإِسْلاَمِ، وَكَلِمَةُ ٱلْإِخْلاَصِ[٤] فَإِنَّهَا ٱلْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ فَإِنَّهَا ٱلْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ ٱلْعِقَابِ، وَحَجُّ ٱلْبَيْتِ وَٱعْتِمَارُهُ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ ٱلْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ[٥] الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ[٦] فِي ٱلْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ[٧] فِي ٱلْأَجَلِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ ٱلْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ ٱلْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ ٱلْهَوَانِ.

الاول والثاني – في العقيدة: (الايمان به وبرسوله) فان الاعتقاد بهما متلازمان، ومن اجل ذلك قرنهما وجعلهما في رأس القائمة، اذ بدون هذه العقيدة تكون سائر الواجبات عادات يمكن زحزحتها.

---

(١) في هـ ب: توسّل العبد إلىٰ ربه، أي تقرب إليه بعمل، والوسيلة: ما يتقرّب به إلىٰ الغير.
(٢) في هـ ب: الإيمان ص، والعشرة الاشياء التي عطفها علىٰ الايمان [فروع].
(٣) في هـ ب: ذروة الشيء: اعلاه، والذروة: أعلىٰ السنام.
(٤) في هـ ب: أي الشهادة.
(٥) في ب: ويُدحضان، وفي هـ ب، وفي نسخة: ويرحضان، أي يغسلان.
(٦) في هامش ب: مثراة: أي مدعاة إلىٰ الثروة، أي إلىٰ الغنىٰ.
(٧) في هـ ب: أي مؤخرة، منسأة، من نسأ في أجله، أي أخره.

الثالث: (الجهاد في سبيله) فالعقيدة وحدها بدون الدفاع عنها تكون مجرد نظرية لاقيمة لها، فان كانت حقة فانه يجب الدفاع عنها، وقد ذكر السبب لذلك في قوله: (فانه ذورة الاسلام) والذورة: هي العلو، فلا يعلو الاسلام إلّا به.

الرابع: (وكلمة الإخلاص؛ فإنها الفطرة) وهي شهادة ان لا اله إلّا الله، وليس هذا تكرارا للمادة الاولى، فان المادة الاولى، وهي العقيدة، هي أمر يتعلق بالجنان، والكلمة الشريفة واعلانها في الشهادة، ومن هنا جاء وصف الناطق بها في روايات اهل البيت عليهم السلام: «من قال لا اله إلّا الله دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي». وراجع المادة في المعجم.

وقد عللها بان الكلمة الشريفة هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كما وردت في السنة الشريفة: «كل مولود يولد على الفطرة، إلّا ان ابواه يهوّدانه وينصّرانه أو يمجّسانه»، وراجع المادة في المعجم.

الخامس: (وإقام الصلاة، فإنها الملة) وهي الطريقة المسلوكة، ولا يخلو دين من نوع من الصلوات.

السادس: (وإيتاء الزكاة؛ فإنها فريضة واجبة) حيث لايقوم الجانب الاقتصادي للمجتمع الاسلامي ـ وخاصة المجتمع الفقير ـ بدون هذا الواجب الاقتصادي .

السابع: (وصوم شهر رمضان؛ فإنه جُنّة من العقاب) قد فرضه الله في القران الكريم كما فرض نظيره في الاديان السابقة، فان الصائم يشعر بالجوع والعطش الذي يشعر به الفقراء فيواسيهم، فيكون ذلك له جُنّة من العقاب في الدنيا كما هو في الاخرة.

الثامن: (وحج البيت واعتماره؛ فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب) وقد جمعهما عليه السلام في مادة واحدة لارتباطهما مع بعض في النسك، وخاصة في حجة الاسلام، وان اختلف القران والافراد في بعض الاحكام، وهذه المادة تحقق هدفين في آن واحد، اشار اليهما، وهما، اولا: نفي الفقر المادي، حيث ينتفع المسلمون اقتصاديا في كل مرحلة يمر بها الحاج حتى وصوله الى أداء النسك.

وثانيا: (رحض الذنب) والرحض: الغسل، بغفرانه بهذه العبادة التي ترتكز على السنة الابراهيمية.

التاسع: (وصلة الرحم؛ فإنها مثراة في المال ومنسأة في الأجل) وهي واجب اسلامي في الاسرة المسلمة بالتماسك على وحدتها؛ فإنها هي التي تقوّم الفرد في سلوكه حتي يكون عضوا صالحا في المجتمع، يؤدي ما عليه من الواجبات تجاه الدين والشعب

والوطن.

واشار الى أثرين لصلة الرحم، وهما، اولا: اقصاديا، بأنها توجب الثروة؛ لان المال الذي يبذله الانسان في صلة الرحم هدية تقابل بمثلها عادة، فان الخير سبب للخير، وبذلك تزداد الثروة لمن يصل الرحم ابتداء، كما لايعدم من نصائح خالصة من الرحم تضيئ له الطريق في تنمية المال، لايمكن ان يحصل عليها من نصح المنتفعين من غير ذوي الرحم.

وثانيا: روحيا، لان الصدقة منسأة ،اي مؤخرة للاجل، كما ورد بذلك روايات عديدة، فان صلة الرحم تقوي اواصر القربى، وبذلك يستريح عادة من الهموم والغموم التي تؤثر على صحة الانسان.

وانّما قدّم الاثر المادي على الروحي؛ لما يتصور عادة من ان في صلة الرحم ضرر مادي على من يتقدم بالهدية، وهو خطأ لمن انعم النظر في ذلك.

هذه هي الواجبات.

ثم اشار عليه السلام الى امور ثلاثة هي من المستحبات، وهي:

العاشر: (الصدقة؛ فإنها تكفر الخطيئة) والتكفير: الستر، والخطيئة: ما يحصل من المعاصي عن غير عمد وقصد، ولا تخلو منها الحياة عادة.

الحادي عشر: (وصدقة العلانية؛ فإنها تدفع ميتة السوء) كاهداء الماء السبيل ؛ فان كونها علنا توجب دعاء من ينتفع بها، وأكثر ما يدعو المنتفع هو الدعاء بجزاء الخير، والله اسمع السامعين.

الثاني عشر: (وصنائع المعروف؛ فإنها تقي مصارع الهوان) ولعله لان المنتفع من المعروف يدعو لمن سهلها بدعائه، وإنما خص هذه الثلاثة بالذكر مع أنها ليست من الواجبات؛ لما لها من الاثر في تعاون المجتمع الاسلامي سرا أو علانية في كل صغيرة وكبيرة، فهي مواد اساسية لتحقيق السعادة في المجتمع الاسلامي.

(٣ / ١١٠ ـ ط) المواد الثانوية:

وختم المقطع بمواد ثانوية يفتقر اليها المجتمع الاسلامي، وينبغي الاكثار منها، واشار اليها في مواد اربع، فقال:

أَفِيضُوا[١] فِي ذِكْرِ ٱللهِ؛ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَٱرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ؛ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ

(١) في هـ ب: اي ادفعوا فيه مرة بعد أُخرىٰ.

ٱلْوَعْدِ؛ وَٱقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ ٱلْهَدْيِ، وَٱسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ؛ فَإِنَّهَا أَهْدَىٰ ٱلسُّنَنِ، وَتَعَلَّمُوا ٱلْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ رَبِيعُ ٱلْقُلُوبِ؛ وَٱسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ ٱلصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ؛ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ ٱلْقَصَصِ، وَإِنَّ ٱلْعَالِمَ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَٱلْجَاهِلِ ٱلْحائِرِ[1] ٱلَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ؛ بَلِ ٱلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَٱلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ؛ وَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ أَلْوَمُ.

والمواد هي:

اولا: (افيضوا في ذكر الله؛ فانه احسن الذكر) الإفاضة: الاكثار، فان الاكثار من الشئ موجب لرسوخه في النفس، وذكر الله سبحانه على كل حال يوجب تذكر الامور التي امر الله بها في الحالات المختلفة التي تطرأ على الانسان في الحياة، وأما أن ذكر الله هو احسن الذكر؛ لانه ﴿بذكر الله تطمئن القلوب﴾[2] في سيرها التكاملي في الحياة.

ثانيا: (ارغبوا فيما وعد المتقين؛ فان وعده اصدق الوعد) فان الرغبة في الثواب على التقوى يكون حافزا على السير على طريقة المتقين ودراسة احوالهم في التاريخ واسبابها ونتائجها، والتاريخ يعيد نفسه؛ والله سبحانه لا يخلف وعده.

ثالثا: (واقتدوا بهدي نبيكم؛ فانه افضل الهدى) لانه طبق ذلك في حياته ﴿ولكم في رسول الله اسوة حسنة﴾[3] وبذلك يختلف هدي النبيﷺ عن هدي غيره من العظماء؛ لانهم اصحاب نظريات لم يطبقها احد منهم كما طبقها الرسول القائدﷺ في حياته منذ البعثة وحتى الوفاة.

رابعا: (واستنوا بسنته فانها اهدى السنن) الاستنان: هو العمل على طبق سنته ﷺ، وهي ما اعلنه للعمل على طبقه، ولذلك فمن سنّ سنّة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها، وسنة الرسول اهدى سنة لما فيها من التوازن بين العلم والعمل، وتاريخ الاديان الاخرى تكشف عن مبادئ روحية عالية قد لا يوجد فيها الجانب العملي.

---

(١) في هـ ب: أي المتحيّر، وفي هـ. د: كالجاهل الجائر ـ ك .
(٢) الرعد: ٢٨.
(٣) الاحزاب: ٢١.

[١١١]

ومن خطبة له عليه السلام:

(١ / ط - ١١١) في ذم الدنيا والتحذير عنها:

حذر الامام عليه السلام من الدنيا في سلسلة من الاوصاف لها التي توجب الحذر عنها، فقال: **(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا)**، وذكر الأوصاف التالية:

فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ[١]**، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ**[٢] **بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ**[٣] **بِالْآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ**[٤] **بِالْغُرُورِ، لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا**[٥]**، وَلَا تُؤْمَنُ**[٦] **فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ**[٧] **ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ**[٨] **زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ**[٩] **بَائِدَةٌ**[١٠]**، أَكَّالَةٌ**[١١] **غَوَّالَةٌ**[١٢]**، لَاتَعْدُو ـ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ ٱلرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا ـ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ وَكَانَ ٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾**[١٣].

١ - (فانها حلوة) الحلاوة: طعم في الفم لايبقى الى الابد، بل يزول بزوال ألاجسام المولّدة لها، وكذلك الدنيا.

٢ - (خضرة) وخضرة الزرع لا تخلد، بل تكون لها فترة الربيع ، وتنتهي الخضرة بحلول الشتاء .

---

(١) في هـ ص: أي مشتهاة رائقة، فلا تطمعو فيها، ولا تمدوا البصر إليها، وفي هـ أ: خضرة: تأنيث خضر، وهو الاخضر.
(٢) في هـ ص وب: أي أعجبت.
(٣) في هـ. ص: من الحلية، وفي هـ ب: تحلّت من الحلية، أي تزينت.
(٤) في هـ ص: من الزينة.
(٥) في هـ ص والف: أي سرورها كالحبور، وفي هـ ب: نضرتها.
(٦) في ب: يؤمن، وفي هـ ب، وفي نسخة: تؤمن.
(٧) في هـ ب، وفي نسخة: غدّارة.
(٨) في هـ ب: أي متغيّرة.
(٩) في هـ ص: أي فانية منغصة.
(١٠) في هـ أ وب: أي هالكة.
(١١) في هامش ب: فعالة، من الأكل.
(١٢) في هـ ص: أي مهلكة، والعول: ما عال، أي أهلك، ومنه المثل: الغضب عول الحلم (من الشرح). وفي هـ ب: أي مهلكة.
(١٣) الكهف: ١٨/ ٤٥.

٣ – (حفت بالشهوات) ففي كل جانب دنيوي ترى شهوات ترغب في الحصول عليها فئام من الناس، من الاموال والجمال والقدرة والكمال، وهذه الشهوات لابد وأن تنتهي وتذوب الرغبة وتنتهي الى الشهوات المادية يوما ما.

٤ – (وتحببت بالعاجلة) لانها حاضرة، فهي عاجلة من دون نظر الى عواقب هذه اللذة العاجلة.

٥ – (وراقت بالقليل) اي اعجبت بالامر القليل، اذا قورنت بالعاقبة التي هي اكثر بكثير منها.

٦ – (وتحلت بالامال) فان الحلية التي تزينت بها ليست حقيقة، بل هي آمال تزول في المستقبل .

٧ – (وتزينت بالغرور) فان زينتها تغر وتخدع؛ لانها لا دوام لها.

٨ – (لاتدوم حبرتها) والحبرة: السرور؛ لانعدام سبب السرور، وهي النعم التي يحصل عليها الانسان مسرورا.

٩ – (ولا تؤمن فجعتها) والفجعة: الوجع بفقد المحبوب، فلا أمان من ذلك .

١٠ – (غرّارة) بكثرة اغترار الناس بها في المجتمع.

١١ – (ضرّارة) بكثرة الضرر الحاصل بسببها على الناس في النفس وفي المجتمع.

١٢ – (حائلة) والحول: التغيير، فهي في كل يوم في حالة غير الحالة السابقة .

١٣ ـ (زائلة) لاتبقى على حالة واحدة سوى التغيير.

١٤ – (نافدة) والنفود: الفناء بانتهاء دورها.

١٥ – (بائدة) والبيد: الهلاك والانقراض .

١٦ – (أكّالة) تأكل الناس الاحياء كثيرا، منذ أن خلقها الله، وذلك في قبورهم، وتحوّلهم الى التراب كما خلقوا أول مرة.

١٧ – (غوالة) والغول: ما غال، اي اهلك، فهي تهلك كل من عليها؛ من الانسان والحيوان والنبات والعمران.

١٨ – (لاتعدو – اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا بها – ان تكون كما قال الله تعالى سبحانه:﴿ كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا﴾[1] والهشيم: ما يتحطم، وذرو الرياح:

---

(١) الكهف: ٤٥.

تطييرها للشئ.

وهذه الاوصاف الثمانية عشر ذاتية لمن تأملها في الدنيا على حقيقتها، وكأن الانسان في الدنيا ماء له دور في الحياة، فكما ان الله ينزل الماء من السماء فيختلط بالارض كذلك الانسان يخلقه الله فيعيش على الارض، ولكن سرعان ما يبيد كل منهما، فكما يصبح نبات الارض هشيما محطما تطيره الرياح، كذلك الانسان في الارض والدنيا، فانهما يتحطمان ويهلكان، فلا يكون حياة .

ولم يثبت في تاريخ الاديان من رؤساء الاديان الكبرى من عاش بين اصحابه في الاحياء الفقيرة كما عاش الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله.

(٢ / ط - ١١١) الانسان في الدنيا:

وسرد في هذا المقطع من حياة الانسان في الدنيا بسبب ماللدنيا من الصفات الذاتية المتقدمة ما يأتي:

لَمْ يَكُنْ ٱمْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ[١] إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا[٢] عَبْرَةً[٣]، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا بَطْناً[٤] إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تُطِلَّهُ[٥] فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ[٦] إِلاَّ هَتَنَتْ[٧] عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاَءٍ.

وَحَرِيٌّ[٨] إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً[٩]، أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا ٱعْذَوْذَبَ[١٠] وَٱحْلَوْلَى، أَمَرَّ[١١] مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَىٰ[١٢].

لاَ يَنَالُ ٱمْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا[١٣] رَغَباً[١٤]، إِلاَّ أَرْهَقَتْهُ[١٥] مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً، وَلاَ يُمْسِي مِنْهَا

---

(١) في هـ ص وب: أي سرور.
(٢) في ب: اعقبتها، وفي هـ ب، وفي نسخة: اعقبته بعدها.
(٣) في هـ ص وب: أي حزن.
(٤) في هامش ب: أي لم يلق بطنا من سرور الدنيا وفرحها، إلّا منحته وأعطته ظهراً من ضرائها، وانما خص الظهر بالشدة والبطن بالدعة، لأنّ ظهر الأرض إلىٰ الاعداء وبطنها للأولياء، والمشي في نفق الأرض سهل، وعلىٰ ظهرها صعب.
(٥) في هـ ص: طلّه السحاب: إذا امطره مطراً قليلاً، والديمة: مطر ليّن.
(٦) في هـ ب: ديمة رخاء: مطرب يمطر قليلاً وخفيفاً.
(٧) في هـ ص وب: أي مطرت كثيراً، وفي هـ ب: أي صبّت وسالت وكلّفته مزنة بلاء.
(٨) في هـ ص: أي خليق.
(٩) في أ وب ود: متنصرة. وفي هـ ص: أي متحسنة.
(١٠) في هـ ب، في نسخة: اعذب أي عذب، وفي هـ ص: أي صار عذباً.
(١١) في هـ ص: أي صار حلواً.
(١٢) في هـ ص: أي امرض، وفي هـ ب: من الوباء.
(١٣) في هـ ص: أي النعمة واللذة.

فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إلاَّ أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ[١٦] خَوْفٍ.

غَرَّارَةٌ؛ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ؛ فَانٍ مَنَ عَلَيْهَا، لاَ خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا[١٧] إِلاَّ ٱلتَّقْوَىٰ. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا[١٨] ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يَؤَمِّنُهُ، وَمَنِ ٱسْتَكْثَرَ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ[١٩]، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ.

كَمْ مِنْ وَاثِقٍ[٢٠] بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ[٢١]، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ[٢٢]، وَذِي أُبَّهَةٍ[٢٣] قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ[٢٤] قَدْ رَدَّتْهُ[٢٥] ذَلِيلاً.

١ – (لم يكن امرؤ منها في حبرة إلّا اعقبته بعدها عبرة) فان الانسان الحبور المسرور فيها لا يبقى كذلك، بل لابد وان ينقلب سروره الى العبرة، وهي البكاء، لخسران شئ أو فقد عزيز.

٢ – (ولم يلق في سرائها بطنا إلّا ومنحته في ضرائها ظهرا) فان الانسان المتنعم في الدنيا بالسراء من جهة، لابد وان يواجه ضراء الدنيا من جهة اخرى، كالظهر والبطن.

٣ – (ولم تطله فيها ديمة رخاء إلّا هتنت عليه مزنة بلاء) فان الانسان الذي يطله فيها الرخاء من جهة، لابد وان ينزل عليه بلاء من جهة اخرى، والديمة: المطر الدائم، والرخاء: السعة، والهتن: الانصباب، والمزن: نزول المطر من دون رعد وبرق.

٤ – (وحريّ اذا أصحبت له منتصرة ان تمسي له متنكرة) فاذا اصبح الانسان في الدنيا بنصرة زمان صباحا، حريّ ان تتنكر عليه وقت المساء.

٥ – (وان جانب منها اعذوذب واحلولى، أمرّ منها جانب فاوبى) واذ كان الانسان يشاهد العذوبة والحلاء في جانب من الدنيا، فلا بد وان يشاهد المرارة والوباء جانب آخر

---

(١٤) الرغَبَ: الرغبة والمرغوب.
(١٥) في هـ ص وب: أي اغشته.
(١٦) في هـ. ص: هي مقاديم جناح الطائر.
(١٧) في هـ ب: جمع زاد.
(١٨) في هـ ص: أي الدنيا.
(١٩) في هـ ب: أي يهلكه.
(٢٠) في هـ. د: كم واثق ـ ن ف ل .
(٢١) أي أوجعته بفقد ما يعز عليه.
(٢٢) في ب: وقد صرعته.
(٢٣) في هـ ص: أي العظمة والنخوة.
(٢٤) في هـ ص: الإباء والتمنع، وفي هـ ب: الكبر.
(٢٥) في هـ ب، وفي نسخة: رددته.

منها.

٦ - (لاينال امرؤ من غضارتها رغبا إلّا ارهقته من نوائبها تعبا) فان الانسان ينال الرغبة في غضارتها، وهي النعمة، ويكون ذلك متبوعا بتعب مرهق من نوائبها، وهي المصائب .

٧ - (ولا يمسي منها في جناح أمن، إلّا اصبح على قوادم خوف) فان الانسان يذهب الى النوم مساء للأمن والراحة، ويصبح ويجد الخوف، قادما عليه كقوادم جناح الطائر، وهي اربعة عشر ريشة تحت الحوافي التي هي عشر.

٨ - (غرارة، غرور ما فيها) فان كثرة غروها يساوق غرور ما فيها من الانسان وما عليها.

٩ - (فانية، فان ما عليها) فان فناءها يساوق فناء كل ما عليها من انسان وحيوان .

١٠ - (لا خير في شئ من أزوادها إلّا التقوى) فان الانسان الخير منها المتقي ، كما ان زاد الدنيا الخير هو التقوى.

١١ - (من اقل منها استكثر مما يؤمنه) فالانسان الذي يقل ماله من الدنيا يكون اكثر امانا ممن يكثر من الدنيا؛ لما تجلبه الكثرة من الهموم في المحافظة عليها.

١٢ - (ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه، وزال عما قليل عنه) فان كثرة مال الدنيا تلازم كثرة الموبقات التي تهلك الانسان، من الهموم والاحزان في كيفية ادارتها وحفظها عن التلف، مع انها سوف تزول بموته عما قليل في الحياة.

١٣ - (كم من واثق بها قد فجعته) فان الانسان الذي يثق بها لابد وان الدنيا تفجعه بالموت.

١٤ - (وذي طمأنينة اليها قد صرعته) فان الانسان الذي يطمئن بها تصرعه الدنيا بالخسران فالموت.

١٥ - (وذي أُبهة قد جعلته حقيرا) والابهة: العظمة بالملك والثراء بانقلابه الى النقيض.

١٦ - (وذي نخوة قد ردته ذليلا) والنخوة: الفخر بمال أو جاه أو جمال وما شابه من الامور المادية، فيصبح الانسان في الدنيا بين عشية وضحاها الى ذليل يفقد المال والجاه أو غيرهما من العناوين الخيالية في المجتمع المادي .

(٣ / ط - ١١١) والخلاصة:

ولخص الامام هذه الصفات الذاتية للدنيا والمؤثرة في الانسان الذي يعيش فيها في نقاط، هي :

سُلْطَانُهَا دِوَلٌ[١]، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ[٢]، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ[٣]، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ[٤]، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ[٥]، وَأَسْبَابُهَا[٦] رِمَامٌ[٧]، حَيُّهَا بِعَرَضِ[٨] مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ، مُلْكُهَا[٩] مَسْلُوبٌ[١٠]، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ[١١]، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ[١٢].

١ – (سلطانها دول) الدول: التحوّل من حال الى اخر، فليس لها سلطان دائم.

٢ – (وعيشها رنق) والرنق: الكدر لكونه مشوبا بالمضادات كالحلاء بالمرارة .

٣ – (وعذبها اجاج) فان العذوبة المطلوبة مشوبة بالملوحة الشديدة .

٤ – (وحلوها صبر) لان حلاوتها مشوبة بالمرارة كالصبر.

٥ – (وغذاوها سمام) والسم قاتل، فكذلك ما يتغذى الانسان من حب الدنيا.

٦ – (واسبابها رمام) والرمة: الحبل البالي، فيكون وسيلة واهية .

٧ – (حيها بعرض موت) فان الاحياء فيها معرضون للموت .

٨ – (وصحيحها بعرض سقم) والاصحاء فيها معرضون للمرض .

٩ – (ملكها مسلوب) فلا يخلد فيها انسان في الملك الذي يبتغيه، اذ يملكه غيره بالسيطرة عليها.

١٠ – (وعزيزها مغلوب) بالذلة، عندما يصبح مغلوبا بعد ان كان غالبا.

١١ – (وموفورها منكوب) فان ما توفر من الدنيا يعرض الى النكبة، وهي المصيبة فيها.

١٢ – (وجارها محروب) يحارب من جاورها فيسلب عنه ماله ليعطى ذلك لغيره، فان كل انسان على هذه الارض لابد وان يشاهد الصفات الذاتية للدنيا واهلها في كل يوم، اذا

---

(١) في هـ ص: أي منتقل، وفي هـ ب: جمع دولة.
(٢) في هـ ص: الرنق: الكدر، يقال: رنق يرنق.
(٣) في هـ ب: أي مصلح.
(٤) في هـ ب: أي مرّ.
(٥) في هـ ص وب: جمع سم: القاتل.
(٦) في هـ ص وب: جمع سبب: الحبل.
(٧) في هـ ص: جمع رمة: أي بالٍ، وفي هـ ب: أي بالية.
(٨) في هـ. ص: أي معرض له.
(٩) في هامش ب، وفي نسخة: مَلِكُهَا.
(١٠) في هـ ب: من السلب.
(١١) في ب: متكود. أي ممتحن. والنكبة: المصيبة، أي معرض للنكبة.
(١٢) في هـ ب: من الحَرِب. ـ بالتحريك ـ: وهو من سُلب ماله.

تدبر فيها. والله العالم.

(٤ / ط - ١١١) العبرة في التاريخ:

واشار الامام عليه السلام الى العبرة من التاريخ بالنسبة الى الدنيا فيمن مضى قبلنا من الامم فقال:

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالَا، وَأَعَدَّ عَدِيداً[1]، وَأَكْثَفَ[2] جُنُوداً، تَعَبَّدُوا[3] لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا[4] عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ، وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ[5].

وفي قوله: (ألستم في مساكن من كان قبلكم) من الامم السالفة، فان في تاريخهم عبرة للحاضرين.

اما القاطنون في المساكن:

وسرد من صفاتهم أنهم كانوا:

١ - (اطول اعمارا) ويعرف كثير منهم بطول العمر من التاريخ، فكان منهم من لبث ﴿الف سنة إلّا خمسين عاما﴾[6]

٢ - (وأبقى اثارا) من الذين نشاهد آثار حضارتهم كأهرام مصر وايوان كسرى وحائط الصين.

٣ - (وأبعد آمالا) فإن تلك الاثار تدل على بعد الآمال والهمم.

٤ - (واعد عديدا) من النفوس التي ابادها الدهر.

٥ - (واكثف جنودا) في صفوف جيوشهم التي غزت عوالم عصرهم كالإسكندر وكسرى وقيصر، فبنوا امبراطوريات الفرس والروم، فان هذه الامم السالفة سارت الى الفناء، وهذا شأن كل من عاش على الارض من الافراد، وتجمعهم صفات واحدة سواء الافراد والقبائل والامم، هي:

١ - (تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد) بجمع ما تمكنوا جمعه من العدة والعدد والجيش والسيطرة على البقاع والعالم بالمقاييس المادية المتيسرة لهم.

---

(١) في هـ ب: أي عدداً.
(٢) في هـ ب: يعني أكثر.
(٣) في هـ أ: تعبد له، مثل تزهد وتعبد: أي استعبدهُ، وفي هـ ب: أي تذللوا.
(٤) في هامش ب: أي ارتحلوا.
(٥) في هـ ب: أي مركوب.
(٦) العنكبوت: ١٤.

٢ - (واثروها اي ايثار) حيث بذلوا كل جهودهم الفكرية والعسكرية والمادية في سبيل تثبيت دولهم وسلطتهم الى الابد.

٣ - (ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ) والظعن: السفر عن الدنيا بغير ما جمعوه من الزاد والراحلة لبلوغ ما قصدوه من الدنيا.

٤ - (ولا ظهر قاطع) فلم يكن لهم ما يركبون عليه للوصول الى مقاصدهم لقطع الطريق والوصول الى اهدافهم.

فان هذه المساكن التي استولى عليها من كان قبلنا، اصبحت مساكن لمن اتى بعدهم فلم تخلد لهم.

(٥ / ط - ١١١) طبيعة الدنيا:

فحالة الدنيا هي نفسها لمن تقدم من الافراد والامم، وتستمر كذلك بالنسبة الى الحاضر والمستقبل، وقد سرد الامام سلسلة من هذه الحالات بالاستفهام الانكاري، فقال:

فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا سَخَتْ[١] لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنتْ لَهُمْ صُحْبَةً، بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ[٢]، وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ[٣]، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ[٤]، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ[٥]، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ[٦]، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ[٧].

١ - (فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم نفسا بفديه) فليس في التاريخ من تمكن من انقاذ نفسه بدفع فدية عن نفسه لكي يطول في الدنيا عمره عند حلول الاجل.

٢ - (او احسنت لهم صحبة) في الفترة التي عاشوا، بان تختلف الصحبة عن الحالات السابقة لهم أو الحاضرة لكم، فانها طبيعة الدنيا المتصفة بالصفات الذاتية لها.

وطبيعي ان يكون الجواب بالنفي، ولذلك اضرب الامام عن الجواب بسرد الحقائق

---

(١) في هـ ب: من السخاء.
(٢) في هـ ص: بالفاء: المثقلات، فدحه الحمل: اثقله، ويروىٰ بالقاف، وهي آفة تظهر بالشجر، وصدوع تظهر في الاسنان، وفي هـ ب: الفوادح: المصيبات والأمر العظيم.
(٣) في هـ ب: القوارع جمع قارعة، وهي المحن التي تقرع.
(٤) في هـ ب: أي تركتهم بالنوائب.
(٥) في هـ ب: الصقت مناخرهم بالعفر، وهو التراب، وفي هـ ب: عفّرتهم من التعفير. والمناخر: جمع منخر.
(٦) في هـ ص وب: جمع منسم، وهو خف البعير.
(٧) أي الموت.

التالية:

١ - (بل ارهقتهم بالفوادح) والرهق: التعب، والفادح: مرض في الاسنان.

٢ - (واوهقتهم بالقوارع) والوهق: الحبل الطويل، والقارعة: الداهية، فنزلت الدواهي بهم حتى قضت عليهم كما نزلت بغيرهم.

٣ - (وضعضعتهم بالنوائب) والضعضعة: ضعف البناء الموجب لهدمه، والنائبة: المصيبة الطبيعية أو غيرها من الحوادث في الادارة والاقتصاد وغيرهما.

٤ - (وعقرتهم للمناخر) والعقر: المسح بالتراب، والمنخر: الانف، وهي كناية عن نهاية المذلة.

٥ - (ووطئتهم بالمناسم) والوطء: التذليل، والمنسم: خف البعير، فاذا سار البعير على الشيئ ووطأه بخفه كان موضع الاقدام اذل المواقع، حيث لا يتمكن الانسان من مقاومة تلك المناسم السائرة عليه.

٦ - (واعانت عليهم ريب المنون) حيث تعاونت الدنيا على من تقدم من الامم مع ريب المنون، وهو الموت، فقضت عليهم وعلى آمالهم في الحياة بالمقاييس المادية.

(٦ / ط - ١١١) والعبرة من الدنيا:

واشار الى العبرة من تاريخ الامم السالفة من مساكنهم، وطبيعة الدنيا، بالنقاط التالية:

فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا[١] لِمَنْ دَانَ لَهَا[٢]، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا[٣]، حِينَ[٤] ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ ٱلْأَبَدِ.

وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلاَّ ٱلسَّغَبَ[٥]، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ[٦] إِلاَّ ٱلضَّنْكَ[٧]، أَوْ نَوَّرَتْ[٨] لَهُمْ إِلاَّ ٱلظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلاَّ ٱلنَّدَامَةَ.

أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟!

---

(١) في هـ ب: أي تغيّرها.
(٢) في هـ ص: أي لمن اطاعها وانقاد لها.
(٣) في هـ ب: أي استند إليها.
(٤) في الف: حتىٰ، وفي هامش الأصل، وفي نسخة: حتىٰ.
(٥) في هـ ب: أي الجوع.
(٦) في هـ ب: أي جعلتهم، من الحلول.
(٧) في هـ ب: أي الضيق.
(٨) في هـ ب، وفي نسخة: ثوّرت، نوّرت، من النور.

فَبِئْسَتِ ٱلدَّارُ لِمَنْ لَا يَتَّهِمْهَا[١]، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا.

١ - (فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها) من الامم وخضع لها، ولم ترحم امة ضعيفة أو قوية، وفي النهاية فان لكل امة اجل، كالافراد، ﴿اذا جاء اجلهم لايستقدمون ساعة ولايستأخرون﴾.

٢ - (وآثرها) من الافراد والامم الذين آثروا الدنيا وقدموها على العدالة فيها.

٣ - (واخلد اليها) بالعمل على الاهداف المادية، دون الاهداف المعنوية.

٤ - (حين ظعنوا عنها لفراق الابد) فان الموت يجعل السفر سفرا ابديا.

٥ - (وهل زوّدتهم إلّا السغب) وهو الجوع، فلم تعطهم الدنيا زادا سواه.

٦ - (أو أحلتهم إلّا الضنك) وهو الضيق في القبر الذي اقبروا فيه.

٧ - (أو نورت لهم الظلمة) التي احدثوها في حكمهم الظالم على الامة والافراد.

٨ - (أو اعقبتهم إلّا الندامة) على الظلم في المجتمع الذي حكموه.

وبالاجمال:

٩ - (أفهذه تؤثرون؟) بالمضي على ما مضى عليه السابقون من التهالك على الدنيا؟

١٠ - (ام اليها تطمئنون؟) بالاعتماد على الدنيا الفانية الغادرة؟

١١ - (ام عليها تحرصون؟) بالرغم من الاوصاف الذاتية التي تعلمون عنها؟

١٢ - (فبئس الدار لمن لا يتّهمها، ولم يكن فيها على وجل منها) حيث يجب سوء الظن بها؛ لان طبيعة الدنيا الغدر والاساءة لمن يعتمد عليها، ولا يمكن تغيير طبيعتها الذاتية كما هو معروف من شواهد التاريخ.

(٧ / ط - ١١١) العبرة بالموت:

وختم الامام التحذير من الدنيا بالعبرة الصادقة بالموت الذي لايرحم احدا، فقال:

فاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تارِكُوهَا، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَٱتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قالُوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[٢] حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا[٣] فَلَا يُدْعُونَ[٤] ضَيفاناً[٥]، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ[٦] أَجْنانٌ[٧]، وَمِنَ التُّرابِ أَكْنَانٌ[٨]، وَمِنَ ٱلرُّفاتِ[٩]

---

(١) في أ وب وط ود: لم يتهمها.
(٢) فصّلت: ٤١/ ١٥.
(٣) في ط ود: انزلوا الأجداث.
(٤) في ب: ولا يدعون.
(٥) في هـ ب: أي أضياقاً.
(٦) في هـ ب: أي القبر.

جِيرَانٌ[١٠].

(فاعلموا، وانتم تعلمون) لان الموت حقيقة يعرفها كل انسان وان تجاهله في الحياة.

١ - (بانكم تاركوها) فان بالموت تتركون كل الدنيا ومن عليها من الاقارب والاصحاب.

٢ - (وظاعنون عنها) بالسفر الى دار الاخرة.

٣ - (واتعظوا فيها بالذين قالوا: ﴿من اشد منا قوّة﴾[١١] فان قوتهم لم تنقذهم من الموت.

٣ - (حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا) فان الكل يعرفون بانهم اموات، فلا يدعوهم احد من الركبان، بل هم محمولون الى قبورهم.

٥ - (وانزلوا الاجداث) وهي القبور المعدة لهم، فلبثوا هناك موقتا (فلا يدعون ضيفانا) بل القبر هو المحل الاخير لهم.

٦ - (وجعل لهم من الصفيح اجنان) والصفيح: الحجارة، والمراد ارض القبر، فهم تحت الارض مستورون.

٧ - (ومن التراب اكفان) فان اكفانهم تتحول ترابا.

٨ - (ومن الرفات جيران) والرفات: العظام البالية، حيث تدفن اجسادهم مع عظام الموتى التي تحولت الى تراب.

(٨ / ط - ١١١) مع الاموات:

ثم اشار صفة هذا الجوار الذي يختلف عن الجوار في الدنيا، بقوله:

فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً[١٢]، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً[١٣]، إنْ جِيدُوا[١٤] لَمِ يَفْرَحُوا، وَإنْ قُحِطُوا[١٥] لَمْ يَقْنَطُوا، جَمِيعٌ وَهُمْ آحادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ[١٦] لَا

---

(٧) في هـ ص: جمع جنن: ما يقي، وفي هـ ب: الاجنان: القبر، واحدها جنن.
(٨) في أ وب وط: اكفان، وفي هـ أ: الكن: ما يكن.
(٩) في هامش الأصل وب: أي العظام البالية.
(١٠) في هـ ب: جمع جار.
(١١) فصّلت: ١٠.
(١٢) في هـ ب: أي ظلماً.
(١٣) في هـ أ، وفي نسخة: مُنْدِبَة، وفي هـ ب: أي نوحة.
(١٤) جيدوا: أي امطروا.
(١٥) في هـ ب: قحطو واقحطو: صابهم السنة والقحط، ودخلوا فيها، وقحط المطر يقحط قحوطاً: قلّ، وقال الفراء: اقحط ....

يَتَزَاوَرُونَ[١]، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقارَبُونَ.

حُكَماءُ[٢] قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ ماتَتْ أَحْقادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ[٣] وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا[٤] بِظَهْرِ الأَرضِ بَطْناً، وَبِالسَّعَةِ ضِيْقاً، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاؤوها كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً[٥] عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْها بِأَعْمالِهِمْ إِلَى ٱلْحَياةِ الدَّائِمَة، والدَّارِ ٱلْباقيَةِ، كما قالَ سُبْحانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٦].

١ – (فهم جيرة لا يجيبون داعيا) فالميت الجديد حاله حال غيره مهما عظم في الدنيا.

٢ – (ولا يمنعون ضيما) وهو الظلم، كما هو العادة في الحياة باغاثة الجار .

٣ ـ(ولا يبالون مندبة) وهي الندب على الميت بعد موته، لانهم جميعا اموات .

٤ ـ(ان جيدوا لم يفرحوا) الجيد: المطر؛ لان المطر وعدمه سواء بالنسبة اليهم .

٥ ـ(وان قحطوا لم يقنطوا) فان القحط وعدمة لايفرّق لهم .

٦ ـ(جميع وهم احاد) فهم كثرة من الموت، ولكنهم في الحقيقة آحاد .

٧ ـ(وجيرة وهم ابعاد) فبالرغم من الجوار، فان شأنهم شأن المتباعدين .

٨ ـ(متدانون لايتزاورون) فلا ينفع الدنوّ احدا منهم .

٩ ـ(وقريبون لايتقاربون) فان القرب المكاني لهم غير مقرب احدا منهم الى الاخر.

١٠ ـ(حلماء قد ذهبت اضغانهم) بذهاب عوامل الضغن والحقد .

١١ ـ(وجهلاء قد ماتت احقادهم) فلا يعرفون له فائدة ولا اثرا بعد الموت .

١٢ ـ(لا يخشى فجعهم) اي الضرر منهم على احد في الدنيا قط .

١٣ ـ(ولا يرجى دفعهم) لأي غرض قط.

كل ذلك لانهم في حالة مناقضة لحالة الدنيا، وهي:

١ ـ(استبدلوا بظهر الارض بطنا) فاصبحوا في باطن القبور.

٢ ـ(وبالسعة ضيقا) فما تملكوا من وسع الفناء اصبح ضيق القبر.

٣ ـ(وبالأهل غربة) وما استأنسوا به من الاهل اصبح غربة.

---

(١٦) في هـ ب: من الدنو.
(١) في هـ ب: من الزيارة.
(٢) في أ وب وط: حلماء، وفي هـ ص، وفي نسخة: حلماء.
(٣) الفجع: التفجيع بالضرر.
(٤) في هـ ب: من البدل.
(٥) في هـ ب: جمع حافي.
(٦) الأنبياء: ١٠٤/١٢ .

٤ـ (وبالنور ظلمة) فلا يتمتعون بنور الشمس الذي عمهم في الحياة.

٥ ـ (فجاؤوها كما فارقوها) فهم حلوا في الارض بالولادة من رحم الامهات (حفاتا عراتا) حتى لفهم من رحمهم بالقماط، واعتادوا الخف واللباس، وهم بعد الموت يعريهم الغاسل في المغتسل فيصيروا (حفاتا عراتا) ثم يلفهم بالكفن ويدليهم في القبر بعيدا عن اعين الناس.

٦ ـ (قد ظعنوا عنها باعمالهم الى الحياة الدائمة والدار الباقية) اي سافروا اليها مصحوبين باعمالهم فقط، مخلفين المال والجاه والاقارب والاصحاب ليعيشوا مع اعمالهم الى الابد (في الدار الباقية) وهي الاخرة، التي ينتهي اليها كل مخلوق من ضعيف او قوي أو شريف أو وضيع في حياة لا تمايز فيها بالصفات المادية، وانتفى فيها كل مظاهر الحياة الدنيوية.

وختم المقطع مستشهدا بقول الله تعالى:﴿كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين﴾[١].

فان مرجع الانسان في الحياة الاخرة – وان استغربه الانسان المادي – انما هو كما خلقه الله اول مرة، فاذا لم يكن استغراب في الخلق في البداية، فلا بد وان لا يكون كذلك في النهاية؛ فان كل ذلك تقدير العزيز الحكيم الذي وعد الناس في الدنيا، وهو تعالى محقق ما وعد في الاخرة، ووعده الحق.

وفي هذا الختام تتلخص كل ما ذكره من الخلق والمعاد، والله الهادي الى الرشاد.

---

(١) الانبياء: ١٠٤.

[١١٢]

ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت وتوفّيه الأنفس:

هَلْ تُحِسُّ بِهِ[١] إِذَا دَخَل مَنْزِلًا، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً، بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى ٱلْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيَلِجُ[٢] عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا، كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟

(١ / ط - ١١٢) ذكر ملك الموت وتوفية الانفس وعجز الخلق عن وصف الله:

يستهدف هذا المقطع بيان عجز الخلق عن وصف الخالق، وان المخلوق المادي قد يعجز عن وصف مخلوق مادي مثله، فاذا ثبت عجز المخلوق عن وصف المحسوسات فقد ظهر عجزه عن وصف المجردات غير المحسوسة بطريق الاولى.

مثال ذلك: الموت، فهو امر محسوس لكل من يفقد انسانا حيا عاش، ورآه محسوسا عاقلا لا يشك في وجوده، ويراه بعد الموت جثة هامدة محسوسة لاتعقل شيئا، ولا مجال لانكار موته. وهنا تكمن عدة أسئلة لا جواب قاطع لها، اشار الامام الى ستة منها، وهي:

١ – (هل تحس به اذا دخل منزلا؟) فان ملك الموت حين يقوم بدوره في قبض الارواح، مجهول، بالرغم من العلم بحدوث الموت لما له من الاثر المحسوس.

٢ – (ام هل تراه اذا توفى احدا؟) والتوفي: قبض الارواح، قال الله سبحانه وتعالى:﴿الله يتوفى الانفس حين موتها﴾[٣]

٣ – (بل كيف يتوفى الجنين في بطن امه؟) من العلم بالاسقاط ومشاهدة الجنين ميتا.

٤ – (أيلج عليه من بعض جوارحها) فيكون دخول ملك الموت من بعض جوارح الام للوصول الى قبض روح الجنين، كما هو احد الاحتمالات.

٥ – (ام الروح أجابته باذن ربها) فعند تحقق اسباب الموت اجابت الروح دعوة ملك الموت على كيفية لا يعلمها إلّا الله .

٦ – (ام هو ساكن معها في احشائها) فلم يكن ملك الموت خارجا، بل ساكنا في رحم المرأة مع الجنين، وقام بدوره، وهو كذلك.

هذه بعض الاسئلة، والجواب عنها ليس إلّا احتمالات ومذاهب لا تستند الى دليل

---

(١) في ط: يحس به.
(٢) يلج: يدخل.
(٣) الزمر: ٤٢.

قاطع، وتبقى الحقيقة وهي ان اثر الموت ظاهر، وهو الجنين السقط بالرغم من انه ليس هناك من شاهد ملك الموت أو الروح.

فان هذه الاسئلة تثبت عجز الانسان عن وصف حالة من أحوال المخلوق المادي المحسوس.

(٢ / ط - ١١٢) والنتيجة:

ان عجز الانسان عن وصف المحسوسات المادية كالجنين السقط، مستلزم لعجزه عن وصف المجردات غير المحسوسة، فيكون عن ذلك أعجز، لعجزه عن معرفة المجردات، وكذلك وصفها، كما قال ﷺ مستفهما بالاستفهام الانكاري: (كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله) فيكون ذلك محالا.

وحقيقة الروح لا تزال مجهولة بالرغم من اثره المحسوس، قال تعالى: ﴿قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم إلّا قليلا﴾[1]

وختم ابن سينا قصيدته العينيّة في الروح، بقوله:

أنعم برد جواب ما انا فاحص   عنه فنار العلم ذات تشعشع

ولا يزال الماديون والمؤمنون في خلاف حول هذه الحقيقة المحسوس أثرها.

---

(١) الاسراء: ٨٠.

ومن خطبة له عليه السلام:

وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ[١]، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[٢]، قَدْ[٣] تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمرِّهَا، لَمْ يُصْفِهَا[٤] ٱللهُ تَعَالَىٰ لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عن أَعْدائِهِ[٥]، خَيْرُهَا زَهِيدٌ[٦]، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[٧]، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا[٨] يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ[٩]، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ ٱلْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَىٰ فَنَاءَ[١٠] ٱلزَّادِ، وَمَدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ!

ٱجْعَلُوا مَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبَتِكُم، وَٱسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ[١١]، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ ٱلْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعىٰ بِكُمْ.

(١ / ط - ١١٣) ذم الدنيا:

يستعرض الامام في هذا المقطع الحذر من الدنيا لاسباب سردها للوصول الى نتيجة هامة في حياة الحاذر منها.

وعن موجبات الحذر، قال عليه السلام: (واحذّركم الدنيا) فانها:

١ – (منزل قلعة) والقلعة: المكان المعار الذي يقتلع منه الانسان ولا يستوطنه، فليس يخلد في الدنيا أحد.

٢ – (وليست بدار نجعة) والنجعة: طلب الكلأ من موضعه، فالانسان يطلب المكان لذلك.

٣ – (قد تزينت بغرورها) فان مظاهرها كلها زينة.

---

(١) في هـ ب: أي ليست مستوطن، كانه يقلع ساكنه.
(٢) في هـ ب: النجعة والانتجاع: طلب الماء والكلأ ـ في اللغة ـ، وفي العرف: طلب كل خير.
(٣) في د: وقد.
(٤) في هـ ب: أي لم يبخل بالدنيا عليهم، أي لم يجعلها صافية.
(٥) في ب: عن اعدائه.
(٦) في هـ ب: أي قليل.
(٧) في هـ ص: أي حاضر.
(٨) في ب: ونعيمها، وفي هـ ب، وفي نسخة: وملكها.
(٩) في أ بتخرب، وفي هـ. د: بتخرب ـ م ف، وفي هـ أ، وفي نسخة: يخرب.
(١٠) في هـ. د: يعني فيها فناء الزاد ـ ض ح.
(١١) في هـ ب: أي سلوا الله التوفيق والمعونة لما سألكم الله من أداء حقه.

٤ - (وغرت بزينتها) وان الدنيا تغر بهذه الزينة غيرها من افراد البشر، الذين لا يعرفون حقيقة زينتها .

٥ - (هانت على ربها) وهوان الدنيا على الله تعالى يكشف عن الأوصاف التالية المضادة لأوصاف الاخرة، وهي:

اولا : (فخلط حلالها بحرامها) فان خلط الجيد بالرديئ يوجب تأثر الجيد بالرديئ، ولا خلط في الاخرة بينهما.

ثانيا: (وخيرها بشرها) فهما مختلطان في الدنيا دون الاخرة؛ فان كلا منها ممتاز عن الاخر.

ثالثا: (وحياتها بموتها) ففي كل يوم مولود وميت، وفي الاخرة حالة واحدة، هي الحياة.

رابعا: (وحلوها بمرّها) وفي كل عمل جانبان، حلو ومرّ، وهما مخلوطان، وفي الاخرة لا اختلاط بينهما .

وهذه النقاط الاربع تجعل الدنيا اهون على الله من الاخرة.

٦ - (لم يصفها الله تعالى لأوليائه) بسبب هذا الهوان الذاتي للدنيا، فلم يخلد فيها اولياء الله تعالى .

٨ - (خيرها زهيد) اذا قيس بالنسبة الى خير الاخرة الخالد.

٩ - (وشرها عتيد) والعتيد: الحاضر، الذي يتأثر بها في الحياة قبل الممات .

١٠ - (وجمعها ينفذ) بالموت .

١١ - (وملكها يسلب) على الرغم من تهالك المالك على ذلك .

١٢ - (وعامرها يخرب) من البيوت والقصور والعمران .

١٣ - (فما خير دار تنقض نقض البناء) لان المطلوب في الدار ان يحكم بناؤه من دون نقض.

١٤ - (وعمر يفني فناء الزاد) فان خير العمر ما يبقى ويدوم، وما يفنى كمثل فناء الزاد، فان الذي لايدوم اكثر من ايام ليس بخير، ومنه عمر الانسان.

١٥ - (ومدة تنقطع انقطاع السير) فليس خير حقيقتا الفترة الزمنيّة التي يعيشها الانسان، فانها مدة قصيرة تنتهي كما ينقطع السير، ولا يفنى إلّا بالسير من دون راحة.

($\frac{٢}{١١٣ - ط}$) المسؤولية نتيجة الحذر:

ومن الحذر ان يكون الانسان على يقظة لاداء واجباته في الدنيا على ما يتحمله من

المسؤوليات، وقد اشار الامام ﵇ الى ثلاثة مسؤوليات رئيسية للانسان المسؤول في الدنيا، وهي:

اولا: الاهتمام بفرائض الله (اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم) فان الواجبات الاسلامية ـ روحية وغير روحية ـ لابد وان تكون في رأس قائمة الاعمال اليومية للانسان المسؤول في الدنيا فلا يهملها.

ثانيا: الدعاء والتوسل الى الله (واسالوه من اداء حقه ما سألكم) فان الدعاء بالتوفيق في الاعمال يقرنه الاجابة من الله سبحانه: ﴿واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان﴾[١]، فان الاجابة حق وعد الله سبحانه به ﴿ والله لايخلف الميعاد﴾[٢].

ثالثا: ذكر الموت (واسمعوا دعوة الموت اذانكم قبل ان يدعى بكم) فان ذكر الموت يبعد الانسان من الاتكال على البشر، ويجعله مهيئا للعمل لحظة فلحظة، كما في الخبر: «كفى بالموت واعظا».

وهذه النقاط الثلاث هي نتيجة الحذر من الدنيا، فمن لا يقوم بهذه النقاط الثلاث فليس هو من الحذر في شئ.

(٣ / ط ـ ١١٣) من صفات الزاهدين:

والزهد في الدنيا درجة أبعد من الحذر من الدنيا، وقد اشار الامام الى بعض صفات الزاهدين، فقال:

(إِنَّ ٱلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا) لهم مظاهر لاينبئ عن حقيقتهم لمقام الحذر المستولي عليهم، وهي صفات ثلاث، نبه عليها بقوله:

تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنّ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ[٣] أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا.

١ – (تبكي قلوبهم وان ضحكوا) فالمظهر الخارجي هو الضحك والابتسامة، ولكن ذلك يقارن مع البكاء في القلب ؛ لمعرفة الانسان حقيقة نفسه احسن من غيره.

٢ – (ويشتد حزنهم وان فرحوا) فان الفرح ظاهراً في المناسبات المطلوبة فيها ذلك مقارنة بالحزن القلبي الناشئ من حالة الحذر التي يعيشونها.

---

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) الرعد: ٣١.

(٣) في هـ ب: المقت: البغض.

٣ـ(ويكثر مقتهم انفسهم وان اغتبطوا بما رزقوا) والغبطة هي الرغبة في حصول الشئ للانسان كما هو حاصل لاخر، وهي على الضد من الحسد الذي هو تمني زوال النعمة عن الاخرين.

والزاهد لا يغتر بما يمدحه به الاخرون؛ لما فيه من الصفات التي رزقة الله تعالى، فانهم يكرهون انفسهم لمعرفة تقصيرهم في اداء ما هو المطلوب منهم؛ لعظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم.

(٤/ط-١١٣) الآجال والآمال:

واشارالامام عليه السلام الى سببين رئيسيين في كون حب الدنيا موثرا في حياة الناس وما لذلك من اثار على الحياة، بقوله:

قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ ٱلْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ[١] ٱلْآمَالِ، فَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنْ ٱلْآخِرَةِ، وَٱلْعَاجَلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ ٱللهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إلاَّ خُبْثُ ٱلسَّرائِرِ، وَسُوءُ ٱلضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ[٢] وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ.

أولا: (قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال) فإن نسيان الأجل يلازم تأخير الواجبات عن اتيانها في أوقاتها.

ثانيا: (وحضرتكم كواذب الآمال) فان الأمل يلازم التثاقل في العمل بالمسؤولية في الحاضر، وخاصة الآمال الكاذبة منها.

وهذان الأمران يولدان سلسلة من الانحرافات في السلوك في الحياة، اشار الامام عليه السلام منها الى:

١ – (فصارت الدنيا أملك لكم من الاخرة) فانّ التعوّد على الامل الكاذب يجعله طبيعة ثانوية حاكمة على حياة الفرد.

٢ – (والعاجلة اذهب لكم من الاجلة) ويعتمد الانسان على الشئ الحاضر مكتفيا به عما هو في المستقبل، ثم مثل لذلك مثالا ظاهرا في كل مجتمع من الاسر والقبائل والامم.

٢ – (وانما انتم اخوان على دين الله) فيكم العوامل التي توحدكم في العقيدة واللغة والادب، اكثر من العوامل التي توجب تفرقكم؛ فانه يجمعكم الايمان بالله سبحانه مع ان

---

(١) في هـ ب: جمع كاذبة.

(٢) في هـ ب: فلا توازرون، أي لا يحمل بعضكم الثقل عن بعض، ويجوز ان يكون من الوَزَر، وهو الملجا، ويروىٰ «تأزّرون» من الأزر، وهو القوّة.

واقع الحال الفروق العصبية هي التي تحكم المجتمع الواحد المؤمن بالله ربا وبمحمّد رسولا وبالقران كتابا وبالكعبة قبلة، حالكونكم اخوانا في دين الله .

فان الاسباب الموجبة للتفرقة ترجع الى ما تقدم من غياب الاجال وكواذب الامال، واشار الى بعض منها بقوله:

٤ – (ما فرق بينكم إلّا خبث السرائر) التي انطوت عليه اسرارهم الخبيثة .

٥ – (وسوء الضمائر) فاختلف الظاهر الحسن من الباطن السيئ .

٦ – (فلا توازرون) مع ان الله امر به فقال: (تعاونوا على البر والتقوى) .

٧ – (ولا تناصحون) مع ان رسول الله امر بها، فقال:«الدين النصيحة» .

٨ – (ولا تباذلون) في سبيل الله لاسعاد فقراء المجتمع.

٩ – (ولا توادون) على كثرة ما امر الاسلام به من التأكيد على العطف على الفقراء والمسلمين.

وكل هذه الاثار ترجع الى غياب الاجال وكواذب الامال .

(٥/ط - ١١٣) تناقض المواقف:

وعلى اثر فقدان الرؤية الواضحة للمسؤوليات وتغلب العادات بسبب غياب ذكر الاجال وحضور كواذب الامال، يحصل للانسان حالة تناقض في المواقف في الدنيا، وقد أشار الى ذلك بقوله:

مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ ٱلدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمْ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقلِقُكُمْ[١] الْيَسيرُ من الدُّنيا يَفُوتكُمْ؛ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ[٢] مِنْهَا عَنْكُمْ[٣]، كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ.

وَمَا يَمْنَعُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ؛ إلاَّ مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ.

١ – (ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الاخرة تحرمونه؟) فان هاتان حالتان متناقضتان، فان العاقل لا يقنع باليسير من الدنيا عوضا عن الكثير في الاخرة، مع العلم بان الفرح الدنيوي اليسير الزائل قليل اذا قيس بالكثير الذي يكون خالدا، فيجب ان يكون العكس، وليس هذا ناشئا إلّا من ضعف الرؤية .

---

(١) في هـ ب: أي يحزنكم، بأن يظهر الغم والقلق لفوت اليسير من اليسير من الدنيا في بشرة وجوهكم.

(٢) في هـ ب: وفي قلّة صبركم عمّا زوي ـ أي قبض ـ منها، اي من الدنيا.

(٣) في هـ ب، وفي نسخة: منكم.

ثانيا- (ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم، وقلة صبركم عما زوي منها عنكم كانها دار مقامكم، وكأن متاعها باق عليكم) فان القلق من فوت اليسير الزائل له اثر ظاهر في الوجوه، واظهار الضجر يكشف عن رؤية ضعيفة ؛ لتوهم ان الدنيا دار المقام، وان ما فيها من اليسير باق للانسان، فلو كانت الرؤية واضحة لعمل بقوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم﴾[١].

ثالثا- (وما يمنع احدكم ان يستقبل أخاه بما يخاف من عيبه إلّا مخافة ان يستقبله بمثله) ولو كانت الرؤية واضحة لعلم ان الغيبة محرمة؛ وان الله قارنها بأكل لحم الميتة؛ سواء استقبل اخاه حاضرا أو كان غائبا؛ فانه يجب عليه ان يكون مسلما ملتزما بواجبه الاخلاقي عن رؤية واضحة، فلا يمنعه أداء الواجب خوف المعاملة بالمثل بل يؤدي واجبه كما يمليه عليه دينه، فلا يغتاب احدا قط، واذا واجه من يستحق النصيحة نصحه، ومن يستحق القطيعة قطعه، من دون خوف أو وجل للتعامل بالمثل، فان السبب الرئيسي في هذه المواقف المتناقضة هو الامران المتقدمان؛ من رفض الاجل وحبّ العاجل.

(٦ / ط - ١١٣) النتيجة المحتومة:

واشار الامام في آخر المقطع الى النتيجة المحتومة للمواقف المتناقضة بسبب الرؤية الضعيفة للمبادئ الاسلامية ان يصبح للانسان طبيعة جديدة منحرفة عن تلك الاسس، فقال عليه السلام :

قَدْ تَصَافَيْتُمْ[٢] عَلَى رَفْضِ ٱلْآجِلِ، وَحُبِّ ٱلْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً[٣] عَلَى لِسَانِهِ، صَنِيعُ مَنْ فَرَغَ[٤] مِنْ عَمَلِهِ، وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ.

اولا :(قد تصافيتم على رفض الاجل وحب العاجل، وهما السببان الرئيسيان للانحراف عن المبادئ الاسلامية، وقد اصبح الاعتماد عليهما طبيعة ثانوية لكم، لانكم لم تذكروا الموت، وأحببتم الحاضر، وحالة كهذه تنتج نتيجة محتومة، هي:

ثانيا: (وصار دين أحدكم لعقة على لسانه) واللعقة: الشئ القليل يؤخذ بالملعقة من الاناء، والمراد هنا: الكلام باللسان بما لا يطابق ما في القلب، اذ لو كان يوافق العمل معه لما افترقا، فليس هو سوى كلام ظاهري باللسان فقط، من دون اعتقاد.

---

(١) الحديد: ٢٣.
(٢) في هـ ب: من الصفاء.
(٣) في هـ ب: ما يلعقه علىٰ اللسان ولا يمكن اكله، وانما هو يمسه بلسانه، واللعقة اسم .
(٤) في هـ. د: صنع من فرع ـح .

ثم مثل هذه الحالة بقوله:

ثالثا: (صنيع من قد فرغ من عمله واحرز رضى سيده) حيث يعتقد بانه يقوم بالدور المطلوب منه، قد ادى واجبه المطلوب منه العمل به.

ونتيجة ذلك: ان يكون قد أحرز رضا سيده بهذا العمل.

وبالاجمال؛ فان الثالث هو نتيجة الثاني، وان الثاني مترتب على الاول، فاذا أراد الانسان تصحيح موقفه وجد ان الرؤية الواضحة تقتضي ذكر الاجل والعاقبة لاي عمل، وعدم الاغترار بالعاجل مهما كان مغريا، فان الدعايات لا تقوم إلّا على الكذب، فاذا لم يغتر الانسان بكواذب الامال تحققت له رؤية واضحة في الحياة، ولا تصبح له طبيعة ثانوية، ولا يكون الدين لعقة لسان له، ولا يرضى بعمله إلّا بعد ان يؤديه كما هو المطلوب من الانسان المسؤول في الحياة .

[١١٤]

ومن خطبة له عليه السلام:

استفتح الامام هذه الخطبة بالحمد والشهادتين، وصفة التقوى وصفة الدنيا واثارها والمقارنة بين الدنيا والاخرة في العيان والسماع والزيادة والنقصان والرزق والعمل ونتيجة المقارنة؛ فقال:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْوَاصِلِ اَلْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَاَلنِّعَمَ بِالشُّكْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلاَئِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلاَئِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هٰذِهِ اَلنُّفُوسِ اَلْبِطَاءِ[١] عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، اَلسِّرَاعِ[٢] إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ اَلْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى اَلْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلاَصُهُ اَلشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ اَلشَّكَّ.

(١ / ط - ١١٤) حمد الله تعالى:

استفتح الخطبة بحمد الله مع صفة واحدة للذات المقدسة، فقال عليه السلام: (الحمد لله الواصل الحمد بالنعم، والنعم بالشكر) فان الحمد وان كان صادرا من العبد، إلّا ان القدرة التي وهبه الله للعبد هي التي جعلته قادرا على الحمد، فالله هو مسبب الاسباب. واشار الى تسلسل الاسباب والمسببات بان الله سبحانه هو (الواصل) بين الحمد والنعم، كما هو الواصل بين النعم والشكر، فيكون الشكر من العبد متصلا بالنعمة من الله سبحانه، كما ان الحمد من العبد متصل بالنعمة من الله سبحانه، وهذه الصلة بينها لم تكن تتحقق لولا ان جعل الله سبحانه العبد قادرا على الحمد، فتسلسلت هكذا: القدرة – الحمد – النعمة – الشكر.

وعن موارد الحمد، قال عليه السلام: (نحمده على آلآئه كما نحمده على بلائه) فان كل ما كان من الله سبحانه فهو لما يراه خيرا للعباد، فكما ان الآلآء والنعماء خير يحس به العبد في حياته، فكذلك البلاء الذي يمتحن به، فهو أيضا خير حيث يدرّبه على مواجهة انواع البلاء بالصبر والمقاومة بشجاعة من دون ترديد أو خنوع.

ثم ذكر الاستعانة بالله بقوله: (ونستعينة على هذه النفوس البطاء عما أُمرت به، السراع الى ما نهيت عنه) فان النفوس بحكم طبيعتها البشرية بطيئة في امتثال الاوامر الالهية، ولكنها سريعة في ارتكاب النواهي الشرعية. كل ذلك لضعف الطبيعة البشرية في مقاومة

---

(١) في هـ ب: جمع بطيء.

(٢) السراع: جمع سريع.

الوساوس الشيطانية، وذلك يقتضي الاستغفار، فقال: (ونستغفره) وحيث ان موارد الاستغفار مما لا تحفظها الطبيعة البشرية الناقصة، أشار الى اربع موارد عامة، هي:

١ – (مما أحاط به علمه) فهو بكل شئ عليم.

٢ – (واحصاه كتابه) الذي لا يغادر صغيرة ولاكبيرة إلّا احصاها [(١)].

٣ – (علم غير قاصر) كما هو الحال في علم البشر الناقص؛ لضعف الصفة البشرية.

٤ ـ (وكتاب غير مغادر) فلا يترك شيئا عمله الانسان في حياته، قال تعالى: ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها﴾[(٢)] فاذا لا يتمكن الانسان الجاهل من احصاء موارد الاستغفار، فالاحالة الى علمه تعالى تكون كافية، وعقب ذلك بالاقرار بالايمان بالله سبحانه بخصائص اربع، هي:

١ – (ايمان من عاين الغيوب) يعني بالقلب، فان الذين يؤمنون بالغيب يكون لهم عيانا في قلوبهم.

٢ – (ووقف على الموعود) من الله سبحانه وتعالى من جراء الايمان بالغيب، والله لا يخلف وعده.

٣ – (ايمانا نفى اخلاصه الشرك) فهو ايمان حقيقي.

٤ – (ويقينه الشك) فان اليقين ينفي الشك، فليس الايمان مجرد التلفظ باللسان، بل نابع من القلب.

(٢ / ط ـ ١١٤) الشهادتان:

ثم عقب ذلك بالشهادتين:

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ[(٣)] ٱلْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ ٱلْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلاَ يَثْقُلُ مِيزانٌ تُرْفَعَانِ مِنْهُ[(٤)].

اولا: الشهادة الاولى بقوله: (ونشهد ان لااله إلّا الله وحده لا شريك له) بما ينفي الشرك عن الذات المقدسة.

ثانيا: الشهادة الثانية بقوله: (وان محمّداﷺ عبده ورسوله) بما يجمع بين الرسالة

---

(١) اقتباس من الكهف : ٤٩.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) في هـ. د: تسعدان ـ ك م، وروي بالصاد ـ ر.

(٤) في هـ. د: عنه ـ ن.

الالهية والطبيعة البشرية له .

وقد وصف هاتين الشهادتين بصفات اربع، هي:

١ - (شهادتين تصعدان القول) فان الشهادتين قول طيب وعمل صالح و ﴿اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾(١)

٢ - (وترفعان العمل) ودون رفعهما، اي قبولهما، لا تكون الشهادتان حقيقية، بل مرفوضة.

٣ - (لا يخف ميزان توضعان فيه) فان الثقل المعنوي لهما يوجب ان يكون الميزان راجحا.

٤ - (ولا يثقل ميزان ترفعان عنه) لان الخفة المعنوية لهما -كما لو كانت من دون اعتقاد جازم - يوجب عدم قبولهما، فلا تكون الشهادتان مقبولتين بدون تحقق هذه الاوصاف لهما.

(٣ / ط - ١١٤) التقوى وآثارها:

واشار عليه السلام الى صفة التقوى اولا، ثم آثارها في الحياة ثانيا، فقال:(اوصيكم عباد الله بتقوى الله) .

ومن صفات التقوى قال :

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَىٰ ٱللهِ ٱلَّتِي هِيَ ٱلزَّادُ، وَبِهَا ٱلْمَعَاذُ، زَادٌ مُبْلِغٌ، وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ(٢)، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وَفَازَ وَاعِيهَا.

عِبَادَ ٱللهِ؛ إِنَّ تَقْوَى ٱللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ(٣)، فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ(٤)، وَالرِّيَّ بِالظَّمَأِ، وَٱسْتَقْرَبُوا ٱلْأَجَلَ فَبَادَرُوا ٱلْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا ٱلْأَمَلَ فَلاَحَظُوا(٥) ٱلْأَجَلَ.

١ - (التي هي الزاد) في رحلة الآخرة، حيث لا ينفع فيها شئ سوى التقوى والعمل الصالح .

٢ - (وبها المعاذ) والتوقي والاعتصام من عذاب الله سبحانه في يوم الحساب .

---

(١) فاطر: ١٠.

(٢) في هـ ب: أي حفظها خير حافظ، وهذا اشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ والتي اتفق المفسرون علىٰ انها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) في هـ ب: يقول نهارهم صائمين، وليلهم قائمين مخافة الله وشفاههم ضماء.

(٤) في هـ ب: أي بالتعب.

(٥) في هـ ب: أي في نظرهم.

٣ – (زاد مبلغ) لانه يبلغ الى المقصد المطلوب من دون جوع أو عطش .

٤ – (ومعاذ منجح) يصادف عنده النجاح مما يعتصم منه .

٥ – (دعا اليها اسمع داع) وهو النبي ﷺ الذي أسمع عن الله سبحانه حيث قال:﴿اتقوا الله﴾[١] .

٦ – (ووعاها خير واع) فان أي انسان يعي تلك الدعوة الالهية يكون خير واع .

٧ – (فاسمع داعيها) وقام الرسول الداعي ﷺ بواجبه الرسالي فاسمع المسلمين هذه الدعوة المباركة.

٨ ـ (وفاز واعيها) فمن وعاها – ومن شرائط الوعي: العمل بها – يكون فائزا.

وهذه النقاط الثمانية تلازم أية دعوة صالحة صادقة، وليس أصدق منها: الدعوة الى تقوى الله سبحانه.

وعن آثار التقوى قال عليه السلام : (عباد الله) من دون تفريق بين الطبقات، فان لزوم الاتصاف بالتقوى يعم جميع العباد، ومنها :

١ – (ان تقوى الله حمت اولياء الله محارمه) فالاولى: ان آثار التقوى تحمي أولياء الله وتمنعهم من محارم الله فهم يتوقون ما فيه شبهة حرمة .

٢ – (والزمت قلوبهم مخافته) فان خوف الله سبحانه يكون ملازما لقلوبهم، لا يمكن ابعادها عنهم.

٣ – (حتى اسهرت لياليهم) بعبادة الله سبحانه وقيام الليل والتهجد.

٤ – (وأظمات هو اجرهم) والهاجرة: شدة الحر في النهار، وذلك بالصيام في النهار .

٥ – (فاخذوا الراحة بالنصب) وهو التعب في العمل المسؤول عنه في الحياة، والعبادة وغيرها في الليل.

٦ – (والريّ بالضمأ) واختاروا الصيام في الهاجرة ضمأ بدل الري من الماء فيه.

٧ – (واستقربوا الاجل) وهو المدة، فرأوها مدة قريبة.

٨ – (فبادروا العمل) وقاموا بواجبهم كانه عمل قليل يستحق المبادرة اليه.

٩ – (وكذبوا الامل) الذي يدعوا الى تأخير العمل، فلم يؤخروه .

١٠ – (فلاحظوا الاجل) وهو الموت، فان ذكر الموت يقطع الأمل ويحثّ على العمل بالواجب في أسرع وقت ممكن، حيث لا ضمان من الموت.

---

(١) في موارد متعددة من القرآن الكريم، منها البقرة: ١٩٤.

وهذه النقاط العشر من آثار التقوى، فاذا فقدت لا يكون التقوى حقيقة.

(٤/ط - ١١٤) صفة الدنيا وآثارها:

ويتضمن هذا المقطع صفة الدنيا واثارها، وقد اشار الامامعليه السلام الى صفات اربع، شرح كل منها وقال:

ثُمَّ إِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغِيَرٍ[١] وَعِبَرٍ.

فَمِنَ ٱلْفَنَاءِ: أَنَّ ٱلدَّهْرَ مُوتِرٌ[٢] قَوْسَهُ، لَا تُخْطِىءُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤْسَى[٣] جِرَاحُهُ، يَرْمِي ٱلْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ[٤]، آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ[٥].

وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ: أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ[٦] مَالاَ يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَالَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ٱللهِ، لَا مَالًا حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ.

وَمِنْ غِيَرِهَا: أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، وَالمغْبُوط مَرْحُوماً[٧]، لَيْسَ ذَلِكَ إلاَّ نَعِيماً زَلَّ[٨]، وَبُؤْساً نَزَلَ.

وَمِنْ عِبَرِهَا: أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلاَ أَمَلٌ يُدْرَكُ، وَلاَ مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ.

(ثم ان الدنيا دار) وذكر من صفاتها الاربع الاتية:

١ ـ (فناء) لان الدنيا تفني كل من عليها وما فيها، من البشر والحيوان والنبات والعمران.

٢ ـ (وعناء) لانها تصاحب العناء المستمر المتلازم مع الحياة.

٣ ـ (وغير) فانها تتغير في كل آن ودقيقة وساعة ويوم وليلة وفصل وسنة.

٤ ـ (وعبر) فانها في كل ذلك عبرة لمن اعتبر، وما اكثر العبر وأقلّ الاعتبار؟

ثم شرح كلا من الاوصاف الاربعة في نقاط:

---

(١) في هـ ب، وفي نسخة: توتّر، أي يجعل الوتر فيها ويتهيأ للرمي.
(٢) الغِيَر: تقلّب الأحوال.
(٣) في هـ ب: أي لا تعالج وتندمل.
(٤) في هـ ب: أي بالهلاك.
(٥) في هـ ب: أي لا يروىٰ، يقال: نقعت، أي ارويت.
(٦) في هـ ص، وفي نسخة: ان المرء بجمع.
(٧) في أ وهـ. د: ترىٰ المغبوط مرحوماً والمرحوم مغبوطاً ـ ف ن، وفي هـ ب: أي انك ترىٰ من كان يعيش العيش الخشن [مغبوط علىٰ ما عنده من النعم المحدودة].
(٨) زِل: أي زليل، والزلول: الذي يمرّ سريعاً، ويحتمل أن يراد به نعمة اسداها. من أزل إليه النعمة: إذا أسداها.

فأولا عن وصف الفناء قال عليه السلام: (فمن الفناء) النقاط التالية:

١ ـ (ان الدهر موتر قوسه) فكأن الدهر يحمل قوسا يرمي بواسطتها اهل الدنيا.

٢ ـ (لا تخطىء سهامه) فيصيب كل سهم ما قصده الرامي.

٣ ـ (ولا توسي جراحه) اي لا تطيب ولا تصلح الجرح بالدواء.

٤ ـ (يرمي الحي بالموت) فان من سهام الدهر: الموت، الذي يرمي به الاحياء.

٥ ـ (والصحيح بالسقم) ويرمي بسهم السقم الاصحاء.

٦ ـ (والناجي بالعطب) ويرمي بسهم العطب الناجي من العيب.

٧ ـ (آكل لا يشبع) فكم من دفين في الارض على اثر الموت والزلازل والعواصف؟

٨ ـ (وشارب لا ينقع) فلا يرتوي بالشرب قط مع كثرة الامطار والسيول.

وثانيا: عن وصف العناء، قال عليه السلام: (ومن العناء):

١ – (ان المرء يجمع ما لا يأكل) فيدخر من المال فوق حاجته، ومالا ينتفع به من الاكل في الدنيا.

٢ – (ويبني ما لايسكن) من الدار والعقار فوق حاجة سكناه في الدنيا.

٣ – (ثم يخرج الى الله تعالى) بالموت الذي يرصده حالكونه (لا مالا حمل) الى القبر (ولا بناء نقل) معه في مسيرته الجديدة .

وثالثا: وعن وصف الغِيَر قال عليه السلام:

١ – (انك ترى المرحوم مغبوطا) بان ترى الفقير الذي يرحمه الناس بالتصدق عليه يصبح غنيا يغتبطه الناس على منزلته الجديدة.

٢ – (والمغبوط مرحوما) بان ترى من ينقلب عليه الدهر من الاغنياء وهو مغبوط، بل محسود، يغلب عليه السلطان أو تخسر تجارته، فيصبح انسانا فقيرا يترحم عليه الناس.

٢ – (ليس ذلك إلّا نعيما زلّ) فان هذا التغيير من حالة الفقر والغنى والرحمة والغبطة هو بسبب النعيم الذي زلّ ـ أي مرّ ـ سريعا.

٤ – (وبؤسا نزل) في حياة الطائفة الثانية.

وكم يحتفظ التاريخ في ذاكرته من المعمرين، ومن حوادث الدهر واخبار الطائفتين؟

ورابعا: قال عن وصف العِبَر، ما نصه: (ومن عِبَرها):

١ – (ان المرء يشرف على أمله) فيكون قريبا مشرفا على حصول ما يريد، ولكن فجأة (فيقطعه حضور أجله) بالموت، فلا يتحقق له ما يريد.

٢ – (فلا أمل يدرك) على العلم واليقين في هذه الحياة.

٣ - (ولا مؤمل يترك) حيث يبقى أصحاب الآمال يعلقون آمالهم على المستقبل.

(٥/ط - ١١٤) **وبالاجمال:**

ان هذه الصفات الاربعة للدنيا من الفناء والعناء والغير والعبر، وكل ما لها من الآثار توجب الزهد في الدنيا، وقد لخصها عليه السلام بانها صفات متضادة، بقوله:

فَسُبْحَانَ ٱللهِ[١] مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا، وَأَظْمَأَ رِيَّهَا، وَأَضْحَى[٢] فَيْئَهَا. لاَ جَاءٍ[٣] يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ، فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَقْرَبَ ٱلْحَيَّ مِنَ المَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ المَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

١ - (فسبحان الله ما اعز سرورها) فان السرور الزائل سرور عزيز جدا.

٢ - (واضمأ ريّها) فان الري يرفع العطش، والظمأ هو العطش.

٣ - (وأضحى فيئها) والضحي: الظهور للشمس، والضحي: الظل بعد الزوال .

٤ - (لا جاء يرد) فان الموت الذي يجئ لا يمكن رده قط .

٥ - (ولا ماض يرتد) وما تولى من الزمان لا يمكن إرجاعه .

وأشار الى نتيجة هذه الاوصاف المتضادة بان الميت والحي مخلوقان يتصفان بوصفين متضادين، أشار اليهما بقوله:

٦ - (فسبحان الله، ما اقرب الحي من الميت للحاقه به) فالميت وان كان سابقا الى القبر، فان الحي سيلحقه في مسيرته ويتقدم نحو الموت ثانية بعد ثانية .

٧ - (وابعد الميت من الحي لانقطاعه عنه) فان الميت بحكم سبقته بالموت بعيد من الحي بسبب قطع الموت الصلة بينهما.

وتكفي هذه الصفات المتضادة تزهيدا في الدنيا.

(٦/ط - ١١٤) **المقارنة بين الدنيا والاخرة:**

قارن عليه السلام بين الدنيا والاخرة من ناحيتين، في العيان والسماع والنقص والزيادة.

فأولا: عن العيان والسماع، قال عليه السلام :

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيرٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِن ٱلآخِرَةِ عِيَانُه أعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ،

---

(١) في هـ ب: تعجب منه عليه السلام .

(٢) في هـ ب: أبرز للشمس.

(٣) في هـ ب: من المحيي.

فَلْيَكْفِكُمْ مِنْ ٱلْعِيَانِ ٱلسَّماعُ[١] وَمِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلخَبَرُ.

١ – (انه ليس شيئ بشرّ من الشر إلّا عقابه) فان العقاب هو نتيجة الشر، فالعقاب اعظم شرا منه، ودونه كل شرّ.

٢ – (وليس شيئ بخير من الخير إلّا ثوابه) فان الثواب نتيجة الخير، فهو اعظم خيرا من كل خير.

وبعد هذه المقدمة القصيرة الواضحة قارن بين الدنيا والاخرة، فقال:

٣ – (كل شيئ من الدنيا سماعه اعظم من عيانه) حيث يسمع الانسان الوصف المرغب فيه، فاذا واجه الحقيقة فقد لا يكون كما وصف له، فيكون السماع اعظم من المشاهدة.

٤ ـ (وكل شيئ من الاخرة عيانه اعظم من سماعه) فان كل ما يوصف الاخرة به من الاوصاف المرغبة فيها، انما هو دون الحقيقة التي هي في الاخرة، والتي لا يعلمها إلّا الله سبحانه ومن وصل اليها.

ولا يمكن الوصول اليها في الدنيا، فالوصف لها دائما هو دون الموصوف.

ولا يمكن وصف ذلك للانسان المادي، ولايكون التمثيل بالماديات إلّا لعدم امكان التعريف بحقيقة الاخرة، ومن اجل ذلك لا محيص سوى قبول السماع في وصف الاخرة، فقال عليه السلام:

٥ ـ (فليكفكم من العيان السماع) حيث لايمكن العيان (ومن الغيب الخبر) حيث لا يعلم الغيب إلّا الله سبحانه، وهو اصدق المخبرين.

(٧ / ط ـ ١١٤) الزيادة والنقص:

ثانيا: عن النقص والزيادة، قال عليه السلام:

وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَزَادَ فِي ٱلْآخِرَةِ، خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنْ ٱلْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا، فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابحٍ، وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ.

إِنَّ ٱلَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ ٱلَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ. فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا ٱتَّسَعَ.

١ – (واعملو ان ما نقص من الدنيا وزاد في الاخرة خير مما نقص من الاخرة وزاد في الدنيا) فان الزيادة في الدنيا محدودة بمدة العمر، وما في الاخرة خالد، فالناقص الخالد خير من الزائد المحدود بالعمر، وبطريق اولى يكون الزائد في الاخرة خيرا مما نقص في

---

(١) في هـ ب: أي حسبكم بالسماع، لا أن تدخلوا في النار.

الدنيا.

٢ – (فكم من منقوص رابح) أي المنقوص في الدنيا من الماديات المتراكمة من الحلال والحرام والمشتبهات، رابح في الآخرة لاجتنابه التبعات.

٣ – (ومزيد خاسر) فكم من مزيد في الدنيا لماديات متراكمة من الحلال والحرام والمشتبهات خاسر في الاخرة لما يتحمل من التبعات.

ثم اشار عليه السلام الى ان الخسارة التي يتصورها الانسان في الدنيا يمكن جرها بالطرق المشروعة فليس الحياة في الدنيا متوقفة على ارتكاب المحرمات فقط؛ لان مبادئ الشريعة مبادئ عادلة وعملية، والمحرمات معدودة وليست الطريقة الوحيدة في المعاش، بل قد احل الله من طريق الحلال ما يغني عن الحرام، فقال عليه السلام :

٤ – (ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه) حيث امر الله سبحانه بالتجارة عن تراض والعدالة في المجتمع وما شابه ذلك من الاوامر الشرعية التي توجب التكليف في الدنيا ولكنه لم يكلّف نفسا إلّا وسعها[١].

٥ – (وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم) ففي الواقع العملي نجد ان الاعمال المحللة الشرعية اكثر بكثير من المحرمات الشرعية، قال تعالى: ﴿احل الله البيع وحرم الربا﴾[٢] فانه قد حرم الله الربا دون سائر اصناف التجارات مثلا.

وهذه المقارنة بين النقص والزيادة في الدنيا والاخرة يقتضي النتيجة التالية، وهي:

٦ – (فذرروا ما قل لما كثر) بالزهد عن قليل الدنيا الفانية لاجل النعيم الكثير الخالد في الاخرة.

٧ – (وما ضاق لما اتسع) بالاعراض عن المحرمات المعدودة الى ما امر الله سبحانه به من انواع التجارات وصنائع المعروف التي فيها خدمة للمجتمع والوطن.

(٨ / ط - ١١٤) الرزق والعمل:

وختم المقطع بالمسؤولية المؤدية في الدنيا لتحصيل الرزق بالعمل بقوله:

قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلاَ يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ[٣] أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ ـ وَٱللهِ ـ لَقَدِ ٱعْتَرَضَ الشَّكُّ، وَدَخَلَ[٤] ٱلْيَقِينُ، حَتَّى كَأَنَّ

---

(١) البقرة : ٢٨٦.

(٢) النور: ٧٥؟.

(٣) في هـ. د: المضمون طلبه ـ ع .

(٤) في هـ ب: أي اختلط.

ٱلَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وَضِعَ عَنْكُمْ.

١ ـ (قد تكفل لكم بالرزق وامدكم بالعمل) حيث ان الله تكفل بالرزق حيث قال: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[1] ولكن في نفس الوقت امر سبحانه بالعمل فقال: ﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[2] وقال: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾[3] فلا يكون الزهد في الدنيا بترك العمل، بل يجب التوازن بينهما كما أمر القران الكريم والائمة في السنة الشريفة.

٢ – (فلا يكونن المضمون لكم طلبه اولى بكم من المفروض عليكم عمله) فان المفروض هو العمل، وهي مسؤولية فردية لكل مسلم في الدنيا، والمضمون من الله سبحانه هو الرزق، فليست هناك اولوية، بل يجب العمل كما يجب الاعتقاد بان الرزق مضمن، وان الله خير الرازقين.

وختم هذا المقطع بالتنبيه على مفهوم خاطئ للمسؤولية الفردية في الرزق والعمل، وهو اهمال العمل اتكاء على الرزق المضمون، فقال عليه السلام :

٤ – (مع انه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين) وقد اقسم الامام عليه السلام على خطأ هذا المفهوم، وهو الشك العارض الذي خالط اليقين، واصبح داخلا في اليقين، واوضح هذا الشك المعترض بقوله:

٥ – (حتى كأنّ الذي ضمن لكم قد فرض عليكم) فكأنّ الرزق الذي ضمنه الله للمسلم المفروض عليه العمل هو الذي كان مفروضا من الله، مع ان المفروض هو العمل، وان ضمان الرزق اعتقاد، وليس عملا.

٦ – (وكأن الذي قد فرض عليكم قد وضع عنكم) فكأن الرزق الذي فرضه الله عليكم قد وضع عنكم.

وقد فنّد الامام هذا الشك الذي خالط اليقين بان الله سبحانه ضمن الرزق، ولكن في نفس الوقت فرض العمل، فالانسان المسلم عليه مسؤولية فردية للعمل الذي هو مفروض عليه، وفي نفس الوقت عليه أن يعتقد بان الرزق مضمون من الله، فاذا احدهما عملي والاخر اعتقادي.

(٩ / ط - ١١٤) منهاج الحذر:

---

(١) الصلاة: ٢.

(٢) التوبة : ٩٤.

(٣) الزلزال:٧.

وختم المقطع بنتيجة العمل بالتقوى والتحذير من الدنيا، في نقاط، هي:

فَبَادِرُوا ٱلْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ ٱلأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ ٱلْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَا فَاتَ ٱلْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِىَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ ٱلْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ ٱلْيَوْمَ رَجْعَتُهُ، الرَّجَاءُ مع ٱلْجَائى. وَٱلْيَأْسُ مَعَ المَاضِى، ﴿فَاتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾[1].

١ – (فبادروا العمل) لان العمل مفروض على كل مسلم، حسب مسؤوليته الفردية.

٢ – (وخافوا بغتة الاجل) فان الموت لا أمان منه في الدنيا، فلا تؤخروا عمل اليوم الى غد.

٣ – (فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق) لان العمر في حركة دائبة، وما ولى من العمر لا يرجع ابدا، فلا رجاء برجوعه قط. دون رجعة الرزق، فما فات منه يرجى ان يرجع في المستقبل مادام العمر باقيا.

٤ – (ما فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته) بل لا ينحصر الرجاء برجوع الرزق الفائت، بل يرجى رجوعه مع زيادة عما كان عليه.

٥ – (وما فات امس من العمر لم يرج اليوم رجعته) على النقيض من الرزق، فلا رجعة فيه اصلا.

٦ – (الرجاء مع الجائي) وهو مستقبل العمر في الدنيا والاخرة.

٧ – (واليأس مع الماضي) وهو ماضي العمر في الدنيا.

ولخص عليه السلام الوصية بعبارة من القرآن الكريم، وهي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿فاتقو الله حق تقاته ولا تموتن إلّا وانتم مسلمون﴾.[2]

---

(١) اقتباس من سورة البقرة: ٢/١٠٢.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

[١١٥]

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء:

(١ / ط - ١١٥) في الاستسقاء:

الاستسقاء هو طلب السقي عند الجدب وقد ورد لذلك في السنة المطهرة صلاة ودعاء خاصا، عرفت بصلاة الاستسقاء، وراجع المادة في المعجم.

وروي في كتب الحديث ان اهل المدينة اصابهم قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فاستسقى لذلك.

وحصل نظير ذلك ايضا في عهد الامام عليه السلام فرويت عنه صلاة الاستسقاء وبتلك المناسبة خطب الامام هذه الخطبة، وللتفصيل راجع المسند.

وقد تضمنت هذه الخطبة مقاطع في أسباب الاستسقاء، وحالات المستسقي، والسقي المطلوب، وآثار السقي، مختتما ذلك بان الارادة الالهية قادرة على تغيير السنن الطبيعية، فإنه على كل شئ قدير.

(٢ / ط - ١١٥) اسباب الاستسقاء:

يستعرض في هذا المقطع أسباب الاستسقاء بوصف الحالة العامة الموجبة لذلك بقوله:

ٱللّٰهمَّ قَدِ ٱنْصَاحَتْ(١) جِبَالُنَا، وَٱغْبَرَّتْ(٢) أَرْضُنَا، وَهَامَتْ(٣) دَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا(٤)، وَعَجَّتْ(٥) عَجِيجَ الثَّكَالَى(٦) عَلَى أَوْلاَدِهَا، وَمَلَّتِ(٧) التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا(٨)، وَٱلْحَنِينُ إِلَى مَوَارِدِهَا(٩)!

ٱللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ ٱلْآنَّةِ، وَحَنِينَ ٱلْحَانَّةِ!

ٱللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا!

---

(١) في هـ ب: أي تشققت وجفّت.
(٢) في هـ ب: أي صارت ذات غبر.
(٣) في هـ ب: أي عطشت.
(٤) في هـ ب: من فقد الماء.
(٥) في هـ ب: تعج: تصيح من الجوع والعطش، كما تصيح النساء اللواتي مات أولادهن.
(٦) في هـ . د: الثكلىٰ ـ ع .
(٧) في هـ ب: من الملال.
(٨) في هـ ب: أي مرعاها.
(٩) في هـ ب: جمع مورد الماء.

١ – (اللّهمّ قد انصاحت جبالنا) والصوح: التشقق على اثر الجدب.

٢ – (واغبرت ارضنا) بدل ان تكون مخضرة.

٣ – (وهامت دوابنا) والهيام: العطش، فقد ادى ذلك الى ان تسيب.

٤ – (وتحيرت في مرابضها) والمربض: بيت الغنم.

٥ – (وعجت عجيج الثكالى على أولادها) والعجيج: الصياح كما تصيح الام الثكلى بولدها.

٦ – (وملت التردد في مراتعها) والمرتع: مكان الرعي فانها أخذت بالتردد بكثرة بسبب العطش.

٧ – (والحنين الى مواردها) والمورد: موضع الماء، فان الدواب تحنّ اليها عندما تكون عطشى.

وهذه الاسباب تبين الافتقار الى الماء الذي يقطع الجدب، فلا ملجأ في تغيير هذه الحالة غير الطبيعية إلّا القدرة الالهية، ولذا ختم المقطع بقوله:

(اللّهمّ فارحم انين الآنّة) وهي الدواب التي تأمن في عطنها (وحنين الحانة) حيث تحن الى مواردها.

(اللّهمّ فارحم حيرتها في مذاهبها) حيث تذهب سائمة على وجهها.

(وانينها في موالجها) وهي المداخل والمرابض التي تتوجه اليها.

فان هذه الحالة غير طبيعية لا يمكن تغييرها إلّا بقدرته تعالى.

(٣ / ط - ١١٥) حال المستسقي:

وعن حال المستسقي الذي يتأثر بهذا الجدب العام، قال عليه السلام:

ٱللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ ٱعْتَكَرَتْ[١] عَلَيْنَا حَدابِيرُ[٢] السِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخايِلُ ٱلْجَوْدِ[٣]؛ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ[٤]، وَٱلْبَلاَغَ لِلْمُلْتَمِسِ.

---

(١) في هـ ص: هو اما بمعنىٰ تتابعت وترادفت، واما بمعنىٰ الشدة، كأن مغص شديد أصابه، كما يقال: أعتكر الظلام، وفي هـ ب: اقبلت.

(٢) في هـأ: الحدابير: جمع حدبار وحدبير، وهي ـ من النوق ـ الظاهر التي قد يبس لحمها من الهزال وبدت خوافقها.

(٣) في هـ ب: المخايل: جمع مخيلة، وهي الظن. والجود: المطر.

(٤) في هـ ب، وفي نسخة: للمبيس وللملتمس، والمبتئس: الحزين والمشتكي، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَبْتَئِسْ﴾ أي لا تحزن ولا تشتكي. وفي هـ ب: أي يئس.

نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ ٱلْأَنَامُ، وَمُنِعَ[١] ٱلْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ[٢]؛ أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا؛ وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا؛ وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ ٱلْمُنْبَعِقِ[٣]، وَالرَّبِيعِ المُغْدِقِ[٤]، وَالنَّبَاتِ المُونِقِ[٥]، سَحًّا[٦] وَابِلاً، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ.

١ ـ (اللّهمّ خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين) فان الخروج الى صلاة الاستسقاء والدعاء بهذا الدعاء انما هو لحاجة ماسة، وهي حالة (اعتكار حدابير السنين) والاعتكار: ترادف بعضها البعض، والحدبار: الناقة التي تصير ضامرة بسبب السير وبسبب الجدب، فان تتابع السنين في الجدب حالة غير طبيعية، وهي تستدعي النعمة الالهية.

٢ – (واخلفتنا مخايل الجود) الجود: المطر، والمخيلة: السحابة التي لا تمطر، فان السحاب التي يتوقع منها المطر اذا لم تمطر فانها تخلف ما يتوقع منها .

٣ – (فكنت الرجاء للمبتئس) حيث ينقطع الرجاء من الوسائل الطبيعية.

٤ – (والبلاغ للملتمس) وهو الطالب، فيكون الله بلاغا أي كفاية.

٥ – (ندعوك) وحدك سبحانك، لأسباب ثلاثة:

– (حين قنط الأنام) بانقطاع الرجاء من الوسائل الطبيعية .

– (ومنع الغمام) مما يتوقع منه، وهو المطر .

– (وهلك السوام) وهي البهائم، من الابل والغنم .

٦ – (ألاّ تؤاخذنا باعمالنا) فان الجدب حالة غير طبيعية قد تكون بسبب الاعمال المحرمة.

٧ – (ولا تؤاخذنا بذنوبنا) فان من الذنوب ما تغير النعم، ومنها: نعمة المطر.

٨ – (وأنشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق) أي الممطر.

– (والربيع المعذق) والعذق: كثرة الماء.

– (والنبات المونق) الاناقة: الاعجاب.

– (سحا وابلا) الوابل: الشديد، والسح: الصب .

---

(١) في هـ ب، وفي نسخة: ومَنَعَ.
(٢) في هـ ب: أي الأنعام.
(٣) في هـأ: انبعق السحاب بالمطر: انبعج، وتعبق مثله، وهو استقامته بالمطر، وفي هـ ب: انـبعق المزن: أي تصبّب بشدة.
(٤) في هـأ: المغدق: الكثير.
(٥) المونق: المعجب.
(٦) في هـ ب: أي صباً.

- (تحيي به ما قد مات) من الزرع والبهائم .

- (وترد به ما قد فات) من الاضرار الاقتصادية المترتبة عليها.

(٤ / ط - ١١٥) السقي المطلوب:

ومن صفات السقي المطلوب ماذكره، بقوله:

اَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ[١] مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً[٢]، تَامَّةَ عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيئَةً مَرِيعَةً[٣]، زَاكِياً[٤] نَبْتُهَا، ثَامِراً[٥] فَرْعُهَا، نَاضِراً وَرَقُهَا، تُنْعِشُ[٦] بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتحْيِي بِهَا المَيِّتَ مِن بِلاَدِكَ!

١ - (اللّهمّ سقيا منك محيية) تحيي الزرع، والتي يفتقر اليها في الحياة .

٢ - (مروية) تروي الارض للنبت والبهائم والانعام .

٣ - (تامة) لا ينقصها ما يفتقر اليه لسقي الزرع .

٤ - (عامة) لكافة الاراضي المتضررة بالجدب، بدون استثناء .

٥ - (طيبة) لطهارة ماء السماء .

٦ - (مباركة) تكون مؤدية لما هو المطلوب منها .

٧ - (هنيئة) توجب الهناء في الشرب .

٨ - (مريعة) التي توجب الخصب في الزرع والثمر ، وتترتب عليها الاثار التالية:

٩ - (زاكيا نبتها) موجبا لنموّ النبات.

١٠ - (ثامرا فرعها) مسببا لنمو الثمر على فروع الاشجار.

١١ - (ناضرا ورقها) مؤثرا في نظرة اوراق الشجر.

١٢ - (تنعش بها الضعيف من عبادك) المفتقر الى الماء.

١٣ - (وتحيي بها ميت البلاد) من الاراضي المتضررة بالجدب .

(٥ / ط - ١١٥) آثار السقي:

وعن آثار السقي العامة، قال:

---

(١) في هـ ب: أي نسألك سقيا منك.
(٢) في هـ ب: أي ساقية.
(٣) في هـ ب: أي مخضبة.
(٤) في هـ ب: زكئ الشيء إذا نما.
(٥) أي مثمراً.
(٦) في هـ ب: من أنعش.

ٱللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا[١]، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا[٢]، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا[٣]، وَتُقْبِلُ بِها ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَي[٤] بِهَا أَقَاصِينا[٥]، وَتَسْتَعِينُ[٦] بِها ضَوَاحِينا[٧]؛ مِنْ بَرَكَاتِكَ ٱلْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ ٱلْجزِيلَةِ، عَلَى بَرِيَّتِكَ المُرْمِلَةِ[٨]، وَوَحْشِكَ المُهْمَلَةِ.

وَأَنْزِلْ عَلَيْنا سَمَاءً[٩] مُخْضِلَةً[١٠]، مِدْرَاراً[١١] هَاطِلَةً[١٢]، يُدَافِعُ ٱلْوَدْقُ مِنْها ٱلْوَدْقَ، وَيَحْفِزُ[١٣] ٱلْقَطْرُ مِنْهَا ٱلْقَطْرَ، غَيْرَ خُلَّبٍ[١٤] بَرْقُها، وَلَا جَهَامٍ[١٥] عَارِضُهَا، وَلَا قَزَعٍ[١٦] رَبَابُها، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُها، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا[١٧] ٱلْمجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا المُسْنِتُونَ[١٨]؛ فَإِنَّكَ تُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ[١٩].

١ ـ (اللّهمّ سقيا منك تعشب بها نجادنا) والنجد: الأرض المرتفعة.

٢ ـ (وتجري بها وهادنا) والوهدة: الارض المنخفضة.

٣ ـ (ويخصب بها جنابنا) والجناب: الناحية.

٤ ـ (وتقبل بها ثمارنا) بأن تقبل وتكثر، بدلا من ان تذوي .

٥ ـ (وتعيش بها مواشينا) بدل ان تموت.

---

(١) في هـ ص والف: أي ما ارتفع من الأرض، وفي هـ ب: جمع نجد.
(٢) في هـ ص والف: أي ما انحفض من الأرض، وفي هـ ب: جمع وهدة، وهي الحفرة.
(٣) في هـ ب: بمعنىٰ جانب.
(٤) في هـ ب: أي تبلّ.
(٥) في هـ ب: جمع اقصىٰ.
(٦) في هـ ب، وفي نسخة: وتستغني، وفي هـ. د: ويستغني ـ ن ك.
(٧) في هـ ص: هي البراري، كانها تقوىٰ بها علىٰ الانبات، وفي هـ أ: النواحي البارزة، وضاحية كل شيء: ناحيته، وفي هـ ب: حوالي البلد.
(٨) في هـ ص: المفتقرة، وفي هـ ب: فقيرة الزاد.
(٩) في هـ ب: أي غيما.
(١٠) في هـ ص: كثيرة النداوة، وفي هـ ب: منبتة، مبلّة.
(١١) في هـ ب: متتابعاً.
(١٢) في هـ ب: سائلة.
(١٣) في هـ ص: أي يعجّل، وفي هـ ب: يحفز: يدفع.
(١٤) في هـ ص: هو الذي لا يكون معه رواء.
(١٥) في هـ ص: السحاب لا ماء فيه، وفي هـ ب: السجل الذي لا ماء فيه.
(١٦) في هـ ب: القزع: المنقطع، والرباب: السحاب.
(١٧) في هـ ب، وفي نسخة: لمرعاها، والإمراع: الإخضاب.
(١٨) في هـ ب: أي المقحطون.
(١٩) اقتباس من سورة الشورىٰ: ٤٢ / ٢٨ .

٦ ـ (وتندى بها اقاصينا) أي المواضع القاصية في البعد.

٧ ـ (وتستعين بها ضواحينا) أي النواحي القريبة من المدن.

٨ ـ (من بركاتك الواسعة) التي وسعت كل شيئ.

٩ ـ (وعطاياك الجزيلة) التي هي عظيمة.

١٠ ـ (على بريتك المرملة) المرمل: الفقير الى رحمة الله.

١١ ـ (ووحشك المهملة) التي لا راعي لها من الحيوانات غير الاهلية.

١٢ ـ (وانزل علينا سماء مخضلة) والاخضال: البلة بالمطر.

١٣ ـ (مدرارا هاطلة) المدرار: الغزير السيلان، والهطل: النزول متتابعا.

١٤ ـ (يدافع الودق منها الودق) وهو المطر بسبب الكثرة، فهي تدفع بعضها البعض الاخر.

١٥ ـ (ويحفز القطر منها القطر) والحفز: الدفع بشدة، والقطر: الماء يسيل قطرة فقطرة.

١٦ ـ (غير خلّب برقها) والبرق الخلب: الذي لا مطر معه.

١٧ ـ (ولا جهام عارضها) والجهام: السحاب الذي لا مطر فيه، والعارض: ما يعرض في الجو.

١٨ ـ (ولا قزع ربابها) القزع: القطع الصغيرة، والرباب: السحاب الابيض.

١٩ ـ (ولا شفان ذهابها) والشفان: الريح الباردة، والذهاب: المطر القليل.

٢٠ ـ (حتي يخصب لامراعها المجدبون) وهم اهل الجدب، والخصب أثره تواجد ونموّ العشب والنبات في المكان.

٢١ ـ (ويحيا ببركتها المسنتون) الذين اصابتهم السنة، وهي القحط الشديد.

وقد ختم ذلك كله بالاعتبار بأن هذه الحوادث الطبيعية هي تحت قدرة الله سبحانه، بقوله: (فانك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وانت الولي الحميد.

وكل ذلك بارادتة ؛ لأنه على كل شيئ قدير.

قال الرضي في تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب[1]:

قوله عليه السلام: **«ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا»، أَيْ تَشَقَّقَتْ مِنَ ٱلْمحولِ**[2]**، يُقَالُ: ٱنصَاحَ الثَّوْبُ، إِذَا ٱنْشَقَّ. وَيقالُ أَيْضاً: ٱنْصَاحَ النَّبْتُ، وَصَاحَ وَصَوَّحَ؛ إِذَا جَفَّ وَيَبِسَ**[3].

(١) في أ قال: السيد، وفي ط : قال الشريف رحمه الله تعالىٰ.
(٢) في هـ ب: أي القحوط.
(٣) في ط زيادة: كلّة بمعنىٰ.

وَقَوْلُه عليه السلام: «هَامَتْ دَوَابُّنا» أَيْ عَطِشتْ، وَٱلْهِيَامُ: الْعَطَشُ.

وَقَوْلُهُ عليه السلام: «حَدَابِيرُ السِّنِينَ»، جَمْعُ حِدْبَارٍ؛ وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي أَنْضَاهَا السَّيْرُ؛ فَشَبَّهَ بِهَا السَّنَةَ الَّتِي فَشَا فِيهَا ٱلْجَدْبُ، قَالَ ذُوالرُّمَّةِ:

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُّ إِلَّا مُنَاخَةً عَلَى ٱلْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَداً قَفْرَا[1]

وَقَوْلُهُ عليه السلام: «وَلَا قَزَعٌ رَبَابُهَا»، ٱلْقَزَعُ: ٱلْقِطَعُ الصِّغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ. (والرباب: السحاب دون السحاب، قال الشاعر:

كأن الرباب دوين السحاب نعام تعلّق بالأرجل

والمسنتون: المقحطون[2].

وَقَوْلُهُ عليه السلام: «وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا» فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ: «وَلَا ذَاتُ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا»، وَالشَّفَّانُ: الرِّيحُ ٱلْبَارِدَةُ، وَالذِّهَابُ: ٱلْأَمْطَارُ اللَّيِّنَةُ، فَحَذَفَ «ذَاتُ» لِعِلْمِ السَّامِعِ بِهِ.

والجهام: السحاب الذي لا ماء فيه، هرق ماؤه فخفّ[3].

---

(١) في هـ ب: أي الفقر ـ ظاهراً ـ.
(٢) ما بين القوسين لم يَرد في ط .
(٣) ما بين القوسين لم يرد في ط .

[١١٦]

ومن خطبة له عليه السلام ينصح أصحابه:

يتضمن هذا المقطع امورا أربعة من العلم الكامل، ونسيان الواجب، وموقف الامام، والبناء للمستقبل.

(١/ط - ١١٦) الرسول القائد صلى الله عليه وآله:

وصف الامام عليه السلام الرسول القائد صلى الله عليه وآله بأوصاف شاهدها منذ عهد الصبا، فهي شهادة عن رأي العين ، فقال عليه السلام:

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى ٱلْحَقِّ، وَشَاهِداً عَلَى ٱلْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، غَيْرَ وَانٍ[1] وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي ٱللهِ[2] أَعْدَاءَهُ، غَيْرَ وَاهِنٍ[3] وَلَا مُعَذِّرٍ[4]، إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى، وَبَصَرُ[5] مَنِ ٱهْتَدَى.

١ ـ (ارسله داعيا الى الحقّ) لان رسالته الاسلامية دعوة الى الحق الذي هو أحق بأن يتّبع من الباطل المتمثل بالشرك والظلم.

٢ ـ (وشاهدا على الخلق) حيث أرسله سبحانه (شاهداً ومبشراً ونذيراً) يشهد على الخلق بأعمالهم.

٣ ـ (فبلّغ رسالات ربّه) حيث قام بتبليغ الرسالة كما أمر (غير وانٍ) والواني: الفاتر المتثاقل في اداء واجبه .

(ولا مقصر) وهو من لا يؤدي الواجب عن عمد. فكان تبليغ الرسول القائد للرسالة بمنتهى الدقة والجهد وواجه الكثير من المشاكل في طريق الدعوة حتى قال: «ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت».

٤ ـ (وجاهد في الله أعداءه) حيث امتازت الشريعة الاسلامية على غيرها من الاديان والمذاهب بالجهاد.

(غير واهن) والوهن: الضعف .

(ولا معذّر) وهو الذي يعتذر عن تقصيره بعذر، فكان جهاده عن شجاعة لا موضع

---

(١) في هـ ص: الواني: الكالّ، وفي هـ ب: أي غير ضعيف.
(٢) في هـ . د: وجاهد في سبيل الله ـ م .
(٣) في هـ ص وب: أي ضعيف.
(٤) في هـ ص: الذي يعتذر ولا عذر له، وفي هـ ب: مصرّ.
(٥) في ب: وبصير، وفي هـ ب، وفي نسخة: وبصر، وفي هـ . د: بصر ـ ض ح ف .

للتقصير فيها، حتى يفتقر الى عذر.

٥ ـ (إمام من اتّقى) الله في حياته وسلوكه، حيث اجتمعت خصال النبوة فيه.

٦ ـ (وبصر من اهتدى) حيث ختمت به النبوّة، فكانت سيرته كالعين الباصرة لكل الانبياء الذين خلو من قبله، وجامعة لروح الشرائع السابقة حتى تمكن من تأسيس حكم الله سبحانه على الارض.

(٢ / ط ـ ١١٦) أصحاب الامام:

ووصف الامام الجماعة المخاطبين من اصحابه بالاشارة الى مستوى وعيهم ونسيانهم للواجب، وموقف الامام تجاههم، والاخبار عما سوف يترتب على اهمال واجباتهم في المستقبل.

منها:

لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ؛ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ(١)، تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ(٢) عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا، وَلَا خَالِفَ(٣) عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ(٤) كُلَّ ٱمْرِيءٍ نَفْسُهُ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا.

(٣ / ط ـ ١١٦) مستوى الوعي:

وعن مستوي وعي الجماعة للمسؤوليات والاهداف الاسلامية عبر الامام عليه السلام بقوله:(بما طوي عنكم غيبه) فان العلم الكامل بالاسباب والنتائج يستدعي تفرغاً كاملاً لايصل اليه إلّا من يستهين بمشاغل الحياة المادية، ويستعد للمقاومة واحتمال آثارها السيئة، وهذا ما لم يشاهده الامام في هذه الجماعة من اصحابه، فوصفهم بقوله عليه السلام:

١ – (لو تعلمون ما اعلم مما طوي عنكم غيبه) وليس هذا علما بالغيب، بل لتبيين الذي غاب عن المجتمع مما لايعرفونه بالاسباب العادية الدالة عليها، وهي: التعلم من منابع العلم. فقد تلقى الامام علومه من النبي صلى الله عليه وآله، واظهر ما اظهر كما امر، وكتم ما كتم

---

(١) في هـ ص: جمع صعيد، وهو وجه الأرض، وفي هـ ب: الصُعدات: جمع صعيد، والصُعد: جمع صعيد كما يجمع طريق علىٰ طرق وطرقات ويريد بها: الفلوات.

(٢) في هـ ص: الالتدام: ضرب النساء صدورهن في النياحة، وفي هـ ب: تلتدمون، أي تضربون وجوهكم وخدودكم.

(٣) في هـ ب: أي لا خليفة.

(٤) في هـ ص وب، وفي نسخة: ولأهمت كل امريء مسلم نفسه، وفي هـ . ص: همّته أذابته وأنحلته. هممت الشحم: أذبته، ويروىٰ: لأهمت، وهو أصح من الرواية الأُولىٰ، اهمني الامر: أي ضرّني (من الشرح).

حيث لم يجد له أهلا، وهولاء الجماعة من اصحابه الذين يمتنع عن تعليمهم كل ما يعلم للاسباب التالية:

أولا: (اذا لخرجتم الى الصعدات) والارض الصعيد، هو التراب الذي لا عمران فيه، وخروجهم اليها لاجل الانزواء من المجتمع، وذلك لما في هذا العلم الحقيقي من الثقل الروحي على الانسان.

ثانيا: (تبكون على اعمالكم) لان العلم الحقيقي هذا يجعل الانسان يحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة مما أهمله في الحياة، وهذا يشكل ضغطا كبيرا على الانسان فيرجح التهرب منها لان ذلك اسهل من الممارسة لها.

ثالثا: (وتلتدمون على انفسكم) الالتدام: ضرب النساء صدورهن في النياحة، ولعظم الموقف نسبه الى الرجال، اي بمثل هذا تكون النياحة على انفسكم.

رابعا: (ولتركتم اموالكم) بالعزلة عن المجتمع والانقطاع الى الله سبحانه من دون توجه الى قيمتها المادية (لاحارس لها) من الناس (ولاخالف) عليها، وهو الامين الذي يخلف على الاموال والاولاد، وذلك بسبب النظرة الزاهدة الحقيقية الى الامور المادية.

خامسا: (ولهمّت كل امرئ منكم نفسه لايلتفت الى غيرها) حيث يجد ان المسؤولية اولا تتوجه الى ترك النفس للعلاقات المادية وقطعها من كل علاقة خارجية مهما كانت.

وهذه الامور الخمسة صعبة جدا؛ لان يتحملها الانسان العادي الذي عاش في المجتمع المادي فترة من الزمن وتعود ببعض جوانبها.

في حين انه ليس احد منهم – من وجهة نظر الامام – اهلا لهذا العلم الثقيل الموجب لهذه الامور الخمسة.

(٤ / ط - ١١٦) نسيان الواجب:

وقد اشار الى ان هذه الجماعة من الاصحاب لايتحملون المسؤولية بصدق في مواقف اقل اهمية مما اشار اليه، وهو أداء الواجب من المسؤولية الاسلامية التي لاتستلزم شيئا من الامور الخمسة، حيث سبق من الامام ذلك، وهو ان لم يذكرها بالتفصيل اشار اليها في نقاط:

وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ[١] عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ.

(١) في هـ ص: أي بعد أو تحيّر.

١ - (ولكنكم نسيتم ما ذكرتم) من مسؤوليات ذكّرهم الامام بها، في مناسباب سابقة، فتناسوها ولم يطبقوها، أو الاوامر الالهية والسنة النبوية التي تعلموها ولم يمتثلوها.

٢ - (وامنتم ما حذرتم) من النواهي الشرعية والصفات الرذيلة الاخلاقية التي نهوا عنها، وعلى رأسها حب الدنيا، فكان نتيجة هذا النسيان والأمن أن:

٣ - (تاه عنكم رأيكم) حيث لم يكن رأيا مستندا الى احساس روحي، بل كان رأيا شخصيا منكم.

تنج الاراء اثرا.

٤ - (وتشتت عليكم امركم) لان الاراء الشخصية اذ كانت من افراد، تتعارض؛ لعدم خبرتها بعواقب الامور فلا تنتج الاراء اثراً. وعلى العكس اذا كانت الآراء تنبع من القائد، فلابد وان تكون بعد تجربة ودراسة، سواء لشخصية القائد أو الجهات المختلفة من الاراء المتضاربة التي يستقيرها وتنتهي الى راي يرى المصلحة في تنفيذها؛ لصوابها في نفسها او لانها مدعومة من الاكثرية التي لا يمكن النجاح في تنفيذ أية مهمة بدونها.

(٥ / ط - ١١٦) موقف الامام عليه السلام:

والموقف تجاه جماعة لاتتصف بالانضباط في من متابعة القيادة الحكيمة يستدعي النصيحة العامة بما قد يولد فيهم روح طلب العلم والهداية، وهذا ماعبر عنه الامام في نقاط تكشف عن انعدامها في الحاضرين، عبر عنها بقوله:

وَلَوَدِدْتُ أَنَّ ٱللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ، قَوْمٌ وَٱللهِ مَيَامِينُ[١] الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ ٱلْحِلْمِ، مَقَاوِيلُ[٢] بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ[٣] لِلْبَغْيِ[٤]، مَضَوْا قُدُماً[٥] عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا[٦] عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ[٧]، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، وَٱلْكَرَامَةِ ٱلْبَارِدَةِ.

(ولو ددت ان الله فرق بيني وبينكم) بالموت، حيث انكم تدعون الصحبة ولاتعملون بواجباتكم الاسلامية التي ذكرتم بها.

(والحقني بمن هو احق بي منكم) من الاصحاب المؤمنين الملتزمين بواجبات الصحبة

---

(١) في هـ ب: أي حسنة، جمع ميمون.
(٢) المقاويل: جمع مقوال، وهو من يحسن القول.
(٣) في هـ ب: جمع متراك، وهو مبالغة في الترك.
(٤) في هـ ص، وفي نسخة: للغيّ.
(٥) في هامش الأصل: أي متقدمين غير معرجين.
(٦) في هـ ب: أي اسرعوا.
(٧) في هـ ب: الطريق الواضح.

والمنفذين لمسؤولياتهم، وقد وصفهم بالاوصاف التالية:

١ – (قوم) فهم جماعة، وليس فردا خاصاً .

٢ – (والله، ميامين الرأي) والميمون: المبارك، فان لهم اراء مباركة؛ لانها مستمدة من التجربة.

٣ – (مراجيح الحلم) والرجحان: الثقل، فهم يرجحون على غيرهم لحلمهم .

٤ – (مقاويل بالحق) والمقوال: من يحسن القول، فلا يقولون إلّا بالحق .

٥ – (متاريك للبغي) والمتراك: الذي يبالغ في الترك، فهم يجهدون في ترك البغي، وهو الظلم .

٦ – (مضوا قُدُما علي الطريقة) القُدُم: الأمام، فهم سبّاقون ومتقدمون في المضي على الطريقة الصحيحة التي عرفوها من سنة النبي الاعظمﷺ وهدي الاسلام .

٧ – (واوجفوا على المحجة) الوجف: السرعة، والمحجة: الطريق المستقيم، فهم ساروا على الصراط المستقيم الذي هدى اليه الاسلام.

ثم اشار الى نتيجة هذا السير بقوله:

٨ – (فظفروا بالعقبى الدائمة) بالخلود في الجنة التي هي عاقبة المتقين، والاخرة .

٩ – (والكرامة الباردة) وهي الذكر الجميل في التاريخ، حيث دخلوا التاريخ من ابوابه، و البرودة كناية عن الهناء.

وهؤلاء الاصحاب أحق ان يكونوا مع الامام من الاصحاب الذين كان يتكلمعليه السلام معهم ويخاطبهم بهذه الخطبة ؛ لانهم سائرون على نفس الخط، و على نفس المفاهيم الاسلامية في الوسائل والاهداف. فاذا لم يتمكن الامام من الالتحاق بهم فانه أدى واجبه الاسلامي بتكريمهم في هذه الخطبة.

(٦ / ط - ١١٦) التنبؤ بالمستقبل:

وختم الخطبة تالتنبؤ عن مستقبل مظلم لمن يخاطبهم الامامعليه السلام بسبب مواقفهم المتزلزلة مع الامام في الوسائل وان اتفقوا معه في الاهداف ، حيث اشار الى البديل المرتقب بأوصاف:

أَمَا وَٱللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلاَمُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ[1] المَيَّالُ[2]، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ

---

(١) في هـ ب: المتبختر، من ذيلّت المرأة تذييلاً، أي جرت الذيل.

(٢) في هـ ص: أي المتباهي المتكبر.

شَحْمَتَكُمْ، إيْهٍ[١] أَبَا وَذَحَةَ[٢].

قال الرضي رحمه الله تعالى[٣]:

وٱلْوَذَحَة: ٱلْخُنْفَسَاءُ، وَهذَا الْقَوْلُ يُوْمِيءُ بهِ إلى الحَجَّاجِ، وَلهُ مَعَ ٱلْوَذَحَةِ حَدِيثٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضعَ ذِكْرِهِ.

١ – (اما والله) اقسمعليه السلام تأكيدا على صدق النبأ.

٢ – (ليسلطنّ عليكم غلام ثقيف) لتقاعسكم عن حقكم.

٣ – (الذيّال) وهو التائه الذي يجرّ ذيله تجبرا.

٤ – (الميّال) وهو الظالم .

٥ – (يأكل خضرتكم) بالاستيلاء على مواردكم الاقتصادية ظلما .

٦ – (ويذيب شحمتكم) المراد إما شحمة العين، وهي مقلتها، بالبكاء، وذلك بذرف الدموع منها على اثر الظلم، أو المراد شحمة البدن، المتكون بسبب الخلد الى الراحة، واذابته يكون حينئذ بالسجن أو الاذلال باستخدامهم في مصالحه الخاصة.

وختم هذا التنبؤ بقوله:

٧ – (إيهٍ ابا وذحة) وإيهٍ: اسم فعل للاستفادة من حديث أو فعل، والوذحة: الخنفساء، والكنية تشير الى صلة بين المكنى وهذه الحشرة، فيظهر ان الامام لم يشأ ان يتكلم بأكثر عن هذا لما لم يجد في جماعة المخاطبين لياقة لهذا النوع من العلم، وقال الشريف: ان هذا القول يومئ به الى الحجاج .

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت ٦٠٦):«ثم قال له كالمخاطب لانسان حاضر بين يديه : "إيهٍ أبا وذحة" ، إيهٍ : كلمة يستزاد بها من الفعل ، تقديره : زد وهات أيضا ما عندك ، وضدها: إيهاً ، أي كف وأمسك . قال الرضي رحمه الله : والوذحة: الخنفساء ، ولم أسمع

(١) في هـ ص: إيه: كلمه استتزاده، أي: وهات.

(٢) في هـ ب: روي ان الحجاج كان يوماً علىٰ المصلىٰ فاقبلت إليه خنفسة تدب إلىٰ سجادته، فقال: نحوّا هذه؛ فانها وذحة من وذح الشيطان. تشبيها لها بالبعرة، قالوا: الوذح ما تعلق باذناب الشاة المضاف من أبوالها وأبعارها، والواحدة: وذحة، وقال بعض الناس: ان الحجاج كان مخنثاً، ونقل انه كان يأخذ الخنفساء ويجعلها علىٰ مقعدته لتعض ذلك الموضع، كما كان أبوجهل.

وفي هـ ص: الوذح ـ في الاصل ـ : ما يتعلق بأذناب الشياه وادفاعها من أبعارها، وفي جف ويكون شبيها بالخنافس، ووقع في كلام الحجاج تسمية الخنافس به تشبيها، يروىٰ انه قال لما ترون ان اليه خلق هذه الاذواح؟ فقيل انه عضّته واحده منها وتعلّقت به، فعلم ان من حكمة خلقها به اهانة المتكبر، ومراد الرضي: الوذحة: الخنفساء في كلام عليعليه السلام مطلقا، والله أعلم.

(٣) كذا في ط، وفي الف: قال السيد، الوذحة، وفي د: أقول الوذحة.

هذا من شيخ من أهل الأدب ، ولا وجدته في كتاب من كتب اللغة ، ولا أدرى من أين نقل الرضى رحمه الله ذلك ! ثم إن المفسرين بعد الرضى رحمه الله قالوا في قصة هذه الخنفساء وجوها : منها أن الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه ، فطردها فعادت ، ثم طردها فعادت ، فأخذها بيده ، وحذف بها ، فقرصته قرصا ورمت يده منها ورماً كان فيه حتفه ، قالوا : وذلك لان الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته ، كما قتل نمرود بن كنعان بالبقة التي دخلت في أنفه ، فكان فيها هلاكه. [١] ثم ذكر وجها اخر، فراجع شرح نهج البلاغة .

من هو الحجاج؟

ترجم الحجاج الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) في تهذيب التهذيب ؛ ومما قال:« حجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي، الأمير الشهير . ولد سنة (٤٥) أو بعدها بيسير ونشأ بالطائف وكان أبوه من شيعة بني أمية وحضر مع مروان حروبه ونشأ ابنه مؤدب كتاب ثم لحق بعبد الملك بن مروان وحضر معه قتل مصعب بن الزبير، ثم انتدب لقتال عبد الله بن الزبير بمكة، فجهزه أميرا على الجيش فحضر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق إلى أن قتل ابن الزبير .

وقال جماعة إنه دس على ابن عمر من سمّه في زجّ رمح [٢]، وقد وقع بعض ذلك في صحيح البخاري.

وولاه عبد الملك الحرمين مدة؛ ثم استقدمه فولاه الكوفة وجمع له العراقين فسار بالناس سيرة جائرة واستمر في الولاية نحوا من عشرين سنة، وكان فصيحا بليغا فقيها، وكان يزعم أن طاعة الخليفة فرض على الناس في كل ما يرومه ويجادل على ذلك، وخرج عليه ابن الأشعث ومعه أكثر الفقهاء والقراء من أهل البصرة وغيرها فحاربه حتى قتله، وتتبع من كان معه فعرضهم على السيف، فمن أقر له أنه كفر بخروجه عليه أطلقه، ومن امتنع قتله صبرا . حتى قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم .

وأخرج الترمذي من طريق هشام بن حسان: أحصينا من قتله الحجاج صبرا فبلغ مائة الف وعشرين ألفا .

وقال زاذان: كان مفلسا من دينه. وقال طاوس: عجبت لمن يسميه مؤمنا .

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٧: ٢٧٩.

(٢) الزج: بضم الزاي المعجمة الحديدة في أسفل الرمح ونصل السهم .

وكفّره جماعة، منهم: سعيد بن جبير والنخعي ومجاهد وعاصم بن أبي النجود والشعبي وغيرهم.

وقالت له أسماء بنت أبي بكر: أنت المبير الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ.

وقال ابن شوذب عن مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب فلم يزل بيانه وتخلصه بالحجج حتى ظننت أنه مظلوم.

وقال ابن أبي الدنيا حدثني أحمد بن جميل ثنا عبد الله بن المبارك، انا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن زيد بن أسلم، قال: أغمى على المسور بن مخرمة ثم أفاق فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمّدا رسول الله، أحب إلي من الدنيا وما فيها عبد الرحمن بن عوف في الرفيق الأعلى ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ وعبد الملك والحجاج يجران أمعاءهما في النار.

قلت: هذا اسناد صحيح، ولم يكن للحجاج حينئذ ذكر، ولا كان عبد الملك ولي الخلافة بعد؛ لان المسور مات في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بن معاوية من الشام وذلك في ربيع الأول سنة (٦٤) من الهجرة.

وقال القاسم بن مخيمرة: كان الحجاج ينقض عرى الاسلام عروة عروة.

وقد روى الحديث عن سمرة بن جندب وأنس وعبد الملك بن مروان وأبي بردة.

وروى عنه سعيد بن أبي عروبة ومالك بن دينار وحميد الطويل وثابت البناني وموسى بن أنس بن مالك وأيوب السختياني والربيع بن خالد الضبي وعوف الأعرابي والأعمش وقتيبة بن مسلم وغيرهم.

قال موسى بن أبي عبد الرحمن النسائي عن أبيه: ليس بثقة ولا مأمون.

وقال الحاكم: أبو أحمد ليس باهل أن يروي عنه، ومما يحكى عنه من الموبقات قوله لأهل السجن: ﴿ إخسؤوا فيها ولا تكلّمون﴾.

مات سنة (٩٥) بواسط، وهو الذي بناها، وقيل: إنه لم يعش بعد قتل سعيد بن جبير إلاّ يسيرا.

قال البخاري في كتاب الحج: حدثنا مسدد عن عبد الواحد، ثنا الأعمش، قال: سمعت الحجاج بن يوسف على المنبر يقول: السورة التي تذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران والسورة التي تذكر فيها النساء. قال: فذكرته لإبراهيم، فقال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد: انه كان مع ابن مسعود حين رمى جمرة العقبة، فذكر الحديث. وفيه: ثم قال من هاهنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة. ورواه مسلم أيضا من

حديث الأعمش في بعض طرقه هكذا.

وفي المراسيل لابي داود من طريق عوف الأعرابي سمعت الحجاج يخطب فذكر خبرا ولم يقصد الشيخان وغيرهما الرواية عن الحجاج كما لم يقصد البخاري الرواية عن الحسن بن عمارة؛ فاما أن يتركا وأما أن يذكرا وإلا فما الفرق.

وفي الصحيح أيضا عن سلام بن مسكين قال بلغني أن الحجاج قال لأنس حدثني بأشد عقوبة عاقب بها النبي ﷺ قال فحدثه بحديث العرنيين.

وفي سنن أبي داود من رواية الربيع ابن خالد الضبي قال سمعت الحجاج يخطب فذكر قصة.

وقال الأصمعي عن أبي عمرو ابن العلاء لما مات الحجاج قال الحسن اللهم أنت أمته فأمت سنته أتانا أخيفش[1] أعيمش قصير البنان والله ما عرق له عذار في سبيل الله قط فمد كفاه كبره فقال بايعوني وإلا ضربت أعناقكم.

وقال عبد الله بن أحمد في الزهد: حدثني الحسن بن عبد العزيز، ثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن أشعث الحداني وكان يقرأ للحجاج في رمضان، قال: رأيته في منامي بحالة سيئة، فقلت: يا أبا محمّد ما صنعت؟ قال: ما قتلت أحدا بقتلة إلّا قتلت بها، قلت: ثم مه؟ قال: ثم أمر به إلى النار، قلت: ثم مه؟ قال: أرجو ما يرجو اهل لا إله إلّا الله. فبلغ ذلك ابن سيرين فقال: إني لأرجو له؛ فبلغ قول ابن سيرين الحسن فقال: اما والله ليخلفن الله رجاءه فيه».[2]

انتهى ما قاله ابن حجر العسقلاني بطوله؛ وانما اوردت الترجمة بطولها لامور:

اولا: ان الرواة لهذه الاقوال ليس فيهم من يتّهم بالتشيع لعلي عليه السلام، وهم قد وصفوا الحجاج في نفسه ودينه وحكمه، وفيهم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من الاعلام.

ثانيا: قول أم المؤمنين أسماء بنت أبي بكر: «انت المبير الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ» مما يشهد بصحة تنبؤ الامام عليه السلام المستقي علمه من رسول الله ﷺ.

فتوافقت الروايتان.

ثالثا: ان ابن سيرين على مواقفه المتساهلة، اقسم بان الله ليخلفنّ رجاءه فيه. وصدق، اذ كيف يشمله الرجاء وقد قتل صبراً مئة الف وعشرين الفاً من المسلمين؟ وكيف يكون

---

(١) في القاموس: الخفش – محركة – صغر العين وضعف البصر أو فساد في الجفون بلا وجع أو ان يبصر بالليل دون النهار والعمش محركة ضعف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات.

(٢) تهذيب التهذيب؛ لابن حجر ٢ : ١٨٤ – ١٨٧.

العدل الالهي في الظالمين؟ وما هي اثر العقوبات الاسلامية والحدود الشرعية في الدين؟ والله العالم.

[١١٧]

ومن كلام له عليه السلام:

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا[١] لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلاَ أَنْفُسَ[٢] خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلاَ تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ!

فَاعْتَبِرُوا[٣] بِنُزُولِكُمْ[٤] مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ[٥] إِخْوَانِكُمْ.

(١ / ط - ١١٧) توبيخ البخلاء بالمال والنفس:

يصف هذا المقطع جمعا يخاطبهم الامام عليه السلام ممن يتصفون بصفات ثلاث، هي:

١ -القدرة المالية .

٢ - الصحة الجسمية .

٣ - الكرامة الاجتماعية.

ثم يشير الى ان لكل من الصفات مسؤوليات يجب ان يقوم بها من يتمتع بها، بقوله:

اولا: (فلا اموال بذلتموها للذي رزقها) كما تقتضيه المسؤولية الاسلامية من بذل الاموال في سبيل الله الذي رزقكم اياها.

ثانيا: (ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها) فالجهاد في سبيل الله الذي أعطاكم صحة جسدية، مع أن المسؤولية تقتضي القيام بواجبكم الجهادي.

ثالثا: (ولا تكرمون الله في عباده) والاكرام: الاعزاز، وذلك بدعوى الكرامة والفضل على عباد الله بسبب صلتكم بالله، وذلك بتزعمكم للقيادة الروحية، ولا يناقش الامام عليه السلام هذه الدعوى، فقد تكن حقة، ولكن هذه الدعوى الحقة تستلزم مسؤولية، وهي العمل بما امر الله سبحانه من اكرام الخلق، في حين انكم (لاتكرمون الله في عباده) فيكون مثلكم انكم (تأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) وما أكثر هؤلاء الذين يدعون الدين وهم ينكرونه.

---

(١) في هـ ص: أي تقولون نحن اولياء الله واُلوا طاعته فنكرم بكرامة الله، ولا تكرمون الله، أي لا تطيعونه وتعظمونه بامتثال أوامره، حتىٰ يعظم شأنه في النفوس، ويهاب أمره ونهيه الناس، من قوله تعالىٰ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

(٢) في هـ ص، وفي نسخة: ولا انفساً.

(٣) في هـ ص: أي انتم خلفاء لقوم كانوا قبلكم، فلا تخلدون بعدهم.

(٤) في هـ. د: بنزول منازل ـ م .

(٥) في ب: عن أصل اخوانكم، وفي هـ ص: أي مات اخوانكم فستلحقون بهم.

ثم ختم الامام عليه السلام المقطع بالتأكيد على هداية هؤلاء بالتوجيه الصحيح، فقال:

١ - (فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم) ممن اهمل واجباته فلفظه التاريخ.

٢ - (وانقطاعكم عن أوصل اخوانكم) بالموت الذي هو آت لامحالة.

ويكفي كل منهما للرجوع الى محاسبة النفس في أداء المسؤولية الملقاة على عاتق كل فرد مسلم، على اختلاف الطبقات.

[١١٨]

ومن كلام له عليه السلام:

أَنْتُمُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَى ٱلْحَقِّ، وَٱلْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَٱلْجُنَنُ[١] يَوْمَ ٱلْبَأْسِ، وَٱلْبِطَانَةُ[٢] دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ المُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ المُقْبِلِ؛ فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ[٣] مِنَ ٱلْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ، فَوَٱللهِ إِنِّي لأُولَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

(١ / ط - ١١٨) في الصالحين من اصحابه:

قال الشارح ابى أبي الحديد (٦٠٦): «ان هذا الكلام قاله امير المؤمنين عليه السلام للانصار بعد فراغه من حرب الجمل، وقد ذكره المدائني والواقدي في كتابيهما»[٤].

ومن المعروف ان حرب الجمل كان عام ٣٧ هـ في البصرة، فراجع المسند.

وهذا المقطع يتضمن الرؤية الواضحة للامام والاصحاب في هذه الحرب، وقد جسدوا فيها سنة النبي صلى الله عليه وآله في حروبه وغزواته، كما هو مشروح في التاريخ.

ووصف الامام اصحابه بأوصاف تكشف عن هذه الرؤية الواضحة، فقال:

١ - (انتم الانصار على الحق) الذي قام به الإمام باعتبارة القدوة في حرب تصحيحية لمن ينكث بيعته.

٢ - (والاخوان في الدين) اذ ليست هناك طبقية بين القيادة والجيش إلّا بما يفرضه الانظباط العسكري، فهم جميعا اخوة مسلمين ملتزمين بحكم الاسلام في تطبيق الاسلام بالوسائل المسموحة في الحرب.

٣ - (والجنن يوم البأس) والجنة: ما يتقى به من الترس في يوم البأس من السلاح.

٤ - (والبطانة دون الناس) والبطانة: الخاصة، باعتبار موقفهم العسكري الذي يميزهم عن عامة الناس.

٥ - (بكم أضرب المدبر) أي بكفاءتكم العسكرية في ضرب من يدبر عن الحق الاسلامي.

---

(١) في هـ ص: جمع جنة: ما يتقىٰ به.

(٢) في هـ ص: خواص الرجل وخاصته: الذين لا يطوي عنهم سره (من الشرح) وفي هـ ب: بطانه الرجل: وليجته وخواصه.

(٣) في ب وهـ. د: خلية ـ ك ر ل، وفي هـ ب: ويروىٰ خلية، أي خالية من الغش والخيانة، وجلية: ظاهرة.

(٤) شرح نهج البلاغة ٧: ٢٨٤، ط ١٩٦٠.

٦ - (وارجوا طاعة المقبل) الذي يتوجه لفهم الحق بإقباله على الحوار والنقاش والتفهم.

٧ - (فاعينوني) لان القائد يفتقر الى العون من اي مصدر كان؛ لئلا يقع في الخطأ.

٨ - (بمناصحة) فان النصح واجب؛ لان الدين النصيحة، وقد وصف المناصحة المطلوبة بأمرين:

الاول: (خلية من الغش) فان المناصحة على سبيل التجربة والخداع والتمويه ليست مناصحة.

الثاني: (سليمة من الريب) بان يكون الناصح مرتابا في نصحه، كما هو شأن أكثر من ينصح، فيكون محتاطا بابداء النصح، ويستخدم عبارات يمكنه التهرّب من تفسيرها فيما اذا لم تكن في مصلحته.

وختم الامام عليه السلام الكلام بالتأكيد على الرؤية الواضحة التي يتمتع بها في هذه الحرب، فقال مقسما:

(فوالله اني لأولى الناس بالناس) بعد انعقاد الشرعية بالخلافة بالشورى في المدينة من المسلمين بما فيهم الناكثين، واستحقاقه للخلافة للمؤهلات التي يتمتع بها من السير على السنة النبوية.

[١١٩]

ومن كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليّا[١]:

يتضمن الكلام الاشارة الى الخلفية التاريخية، ثم الاقتراح لممارسة الجهاد، وتنفيذ الامام هذا الاقتراح بنفسه والتأكيد على واجب الامام، ثم وصف اصحاب الاقتراح، وختم الكلام بأداء واجب العبادة.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «وهذا الكلام قاله امير المومنين عليه السلام في بعض غارات اهل الشام على اطراف اعماله بالعراق بعد انقضاء امر صفين والنهروان»[٢] وقد تقدم.

فكانت المبادرة من الامام عليه السلام الذي جمع الناس وحضهم على الجهاد، فكان رد الفعل المباشر: (فسكتوا مليا) من دون اي جواب بالنفي أو الاثبات مما ينبئ عن عدم الاستعداد للجهاد.

وكرر الامام القائد عليه السلام ذلك ليعبروا عن آرائهم بحرية حتى يتحرك على ارضية موحدة الكلمة، فقال: (ما بالكم؟) اي لماذا لا تعبرون عن ارائكم الشخصية في مثل هذا الامر المصيري؟ (امخرسون انتم؟) فان السكوت منكم شبيه بسكوت الاخرس.

(١/ط - ١١٩) الاقتراح:

فقال عليه السلام: ما بالكم! أمخرَسون أنتم، فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ.

وكانت المفاجأة منهم ان قال قوم منهم ـ وطبيعي انهم لم يكونوا يمثلون الجميع ـ: (ان سرت سرنا معك).

وهذا الاقتراح لم يكن اقتراحا صادقا، فان القوم كشفوا عن حقيقتهم بهذا الاقتراح، ففند الامام هذا الاقتراح من وجهة نظره الصائب.

(٢/ط - ١١٩) نقد الاقتراح:

فقال عليه السلام: مَا بَالُكُمْ[٣]، لَاسُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ[٤]، ولَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ، أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ

(١) في هـ ص: أي ساعة طويلة، ويقال: ملاوة، بالحركات الثلاث أيضاً.
(٢) شرح النهج ٧: ٢٨٧.
(٣) في ب: مالكم.

أَخْرُجَ؟ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شجعانِكم[٥]، وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ المِصْرَ وَٱلْجُنْدَ، وَبَيْتَ المَالِ، وَجِبَايَةَ ٱلْأَرْضِ[٦]، وَٱلْقَضَاءَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ المُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى، أَتَقَلْقَلُ[٧] تَقَلْقُلَ ٱلْقِدْحِ فِي ٱلْجَفِيرِ[٨] ٱلْفَارِغِ.

وحيث ان الاقتراح يستلزم خلوّ مركز القيادة من القائد، فقد انتقده الامام بشدة بسرد نقاط بين فيها فساده بقوة:

١ – (ما بالكم) فان الاقتراح اما هو عن جهل بموقع القيادة ومسؤوليتها، واما هو دس لتنحية القيادة عن موقعيتها واشغال القائد بأمور جانبية، وفي كلي الحالتين بيان عن الضعف في الرأي.

٢ – (لاسددتم لرشد) حيث ان الاقتراح ليس رشيدا، والرشد: هو الهداية للصواب والتوفيق.

٣ – (ولا هديتم لقصد) وهو الاعتدال، فان الاقتراح ليس امرا عدلا.

٤ – (أ في مثل هذا ينبغي لي ان اخرج؟) حيث أنه أمر يمكن ان يتحقق بخروج من هو دون القائد في المسؤولية.

٥ – (وانما يخرج في مثل هذا رجل ممن ارضى من شجعانكم وذوي بأسكم) فالمسؤوليات يجب ان توزع حسب قابليات المشاركين في المسؤولية.

٦ – (ولاينبغي لي ان ادع) أي اترك المسؤولية الهامة، وهي القيادة لامور جانبية يمكن أن يقوم بها آخرون، فان ذلك يستلزم اهمال واجبات القيادة الهامة، واشار منها الى:

الف – (الجند) باعتبارهم يفتقرون الى القيادة التي تشرف عليهم باستمرار.

ت – (المصر) باعتبار ان المصر مركز القيادة الاسلامية العليا.

خ – (بيت المال) باعتباره المموّل لحاجة الجيش وغيرهم.

د – (وجباية الارض) باعتباره الرافد المموّن للجيش والدولة .

ه – (والقضاء بين المسلمين) باعتباره وسيلة العيش السلمي في المجتمع الاسلامي .

---

(٤) في هـ ب: هذا دعاء.
(٥) في ب: شجعانكم، وفي هـ ب، وفي نسخة: من شجعانكم.
(٦) في هـ ب: جبايه الأرض، أي أخذ ارتفاعها وخراجها.
(٧) في هـ ص: القلقلة: الحركة في اضطراب، وفي هـ ب: أي اتحرك مع اضطراب، والجفير: وعاء الكنانة.
(٨) في هـ ص: هو الكنانة، أو وعاء للسهام أوسع من الكنانة.

و - (والنظر في حقوق المطالبين) باعتباره أداة التنفيذ للحكم الاسلامي.

٧ - (ثم اخرج في كتيبة أتبع اخرى) تاركاً القيادة منقطعة عن القاعدة، فان ذلك يستلزم ضياع القيادة، وقد عبر عن ذلك بقوله:

٨ - (أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ) والقدح: السهم، والجفير: الكنانة التي توضع فيها السهام، حيث تفرغ المركز من القائد وتضطرب الحكومة.

(٣ / ط - ١١٩) مسؤولية القائد:

وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ[1] عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكانِي، فَإِذَا فَارَقْتُها اسْتَحَارَ[2] مَدَارُهَا[3]، وَاضْطَرَبَ ثُفَالُهَا[4]، هَذَا لَعَمْرُ اللهِ الرَّأْيُ السُّوءُ.

واشار الى مسؤولية القائد بصفات اصلية تعصم الامة من الفرقة، وهي:

١ - (وانما انا قطب الرحى) فان الرحى المستخدمة في الطحن لابد لها من قطب تدور حوله، ولا ينظم امرها بدونه، والقائد هو القطب، ولابد ان يتواجد في المركز لاداء دوره المسؤول.

٢ - (تدور علي وأنا بمكاني) فلا يمكن ان تدار الرحى بمنآى عن القطب في المركز.

٣ - (فاذا فارقته) بأن يتخلى القائد عن مركز القيادة، فانه سوف يتحقق ما يتأمّله العدو.

٤ - (استحار مدارها) والاستحارة: التردد في دوران النظام كما يتوقف الرحى.

٥ - (واضطرب ثفالها) والثفال: ما تحت الرحى المعد لجمع الدقيق.

وبعد ان بين لأصحاب الاقتراح مسؤولية القائد، اكد فساد الاقتراح بقوله: (هذا لعمر الله الرأي السوء) وتفسير هذا الكلام قد تقدم في ابدائه النصح للخليفة الثاني، فراجع: الخطبة رقم (١٣٤).

(٤ / ط - ١١٩) رجاء الشهادة:

ثم اشار الامام الى ترجّيه الشهادة في سبيل الله لزمرة من اصحاب الاقتراح هذا، مما

---

(١) في ب: يدور.

(٢) في هـ ص: أي اضطرب، أي تحيّر ووقف، وفي هـ أ وب: استحار: تردّد، والمستحير: سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه.

(٣) في هـ ص: مصدر بمعنىٰ الدوران.

(٤) في هـ . د، وفي نسخة: ثقالها، وفي هـ ص: هو جلد يوضع تحت الرحىٰ للدقيق وفي هـ ب: الثفال الجلد الذي يبسط فيوضع فوقه الرحىٰ فتطحن باليد ليسقط عليه الدقيق، فإذا كان هذا الجلد مضطرباً شدد به الدقيق من الانحناء.

قد يشير الى سوء سريرة المقترحين، فقال مقسماً:

وَٱللّٰهِ لَوْلَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ[١] عِنْدَ لِقَاءِ[٢] ٱلْعَدُوِّ، وَلَوْ قَدْ حُمَّ[٣] لِي لِقَاؤُهُ، لَقَرَّبْتُ رِكَابِي[٤]، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلاَ أَطْلُبُكُمْ، مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ[٥].

-(والله لولا رجائي الشهادة) في سبيل الله (عند لقاء العدو - ولو قد حم لي لقاؤه) اي قدر ذلك (لقربت ركابي) وهو الابل المستخدمة للرحال (ثم شخصت عنكم) بالابتعاد (فلا اطلبكم ما اختلف جنوب وشمال) وهذا يدل على غاية التذمر من قائد بالنسبة الى جماعة يفترض انهم اصحابه، مما يكشف عن ان الامام يشير بذلك الى سوء سريرتهم بالتخطيط لتنحية الامام عن مركز القيادة.

(٥/ط - ١١٩) وصف اصحاب الاقتراح:

وقد وصفهم بأوصاف ليس من اوصاف الاصحاب، فقال بصيغ المبالغة:

طَعَّانِينَ[٦] عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ، رَوَّاغِينَ، إِنَّهُ لَا غَنَاءَ[٧] فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ.

١ - (طعّانين) لكثرة طعنهم في غيرهم.

٢ - (عيّابين) لكثرة محاولتهم لعيوب الاخرين .

٣ - (حيّادين) والحيد: الانحراف عن الحق .

٤ - (روّاغين) والمراوغة في التنصّل عن الواجب، كالثعلب.

فهذه الصفات لا يمكن الاعتماد عليها في الحرب بالرغم من الكثرة العددية، وعلل ذلك بقوله: (فانه لاغناء في كثرة عددكم مع قلة اجتماع قلوبكم) وفي حالة اختلاف القلوب لامجال للتغلّب على العدو.

(٦/ط - ١١٩) واجب الامام عليه السلام :

وختم المقطع بانه ادّى واجبه القيادي تجاه القاعدة بقوله:

---

(١) في هـ. د: رجائي للشهادة ـ م .
(٢) في ط ود وظاهر الف: لقائي.
(٣) في هـ. د: العدو ولو قد حم ـ ح، وفي هـ ص وب: أي قدّر.
(٤) في هـ ص وب: أي قطعت.
(٥) في هـ ص وب: أي بالدوام.
(٦) في هـ ص: منصوباً بفعل مقدر مناسب.
(٧) في هـ ص: أي لا نفع.

لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ[١] ٱلْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ، مَنِ ٱسْتَقَامَ[٢] فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ[٣] فَإِلَى النَّارِ.[٤]

١ - (لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا يهلك عليها إلّا هالك) لانها على السنة النبوية الرشيدة، وعن نتيجة هذا الواجب قال:

٢ - (من استقام فالى الجنة، ومن زل فالى النار) وهذا هو الدور المطلوب من القائد الاسلامي.

---

(١) في هـ ص: يذكر ويؤنث.
(٢) في هـ ص: أي عليه.
(٣) في هـ ص: أي عنه.
(٤) ما بين القوسين لم يرد في أ وب.

[١٢٠]

ومن كلام له عليه السلام:

يتضمن هذا المقطع الكلام في بعض مؤهلات الامام عليه السلام في شخصه، وايضا في اسرته، والاهداف التي يسير نحو تطبيقها في الحياة لهداية الناس الى الطريق الواضح، سواء تابعها الآخرون باختيارهم ام لا.

(١ / ط - ١٢٠) القسم بالله:

واستفتح المقطع بالقسم بقوله: (تالله) تاكيدا على الحقائق الثلاث الشخصية، قائلا:

تَاللهِ[1] لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ ٱلرِّسَالَاتِ، وَإِتْمَامَ ٱلْعِدَاتِ[2]، وَتَمَامَ ٱلْكَلِمَاتِ[3]، وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ـ أَبْوَابُ ٱلْحُكْمِ، وَضِيَاءُ ٱلْأَمْرِ.

أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ ٱلدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ[4]، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ.

اولا: (لقد علمت تبليغ الرسالات) وهي اشارة الى قوله تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا إلّا الله﴾[5] ومعلمه في ذلك الرسول القائد الذي رباه صغيرا حتى تخرج من مدرسة النبوة.

وقال الشارح (ت/ ٦٥٦ هـ):«اشارة الى قول النبي صلى الله عليه وآله في قصة براءة: لا يؤدي عني الا انا أو رجل مني.[6] فان في ذلك تعليم مباشر من النبي صلى الله عليه وآله اياه كيف يبلغ الرسالة الاسلامية.

ثانيا: (اتمام العدات) وهو انجاز الوعد الالهي الذي اخذه على العلماء في خدمة الدين، كما قال تعالى:﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[7] فان مسؤولية القيادة لا يمكن اهمالها لمن وجد في نفسه مؤهلاتها الكاملة.

ثالثا: (تمام الكلمات) وهي الكلمات التي علمها الله سبحانه آدم، وهي تطبيق حكم الله

---

(١) في هـ ب: حلف أنه يكره المقام فيما بين أهل الكوفة.

(٢) في هـ ب: جمع عدة، وهي الوعد.

(٣) في هـ ب: يعني تأويل كلمات الله.

(٤) في هـ ب: أي مستوية.

(٥) الاحزاب: ٣٩.

(٦) شرح النهج ٧: ٢٨٩.

(٧) الاحزاب: ٢٢.

على الارض، وقد اخذها الله سبحانه على جميع الانبياء والاوصياء منذ ادم حتى النبي الاعظمﷺ.

واشار الى نتيجة هذا التعليم الرباني المحمّدي باختصاص اهل البيت النبوي بخاصيتين متوارثتين عن النبيﷺ، هما:

الاول: (وعندنا ابواب الحكم) وهي القواعد العامة التي يفتقر اليها المجتمع الاسلامي على اساس من العدالة والحق في جميع مرافق الحياة.

الثانية: (وضياء الامر) وهو الرؤية الواضحة في تطبيق تلك الضوابط الاسلامية العامة.

وهاتان النتيجتان توجبان السير على هذه الموازين لمن رغب في ذلك.

ثم ذكر وحدة الاديان في اهدافها ومقاصدها مؤكدا بقوله: (الا وان شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة) والقصد: الاستقامة، فان الشرائع منذ تلقي ادم كلمات ربه وحتى النبي الخاتم ﷺ وان تعددت احكام الشريعة فيها بحسب الظروف والاحوال، ولكنها واحدة في الاهداف والمقاصد التي تنتهي الى تطبيق العدل الالهي على الارض ومحاربة المادية والالحاد على مختلف انواعها.

وختم المقطع بانه ليس من اهداف الاديان فرض ارادتها ماعدى ما يتحقق به العدالة العامة، فان الناس أحرارفي قبول ذلك أو رفضه؛ لان العدالة تنعكس على المجتمع، واشار اليها بقوله:

(من اخذ بها لحق وغنم) حيث أصبح ملتحقا بالمجتمع الالهي، وهو يغتنم منه الخير لنفسه ومجتمعه.

– (ومن وقف عنها ضل وندم) وضلاله: انحرافه عن الحق الموجب للندم في الدنيا لاهمال واجبه الانساني الالهي، ومايتبع ذلك في الاخرة .

(٢ / ط - ١٢٠) العمل الصالح:

وفي هذا المقطع حث على العمل الصالح الذي لايبقى سوى اثره في التاريخ، في نقاط:

ٱعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ ٱلذَّخَائِرُ، وَتُبْلَىٰ[1] فِيهِ ٱلسَّرَائِرُ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ

---

(١) في هـ ب: أي تظهر وتدرك وتختبر.

فَعَازِبُهُ[١] عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ[٢].

١ - (اعملوا ليوم يذخر له الذخائر) وهو يوم الحشر الذي يفتقر الانسان الى الذخر له.

٢ - (وتبلى السرائر) فان الاسرار في ذلك تبلى، اي تمتحن، فان البلاء هو الامتحان (ثم ذكر السبب في العمل الحاضر لذلك اليوم بقوله: (ومن لاينفعه حاضر لبه) اي عقله في الوقت الحاضر، بان يهمل الادخار ليوم العسر (فعازبه عنه اعجز، وغائبه أعوز) فيكون في المستقبل الذي هو عازب غائب لايتعقله عقله ايضا، حيث يفوته زمن الاستعداد، والعوز: الفاقة في ذلك اليوم الى صالح الاعمال، وعن العذاب لمن يستحقها قال :(واتقوا ناراً) تتصف بالاوصاف التالية:

وَٱتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[٣].

١ - (حرها شديد) لانها تفوق نار الدنيا الزائلة.

٢ - (وقعرها بعيد) والقعر: اقصي اسفل الشئ، وكلما بعد القعر زيد في النار.

٣ - (وحليتها حديد) باعتبار ان النار تحرق كل شئ والحديد يلبس فيها كالحلية.

٤ - (وشرابها صديد) وهو ماء الجروح والقروح، وطبيعي ان لا يستساغ شربه حينئد. وكل ذلك عقابا لمن يستحقها.

(٣/ط - ١٢٠) محاسبة التاريخ:

واشار في الختام الى محاسبة التاريخ للانسان يعيش في الحياة معرضا عن الهداية الروحية بقوله مؤكدا:

أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ ٱلصَّالِحَ يَجْعَلُهُ ٱللهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ[٤].

١ - (الا وان اللسان الصالح) الذي يلهج به التاريخ انما يكون لمن يحقق العدالة في المجتمع.

٢ - (يجعله الله تعالى للمرء في الناس) فان المجتمع لايغفل قط عن آثار العدالة في الحكم، التي تنعكس على كل مرافق الحياة في المجتمع حاضراً ومستقبلاً.

٣ - (خير له من المال يورثه من لا يحمده) فان الذكر الجميل افضل من المال الذي

---

(١) في هامش ب: أي بعيده.
(٢) في هـ ب: أي افقر.
(٣) ليس في ب: وشرابها صديد، الصديد: ما يسيل من القروح والجروح.
(٤) اللسان الصالح: الذكر الحسن.

يتركة للوراث، وهم يرونه حقا لهم من دون ان يقدروره فلا يحمده على ما خلف لهم، بل كثيرا ما يستقلون ما ترك الاباء لهم، ويقارنون ذلك بما خلف الاخرون لورثتهم؛ لانهم لا ينظرون الى الظروف الصعبة التي عاشها هذا المورث، دون اولئك. وفي تواريخ حياة الاغنياء شواهد كثيرة على ذلك، ولا يخلوا حياتهم من عداء وبغضاء وخلاف على الارث الذي وصلهم، وظن المخلِّف انه يساعدهم في توريثهم ذلك.

ومن كلام له ﷺ:

ومن كلام له ﷺ وَقد قامَ إِليه رَجلٌ مِن أصحابه، فقال: نَهَيْتَنَا عن الحُكُومةِ ثمَّ أمرتَنا بها، فلم نَدْرِ أَيّ ٱلْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ؟ فَصَفَّقَ ﷺ إِحْدَى يَدَيْهِ على الأُخرى، ثم قال:

ان ليلة الهرير هي الليلة الحاسمة في حرب صفين، حيث كانت تصوّت السيوف بسبب كثرة المقارعة بين الجانبين، وهرير السيف والقوس: صوته، ولم تتوقف الحرب الاّ بخديعة رفع المصاحف من جانب جيش معاوية داعيا الى تحكيم القران، ورفض الامام ذلك اولا باعتباره خدعة سياسية لاحقيقة لها، وقد اثر ذلك في ايجاد الانشقاق في صفوف جيش الامام، وانتهى بالتهديد منهم على قبول التحكيم، فرضخ له الامام آخر الامر، ولعل اهم اسباب قبول ذلك وحدة الكلمة في الجيش. وغريب من هذا الرجل المتكلم الذي كان من الخوارج قوله: (فلم ندر اي الامرين أرشد) اذ ان لكل منها موقعه الزمني، وكان له اسبابه ومبرراته المشروحة في التاريخ، والتي هي غير خافية عليه، بحكم كونه متواجدا في الحالتين في صفوف جيش الامام، وهذا قد يشير الى انه كان يريد اثارة الفتنة ولو بعد حين، ومن أجل ذلك كان موقف الامام موقفاً حازما وشديدا حيث (صفق احدى يديه على الاخرى) وهي حالة تكون في شدة الاسف والاسى من الانسان، ولكنه بحكم كونه قائدا لم يتجاوز الحدود الاسلامية في التعامل مع أمثال هؤلاء، فبنى موقفه الاول والثاني على الاشارة الى آثار كل منهما، وشدة الموقف في علاج الانشقاق بسبب الدعايات السياسية والحيل المادية، وقياس هؤلاء بمن عرفهم من المحاربين القدماء من الصحابة.

وختم ذلك بالتحذير من الخطط الشيطانية التي تثير الفتنة.

(١ / ط - ١٢١) قرار الموقفين:

أجاب الامام ﷺ بان الموقف الارشد هو النهي عن الحكومة وانه لم يرضح الى الموقف الثاني لاسباب اشار اليها، وحيث ان السوال في نفسه لم يكن سؤالا حقيقيا، وأنه كان اشبه بالنقد من السؤال، اشار الامام الى أجوبة ثلاثة بقوله:

هَذٰا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعُقْدَةَ[١]! أَمَا وَٱللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى المَكْرُوهِ[٢]

---

(١) في هـ أ: قيل هي الشيء النفيس، وفي هـ ب: العقدة، أي ترك الذي كان عقده.

ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنْ ٱسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ ٱلْوُثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ، وَإِلَى مَنْ!.

اولا: (هذا جزاء من ترك العقدة) وهي ما تعاقد عليه أهل البيعة من الاصحاب، فانهم انخدعوا بدعاية رفع المصحاحف وطالبوا امامهم الذي بايعوه – والبيعة: عقدة واقرار بالتبعية منهم – بالنزول عند رغبتهم وتنفيذ رأي ومطالب العدو، فانهم بهذه المطالبة تركوا العقدة التي ابرموها من قبل، فاصبح القائد بين جماعة يفرضون اراءهم وكأنهم هم القواد، وطبيعي ان ترك الطاعة وعدم الانضباط العسكري يوجب خلاف في النتائج على الامة في الحاضر والمستقبل، ومنها هذا السؤال المشبوه، الذي لم يخدم بسؤاله سوى مصلحة العدو، دون مصلحة الامة.

ثانيا: (اما والله لو اني حين امرتكم به) اي قتال العدو بالرغم من رفع المصاحف وهو الموقف الاول الارشد (لكانت) العقدة (الوثقى) والرأي الصائب الذي تخاذلتم عنه متاثرين بدعايات العدو.

وقد افصح الامام عن أركان هذه العقدة الوثقى، بقوله:

١ – (حملتكم على المكروه) بالسوق الى محاربة العدو، كما كانت تراه القيادة بانها السياسة الرشيدة؛ لانها:

٢ – (الذي يجعل الله فيه خيرا) بالنصر على العدو الذي استخدم رفع المصاحف، وهذا في نفسه دليل على عجزه عن المقاومة للحق العقائدي المحارب.

٣ – (فان استقمتم هديتكم) وذلك لاستقامتكم على الانضباط العسكري ومتابعة اوامر القيادة.

٤ – (واذا اعوججتم قوّمتكم) بان لم تستقيموا على تنفيذ الاوامر عاقبت المتخلّف عن واجبه.

٥ – (وان ابيتم تداركتكم) بالاستنجاد بغيركم ممن له الاستعداد لمحاربة العدو من الاصحاب و(لكانت) العقدة (الوثقى) الحرب حتى النصر.

ثالثا: الخيارات الثلاث الاخيرة كانت مفقودة؛ حيث هدد هؤلاء الاصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل كما قتل الخليفة عثمان.

---

(٢) في هامش الأصل: أي المكروه لهم وهو القتال وردّ دعوة التحكيم والموادعة، وهو من قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ ... الآية.

واشار الى ذلك بقوله: (ولكن بمن؟ والى من؟) اي لم يمكن تحقيق أي واحد من هذه الخيارات الثلاث ما دام الامام مطوّقا من قبل هذه الطائفة من الاصحاب، حيث ليس للامام من يستعين بهم على تحقيقها، وليس هناك سوى هؤلاء الذين يهددونه للرضوخ الى قبول التحكيم.

وهذه الاجوبة كافية للردع عن السؤال.

(٢/ ط - ١٢١) شدة الموقفين:

ثم اشار الامام عليه السلام الى شدة الموقفين الاول والثاني معا، بوصف حالة أصحابه الذين لا يتمتّعون بالانضباط العسكري:

أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا[١]! اَللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ[٢]، وَكَلَّتِ[٣] النَّزَعَةُ[٤] بِأَشْطَانِ[٥] الرَّكِيِّ[٦]!

- (اريد ان اداوي بكم) فان المفروض في الجيش الالتزام بأوامر القيادة حتى يكون دواء لامراض المجتمع الذي هو درع الامة والوطن من العدو.

- (وانتم دائي) لاهمالكم الانضباط العسكري في تنفيذ أوامر القيادة وفقدان خيارات اخرى.

- (كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم ان ظلعها معها) فان من دخلت الشوكة في رجله لايستخرجها بشوكة اخرى مثلها، والنقش: اخراج الشوكة، والضلع: الميل، بل لابد من استخراج الشوكة بشئ اقوى من الشوكة حتى لايشك ايضا، فان الاستعانة بهذا الجيش غير المنضبط عسكريا كالاستعانة بالشوكة لاستخراج شوكة مثلها، وهي حالة شديدة.

- (اللّهمّ قد ملت اطباء هذا الداء الدوي) الدوي: الشديد، والداء: المرض، والمل: السأم والضجر، وهي حالة تكون عند شدة المرض، كانه مله بالطول الزمني أو المعالجة.

- (وكلت النزعة بأشطان الركي) الكل: الضعف، والنزعة: استقاء الماء، والشطن:

---

(١) الضَلْع: الميل. والنقش: اخراج الشوكة من الجسم، وهذا مثل، وأصله: «لا تنقش الشوكة بالشوكة، فان ضلعها معها» وفي هـ ب: يعني مثلها معها، والشوكة تكون مع جنسها.

(٢) في هـ ب: المرض والوجع الشديد.

(٣) في هـ ب: أي عمت.

(٤) في هـ ب: هو جمع نازع، وهو الآخذ للماء السير القريب باليد.

(٥) في هـ ص وب: جمع شطن، وهو الحبل.

(٦) في هـ ص وب: الركية: البئر، والجمع: ركى.

الحبل، والركي: البئر، وذلك على اثر كثرة الاستقاء، وكانت توجهات القيادة بهذه الجماعة من الاصحاب قد بلغت درجة مثل ذلك .

فان أيا من النقاط الخمس توجب الشدة في الموقف، فكيف بأجمعها كلها؟

(٣ / ط - ١٢١) المحاربون القدماء:

ثم قارن الامام اصحابه بالمحاربين من قدماء المسلمين من الصحابة، وسرد من الاوصاف ما يشير الى الفروق بينهما، منها :

أَيْنَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَءُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا[١] إِلَى ٱلْجِهَادِ فَوَلِهُوا[٢] [وَلَهَ][٣] اللِّقَاحِ[٤] إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً؛ وَصَفًّا صَفًّا، بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا، لَا يُبَشَّرُونَ بالأَحْيَاءِ، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ المَوْتَى، مُرْهُ[٥] ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكاءِ، خُمْصُ[٦] ٱلْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ[٧] الخَاشِعِينَ، أُوَلٰئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ[٨] إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ.

١ - (اين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه) فكانوا قد تقبلوا الاسلام عن رؤية واضحة، فكانوا محاربين عقائديين. وذلك ينبئ عن عدم وجود أمثالهم في جيش الامام.

٢ - (وقراؤوا القران فأحكموه) فكانت قراءتهم للقران للعمل به وتطبيقه في حياتهم .

٣ - (وهيجوا الى الجهاد فولهوا وله اللقاح الى اولادها) والوله: شدة الحب للغاية، واللقاح: الابل الحلوب التي تفرع على اولادها بسبب الفراق عنها.

٤ - (وسلبوا السيوف أغمادها) حين اصبحت بأيديهم عارية من الغمد، متأهبة لساحة المعركة.

---

(١) في هـ ب: من هاج يهيج.

(٢) من الوله، وهو شدة الشوق، وفي هـ أ: التولية: ان يفرق بين المرأة وولدها، وفي هـ ب: أي تحيزوا مثل تحيز الابل الحلوبة الولهة التي يفرق بينها وبين ولدها، وولهها الىٰ اولادها: فزعها إليها إذا فارقتها.

(٣) لم ترد: وله في ا وب وص:

(٤) في هـ أ: اللقاح: جمع اللقوح، وهي الناقة الحلوب، كقلوص وقلاص، وفي هـ ب: وهي اللقاح الواحدة: لحوق.

(٥) في هـ ب: الأمره: البصر، من مرهت عينه مرها: إذا فسدت ... .

(٦) في هـ ب: أي ضمرها، يقال: خمص الحشا، أي ضامر البطن، والمخمصة: المجاعة.

(٧) في ب: عبرة، وفي هـ ب، وفي نسخة: غبرة.

(٨) في هـ ب: نحن ـ ظاهراً ـ.

٥ - (واخذوا باطراف الارض زحفا زحفا، وصفّا صفّا) والزحف حالكونهم صفوفا متتالية.

٦ - (بعض هلك وبعض نجا) فانهم لايرون الهلاك أو النجاة هدفا، بل يعتبرون كل واحدة منهما ﴿احدى الحسنيين﴾ النصر أو الشهادة.

٧ - (لايبشرون بالاحياء) فان الحي منهم لايحمد الله على نجاته، بل يرى ان الموت في سبيل الله افضل.

٨ - (ولايعزون عن الموتى) فان الميت شهيد في سبيل الله، فلا يستحق التعزية، بل التبريك.

٩ - (مره العيون من البكاء) ومره العين: فسادها الطبيعي، وهذا بسبب الخوف من الله سبحانه والقصور في الواجب.

١٠ - (خمص البطون من الصيام) فان الصيام يوجب للبطن ان تضمر، كما أن البطنة تزيد في ارتفاعها .

١١ - (ذبل الشفاه من الدعاء) والذبول: الجفاف بسبب كثرة مايتلون من ايات الله سبحانه.

١٢ - (صفر الالوان من السهر) فان السهر في الليل يؤثر في الرهق، وصفرة اللون في النهار.

١٣ - (على وجوههم عبرة الخاشعين) والعبرة: الخشوع، فتكون علامة لهم يتميزون بها عن غيرهم.

وختم اوصاف هؤلاء المحاربين القدماء من الصحابة بما تركوا من الاثر النفسي على شخص الامام وعلى غيره كقدوة صالحة من المحاربين من اجل الاسلام والمسلمين، وهي:

اولا: (اولئك اخواني الذاهبون) فان الاخوّة الاسلامية لا تنحصر في زمن خاص مادامت تجمعهم الرسالة والهدف.

ثانيا: (فحق لنا أن نظمأ اليهم) بان نتخذهم قدوة للاتصاف بأوصافهم ونجعلهم مثلا للسير على طريقتهم في الحياة كما يحنّ العطشان الى الماء.

ثالثا: (ونعض الايدي على فراقهم) فان الاثار الحقيقية للفراق تظهر على محيا الانسان الذي يفارق عزيزا عليه، ومن أظهر الامارات الطارئة هي العض على الايدي تعبيرا عن شدة الالم والحسرة.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «ثم قال: "أولئك إخواني الذاهبون". فإن قلت: من هؤلاء الذين يشيرعليه السلام إليهم؟ قلت: هم قوم كانوا في نأنأة الاسلام وفي زمان ضعفه وخموله أرباب زهد وعبادة وجهاد شديد في سبيل الله، كمصعب بن عمير من بنى عبد الدار، وكسعد بن معاذ من الأوس، وكجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم ممن استشهد من الصالحين، أرباب الدين والعبادة والشجاعة في يوم أحد، وفي غيره من الأيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكعمار، وأبي ذر، والمقداد، وسلمان، وخباب، وجماعة من أصحاب الصفة وفقراء المسلمين أرباب العبادة، الذين قد جمعوا بين الزهد والشجاعة. وقد جاء في الأخبار الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "إن الجنة لتشتاق إلى أربعة: علي، وعمار، وأبي ذر، والمقداد"، وجاء في الأخبار الصحيحة أيضا، أن جماعة من أصحاب الصفة مر بهم أبو سفيان بن حرب بعد إسلامه فعضوا أيديهم عليه، وقالوا: وا أسفاه كيف لم تأخذ السيوف مأخذها من عنق عدو الله! وكان معه أبو بكر فقال لهم: أتقولون هذا لسيد البطحاء! فرفع قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأنكره، وقال لأبي بكر: "انظر لا تكون أغضبتهم، فتكون قد أغضبت ربك"، فجاء أبو بكر إليهم وترضاهم وسألهم أن يستغفروا له، فقالوا: غفر الله لك».[1]

(٤ / ط - ١٢١) تحذير:

وختم المقطع بالتحذير من الخطط الشيطانية التي تثير الفتنة في المجتمع الاسلامي، ومنها هذا السؤال المشبوه بعد ان انتهى الموقفان، فأي الموقفين كان ارشد؟

فان ذلك لا يحل المشكلة عمليا، بل يزيد النقاش والجدل، فان السؤال يدعوا الى الانشقاق في المجتمع الاسلامي، وهو من خطوات الشياطين، وسرد من الخطط الشيطانية:

إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي[2] لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً[3]، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ ٱلْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا[4] عَنْ نَزَغاتِهِ[5] وَنَفَثَاتِهِ[6]، وَٱقْبَلُوا النَّصِيحَةَ

---

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٥ ـ ٢٩٦.
(٢) في هـ ب: أي يسهل، يقال: سنىٰ الله الامر: أي فتحه وسهّله.
(٣) في هـ ب: أي يريد ان يدخلكم فيه.
(٤) في هـ ب: أي انصرفوا عن افساده.
(٥) النزع: الوساوس.
(٦) في هـ ب: النفث شبيه النفخ، كما ينفخ الساحر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ شَرِّ ٱلنَّفَّاثَاتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾.

مِمَّنْ أَهْدَاهَا[١] إِلَيْكُمْ، وَٱعْقِلُوهَا[٢] عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

١ – (ان الشيطان يسني لكم طرقه) والسني: التسهيل، ومن طرق الشيطان الاسئلة التي توجب الشقاق.

٢ – (ويريد ان يحل دينكم عقدة عقدة) فان الهدف هو محاربة الاسلام خطوة فخطوة.

٣ – (ويعطيكم بالجماعة الفرقة) فان يد الله مع الجماعة، وليس بعد الجماعة إلّا الفرقة، ويترتب عليها اثارها، ومنها:

٤ – (وبالفرقة الفتنة) فان سياسة العدو هي «فرّق تسد» ويستخدم ما يتمكن لذلك. ويجب التحصن ضد هذه الخطط الشيطانية، واشار الى ثلاث نقاط رئيسية من ذلك، وهي:

اولا: (فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته) الصدف عن الشيء: الانصراف، والنزغة: ما يغري، والنفثة: الوسوسة، ومن طرقها: السؤال المشبوه الذي يطرح في غير أوانه.

ثانيا: (واقبلوا النصيحة ممن اهداها اليهم) وهي نصائح النبي القائد ﷺ الذي أهداها الى الصحابة الذين تقدم وصفهم.

ثالثا: (واعقلوها على انفسكم) العقل: الحبس، اي تطبيق نصائح الرسول القائد على انفسكم في الحياة، وفقنا الله جميعا لذلك، آمين.

---

(١) في هـ ب: من الهدية .

(٢) في هـ ب: اعقلوها، أي احبسوا نصيحتي على انفسكم.

[١٢٢]

ومنْ كلام له ٧ قالَهُ لِلْخَوَارِجَ وقدْ خَرَجَ إلى مَعَسْكَرِهِمْ وهُمْ مُقِيمُونَ على إنْكارِ الحُكُومَةِ:

تتلخص شبهات الخوارج في نقطة واحدة، وهي انكار الحكومة، وهي الدعوة الى حكم القران، والسلم التي دعا اليها معاوية برفع المصاحف، والتي انتهت الى قبولها من الامام، متجاهلين الاسباب والظروف التي دعت الى ذلك، وقد انتهت هذه الشبهة الى انشقاق صوف جيش الامام وتشكل جبهة في عسكر النهروان يتزعمها الخوارج، وقد قابل الامام هذا المعسكر مباشرة، وبادر الى مناقشة المنشقين.

(ط - ١٢٢/١) مناقشة المنشقّين:

لقد طلب الامام القائد من المنشقّين المناقشة في الاسباب التي دعتهم الى الانشقاق، فقد وجد الامام المنشقّين جماعات معارضة مختلفة انضوت تحت لواء واحد، وهو شعار انكار الحكومة، حيث ان فيهم من لم يكن في المنشقين ولم يقف على مجريات الاحداث، كما ينبئ عن ذلك سؤال الامام وجوابهم.

وقد وجد الامام ان الشبهة لهؤلاء يرجع الى فرقتين لكل منها حجتها، واما الفرق المعارضة الاخرى التي كانت منقادة للامام في شخصه أو حكومته من سائر الناس الذين لا شبهة لهم، فانهم لايخرجون من هاتين الطائفتين، فطلب منهم ان تكون المناقشة مع كل فرقة حسب دعواها، فقال:

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟» فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ: فَامْتَازُوا[١] فِرْقَتَيْنِ؛ فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْها فِرْقَةً؛ حَتَّى أُكَلِّمَ كُلًّا[٢] بِكَلاَمِهِ، وَنَادَى النَّاسَ، فَقَالَ:

أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْكَلاَمِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ[٣] شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا.

ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عليه السلام بِكَلَامٍ طَوِيلٍ، مِنْ جُمْلَتِهِ[٤] أَنْ قَالَ عليه السلام:

---

(١) في هامش ب: أي انفردوا، من الامتياز.
(٢) في د: كلاً منكم.
(٣) في هـ ب: أي طلبناه.
(٤) في أ وط: منه، ولم ترد «ان قال» فيهما.

١ - (اكلكم شهد معنا صفين؟) وهو بهذا السؤال حدد منطق كل واحد من الفرقتين، وطرق المناقشة معها.

٢ - (فقالوا منا من شهد، ومنا من لم يشهد) فهم ليسوا جبهة واحدة عارضت بنفس المستوى الفكري.

٣ - (حتى اكلم كلا منكم بكلامه) فان منطق كل فرقة منها يخالف الاخرى، فانهم بين من له شبهة فكرية وهو قد شاهد الاحداث واسبابها ونتائجها، وبين من لم يشهد شيئا من ذلك، بل تأثر بدعايات الفرق الاخرى، وقد اقترح الامام اقتراحا منطقيا من قائد لايريد الانشقاق بين الامة .

٥ - (ونادى الناس) ولم يذكر نص النداء ولا مصدره، وربما كان ذلك من الجانبين، وان بعضهم كانوا مناصرين للامام بالشعارات المؤيدة له، وبعضهم مناوئين بالشعارات المناوئة له. فمنع القائد ذلك كله، واصدر اوامره (فقال : امسكوا عن الكلام) لان الموقف ليس موقف دعايات سياسية، بل موقف المناقشة مع المنشق من اجل توضيح الحقائق.

ثانيا: (وانصتوا لقولي) فالجانبان يجب يسمعوا الكلام فيتبعوا ما يجدونه حقا.

ثالثا: (واقبلوا بأفئدتكم الي) وليس بالكلام الفارغ والمهاترات التي لاتخدم الامة الاسلامية.

رابعا: (فمن نشدناه شهادة) فان لم يقتنع احد الجانبين، وافتقر الموقف الى شهادة شاهد، فحينئذ يكون الموقف المناشدة، وهي الحلف والقسم بالله.

خامسا: (فليقل بعلمه فيها) فلا يكون للدعاية السياسية والشبهات الشخصية دور في المناشدة، بل لابد وان يكون علما حتى تكون شهادة مقبولة مدعومة بالقسم باسم الله العظيم.

وهذه الخمس اصول أساسية في كل نقاش.

(ثم) بعد هذا الاقتراح (كلّمهمعليه السلام بكلام طويل، من جملته ان قال عليه السلام) المقطع الاتي الذي يبدو كونه موجها الى الفرقة الاولى، وهي الفرقة التي شهدت صفين، دون الثانية، فانها لعدم حضورها لاحجّة لها سوى دعايات الفرقة الاولى.

(٢ / ط - ١٢٢) **شبهة الخوارج:**

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ المَصَاحِفَ ـحِيلَةً وَغِيلَةً، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً ـ: إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ

دَعْوَتِنَا، اُسْتَقَالُونَا، وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفِيسُ[1] عَنْهُمْ؟

وقد سرد في هذا المقطع شبهة الخوارج، وهم الفرقة الاولى التي شهدت صفين، واذا بطل مستندهم يكون مستند أهل الشبهة الثانية التي لم تشهد صفّين ايضا باطلا؛ لانهم انما تأثروا بدعايات الفرقة الاولى من دون علم بمجريات الاحداث. وقد استخدم الامام قاعدة الإلزام بما ألزموا به انفسهم من المبررات، فسألهم على سبيل الانكار: (الم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة ومكرا وخديعة) بالنص التالي الذي يتضمن نقاطا، هي:

١ – (اخواننا) فهم مسلمون يجمعنا واياهم الاخوة في الاسلام.

٢ – (واهل دعوتنا) لاشتراكهم معنا في الدعوة الاسلامية .

٣ – (استقالونا) اي طلبوا منّا الاقالة من الحرب، والاقالة: الصفح، وفسخ الشئ الذي عقد عليه العزم.

٤ – (واستراحوا الى كتاب الله) بطلب الراحة والرجوع الى تحكيم القران في الحرب بين الطائفتين.

٥ – (فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم) لانها دعوة للسلم، والاسلام يحث على ذلك في روايات كثيرة.

وهذه النقاط الخمس هي ما استند اليها الدعاة الى التحكيم في ظل الحرب القائمة.

(٣ / ط - ١٢٢) موقف القائد:

فَقُلْتُ لَكُمْ: هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ؛ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ.

وشرح الامام القائد موقفه تجاه موقف الخوارج في المطالبة بايقاف الحرب بما اجابه عند اقتراح الكلمة في ظل الحرب بقوله: (فقلت لكم) ونص كلامه تتضمن النقاط التالية:

١ ـ(هذا امر ظاهره ايمان) حيث ترفع المصاحف اعلانا عن الايمان بحكم الله، ولكنه مجرد ظاهر ليس له واقع ؛ اذ لو كان ذلك عن رغبة واقعية لكانت الدعوة من قبل في بداية الحرب، وليس عند الشعور بالخسران.

٢ ـ(وباطنه عدوان) لكسب الموقف حتى يكون الاستعداد اتم للعدوان، كما هي عادة

(١) في هامش ب: أيالتفريج.

اية سلطة مادية تعلن عن دعوة السلام عندما تجد نفسها على مشارف خسران المعركة .

٣ ـ (وأوله رحمة) لانه دعوة الى كتاب الله سبحانه، والسلام الذي يصبو اليه كل مسلم.

٤ ـ (وآخره ندامة) على اهمال الواجب في لزوم طاعة القيادة، والندامة لا تكون الاّ عذابا.

٥ ـ (فاقيموا على شأنكم) في مواصلة الحرب حتى النصر.

٦ ـ (والزموا طريقتكم) من متابعة أوامر القيادة الاسلامية.

٧ ـ (وعضّوا على الجهاد بنواجذكم) بتوحيد السبيل الى الهدف بالجهاد في ساحة الحرب.

٨ ـ (ولا تلتفتوا الى ناعق نعق) لانه ـ أي الصوت الداعي الى السلام في مثل هذا الظرف الحاسم ـ ليس إلّا نعيقا كنعيق الغراب لكسب الوقت.

٩ ـ (ان اجيب اضل) فان نتيجة الاجابة لدعوة السياسي المحترف الذي لا يرى منافعه الشخصية ليس إلّا الضلال .

١٠ ـ (وان ترك ذلّ) ونتيجة ترك الضال ودعوتة الكاذبة الى السلم ان يصبح الضليل ذليلا؛ حيث لا يتمكن من الحصول على أهدافه السياسية بكسب المعركة.

وهذه النقاط العشر في نص كلام الامامعليه‌السلام كافية في توعية المنشقين الى الاسباب والنتائج والمواقف من الجانبين في ساعة طلب التحكيم، فليس للفرقة جواب عن هذه النصوص المتعاقبة.

واتضحت حقيقة الموقف للفرقة التي لم تشاهد صفين، وبذلك اتضحت الحجة على الجميع.

(٤ / ط ـ ١٢٢) خيارات الامام:

وقدْ كانَتْ هذِهِ الْفَعلةُ، وقدْ رأيْتُكُمْ أعْطَيْتُمُوها[١]، وٱللهِ لئِنْ أَبَيْتُها ما وَجَبَتْ عليَّ فَرِيضَتُها، ولا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَها، وٱللهِ إنْ جِئْتُها إنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ، وإنَّ الْكِتابَ لَمَعِيَ، مَا فارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ)[٢] وَلَقَدْ[٣] كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ ٱلْآبَاءِ[٤] وَٱلْأَبْنَاءِ وَٱلْإِخْوَانِ وَٱلْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إيمَاناً وَمُضِيًّا عَلَى

---

(١) يريد عليه‌السلام انكم انتم الذين اعطيتم ذلك.

(٢) ما بين القوسين من ط ود ولم يَرد في ص وأ وب.

(٣) في أ ود وط : فلقد.

(٤) في ط: على الآباء، وفي هـ. د: علىٰ الآباء ـ ض ح .

ٱلْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ[١] ٱلْجِرَاحِ[٢].

واشار الامام الى مواقف التحكيم في ظل تلك الدعوة المشبوهة الى أمور، هي:

اولا: موقف العدو (وقد كانت هذه الفعلة) وهي رفع شعار السلم من العدو عند الشعور بالخسران.

ثانيا: موقف الخوارج (وقد رأيتكم اعطيتموها) اي الحكومة برفض اوامر القيادة الاسلامية في مواصلة الحرب حتى (النصر أو الشهادة) كما هو الشأن في الحروب الاسلامية. ولذا انقطعت حجة الخوارج من هذه الفرقة الاولى راسا، فهم المسؤولون عن الموقف لمساندتهم دعوة العدو الكاذبة، ورفضهم اوامر قيادتهم الصادقة.

ثالثا: موقف الامام، وهو موقف القيادي الذي يقيم موافقه في الحرب والسلم على الثوابت الاسلامية، وليس على الدعايات والشعارات، وقد استدل على صواب موقفه بادلة ثلاثة، هي:

الاول: القرار القيادي من واجبات الامامة، فان على الامام ان يدرس كل موقف بكل ما يلابسه، ثم يقرر القرار الصائب من وجهة نظره، وليس على من دونه من أفراد الجيش مخالفة اوامر القيادة، فان الامام بعد ان يقرر قراره المدروس يجب ان يتبع اوامره القيادية في حالتي قرار السلم والحرب، واليها اشار بقوله مؤكّدا بالحلف:

١ - (والله لئن ابيتها ما وجبت علي فريضتها ولا حمّلني الله ذنبها) حيث ان رفض الحكومة تعني مواصلة الحرب العقائدية حتى النصر أو الشهادة عند اجتماع شروطها، فهي ليست فريضة على كل حال وان الله سبحانه فرضها على الامام عند تكامل الشروط، ولايكون عليه ذنب عند عدم توفّر الشروط، وفي حالة انشقاق الكلمة كما حصلت من الخوارج عند التحكيم لم تكن الشروط مجتمعة. ثم اردف بالقسم مؤكدا ايضا بقوله:

٢ - (ووالله ان جئتها أني للمحق الذي يتّبع) فان قبول التحكيم في الظروف الداعية اليه قرار قيادي يجب الرضوخ له، فكل مسلم عليه ان يلتزم بقرارت القائد وان كان لايرى رأيه؛ لانها قرارات قيادية عليا.

الثاني: حكم القران الكريم (وان الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته) مشيرا الى قوله تعالى: ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى

(١) في هـ ب: المضض: شدة الألم.
(٢) في ص: الجرح.

فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ الى امر الله﴾[1]

ولم يختلف هؤلاء الخوارج في ان العدو المتمثل بمعاوية وشيعته هم الذين كانوا قد بغوا على الامام الحق، وهو علي بن أبي طالب ، الذي انعقدت له البيعة في المدينة، فلابد ان يكون المسلمون مع الامام علي في مواقفه في الحالتين، وهما:

١ – حالة الحرب التي كانت بغيا على الامام .

٢ – حالة السلم التي كانت مما لامحيص عنها بعد انشقاق الكلمة في حقه .

وكانت حياة الامام طافحة بالشواهد التي تمرس عليها من الذوبان في القران نصا وقالبا حفظا وعملا منذ فجر الاسلام حتى شهادته.

الثالث: السنة النبوية في مواصلة الحرب العقائدية حتيالنصر أو الشهادة والجنوح للسلم عند اجتماع دواعيه.

اما عن الحرب في عهد الرسول حيث كانت الحرب بين المسلمين والكفار، قال:

١ – (فلقد كنا مع رسول الله ﷺ) في حروبه وغزاوته التي يقودها بنفسه أو بأمره.

٢ – (وان القتل ليدور على الاباء والابناء والاخوان والقرابات) كل ذلك في سبيل العقيدة؛ لان الحرب الاسلامية ليست حربا قبلية، بل هي حرب عقائدية تستهين في سبيل ذلك المادة والماديات، ونتيجة ذلك:

٢ – (فما نزداد على كل مصيبة وشدة الا) زيادة في امور، هي:

اولا: (ايمانا) لان الايمان يدعوا الى نصر الدين ولو على النفس والاقارب.

ثانيا: (ومضيا على الحق) لان الحق أحق بان يتبع من غيره من العلاقات الاسرية والاجتماعية.

ثالثا: (وتسليما للامر) الذي اراده الله للانسان في الحياة.

رابعا: (وصبرا على مضض الجراح) التي في الطريق حيث لا يخلوا الطريق من الشوك التي تعترض من يريد السير في الحياة الكريمة في الدنيا والسعادة في الاخرة.

(٥ / ط - ١٢٢) وأما السلم:

وهي عهد الإمام حيث الحرب استهدفت البغي، فلابد وان تنتهي عند انتهائه أو عدم المكنة من مواصلة الحرب، وحال التحكيم لا يخلوا من احدى الحالتين، فكان التحكيم خطوة اولى الى ذلك، وقد عبر عن ذلك بقوله:

---

(١) الحجرات: ٩.

وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلْإِسْلاَمِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ[١] وَالِاعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ[٢] يَلُمُّ ٱللهُ شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَى بِهَا[٣] إِلَى ٱلْبَقِيَّةِ فِيما بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

١ - (ولكنا اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام) فاختلفت حالة الحرب في عصر النبي ﷺ وعصر الامام، بان الحرب في الاول ضد الكفّار، وفي الثانية ضد البغاة.

٢ - (على ما دخل فيه) حيث دخلت في الاسلام مفاهيم ليست من الاسلام.

وقد اشار الى اربعة منها، هي:

- (من الزيغ) وهو الميل عن الحق .
- (والاعوجاج) وهو الالتواء وعدم الاستقامة.
- (والشبهة) وهي التباس الحق بالباطل.
- (والتأويل) وهو هنا: اخراج الشيئ عن حقيقته.

وفي هذه الحالات يجب الحرب لقلع هذا الدخيل ما أمكن، ومن اسباب ذلك: الدعوة الى السلم من العدو الباغي، والى ذلك اشار بقوله:

٢ - (فاذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا) الخصلة: الوسيلة، ولم الشعث، وهو جمع ما تفرّق من الامور.

٣ - (ونتدانى بها) بالتقارب وجمع الكلمة (الى البقية فيما بيننا) .

٤ - (رغبنا فيها) لان الهدف من الحرب ليس الحرب .

٥ - (وامسكنا عما سواها) مما يخدم مصلحة الاسلام والمسلمين.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «هذا الكلام يتلو بعضه بعضا ، ولكنه ثلاثة فصول لا يلتصق أحدها بالآخر ، وهذه عادة الرضى ، تراه ينتخب من جملة الخطبة الطويلة كلمات فصيحة ، يوردها على سبيل التتالي ، وليست متتالية حين تكلم بها صاحبها ، وسنقطع كل فصل منها عن صاحبه إذا مررنا على متنها».[٤]

الى ان قال: «قوله : " إن أجيب ضل ، وإن ترك ذل . . . " هو آخر الفصل الأول . وقوله : "

---

(١) في هامش ب: أي الميل.
(٢) الخصلة: الوسيلة، وفي هـ ب: إشارة إلىٰ مرادهم في التحكيم ان يحكموا علىٰ كتاب الله وسنة رسوله.
(٣) في هامش ب، وفي نسخة: وتتادي إلىٰ البَقية.
(٤) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٧ : ٢٩٨.

ضل " ، أي ازداد ضلالا ، لأنه قد ضل قبل أن يجاب . فأما قوله : " فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه " ، فهو من كلام آخر ، وهو قائم بنفسه ، إلى قوله : " وصبرا على مضض الجراح " ، فهذا آخر الفصل الثاني . فأما قوله : " لكنا إنما أصبحنا " ، فهو كلام ثالث غير منوط بالأولين ولا ملتصق بهما ، وهو في الظاهر مخالف ومناقض للفصل الأول ، لان الفصل الأول فيه إنكار الإجابة إلى التحكيم ، وهذا يتضمن تصويبها ، وظاهر الحال أنه بعد كلام طويل . وقد قال الرضى رحمه الله في أول الفصل: إنه من جملة كلام طويل ، وإنه لما ذكر التحكيم ، قال ما كان يقوله دائما ، وهو: إني إنما حكمت على أن نعمل في هذه الواقعة بحكم الكتاب ، وإن كنت أحارب قوما أدخلوا في الاسلام زيغا وأحدثوا به اعوجاجا ، فلما دعوني إلى تحكيم الكتاب أمسكت عن قتلهم ، وأبقيت عليهم ، لأني طمعت في أمر يلم الله به شعث المسلمين ، ويتقاربون بطريقة إلى البقية ، وهي الابقاء والكف».[1]

قال الجلالي: وكلامه غير مستقيم، فان الفصول الثلاثة منتظمة حق النظم، وان كان ما ذكره عن اسلوب الرضي في الاختيار – راجع القسم الاول من المسند –.

بيان ذلك: ان الامام عليه السلام استند في بطلان دعوى الخوارج الى امور ثلاثة، هي:

أولا: واجبات الامامة، وأنها ملزمة لكل المسلمين وخاصة الجيش، فان أوامر القيادة الاسلامية نافذة، والانضباط العسكري يفرض امتثالها لانها لاتصدر إلّا عن مصلحة أعلى للاسلام والمسلمين. وهذا يستفاد من قوله: (وقد كانت هذه الفعلة –الى قوله: – يتّبع) .

ثانيا: ان القران الكريم أمر باتباع الامام ومحاربة الفئة الباغية، وأشار الى هذا بقوله: (وان الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته).

ثالثا: السنة النبوية، وهو ما استشهد به من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله ابتداء من قوله: (ولقد كنا) الى ان ختمها بقبول السلم.

وليس في شيْ منها تناقضا، بل هي سلسلة مترابطة لتحقيق موجباتها، فالكلام الثالث منوط بالاولين وملتصق بهما، والله العالم .

وان حادثة التحكيم حيث انها خطوة نحو السلم الذي هو مصلحة للاسلام والمسلمين، يجب اغتنامها في سبيل ذلك .

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

[١٢٣]

ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة[١] الحرب

يوجه الامام الجيش في صفوفه ويستعرض نقاطاً للنصر، يجب ان يتمتع بها الجيش المحارب حتى تحقيق النصر، وكما علّمته تجارب الغزوات التي خاضها الى جنب الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، ثم يشير الى النتيجة المتوقعة من المحاربين في جيشه كما عرفه من سابق تواريخهم ونفسياتهم.

(ط - ١٢٣/١) من اسباب النصر:

وأيُّ امْرِيء أحَسَّ[٢] منْ نَفْسِهِ ربَاطَةَ جَأْشٍ[٣] عِنْدَ ٱللقاء ورَأى منْ أحَدٍ منْ إخْوَانِهِ فَشَلاً[٤] فَلْيَذُبَّ[٥] عَنْ أخيهِ بِفضْلِ نَجْدَتِهِ[٦] الَّتي فُضِّلَ بها عَليْه، كما يَذُبُّ عنْ نَفْسِهِ، فلوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ.

إِنَّ[٧] الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثيثٌ[٨] لايَفُوتُه المقيمُ، ولايُعْجِزُهُ الْهَارِبُ.

إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوت الْقَتْلُ؛ والَّذِي نَفْس ٱبْنِ أبي طَالِبٍ بيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بالسَّيْفِ أهْوَنُ[٩] مِنْ مَيْتَةٍ[١٠] على الْفِرَاشِ في غَير طاعة الله[١١].

من اسباب النصر في اي جيش محارب هو الوحدة في صفوف الجيش المحارب، وطبيعي ان تختلف معنويات الافراد وروحياتهم في التضحية والفداء بقدر اختلافهم في الرؤية للاسلام عقيدة وشريعة.

والامام –كمسؤول اعلى في القيادة – يبدي لجيشه نقاط النصر بقوله:

---

(١) في آ: وقت.
(٢) في هـ. ب: أي وجد.
(٣) في هـ. أ: يقال فلان رابط الجأش، وربيط الجأش: أي شديد القلب، كأنّه يربط نفسه عن الفرار، وفي هـ. ب: أي صلب القلب.
(٤) في هـ. ص: أي جبناً وخوراً، وفي هـ. ب: جبناً وضعفاً.
(٥) في أ: فليذبب، وفي هـ. ص، وفي نسخة: فليذبب، وفي ب: فليذبّب، وفي هـ ب: فليذبّ أي ليدفع، وفي نسخة: فليذبب، وفي هـ. د: وري فليرُب ـ ر.
(٦) في هـ. ب: شجاعته.
(٧) في ب: فإن، وفي هـ د: فان ـ ش.
(٨) في هـ. ب: سريع بالسير.
(٩) في ط زيادة: عليَّ، وفي هـ. د: زيادة: عليَّ ـ ص ح ب.
(١٠) هـ. ص: بكسر الميم فيصير الواو ياءً، ويروى: موتة بفتح الميم.
(١١) في هـ. د: «في غير طاعة الله» لم يرد في م ف ن ل ش.

(واي امرئ منكم) باعتباركم وحدة عسكرية (احس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء) ورباطة الجأش: قوة القلب في ساحة المعركة اكثر من غيره من الافراد المحاربين (ورأى من احد من اخوانه) في الوحدة العسكرية (فشلا) وهو الجبن (فليذبّ عن اخيه) والذبّ: الدفاع.

(بفضل جدته) وهي الشجاعة، فانها فضيلة قد حصلت للبعض دون الاخر، وهذه الفضيلة تستدعي ان يساعد غيره (التي فضل بها عليه) فان الله فضله بهذه الشجاعة على غيره ويقتضي استخدامها (كما يذب عن نفسه) فان الواجب العسكري هو الدفاع عن كل فرد من افراد الوحدة العسكرية.

وقد اشار الى الاسباب الداعية الى هذا الواجب العسكري بقوله:

٢ – (فلو شاء الله لجعله مثله) فحيث اكرمه الله بالشجاعة والقدرة، والشكر على هذه الفضيلة يستلزم ان يساعد من ليس له ذلك.

٣ – (ان الموت طالب لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب) فانه اذ لم يساعد الشجاع من لا شجاعة له، فان ذلك لايضمن له الحياة ؛ لان الموت يطلب كل انسان في الحياة، سواء كان مقيما أو هاربا، ام لا.

٢ – (ان اكرم الموت القتل) فاذا لا يموت المحارب في ساحة المعركة، فانه لابد وان يموت في مكان ما من الارض، والموت للانسان العسكري خاصة قتلا دفاعا عن الوطن اشرف موت، وقد ختم المقطع بمثال يقتدى به من قائد اسلامي هو نفس الامام بقوله:

٤ – (والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف اهون علي من ميتة على الفراش في غير طاعة الله) فاذا كان القائد بهذه المرتبة من الرؤية الواضحة في ساحة المعركة، فيلزم ان يكون الجند في وحدته العسكرية كذلك، وتواريخ حياة الامام تؤكد هذه الحقيقة، فانه عليه السلام قال عندما ضربه ابن ملجم المرادي في محراب الصلاة : «فزت وربّ الكعبة».

(٢ / ط - ١٢٣) النتيجة المتوقعة:

وفي ختام المقطع اشار الى التنبؤ بمستقبل الجيش بسبب ما يعرف من احوالهم الحاضرة والماضية، حيث انهم على العكس من المطلوب في الجند المحارب، وقد سرد ما هو المتوقع فيهم وفي مستقبلهم بقوله: (وكاني انظر اليكم) وانتم في ساحة المعركة بصفات مناقضة للمطلوب من الجندي المخلص، وهي:

وكأنِّي أنْظُرُ إِليكُمْ تَكَشُّون[١] كَشِيشَ ٱلضِّبابِ[٢]، لاتَأْخُذُونَ حَقّاً، ولاتَمْنَعُونَ ضَيْماً، قدْ خُلِّيتُمْ[٣] والطَّرِيقَ[٤]، فالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، والْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّم[٥].

١ - (تكشون كشيش الضباب) الكشيش: الصوت يشوبه خور، والضباب: جمع ضبّ، وهو حيوان بري معروف بالحقد والمراوغة. يريد ان الجيش يكون لهم اصوات كأصوات الضب من الخوف والجبن.

٢ - (لاتأخذون حقا) أي تعلمون الحق يؤخذ منكم غصبا وانتم باعتباركم الجيش المرابط الذي من واجبه الدفاع عن الحق، لا تقومون بواجبكم.

٣ - (ولا تمنعون ضيما) الضيم: الظلم، ومن أعدم المنع من ذلك يكون ذليلا في أعلى درجات الذل، وهو ما لا ينبغي وجوده في المحارب.

وختم ذلك بالاشارة الى النتيجة المحتومة للواجب العسكري، وهما امران:

اولا: (فالنجاة للمقتحم) وهو الذي يقتحم ساحة المعركة مؤمنا برسالته العسكرية في الدفاع عن الدين والوطن.

ثانيا: (والهلكة للمتلوم) وهو المتباطئ في اداء واجبه العسكري؛ فانه يكون هالكا روحيا ومعنويا، وخازيا تاريخيا.

---

(١) في هـ. ب: تصوّتون.

(٢) الضباب جمع ضب، وكشيش الضباب: صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها، وفي هـ. ص: يشبه الخوار، مثل الخشخشة.

(٣) في هـ. ب: «مع» أي تركتم مع الطريق.

(٤) في هـ. ص: أي طريق الجنّة، وهي الأعمال الصالحة، أعلاها الجهاد.

(٥) في هـ. ب: التلوّم: التمكّث.

[١٢٤]

وَمِن كلامٍ لهُ عليه السلام(١) في حثّ(٢) أصحابه على القتال:

يستعرض الامام في هذا الكلام واجبات الجند المحارب وواجبات راية الحق، وعواقب الفرار من الحرب، ويقوم بتشجيع المحاربين، والدعاء على جيش الضلال وبيان طرق القضاء عليهم.

(١/ط - ١٢٤) من واجبات الجند:

كل جيش في العالم القديم والحديث يتكون من افراد هم الجنود والقادة، اضافة الى المعدات والاسلحة، فاذا كان العصر الحديث قد تفوق بالأسلحة الفتاكة المبيدة للبشرية في لحظات من القنابل الذرية، فانها لا تزال تفتقر الى جنود يتحركون على الارض، والجندي المحارب في ساحة المعركة وان زوّد بمختلف الاسلحة الحديثة، فانه يفتقر الى صفات خاصة ذكرها الامام عليه السلام في العبارات التالية:

فَقَدِّمُوا الدّارِعَ(٣) وأخِّرُوا الْحَاسِرَ(٤)، وَعَضُّوا على الأضْرَاسِ؛ فإِنّهُ أنْبَا(٥) لِلسيُّوفِ عَنِ الْهامِ(٦)، والْتَوُوا(٧) في أطْرَافِ الرِّمَاحِ؛ فإنّهُ أمْورُ(٨) لِلْأسِنَّةِ، وَغُضّوا الأبْصَارَ؛ فإِنَّهُ أرْبَطُ لِلْجَأشِ(٩) وأسكَنُ لِلقُلُوبِ، وأمِيتُوا(١٠) الأصْوَاتَ؛ فإنّهُ أطْرَدُ لِلْفَشَلِ.

١ - (فقدموا الدارع) والدارع: هو لابس الدرع، فهو اولى بالتقدم في الساحة لتترسه بما يقيه من سلاح العدوّ.

٢ - (وأخروا الحاسر) الذي لا درع عليه، فانه معرض للفتك به أكثر من غيره،

---

(١) في أ بدل «ومن كلام له عليه السلام» في حض أصحابه على القتال: ومنه.
(٢) في ص: حظّ.
(٣) في هـ. ص و ب: ذا الدرع.
(٤) في هـ. ب: الحاسر: الذي لا درع له ولا مغفر، وفي هـ. ص: من ليس له درع؛ لئلّا تصيبه السهام.
(٥) في أ و ط: انبىٰ.
(٦) الهام: جمع الهامة، وهو الرأس.
(٧) في هـ. ب: التوىٰ وتلوّى بمعنىٰ، وكلاهما مطاوع أعناقِ الرجال في الخصومة.
(٨) المور: الاضطراب الموجب للانزلاق، وأمور: أشد فعلاً للمور، والمراد: إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فأميلوا جانبكم فتزلق ولاتنفذ فيكم أسنتها، وفي هـ. ب: من مار يمور.
(٩) في هـ. ب: أثبت للقلب.
(١٠) في هـ. ب: من الإماتة.

والمفروض أن الحرب العقائدية الاسلامية يشترك فيها كل المسلمين على اختلاف طبقاتهم.

٣ - (وعضّوا على الاضراس؛ فانه أنبى للسيوف عن الهام) والضرس: السن، والنبوة: عدم الاصابة، والهام: الراس، فان العض على الاسنان يؤثر في مقاومة الرأس لأثر السيف.

٤ - (والتووا في اطراف الرماح؛ فانه أمور للأسنة) والالتواء: الميل الى الجانب، والمور: الاضطراب؛ فان السنان الرمح، فان من طرق مقاومة الرماح: الالتواء ؛ كيلا تصيب الانسان ؛ لانها تصيبه لو كان على حالة واحدة .

٥ - (وغضوا الابصار) وذكر من نتائج غض البصر:

اولا: (فانه أربط للجأش) وهو الرباط والجأش: النفس.

ثانيا: (واسكن للقلوب) فلا يعتريه الاضطراب (فان كثرة النظر يوجب اضطراب البال، بينما غض البصر إلّا عن الهدف يوجب التركيز عليه.

٦ - (وأميتوا الأصوات؛ فإنه أطرد للفشل) وهو الجبن، فان كثرة الاصوات يشوش البال، فيزرع الخوف في الانسان المحارب.

وهذه النقاط الست ضرورية في رفع معنويات اي جندي محارب في الساحة .

(٢ / ط - ١٢٤) راية الحق:

وحيث ان الراية هي الدليل للجيش المحارب، فان كل جيش يهتم في جعلها مرفوعة عالية ، كعلامة للصمود في ساحة المعركة، ودليلا للجيش للتحرك على ضوئها، وقد خصها الامام بنقاط قيادية، هي:

ورايَتَكُمْ فلا تُمِيلُوها، ولاتُخلوها[١]، ولاتَجْعَلُوها إلّا بأيْدِي شُجْعانِكُمْ، والمَانِعينَ الذِّمَارَ[٢] مِنْكُمْ؛ فإنَّ الصَّابِرينَ علىٰ[٣] نُزُولِ الحَقائِقِ[٤]، هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ[٥] بِرَايَاتِهم[٦]

---

(١) في آ: تخلّوها، وفي هـ. ب، وفي نسخة: تخلّوها.

(٢) في هـ. ص: هو ما وراء الرجل مما يحقّ عليه أن يحميه، ويسمى ذماراً؛ لأنّه يجب على أهله التذمّر له، أي الغضب، في هـ. ب: الذمار: ما وراء الرجل مما يحقّ أن يحميه، تمت من الشرح.

(٣) في ص: عند.

(٤) في هـ. ص: الحقائق: جمع حاقّة، وهي الأمر الصعب الشديد، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ الحاقة : ٦٩ / ١، وفي هـ. ب: جمع حقيقة، وهي مايلزم الدفع عنها.

(٥) في هـ. ب: يطوفون.

(٦) في آ: راياتهم، وفي هـ. د: راياتهم ـ ف ن.

وَيَكْتَنِفُونَها[١] حِفافَيْها[٢] وَوَرَاءَها وأمامَها[٣]، ولاَيَتأخَّرُون عنها فَيُسْلِمُوها، ولا يَتَقدَّمُونَ عَلَيْها فَيفرِدُوها.

١ - (ورايتكم فلا تميلوها) فان ميلها يدل على نوع ضعف في حاملها، بل لابد وان تكون مرتفعة دائما، وتأتي الاهتمام بها في أعلى قائمة الاولويات.

٢ - (ولا تخلوها) بان لا تكون الراية لوحدها، وخالية عمّن يحافظ عليها.

٣ - (ولا تجعلوها إلّا بأيدي شجعانكم) ممن يتمكن من المحافظة عليها والحماية لها والدفاع عنها.

٤ - (والمعانين الذمار منكم) والذمار: ما يجب الحماية عنه، وما يغضب الانسان من أجله .

وعدد من اوصاف حامل الراية قوله:

٥ - (فان الصابرين على نزول الحقائق) والحقاق جمع: الحاقة، وهو الامر الصعب، ومنه: ساحة المعركة.

٦ - (هم الذين يحفّون براياتهم) والحف: الاحاطة، حيث يلتفون حول الراية باعتبارها الرمز.

٧ - (ويكتنفونها) والاكتناف: الاحاطة بها.

٨ - (حفافيها) الحف: الجانب، فهم يحتفون بالراية من الجانبين يميناً ويساراً.

٩ - (وورائها) وهو الخلف.

١٠ - (لايتاخرون عنها فيسلموها) لان التأخر عن الراية تعني تمكين العدو من الاستيلاء عليها، وذلك تسليم لها اليهم .

١٢ - (ولايتقدمون عليها فيفردونها) فان التقدم عليها يستلزم ان لاتعد الراية راية لهم، بل لابد من الالتفاف حول الراية في كل حركة للجيش في ساحة المعركة.

(٣ / ط - ١٢٤) في المعركة:

واشار الى واجبات الجندي في المعركة بنقاط اساسية، هي:

أجْزَأ[٤] ٱمْرُؤٌ قِرنَه، واسى[٥] أخاهُ بِنَفْسِهِ، ولمْ يَكِلْ[٦] قِرْنهُ إلى أخيهِ فَيَجْتَمعَ عليْهِ قِرْنهُ

---

(١) في هـ. ب: يحيطون بها.

(٢) في هـ. ب: جانبيها.

(٣) لم ترد «و» في آ و د.

(٤) في هـ. ص: قوله عليه السلام:« اجزأ»، أي كفى، وهو خبر في معنى الأمر، نحو: اتقى الله امرؤ فعل

وقِرْنُ أخيهِ.

١ - (أجزأ امرؤ قرنه) القرن: هو العدو المحارب وجها لوجه، فلا يستغل المحارب لغيره ممن لا يحاربه من الاعداء، بل يركز على الذي امامه.

٢ - (وآسي اخاه بنفسه) المساعدة لنصرة اخيه المحارب في صفه، يمكن فيما اذا كان في معركة مع العدو.

٣ - (ولم يكل قرنه الى أخيه، فيجتمع عليه قرنه وقرن اخيه) لان اخاه المحارب في الجيش يصبح بين عدوّين، الذي يحاربه مباشرة والذي تركه هذا، فان ترك العدو المحارب نصر للعدو على كل حال.

وبالاجمال: لابد من اداء الواجب العسكري الشخصي في ساحة المعركة.

(٤ / ط - ١٢٤) الفرار من المعركة:

وطبيعة الحرب كشف اصحاب الرؤية الضعيفة بالفرار من المسؤولية في وقت الحاجة الماسة اليهم، وبالأخص في ساحة المعركة، واشار مؤكدا بالقسم الى نتائج الفرار من المعركة، بقوله:

وَايْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْف الْعاجِلةِ لاَتَسْلَمُوا منْ سَيْفِ الآخِرَةِ[٧]. أَنْتُمْ[٨] لَهامِيمُ الْعَرَب[٩]، والسَّنام الأعْظَمُ[١٠] إنَّ في الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ[١١] اللهِ، والذُّلَّ اللاَّزِمَ[١٢] والْعارَ

خيراً فيثاب عليه، أي ليجزي امرىء قرنه، ومثله «واسِ أخاه». والقِرن: ما يقابلك في القتال. ثمّ عطف على ظاهر لفظ الماضي فقال: «ولم يكل قرنه الى أخيه» اي ليترك مقاومة قرنه حتى يعتضد مع قرن أخيه على أخيه فيقتلاه، وفي تسبب من ذلك مضرّة عليه عاجلة لايستطيع دفعها، وهي اجتماع قرنه وقرن أخيه بعد قتل أخيه على قتاله، وكان من قبل لو قاتل انما يقاتل قرنه فقط فيمكنه دفعه عن نفسه، والله أعلم. وفي هـ. ب: يقال: أجزأني الشيء، أي: كفاني.

(٥) في آ: آسى ، وفي ب: واسا.

(٦) في هـ. د: يتكل ـ ع، وفي هـ. ب: من وكلته الى نفسي.

(٧) في ص: الآجلة، وفي هـ. ص: الاخرة ـ صح.

(٨) في ط: وأنتم، وفي هـ د: وأنتم ـ ض ح ب .

(٩) هـ. آ: اللهاميم جمع اللهموم، وهو الجواد من الناس. وفي هـ. ص: أهم السادات من الناس، والجياد من الخيل،، الواحد: الهموم.

(١٠) يريد شرفهم وعلوّ أنسابهم، لانّ السنام أعلى أعضاء البعير.

(١١) في هـ. ب : السّخط والغضب.

(١٢) في هـ. د: وروي «الذل» بالذال والزاي ـ ر. قلت: ولعل الكلمة هي «اللاذم» لا «الذل»؛ فإن اللاذم بمعنى اللازم.

الْباقيَ، وإنَّ الْفارَّ غَيرُ[1] مَزِيْدٍ في عُمُرِهِ، ولا مَحْجُوزٍ بيْنَهُ وبينَ يَوْمِهِ، من رائح[2] إلى اللهِ كالظَّمْآن يَرِدُ المَاءَ، الجنَّةُ تحتَ أطْرَافِ الْعَوَالي[3]، الْيَوْمَ تُبْلَى[4] الأخْبارُ، واللهِ لأنَا أشْوَقُ إلى لقائِهِمْ منهمْ إلى دِيارِهِم[5].

اولا:(وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الاخرة) فان الفرار عاجلا يستلزم ذلا دائما في باقي الحياة في الدنيا وعذاب الاخرة والرمي في سلة المهملات.

ثانيا: (أنتم لهاميم العرب والسنام الاعظم) ومَن هذا شأنه لا يفر من الساحة، بل يصر على المقاومة في ساحة الحرب اداءا للواجب.

ثالثا: (ان في الفرار موجدة الله) وهي الغضب الالهي الموجب لسخط الرحمن.

رابعا: (والذل اللازم) فانه سوف يلازم حياة الانسان حتى الموت.

خامس: (والعار الباقي) الى لابد في تاريخ الاسرة.

وسادسا: (وان الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه) لان العمر مقدر من الله، ولا يحجز الفرار بين الفار وبين اليوم المقدر له، فقد قال تعالى: ﴿فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون﴾.[6]

وختم ذلك بالتشجيع على الدفاع عن الدين والوطن بما تمليه المسؤولية القيادية بنقاط اربع :

١ - (من الرائح الى الله كالظمآن يرد الماء) فان الحرب العقائدية تستلزم الاستعداد لهذا الرواح حتى يرد ماء الحياة.

٢ - (الجنة تحت اطراف العوالي) وهي الرماح لعلوّها .

٣ - (اليوم تبلى الاخبار) والبلاء: الامتحان، والاخبار: الانباء، في أنها هل تطابق الاعتقاد، أم لا. وختمها برغبته الشخصية:

٤ - (والله لأنا اشوق الى لقائهم منهم الى ديارهم) فانه باعتباره القائد في حرب

---

(١) في ط: لغير. وفي هـ. ص، وفي نسخة: لغير.
(٢) لم ترد «الرائح» في ط، وفي هـ. د: الرائح ـ ض ب، وفي هـ. ب: من الروح، وهو الذهاب الى الحرب.
(٣) في هـ. ب : القنا.
(٤) أي تمتحن أخبار كل امرىء عمّا في قلبه من دعوى الشجاعة والصدق في الايمان.
(٥) لم ترد «والله لأنا أشوق الى لقائهم عنهم الى ديارهم» في آ و ب.
(٦) يونس: ٤٩.

عقائدية أشوق الى لقاء العدو في ساحة المعركة من العدو الذي يشتاق الى الخلود الى الراحة في وطنه.

(٥/ط - ١٢٤) جيش الضلال:

وفي حالة الاستعداد للحرب العقائدية دعا الامام على جيش الضلال بقوله:

اللَّهُمَّ[١] فإنْ رَدُّوا الحَقَّ فافضُضْ جَماعَتَهُمْ، وشَتِّتْ كلِمَتَهُمْ، وأبْسِلْهُمْ[٢] بخَطايَاهُمْ[٣].

١ - (اللّهمّ فان ردوا الحق) فاولى مراحل الحرب الاسلامية الدعوة الى قبول الحق حتى يكون الجانبان على بصيرة في الحرب واتمام الحجة برؤية واضحة من الجانبين، فاذا ردّوا الحق فان ذلك يعد اعلانا منهم للحرب، فهم يستحقون الدعاء عليهم، وقد خصهم بالجمل التالية:

٢ - (فافضض جماعتهم) والفضّ: التفريق بينهم .

٣ - (وشتت كلمتهم) في الحرب، حتى تتزعزع ارادتهم .

٤ - (وابسلهم بخطاياهم) والابسال: التسليم الى الهلاك بسبب خطاياهم ؛ فانهم بحكم ردهم للحق يستحقون ذلك .

(٦/ط - ١٢٤) شروط النصر:

واشار الى شروط النصر على الجيش المادي، بقوله:

إنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ[٤] يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسيمُ[٥]، وضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ، ويُطِيحُ[٦] الْعِظَامَ، ويُنْدِرِ[٧] السَّواعِدَ والأَقْدَامَ، وحتى يُرْمَوْا بالمَناسِرِ[٨] تَتْبَعُها المَناسِرُ، ويُرْجَمُوا بالْكَتائِبِ[٩] تَقْفُوها الجَلاَئِبُ[١٠]، وحتى يَجُرَّ ببلادِهِمُ الخَمِيْس[١١] يَتْلُوهُ

---

(١) هذا دعاء على أهل الشام.

(٢) في هـ. ب : أي اسلمهم إلى الهلكة.

(٣) و في هـ. ص: أي اسلمهم لأجل خطاياهم التي اقترفوها ولا تنصرهم، يقال: أبسلت فلاناً: إذا أسلمته للهلكة، تمت من الشرح.

(٤) أي: متتابع، وفي هـ. ب : متتابعة.

(٥) أي ضرب متوال يفتح في أبدانهم أبواباً يمرّ منها النسيم، وفي هـ. آ: جمع نسيمة، وهي النفس.

(٦) في هـ. ب : يرمي.

(٧) في هـ. ب : يسقط.

(٨) في هـ. ص: المناسر: جمع منسر ـ بفتح الميم وكسر السين ، ويقال: بكسر الميم وفتح السين ـ، وقيل: هي الفصحاء: طائفة من الخيل يقدم امامه، وفي هـ. ب : جمع منسر، وهي قطيع من الجيش.

(٩) في هـ. ب : جمع كتيبة، وفي هـ. ص :جمع كتيبة، وهي طائفة من الجيش.

الخَمِيْسُ، وحتى تَدْعَقَ(١٢) الخُيُولُ في نَوَاحِرِ(١٣) أرْضِهِمْ، وبأعْنانِ(١٤) مَسَارِبِهِمْ(١٥) وَمَسَارِحِهِم(١٦).

قال الشريف ﵁: الدَّعْقُ: الدَّقُّ أيْ تَدُقُّ الْخُيُولُ بِحَوَافِرِها أرْضَهُمْ، وَنَوَاحِرُ أرْضِهِمُ: مُتقابِلاَتُهُمْ، يُقالُ: مَنازِلُ بني فُلاَن تَتَناحَرُ: أيْ تَتَقابَل).

١ - (انهم لن يزولوا عن مواقفهم) في رد الحق ونصرة الباطل، إلّا في الحالات التالية:

٢ - (دون طعن دراك يخرج منهم النسيم) والدراك: الطعن المتكرر الذي يحدث منافذ في الجسم يخرج منها الروح، فانهم لا يرضخون إلّا بهذا الاثر المادي .

٣ - (وضرب يفلق الهام) أي يشق الرأس بالسيف .

٤ - (ويطيح العظام) بواسطة السيوف التي تقطع الايدي والارجل .

٥ - (ويندر السواعد والاقدام) والندر: الاسقاط للايدي والارجل .

٦ - (وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر) والمنسر: القطعة المتقدمة من الجيش .

٧ - (ويرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب) الكتيبة: جماعة الجيش المكونة من المشاة، والجلائب: الخيالة في الجيش، التي تجري كما تجري الخيل في السباق في الحلبة، فيكون التحرك من كل صوب نحو العدو .

٨ - (وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس) والخميس: الجيش .

٩ - (وحتى تدعق الخيول في نواحر ارضهم) والدعق: الدق بقوة، والناحر: المقابل أو الآخر .

١٠ - (وباعنان مساربهم ومسارحهم) والعنان :الجانب، والمسرب: ما يسرب فيه المال الراعي، والمسرح: ما يسرح فيه من اول النهار، فهو أخص من المسرب.

وهذه النقاط العشر دعوات شديدة ضد من يرفض الحق عنادا، وبغياً من جيش

---

(١٠) في هـ. ب : الجلائب: الجيوش، و هـ. ص: والجلائب جمع جليبة وهي من يجلب للنصر (تمت من الشرح).

(١١) في هـ. ص: هو الجيش، وفي هـ. ب : جمع كتيبة.

(١٢) دعق الطريق: وطئه وطئاً شديداً، ودعق الغارة: بثها، وفي هـ. ب : الدعق: الدق، أي: تدق الخيول بحوافرها أرضهم.

(١٣) في هـ. ب : نواحر أرضهم: متقبلاتها. ومتقابلاتها، بني فلان تتناحر، أي: تتقابل.

(١٤) في هـ. ص: جمع عنن أي الجوانب، وفي هـ. ب : الجوانب.

(١٥) المسارب: المذاهب للرعي، وفي هـ. ب : يقال: سرب العجل سروبا، إذا توجّه به الى المرعى.

(١٦) في هـ. ب : مرتعهم.

الضلال.

[١٢٥]

وَمِن كلامٍ لهُ عليه السلام في معنى[١] الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال ويذمّ فيه أصحابه[٢]:

اشار الامام الى شبهة الخوارج، وجوابها الاول وهي قبول التحكيم .والثانية في مدة التحكيم، ثم واجب المقاومة ووصف جيش العدو والاصحاب.

(١ / ط - ١٢٥) **الشبهة الاولى:**

استعرض الامام الشبهة الاولى والاساسية للخوارج، وهي مؤاخذتهم على القائد قبول التحكيم، بقولهم: (لا حكم إلّا الله) وان قبول التحكيم يقتضي قبول حكم الرجال، وليس ذلك حكم الله، فمن قبل تحكيم الرجال اعرض عن القران.

وقد اجاب الامام القائد عليه السلام عن هذه الشبهة في جمل متتالية برفض هذا الاتهام، وقلع الشبهة من اساسها، وهي:

إنَّا لمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وإنما حَكَّمْنا الْقُرْآنَ، وهذَا[٣] الْقُرْآنُ إنَّما هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بيْنَ الدَّفَّتيْنِ[٤]، لايَنْطِقُ بِلِسَانٍ، ولابُدَّ لهُ منْ تَرْجُمانٍ[٥]، وإنَّما يَنْطِقُ عنْهُ الرِّجَالُ ولمَّا دَعانَا الْقَوْمُ إلى أنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنا الْقُرْآنَ لمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ[٦] عن كتابِ اللهِ تعالىٰ[٧]. وقدْ قالَ اللهُ سُبْحانَهُ ﴿فإنْ تَنازَعْتُمْ في شيء فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُولِ﴾[٨] فَرَدُّهُ إلى اللهِ أنْ نَحْكُمَ بكِتابِهِ، ورَدُّه إلى الرَّسُولِ أنْ نأخُذَ[٩] بِسُنَّتِهِ، فإذَا حُكِمَ بالصِّدْقِ في كتَابِ اللهِ فَنحْنُ أحَقُّ النَّاسِ بهِ، وإنْ حُكِمَ بِسُنَةِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وآلهِ[١٠] فنَحْنُ أوْلاَهُمْ بِهِ[١١].

---

(١) لم ترد «معنى» في ط.
(٢) العنوان في أ هكذا: ومن كلامه في التحكيم. وفي ط: ومن كلام له في التحكيم.
(٣) في ط: هذا، ولم ترد «و» في ط.
(٤) في هـ. ب : الدفتان: الخشبتين العريضيتين مثل اللوح المشدود ونحوه، الموصل بعضها ببعض من الرّق المسطور عليه، ويجعلون عليهما الجلود. وفي هـ. ص: الدفتان: هما جانبا المصحف اللذان يكتنفانه، وكان الناس يعملونهما قديماً من خشب، ويعملونهما الآن من جلد.
(٥) في هـ. ص: هو المعبّر، بضم التاء وفتح الجيم.
(٦) في هـ. ب : أي المدبر.
(٧) في ط: سبحانه وتعالىٰ.
(٨) النساء: ٤ / ٥٩.
(٩) في ب: أن يؤخذ.
(١٠) من قوله: «ولمّا دعانا» الى هنا، جعل في ط بين قوسين.
(١١) في هـ. ص، وفي نسخة: بها، و وفي هـ. د : «فنحن أحقّ الناس وأولاهم به» ساقطة من ل و ح.

اولا: ان الاتهام ظالم (انا لم نحكم الرجال) فهذه الشبهة دعوى ظالمة، بل الحقيقة، هي: (وانما حكّمنا القرآن) كما تقتضي شروط التحكيم، بالرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه، وهذا ليس من تحكيم الرجال في شيء.

ثانيا: ان القرآن يحتاج الى تفسير (هذا القرآن انما هو) وحي الهي منزل على قلب الرسول الاعظم، ويتصف بالصفات التالية:

١ ـ (هو خط مستور بين الدّفتين) والدفة: الجانب، فالنص القرآني كتابة منصوصة محفوظة.

٢ ـ (لا ينطق بلسان) لكونة مكتوبا، وان كان في عصر الرسالة منطوقا له ﷺ.

٣ ـ (ولا بدّ له من ترجمان) وهو مفسر اللغة بلسان اخر، وهنا من يفسر القران بالنطق كما كان الرسول يفسره بسنته المقدسة.

٤ ـ (وانما ينطق عنه الرّجال) فالرجال ليس لهم حكم من قبل انفسهم، بل الحكم لله وحده ولمن له الاهلية بتفسير القرآن الكريم للتطبيق في الحياة المعاصرة.

ثالثا: ان القران يأمرنا بالموقف القيادي الذي اتخذه الامام، وقد شرح ذلك بقوله:

١ ـ (ولما دعانا القوم) وهم العدو من جيش الضلال (الى ان نحكم بيننا القرآن) وليس الرجال.

٢ ـ (لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله سبحانه وتعالى) برفض الدعوة الى تحكيم القرآن، وذكر ان السبب في ذلك هو:

٣ ـ (وقد قال الله سبحانه: ﴿فان تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول﴾.

وقد شرح ان موقفه كان ذلك بقوله:

٤ ـ (فردّه الى الله أن نحكم بكتابه، وردّه الى الرسول ان نأخذ بسنّته).

وهذه هي نصوص التحكيم والرد الى الله ورسوله يستلزم القرار بقبول تحكيم القرآن.

وختمها بقوله: (فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحقّ النّاس به، وان حكم بسنّة رسول الله ﷺ فنحن أحقّ النّاس وأولاهم بها).

لان الهدف من الحرب الاسلامية العقائدية ليس إلّا ذلك.

وهذه النقاط الثلاث تكفي في رد الشبهة الاولى.

(٢ / ط - ١٢٥) الشبهة الثانية:

ثم أنه عليه السلام استعرض الشبهة الثانية للخوارج، وهي قرار التحكيم، وتتمثل بالهدنة على فترة زمنيّة لتطبيق مواد التحكيم، فاذا طبقت كان المطلوب، واذا لم تنفذ تلك المواد كانت

الحرب كما كانت من قبل، وهذه هي النتيجة طبيعية في كل العهود والمواثيق بين الافراد والدول، فاذا حصل اخلال في تطبيق تلك الشروط فان القتال سوف يتجدد معها.

وقد شرح الامام قراره في رد هذه الشبهة الثانية بقوله:

وأمَّا قَوْلُكُمْ: «لِمَ جَعَلْت بينكُمْ وَبيْنَهُمْ أجَلاً في التحكِيم» فإنَّما فَعلْت ذلكَ لِيتَبيَّنَ الجاهِلُ، ويَتَثَبَّتَ[(١)] الْعالِمُ، ولَعلَّ اللهَ أنْ يُصْلِحَ في هذِهِ الْهُدْنَةِ[(٢)] أمْرَ هذِهِ الأُمَّةِ، ولاتؤْخَذَ بأكْظَامِهَا[(٣)] فَتعْجَلَ عَنْ تَبيُّنِ الْحقِّ وتَنْقادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ.

(واما قولكم: لم جعلت بينك وبينهم أجلا في التحكيم؟) وذلك في نقاط:

اولا: لإتاحة الفرصة للامة لمعرفة الحقائق من الجانبين (فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم) فان الامة اصبحت في شك من هذه الحرب الاهلية على اثر الدعايات المعادية، وان الرضوخ لشروط السلم المقبولة شرعا فضح للمعتدي، فيكون هناك مجال للجاهل ان يستكشف الحقيقة، ويزداد العالم بصيرة وثباتا برؤية اكثر وضوحا في موقفه، واكثر حجة على العدو.

ثالثا: امل تحقق الصلح بين المسلمين (ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة امر هذه الامّة) وذلك بالرجوع الى الحق والتجانب عن جيش الضلال، والنتيجة لهذا الامل امور:

١ ـ (ولا تؤخذ بأكظامها) والكظم: مخرج النفس، فيكون لها فترة راحة من شدة الحرب، وبالنتيجة:

٢ ـ (فتعجل عن تبين الحق) حين يتبين الحق لجمع من الامة الذين لا يعرفون حقيقة العدو وخططه ودعاياته. ولولا الهدنة لركبوا غيهم وضلالهم.

٣ ـ (وتنقاد لاوّل الغى) فلولا الهدنة التي تفسح المجال لتحرّي الحقائق لانقادوا للبغي الاول من دون بصيرة.

(٣/ط ـ ١٢٥) نتيجة الاجوبة:

ونتيجة هذه الاجوبة الثلاثة: قبول الحق من الخوارج، وقد ذكر الاسباب بقوله:

إنَّ أفضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ[(٤)] مَنْ كانَ الْعَمَلُ بالْحَقِّ أحَبَّ إليْهِ وإنْ نَقَصَهُ وكَرَثَهُ[(٥)] مِنَ

---

(١) في هـ. ب : معناه وفائدته معاً: التأني حتى يعلم يقيناً.
(٢) في هـ. ب : الصلح.
(٣) في هـ. أ يقال: أخذت بكظمه: أي بمخرج نفسه، والجمع: الأكظام.
(٤) في ب: إلى الله، وفي هـ. ب :في نسخة: عند الله، وفي هـ. د: أفضل الناس إلى الله ـ ش.
(٥) في هـ. ب : كرثه: اشتدّ به وبلغ منه المشقة.

الْباطلِ وإنْ جَرَّ إليْهِ فائِدَةً وزَادَهُ. فأيْنَ[١] يُتَاهُ بكُمْ[٢]، ومنْ أيْنَ أُوتِيتمْ.

الاول: (ان افضل النّاس عند الله من كان العمل بالحق احب اليه – وان نقصه وكرثه – من الباطل وان جرّ اليه فائدة وزاده) والكرث: الشدة، وحيث يبتني بطلان الشبهتين الاولى والثانية للخوارج فينبغي لهم قبول الحق والعمل به وان كان في ذلك شدة على النفس.

الثاني: (فاين يتاه بكم؟) بعد ظهور الحقائق ورفع الشبهة، ولماذا تذهبون في التيه والحيرة بعد الاجابة على شبهاتكم؟

الثالث: (ومن أين اتيتم؟) فكيف انتم بهذه المواقف الباطلة التي استندت على وساوس شيطانية، فان المصدر الذي اتيتم به من الشبهتين ليست رحمانية، لانها لا تستند الى القرآن والسنة، فالمصدر لها لا يكون إلّا شيطانية.

(٤ / ط - ١٢٥) الواجب الحاضر:

وبعد نقض العدو شروط الهدنة ووضوح الحقائق على الجميع لا يبقى إلّا العمل بالواجب العسكري للجيش العقائدي وهو محاربة العدو، فقال:

اسْتَعِدُّوا لِلْمَسير إلى قوم حَيارَىٰ[٣] عنِ الحَقِّ لاَيُبْصِرُونَهُ، ومُوزَعِيْنَ[٤] بالجَوْرِ لايَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةٌ[٥] عَنِ الكِتَاب، نُكَّبٌ[٦] عن الطريق.

(استعدوا للمسير الى قوم) ضلال في الشام، وصفهم بالأوصاف التالية:

١ ـ (حيارى عن الحق) مترددين في قبول الحق (لا يبصرونه) لاجل ترددهم في القرار.

٢ ـ (وموزعين بالجور لا يعدلون به) والوزع: الالتهاء حيث ألهتهم السلطة والجور والظلم عن تحري الحقائق.

---

(١) في ط: أين، وفي هـ. ب في نسخة: فأنىٰ يتاه، وفي هـ. د: أين يُتاه بكم من أين أتـيتم ـ ب، فأين يُتاه بكم ـ ر.

(٢) في هـ. ب : يحيّر بكم.

(٣) في هـ. د: في قوم حيارىٰ. ب، وفي هـ. ب : حيارى: محيّرون.

(٤) في هـ. آ: أي مولعين، وفي هـ. ب : يقال: أوزعته بكذا، أي أغريته به، وفي هـ. ص الموزع: المعزى بالشيء الملهم له قال الله تعالى: ﴿ربِّ اوزعني﴾، وفي هـ. ب : لايعدلون: أي لايرضون إلّا بقول الظلم أو بفعل الظلم.

(٥) في د جفاة وهو جمع جاف.

(٦) في هـ. ب : نكب جمع نكوب أي: عدول عن الطريق.

وبالنتيجة: فهم لا يتركون ما تربّوا عليه ولا يعدلون عنه ولا يرضون بالجور والظلم بدلا.

٣ ـ (جفاة عن الكتاب) الجاف: النائي عن الشئ؛ فانهم يعرضون عن القرآن الكريم لانهم تربوا على خلاف التعاليم القرانية.

٤ ـ (نكب عن الطّريق) وهو الصراط المستقيم الذي شرعه الله سبحانه للبشرية.

وهذه الاوصاف لجيش الضلال المعادي للتعاليم الاسلامية كافية للاستعداد لمحاربتها بالجيش العقائدي.

(٥ / ط - ١٢٥) وصف الخوارج:

وختم المقطع باوصاف الخوارج لمواقفهم التي ظهرت في التحكيم بقوله:

ما أَنْتمْ بوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بها، وَلا زَوَافِر[١] عِزٍّ[٢] يُعْتَصَمُ إِلَيْها، لَبِئْسَ حُشَّاش[٣] نارِ الحَرَبِ أَنْتُم.

أُفٍّ لَكُمْ! لقَدْ لَقِيتُ مِنكُمْ بَرْحاً[٤]، يَوْماً أُنادِيكُم ويَوْماً أُناجِيكُمْ، فلاَ أحرَارُ[٥] صِدْقٍ عِنْدَ ٱلنِّدَاءِ، ولا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ[٦].

١ ـ (ما انتم بوثيقة يعلق بها) اي عروة وثيقة يعتمد عليها بالتعلق بها للخروج عن مأزق، فكيف بساحة الحرب؟

٢ ـ (ولا زوافر عز يعتصم اليها) والزافرة: الانصار والاعوان، يستعصم بهم في الشدائد.

٣ ـ (لبئس حشّاش نار الحرب انتم) والحاش: موقد النار، فانهم اثبتوا بماضيهم انهم دعاة فتنة وليسوا دعاة اصلاح.

٤ ـ (اف لكم) ضجراً من الصحبة والمعرفة لأناس يتصفون بهذه الصفات.

٥ ـ (لقد لقيت منكم برحا) والبرح: الشدة في الصحبة والطاعة لاوامر القيادة.

---

(١) في هـ. أ: زوافر الرجل: أنصاره وعشيرته، وفي هـ. ب : أعوان.
(٢) لم ترد «عز» في آ و ب.
(٣) في هـ. د وروي خشاش ـ ز، الحشاش: ما يحش به كالضرام، الحشاش: جمع حاش وهو من حششت النار: إذا أوقدتها، وفي هـ. ص بالكسر: ما يحش به النار أي يقوى، ويروى بالفتح كساع وهو الحطب الدّق يلقى في النار قبل الحطب الجزل؛ ويروى حُشاش بالضم، وتشديد الشين جمع حاش وهو الموقد للنار. تمت من الشرح.
(٤) د: برحاً، وفي هـ. ب: برحاً: شدة، وترحاً: حزناً، وفي هـ. د: قرحاً ـ ك، وروي: ترحاً ـ ر، وفي هـ. ص: بالباء الموحدة: الشدّة، ويروى: ترحا، بالتاء المثناة من فوق، أي حزنا، تمت من الشرح.
(٥) جمع حرّ.
(٦) في هـ. ب : بمعنى المناجاة.

٦ ـ (يوما اناديكم) لانهم غير متواجدين لاداء الواجب، بل يفتقرون الى استدعاء؛ لانهم بعيدون.

٧ ـ (ويوما اناجيكم) لانهم حاضرون يبدون الطاعة لاوامر القيادة كانهم مخلصون، وفي كلتي الحالتين لم يكن الاثر المطلوب للنداء والنجوى.

٨ ـ (فلا أحرار صدق عند النّداء) بالاوامر للحضور في ساحة الحرب، لتهربهم منها، كما ظهرت في مسألة التحكيم.

٩ ـ (ولا اخوان ثقة عند النّجاء) وهو المناجاة؛ لانهم يظهرون الولاء والاخلاص في الحضور، ويظهرون النقيض تماماً عند الغياب.

وهذه الاوصاف انما هي اوصاف المنافقين، فكان الامام يشعر بذلك في جمع منهم، وانما لم يعلن عن ذلك تاسيا بالرسول القائدﷺ فان في اعلان المنافقين يضيع كل امل في صلاحهم أو اصلاح اولادهم فيما بعد، ويكون سببا مباشرا في دفعهم الى المعارضة العلنيّة.

وفي ذلك خسارة حيث يخسر المجتمع الاسلامي طبقة يرتجى منها نصر الاسلام والمسلمين في المستقبل.

[١٢٦]

ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على تصيير[١] الناس أُسوة[٢] في العطاء من غير تفضيل أُولي السابقات والشرف[٣]:

وهذه الخطبة تتضمن السياسة العادلة للامام عليه السلام والاسباب التي بني عليها اساس سياسته المالية في الحكم.

(١ / ط - ١٢٦) **لمّا عوتب على التسوية في العطاء:**

أَتأْمُرُونِّي[٤] أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بالجوْرِ فِيمَنْ وُلِّيْتُ عليْهِ؟!.

والكلام موجه لجماعة اقترحوا عليه تغيير سياسته المالية في الحكم، وقد جاء في الخلفية التاريخية لهذا الكلام انه وجه الى جماعة من اصحابه وان لم تذكر اسماؤهم، فبالاسناد الى الكليني (ت/٣٢٨ هـ):«عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن محمّد بن علي ، عن أحمد بن عمرو بن سليمان البجلي ، عن إسماعيل بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار [٥]، عن إبراهيم بن إسحاق المدائني ، عن رجل ، عن أبي مخنف الأزدي قال: أتى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رهط من الشيعة فقالوا : يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والاشراف وفضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الأمور [٦] عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أتأمروني ـ ويحكم ـ أن أطلب النصر بالظلم والجور فيمن وليت عليه من أهل الاسلام لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير وما رأيت في السماء نجما والله لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم، فكيف؟ وإنما هي أموالهم ، قال:

---

(١) في ب: تصيره.

(٢) في ط و د: على التسوية في العطاء، وفي هـ. ب : من المساواة.

(٣) لم ترد «من غير تفضيل أولي السابقات والشرف» في أ و د.

(٤) في هـ. د: أتأمرونني ـ حاشية م. وفي هـ. ب : أصله «أتأمرونني» سكن الأُولى وادغم في الثاني.

(٥) في بعض النسخ: أحمد بن عمرو بن مسلم البجلي ، عن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار. وفي الوافي: عن أحمد بن عمرو بن مسلم ، عن إسماعيل...الخ .

(٦) أي استجمعت وانضمت، وفى بعض النسخ: حتى إذا استقت، يعنى استقامت. وفى بعض النسخ: استوثقت.

() قول العرب : " لا افعله ما سمر السمير " أي ما اختلف الليل والنهار. القاموس المحيط.

ثم أزم ساكتا طويلاً ثم رفع رأسه فقال: من كان فيكم له مال فإياه والفساد»[1] الى اخر الخطبة بزيادات، وراجع للتفصيل المسند.

ويستفاد من النص ان الاقتراح قد تضمن بنودا اربعة، ملخصها:

١ – (ان الاقتراح لم يكن اقتراحا فرديا، بل كان من (رجال من اصحاب علي) فهم جماعة اعتبروا في هذا الاقتراح.

٢ – (ان الاقتراح تضمن تفضيل العرب اولا، ثم قريش ثانيا، ثم الاشراف ثالثا، فيكون الموالي في الدرجة الرابعة، ويكشف عن نفوذ الطوائف الثلاث في المجتمع لتسلمهم القيادات العليا.

٣ – (ان الاقتراح كان خلال الحرب الاهلية مع معاوية، حيث انه كان يتبع هذه السياسة المالية في عصره .

٤ – (ان الاقتراح تضمن سياسة «الغاية تبرر الوسيلة» لقولهم: (فان استقام لك ماتريد عدت) .

٥ – (وهذه البنود تعبر عن شخصية المقترحين، وضعف رؤيتهم للاسلام ومبادئه ووسائله واهدافه، والتي كانت تناقض رؤية الامام عليه السلام المبتنية على الكتاب والسنة النبوية.

(٢/ط-١٢٦) رفض الاقتراح:

وقد رفض الامام الاقتراح؛ مشيرا الى ضعف الرؤية الاسلامية لهؤلاء المقترحين لمباديء الاسلام ووسائله وغاياته، وان السياسة المالية المقترحة من قبلهم خير مثال لذلك .

فان المبدأ هو تطبيق حكم الله سبحانه على الارض على عباد الله ، وليس لعباد الله بعضهم على بعض من فضيلة إلّا بمقدار سعيهم ﴿وان ليس للانسان إلّا ما سعى﴾ ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾.

وأما من حيث الوسيلة، فانه لايطاع الله من حيث يعصى، فالاسلام يرفض رفضا باتا مقولة:«ان الغاية تبرر الوسيلة» بل ان الغاية التي تتحقق بواسطة أمور غير مشروعة تكون نفسها غير مشروعة أيضا.

() أي أمسك عن الكلام طويلا .

(١) الكافي ؛ للشيخ الكليني ٤ : ٣١.

وأما من حيث الهدف، فان الهدف من الحكم ليس إلّا تطبيق حكم الله في الارض، وهو العدل بين عباد الله، فكما انهم عباد الله من دون استثناء كذلك يقسم بينهم مال الله بدون استثناء كما امر الله سبحانه ، وقد رفض الامام الاقتراح رفضا باتا مؤكدا المبادئ الاسلامية بقوله: (أتأمروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وُلّيت عليه؟) فان الجور من حيث المبدأ مرفوض رفضاً باتاً، ومن حيث الوسيلة: لايطاع الله من حيث يعصى .

ومن حيث الهدف، وهو النصر، يجب ان يكون بالعدل بين المحاربين جميعا من دون استثناء؛ لمشاركتهم جميعا في الحرب، والتفريق في العطاء بين طبقة وطبقة ليس من العدل في شئ.

(٣ / ط - ١٢٦) السياسة المالية:

اشار الامام الى رؤيتة الواضحة للسياسة الاسلامية مؤكدا بالقسم:

واللهِ لا أطُورُ[١] بِهِ[٢] مَا سَمَرَ[٣] سَميرٌ وما أَمَّ[٤] نَجْمٌ في السَّماءِ نَجْماً.

ولوْ كانَ المَالُ لِي لَسَوَّيْت بينَهُمْ، فكَيْفَ وإنَّما المَالُ مَالُ اللهِ[٥].

ثمَّ قال عليه السلام[٦]: **ألاَ وإنَّ إعْطَاءَ المالِ في غيرِ حَقِّهِ تَبْذيرٌ وإسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ في الدُّنْيا، ويَضَعَهُ في الآخِرةِ، ويُكْرِمُهُ في النَّاسِ، ويُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ، ولمْ يَضَعِ ٱمْرُؤٌ مالَهُ في غيرِ حَقِّهِ وعِنْدَ غيرِ أهْلِهِ[٧] إلاّ حَرَمَهُ[٨] اللهُ شُكْرَهُمْ، وكانَ لِغيرِهِ وِدُّهُمْ، فإنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فاحْتاجَ إلى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدين[٩].**

١ - (والله لا اطور به ماسمر سمير) اي لا اقارب هذا الاقتراح، ولا آخذ به قط فهو اقتراح مرفوض .

وقوله: (ما سمر سمير) مثل يراد به ابد الدهر، اي مادام الناس في ليلة قمراء.

---

(١) في هـ د: ما أطور به ـ ب.
(٢) في هـ . ب و ص: أي لا أُقربه.
(٣) في هـ . أ: سمير اسم للدهر، تقول العرب: لا أفعل ذلك ما سمر سمير وما سمر أيضاً سميرا أي لا أفعله أبدا.
(٤) في هـ . ب : أي دام.
(٥) في أ: وانما المال مال الله لهم، وفي ب: وانما المال لهم.
(٦) لم ترد «ثم قال عليه السلام» في ط.
(٧) في هـ د : ولا عند غير أهله ـ ب.
(٨) في هـ . ب : من الحرمان.
(٩) وردت العبارة في أ و د هكذا: «فشر خدين وألأم خليل». وفي هـ . د: فشر خليل والأم خدين ـ ح ل ش. وفي هـ . ب : الخدين والخليل كالخل والخليل، وألأم: من اللّوم.

٢ - (وما ام نجم في السماء نجما) والأم: القصد؛ لان النجوم تتبع بعضها بعضا وهي حالة طبيعية في الفلك لا تنتهي إلّا بانتهاء العالم.

وسرد لرفض الاقتراح اسباباً:

الاول: (لو كان المال لي لسويت بينهم) فان العدالة تقتضي هذه التسوية، وهي رغبة شخصية .

الثاني: (فكيف، وانما المال مال الله؟) وهذا امر مسؤول عنه امام الله، فكما ان الناس جميعا عباد الله ، فلابد ان يقسم مال الله بينهم جميعا .

الثالث: (الا وان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف) وقد ذم الله سبحانه التبذير بقوله: ﴿ان المبذّرين كانوا اخوان الشياطين ﴾[1] ونهي عن الاسراف بقوله: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾[2].

الرابع: (ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير اهله الا) وترتب على ذلك ثلاث نتائج، هي:

١ - (حرمه الله شكرهم) لان من يستلم المال عن غير استحقاق يعلم بانه لم يعط المال إلّا لغرض دنيوي، واقلها الشكر على هذا العطاء، فتولد فيه عقدة نقص يحاول اخفاءها بالشكر على المتفضّل بالمال، دون من يأخذ المال عن استحقاق، فانه يعلم ان ذلك اجرة عادلة لعمله .

٢ - (وكان لغيره ودهم) فان من يستلم من غير استحقاق يتعود على ذلك، فيكون اخلاصه لمن يقوم بذلك، وكل من دفع اكثر كان أكثر اخلاصاً له بسبب هذا التفضيل .

٣ - (فان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونتهم فشر خليل والائم خدين) وهو الصديق، لعلمه بان معطي المال لم يكن عادلا في العطاء، حيث دفعه من غير استحقاق، لغرض دنيوي. وقد تحقق له ما اراد، فانتهى مفعول ذلك من وجهة نظر المستلم للعطاء، فلا شئ له عليه وانما خالله وصادقه للمال، وقد انتهى، فانتهت به الخلة والصداقة.

ولو تأمل الانسان حياة الناس الذين عرفوا بالرئاسة في الدنيا لوجدهم على أحد النتائج الثلاث التي اشار اليها الامام عليه السلام ، فاذا سقط السلطان كان اصحابه واقرب الناس اليه انكرهم عليهم، ويكون اخوف منهم من غيرهم وهكذا هي سنة الحياة.

---

(١) الاسراء : ٢٧.
(٢) الاعراف : ٣١.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «واعلم أن هذه مسألة فقهية ورأي علي عليه السلام وأبى بكر فيها واحد ، وهو التسوية بين المسلمين في قسمة الفئ والصدقات ، وإلى هذا ذهب الشافعي رحمه الله ، وأما عمر فإنه لما ولى الخلافة فضل بعض الناس على بعض ، ففضل السابقين على غيرهم ، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة وفضل العرب على العجم ، وفضل الصريح على المولى ، وقد كان أشار على أبى بكر أيام خلافته بذلك ، فلم يقبل ، وقال: إن الله لم يفضل أحدا على أحد ، ولكنه قال: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾[1] ، ولم يخص قوما دون قوم. فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما كان أشار به أولا ، وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله ، والمسألة محل اجتهاد ، وللامام أن يعمل بما يؤديه إليه اجتهاده ، وإن كان اتباع علي عليه السلام عندنا أولى ، لا سيما إذا عضده موافقة أبى بكر على المسألة ، وإن صح الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله سوى فقد صارت المسألة منصوصا عليها ، لان فعله عليه السلام كقوله».[2]

(١) التوبة : ٩.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٨: ١١١ ـ ١١٢.

[١٢٧]

ومن كلام له عليه السلام للخوارج أيضاً[1]:

قامت شبهة الخوارج بعد مسألة التحكيم، وخلاصة الشبهة: ان قبول التحكيم من الامام كان ذنبا، وان مرتكب المعصية كافر، وان الكافر يجب قتله، وعلى هذا الاساس يجب مقاتلة الامام؛ لانه في اعتقادهم كافر. وراجع المادة في المعجم.

وقد تكرر مناقشة الامام معهم في الاحتجاج.

(١/ط-١٢٧) شبهة الخوارج:

واشار الامام في هذا المقطع الى ان الشبهة المدعاة من الخوارج ليس اصيلة، فانه لو صحت الشبهة للزم ان يأخذ الامام شخصيا بهذه التهمة ، دون غيره، فقد قال الله سبحانه: ﴿ولا تزروا وازرة وزر اخرى﴾ [2] في حين ان الخوارج في عصر الامام تعدوا في هذا التكفير الى عامة المسلمين ، وهذا الموقف من الخوراج يدل على رؤية ضعيفة في الاسلام، فقال الامام مستنكرا:

فإِنْ أَبَيْتُم إِلّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطأْتُ وضَلَلْت.

(فان ابيتم إلّا ان تزعموا) فان دعواكم بالتكفير زعم لا يدعمه برهان، حيث كرر الامام في مواقفه معهم بطلان هذا الزعم، لفرضهم القرار بالتحكيم حين رفضه الامام ورفضهم لنتيجة التحكيم حين تمّ ذلك .

(اني اخطات وضللت) حيث ان الزعم هو الخطأ في قرار التحكيم، ويستلزم هو الخطأ، والظال كافر، وان الكافر يجب ان يقتل، وعلى هذا الزعم يجب ان يعاقب الحكم الذي ارتكب الخطأ في زعمهم، وهو الامام، لكنهم عمموا ذلك الى جميع المسلمين.

(٢/ط-١٢٧) تكفير المسلمين:

وهذا الاتهام يناقض افعال الخوارج ويكشف عن تخبط في العقيدة وعدم الرؤية الواضحة لهم، حيث كفروا المسلمين في عصر الامام وحاربوهم جميعا على حد سواء، فاستنكر الامام ذلك، وخطأ اعمالهم بقوله:

فَلِمَ تُضَلِّلونَ عامَّةَ أُمّةِ محمّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ بِضَلَالي وتأخُذُونَهُمْ بِخَطِئِي

---

(١) لم ترد «للخوارج أيضا» في ط .

(٢) الانعام : ١٦٤.

وتُكفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبي، سيُوُفُكُمْ على عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَها مَوَاضِعَ الْبُرء[1] والسقْمِ، وتَخْلِطُونَ مَنْ أذْنَبَ بِمَنْ لمْ يُذْنِبْ.

١ ـ (فلم تضلّلون عامة امة محمّد ﷺ بضلالي) الذي تزعمون.

٢ ـ (وتأخذونهم بخطئي) الذي تدعون.

٣ ـ (وتكفرونهم بذنوبي) التي تعتقدون، فانه لا يؤخذ البرئ بغيره في الاسلام ان كنتم به تؤمنون.

٤ ـ (سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم) من دون تفريق بين البرئ وهم عامة الشعب الاعزل وبين السقيم في زعمكم وهو القائد المسؤول.

٥ ـ (وتخلطون من اذنب بمن لم يذنب) بل لابد من العمل بالثوابت الاسلامية ومنها مؤاخذة المذنب خاصة، دون غيره.

وهذه المواقف الخمسة غير الاسلامية تكشف عن ان مواقف الخوارج لم تكن بدوافع اسلامية حقيقية، بل كانت بدوافع الانتقام، حيث ان عامة الشعب المسلم ساند الامام في مواقفه من قبول التحكيم، وهذا ما لم يرض الخوارج، فاعتبروا عامة الشعب مشاركاً في ذنب لم يقترفه، ومسؤولا عن امر لم يعلمه.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «ليس لقائل أن يقول له عليه السلام معتذرا عن الخوارج : إنهم إنما ضللوا عامة أمة محمّد ﷺ ، وحكموا بخطئهم وكفرهم وقتلهم بالسيف خبطا ، لأنهم وافقوك في تصويب التحكيم ، وهو عندهم كفر فلم يأخذوهم بذنبك كما قلت لهم ؟ وذلك لان أمير المؤمنين عليه السلام ما قال هذه المقالة إلّا لمن رأى منهم استعراض العامة ، وقتل الأطفال حتى البهائم ، فقد كان منهم قوم فعلوا ذلك . وقد سبق منا شرح أفعالهم ووقائعهم بالناس ، وقالوا : إن الدار دار كفر لا يجوز الكف عن أحد من أهلها ، فهؤلاء هم الذين وجه أمير المؤمنين عليه السلام إليهم خطابه وإنكاره ، دون غيرهم من فرق الخوارج».[2]

(٣ / ط ـ ١٢٧) مخالفة السنّة:

وحيث استند الخوارج في مواقفهم الى القوة، فقد اشار الامام الى ان مواقفهم في تكفير

---

(١) في أ و ب : البراة. وفي ص: البراءة .

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٨ : ١١٣.

المسلمين واخذ البريئ بالمجرم أمر مخالف للسنة النبوية المطهرة، وأشار الى موارد اربعة منها:

وقدْ عَلِمْتُمْ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ رَجَمَ الزّاني المحصن[١]، ثمّ صلّى عَلَيْهِ، ثمَّ وَرَّثه أهْلَهُ، وقتَلَ الْقاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أهْلَهُ، وقَطَعَ السَّارِقَ[٢]، وَجَلَدَ الزَّانِي غيْرَ الْمحْصَنِ، ثمَّ قَسَّمَ عليْهِما منَ الْفَيْءِ، ونَكَحَا المُسْلِمْاتِ، فأخَذَهُمْ رسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ بِذُنُوبِهمْ، وأقامَ حَقَّ اللهِ فيهِمْ ولمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ منَ الإسلاَمِ ولمْ يُخْرِجْ أسْماءَهُمْ مِنْ بيْنِ أهْلِه.

ثمَّ أنتمْ شِرَارُ النَّاسِ، ومَنْ رَمَى بهِ الشَّيْطانُ مَرَامِيَهُ[٣] وَضَرَبَ بِهِ تِيْهَهُ[٤].

اولا: الرجم (وقد علمتم ان رسول الله ﷺ رجم الزاني المحصن ثم صلى عليه ثم ورثه اهله) فان الرجم حكم اسلامي ينفذ في حق من ارتكب الذنب خاصة، ولم يؤخذ غيره من اهله بها، بل فرق النبي بين حكم الزاني من الرجم وبين سائر احكامه الاسلامية من الصلاة عليه بعد الموت والميراث.

ثانيا: القتل (وقتل القاتل وورث ميراثه اهله) فان النبي ﷺ نفذ حكم الاعدام في القاتل، وخصة بالحكم من دون غيره، وفرق بين تنفيذ هذا الحكم كعقوبة اسلامية وبين سائر الاحكام الاسلامية، فنفذها فيه، منها: ميراث اهله منه كما لو مات ميتة طبيعية.

ثالثا ورابعا: السارق والزاني غير المحصن (وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما) نصيبهما (من الفيء، ونكحا المسلمات) فخصهما بالعقوبات الاسلامية في حقهما، ولم يتعد في ذلك الى سائر الاحكام، فكان لهما من الفيء والعطاء الاسلامي كما كان لهما النكاح في المجتمع الاسلامي.

فان سنة الرسول كانت في تحديد العقوبة حسب مواردها المنصوصة من دون تعدّ أو تفريط.

ففي هذه الموارد الاربعة اشار الامام عليه السلام الى السنة النبوية بقوله: (فاخذهم رسول الله ﷺ بذنوبهم، واقام حق الله فيهم) بتنفيذ العقوبات الاسلامية المفروضة طبقا لنظام العقوبات، (و) لكنه (لم يمنعهم سهمهم من الاسلام) لان العقوبات لا تتعدى مواردها

(١) لم ترد « المحصن » في أ و ب .
(٢) لم ترد « السارق » في ط، وفي هـ د: قطع يد السارق ـ ح .
(٣) في هـ ب: من الرمي .
(٤) التيه: المفازة يتاه فيها. وتله في الارض: ذهب متحيّرا.

المنصوصة (ولم يخرج اسماءهم من بين اهله) فكانت حقوقهم وعلاقاتهم الاخرى محفوظة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

ونتيجة هذه المقارنة بين افعال الخوارج وما ثبت من السنة النبوية: يظهر ان حركة الخوارج لم تكن حركة اسلامية، بل كانت حركة انتقامية، ووصف المنتمي اليها بصفات ثلاث:

الاول: الشر (ثم انتم شرار الناس) الذين تختلف دعاويهم عن اعمالهم.

الثانية: ادوات الشيطان (ومن رمى به الشيطان مراميه) حيث يسخدمهم غيرهم لاغراضهم.

الثالثة: المسلك الضال (وضرب به تيهه) حيث قادهم الشيطان الى الطريق الذي يؤدي الى التيه والحيرة.

(٤/ط - ١٢٧) اصناف الناس:

واشار الامام الى ان الناس في أية حركة على ثلاثة اصناف:

١ ـ اليمين المتطرف.

٢ ـ اليسار المتطرف.

٣ ـ الوسط المعتدل.

وان التطرف – أيا كان – هو اتجاه لا يستمر وان طال له الامد، بل لابد وان ينتهي الى الحل الوسط، وهو انخماد الثورة فيه.

وطبق ذلك بالنسبة الى نفسه باعتباره القائد الاسلامي والامام الذي يقتدى به وقال:

وسَيَهْلِكُ فيَّ صِنْفان: مُحِبٌّ مُفْرِط[١] يَذْهَبُ بِهِ الحُبُّ إلى غيْرِ الْحَقِّ، ومُبْغِضٌ مُفْرِطٌ[٢] يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إلى غيرِ الْحَقِّ، وخيْرُ النّاسِ فِيَّ حالاً[٣] الَّنمطُ الأوْسَطُ. فالْزَمُوهُ والْزَمُوا السَّوَادَ الأعْظَمَ فإنَّ يَدَ اللهِ على الجَماعَةِ، وإيّاكُمْ والْفُرْقَةَ؛ فإنَّ الشَّاذَّ[٤] مِنَ النّاس لِلشَّيْطانِ كما أنَّ الشَّاذَّةَ[٥] منَ الْغَنَم لِلذِّئْبِ.

(وسيهلك في صنفان) يتصفان بالتطرف، ولا خير فيهما، وهما:

١ ـ (محب مفرط) وعرفة انه من (يذهب به الحب الى غير الحق) فان للحب حدود

---

(١) و(٨) في هـ ب: المفرط: المتجاوز الحدّ، والمحب المفرط هو الغالي، والمبغض هو القالي.
(٣) في هـ ب: تمييز.
(٤) أي المنفرد.
(٥) في هـ ب: في نسخة: كما أنّ النّادة.

تتحدد بحدود الحق المعروفة في الاسلام، وفي هذه العبارة اشارة الى الغلاة.

٢ ـ (ومبغض مفرط) وهو الذي (يذهب به البغض الى غير الحق) وفيه اشارة الى الخوارج.

٣ ـ (وخير الناس في حالا) لكون حاله غير متصف بالتطرّف، هو الصنف الثالث: (النّمط الأوسط) والنمط: الصنف، ومن اجل كونه خيرا أمر بلزومه بقوله: (فالزموه).

ثم ذكر نتيجة هذا التصنيف، بان الصنف الذي هو خير يلزم فيه امورا ثلاثة، هي:

الاول: الملازمة (فالزموه) واللزوم: الثبات والدوام عليه، والاعراض عن غيره.

الثاني: السواد الاعظم (والزموا السواد الاعظم) فان النمط الوسط المعتدل يتشكل من جمهور الشعب، وليس من المتطرفين.

الثالث: الجماعة (فان يد الله مع الجماعة).

فان هذه الامور الثلاثة تستلزم متابعة النمط الاوسط فقط، لاعتداله الموجب للرؤية الواضحة للاسلام والثوابت التي يجب السير عليها.

ومن ذلك يعرف صفات التطرف من الاصناف الاخرى.

وامر بنبذ التطرف، لانها دعوة للفرقة بقوله: (واياكم والفرقة) وعلله بقوله:

(فان الشّاذّ من النّاس للشيطان كما ان الشّاذّ من الغنم للذّئب) ودراسة التاريخ توقف على ان انقراض الحضارات لم يكن إلّا بسبب الفرقة بين اهلها والانحراف عن السواد الاعظم منها.

(٥ / ط - ١٢٧) قرار حاسم:

اعلن الامام بقرار حاسم رأيه الصريح بالنسبة الى الخوارج الذين يمثلون اليسار المتطرف، لان بغضهم للامام تعدى الى تكفير المسلمين عامة، فقال:

أَلَا مَنْ دَعَا إلى هذا ٱلشِّعار[1] فاقتُلُوهُ ولوْ كانَ تحْتَ عِمَامَتي هذِهِ.

(الا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه) فان شعار الفرقة بين المسلمين أمر منكر عليهم، وقد رفعه الخوارج في عصره بتكفيرهم غيرهم من المسلمين، وذلك البغي نفسه، وكل باغ لابد وان ينزل عليه العقوبات الاسلامية.

واشار الامام بقوله: (تحت عمامتي هذه) الى نفسه حيث انه لا استثناء في تنفيذ

---

(١) قيل: كان شعار الخوارج: «لا حكم إلّا للّه»، وفي هـ ص : يعني شعار الخوارج، وكان شعارهم أنهم يحلقون وسط رؤوسهم ويبقى الشعر مستديرا كالاكليل، انتهى.

العقوبات الاسلامية.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «يعني شعار الخوارج، وكان شعارهم انهم يحلقون وسط رؤسهم ويبقى الشعر مستديراً حوله كالاكليل.

قال: ولو كان تحت عمامتي هذه، اي لو اعتم واحتمى بأعظم الاشياء حرمة، فلا تكفوا عن قتله).[١]

قال الجلالي: ان حلق الشعر النابت على الرأس ليس له من الاثر في تكفير المسلمين، مثل ما يدور في داخل الراس، وقد امر بقطع الراس الذي يدعوا الى الفرقة، لا الذي يدعوا الى الحلق. والشعار لغة: العلامة، ككلمة الشهادة، وان اطلقت مجازا على بعض المظاهر المعتادة عند ذوي الاطماع للسيادة.

واما العمامة، وان كانت من اعظم الاشياء حرمة عند الخاصة والعامة، فهي لا تسع لاكثر من واحد، ولا يتعدد فيه نازل وصاعد، ولا يلبسها اكثر من واحد، ولا يلبسها إلّا مؤمن أو جاحد، والحكم عليها ليس بالمنظر، بل بالمخبر، والله اعلم.

ومن ذلك يظهر ان المراد: شعار الخوارج، بانه لا حكم إلّا لله. فارادوا تمييز انفسهم بذلك عن جمهور المسلمين .

ـ كما ان شعار المسلمين (لا اله إلّا الله محمّد رسول الله) وهذان الشعاران يرمزان الى امرين، وان كانا في حقيقتهما امرين متلازمين، وذلك لان شعار الخوارج يعتبر تكفيراً للمسلمين، وشعار المسلمين ينفي ذلك، والله العالم.

وقد سرد الامام عليه السلام هذا الحكم الشديد بالنسبة الى الخوارج؛ لان شعارهم يتناقض مع القران في نقاط مترابطة، بقوله:

وإنَّما حُكِّمَ الحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا ما أحْيَ القُرْآن ويُمِيتَا مَا أَمَاتَ القُرآنُ، وإحْياؤُهُ الإجْتماعُ عليْهِ، وإمَاتَتهُ الافتِرَاقُ عنْهُ، فإنْ جَرَّنا الْقُرْآنُ إلَيْهِمْ اتَّبَعْناهُمْ وإنْ جَرَّهُمْ إلَيْنا اتَّبَعُونا.

١ ـ (فانّما حكم الحكمان ليحييا ما احيا القرآن ويميتا ما امات القرآن) فلم يكن التحكيم هدفا في نفسه، بل خطوة لتحكيم القران.

٢ ـ (واحياؤه الاجتماع عليه، واماتته الافتراق عنه) وقد اجتمع عليه السواد الاعظم من المسلمين، وافترق عنه المتطرفين من المعتزلة الذين كفروا المسلمين.

٣ – (فان جرّنا القرآن اليهم اتّبعناهم، وان جرّهم الينا اتّبعونا) كما يستلزمه تحكيم

---

(١) شرح النهج ٨: ١٢٣،ط ١٩٦١م .

القران لا غير، فيدور المسلم حيث يدور القرآن، باعتبارة القانون الاسلامي الثابت، سواء كان له ام عليه. وهذا كل ما كان يدعوا اليه الامام عملا بواجبه القيادي.

(٦/ط - ١٢٧) التفات الى الخوارج:

ثم ختم المقطع بالالتفات في الخطاب الى الخوارج انفسهم، مع بصيص الامل في توعيتهم اسلاميا بالاشارة الى الحقائق التي ادت الى قبول التحكيم، والتي كان لهم فيها ضلع.

فَلَمْ آتِ ـ لا أَبَاً لَكُمْ ـ بُجْراً[١]، ولا خَتَلْتُكُمْ[٢] عَنْ أَمْرِكُمْ، ولا لَبَسْتُهُ[٣] عليكُمْ، إنَّما اجْتَمَعَ رَأيُ مَلَائِكُم[٤] على اَخْتِيارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنا عليهما أَنْ لا يَتَعَدَّيَا[٥] القُرْآنَ.

١ ـ (فلم آت ـ لا ابا لكم ـ بجرا) والبجر: الشر العظيم في تحكيم القران بيننا وبين العدو.

٢ ـ (ولا ختلتكم عن امركم) والختل: الخديعة، لان سياسة الامام كانت السياسة المفتوحة، كما هو شان الحرب العقائدية.

٣ ـ (ولا لبسته عليكم) والتلبيس: خلط الامور للتمويه، كما يستخدمه السياسيون الماديون لاستخدام غيرهم في سبيل تحقيق مآربهم.

٤ ـ (انّما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين) فكان السواد الاعظم منهم على هذا الراي.

٥ ـ (اخذنا عليهما ألّا يتعدّيا القرآن) فكانت وحدة الكلمة في تحديد الصلاحية في الحكومة.

وهذه النقاط الخمس كان باختيار الاغلبية الساحقة من الجيش المقاتل الى جانب الامام بما فيهم الخوارج.

(٧/ط - ١٢٧) دور الخيانة:

واشار الى دور الخيانة من الحكمين، وتعديهما الصلاحية المخولة لهما بقوله:

فَتاها[٦] عنْهُ وَتَرَكا الْحَقَّ وهُما يُبْصِرَانِه، وكانَ الجَوْرُ هَوَاهُما فَمَضَيا عليهِ.

---

(١) في هـ. أ: البجر: الشر والأمر العظيم، وفي هـ. ب: شراً وأمراً عظيماً وعجباً.
(٢) في هـ. ب: خدعتكم.
(٣) التلبيس خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف وجه الحق فيه.
(٤) في هـ. ب: ملأئكم: جماعة من أشراف الناس.
(٥) في هـ. ب: يجاوزا.
(٦) في هـ. ب: تحيرا.

١ ـ (فتاها عنه) حيث تعديا عن القرآن في الحكومة وحكما برأيهما.

٢ ـ (وتركا الحقّ وهما يبصرانه) وليس ترك الحق عن بصيرة إلّا خيانة بالمسؤولية الملقاة عليهما بأن لا يتعديا القران.

٣ ـ (وكان الجور هواهما) فلم يدفعهما الى ما وصلا اليه إلّا الانحراف عن الحق.

٤ ـ (فمضيا عليه) فهما امضيا ما ارادا.

وهذه صفات الخائن بالمسؤولية، فلا تكون ملزمة لغيره.

(٨ / ط ـ ١٢٧) نتيجة الخيانة:

وعن الواجب في موقف خياني كهذا اشار بقوله:

وقدْ سَبَقَ[١] اسْتِثْناؤُنا عليهِما في الْحُكومَةِ بالْعَدْلِ والصَّمْدِ[٢] لِلْحَقِّ سُوءَ[٣] رَأْيِهمَا، وجَوْرَ حُكْمِهِما.

(وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة) حيث كانت الحكومة مشروطة بشرطين اساسيين، هما:

اولا: (العدل).

ثانيا: (الصّمد للحقّ) أي القصد له.

وكان هذان الشرطان قبل موقفهما الخياني المتصف (بسوء رأيهما وجور حكمهما).

فلا تكون الحكومة الفاقدة للمسؤولية نافذة؛ لفقدان شروطها المصرحة لهما في ذلك.

وبهذا المنطق الواضح أظهر رايه الواضح والصريح في اي موقف خياني يستخدم فيه الخيانة للوصول الى الهدف، فلا تكون ملزمة. كما يجب ان يعاقب الخائن دون غيره، لقوله تعالى: ﴿لا تزروا وازرة وزر اخرى﴾[٤].

---

(١) في هـ. ص: أي غلب.

(٢) في هـ. ب: القصد.

(٣) «سوء» مفعول لاستثناء.

(٤) الانعام: ١٦٤.

ومن كلام له عليه السلام(١) وهو مما كان(٢) يخبر به عن الملاحم بالبصرة:

يتضمن المقطع التنبؤ بالمستقبل، وما يجري فيه من الملاحم.

والملحمة: الوقعة العظيمة، وأحنف هو ابن قيس. ولم أقف على ترجمته.

(١ / ط - ١٢٨) الملحمة الاولى: جيش المستقبل:

فقال عليه السلام :

يا أَحْنَفُ(٣)، كأنِّي بِهِ(٤) وَقَدْ سارَ بِالجَيْشِ الَّذِي لَايَكُونُ لَهُ غُبارٌ وَلَا لَجَبٌ(٥)، ولا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ(٦) ولا حَمْحَمَةُ(٧) خَيْلٍ، يُثِيرُونَ الأَرْضَ بأَقْدَامِهِمْ كأنها أَقْدَامُ النَّعَامِ(٨).

قال الشريف الرضي: يُوْمِيء(٩) بذلك عليه السلام(١٠) إلى صَاحِبِ الزِّنْج.

وأشارت الملحمة الاولى الى أن جيش المستقبل يختلف عن الجيش التقليدي.

(٢ / ط - ١٢٨) ثورة الزنج:

في عام ٢٥٥ هـ ثار الزنج على الحكم العباسي بقيادة علي بن محمّد العلوي، على خلاف في نسبه، واستمرت ثورته حتى عام ٢٧٠ هـ.وللتفصيل راجع: موارد الاعتبار.

قال الجلالي: ولا يعلم حقيقة هذا التنبؤ إلّا الله سبحانه، ولكن ما ذكره الامام قد ينطبق على القنابل الذرية الموجودة في عصرنا الحاضر، وقى الله المسلمين شرّها. ومهما كان فالاوصاف غير طبيعية، وقد سردها بقوله:

١ ـ (يا أحنف) مخاطبا اياه دون غيره، كنفثة مصدور لمن يثق به، واوصاف ما تنبأ به، هي:

---

(١) في آ: ومن كلامه.

(٢) في آ و ط بدل «وهو مما كان»: فيما.

(٣) في هـ. ب: أحنف بن قيس من صحابته عليه السلام.

(٤) في هـ. د: كأني أنظر به ـ م. وفي هـ. ب: أي بهذا البلد يعني البصرة رجل خدع عـبيد أهـل البصرة وصيّر جيشاً له واسمه علي بن الحسين البرقعي.

(٥) في هـ. ب: صوت وصياح.

(٦) هـ. ب: جمع لجام.

(٧) في هـ. ب: صوت نَفَسِهِ.

(٨) في هـ. ب: أقدام النعام سود.

(٩) في ط زيادة: قال الشريف الرضي أبو الحسن رحمه الله.

(١٠) لم ترد «عليه السلام» في ط و د.

٢ ـ (كأني به) ويريد القائد لجيش محارب يتمتع بوسائل غير مألوفة.

٣ ـ (وقد سار بالجيش) وهو الطائفة المحاربة.

٤ ـ (الذي لا يكون له غبار) مع ان الجيش العادي يحدث ذلك عادة.

٥ ـ (ولا لجب) وهو الصوت الصادر من قعقعة الاسلحة.

٦ ـ (ولا قعقعة لجم) والقعقعة: الصوت الصادر من الاضطراب. واللجام: ما يجعل في فم الفرس من حديد لضبط السير.

٧ ـ (ولا حمحمة خيل) والحمحمة: صوتها.

٨ ـ (يثيرون الارض باقدامهم) فان لسيرهم اثر على الارض، تختلف عن اثر السير العادي.

٩ ـ (كانها اقدام النعام) وهو طائر يعيش في الصحراء، ولا يكون له اثر واضح على الارض.

وكذلك الجيش الذي تنبأ به الامام، فهو جيش يختلف في الوصف عن اثار الجيش العادي، فهل هو المعهود في عصرنا من القنابل الذرية، وهي المتنبأ بها؟ أو قنابل اشد فتكا واثرا منها؟ والله اعلم.

(٣/ط ـ ١٢٨) الملحمة الثانية – حضارة المستقبل:

وقد تنبأ عليه السلام بتطور الحضارات القادمة على الامة الاسلامية، وسرد من مظاهر هذه الحضارات قوله:

ثمَّ قالَ عليه السلام[(١)]:

وَيْلٌ لِسِكَكِكُم[(٢)] الْعامِرَةِ، والدُّورِ[(٣)] المُزَخْرَفَةِ الَّتي لَها أَجْنِحَة كأَجْنِحَةِ النُّسُورِ[(٤)]، وخَراطِيمُ[(٥)] كَخَراطِيمِ الْفِيَلَةِ مَنْ أُولئكَ الَّذِينَ لايُنْدَبُ قَتِيلُهُم، ولا يُفْتَقَدُ[(٦)] غائِبُهُمْ.

١ ـ (ويل لسككم العامرة) وانما دعا بالويل؛ لعدم الشكر على ما وهبهم الله في بناء الحضارة، فان الطرق كانت عامرة من دون ان تكون المبادئ التي تنتمي اليها ـ وهي

---

(١) في هـ. أ: في نسخة: يومىء بذلك الى صاحب الزنج، ثم قال صلوات الله عليه.
(٢) في هـ. ب: جمع سكة.
(٣) في ب: ودوركم. وفي هـ. د: ودوركم ـ ش.
(٤) في هـ. ب: جمع نسر، شبّه كل واحد من الدور التي زخرفها أهل البصرة وعن قريب تـهلك بالغرق بجناح النسر؛ لكثرة نقوشها، وبخرطوم الفيل لطولها.
(٥) أي: الميازيب.
(٦) في هـ د: ولا يفتقد ـ ب.

حضارة الاسلام ـ نامية كذلك، وهذا الاهمال للتوازن بين الدنيا والاخرة يوجب الويل.

٢ ـ (والدور المزخرفة) والزخرف: الذهب، فان الاهتمام يكون بالمظاهر الخارجية من الحياة.

٣ ـ (الّتي لها اجنحة) وهي ما يخرج من حائط الدار الى الطريق العام، فلا يكون إلّا لاظهار الزينة على المارة والتفرج عليهم من دون حاجة ماسة اليها.

٤ ـ (كاجنحة النسور) في التناسق وليس للانتفاع منها في الضياء أو غرض آخر، فلا يتخذ في البناء إلّا للرمز الى الغنى والعلوّ كطبقة اجتماعية راقية في المجتمع.

٥ ـ (وخراطيم كخراطيم الفيلة) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «انه الميزاب، ولا ادري ما هو وجه الشبه بين الميزاب والخرطوم، فان الميزاب قصير بالنسبة الى الخرطوم الطويل، واظن - والله العالم - انه اشارة الى الابنية العالية التي تستخدم فيها المصاعد، فهي في صعودها تنقبض كما ينقبض الخرطوم، وفي نزولها تنبسط كذلك، والله اعلم بما هناك.

وهذه الاوصاف الخمسة للابنية ذاتها حيث انها ابنية تبنى لا للحاجة الى السكن فيها، بل لطبقة خاصة تتنعم بها على حساب غيرها.

والساكنين في هذه المساكن وهم بالطبع لا يكونون إلّا من الطبقة المترفة في المجتمع، لا تحكمهم المبادئ الاسلامية الاجتماعية، واشار الى وصفين :

الاول: (من اولئك الّذين لا يندب قتيلهم) لانعدام الروابط الاجتماعية فيهم، فهم لا يتعارفون ولا يعرف الجار جاره، فلا روابط جوار، فاذا قتل منهم احد لا يكون له نادب أو نادبة.

الثاني: (ولا يفتقد غائبهم) حيث ان اى انسان يهتم بامور نفسه، فلا يكون له رغبة في الاهتمام بالاخرين، وربما كان ضيق الوقت سببا لذلك لعدم اهتمامه بغيره.

والوصفان يشيران الى فقدان الروابط الاجتماعية الاسلامية في المجتمع الزاحف على البصرة .

(٤ / ط - ١٢٨) تقييم الحضارة:

ومن موقعه القيادي تجاه هذه الحضارة القادمة قال:

أنا كابُّ[1] الدُّنْيا لِوَجْهِها، وقادِرُها[2] بِقَدْرِها، ونَاظِرُها بِعَيْنِها.

---

(١) في هـ. ص: هذا مثل الكلمات المحكية عن عيسىٰ عليه السلام: «أنا الذي كببت الدنيا»، وفي هـ.

١ ـ (أنا كاب الدّنيا لوجهها) والكب: قلب الشيئ على راسه. فلا تغريني الحضارات المادية بمظاهرها الخلابة في الدنيا ان كانت سببا في فقدان المبادئ الاسلامية.

٢ ـ (وقادرها بقدرها) فانما اقدر الدنيا بقدر القيمة التي تستحقها، بلا زيادة ولا نقصان، فان قدر الدنيا ان تكون وسيلة لراحة الانسان حتى يؤدي دوره الانساني فيها بخدمة أخيه الانسان.

٣ ـ (وناظرها بعينها) كما تقتضيه الرؤية الواضحة، فان الدنيا تحاول جعل الانسان خادماً لها، يلهث وراءها بما فيها من تجارة وعمران وتجديد بناء الى اخر عمر الانسان، فيجب على الانسان ان ينظر اليها بنفس العين التي تنظر بها اليه، حتى ينتصر عليها، وهي ان تصبح الدنيا خادمة للانسان، تساعده على تحقيق ما يريد تحقيقه في الحياة من دون ان يصبح فريسة لها، حتى يتركها الى دار الجنان. والله المستعان.

وبهذا الموقف القيادي ضرب الامام المثل الاعلى بان الحضارة وحدها لا تجلب الطمأنينة والسلامة الروحية الى الانسان، ان لم تكن مبتنية على اسس روحية متينة بشر بها الاسلام. والله المستعان.

(٥ / ط - ١٢٨) الملحمة الثالثة - التنبؤ باجتياح المغول للعراق:

اتفقت كلمة الرضي والشراح من بعده على ان هذا المقطع يخص وصف الاتراك في الملاحم التي ذكرها الامامعليه السلام ، وليس ذلك بعيداً عن المنبع العلوي النبوي، والاوصاف المذكورة تكاد تتطابق مع اوصافهم، ولعل الاقرب ان يكون التنبؤ مرتبطا بأصحاب الحضارات من الامم على اختلافهم في المذاهب والمشارب والاصول والفروع، فانهم جميعا يسيرون في مسيرة الحضارة، فتعم حالات الامم بما فيهم الاتراك، ومما وصفهمعليه السلام بها قوله:

مِنْها[٣] ـ ويُومِيء بِه[٤] إلى وَصْفِ ٱلاتراك[٥] ـ:

كَأَنِّي أَراهُمْ[٦] قَوْماً كأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجانُّ المُطَرَّقَةُ[٧]، يَلْبَسُونَ ٱلسَّرَقَ[٨]

ب: يقال: كبّه الله لوجهه. وقد يقال: أكبّه الله كابّها، وهو كابّ يقال: أكبّه فكبّ، وأكبّ لازم.

(٢) في هـ. ب: أي مقدرها.

(٣) في د: منه، وفي هـ ص :في نسخة: منه.

(٤) في ص و ط: بذلك. وفي هـ. ص في نسخة به.

(٥) في هـ. د: التتار ـ ب.

(٦) في ب: انظر إليهم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: أراهم.

(٧) في هـ. ب: جمع المجن، والمطرّقة من الطرق أي التي يظهر عليها الطرق.

والدِّيبَاجَ[٩]، ويَعْتَقِبُونَ[١٠] الخَيْلَ الْعِتَاق[١١] ويَكُونُ هُناكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ[١٢] حتَّى يَمشِيَ المَجْروحُ على المَقْتُولِ ويكُونَ المُفْلِتُ أقَلَّ مِنَ المأسُورِ.

١ ـ (كأني أراهم قوما) كسائر الاقوام والامم، ولكن يختلفون عن غيرهم بأنهم:

٢ ـ (كأنّ وجوههم المجانّ المطرّقة) المجان، جمع المجن: وهو الترس الذي يستخدم كوسيلة وقائية في الحرب، وهي عريضة يستتر به عن ضربات سيف العدو. والمطرقة: اي المضروبة بكثرة بالالة؛ لجعلها عريضة، ويكاد هذا الوصف ان يتطابق مع قوم المغول الذين لهم الوجوه العريضة التي لا توجد في الشرق إلّا فيمن ينتمي الى سلالتهم.

٣ ـ (يلبسون السّرق والدّيباج) والسرق: شقق الحرير، والديباج : الثوب للذي يلبس للزينة، والذي لحمتة وسداه من الحرير، ولعل ذلك على اثر تفاعلهم مع الحضارات الاخرى.

٤ ـ (ويعتقبون الخيل العتاق) الاعتقاب: حبس الشئ لقبض ثمنه، وهؤلاء يحبسون الخيل العتاق لانفسهم، والعتاق: النجيبة في اداء واجبها، وذلك بالعناية بها والحفاظ عليها.

وعن مصير هؤلاء القوم قال:

٥ ـ (ويكون هناك استحرار قتل) وهو شدة القتل، واشار الى شدة هذا القتل يلازم الاستحرار، وهو:

٦ ـ (حتّي يمشي المجروح على المقتول) لكثرة القتلى في ساحة المعركة وكثرة المجروحين.

٧ ـ (ويكون المفلت اقلّ من المأسور) حيث تكون الغلبة والنصر للكفاءة، لا للكثرة الساحقة، حيث يقضى على معظم الجيش المقام بالقتل أو الاسر، فلا يفلت منهم إلّا القليل.

وهذه الحالة تشاهد في كل حضارة غالبة تتحكم في حضارة مغلوب على امرها في التاريخ في الماضي والحاضر،فليس اوصافها التي تنبأ بها الامام في المستقبل إلّا صفحة

(٨) في هـ. ا و ب: أي الحرير.
(٩) الديباج.
(١٠) في هـا و ب: أي يحبسون، وفي هـ. ب: يركبون واحدة عقيب الأُخرىٰ، وفي هـ. ص: أي يجعلونها بمنزلة الرواحل يركبونها عقبة في الاسفار، وكانت عادة العرب ألّا يـركبون الخـيل إلّا وقت الحرب تكرمة لها وصيانة، فلما تمكنت العرب منها أهانتها.
(١١) في هـ. ب: العتاق: كرائم الخيل.
(١٢) في هـ. ا: استحر القتال: أي اشتد، وفي هـ. ب: استحر من الحرّ.

جديدة من ذلك.

فان تنبؤ الامام لمسير الحضارات ومصيرها امر حتمي، وكذلك انطباق ذلك على المغول في عصر الجامع ومن بعده.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «واعلم أن هذا الغيب الذي أخبر عليه السلام عنه قد رأيناه نحن عيانا، ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من أول الاسلام، حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام، وفعلوا بملوك الخطا وقفجاق، وببلاد ما وراء النهر، وبخراسان وما والاها من بلاد العجم، ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله تعالى آدم إلى عصرنا هذا على مثله، فإن بابك الخرمي لم تكن نكايته ـ وإن طالت مدته نحو عشرين سنة ـ إلّا في إقليم واحد وهو أذربيجان، وهؤلاء دوخوا المشرق كله، وتعدت نكايتهم إلى بلاد إرمينية وإلى الشام، ووردت خيلهم إلى العراق، وبخت نصر ـ الذي قتل اليهود ـ إنما أخرب بيت المقدس، وقتل من كان بالشام من بني إسرائيل، وأي نسبة بين من كان بالبيت المقدس من بني إسرائيل إلى البلاد والأمصار التي أخربها هؤلاء وإلى الناس الذين قتلوهم من المسلمين وغيرهم[1]».[2]

(٦/ط - ١٢٨) **علم الغيب:**

فَقالَ لهُ بَعْضُ أصْحابِهِ: لَقدْ أُعْطِيتَ يَا أَميرَ المُؤْمِنينَ عِلْمَ الْغَيْبِ، فَضَحِكَ عليه السلام وقالَ لِلرَّجُلِ وكانَ كَلْبياً[3]:

يا أَخَا كلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وإنَّما هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وإنّما عِلْمُ الْغَيْب علمُ السَّاعَةِ وما عدَّد الله بِقَوْلِه: ﴿إنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ السّاعَةِ﴾[4] الآية، فَيَعْلمُ سُبحانَهُ ما فِي الأرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثى وقَبيحٍ أوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أوْ بَخيلٍ، وشَقِيٍّ أوْ سَعِيدٍ، ومَنْ يكُونُ في

(١) ذكر ابن الأثير هذه الحادثة في تاريخه ـ حوادث سنة ٦١٧ وما بعدها ـ وقال: في أولها: " لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ! ومن ذا الذي يهون عليه ذكر ذلك ! فياليت أمي لم تلدني، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ! إلّا أنى حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعا.

(٢) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ٨ : ٢١٨.

(٣) في هـ. ب: أي من بني كلب.

(٤) في ط زيادة: ﴿ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت﴾ سورة لقمان: ٣١ / ٣٤.

النّارِ[١] حَطَباً أَوْ فِي الجِنانِ[٢] لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً، فهذَا عِلمُ الغَيْبِ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ أحدٌ إلّاَ اللهُ، وما سِوَى ذلِكَ فَعلَّمَ علْمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ. ودَعا لِي بأنْ يَعِيَهُ[٣] صَدْرِي وتَضْطَّمَ[٤] عَليهِ جَوَانِحِي[٥].

وبما ان الاخبار بالحوادث المستقبلية من الحضارات في مسيرها ومصيرها واثارها امر غير طبيعي للانسان المادي، استغرب بعض اصحاب الامام – وكان من عشيرة كلب – فعلق على ذلك مستغربا بقوله: (لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب!) ويظهر انه كان من المحبين الغلاة، وان استنتاجاً غريبا كهذا موجب للضحك والتعجب، مما دعي الامام الى بيان حقيقة العلم بالغيب.

فقال عليه السلام ان العلم بالمستقبل والتنبؤ بما يحصل، يكون له سببان:

الاول: هو العلم بالتعلم، فقد يكون من التجارب في الماضي تاريخيا أو شخصيا كما يتنبأ الاب بمستقبل ابنه، من جهة خبرته الشخصية وتنبؤ الانسان لمستقبل امة من درجة ثقافتها.

واشار الى ان علم الامام عليه السلام بهذه الحوادث ينبع من تعلمه من النبي صلى الله عليه وآله الذي اخبره بها خلال عمره الذي عاش معه منذ الصبا حتى وفاته صلى الله عليه وآله.

الثاني: هو علم الغيب الذي لا يعلمه إلّا الله سبحانه، وهو العلم بأمور خمسة، هي: العلم بيوم القيامة، ونزول الغيث، وحقيقة ما في الارحام، وعمر الانسان، ومحل موته.

فان العلم الحديث مهما تقدم وتطور، فانه لا يمكنه تحديد مصير العالم بالضبط، من انزال الغيث بالوصف الذي ينزل في كل العالم طبيعيا، ولا معرفة كل ما يتعلق بما في الارحام من مستقبل الجنين وحالته الروحية كما هي، واوصافه المادية، ولا تحديد مصير اي فرد بالضبط، ولا المكان الذي فيه يموت تحقيقا، فانه لا يعلمها سوى الله تعالى.

وقد اشار الامام عليه السلام الى ذلك كله مخاطبا المتعجب بقوله: (يا اخا كلب) لان تعجبه من تنبؤ الامام للمستقبل كان مقرونا بالاعجاب بشخصية الامام، وسرد نقاطا:

(انما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه) وهي امور خمسة، اشار اليها تعالى

---

(١) في ب و ص: للنار.
(٢) في ب: الجنات، وفي هـ. ب :في نسخة: الجنان.
(٣) في هـ. ب: يعيه: أي يحفظه. أي يصير قلبي كالوعاء المعدّ له.
(٤) في هـ. ب: يضطم من الضم.
(٥) في ب: جوارحي.

(بقوله:

١ ـ (انّ الله عنده علم السّاعة) وهي يوم القيامة.

٢ ـ (وينزّل الغيث) بالحالة الطبيعية التي تعم كل العالم.

٣ ـ (ويعلم ما في الارحام) من صفاتها المادية وصفاتها الروحية والمستقبلية.

٤ ـ (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من نتيجة اعمالها، فان ما يخططه في الدنيا للمستقبل قد يذهب هباء، وفي الاخرة لا يعلمها غيره تعالى.

٥ ـ (وما تدري نفس بأي ارض تموت) مهما اصبح حذراً في الاستعداد لذلك.

وعن نتيجة انحصار علم الغيب بذلك اشار عليه السلام :

(فيعلم الله سبحانه ما في الارحام) بجميع ما لها من الصفات المادية في الجسم والروحية التي تؤثر في مستقبله، وفصلها في نقاط:

١ ـ جنس الجنين (ذكر أو انثى).

٢ ـ وصف الجنين (قبيح أو جميل).

٣ ـ اخلاق الجنين (سخي أو بخيل).

٤ ـ مستقبل الجنين (شقي أو سعيد).

٥ ـ مصير الجنين (ومن يكون في النّار حطبا أو في الجنان للنّبيين مرافقا).

فان العلم بهذه الامور الخمسة على حقيقتها لا يعلمها إلّا الله سبحانه، والعلم لا يمكنه ان يكشف إلّا الجهات المادية منها فقط.

ثم أوضح عليه السلام بقوله: (فهذا علم الغيب الّذي لا يعلمه احد إلّا الله) وان علم الانسان محدود بالماديات فقط.

واشار الى غيره من العلوم، ومنها علمه شخصيا بقوله: (وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه فعلّمنيه) فان الفترة من عمره الذي عاصر فيها النبي صلى الله عليه وآله منذ الصبا وصاهره على خير النساء فترة زمنيّة كافية للتخرج من مدرسة النبوة بأعلى الدرجات، والانتهال من منبع علمه بادق المعلومات، كيف؟ وقد خصه النبي صلى الله عليه وآله بالدعاء حيث قال:

(ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطمّ عليه جوانحي) والضم: الاحتواء، والجوانح: الاضلاع التي تلي الصدر.

وكفى في الامرين اثرا من هذا العلم النقي المتوارث بين اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله جيلا بعد جيل.

[١٢٩]

ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازين(١):

يتضمن هذا المختار صفة الدنيا واهلها والمثال الحي لذلك، ووصف السلف والخلف، وظهور الفساد، والوعظ.

ولا ادري لماذا عنون بعنوان (في ذكر المكاييل والموازين). فليس فيها سوى مادة واحدة تشير الى الورع في المكاسب، ولعل ذلك كان في الاصل المنتزع منه هذا المقطع ، والله اعلم.

(١ / ط - ١٢٩) الدنيا وآثارها:

عِبادَ الله إِنَّكُمْ قَوْماً وَمَا تأمُلُونَ مِنْ هذِهِ الدُّنْيا أَثْوِياءُ(٢) مُؤَجَلُونَ، ومَدِينُونَ(٣) مُقْتَضُونَ(٤)، أَجَلٌ(٥) مَنْقُوصٌ(٦)، وَعَمَلٌ(٧) محْفُوظٌ، فَرُبَّ دَائِبٍ(٨) مُضِيعٌ، ورُبَّ كادِحٍ(٩) خاسِرٌ، قدْ(١٠) أَصْبَحْتُمْ في زَمَنٍ لايَزْدَادُ ٱلخَيرُ فيهِ إلّاٰ إِدْبَاراً، والشَّرُّ فيهِ إلّاٰ إِقْبالاً، والشَّيْطَانُ في هَلاَكِ النّاسِ إِلّا طَمَعاً، فهذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ(١١)، وَعَمَّتْ مكيدَتُهُ، وأمكَنَتْ فَرِيسَتُهُ(١٢).

سرد الامام في مفتتح المقطع مخاطبا (عباد الله) بأوصاف لاهل الدنيا يتخللها اوصاف الدنيا نفسها، فاول اوصاف اهل الدنيا: الامل في الدنيا، فقال:

---

(١) لم ترد:« والموازين» في أ و ط.

(٢) في ب: اتوياء، وفي هـ. ب: في نسخة: أثوياء، وفي هـ أ: منعّمون، وفي هـ. ب: أثوياء مقيمون، وأثوياء يعني مالكون، و في هـ. ص: جمع ثوى، أي أقام، أي نازلون إلى أجل كما ينزل الضيف. قلت: وتوى تأتي بمعنى هلك، وأتوياء: هالكون .

(٣) في هـ. ب: أي مجزيّون، وفي هـ. ص: أي معاملون بدين لأنّ الجزاء مؤخّر.

(٤) في هـ. ب: من التقاضي.

(٥) في هـ. ص: تفسير أثوياء مؤجلون.

(٦) في هـ. ب: أي لكم أجل منقوص.

(٧) في هـ. ص: تفسير مدينون.

(٨) في هـ. ب: أي: لازم للعمل، دأب فلان في العمل، أي: جدّ وتعب فهو دائب، وفي هـ. ص: هو الجادّ في عمله وكأنّه يشير الى قوله تعالىٰ: ﴿وجوهٌ يومئِذٍ خاشِعَةٌ﴾ الغاشية: ٨٨ / ٢ .

(٩) في هـ. ب: العامل بالجد، والداعي والكاسب بالمشقة، وفي هـ. ص: الكادح الكاسب.

(١٠) في ط و د: وقد، وفي هـ. د: قد ـ ش.

(١١) هذا أوان.

(١٢) في هـ. ص: أي أمكنت من نفسها أي أمكنه أن تفرس لغلبة الهوى وقوّة حبّ الدّنيا.

(انكم وما تأملون من هذه الدنيا) تواجهون صفات متناقضة من طبيعة الدنيا، فانكم:

١ ـ (اثوياء) اي ضيوف للدنيا، لا تخلدون فيها.

٢ ـ (مؤجلون) لكل منكم اجل بالغه.

٣ ـ (ومدينون) عليكم مسؤوليات في الدنيا.

٤ ـ (مقتضون) يجب عليكم قضاء هذه المسؤوليات في الدنيا نفسها.

وهذه الصفات تلازم حقائق، هي:

١ ـ (اجل منقوص) فلا يزيد الانسان في عمره اجلاً، بل يقرب اليه بنقصان عمره.

٢ ـ (وعمل محفوظ) ولا يكون للعمر ولا للاجل اثر في العمل، حيث انه محفوظ ليوم الحساب.

٣ ـ (قربّ دائب مضيّع) والدائب: من يستمر في العمل، فهو مضيع لعمله حيث ان الانتاج ليس بالتعب، بل بالاسلوب الاسرع للوصول الى المطلوب، كما هو الحال في حمل الشيء الثقيل باليد أو بالالة.

٤ ـ (وربّ كادح خاسر) فان الكدح: المشقة في العمل من دون اجتماع شرائطه، كالبذر في الارض السبخة التي لا تثمر شيئا ولا يكون إلّا خسرانا.

طبيعة الحياة المعاصرة:

واشار عليه السلام الى طبيعة الحياة المعاصرة بقوله: (وقد اصبحتم في زمن) بتصف بما ياتي:

١ ـ (لا يزداد الخير فيه إلّا ادبارا) فلا يعمل الانسان بمسؤوليته الانسانية كواجب، بل ان عمل الخير يعتبر تأخراً في الحياة.

٢ ـ (ولا الشرّ فيه إلّا اقبالا) حيث يعتبر عمل الشر مما يقبل عليه الناس، ويعتبر تقدما في الحياة.

٣ ـ (ولا الشّيطان في هلاك النّاس إلّا طمعا) لتوفر اسباب ذلك من الجهل بمخططات الشيطان.

واشار الى ثلاث من مختلف الاسباب ،هي:

اولا: (فهذا أوان قويت عدّته) فللشيطان العدة القوية لتنفيذ خططه.

ثانيا: (وعمّت مكيدته) بالاعلانات الكاذبة الخادعة لمن لا بصيرة له.

ثالثا: (وامكنت فريسته) نتيجة للجهل بخططه، فاصبحت متمكنة من اصطياد الفريسة.

المثال الحي:

واشار عليه السلام الى المثال الحي لخطط الشيطان وفريسته في الحياة بقوله:

اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ[١] إلَّا فَقيراً يُكابِدُ[٢] فَقْراً، أوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً، أوْ بَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللهِ وَفْراً[٣]، أو مُتَمَرِّداً[٤] كأَنَّ بأُذُنِهِ[٥] عَنْ سَمْعِ المَوَاعِظِ وقْراً.

(اضرب بطرفك حيث شئت من النّاس) ولم يستثن احداً في عصره، مما يكشف عن شدة نفوذ المخططات الشيطانية في عصر هذه الخطبة، فان المجتمع الاسلامي انذاك كان مليئا بالمشاكل التالية:

١ ـ (فهل تبصر إلّا فقيرا) فان شيوع الفقر في المجتمع يدل على اهمال الجانب الاقتصادي، والواجب تجاه الفقراء، فان المجتمع العادل لابد وان يعنى برفع احتياج الفقراء.

٢ ـ (يكابد فقرا، أو غنيّا بدّل نعمة الله كفراً) حيث لم يعمل بواجبه الاقتصادي في اسعاد الفقراء، بل غلب عليه الجشع الشخصي، لتخزين المال لنفسه واهله، وذلك كفر بنعمة الله الذي جعل للفقراء فيها حقا .

٣ ـ (او بخيلا اتّخذ البخل بحقّ الله وفرا) والوفر: المال الكثير، فهو ببخله يرى ان اهمال حق الله سبحانه يزيد ماله، ويتجاهل انه ليس ماله، بل هو مال الله الذي وهبه، وهو قادر على ان ياخذه منه بالحوادث، ومنها: الموت.

٤ ـ (أو متمرّدا كانّ بأذنه عن سمع المواعظ وقرا) والوقر: الثقل في السامعة، فهو يسمع وكانه لا يسمع، حيث لا اثر لسماع المواعظ فيه.

وهذه الحالات الاربع في المجتمع تكشف عن درجة الاهمال للمسؤولية بين اهلها.

(٢ / ط ـ ١٢٩) حقائق عن السلف:

وتابع ذلك بسلسلة من الاسئلة عن امثلة من المسؤولية في هذ المجتمع، حيث لا جواب لها إلّا النفي، فقال:

أيْنَ خِيارُكم[٦]؟ وصُلَحاؤُكُم؟ وأين أحْرارُكُمْ[٧] وَسُمَحَاؤُكُمْ؟ وأيْنَ المُتَوَرِّعُونَ[٨] في

---

(١) في ب: تنظر، وفي هـ. د: تنظر ـ ش.
(٢) في هـ. ب: أي يقاسي.
(٣) في هـ. ب : المال الكثير .
(٤) المتمرّد: الطاغي.
(٥) في ب: بأذنيه ، وفي هـ. ب: في نسخة :اذنه ، وفي هـ. د: باذنيه ـ ش.
(٦) في ط: أخياركم .
(٧) في ط و د : وأخراركم ، وفي هـ. د: وأين احراركم ـ ش.

مَكاسِبِهِمْ والمُتَنَزِّهُونَ في مَذَاهِبِهِمْ؟ أَلَيْسَ قدْ ظَعَنُوا جَميعاً عنْ هذِهِ الدُّنْيا الدَّنِيَّةِ والْعاجِلة المَنغِّصَةِ؟.

١ ـ (اين خياركم) الذين ينبغي ان يكونوا قدوة للخير والعمل الصالح في المجتمع؟

٢ ـ (وصلحاؤكم) الذين كان صلاحهم يدعوا الى الاقتداء بهم؟

٣ ـ (واين احراركم) الذين كانوا يتحرجون من عبودية المادة والماديات؟

٤ ـ (وسمحاوكم) الذين كانوا يتسامحون فيما بينهم؟

٥ ـ (واين المتورّعون في مكاسبهم) الذين كانوا يطبقون الموازين والمكائييل كما امر الله في التعامل؟

٦ ـ (والمنزّهون في مذاهبهم) والنزاهة: الورع عن المحرمات في الحياة؟

وهذه الاسئلة الستة لاجواب لها إلّا بالنفي، ولذلك ختمها عليه السلام بقوله:

٧ ـ (أليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدّنيا الدّنيّة والعاجلة المنغّصة) والظعن: ترك الدنيا بالانتقال الى الاخرة، ويكون في ذلك أكبر العبر لمن يعتبر.

(٣ / ط ـ ١٢٩) حقائق عن الخلف:

وهل خُلِفْتُمْ[٩] إِلَّا في حثَالَةٍ[١٠] لاتَلْتَقي إلاّ بِذَمِّهِمُ الشَّفَتان[١١]؛ اسْتِصغْاراً لِقَدرِهِمْ، وذَهاباً[١٢] عنْ[١٣] ذِكرِهِمْ؟ فإِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فلاَمُنْكَرٌ مُغَيَّرٌ[١٤]، ولاَ زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ[١٥].

أَفَبِهذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ في دَارِ قُدْسِهِ، وتَكوُنُوا أَعَزّ أَولِيائِهِ عِنْدَهُ؟! هَيْهاتَ، لايُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ، ولاَ تُنالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطاعَتِهِ. لَعَنَ اللهُ الآمِرينَ بالمَعْرُوفِ التَّارِكينَ لهُ والنَّاهِينَ عَنِ المُنْكَرِ الْعامِلينَ بِهِ.

اشار الى الخلف بقوله: (وهل خلفتم إلّا في) جماعة من الخلف يتصفون بما يأتي:

---

(٨) في هـ. ب: من الورع.
(٩) في هـ. د: خلّفتم ـ ب.
(١٠) في هـ. أ: الحثالة: الرديء من كل شيء، وفي هـ. ب: الحثالة: الثفل والرديء من كل شيء، وفي هـ. ص: ما يتبقى من رذل المتاع وردعة الماء.
(١١) هـ ص: أي يأنف المتكلم من أن يذمّهم ترفّعا.
(١٢) هـ ص: أي ترفّعا.
(١٣) في ب: على، وفي هـ. ب: في نسخة: عن.
(١٤) في ط: متغيّر.
(١٥) في هـ. ب: الزجر: المنع والنهر.

اولا: (حثالة) وهي الرديئ من الشيئ.

ثانيا: (لا تلتقي إلّا بذمهم الشّفتان) حيث ليس لهم من عجلة في الخير مما يحمدون عليه.

والسبب لهذا الذم هو امران:

الاول: (استصغارا لقدرهم) لان الطائفة التي لا تعتني بالمسؤولية الاجتماعية طائفة حقيرة.

الثاني: (وذهابا عن ذكرهم) اي ترفعا عن ذكر جماعة لا يستحقون الذكر.

وهذه الحقائق في السلف والخلف توجب الاسترجاع، وهو قول: «انا لله وانا اليه راجعون» كما امر الله سبحانه بقوله:﴿الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انّا لله وانّا اليه راجعون﴾[1]؛ لانها مصيبة اجتماعية لا يمكن حلها من جانب شخص واحد.

(٤ / ط - ١٢٩) حقيقة الموقف:

ولخص المقطع بالاشارة الى حقيقة الموقف الحاضر الذي يخاطب فيه اصحابه، ونتيجته السلبية في نقاط:

اولا: (ظهر الفساد) باهمال الواجبات الاسلامية الاجتماعية لتحقيق العدل في المجتمع والاقتصادية لمساعدة الفقراء، كي لا يقعوا فريسة لاصحاب الاطماع في الدنيا باستغلال فقرهم.

ثانيا: (فلا منكر مغيَّر) حيث اهمل واجب المسؤولية الاجتماعية، بالتوعية الاسلامية كي يتغير بسبب اليقظة من دون عنف واجبار من جهة اخرى.

وثانيا: (ولا زاجر مزدجر) فيما اذا لم يتحقق اليقظة واستمر الفساد بسبب اهمال واجب النهي عن المنكر، فلا بد من قوة تنفيذية للردع، وهي منتفية أيضاً.

أمنية كاذبة

وحالة كهذه لا تتحسن بالتمنّي، بل بالعمل، فقال عليه السلام:

(افبهذا) الوضع الذي تعيشون فيه من اهمال مسؤولياتكم (تريدون ان تجاوروا الله في دار قدسه، وتكونوا اعزّ اوليائة عنده؟ هيهات) فان ذلك لا يمكن لاهمالكم شروط الولاية.

واشار الى تلك الشروط بقوله: (لا يخدع الله عن جنّته، ولا تنال مرضاته إلّا بطاعته).

---

(١) البقرة: ١٥٦.

وختم المقطع بسرد ما يمنع من تحقق هذه الامنية، وهي:

اولا: (لعن الله الامرين بالمعروف التّاركين له).

ثانيا: (والنّاهين عن المنكر العاملين به).

وهذان السببان صفتان من صفات المجتمع المعاصر الذي يخاطبهم، أو عام، فكيف تتحقق الامنية مع وجودهما؟!.

[١٣٠]

ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر؛ لما أُخرج[1] إلى الرَّبذة:[2]

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب، في الترجمة رقم ٨٤٢٣، ما نصه:«– ع – أبو ذر الغفاري . قيل: اسمه جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن عفان، وقيل :اسمه برير بن جنادة، وقيل: ابن جندب، وقيل: ابن عشرقة، وقيل: ابن

(١) في هـ . ب: في نسخة: اخرج من المدينة الى الربذة . والرّبذة: من قرى المدينة، على ثلاثة أيّام، قريبة من ذات عرق، وفيه قبر أبي ذرّ الغفاري رضوان اللّه تعالى عليه. (راجع: معجم البلدان ٣: ٢٤).

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي ٨ : ٢٠٦، ح ٢٥١، بالاسناد عن سهل ، عن محمّد بن الحسن ، عن محمّد بن حفص التميمي قال : حدثني أبو جعفر الخثعمي، قال : قال: لما سيّر عثمان أبا ذر إلى الربذة، شيعه أمير المؤمنين وعقيل و الحسن والحسين عليهم السلام وعمار بن ياسر رضي الله عنه، فلما كان عند الوداع، قال أمير المؤمنين عليه السلام : يا أبا ذر إنك إنما غضبت للّه عز وجل، فارج من غضبت له ، إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فارحلوك عن الفناء، وامتحنوك بالبلاء، واللّه لو كانت السماوات والارض على عبد رتقاً ثم اتقى اللّه عز وجل جعل له منها مخرجاً، فلا يؤنسك إلّا الحق، ولا يوحشك إلّا الباطل . ثم تكلم عقيل، فقال : يا أبا ذر أنت تعلم أنا نحبك، ونحن نعلم أنك تحبنا، وأنت قد حفظت فينا ما ضيع الناس إلّا القليل، فثوابك على اللّه عز وجل، ولذلك أخرجك المخرجون وسيّرك المسيّرون، فثوابك على اللّه عز وجل، فاتق اللّه واعلم أن استعفاءك البلاء من الجزع واستبطاءك العافية من اليأس ، فدع اليأس والجزع، وقل : حسبي اللّه ونعم الوكيل . ثم تكلم الحسن عليه السلام، فقال : يا عماه، إن القوم قد أتوا إليك ما قد ترى، وإن اللّه عز وجل بالمنظر الاعلى، فدع عنك ذكر الدنيا بذكر فراقها، وشدة ما يرد عليك لرخاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راض إن شاء اللّه . ثم تكلم الحسين عليه السلام، فقال : يا عماه، إن اللّه تبارك وتعالى قادر أن يغير ما ترى، وهو كل يوم في شأن، إن القوم منعوك دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك، وما أحوجهم إلى ما منعتهم ، فعليك بالصبر؛ فإن الخير في الصبر، والصبر من الكرم، ودع الجزع فإن الجزع لا يغنيك . ثم تكلم عمار رضي الله عنه، فقال : يا أبا ذر، أوحش اللّه من أوحشك، وأخاف من أخافك، إنه واللّه ما منع الناس أن يقولوا الحق إلا الركون إلى الدنيا والحب لها ، ألا إنما الطاعة مع الجماعة ، والملك لمن غلب، وإن هؤلاء القوم دعوا الناس إلى دنياهم فأجابوهم إليها، ووهبوا لهم دينهم فخسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين . ثم تكلم أبو ذر رضي الله عنه، فقال : عليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته، بأبي وامي هذه الوجوه، فإني إذا رأيتكم ذكرت رسول اللّه صلى الله عليه وآله بكم، ومالي بالمدينة شجن ولاسكن غيركم، وإنه ثقل على عثمان جواري بالمدينة كما ثقل على معاوية بالشام فآلى أن يسيّرني إلى بلدة ، فطلبت إليه أن يكون ذلك إلي الكوفة فزعم أنه يخاف أن أفسد على أخيه الناس بالكوفة، وآلى باللّه ليسيّرني إلى بلدة لا أرى فيها أنيساً ولا أسمع بها حسيساً، وإني واللّه ما أريد إلّا اللّه عز وجل صاحباً وما لي مع اللّه وحشة ، حسبي اللّه لا إله إلّا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، وصلى اللّه على سيدنا محمّد وآله الطيبين . (تفسير الغريب: فناء الدار : ما امتد من جوانبها، والمراد إما فناء دارهم أو دار أبي ذر أو دار رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

جندب بن عبد الله، وقيل: ابن السكن.

وكان أخا عمرو بن عبسة السلمي لامه .

روى عن النبيﷺ . وعنه أنس بن مالك وابن عباس وخالد بن وهبان ابن خالة أبي ذر وقيل: وهبان ابن امرأة أبي ذر، وقيل: ابن أخته، وزيد بن وهب الجهني وخرشة بن الحر وجبير بن نفير والأحنف بن قيس وعبد الله بن الصامت وزيد بن ظبيان وعبد الله بن شقيق وعمرو بن ميمون وعبد الرحمن بن غنم وقيس بن عباد ومرثد بن مالك بن زبيد وأبو إدريس الخولاني وأبو أسماء الرحبي وأبو عثمان النهدي وأبو الأسود الدؤلي والمعرور بن سويد ويزيد بن شريك التيمي وأبو بصرة الغفاري وأبو سالم الجيشاني وأبو مراوح الغفاري وزر بن حبيش وربعي بن حراش وعبد الرحمن بن شماسة المهري وعمرو بن بجدان وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن حجيرة الخولاني وعطاء بن يسار وشهر بن حوشب وخلق .

قال النزال بن سبرة عن علي مرفوعا : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر .

وفي الباب عن أبي الدرداء وأبي هريرة وغيرهما ، قال أبو إسحاق عن هانئ بن هانئ عن علي: أبو ذر وعاء ملئ علما، أوكي عليه فلم يخرج منه شئ .

وقال الاجري عن أبي داود : لم يشهد بدراً، ولكن عمر ألحقه، وكان يوازي ابن مسعود في العلم.

وقال خليفة وعمرو بن علي وغير واحد : مات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين، زاد المدائني: وصلى عليه ابن مسعود ثم مات بعده بيسير.

ومناقبه وفضائله كثيرة جدا .

قلت : في كتاب الأدب من ابن ماجة من طريق نعيم المجمر عن طهفة الغفاري عن أبي ذر قال: مر بي النبيﷺ وأنا مضطجع على بطني فركضني برجله وقال: يا جندب إنما هذه الضجعة ضجعة أهل النار. فإن صح إسناده فهو صريح في أن اسمه جندب».[١]

ومما قال ياقوت الحموي في معجم البلدان:«ربذ : بالتحريك ، والذال معجمة : جبل عند الربذة ، قالوا : وبه سميت الربذة . الربذة : بفتح أوله وثانيه ، وذال معجمة مفتوحة أيضا ، قال: أبو عمرو : سألت ثعلبا عن الربذة اسم القرية، فقال ثعلب : سألت عنها ابن الأعرابي

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٢ : ٨٠ ـ ٨١.

فقال: الربذة الشدة ، يقال: كنا في ربذة فانجلت عنا ، وفي كتاب العين : الربذ: خفة القوائم في المشي، وخفة الأصابع في العمل ، تقول : إنه لربذة ، والربذات : العهون التي تعلق في أعناق الإبل ، الواحدة ربذة ، وقال ابن الكلبي عن الشرقي : الربذة وزرود والشقرة بنات يثرب بن قانية بن مهليل بن إرم بن عبيل بن أرفخشد ابن سام بن نوح عليه السلام . والربذة : من قرى المدينة، على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة ، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري ، رضي الله عنه ، واسمه جندب بن جنادة ، وكان قد خرج إليها مغاضبا لعثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فأقام بها إلى أن مات في سنة ٣٢ ، وقرأت في تاريخ أبي محمّد عبيد الله بن عبد المجيد بن سيران الأهوازي قال: وفي سنة ٣١٩ خربت الربذة باتصال الحروب بين أهلها وبين ضرية، ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل عن الربذة أهلها فخربت».[1]

(١ / ط - ١٣٠) غضب ابي ذر الغفاري:

كانت مواقف الصحابي أبي ذر الغفاري (ت / ٣٢ هـ) ناقدة للسياسة المالية التي باشرها الامويون وعلى رأسهم معاوية في خلافة الخليفة الثالث، وكان شعاره اعلانا صريحا للدعوة الى المواساة، ولم تتحمله السلطة الحاكمة ، فقررت ان تنفيه الى الربذة، للفصل بينه وبين المسلمين كمحاولة في اخماد صوته المعارض.

والامام في هذا المقطع يساند ابا ذر مواسياً له في مأساته، ومشيراً الى الاسباب التي دعته الى اتخاذ هذه المواقف، حيث انه ادى واجبه الاسلامي بالنهي عن المنكر، الذي ظهر في المجتمع الاسلامي، وان السلطة لا تتراجع عن اهدافها وتحاول الاستمرار في سياستها بأية وسيلة كانت، وقد عبر عن ذلك بنقاط، منها قوله:

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلّهِ فأَرْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إنَّ القَوْمَ خافُوكَ علىٰ دُنياهُمْ وخِفْتَهُمْ على دِينِكَ، فاتْرُكْ في أَيْدِيهمْ مَا خافُوكَ عليهِ، واهْرُب منهم بِما خِفْتَهُمْ عليهِ، فَما أَحْوَجهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وما أَغْناكَ عَمَّا مَنَعُوكَ، وسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابحُ غَداً، والأَكْثَرُ حُسَّداً[2].

---

(١) معجم البلدان ٣ : ٢٤، ط ١٩٩٣ م.

(٢) في هـ . ب: فيNسخة: خسرا. وهذا في النفي الثاني لابي ذرّ، وفي كتاب الأربعين؛ لمحمّد طاهر القمي الشيرازي : ٦٠٤، تفصيل هذه الواقعة كما يلي : أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال ، واختص زيد بن ثابت بشئ منها ، جعل أبو ذر يقول بين الناس في الطرقات والشوارع : بشر الكافرين بعذاب أليم ، ويرفع بذلك صوته ، ويتلو قوله تعالى:﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه فبشرهم بعذاب أليم﴾(التوبة ٩ : ٣٤) فرفع

ذلك الى عثمان مرارا وهو ساكت . ثم انه أرسل إليه مولى من مواليه أن انته عما بلغني عنك ، فقال أبو ذر : أو ينهاني عثمان عن قراءة كتاب اللّه تعالى وعيب من ترك أمر للّه ، فواللّه لئن أرضى اللّه بسخط عثمان أحب الي وخير لي من أسخط اللّه برضا عثمان . فأغضب عثمان ذلك وأحفظه ، فتصابر وتماسك ، الى أن قال عثمان يوما والناس حوله : أيجوز للامام أن يأخذ من المال شيئا قرضاً فإذا أيسر قضى ؟ فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك ، فقال أبو ذر : يابن اليهوديين، أتعلمنا ديننا ؟ فقال عثمان : قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، الحق بالشام ، فأخرجه إليها . فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، فبعث إليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار ، فقال أبو ذر لرسوله : ان كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا أقبلها ، وان كانت صلة، فلا حاجة لي فيها، وردها عليه . ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق ، فقال أبو ذر : يا معاوية ان كانت هذه من مال اللّه فهي الخيانة ، وان كانت من مالك فهي الاسراف ، وكان أبو ذر يقول بالشام : واللّه لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، واللّه ماهي في كتاب اللّه ولا سنة نبيه ، واللّه اني لا أرى حقاً يطفأ ، وباطلاً يحيا ، وصادقاً مكذباً ، وأثرة بغير تقى ، وصالحا مستأثراً عليه ، فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية : ان أبا ذر لمفسد عليكم بالشام ، فتدارك أهله ان كان لك فيه حاجة . وروي شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانية ، عن جلام بن جندب الغفاري ، قال : كنت عاملاً لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان ، فجئت إليه يوما أسأله عن حال عملي إذ سمعت صارخا على باب داره يقول : أتتكم القطار يحمل النار ، اللهم العن الامرين بالمعروف التاركين له ، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له ، فازبأر معاوية وتغير لونه وقال : يا جلام أتعرف الصارخ ؟ فقلت : اللهم لا ، قال : من عذيري من جندب ؟ يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت ، ثم قال : ادخلوه علي ، فجئ بأبي ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه ، فقال له معاوية : يا عدو اللّه وعدو رسوله تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع ، أما اني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمّد من غير اذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ، ولكني أستأذن فيك . قال جلام : وكنت أحب أن أرى أبا ذر ، لأنه رجل من قومي ، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ضرب من الرجال ، خفيف العارضين ، في ظهره جنأ . فأقبل على معاوية فقال : ما أنا بعدو اللّه ولا لرسوله ، بل أنت وأبوك عدوان للّه ولرسوله ، أظهرتما الاسلام وأبطنتما الكفر ، ولقد لعنك رسول اللّه صلى الله عليه وآله ودعا عليك مرات أن لا تشبع ، سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول : إذا ولي الامة الأعين الواسع البلعوم الذي لا يأكل ولا يشبع ، فتأخذ الامة حذرها منه . فقال معاوية : ما أنا ذاك الرجل ، قال أبو ذر : بل أنت ذلك الرجل ، أخبرني بذلك رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسمعته يقول ومررت به : اللهم العنه ولا تشبعه إلّا بالتراب ، وسمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول : است معاوية في النار ، فضحك وأمر بحبسه ، وكتب الى عثمان فيه . فكتب عثمان الى معاوية : أن احمل جندبا الى على أغلظ مركب وأوعره ، فوجه به من سار به الليل والنهار ، وحمله على شارف، ليس عليها إلّا قتب حتى قدم به المدينة ، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد . فلما قدم بعث إليه عثمان : أن الحق بأي أرض شئت ، قال : بمكة ، قال : لا ، قال : بيت المقدس ، قال : لا ، قال : بأحد المصرين ، قال : لا ولكني مسيرك الى الربذة ، فسيره إليها ، فلم يزل بها الى أن مات . وفي رواية الواقدي : أن أبا ذر لما دخل على عثمان قال له :

لا أنعم اللّه بقين عينا نعم ولا لقاه يوما زينا

تحية السخط إذا التقينا

فقال أبو ذر : ما عرفت اسمي قينا قط . وفي رواية اخرى : لا أنعم اللّه بك عينا يا جنيدب ، فقال

أبو ذر : أنا جندب وسماني رسول اللّهﷺ عبد اللّه ، فاخترت اسم رسول اللّهﷺ الذي سماني به على اسمي . فقال له عثمان : أنت الذي تزعم أنا نقول : يد اللّه مغلولة ، وان اللّه فقير ونحن أغنياء ؟ فقال أبو ذر : لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال اللّه على عباد اللّه ، ولكني أشهد أني سمعت رسول اللّهﷺ يقول : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال اللّه دولا ، وعباده خولا ، ودينه دخلا . فقال عثمان لمن حضر : أسمعتموها من رسول اللّه ؟ قالوا : لا ، قال عثمان : ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول اللّه ؟ فقال أبو ذر لمن حضر : أما تدرون أني صدقت ؟ قالوا : لا واللّه ما ندري ، فقال عثمان : ادعوا لي عليا ، فلما جاء قال عثمان لأبي ذر : اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص ، فأعاده ، فقال عثمان لعليعليه السلام : أسمعت هذا من رسول اللّهﷺ ؟ قال : لا وقد صدق أبو ذر ، فقال : كيف عرفت صدقه ؟ قال : لأني سمعت رسول اللّهﷺ يقول : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر ، فقال من حضر : أما هذا فسمعناه كلنا من رسول اللّهﷺ . فقال أبو ذر : احدثكم أني سمعت هذا من رسول اللّهﷺ فتتهمونني ، ما كنت أظن أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمّدﷺ . وروى الواقدي في خبر آخر باسناده عن صهبان مولى الأسلميين ، قال : رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان ، فقال له : أنت الذي فعلت وفعلت ؟ فقال أبو ذر : نصحتك فاستغششتني ، ونصحت صاحبك فاستغشني ، قال عثمان : كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها ، قد انغلت الشام علينا . فقال له أبو ذر : اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام ، فقال عثمان : مالك وذلك لا ام لك ؟ قال أبو ذر : ما وجدت لي عذرا إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فغضب عثمان وقال : أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب : إما أن أضربه ، أو أحبسه ، أو أقتله ، فانه قد فرق جماعة المسلمين ، أو أنفيه من أرض الاسلام . فتكلم عليعليه السلام وكان حاضرا ، فقال : اشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون ﴿ فان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان اللّه لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ (غافر ٤٠ : ٢٨) فأجابه عثمان بجواب غليظ ، وأجابه عليعليه السلام بمثله ، والجوابان لم يذكرهما ابن أبي الحديد . قال الواقدي : ثم ان عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر أو يكلموه ، فمكث كذلك أياما ، ثم اتي به فوقف بين يديه ، فقال أبو ذر : ويحك يا عثمان أما رأيت رسول اللّهﷺ ورأيت أبا بكر وعمر هل هديك كهديهم ؟ أما انك لتبطش بي بطش جبار . فقال عثمان : اخرج من بلادنا ، فقال أبو ذر : ما أبغض الي جوارك فالى أين أخرج ؟ قال : حيث شئت ، قال : أخرج الى الشام أرض الجهاد ، قال : انما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها أفأردك إليها ؟ قال : أفأخرج الى العراق ؟ قال : لا انك ان تخرج إليها تقدم على قوم اولي شبه وطعن على الأئمة والولاة ، قال : أفأخرج الى مصر ؟ قال : لا ، قال : فالى أين أخرج ؟ قال : الى البادية ، قال أبو ذر : أصير بعد الهجرة أعرابيا ؟ قال : نعم . قال أبو ذر : فأخرج الى بادية نجد ؟ قال عثمان : بل الى الشرق الأبعد أقصى فأقصى ، امض على وجهك هذا فلا تعدون الربذة ، فخرج إليها . وروى الواقدي أيضا عن مالك بن أبي الرجال ، عن موسى بن ميسرة ، أن أبا الأسود الدؤلي قال : كنت احب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه الى الربذة ، فجئته ، فقلت له : ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعا أم أخرجت كرها ؟ فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم ، فأخرجت الى المدينة ، فقلت : دار هجرتي وأصحابي ، فاخرجت من المدينة الى ما ترى . ثم قال : بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول اللّهﷺ إذ مر بيعليه السلام ، فضربني برجله وقال : لا أراك نائما في المسجد ، فقلت : بأبي أنت وامي غلبتني عيني فنمت فيه ، قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : إذا ألحق بالشام فانها أرض مقدسة وأرض جهاد ، قال : فكيف

١ ـ (يا ابا ذر) ويكفي خطابه بالكنية التي عرف بها التذكير بما تواتر عن النبيﷺ بحقه من قوله: «ما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء ذي لهجة اصدق من ابي ذر».

وهذا ما أقر به جميع من حضر من اصحاب النبيﷺ، وقالوا : لقد صدق ابو ذر[1] .

٢ ـ (انّك غضبت لله) فان المعارضة لم تكن لمصلحة شخصية أو سياسية، بل للرجوع الى سنة رسول الله وتطبيق ما امر به الله، فلا يكون مسألة التبعيد لها اثر في هذه المعارضة.

٣ ـ (فارج من غضبت له) لخلوص النيّة لله سبحانه، فلابد من ظروف كهذه، الرجاء من الله وحده.

٤ ـ (انّ القوم خافوك على دنياهم) لان المعارضة في نقد السياسية المالية التي لا تقوم على السنة النبوية تؤدي الى نفي شرعية السلطة في الدنيا.

٥ ـ (وخفتهم على دينك) حيث قمت بواجبك الديني من النهي عن المنكر في ظروف صعبة يعمها الخوف على الثوابت الاسلامية.

٦ ـ (فاترك في أيديهم ما خافوك عليه) حيث لا يتمكن الثائر على الواقع المنحرف عن الدين، في ظل السلطة التي لا تتورع من إخماد صوت المعارضة باية وسيلة ممكنة.

٧ ـ (واهرب منهم بما خفتهم عليه) وهو المحافظة على الدين وثوابت سنة سيد المرسلينﷺ.

٨ ـ (فما أحوجهم الى ما منعتهم) لان السلطة الدنيوية وحدها لاتقوم إلّا على مغريات الدنيا، والسلطة الدينيّة كانت قائمة على الدين والعدل في الدنيا، فاذا تجردت السلطة عن الدين والعدل، فانها لا تستقيم إلّا بالطرق المادية في الدنيا، فيفتقرون اليها، وخاصة عند فقدان غيرها ، فيكونون احوج اليها من أي وقت آخر.

٩ ـ (وما اغناك عمّا منعوك) وهو قول الحق ورفع صوت المعارضة عند ظهور انحراف في المجتمع الاسلامي عن السنة النبوية المطهرة، حيث تتمتع بالرؤية الواضحة فلا تحتاج الى نصح ناصح.

١٠ ـ (وستعلم من الرّابح غدا) في الدنيا، حيث يذكر التاريخ هذه المواقف، وفي

تصنع إذا أخرجوك منها ، قلت : أرجع الى المسجد ، قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : آخذ سيفي فأضربهم به . فقال : ألا أدلك على خير من ذلك ؟ انسق معهم حيث ساقوك ، وتسمع وتطيع ، فسمعت وأطعت ، وأنا أسمع وأطيع ، والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبي». (شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢ – ٢٦١)، (والشارف : الناقة المسنة .النغل : الافساد بين القوم).

(١) شرح نهج البلاغة ٣: ٥٦.

الاخرة عند الله وهو أحكم الحاكمين .

١١ ـ (والاكثر حسّدا) ومنه يظهر ان السلطة كانت تتهم ابا ذر بالحسد ؛ لانها لاتعرف إلّا هذه الاسباب المادية، ومن يعيش حياة مادية يقيس الامور بالمقاييس المادية.

المواساة:

وختم المقطع بالمواساة في نقاط:

ولوْ أنّ السَّماواتِ والأرضين[١] كانَتا علىٰ عَبْدٍ رَتْقاً ثمّ اتَّقَى اللهَ لَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْهُما مَخْرَجاً.

لَايُؤْنِسَنَّكَ[٢] إلَّا الحَقُّ ولا يُوحِشَنَّكَ[٣] إلَّا البَاطِلُ، فَلو قَبِلْتَ دُنْياهُمْ لأَحَبُّوكَ ولو قَرَضْتَ[٤] مِنها لَأَمِنُوكَ.

الاولى: المخرج (ولو أنّ السّماوات والارضين كانتا على عبد رتقا ثم اتّقى الله لجعل الله له منهما مخرجا) والرتق: الخرق والفتق، مشيراً الى قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾[٥].

الثانية: الانس بالحق (لا يؤنسنّك إلّا الحقّ) فان في معرفة الحق، والاستقامة عليه انس لمن عرفه.

الثالثة: رفض الباطل (ولا يوحشنّك إلّا الباطل) فان الباطل مهما كان مغريا في الدنيا فانه يستلزم ما يوجب الوحشة؛ لان مغريات الدنيا لا تدوم لا لمن يعطاها ولا لمن تؤخذ منه.

وتكفي هذه النقاط الثلاث في الاستقامة على الحق الذي يجده الانسان في حياته في أي موقف حق يقف معه.

وختم المقطع بما يخص السلطة الدنيوية:

اولا: (فلو قبلت دنياهم لاحبّوك) حيث يفتقر اصحاب الدنيا الى من يؤازرهم في مواقفهم المنحرفة.

ثانيا: (ولو قرضت منها لامنوك) والقرض: القطع، بان يقتطع جزءا من مغريات الدنيا ؛

---

(١) في ص و د : الارضين ، وفي هـ. ب: في نسخة: والارض ، وفي هـ. د : والارض ـ ب .
(٢) في هـ. ص : لايؤنسك .
(٣) في ص : ولا يوحشك .
(٤) في هـ. د : ولا قرضت ـ ن، وان قرضت ـ م ، وفي هـ. ب: أي قطعت وأخذت قرضا.
(٥) الطلاق: ٢.

المعروضة من قبل اصحاب السلطة، فان ذلك يكون دافعاً ماديا لهم لتأمين من يساندهم في مواقفهم وسياساتهم.

وهاتان الحقيقتان تتناقضان وموقف الايمان الصامد الذي وقفه ابو ذر الغفاري في تطبيق السنة النبوية حرفيا.(١)

---

(١) قضية عثمان وأبي ذر مذكورة في الكثير من كتب التاريخ. (راجع : مروج الذهب ١: ٤٣٨، انساب الاشراف؛ للبلاذري ٥: ٥٣ ، تاريخ اليعقوبي ٢ :١٤٨ ، طبقات ابن سعد ٤ :١٦٨، صحيح البخاري كتاب الزكاة ، عمدة القاري ٤: ٢٩١ ، شرح نهج البلاغة (شرح: محمّد عبده) ٢: ١٧٦ ، كتاب أبو ذر الغفاري؛ لعبد الحميد جودة السحار ٢: ١٤٤، وغيرها. وأشار الى ذلك علي بن ابراهيم القمي في تفسير قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ الى قوله:﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (الآيات ٨٤ ـ ٨٥ من سورة البقرة) قال ما نصه:«قال العالم عليه السلام:«نزلت في أبي ذر وعثمان ، قال: فلما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة، دخل إلى عثمان أبو ذر، وبين يديه مائة ألف درهم ، وحوله أصحابه وهم يطمعون ان يقسّمها فيهم، قال أبو ذر: يا عثمان، ما هذا المال ؟

فقال عثمان: مائة ألف ، حملت إليّ من بعض النواحي، أريد أن أجمع إليها مائة ألف ثم أرى فيها رأيي.

فقال أبو ذر: يا عثمان، مائة ألف أكثر أم أربعة دنانير ؟

فقال عثمان: بل مائة ألف .

قال: اما تذكر اني وأنت دخلنا على رسول اللّه صلى الله عليه وآله عشاءً، فسلمنا عليه فرأيناه كئيباً حزيناً، فلما أصبحنا رأيناه ضاحكاً مستبشراً، فقلنا له: انا دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً ثم عدنا إليك اليوم فرأيناك فرحاً مستبشراً؟

قال: «نعم، كان بقي عندي من فئ المسلمين أربعة دنانير، لم أكن قسّمتها، وخفت ان يدركني الموت وهي عندي، وقد قسّمتها اليوم واسترحت».

فقال عثمان لكعب الأحبار : يا أبا إسحاق، ما تقول في رجل اذا أخرج زكاة ماله المفروضة، فيها بعد اخراج الزكاة شئ؟

فقال: لا، ولو اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ما وجب عليه فيها بعد اخراج الزكاة شئ.

فرفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأسه ، وقال : يا بن اليهودية الكافرة، ما أنت والنظر في أحكام المسلمين؟ قول اللّه أصدق من قولك، حيث يقول: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ○ يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾ الآية، (التوبة ٩: ٣٤ – ٣٥). فقال عثمان : يا أبا ذر، انك شيخ قد خرفت، وذهب عقلك، فلولا صحبتك لرسول اللّه صلى الله عليه وآله لقتلتك.

فقال : كذبت يا عثمان، أخبرني رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا ذر، لن يفتنوك ولن يقتلوك، وأمّا عقلي فقد بقي منه ما احفظ به حديثاً سمعته من رسول اللّه صلى الله عليه وآله فيك وفي قومك.

فقال: وما سمعته يقول؟

قال: سمعته يقول: «إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثون رجلاً، صيّروا مال اللّه دولاً، وكتاب اللّه دغلاً، وعباد اللّه خولاً، والفاسقين حزباً، والصالحين حرباً».

فقال عثمان: معشر المهاجرين والانصار، هل سمع أحد منكم هذا من رسول اللّه؟

فقالوا: لا.

فقال عثمان: ادعوا علياً. فجاء علي عليه السلام فقال : يا أبا الحسن، اسمع ما يقول هذا الشيخ الكذّاب .
فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تقل كذّاب؛ فاني سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول:«ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ» .
فقال كل من حضر: قد سمعنا ذلك من رسول اللّه صلى الله عليه وآله .
فبكى أبو ذر ، وقال: ويحكم، كلّكم قد مدّ عنقه إلى هذا المال، أظننتم اني اكذب على رسول اللّه صلى الله عليه وآله ؟
[ثم نظر إليهم، فقال: من خيركم؟
فقالوا: من خيرنا؟
فقال: انا.
فقالوا: أنت تقول: انك خيرنا؟
قال: نعم، خلّفت حبيبي رسول اللّه صلى الله عليه وآله في هذه الجبة، وهو عني راض، وأنتم قد أحدثتم احداثاً كثيرة، واللّه سائلكم عن ذلك، ولا يسألني.
فقال عثمان: يا أبا ذر، أسألك بحق رسول اللّه صلى الله عليه وآله الاّ ما أخبرتني عن شئ أسألك عنه؟
فقال : لو لم تسألني بحق رسول اللّه صلى الله عليه وآله أيضاً لأخبرتك.
فقال: أخبرني، أيّ البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟
فقال: مكة، حرم اللّه وحرم رسول اللّه، أعبد اللّه فيه حتى يأتيني الموت.
فقال: لا، ولا كرامة لك.
قال: فالمدينة، حرم رسول اللّه صلى الله عليه وآله .
قال: لا، ولا كرامة لك .
فسكت أبو ذر فقال عثمان: اي البلاد أبغض إليك؟
قال: الربذة، التي كنت فيها على غير دين الاسلام.
قال عثمان: سر إليها.
فقال أبو ذر: سألتني فصدقتك، وانا أسألك فأصدقني.
قال: نعم.
قال: أخبرني لو بعثتني في بعث إلى المشركين، فأسروني، فقالوا: لا نفديه إلّا بثلث ما تملك؟
قال: كنت أفديك.
قال: فان قالوا: لا نفديه إلّا بنصف ما تملك؟
قال: كنت أفديك.
قال: فان قالوا: لا نفديه إلّا بكل ما تملك؟
قال: كنت أفديك.
قال أبو ذر: اللّه أكبر، صدق رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، أخبرني حبيبي رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، قال: « كيف أنت إذا قيل لك: اي البلاد أحب إليك... تمام الخبر.
فقلت: يا رسول اللّه، وان هذا لكائن؟ فقال : «اي، والذي نفسي بيده، انه كائن ».
فقلت: يا رسول اللّه، أفلا أضع سيفي على عاتقي واضرب به قدماً؟
فقال: «لا، اسمع واسكت ولو لعبد حبشي. وقد أنزل اللّه فيك وفي عثمان آية».
فقلت: ما هي يا رسول اللّه؟
فقال: «قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾... الآية».

قال الشارح ابن أبي الحديد، ما نصه:«وأعلم أن الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء الاخبار والنقل، أن عثمان نفى أبا ذر أولا إلى الشام، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكا منه معاوية [1]، ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. أصل

فقوله : ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني أبا ذر.
قال: فنفاه الى الربذة، فشيعه أمير المؤمنين والحسن والحسين».
قال عدي بن حاتم الطائي: حججنا أيام عثمان، وقد كان نفى ابا ذر الى الربذة، فقلنا: نجعل طريقنا على أبي ذر ونسلم عليه، فأتينا الربذة فنظرنا الى خباء رثّ، فقصدناه فاذا امرأة فيه وصبية، فقلنا: أين أبا ذر؟
فقالت لنا: هو في غنيمات له يرعاها، فقصدناه، فاذا رجل لا يرفع قدماً من الارض ولا يضعهاذكر اللّه خشوعاً، فسلمنا عليه فرد علينا السلام، ثم قال: من أنتم؟
فقلنا: قوم من اخوانك أردنا الحج، فاحببنا ان نسلم عليك.
فقال: قبل اللّه ذلك منكم، أما إني سمعت حبيبي رسول اللّه ﷺ يقول: «من نوى الحج احتساباً للّه، لا لغيره، لم ترفع ناقته خفّاً إلّا كتب اللّه له به حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة، فاذا دخل الحرم تحاتّ عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر، فاذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة غفر اللّه له ذنوبه، فاذا وقف بالموقف بعث اللّه ملكاً فضرب بين كتفيه وقال له: استأنف العمل، فاما ماتقدم من ذنبك فقد غفر لك، فهلا تدعوا لاخوانك بظهر الغيب؟ فان من دعا لاخوانه بظهر الغيب استجاب اللّه منه في نفسه سبعين ضعفاً».
قال: فودعناه، وخرجنا، فلما حججنا لم يكن لنا همّة إلّا الرجوع اليه، فوافينا الربذة، فاذا الخباء معدوم، واذا بنت أبي ذر جالسة وحدها، فقلنا: أين أبو ذر؟
قالت: مات.
قلنا: وكيف كان؟
قالت: لما فارقتمونا ماتت غنيماتنا، في داء يقال له: النقّاز، ثم ماتت أمي، فبقيت أنا وأبي، فاصابنا الجوع، فقال لي أبي : يا بنيّة قومي بنا إلى الرمل نطلب القت، وهو نبت له حب ، فصرنا إلى الرمل فلم نجد شيئا ، فجمع أبي رملاً ووضع رأسه عليه ، ورأيت عينيه قد انقلبتا ، فبكيت وصحت، وقلت : يا أبه، كيف أصنع بك ان متّ وأنا وحيدة ؟
فقال : يا بنيّة لا تحزني، فإذا متّ، فمدّي الكساء على وجهي، ثم اقعدي على طريق العراق ، فإذا أقبل ركب من العراق، فقولي لهم : هذا أبو ذر قد توفي ، فانهم يكفونك أمري، فانه أخبرني حبيبي رسول اللّه ﷺ في غزوة تبوك، فقال: «يا أبا ذر ، تعيش وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق ، يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك».
قالت: فلما مات مددت الكساء على وجهه ، ثم قعدت على طريق العراق، واذا ركب أقبلوا، فقمت اليهم، فقلت لهم : هذا أبو ذر صاحب رسول اللّه، قد توفي، فنزلوا ومشوا اليه يبكون، فغسلوه وكفنوه ودفنوه ، وكان فيهم الاشتر ، فقال: كفنته بحلة كانت معي قيمتها أربعة ألف درهم.
فقالت ابنته : فكنت اصلي بصلاته، وأصوم بصيامه ، فبينا أنا ذات ليلة نائمة ، إذ سمعته يتهجد بالقرآن كما كان يتهجد في حياته ، فقلت له: يا أبه، ماذا فعل بك ربك ؟
قال : يا بنيّة، قدمت على ربّ كريم، رضي عني ورضيت عنه ، وأكرمني وحباني ، فاعملوا ولا تغترّوا».
(١) وفي البحار ٣١ : ١٨٠، مانصه:« وروى المسعودي في مروج الذهب انه لما رد عثمان أبا

هذه الواقعة ، أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال ، واختص زيد بن ثابت بشئ منها ، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع : بشر الكافرين بعذاب أليم ، ويرفع بذلك صوته ويتلو قوله تعالى :﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ ، فرفع ذلك إلى عثمان مرارا وهو ساكت . ثم

ذر رضي الله عنه إلى المدينة على بعير عليه قتب يابس ، معه خمسمائة من الصقالبة يطردون به، حتى أتوا به المدينة، وقد تسلخت بواطن أفخاذه، وكاد يتلف ، فقيل له : إنك تموت من ذلك ؟ . فقال : هيهات ! لن أموت حتى أنفى . . وساق الحديث إلى قوله : فقال له عثمان : وار وجهك عني . قال : أسير إلى مكة : قال : لا واللّه . قال : فإلى الشام ؟ . قال : لا واللّه . قال : فإلى البصرة ؟ . قال : لا واللّه . فاختر غير هذه البلدان . قال : لا واللّه لا أختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئا من البلدان ، فسيرني حيث شئت من البلاد . قال : إني مسيرك إلى الربذة . قال : اللّه أكبر ! صدق رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد أخبرني بكل ما أنا لاق . قال : وما قال لك ؟ . قال : أخبرني أني أمنع من مكة والمدينة وأموت بالربذة ، ويتولى دفني نفر يردون من العراق إلى نحو الحجاز ، وبعث أبو ذر إلى جمل فحمل عليه امرأته ، وقيل : ابنته ، وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة ، ولما طلع عن المدينة – ومروان يسيره عنها – طلع عليه علي ابن أبي طالب عليه السلام ومعه ابناه عليهما السلام وعقيل أخوه وعبد اللّه بن جعفر وعمار بن ياسر ، فاعترض مروان وقال : يا علي ! إن أمير المؤمنين ينهى الناس أن يمنحوا أبا ذر أو يسقوه ، فإن كنت لم تعلم بذلك فقد أعلمتك ، فحمل عليه بالسوط ، فضرب بين أذني ناقة مروان وقال : تنح ! نحاك اللّه إلى النار ، ومضى مع أبي ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف ، فلما أراد علي عليه السلام الانصراف بكى أبو ذر وقال : رحمكم اللّه أهل البيت إذا رأيتك يا إبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول اللّه صلى الله عليه وآله . فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي عليه السلام ، فقال عثمان : يا معشر المسلمين ! من يعدوني من علي ؟ رد رسولي عما وجهته له ، وفعل وفعل ، واللّه لنعطيه حقه ، فلما رجع علي استقبله الناس وقالوا : إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر ! . فقال علي عليه السلام : غضب الخيل على اللجم ، فلما كان بالعشي وجاء عثمان قال : ما حملك على ما صنعت بمروان ؟ ولم اجترأت علي ورددت رسولي وأمري ؟ . فقال : أما مروان فاستقبلني بردي فرددته عن ردي ، وأما أمرك لم أرده . فقال عثمان : ألم يبلغك أني قد نهيت الناس عن أبي ذر وشيعه ؟ . فقال علي عليه السلام : إو كلما أمرتنا به من شئ نرى طاعة اللّه والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك ، لعمر اللّه ما نفعل . فقال عثمان : أقد مروان . قال : ومم أقيده ؟ . قال : ضربت بين أذني راحلته وشتمته فهو شاتمك وضارب بين أذني راحلتك ! ! . قال علي عليه السلام : أما راحلتي فهي تلك ، فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فعل ، وأما أنا فواللّه لئن شتمني لاشتمنك بمثله لا كذب فيه ولا أقول إلّا حقا . قال عثمان : ولم لا يشتمك إذا شتمته ، فواللّه ما أنت بأفضل عندي منه ! ، فغضب علي عليه السلام وقال : لي تقول هذا القول ؟ ! أمروان يعدل بي ؟ ! ! ! فلا واللّه أنا أفضل منك وأبي أفضل من أبيك ، وإمي أفضل من أمك ، وهذه نبلي قد نثلتها فأنثل نبلك ، فغضب عثمان واحمر وجهه وقام فدخل، وانصرف علي عليه السلام فاجتمع إليه أهل بيته ورجال المهاجرين والانصار ، فلما كان من الغد واجتمع الناس شكا إليهم عليا عليه السلام وقال : إنه يغشني ويظاهر من يغشني ـ يريد بذلك أبا ذر وعمارا، أو غيرهما – ، فدخل الناس بينهما حتى اصطلحا . وقال علي عليه السلام : واللّه ما أردت بتشييعي أبا ذر إلّا اللّه تعالى . (انتهى).

إنه أرسل إليه مولى من مواليه : أن انته عما بلغني عنك ، فقال أبو ذر : أو ينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى ، وعيب من ترك أمر الله تعالى؟ فو الله لان أرضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان . فأغضب عثمان ذلك وأحفظه ، فتصابر وتماسك ، إلى أن قال عثمان يوما ، والناس حوله : أيجوز للامام أن يأخذ من المال شيئا قرضا ، فإذا أيسر قضى ؟ فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك، فقال أبو ذر : يا بن اليهوديين ، أتعلمنا ديننا؟ ! فقال عثمان : قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي ، الحق بالشام . فأخرجه إليها . فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، فبعث إليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار ، فقال أبو ذر لرسوله : إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا أقبلها ، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها ، وردها عليه . ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق ، فقال أبو ذر : يا معاوية ، إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة ، وإن كانت من مالك فهي الاسراف . وكان أبو ذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ ، والله إني لأرى حقا يطفأ وباطلا يحيى ، وصادقا مكذبا ، وأثره بغير تقى ، وصالحا مستأثرا عليه . قال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية : إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام ، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة».(١)

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٥ ـ ٢٥٧. وروى العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٢٢ : ٤١٨، ما نصه:«وروى الواقدي أيضا عن مالك بن أبي الرجا ، عن موسى بن ميسرة أن أبا الاسود الدؤلي قال : كنت احب لقاء أبي ذر لاسأله عن سبب خروجه إلى الربذة ، فجئته فقلت له : ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعا أم اخرجت ؟ فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فاخرجت إلى المدينة ، فقلت : دار هجرتي ، فاخرجت من المدينة إلى ما ترى ، ثم قال : بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول اللّه ﷺ إذ مربي ﷺ فضربني برجله ، وقال : لا أراك نائما في المسجد ، فقلت : بأبي أنت وامي غلبتني فنمت فيه ، قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : آخذ سيفي فأضربهم به ، فقال : ألا أدلك على خير من ذلك ؟ انسق معهم حيث ساقوك ، وتسمع وتطيع ، فسمعت وأطعت وأنا أسمع واطيع ، واللّه ليلقين اللّه عثمان وهو آثم في جنبي». انتهى كلامه . (شرح نهج البلاغة ٢: ٣٧٥ – ٢٧٨).

وقال المجلسي في البيان:« يقال : لحاه اللّه ، أي قبحه ولعنه ، وازبأر الكلب : تنفش ، والرجل للشر : تهيأ . والضرب بالفتح : الرجل الخفيف اللحم ، والبلعوم بالضم : مجرى الطعام في الحلق واسيت كأنه تصغير الاست والشارف من النوق المسنة الهرمة وانغله : أفسده ، وفي القاموس : الشرف : المكان العالي ، وجبل قرب جبل شريف ، و الربذة والشرف الاعلى : جبل قرب زبيد .

أقول : قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : روى أبو عمرو، ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب: لما حضر أبا ذر الوفاة وهو بالربذة بكت زوجته ام ذر ، قالت : فقال لي : ما يبكيك ؟ فقلت : مالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض ، وليس عندي ثوب يسعك كفنا ، ولابد لي من القيام بجهازك ، فقال : أبشري ولا تبكي ، فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:«لا

يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاث فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً»، وقد مات لنا ثلاثة من الولد ، وسمعت أيضا رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول لنفر ، أنا فيهم:«ليموتن أحدكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين»، وليس من اولئك النفر أحد إلّا وقد مات في قرية وجماعة ، فأنا لا أشك أني ذلك الرجل ، واللّه ما كذبت ولا كذبت ، فانظري الطريق . قالت أم ذر : فقلت : أني وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق ؟ فقال : اذهبي فتبصري ، فقالت فكنت أشتد إلى الكثيب فأصعد فأنظر ثم أرجع إليه فامرضه ، فبينا أنا وهو على هذه الحال إذا أنا برجال على ركابهم كأنهم الرخم ؟ تخبّ بهم رواحلهم ، فأسرعوا إلي حتى وقفوا علي ، وقالوا : يا أمة اللّه مالك ؟ فقلت : امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه ؟ قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبو ذر ، قالوا : صاحب رسول اللّه صلى الله عليه وآله ؟ قلت : نعم ، ففدوه بآبائهم ، وامهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه ، فقال لهم : أبشروا فإني سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول لنفر أنا فيهم:«ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض تشهده عصابة من المؤمنين»، وليس من اولئك النفر أحد إلّا وقد هلك في قرية وجماعة ، واللّه ما كذبت ولا كذبت ولو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي أولا مرأتي لم اكفن إلّا في ثوب لي أولها ، و إني انشدكم اللّه أن يكفنني رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو بريدا أو نقيبا ، قالت : وليس في اولئك النفر أحد إلّا وقد قارف بعض ما قال إلّا فتى من الانصار ، قال له : أنا اكفنك يا عم في ردائي هذا ، وثوبين معي في عيبتي من غزل امي ، فقال أبو ذر أنت تكفنني ، فمات فكفنه الانصاري ، وغسله في النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في نفر كلهم يمان . قال أبو عمرو، ابن عبد البر، قبل أن يروي هذا الحديث : كان النفر الذين حضروا موت أبي ذر البربذة مصادفة جماعة منهم حجر بن عدي الذي قتله معاوية و هو من أعلام الشيعة وعظمائها ، وأما الاشتر فهو أشهر في الشيعة من أبي الهذيل في المعتزلة ، وقرئ كتاب الاستيعاب على شيخنا عبد الوهاب بن سكينة المحدث وأنا حاضر فلما انتهى القارئ إلى هذا الخبر قال استادي عمرو بن عبد اللّه الدباس وكنت أحضر معه سماع الحديث : لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت ، فما قال المرتضى والمفيد إلّا بعض ما كان حجر والاشتر يعتقدانه في عثمان ومن تقدمه ، فأشار الشيخ إليه بالسكوت فسكت ، انتهى كلامه بلفظه . فانظر فيه ببصيرة تزدد يقينا . (تفسيرالغريب: اخب الفرس في عدوه : راوح بين يديه ورجليه ، أي قام على احداهما مرة وعلى الاخرى مرة) .

[١٣١]

ومن كلام له عليه السلام:

يتضمن المقطع حالة المجتمع في عصره واخلاقة في الخلافة ومواصفات القائد الايجابية والسلبية.

وقد وصف الامام المجتمع المعاصر له بحكم بُعد اصحابه الزمني عن عصر الرسالة بأوصاف تكشف عن ابتعادهم عن السيرة النبوية، فخاطبهم بهذا الخطاب.

(١/ط - ١٣١) **المجتمع المعاصر:**

أَيَّتُها[١] النُّفُوسُ الُمخْتَلِفَةُ والْقُلوبُ المُتَشَتِّتَةُ. الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُم والْغائِبَةُ عنْهُمْ عُقُولهُمْ، أَظْأَرُكُمْ[٢] على الحَقِّ وأَنْتُمْ تَنْفِرُون عَنْهُ نُفُوُرَ الْمِعْزَى منْ وَعْوَعَةِ[٣] الأَسَدِ، هَيْهاتَ أَنْ أَطْلَعَ بكُمْ سِرَار[٤] الْعَدْلِ[٥]، أَوْ أُقِيمَ اَعْوِجاجَ الحَقِّ[٦].

١ ـ (ايتها النّفوس المختلفة) بأنواع الاختلاف، والتي منها: الاختلاف في السنة النبوية.

٢ ـ (والقلوب المتشتّة) فان الافعال تكشف عما تضمر القلوب، فيما كان الصحابة في عصر الرسالة متطوعين، فهؤلاء على العكس يفتقرون الى تجمع وتوعية، وتذكير بما لم يفتقر اليه الصحابة.

٣ ـ (الشّاهدة ابدانهم) بحكم حضورهم في الساحة باشخاصهم.

٤ ـ (والغائبة عنهم عقولهم) حيث ان حضورهم ليس إلّا بالحضور الجسمي من دون اي عمل واثر مباشر وحقيقي في الحياة العملية.

واشار الى السبب في هذا الوصف القاطع منه عليه السلام للحضور بقوله:

٥ ـ (أظاركم على الحقّ وانتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الاسد) والظأر:

---

(١) في آ: أيّها.

(٢) هـ. ب: أعطفكم، هـ. ص: بالظاء المعجمة: أعطفكم، وفي المثل (الظعن يظأر) أي يعطفه على الصلح، انتهى من الشرح.

(٣) في هـ. ب: أي صوت.

(٤) في هـ. ب: السرار: آخر ليلة من الشهر، والتقدير في سرار فحذف حرف الجر ووصل الفعل.

(٥) أي أطلع بكم شارقاً يكشف عمّا عرض على العدل من الظلمة ويدل على هذا قوله: «أو أُقيم اعوجاج الحق»، فإنّ الحق لا اعوجاج فيه وإنّما خلطه قوم بالباطل فظهر معوجاً.

(٦) في هـ. ب في نسخة: الذنب.

العطف عند حصول الانحراف، وقد كان هذا منه عليه السلام عندما بدأت آثار الانحراف في تغيير الحكم من نظام الشورى الى الملوكية، ولكن هذا التوجية القيادي بالعطف الى الحق لم يتلق بالتلقي المطلوب، كما كان يتلقى الصحابة التوجيهات المماثلة في عصر الرسالة، بل النتيجة كانت عكسية، حيث ان الاصحاب بدل ان يعطفوا نحو الحق، اخذوا ينفرون منه لأسباب كثيرة ـ كما تنفر السخال من صوت الاسد ـ. وبهذا التمثيل اشار الى سبب واحد، وهو ان الاسد لا يتمكن من القضاء على فريسته إلّا بعد ان يخوفه بالوعوعة والعدو، وكذلك العدوّ، فانه لا يتمكن من القضاء على ارادة الشعب إلّا بعد ان يمطرهم بوابل من الدعايات الكاذبة.

وكانت هذه حالة المجتمع في عصر الامام عليه السلام.

واشار الى نتيجة حالة كهذه بقوله:

٦ ـ (هيهات) لا يمكن النصر مع جماعة ليس لهم رؤية واضحة في الحياة ومجرياتها واسبابها ودوافعها.

فان نتيجة هذه الحالة انه لا يمكن تحقق امرين من اهداف الخلافة، وهما:

اولا: (ان اطلع بكم سرار العدل) والسرار: اخر ليلة في الشهر، حيث يكون محاقا يطبق فيها الظلمة، حيث لا يمكن لمن في هذه الحالة ان يطلع على العدل في زمن الاستترار والظلمة؛ لفقدان الرؤية الواضحة، والوقوع في فخ الدعايات الكاذبة.

ثانيا: (او اقيم اعوجاج الحقّ) وهو الانحراف في نظام الحكم، حيث انتقل من الشورى الى الملوكية، ولا يمكن تقويم هذا الانحراف إلّا برؤية واضحة في الاسباب والمصاعب والنتائج، ولا يمكن الوصول الى الاهداف إلّا بالتحصن من الدعايات الكاذبة، وهذا التحصن كان مفقوداً في المجتمع الذي عاصر الامام.

(٢ / ط ـ ١٣١) الخلافة للاصلاح:

هذا المقطع يتضمن اهداف الخلافة الاسلامية النبوية التي دعت الامام لقبولها، وحيث انه لا يجد في المجتمع من يعرفها على الحقيقة، وجه كلامه الى الله سبحانه بسرد الاسباب بقوله:

اَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لمْ يكُنِ الذِي كانَ مِنَّا مُنافَسَةً[1] في سُلْطَانٍ، ولا ٱلتماسَ شَيْءٍ منْ

---

(١) في هـ. ب: محاسدة.

فُضُولِ الحُطَامِ. ولكِنْ لِنَرِد[١] المَعالِمَ منْ دِيْنِكَ، ونُظْهِرَ الإِصْلاَحَ في بِلاَدِكَ، فَيأمَنَ المَظْلُومُونَ منْ عِبادِكَ، وتُقامَ المُعَطَّلَةُ منْ حُدُودِكَ.

١ ـ (اللهمّ انّك تعلم انه لم يكن الذي كان منا) في امر الخلافة النبوية.

٢ ـ (منافسة في سلطان) وهو الحكم لغرض الحكم فقط، كما هي عادة اكثر السلاطين في التنافس للوصول الى السلطة.

٣ ـ (ولا التماس شيء من فضول الحطام) بالاستيلاء على الموارد الاقتصادية التي يتمتع بها غيرهم من عامة الشعب، كما هي عادة الثائرين على الحكام المتطرفين في غالب الحالات.

ان هدف الامام لم يكن شيئا من المادة والماديات، بل الهدف هو امران اصيلان من الثوابت الاسلامية التي تنتج اثارها في حياة المجتمع، واشار الى أهم آثارهما بقوله:

٤ ـ (ولكن لنرد المعالم من دينك) مما كاد ان يضيع وينسى من السنة النبوية، واهمها تغيير الخلافة بالشوري الى الملوكية.

٥ ـ (ونظهر الاصلاح في بلادك) بتطبيق السنة النبوية حرفيا.

ونتيجة هذا الاصلاح قال:

٦ ـ (فيأمن المظلومون من عبادك) بتحقيق العدالة في المجتمع.

٧ ـ (وتقام المعطّلة من حدودك) بعد وصول الحق الى صاحبه في الحكم والادارة.

(٣ / ط - ١٣١) مبادرة القيادة:

أَللّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أنابَ، وسَمِعَ وَأجابَ، لمْ يَسْبِقْني إِلَّا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهِ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بالصَّلاَةِ.

وقدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لا يَنْبغي أَنْ يكُونَ الْوَالِيَ[٢] على الْفُرُوجِ والدِّمَاءِ، والمَغانِمِ والأَحكامِ، وإمامَةِ المُسْلِمينَ الْبَخيلُ، فتكُونَ في أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ[٣]، ولا الجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِه، ولا الجَافي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفائِهِ، ولا الحَائِف[٤] لِلدِّوَلِ[٥] فَيَتَّخِذَ قوْماً دُونَ قَوْمٍ، ولا المُرْتَشي في الْحُكْمِ فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنّة فيهلك الأُمّة.

---

(١) في د: لِنَرُدّ.

(٢) لم ترد «الوالي» في ب، وفي هـ. د: ان يكون على الفروج ـ ش ح م.

(٣) النهمة :افراط الشهوة والمبالغة في الحرص.

(٤) الحائف: من الحيف أي الجور والظلم، والمراد من يحيف في قسم الأموال ويفضّل في العطاء بلا موجب للتفضيل، وفي ص و د : الخائف ، وفي هـ. د: ولا الحائف ـ ح ب .

(٥) في هـ. ب: الدول جمع دولة، وهي الدولة في المال خاصّة.

وختم المقطع بما فرض عليه شخصيا من تسلم زمام هذه المبادرة في اصلاح الخلافة لامرين:

الاول: تواجد صفات القيادة على السنة النبوية في شخصه، واشار الى ثلاث منها:

١ ـ السبق في الايمان (اللهمّ اني اول من أناب) فان هذا السبق جعلته على رؤية كاملة في مسيرته وقراراته.

٢ ـ الوعي الكامل (وسمع) فان سبقه لم يكن عن جهل أو اغراء، بل عن سمع ووعي.

٣ ـ العمل الصادق (واجاب) الى ما دعى اليه النبيﷺ من الثوابت الاسلامية التي اعلنها في عصر الرسالة.

واشار الى حقيقة متواترة عن حالته في الصبا بقوله: (لم يسبقني إلّا رسول اللهﷺ بالصّلاة) حيث سبق غيره في ذلك فكان أول من صلّى مع النبيّ في بدء الدعوة الاسلامية.

الثاني: فقدان القيادة الرشيدة.

وقد اشار الى ذلك بالحقيقة التي لم يجهلها احد من المسلمين من شروط القيادة لتحقيق تلك المسؤوليات بقوله:

١ ـ (وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدّماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم نهمته) وهذه من مسؤوليات القيادة المفهومة لكل مسلم يعي المبادئ الاسلامية للحكم، وهي مفقودة في عصره، حيث ان العدو يفقدها . والنهمة: المبالغة في الحرص.

٢ ـ (ولا الجاهل فيضلّهم بجهله) فمهما بلغ غيره من العلم، فلا يكون كالامام الذي عاش مع النبيﷺ منذ صباه، فهو اعرف بمسؤوليات العامة من غيره.

٣ ـ (ولا الجافي فيقطعهم بجفائه) وهو الاعراض والابتعاد، فان القائد الجافي يقطع المجتمع من حقوقهم ؛ لانه لا يؤدي واجبه؛ لصفة الجفاء فيه.

٤ ـ (ولا الحائف للدّول فيتّخذ قوما دون قوم) والحيف: الظلم، والدولة: المال المنتقل، فان الظالم في المال يقسمه على من يريد بدون ضوابط شرعية، ويكون نتيجة ذلك ان يتخذ جماعة مقرّبين، ويبعّد اخرى هي اولى بالتقريب من الاولى، لا لشئ سوى الظلم بالنسبة الى المستحقين.

٥ ـ (ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع) والرشوة: ما يعطى لتحقيق مصلحة شخصية بابطال حق أو احقاق باطل، فالمرتشي يعطل الحدود الشرعية التي هي مقاطع للظلم حيث يقلعه من اساسه وبها تصان الحقوق.

٦ ـ (ولا المعطّل للسّنّة) النبوية المطهرة؛ لانها اكملت الدين، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1].

وتعطيل السنة: تعليقها في مجال التنفيذ، باعتبار انها غير صالحة للزمان، مع ان تحقيق العدالة لا تختلف في زمان عن زمان وانسان عن انسان.

والنتيجة:

ان هذه النقاط الست في مواصفات الانحراف في القيادة الاسلامية تنتج نتيجة واحدة اشار اليها بكلمة ختامية، هي قوله:

ـ (فيهلك الامّة) لان الامة التي تفقد الواجبات المفروضة على قوامها ليست إلّا امة هالكة لعدولها عن السنة النبوية، والمسؤولية الجماعية لتحقيق العدل في المجتمع، والله العاصم.

---

(١) المائدة: ٣.

[١٣٢]

ومن خطبة له عليه السلام:

يعظ فيها ويزهد في الدنيا مستفتحا بالحمد والشهادتين ويبين حقيقة الدنيا والمغريات للافراد والامم، ثم العبرة بالنتيجة.

(ط - ١/١٣٢) الحمد والشهادتان:

استفتح الخطبة بالحمد لله سبحانه بصفات الالهية التي توجب ذلك له، وذكر منها:

نَحْمَدَهُ على مَا أَخَذَ وأَعْطَى، وعلى مَا أَبْلَي وأَبْتَلَى[1]، الْباطِنُ لِكلِّ خَفِيَّةٍ، الحاضِرُ[2] لِكلِّ سَرِيرَةٍ، الْعالِمُ بما تُكِنُّ الصُّدُورُ، وما تَخُونُ الْعُيون[3]، ونَشْهَدُ أَنْ لا إِلَه غيرُهُ، وأَنَّ محمّداً نَجِيبُهُ وبَعِيثُهُ[4]، شَهادَةً يُوافِقُ فيها السِّرُّ الإعْلاَنَ والْقَلْبُ اَللِّسَانُ.

١ و ٢ ـ (نحمده على ما اخذ واعطى) فان ما يهبه الله سبحانه للخلق رحمة منه، وما ياخذه حق له لان لله ما سواه، ولعل الاستفتاح بمتعلق الحمد بالاخذ اشارة الى اخذ الروح الانسانية، وان هذه الخطبة كانت عند موت شخص خاص أو جماعة خاصة، كما يستفاد من مضمون هذه الخطبة بتكرار الاشارة الى الاموات، والله اعلم.

٣ و ٤ ـ (وعلى ما أبلي وابتلى) الابلاء: الانعام الذي اعطاها الله سبحانه للانسان في الانفس والافاق. والابتلاء: انزال مضرة بالانسان على سبيل الامتحان، ومنها: الموت.

٥ ـ (الباطن لكل خفيّة) والباطن : الذي هو باطن مع كل ما هو خفي لا يرى، كما لا يرى الشيئ المخفي، فهما معاً خفيان، وان اختلفا في درجة الخفاء.

٦ ـ (والحاضر لكل سريرة) فان ما يسرّه الانسان في ضميره سرا مكتوما عن الاخرين غير مستور عليه سبحانه، فهو الحاضر عندها كما عند غيرها.

٧ ـ (العالم بما تكن الصدور) اي تستره لكي لا تعلم، والله عالم بكل شئ.

٨ ـ (وما تخون العيون) فان لحظات العيون اشارات لا يقف عليها إلّا من يلتفت اليها من الرسالات التي لا تنطق بها الشفاه، ولا يعلها إلّا الله سبحانه.

---

(١) في هـ. ب: أي نحمده على ما أبلى من النعم بكثرة المال والصحة، وعلى ما ابتلى من النقم من المرض والفقر، وفي هـ. ص: أبلى أي: أحسن، وابتلى: أي: أصاب بالبلاء.

(٢) في ط و د: والحاضر. وفي هـ. د: الحاضر ـ ش.

(٣) في هـ. ص: أي تسترق منه اللحظات على غير الوجه الشرعي.

(٤) أي مصطفاه ومبعوثه.

وهذه الصفات الالهية تستوجب الحمد من العبد.

والشهادتان:

وعقب الحمد بالشهادتين؛ لكونهما حمداً باللسان على ما يجب على الانسان، وهما:

اولا: الشهادة الاولى (ونشهد ان لا اله غيره) فاكتفى بذكر هذه الكلمة الشريفة.

وثانيا: الشهادة الثانية (وانّ محمّداً نجيبه وبعيثه) فان صفة النجابة والبعثة تحديد لواجبات النبوة المحمّدية، وكل من الشهادتين لا يتمّ إلّا باتصال احدهما بالاخرى، واجدة لصفتين هما:

الاولى :(شهادة يوافق فيها السّر الاعلان) فلا تكون الشهادة سراً شهادة.

الثانية: (والقلب اللّسان) فلا تكون الشهادة عليها من دون اعتقاد بالقلب شهادة، وهذا ما يفسره كلام الامام الرضا عليه السلام بقوله: «الايمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالاركان»، والله المستعان.

(٢ / ط - ١٣٢) حقيقة الدنيا:

حدد عليه السلام حقيقة الدنيا بنقاط، منها:

فإنّهُ[١] وٱللهِ الْجَدُّ لاَ ٱللَّعِبُ، والحَقُّ لا الْكَذِبُ، وماهوَ إلاَّ الموْتُ، قدْ أسْمَعَ دَاعِيهِ[٢]، وأعْجَلَ حادِيهِ.

١ و ٢ ـ(فانه والله الجدّ لا اللّعب) فانهما للدنيا حقيقة واقعة، لا يمكن لاحد انكارها، وليس لها هزل، وان الجاهل من تجاهل.

٣و ٤ ـ(والحقّ لا الكذب) حيث لا يمكن انكارها في حقيقتها وان كانت هذه الحقيقة مرة.

٥ ـ (وما هو إلّا الموت) الذي هو أصدق حقيقة في الدنيا، ولهذه الحقيقة صفتان معروفتان:

الاول: الاعلان الصريح (اسمع داعيه) فان داعي الموت يدعو اليه دعوة يسمعها صريحا كل انسان.

الثانية: السرعة في التنفيذ (واعجل حاديه) والحادي: التابع، فينفذ الداعي الموت بعجلة من يتبع، من دون تأخير في التنفيذ، ولا يمكن لاي انسان ان ينكر هذه الحقيقة في

---

(١) في هـ. ب: إنّ الأمر والشأن ماذاك الأمر أنتم عنه غافلون إلّا الموت، وفي هـ. ص: أي الشأن والأمر المومى بذكره.

(٢) في هـ. ب: أي دواعي الموت اسمع الموت: أي حان، وأعجل حاديه وسائقه.

الحياة.

(٣/ ط - ١٣٢) **مغريات الدنيا:**

فلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ ٱلناسِ[١] مِنْ نَفْسِكَ.

واشار الامام الى مغريات الدنيا للافراد من الاصحاب، وللامم والحضارات التي يغريهم عن الاستعداد لحقيقة الدنيا. فان الانسان العامل يسعي ان لا يغتر بها، فقال: (فلا يغرنك سواد الناس من نفسك) فان سواد الناس - وهم عامة الناس - يغترون بها، سواء من الافراد والامم، والانسان الذي يتمتع برؤية واضحة لا يغتر بها.

مغريات الافراد:

واشار الى مغريات الافراد التي ينبغي عدم الاغترار بها، بقوله:

فقدْ[٢] رَأيْتَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ ممَّنْ جَمَعَ المالَ، وحَذِرَ الإقْلاَلَ[٣]، وأمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أمَلٍ[٤] وَٱستِبْعادَ أجَلٍ.

(فقد رأيت من كان قبلك) من الافراد الذين يوصفون بما ياتي:

١ ـ (ممّن جمع المال) وظن ان جمع المال يخلده، وهو لايري انه اصبح عبداً للمال، وانه سوف يفقده بالخسارة وغيره، وان المال مصحوب دائما بالقلق النفسي على حفظه واستثماره.

٢ ـ (وحذر الاقلال) وهو الفقر، معتقداً ان الفقراء يعيشون حياة عذاب، مع انهم قد يكونوا في طمأنينة وامن من خوف خسران التجارة وفقدان اموالهم في الحياة، وكم من تاجر غني قد افتقر، وعاش كمداً ،لا لفقره بل لخسرانه.

٣ ـ (وأمن العواقب) المادية التي تعترض حياة الاغنياء في اموالهم واجسامهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

٤ ـ (وطول أمل) قال الشارح (ت/ ٦٥٦ هـ) : (منصوب على انه مفعول له) فان طول الامل في نفسه استهانة بالطوارئ في نفسه وامواله، ولا يسلم منها احد.

٥ ـ (واستبعاد اجل) ظانا ان الاجل بعيد عنه، وان الموت يأخذ غيره قبل نفسه.

---

(١) في هـ. ب: أي لا تنظر إلى عامّة الناس، وفي هـ. ص: أي ما عليه عامّتهم وكثرتهم، أي لا تغتر بكثرة المخالفين للحق فما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين، ولكن أكثرهم للحق كارهون.

(٢) في أ: وَقد ، وفي هـ. د: وقد ـ م ت ح.

(٣) في هـ. ب: أي الفقر.

(٤) «طول» مفعول لأجله، أي كان منه ذلك لطول أمله.

وهذه المغريات الخمس عامة بين الناس من الاقرباء والاصدقاء والبعداء في النسب والحب، مع ان أيا منهم لا يمكنه من ايقاف زحف عجلة الموت الحقيقية قط.

واثر الموت:

ويخلف الموت اثره الحقيقي في الحياة، واشار منها بقوله:

كَيْفَ نَزَلَ بِهِ المَوْتُ فأزْعَجَهُ عَنْ وطَنِهِ وأخَذَهُ منْ مَأمَنِهِ، مَحْمُولاً على أعْوَادِ[1] المَنايا، يَتَعَاطَى[2] بِهِ ٱلرِّجالُ الرِّجالَ؛ حَمْلاً على المَناكِبِ، وإمْسَاكاً بالأنَامِلِ.

١ ـ (كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه) فان الموت هو ازعاج حقيقي لامرد له.

٢ ـ (واخذه من مأمنه) في الحياة الذي ظن انه لا يصله فيه.

٣ ـ (محمولا على اعواد المنايا) كناية عن النعش الذي يحمل عليه بعد الموت الى القبر.

٤ ـ (يتعاطي به الرّجال الرّجال) فهم يتعاونون في حمل نعشه ان كان بعيداً بوجود رجال أوفياء يلازمون جنازته بعد موته الى ان يدفن.

٥ ـ (حملاً على المناكب) حيث يحمل كل منهم جانبا من جوانب النعش الاربع.

٦ ـ (وامساكاً بالأنامل) حيث يمسك كل واحد منهم برؤوس اصابعه النعش الى مقره الاخير.

فان افراد البشر جميعا متساوون في هذا المسير والمصير بالموت الى القبر.

(٤ / ط ـ ١٣٢) مغريات الحضارات:

وكرر الامام التحذير بالموت من مغريات الحضارات بقوله:

أما رَأيْتُم الَّذِينَ يُأمِّلُونَ بَعِيداً، ويَبْنُونَ مَشِيداً[3] وَيَجْمَعُونَ كَثيراً، كَيْفَ[4] أصْبَحَتْ بُيوتُهمْ قُبُوراً، ومَا جَمَعُوا بُوْراً[5]، وصَارَت[6] أمْوَالُهمْ لِلْوَارِثينَ، وأزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لاَ فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُون، ولا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبون[7].

---

(١) في هـ. ب: جمع عود، وهو كناية عن الجنازة.

(٢) في هـ. ص: أي يتناولونه ويتعاقبون حمله.

(٣) في هـ. ص: أصله المبنيّ بالشّيد، وهو الجص، والمراد: المقوّى.

(٤) لم ترد «كيف» في ب، وفي هـ. د: «كيف» ساقطة من ن شٍ.

(٥) في هـ. ب: البور: الفاسد الهالك، وفي هـ. ص: أي هالكاً.

(٦) في ب: فصارت، وفي هـ د: وصارت ـ ش.

(٧) في هـ. بٍ: يستعتب وأعتب بمعنى واحد، والاعتاب: الرضا، وفي هـ. ص: «يستعتبون»، من رواه مبنيّاً للفاعل فالمعنى: لا يسترضون ربهم من عصيانهم؛ لأنه قد انقطع زمن التكليف، من

١ ـ (اما رأيتم الّذين) تزعّموا حضارات جديدة في الحياة الانسانية المادية.

٢ ـ (ياملون بعيدا) بان يخلدوا في التاريخ باثارهم المادية.

٣ ـ (ويبنون مشيدا) أبنية شاهقة يتباهون بها كالاهرام وسور الصين وناطحات السحاب.

٤ ـ (ويجمعون كثيرا) سواءً من حيث الثروة الانسانية بكثرة التناسل أو الثروة الحيوانية بكثرة الانعام أو بكثرة الثروة المادية بالاستيلاء على الاقتصاد العالمي.

وهذه هي صفات عامة للحضارات المتصارعة على الارض.

وآثار الموت:

وآثار الموت في الحضارات هو نفسه في الافراد، واشار منها بقوله:

١ ـ (كيف اصبحت بيوتهم قبوراً) فان ما بنوه من صروح الحضارة ليست إلّا اماكن للسياحة تزار كما تزار القبور، فلا تزار للسكنى، بل للسياحة والتفرج والتنزّه، من دون اي اعتبار بالذين استخدموا في بنائها، ولا شكر لاصحابها، بل تقارن الزيارة أحياناً اللعنة عليهم لسوء أعمالهم.

٢ ـ (وما جمعوا بوراً) والبور: هو الفاسد الهالك، فان كلما جمعوا وخزنوا اصبح هالكا، لايخدم ما ارادوه من العظمة لدى اصحابهم وقومياتهم.

٣ ـ (وصارت اموالهم للوارثين) من القوميات التي خلفتهم في الحكم، وهي على الاغلب حضارات متناقضة مع الحضارة المتقدمة.

٤ ـ (وازواجهم لقوم آخرين) حيث ان الحضارة المتقدمة اختصت بطبقة خاصة كانت تحكم فيها حضارتهم في كل مرافق الحياة بما فيها الازواج، وبعد انقراض تلك الحضارة انتقلت كل قوانينها الى الحضارة الوارثة التي تختلف عنها في كثير من الشؤون.

٥ ـ (لا في حسنة يزيدون) حيث يحاسب التاريخ كل حضارة بحسناتها، ولا تزيد على ذلك شيئا.

٦ ـ (ولا من سيّئة يستعتبون) حيث لا يتمكنون من طلب اي رضىً ؛ لانهم مقرونون باعمالهم.

وتاريخ الحضارات وما يتبعها من الثورات التي تقلب الموازين رأسا على عقب، خير

استعتب فلان فلاناً طلب عتباه ورضاه. ومن رواه بغير الصيغة، فمعناه: لا يطلب منهم بيان عتباهم ووعد ربهم، والله أعلم.

شاهد على ذلك.

(ط - ١٣٢/٥) التقوى خالدة:

والحقيقة المرة للتاريخ بالنسبة الى الافراد والحضارات التي تموت كما يموت الافراد، تتطلب العبرة؛ فان الذي يجب على الانسان كفرد والامم كحضارات، هو شئ واحد، وهو العمل الصالح الذي يخلد دون غيره، واشار عليه السلام الى السبب الحقيقي الداعي اليه، وهو التقوى، بقوله:

فَمنْ أشْعَرَ[1] التَّقْوَى رَبَّهُ، بَرَّز[2] مَهَلُهُ[3]، وفازَ عَمَلُهُ.

فاهْتَبِلوا هَبَلَها[4]، واْعملُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَها[5]؛ فإِنَّ الدُّنْيا لمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَار مُقام، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجازاً؛ لِتَزَوَّدُوا منها الأعمالَ إلى دَارِ القَرارِ، فكُونُوا منها على أوْفَازٍ[6]، وقَرِّبُوا الظُّهُورَ[7] لِلزِّيَالِ[8].

١ ـ (فمن اشعر التّقوي قلبه برّز مهله) البروز: الظهور، والمهل: شوط الفرس، كناية عن التقدم في العمل.

٢ ـ (وفاز عمله) بالانتاج الخير من صالح الاعمال، ثقافية وانسانية باعداد الانسان الصالح في المجتمع بدل البنيان الهاوي.

٣ ـ (فاهتبلوا هبلها) والهبل: الطلب، اي طلب التقوى الملازم للعمل الصالح.

٤ ـ (واعملوا للجنّة عملها) وهو العمل الصالح في الدنيا، في خدمة الانسان مهما كان.

وقد اشار الى ان الاغترار بمغريات الدنيا المادية ليس في خدمة الانسان، بقوله:

٥ ـ (فانّ الدّنيا لم تخلق لكم دار مقام) فان كل من عليها فان.

---

(١) في هـ. ب: الإشعار: الإخبار.

(٢) في هـ. ب: مراده.

(٣) في هـ. ص: يروى بالرفع والنصب، فمن رفعه جعله فاعل برَّز، أي: فات شوطه، والمهل: شوط الفرس، ومن نصب جعل برز بمعنى أبرز، أي أظهر وأبان، فينصب حينئذٍ على المفعولية، انتهى من الشرح.

(٤) في هـ. ب: أي اغتنموا قلّة أموالها، والاهتبال: الاغتنام، والهبل: الثكل، وفي هـ.ص: أي اغتنموا وانتهزوا الفرصة،، والاهتبال: الذي يصلح لهذه الحال، أي ليكن الاهتبال بجدّ وهمّة عظيمة، يقال: اهتبلت غرّة فلان: أي اغتنمتها، وهبلها منصوب على المصدرية كأنّه من هبل كغضب غضباً، انتهى من الشرح.

(٥) في هـ. ص: أي العمل الذي يليق بها، وهو الموافق للشريعة، الخالص من الرياء والسمعة.

(٦) في هـ. ب: على عجلة، وفي هـ. ص: جمع وفز ـ بسكون الفاء ـ العجلة.

(٧) في هـ. ب: أي المراكب، وفي هـ. ص: ما يحتمل ويركب، أي استعدوا للسفر.

(٨) في هـ. ب: الفراق، وفي هـ. ص: المفارقة.

٦ ـ (بل خلقت لكم مجازا لتزوّدوا منها الاعمال الى دار القرار) كما هو شان كل وسيلة.

٧ ـ (فكونوا منها على اوفاز) والوفز: العجلة في العمل الصالح.

٨ ـ (وقرّبوا الظّهور للزّيال) ظهور الوسائل المتعارفة آنذاك من الحيوان، والزيال: الفراق، فان شأن الدنيا ليس إلّا باستخدامها ـ كاستخدام الحيوان ـ للوصول الى المقصد، وهو التقوى الملازم للعمل الصالح للانسانية بما يكفل للفرد الواجبات والمسؤوليات في الحياة.

[١٣٣]

ومن خطبة له عليه السلام [(١)]:

يعظم الله سبحانه ويذكر القران والنبي ويعظ الناس

ويتضمن بعض صفات المخلوقات، والقران والرسول القائد والدنيا والحكمة والمسلمين.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «هذا الفصل ليس بمنتظم من أوله إلى آخره، بل هو فصول متفرقة التقطها الرضى من خطبة طويلة على عادته، في التقاط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام، وإن كان كل كلامه فصيحا، ولكن كل واحد له هوى ومحبة لشئ مخصوص، وضروب الناس عشاق ضروبا».[(٢)]

(١/ط - ١٣٣) **وصف الخالق:**

وانْقادتْ لهُ الدُّنْيا والآخرةُ بأزِمَّتِها وقَذَفَتْ إليْهِ السَّماواتُ والأرَضِين[(٣)] مَقالِيدَها[(٤)] وَسَجَدَتْ[(٥)] لهُ بالغُدُوِّ والآصالِ الأشْجارُ النَّاضِرَةُ، وقَدَحَتْ لهُ منْ قضْبانِها[(٦)] النِّيرَان المضِيئة، وأتَتْ أُكلَها بكلِمَاتِهِ[(٧)] الثمَار الْيانِعة[(٨)].

١ ـ (وانقادت له الدنيا والاخرة بأزمّتها) فان من مظاهر قدرة الله سبحانه ان كل المخلوقات منقادة لارادته تعالى، سواء في الدنيا التي يعيشها أو الاخرة التي تتلو الدنيا؛ فانها جميعا تتبع ارادة الله سبحانه، لان الزمام بيد قدرته تعالى. والزمام: الحبل الذي يربط به القائد ما يقوده الى مقصده.

٢ ـ(وقذفت اليه السماوات والارضون مقاليدها) وهي المفاتيح، حيث انها تسير نحو هدف معين، كما اراده الله سبحانه لها.

---

(١) في هـ. ب: المذكورات في هذه الخطبة، انقادت لله مافي السماوات والأرضين.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٨ : ٢٨٨.

(٣) في ص: الأرض، وفي هـ. ص في نسخة: الأرضون.

(٤) في هـ. ص: أي مفاتيحها.

(٥) هـ. ص: أي انقادت، وذلك لأنّ السجود غاية الخضوع من المكلفين وأدلّ أفعالهم على الإذعان فاستعير لمطلق الإنفعال عن الإرادة. هـ. ص أي قول «كن» إمّا على حقيقته وإمّا على أنّ المراد به تمثيل سرعة الإنفعال عن الإرادة.

(٦) قضبانها: أي أغصانها.

(٧) في هـ. د: واتت بكلماته ـ ف.

(٨) في هـ. ص: أي المدركة.

٣ ـ (وسجدت له بالغدوّ والاصال الاشجار النّاضرة) والغدو: اول النهار، والاصيل: العصر، ففي الوقتين لها خضوع لارادة الله سبحانه الحاكمة عليها، والموجبة للخضوع، وبسبب ذلك اصبحت ناضرة.

٤ ـ (وقدحت له من قضبانها النّيران المضيئة) والقدح: الاشتعال، والقضيب: الغصن، فان اغصان الاشجار اليابسة تشتعل بالنار مضيئة لما حولها بقدرة الله سبحانه.[١]

٥ ـ (وآتت أكلها بكلماته الثّمار اليانعة) فان بقدرة الله سبحانه كانت الثمار للاشجار، بما احكمه من كلماته وتقديره لها.

وهذه اوصاف محسوسة تكشف عن قدرة الله تعالى.

(٢ / ط ـ ١٣٣) وصف القرآن:

وكِتابُ اللهِ بيْنَ أظْهُرِكُم؛ ناطِقٌ لايَعْيَى[٢] لِسانُهُ، وبَيْتٌ لا تُهْدَمُ أرْكانُهُ، وعِزٌّ لا تُهْزَمُ[٣] أعْوَانُهُ.

١ ـ (وكتاب الله) الذي فرضة على العباد.

٢ ـ (بين اظهركم) فهو موجود معروف لمن يدرسه.

٣ ـ (ناطق لا يعيا لسانه) فان المفاهيم الاسلامية التي يتضمنها القران غير مستورة، بل القرآن ناطق بها بلسان عربي مبين، من دون عيّ وكلل، باللغة الذي يفهمها كل عربي.

٤ ـ (وبيت لا تهدم أركانه) لا ستناده الى الوحي المبين من رب العالمين.

٥ ـ (وعزّ لا تهزم أعوانه) حيث يؤكد على ما يفتقر اليه الانسان في الحياة ويوجب للانسان عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان، ومن وجد له هذا العز يكون له عون الهي لا يهزم معه الاعوان، وليس كالعون المادي الذي يفتقر في تحصيله الى الاشخاص والافراد.

(٣ / ط ـ ١٣٣) وصف رسول الله:

---

(١) قال علي بن ابراهيم القمي في تفسير الآية ٨٠ من سورة يّس قوله تعالى: ﴿مِنَ الشَّجَرِ الاخْضَرِ نٰاراً﴾ قال: «المرخ والعفار، ويكون في ناحية بلاد المغرب، فإذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشجر، ثم أخذوا عوداً فحركوه فيه، فيستوقدوا منه النار».
وقال ابن العتائقي معلقا على ذلك: أقول: ان النار تنقدح من الشجر ومن الحديد وغير ذلك، والمرخ والعفار تخرج النار منها أسرع، ولهذا قالت العرب في المثل:
في كل شجر نار ... واستمجد المرخ والعفار
واعلم أن النار ليست كامنة في الشجر وتخرج بالقدح، والا كانت تحرق النعم، بل الهواء ينقلب ناراً بالحركة والانتقال.
(٢) في هـ. ب: أي لا يعجز.
(٣) في ب: لا يهدم، وفي هـ. د: لا تهدم ـ ب.

أَرْسَلَهُ على حِينِ فَتْرَةٍ منَ الرُّسُلِ، وتَنازُعٍ منَ الأَلْسُنِ[١]، فَقَفَّى بِهِ[٢] الرُّسُلَ، وَختَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فجاهَدَ في اللهِ المُدْبِرِينَ عنْهُ، والْعادِلِينَ بِهِ.

١ ـ (ارسله) الله سبحانه، فهو يشارك سائر الرسل في حمل الرسالة الالهية للمجتمع.

٢ ـ (على حين فترة من الرّسل) في انقطاع الوحي، ولهذا يختلف عن غيرهم، فان ابا الانبياء ابراهيم عليه السلام كانت رسالته متصلة برسالة ابنه اسماعيل، وبعده كانت الفترة التي استمرت حتى بعثة الرسول صلى الله عليه وآله.

٣ ـ (وتنازع من الالسن) من الامم المختلفة، وفي مقدمتهم العبرانيين والعرب.

٤ ـ (فقفّي به الرسل) نتيجة لهذه الفترة، فقفى اي اتبع رسولا يتابع الرسل من قبله مصدقا لكتبهم.

٥ ـ (وختم به الوحي) لكونه خاتم النبيين صلى الله عليه وآله.

٦ ـ (فجاهد في الله) وبه امتاز من بين سائر الانبياء، وكان جهاده في محاربة طائفتين:

الاولى: (المدبرين عنه) وهم الملحدون بالله تعالى.

الثانية: (والعادلين به) وهم عبدة الاصنام.

(٤ / ط - ١٣٣) وصف الدنيا:

وإِنَّما الدُّنْيا مُنْتَهَى بَصَرِ الأَعمَى[٣]، لا يُبْصِرُ ممَّا ورَاءَها شَيْئاً، والْبَصيرُ يُنْفِذُها بَصَرُهُ، ويَعْلمُ أَنَّ الدَّارَ ورَاءَها، فالْبَصيرُ مِنْها شَاخِصٌ، والأَعْمَى إِلَيْها شَاخِصٌ[٤]، والْبَصيرُ مِنْها مُتَزَوِّدٌ، والأَعْمَى لَها مُتزَوِّدٌ[٥].

١ ـ (وانّما الدنيا منتهى بصر الاعمى) فما يراه الاعمى ليس إلّا خيال للمحسوسات ، وهذا غاية ما يتصوره كما في الظلمة والنور، فهي رؤية ناقصة ان لم تكن معدومة.

٢ ـ (لا يبصر ممّا وراءها شيئاً) فكذلك الانسان يشاهد للدنيا حدود محسوسة له، كما يحس الاعمى النهار والليل ولكن لا يمكنه ان يتجاوز تلك المحسوسات.

٣ ـ (والبصير ينفذها بصره) لانه ينظر الى حقائق غير المحسوسة إلّا بالقلب، وليس الى المحسوسات المادية بالباصرة.

---

(١) في هـ. ص: كناية عن المجادلة، فقد كان أهل الأرض ملأً يجادل بعضها بعضاً.
(٢) في هـ. ص: أي جاء بعدهم مصدّقاً لهم.
(٣) في هـ. ص في نسخة: المبصر.
(٤) في هـ. ب: فاتح عينيه.
(٥) في هـ. ب: في نسخة: متردّد.

وكذلك:

٤ ـ (ويعلم انّ الدّار وراءها) حيث يستدل على وجود الاخرة بعد الدنيا.

وهذه الحقائق الاربعة تستلزم ان كلا من الاعمي والبصير في رؤية الدنيا كل حسب رؤيته المحدودة بالنسبة.

اولا: (فالبصير منها شاخص) والشخوص من الشئ: الرحلة منه، ممن يبصر الدنيا فهو راحل عنها لا محالة.

ثانيا: (والاعمى اليها شاخص) حيث يحاول فتح عينيه للرؤية اليها، وهو لا يتمكن إلّا بالخيال.

ثالثا: (والبصير منها متزوّد) بالعمل الصالح زاداً للاخرة.

رابعا: (والاعمى لها متزوّد) حيث لا يكون همه إلّا التزود في الدنيا للدنيا.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «فاما قوله: فالبصير منها شاخص، والاعمى اليها شاخص، فمن مستحسن التجنيس، وهذا هو الذي يسميه ارباب الصناعة الجناس التام» ثم شرح ذلك بالتفصيل، فليراجع شرح النهج ٨: ٢٧٦ ـ ٢٨٧، ط/١٩٦١م.

(٥/ط ـ ١٣٣) حكمة القرآن:

ومهد الامام عليه السلام لبيان حكمة القرآن بمقدمة محسوسة لكل انسان، فان للانسان حياة مادية يحييها، وهذه الحياة المادية تفتقر الى حياة روحية يعيشها، وبدونها تكون حياة شريعة الغاب، وان الحياة الروحية انما تحصل في الحكمة، وهي كتاب الله، فقال:

منها:

واعلَمُوا أَنْ لَيْسَ منْ شَيْءٍ إلَّا ويَكادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعَ[1] مِنْهُ ويَملَّهُ إلَّا الحَيَاةَ؛ فإِنّهُ لاَ يَجِدُ لهُ في المَوْتِ رَاحَةً[2]، وإنَّما ذلِكَ بمَنْزِلةِ الحِكْمَةِ[3] التي هِيَ حَياةٌ لِلْقَلْبِ المَيِّتِ، وَبَصرٌ

(١) في هـ. د: ان يشبع ـ ب.

(٢) في هـ طبعة محمّد عبده: لا يجد في الموت راحة حيث لم يهيئ من العمل الصالح الباقي ما يكسبه السعادة بعد الموت، قال: وإنّما ذلك ـ أي شعور الإنسان بخيفة مابعد الموت ـ بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفلة الغرور، وتبعثه إلى خير العمل، ثم بعد بيانه لما يجده الإنسان في نفسه من خيفة ماوراء الموت ولما يرشد إليه ذلك أخذ يبيّن الوسيلة الموصلة إلى منجاه مما يخشاه القلب وتتوجس منه النفس، وأنها التمسّك بكتاب الله الذي بين أوصافه. وبهذا التفسير التأم الكلام واندفعت حيرة الشارحين في هذا المقام. وقوله :كتاب الله، جملة مستأنفة ،أي هذا كتاب الله فيه ما تحتاجون إليه ممّا هدتكم الفطرة إلى طلبه.

(٣) في هـ. ب: إشارة إلى القرآن.

لِلْعينِ الْعَمْياءِ، وسَمْعٌ للْأُذُنِ الصَّمَّاء، وَرِيٌّ لِلظَّمْآن، وفيها الْغنى كلُّهُ والسَّلَامَةُ، كِتابُ اللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وتَنْطِقُونَ بِهِ، وتَسْمَعُونَ بِهِ، ويَنطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، ويَشْهَدُ بعضُهُ على بَعْضٍ، ولَا يَخْتلِفُ في ٱللهِ[1]، ولاَ يُخالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللهِ.

(واعلموا انه ليس من شيء إلّا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله إلّا الحياة، فانه لا يجد في الموت راحة) لان الانسان اذا فقد الشيئ سعى للحصول عليه، وبعد ذلك يلتذ منه لفترة حتى يصبح ذلك الشيئ له عاديا، فيشبع منه، ونتيجة الشبع الملل منه، كما يشبع الانسان من الاكل، فيمتنع عنه، وهذه الحقيقة سارية في كل مجالات الحياة المادية والعناوين الخيالية إلّا الموت ؛ فان الانسان يتهرب منه بانواع الوسائل المتيسرة له، سواء بالوقاية أو العلاج.

والحكمة:

واشار الى ان الحياة المادية لا تكتمل إلّا بالحياة الروحية بقوله: (وانّما ذلك بمنزلة الحمة الّتي هي حياة) وقد ذكر من الصفات الذاتية والحكمية ما ياتي:

١ ـ (هي حياة للقلب الميّت) وبدونها لا يكون القلب قلبا حقيقة، بل جسداً بدون روح.

٢ ـ (وبصر للعين العمياء) فان الجسد بدون البصر لا يهتدي الى ما يريد كما يريد.

٣ ـ (وسمع للاذن الصّماء) فان الاذن يؤدي دوره في حياة التخاطب وفقدانه عجز.

٤ ـ (وري للظّمان) حيث يرتوي المنتهل من زلال الحكمة، فلا يظمأ.

٥ ـ (فيها الغني كلّة والسّلامة) حيث تؤدي الاعضاء وظائفها الطبيعية من القلب والعين والاذن.

٦ ـ (والسبب في ذلك كلة السلامة التي يتنعم بها من الخلل.

وكتاب الله:

واشار الى ان القرآن الكريم هو الدستور الخالد للحياة الروحية التي يفتقر اليها الانسان في حياته، حيث يجتمع فيه صفات الحكمة المطلوبة، وقد عددها بقوله:

١ ـ (تبصرون به) الطريقة الفضلى في الحياة بالهداية الى الحاجات المادية والروحية للانسان.

---

(١) في هـ. ص: أي في صفته، وما يجوز عليه ومالايجوز. وفي هـ. ص: أي المعتمد عليه المتخذ له مع بيانه دليلاً لا يعدل عن الله أي عن طريقه وجهته التي أُمر بالتوجّه إليها وسلوكها.

٢ ـ (وتنطقون به) من القول الحق الذي يخدم المجتمع الانساني.

٣ ـ (وتسمعون به) سماع الحقائق دون الاباطيل والدعايات الكاذبة.

٤ ـ (وينطق بعضه ببعض) فيفسر بعضه بعضاً في العموم والخصوص والاطلاق والتقييد والاجمال والبيان وما شابه.

٥ ـ (ويشهد بعضه على بعض) لانها تخدم هدفا واحداً وهو تحقيق العدالة سواء في النفس أو المجتمع أو الحكم وبكلمة وجيزة ان القران:

٦ ـ (ولا يختلف في الله) من صفات الذات المقدسة الثبوتية والسلبية التي استعرضها في اياته (ولا يخالف بصاحبه عن الله) والسبب في ذلك كله أن صاحب القران انما ينظر الى الحياة برؤية واضحة من حيث المبادئ والوسائل والاهداف.

(٦ / ط ـ ١٣٣) المسلمون المعاصرون:

قدِ اصْطَلَحْتُمْ[١] على الْغِلِّ فيما بينكُمْ، ونَبت المَرْعَى على دِمَنِكُمْ[٢]، وتَصافَيْتُمْ على حُبِّ الآمالِ، وتَعَادَيْتُمْ في كَسْبِ الأمْوَالِ، لَقدِ اسْتِهام[٣] بكُمُ الْخَبِيثُ[٤]، وتَاهَ بكُمُ الْغرُورُ[٥]، واللهُ المُسْتَعانُ على نَفْسِي وأَنْفُسِكُمْ.

ان الذين ابتعدوا عن عصر الرسالة وهم يعيشون في عصر الامام أو من بعده ممن لم يتنعم بالرؤية الواضحة للمبادئ والوسائل والاهداف الاسلامية، وما اكثرهم! فقد خاطبهم الامام بأوصاف، هي:

١ ـ (قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم) الاصطلاح: الاتفاق، والغل: الحقد، فان اعمالكم فيما بينكم يكشف عن هذا الاتفاق.

٢ ـ (ونبت المرعي على دمنكم) والدمن: الحقد الدفين، فقد طال الزمان عليه حتى اصبحت ارضا خصبة للحقد، ويتربى الجيل الجديد عليه كما يتربى الحيوان على النبت.

٣ ـ (وتصافيتم على حبّ الامال) كما يكشف عن ذلك التهالك على الاموال والعمران والجاه والعنوان.

٤ ـ (وتعاديتم في كسب الاموال) فلم تتوقف الرغبة في الدنيا بالحصول عليها، بل

---

(١) في هـ. ب: كناية عن ثباتهم على الحق.
(٢) في هـ. ب: جمع دمنة، وهي ـ بالكسر ـ: الحقد.
(٣) في هـ. ب: حيّر.
(٤) في هـ. ب: أي الشيطان.
(٥) في هـ. ب: أي الشيطان.

تعدت الى العدوان على اموال الاخرين.

٥ ـ (لقد استهام بكم الخبيث) وهو الشيطان، حيث جعلكم هائمين تقعون في التيه والحيرة وتفقدون الرؤية الواضحة للحياة الكريمة التي توازن بين الدنيا والاخرة، ونتيجة ذلك كله هو قوله:

٦ ـ (وتاه بكم الغرور) والغرور – بالفتح – ما يغر الانسان ويخدعه من المال والجاه، وفيه الاشارة الى قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بالله ٱلْغَرُورُ﴾[1].

وحيث ان هذه هي حالات ناتجة من ضعف الرؤية الاسلامية، ولا يمكن التخلص منها إلّا بالاستعانة به تعالى وتطبيق دستوره في الحياة، فانه ختم المقطع بقوله:

(والله المستعان على نفسي وانفسكم) حيث لا عاصم من وساوس الشيطان إلّا الرحمان.

(١) الحديد: ١٤.

[١٣٤]

ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو[1] الروم[2]:

(١/ ط - ١٣٤) نصر الله:

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللهُ[3] لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ ٱلحَوْزَةِ[4]، وَسَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ[5]، وَٱلَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَايَنْتَصِرُونَ ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ[6] لَايَمْتَنِعُونَ ، حَيٌّ لَايَمُوتُ.

ففي المقطع الاول اشار الى ثابتة اسلامية، وهي العقيدة بان النصر من الله، حيث وعده الله بقوله: ﴿إِن تَنصُرُوا ٱللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[7] وقد سرد من موارد النصر، ثم اشار الى تاريخ النصر في صدر الاسلام بقوله:

١ ـ (وقد توكّل الله لاهل هذا الدين) من المسلمين الذين يؤمنون بالاسلام عقيدة وشريعة. والتوكل: اتخاذ الله وكيلا.

٢ ـ (باعزاز الحوزة) وهي ما حازه المسلمون من نواحي الدولة الاسلامية وحدودها.

٣ ـ (وستر العورة) ما استتر على المسلمين من خلل الثغور التي يدخل منها العدو، فالله سبحانه يسترها عليهم العدو فلا يعلمون بها.

٤ ـ (والّذي نصرهم، وهم قليل لا ينتصرون) في بداية الاسلام وحروبه مع المشركين في بدر والاحزاب وغيرهما.

٥ ـ (ومنعهم، وهم قليل لا يمتنعون) لم يكن لهم قدرة عليا لمنع العدو من مشركي العرب ،كما هو مشروح في السيرة النبوية.

والسبب في هذا كله نصر الله وحدة الذي هو (حي لا يموت) فكما نصر المسلمين في صدر الاسلام بسبب ايمانهم الصادق بالاسلام عقيدة وشريعة، فكذلك ينصر الله سبحانة

---

(١) لم ترد «غزو» في أ.

(٢) في د زيادة : بنفسه.

(٣) في هـ. ص: أي صار وكيلاً، ويروىٰ: «كفل»، أي صار كفيلاً أي ضامناً.

(٤) في هـ. ب: أي تكفّل الله للمسلمين أن يعزّ حوزة الدين وبيضته، وأن يعزّ حوزتهم أي ساحتهم، وفي هـ. ص: أي الناحية وما يحوزه المرء ويمنعه.

(٥) في هـ. ص: ما يخاف الغائلة من حميته.

(٦) في ص: وهم ذليلون، وفي هـ. ص: في نسخة: قليلون.

(٧) محمّد: ٧.

المسلمين في هذا العصر.

(ط - ١٣٤/٢) بين خيارين:

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا ٱلعَدُوِّ بِنَفْسِكَ(١)، فَتَلْقَهُمْ(٢) فَتُنْكَبْ(٣) لَايَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كانفة(٤) دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ. لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ(٥) رَجُلاً محْرَباً، وَٱحْفِزْ(٦) مَعَهُ أَهْلَ ٱلْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ ٱللهُ(٧) فَذَاكَ مَاتُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَىٰ، كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً(٨) لِلْمُسْلِمِينَ.

ان احتمالات المواجهة في ساحة المعركة مفتوحة من القتل والاسر والنصر أو الفشل، ولا يهم المسلم المحارب النتائج ـ كما هو الشأن في اية حرب عقائدية ـ

ولكن موقف القيادة تختلف عن غيرها، ومن هنا اشار الى آثار الخيارين بالنسبة الى الخليفة الثاني (رض) في مواجهة العدو، فلكل من الخيارين اسبابه.

الخيار الاول:

المباشرة في الحرب التي تجعل القيادة في معرض الخطر، وهذا يؤثر على المسلمين جميعا، وقد عارض الامام ذلك مباشرة بقوله:

(انّك متى تسر الى هذا العدوّ بنفسك) فالحالة إما تكون النصر وهو المطلوب، ولكنه من الطبيعي ان ذلك لا يكون مضمونا، بل قد (تلقهم فتنكب) بخسران المعركة. وحالة كهذه تستلزم ثلاث عواقب وخيمة، هي:

اولا: (لا تكن للمسلمين كانفة) والكانفة: الجهة العاصمة التي تجمع كلمتهم.

ثانيا: (دون اقصى بلادهم) حيث لا تكون خسارة شخصية، بل توثر على جميع المسلمين في اقصى الدولة الاسلامية.

ثالثا: (ليس بعدك مرجع يرجعون اليه) حيث المفروض انه لم يستخلف احداً، وحتى

---

(١) في هـ. ب : بشخصك، وفي هـ. د : بشخصك ـ حاشية م.
(٢) في هـ. ب: بشخصك، وفي هـ. ص زيادة: بشخصك.
(٣) في هـ. ب: أي تصير منكوباً، فتنكب عطف على «متى تسر»، وجواب الشرط «تكن كانفة» أي ساحة حافظة للمسلمين، كنفت الرجل: حفظته وصنته، وفي هـ. ص: أي تصيبك نكبة.
(٤) في ط: كهف، وفي هـ أ: في نسخة: كهفة، وفي هـ. ب: كانفة: أي حافظة، وفي هـ. د: كهف ـ ح ف.
(٥) في ب: عليهم، وفي هـ. د: عليهم ـ ش.
(٦) في هـ. ص : أي سقهم معجّلا.
(٧) في هـ. ب: أظفر الله.
(٨) في هـ. ب: موضع الرجوع.

يتحقق الاستخلاف ويستغرق وقتا ليس بالقصير، فلابد من وجود مرجع وملاذ للمسلمين آنئذٍ.

الخيار الثاني:

وهو ما اقترحه الامام بقوله: (فابعث اليهم) رسولا يتولي قيادة الجيش في الحرب يستمتع بالصفات التالية:

اولا: (رجلا محربا) ممن لة الخبرة العسكرية في قيادة المعركة.

ثانيا: (واحفز معه اهل البلاء والنّصيحة) والحفز: الدفع، والبلاء: الخبرة، فلا يستبد برأيه، بل يكون معه جماعة لها الخبرة لكي ينصحوا المسؤول العسكري بما يجب تنفيذه في ساحة المعركة.

ثالثا: (فان اظهر الله) اي حصل النصر على الاعداء (فذاك ما تحبّ، وان تكن الاخرى) من خسران المعركة (كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين) الردء: العون، والمثابة: المرجع؛ لانهم على كل حال يفتقرون الى القائد الذي يوجه امر المسلمين عامة في كل الحالات.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ) في غزوه فلسطين وفتح بيت المقدس، مانصه:« واعلم أن هذه الغزاة هي غزاه فلسطين، التي فتح فيها بيت المقدس، وقد ذكرها أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري في التاريخ ـ الى ان قال: ـ قال أبو جعفر: شخص عمر من المدينة إلى الشام أربع مرات، ودخلها مرة راكب فرس، ومرة راكب بعير، ومرة راكب بغل. ومرة راكب حمار، وكان لا يعرف، وربما استخبره الواحد: أين أمير المؤمنين؟ فيسكت، أو يقول: سل الناس، وكان يدخل الشام وعليه سحق [1] فرو مقلوب، وإذا حضر الناس طعامه رأوا أخشن الطعام. قال أبو جعفر: وقدم الشام في إحدى هذه المرات الأربع، فصادف الطاعون بها فاشيا، فاستشار الناس، فكل أشار عليه بالرجوع وألا يدخلها، إلّا أبا عبيدة بن الجراح، فإنه قال: أتفر من قدر الله؟ قال: نعم، أفر من قدر الله بقدر الله إلى قدر الله، لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! فما لبث أن جاء عبد الرحمن بن عوف، فروى لهم عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا كنتم ببلاد الطاعون فلا تخرجوا منها، وإذا قدمتم إلى بلاد الطاعون فلا تدخلوها"، فحمد الله على موافقة الخبر لما كان في نفسه، وما أشار به الناس، وانصرف راجعا إلى المدينة، ومات أبو عبيدة في ذلك الطاعون، وهو الطاعون

---

(١) السحق: الثوب البالي.

المعروف بطاعون عمواس وكان في سنه سبع عشرة من الهجرة.[١]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٨ : ٢٩٨ ـ ٣٠١.

[١٣٥]

ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا اكفيكه فقال علي عليه السلام للمغيرة هذا الكلام

ترجم ابن أبي الحديد(ت/ ٦٥٦ هـ) المغيرة في الشرح، فقال:«هو المغيرة بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة الثقفي ، حليف بنى زهرة ، وإنما قال له أمير المؤمنين عليه السلام : " يا بن اللعين " ، لان الأخنس ابن شريق كان من أكابر المنافقين ، ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفة قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم ، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله مائة من الإبل من غنائم حنين يتألف بها قلبه ، وابنه أبو الحكم بن الأخنس ، قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم أحد كافرا في الحرب وهو أخو المغيرة هذا . والحقد الذي في قلب المغيرة عليه من هذه الجهة . وإنما قال له : " يا بن الأبتر " ، لان من كان عقبه ضالا خبيثا ، فهو كمن لا عقب له، بل من لا عقب له خير منه . ويروى : ولا أقام من أنت منهضه " بالهمزة».[١]

(١ / ط - ١٣٥) دور المنافق:

يابن اللعين الابتر والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني؟ فوالله ما أعزّ الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، اخرج عنا، أبعد الله نواك ثمّ أبلغ جهدك، فلا أبقى الله عليك ان بقيت .

يتضمن المقطع آثار المنافقين الذين يرثون النفاق ارثا عن آبائهم، ويظهر في فلتات كلماتهم، ولابد من مواجهتهم بالموقف الحازم في الرد عليها، وكما هي طبيعة المنافقين فانهم ينتقلون من مجلس الى اخر لايقاد نار الفتنة، ونقل كلمات ثم تحريفها لغرض الوقيعة باصحابها، فاذا كانت مواقف النفاق مستورة كان التعامل معها كذلك كما كانت عليه سيرة النبي الاطهر صلى الله عليه وآله والامام، دون ما اذا اعلنت المواقف فلابد من ايقاف المعتدي عند حده، كما كانت عليه سيرة النبي صلى الله عليه وآله بالنسبة الى مسجد الضرار الذي بناه المنافقون، ومنها موقف الامام مع المغيرة هذا، حيث ابدى كلمة العداء بقوله: (انا أكفيكه).

فرد الامام على ذلك رداً سريعاً حاسماً بسرد ما يبين شخصية القائل في الماضي

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٨ : ٣٠١.

والحال، مما لم يجد الحاضرون إلّا الاعلان بقولهم: (انا والله ما جئناك لنكون عليك شهودا) الى اخر كلامه الاتي، فخنس المنافق وخرس عن الكلام.

والاوصاف التي نعت الامام المنافق بها، هي:

١ ـ (يا ابن اللّعين) حيث ان اباه الابتر: الاخنس، كان من اكابر المنافقين، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ):«وروي ان رسول الله ﷺ لعن ثقيفا» .[١]

٢ ـ (الابتر) وهو الذي لم يعقب، وهو نعت للمغيرة ظاهراً، أو المراد الانقطاع عن الثوابت الاسلامية.

٣ ـ (والشّجرة الّتي لا اصل لها ولا فرع) للطعن في اصلها ـ كما قال ابن ابي الحديد (ت /٦٥٦هـ) ـ أو لعدم دور انساني لها.

٤ ـ (انت تكفيني) استفهام انكاري على المنافق؛ تحقيراً لصفة النفاق.

٥ ـ (فو الله ما اعز الله من انت ناصره) فان المنافق لا ينصر احداً إلّا لمصلحة شخصية، فاذا كانت مصلحته في خطر ترك النصر.

٦ ـ (ولا قام من انت منهضه) اي مسانده للوقوف ؛ لان المساندة ليست حقيقية، بل لاتستمر إلّا مادامت المصلحة الشخصية موجودة وتنتفي بانتفائها.

٧ ـ (اخرج عنّا) لانك اعلنت موقف النفاق، فلا يكون وجودك إلّا شراً.

٨ ـ (ابعد الله نواك) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ):«ويروى: ابعد الله نوءك. من انواء النجوم التي كانت العرب تنسب المطر اليها، وكانوا اذا دعوا على انسان قالوا: أبعد الله نوءك!، أي خيرك».[٢]

٩ ـ (ثم ابلغ جهدك) لان النفاق يظهر على الجميع، فكلما كذب الكاذب زاد كذبه فضيحة لنفسه لا المكذوب عليه.

١٠ ـ (فلا ابقي الله عليك ان ابقيت) شيئا من جهدك للوقيعة بي بالقول أو الفعل؛ لان كلامك ذلك يكشف عن حقيقة النفاق اكثر فاكثر، ولايضر الامام الصادق شيئا.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «واعلم أن هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان ، ولكن عوانة روى عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن الشعبي ، أن عثمان لما كثرت شكايته من علي ، أقبل لا يدخل إليه من أصحاب رسول الله ﷺ أحد إلّا شكي إليه

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٨ : ٣٠٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٨ : ٣٠١.

عليا ، فقال له زيد بن ثابت الأنصاري – وكان من شيعته وخاصته : أفلا أمشي إليه فأخبره بموجدتك فيما يأتي إليك ! قال: بلى ، فأتاه زيد ومعه المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي – وعداده في بني زهرة ، وأمه عمة عثمان بن عفان – في جماعة ، فدخلوا عليه ، فحمد زيد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أما بعد، فإن الله قدم لك سلفا صالحا في الاسلام ، وجعلك من الرسول بالمكان الذي أنت به ، فأنت للخير كل الخير أهل ، وأمير المؤمنين عثمان ابن عمك ، ووالى هذه الأمة فله عليك حقان : حق الولاية وحق القرابة ، وقد شكا إلينا أن عليا يعرض لي ، ويرد أمري على ، وقد مشينا إليك نصيحة لك ، وكراهية أن يقع بينك وبين ابن عمك أمر نكرهه لكما . قال: فحمد علي عليه السلام الله ، وأثنى عليه وصلى على رسوله ، ثم قال: أما بعد ، فوالله ما أحب الاعتراض ، ولا الرد عليه ، إلّا أن يأبى حقا لله لا يسعني ان أقول فيه إلّا بالحق ، ووالله لأكفن عنه ما وسعني الكف . فقال المغيرة بن الأخنس ، وكان رجلا وقاحا [1]، وكان من شيعة عثمان وخلصائه : إنك والله لتكُفّنّ عنه أو لتكَفّنّ ، فإنه أقدر عليك منك عليه ! وإنما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعزازا لتكون له الحجة عندهم عليك . فقال له علي عليه السلام : يا بن اللعين الأبتر ، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع ، أنت تكفّني ! فوالله ما أعز الله امرءاً أنت ناصره ، اخرج أبعد الله نوءك ، ثم اجهد جهدك ، فلا أبقى الله عليك ولا على أصحابك إن أبقيتم . فقال له زيد : إنا والله ما جئناك لنكون عليك شهودا ، ولا ليكون ممشانا إليك حجة ، ولكن مشينا فيما بينكما التماس الاجر أن يصلح الله ذات بينكما ، ويجمع كلمتكما . ثم دعا له ولعثمان ، وقام فقاموا معه . وهذا الخبر يدل على أن اللفظة " أنت تكفني " ، وليست كما ذكره الرضى رحمه الله " أنت تكفيني " ، لكن الرضى طبق هذه اللفظة على ما قبلها ، وهو قوله : " أنا أكفيكه " ، ولا شبهة أنها رواية أخرى .

فصل في نسب ثقيف ، وطرف من أخبارهم:

وإنما قال له : والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع ، لان ثقيفا في نسبها طعن ، فقال قوم من النسابين : إنهم من هوازن ، وهو القول الذي تزعمه الثقفيون ، قالوا : هو ثقيف ، واسمه قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر . وعلى هذا القول جمهور الناس . ويزعم آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، وأن النخع أخوه لأبيه وأمه ، ثم افترقا ، فصار أحدهما في عداد هوازن ، والاخر

---

(١) الوقاح : ذو الوقاحة .

في عداد مذحج».[١]

قال الجلالي: وفي كلام الامام عليه السلام رؤية واضحة ومواقف ثابتة فرضها الاسلام على كل مسلم، وهو في نقاط:

اولا: (فوالله ما احب الاعتراض ولا الرد عليه) فان هذه مسائل شخصية، وينبغي للمسلم ترك ما لا يعنيه.

ثانيا: (الا ان يأبى حقاً لله لا يسعني ان اقول فيه إلّا بالحق) فان قول الحق فرض على كل مسلم.

ثالثا: (ووالله لأكفّنّ عنه ما وسعني الكف) مما لا يرتبط بالثوابت الاسلامية.

وبكلمة جامعة: ان حرية الفكر وحرية الرأي من الثوابت الاسلامية، لكل مسلم أو غير مسلم، والتعدي على هذه الحرية انتهاك لكرامة الانسان الذي اكرمة الله بالعقل والتقوى.

وهذه النقاط تبين مدى تفاني الامام في مصلحة الاسلام والمسلمين.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٨ : ٣٠٢ ـ ٣٠٤.

[١٣٦]

ومن كلام له عليه السلام:

(١ / ط - ١٣٦) في امر البيعة:

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُم إيَّايَ فَلْتَةً[١] وليْسَ أمْري وأمْرُكُمْ واحِداً، إني[٢] أُريدُكُمُ للهِ وأنْتُمْ تُرِيدُونِي[٣] لِأنْفُسِكُم[٤].

أَيُّها النَّاسُ أعِينُوني على أَنْفُسِكُمْ، وايْمُ اللهِ لأنْصفَنَّ المَظْلُومَ[٥]، ولأَقُودَنَ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ[٦]، حتى أُوْرِدَهُ مَنْهَلَ الحَقِّ وإنْ كانَ كارِهاً.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ):«الفلتة: الامر يقع عن غير تدبّر ولا روية، وفي الكلام تعريض ببيعة ابي بكر»[٧].

ويعني الشارح البيعة في يوم السقيفة (راجع: المادة في المعجم) والتي قال عنها الخليفة الثاني صلى الله عليه وآله: (ايها الناس ان بيعة ابي بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه).

والامام في هذا المقطع يستعرض شروطا اساسية في انعقاد اية بيعة، بان تكون عن رؤية واضحة وقصد واختيار ومعرفة واخبار، فان بيعة الفلتة تفقد هذه الشروط كلها، اعاذنا الله منها.

ثم اشار عليه السلام الى موقفه من البيعة والذي قد يختلف عن موقف المبايعين له، بقوله: (وليس امري وامركم واحداً) وفسر ذلك بوضوح في امرين:

---

(١) في هـ. ب: فلته: أي فجأة، وفي هـ. ص: أي بغتة، وهو الأمر يقع على غير تدبّر ولا روية، وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر، انتهى من الشرح.

(٢) في هـ. د: أنا ـ ك.

(٣) في ط د: تريدونني، هـ. ب: ص «تريدونني» فحذف النون.

(٤) في هـ. ص: وذلك لأنّه لا يريد من طاعتهم له إلّا نصر دين الله، والقيام بحدوده وحقوقه، ولا يريدهم لحظّ نفسه، وأمّا هم فهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب والأسباب الموصلة إلى منافع الدنيا.
وهذا الخطاب منه عليه السلام لجمهور أصحابه، فأمّا الخواص منهم فإنّهم كانوا يريدونه للأمر الذي يريدهم له، وهو إقامة شعار الدين وإحياء معالمه، انتهى من الشرح.

(٥) في ط زيادة: من ظالمه، وفي هـ. د: لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ـ ض ب.

(٦) في هـ. ب: الخزامة: حلقة شعر يجعل في أنف البعير، وفي هـ. ص: هي حلقة من سيور تجعل في أنف البعير ويجعل الزمام إليها.

(٧) شرح نهج البلاغة ٩: ٣١، ط ١٩٦٠.

الاول: (اني اريدكم لله) فاني استعين ببيعتكم في سبيل تطبيق حكم الله في الارض، الذي طبقه الرسول القائد في حياته، ونتيجة هذا الامر انه لا يهمه كثرة المبايعين أو قلتهم، وطبقاتهم وانسابهم واحسابهم، بل من يعتقد بالشرطين: (كتاب الله وسنة رسوله) فقط، من اي جنس أو لون أو طبقة.

الثاني: (وانتم تريدونني لانفسكم) حيث ان الطبقة المبايعة له، لم تجد بديلا سواه، فان شخصيته العلمية والتاريخية فرضت نفسها عليهم، فهم يبايعون الامام للحاجة الماسة الى خليفة كرمز لهم، حيث لا يمكن ان يعيشوا بدون رمز الخلافة، وهذا لايطابق ما يريده الامام من القبول للبيعة.

اهداف الخلافة:

ومن أجل ذلك أعلن عن اهدافه في قبول البيعة في نقاط واضحة وصريحة، قائلا:

اولا: (ايها النّاس) من دون تخصيص لطبقة خاصة من الصحابة أو المهاجرين أو الانصار أو الرجال.

ثانيا: (اعينوني على انفسكم) اي على النفس الامارة بالسوء؛ وذلك بالتقوى وتحكيم الشريعة المطهرة.

ثالثا: (وايم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه) حيث ان العدل من الثوابت الاسلامية الاصيلة.

رابعاً: (ولاقودنّ الظالم بخزامته حتّى اورده منهل الحقّ وان كان كارهاً) والخزامة: حلقة تجعل في انف البعير ويجعل الزمام فيها، فان الظالم من أية طبقة كان يعرف من انسانيته واسلامه، ومن يتعد حدود الله لابد وان تنزل عليه الحدود الشرعية والعقوبات الاسلامية طبقا للحق العادل.

وبهذه النقاط الاربع حدد الامام سياسته الواضحة والصريحة في تطبيق الحكم الاسلامي.

[١٣٧]

ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير:

(١ / ط - ١٣٧) نقض البيعة:

ان نقض البيعة ـ أية بيعة كانت ـ لابد وان تستند الى حجة مقبولة، من إحداث امر منكر مخالف لشروط البيعة وهي العمل بكتاب الله وسنة رسوله. والمفروض ان كلا من طلحة والزبير نقضوا البيعة بحجج هم ملزمون بها قبل غيرهما؛ حيث انهما قادا المعارضة من دون بيان لمواقفهما قبل المعارضة، وقد اشار اليها الامام في نقاط:

واللهِ ما أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، ولا جَعَلُوا بَيْني وبينَهُمْ نَصَفاً[١]، وإنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً[٢] تَرَكُوهُ[٣]، وَدَماً هُمْ[٤] سَفَكُوهُ، فإنْ كُنْت شَرِيكهُمْ فيهِ فإنَّ لهم نَصيبَهُمْ[٥] مِنْهُ، وإنْ كانُوا وَلُّوْهُ دوني فَما الطِّلْبَةُ إلَّا قبلهُمْ[٦]، وإنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ على أَنْفُسِهِمْ.

١ ـ (والله ما انكروا علي منكراً) فاكد الامام بالحلف بان النقض اعلن من دون بيان للاسباب، وهذا يوجب انحرافات في القيادة بعد تحقق البيعة، وانما استندا الى حجة قبل البيعة.

٢ ـ (ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً) والنصف - بالكسر -: الانصاف، فان الانصاف ممن يريد نقض البيعة شبهة تفرض له ان تفتح باب المناقشة للاسباب التي قد توجب نقض البيعة، فاذا لم يحصل على جواب مقنع كان له النقض واعلان المعارضة، والمفروض انهما اعلنا النقض قبل هذا النصف المطلوب.

٣ ـ (وانّهم ليطلبون حقا هم تركوه) فان حجة المعارضة لكل من طلحة والزبير: انهما احق بالخلافة من علي عليه السلام فان هذه المطالبة كانت يجب ان تكون قبل ان يبايعوا، لا بعد البيعة؛ فانهم بالبيعة لعلي تركوا هذا الحق، فلا يجوز لهم نقض البيعة من دون سبب.

٤ ـ (ودماً هم سفكوه) فانهم كانوا يطلبون بدم عثمان (رض) فقد اقتضت الحكمة بان

---

(١) في هـ. ص: النصف بالإسكان: الإنصاف، وهو على حذف مضاف أي: ذا نصف، انتهى من الشرح.
(٢) في هـ. ص: أي ما يزعمونه حقّاً، وهو الولاية.
(٣) في ط: هم تركوه، وفي هـ. د: هم تركوه ـ ح ص ب ل.
(٤) لم ترد «هم» في ص.
(٥) في هـ. د: لنصيبهم ـ ف.
(٦) في ص: عندهم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: قبلهم. وفي هـ. د: إلّا قبلهم ولا التبعة إلّا لهم ـ م.

علياً لم يشارك قط في ذلك وكان لكل من طلحة والزبير دور فعال في ذلك ،كما سياتي.

(ثم اشار الى ان المطالبة بدم الخليفة عثمان (رض) من الخليفة بعده، لا يخلوا من حالين مشتبهين، اشار الى الاول بقوله:

٥ ـ (فان كنت شريكهم فيه ؛ فان لهم نصيبهم منه) فان كان الانتقاد لسياسة عثمان المالية تعتبر شركة في دمه فان جميع المنتقدين من الصحابة – بما فيهم طلحة والزبير – يجب ان يكونوا شركاء، ومن اشترك في دم الشخص بنفسه لا يحق له المطالبة بذلك؛ لانه هو احدهم.

واشار الى الثانية بقوله:

٦ ـ (وان كانوا ولوه دوني فما الطّلبة إلّا قبلهم) والطلبة – بالكسر –: ما يطلبه من شيء، فاذا كانوا هم الذين قاموا بالدم بدون الامام، فما مطالبتهم إلّا مطالبة المجرم من البريئ.

٧ ـ (وانّ اول عدلهم للحكم على انفسهم) فان الخروج بحجة العدل لابد وان يكون متصفا بحكم العدل على انفسهم، حيث قاموا بالشيئ ثم تبرؤا منه، وبايعوا ثم نقضوا البيعة من دون بيان لسبب النقض قبل ان ينقضوا.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «يقول عليه السلام : والله ما أنكروا عليّ أمرا هو منكر في الحقيقة ، وإنما أنكروا ما الحجة عليهم فيه لا لهم ، وحملهم على ذلك الحسد وحب الاستئثار بالدنيا والتفضيل في العطاء ، وغير ذلك مما لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يراه ولا يستجيزه في الدين . قال: ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا ، يعنى وسيطا يحكم وينصف ، بل خرجوا عن الطاعة بغتة ، وإنهم ليطلبون حقا هم تركوه ، أي يظهرون أنهم يطلبون حقا بخروجهم إلى البصرة وقد تركوا الحق بالمدينة . قال: ودما هم سفكوه ، يعنى دم عثمان ، وكان طلحة من أشد الناس تحريضا عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك . روى أن عثمان قال: ويلي على ابن الحضرمية – يعنى طلحة – أعطيته كذا وكذا بهارا[1] ذهبا ، وهو يروم دمى يحرض على نفسي ، اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه.[2] وروى الناس الذين صنفوا في واقعة الدار أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس ، يرمى الدار بالسهام . ورووا أيضا أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول

---

(١) البهار : الحمل ، قيل : هو ثلاثمائة رطل بالقبطية .

(٢) انظر النهاية ١ : ١ .

من باب الدار ، حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار ، فأصعدهم إلى سطحها ، وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه . ورووا أيضا أن الزبير كان يقول : اقتلوه فقد بدل دينكم . فقالوا : إن ابنك يحامي عنه بالباب ، فقال: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني ، أن عثمان لجيفة على الصراط غدا . وقال مروان بن الحكم يوم الجمل : والله لا أترك ثأري وأنا أراه ، ولأقتلن طلحة بعثمان ، فإنه قتله . ثم رماه بسهم فأصاب مأبضه [١] ، فنزف الدم حتى مات . ثم قال عليه السلام : إن كنت شريكهم في دم عثمان ، فإن لهم نصيبهم منه ، فلا يجوز لهم أن يطلبوا بدمه وهم شركاء فيه ، وإن كانوا ولوه ، دوني فهم المطلوبون إذن به لا غيرهم . وإنما لم يذكر القسم الثالث ، وهو أن يكون هو عليه السلام وليه دونهم ، لأنه لم يقل به قائل ، فإن الناس كانوا على قولين في ذلك :

أحدهما: أن عليا وطلحة والزبير مسهم لطخ من عثمان ، لا بمعنى أنهم باشروا قتله ، بل بمعنى الاغراء والتحريض .

وثانيهما: أن عليا عليه السلام برئ من ذلك ، وأن طلحة والزبير غير بريئين منه». [٢]

(٢/ط - ١٣٧) الموقف الواضح:

واكد الامام على وضوح الموقفين بقوله:

وإنَّ مَعي لَبَصيرَتي ما لَبَّسْتُ ولا لُبِّسَ عليَّ، وإنَّها لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فيها[٣] الحَمَا والْحُمَةُ[٤]، وٱلشُّبْهةُ ٱلْمُغْدِفَةُ[٥] وَإِنَّ الأمْرَ لَوَاضِحٌ[٦]، وقدْ زَاحَ الْباطِلُ عنْ نِصَابِهِ[٧] وٱنْقَطَعَ لِسانُهُ عنْ شَغْبِهِ[٨]، وايْمُ ٱللهِ لأُفْرِطَنَّ[٩] لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ[١٠]، لَا يُصْدِرُونَ عنْهُ بِرِيٍّ، ولَا

---

(١) المأبض : ما يثبت عليه الفخذ .

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٣٥ ـ ٣٧.

(٣) في هـ. ب: أي في هذه الكتيبة الباغية.

(٤) المراد بالحما مطلق القريب والنسيب، وهو كناية عن الزبير فهو ابن عمة النبيّ صلى الله عليه وآله. والحمة، أصلها الحمية أو إبرة اللّسع، وكنى بها عن عائشة. وفي هـ. أ: السم. وفي هـ. ب: يشير بهذا الى صاحبة الجمل، وكلّ شيءٍ من قبل الزوجة فهو حمىً، مثل: قفا وحموء مهموزاً، والحمة: العقرب، وسمّها، وأصلها حموءاً وحمو.

(٥) في ص زيادة: المظلمة، وفي هـ. أ: المستورة، وفي هـ. ب: المظلمة.

(٦) لم ترد «و» في ب.

(٧) في هـ. ب: أصله.

(٨) الشغب: تهييج الشرّ.

(٩) في هـ. أ: أي لأملأنّ.

(١٠) أي تارع مائه لأسقيهم.

يَعُبُّونَ[١] بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ[٢].

١ ـ (ان معي لبصيرتي) فان قبول البيعة كان بشرط العمل بالكتاب والسنة برؤية واضحة للاهداف.

٢ ـ (ما لبست ولا لبس عليّ) من دون اي تلبيس من جانب الامام كقائد، ولا من جانب ضغط آخرين، بل بحرية كاملة ووضوح الاهداف العلنيّة.

٣ ـ (وانّها للفئة الباغية) اي المعارضة الخارجة بعد البيعة انما هي الفئة الباغية التي جعل الله لها حكماً بالقتال، وقد وصفها باوصاف ثلاث، هي:

اولا: (فيها الحما) أي الطين الاسود الذي لا خير فيه.

ثانيا: (والحمّة) أي سم العقرب.

ثالثا: (والشّبهة المغدفة) اي الخفية ؛ لان اسبابها الحقيقة مستورة، والدعاوى العلنيّة ليست إلّا واجهة غطاء.

وانها فتنة بغي تستخدم طوائف من الناس فيهم الصفات الثلاث لتغطية اهدافها الحقيقية وان كانت لا تخفى على اصحاب البصيرة، وبعد ان أعلنها الامام انكشفت الحقائق.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «ثم قال: وإنها للفئة الباغية : لام التعريف في " الفئة " تشعر بأن نصا قد كان عنده أنه ستخرج عليه فئة باغية ، ولم يعين له وقتها ولا كل صفاتها ، بل بعض علاماتها ، فلما خرج أصحاب الجمل ورأي تلك العلامات موجودة فيهم ، قال: وإنها للفئة الباغية ، أي وإن هذه الفئة ، أي الفئة التي وعدت بخروجها على ، ولولا هذا لقال: " وإنها لفئة باغية " على التنكير».[٣]

٤ ـ (وانّ الامر لواضح) بعد بيان الحقيقة من القيادة.

٥ ـ (وقد زاح الباطل عن نصابه) الزيح: البعد، والنصاب: المركز، اي اندحر الباطل.

٦ ـ (وانقطع لسانه عن شغبه) والشغب – بالتسكين –: تهييج الشر.

واكد الامام على موقفة القيادي في مواجهة البغي حالفا بموقف حازم في الحرب المنتصر على البغي، ووصفها بأوصاف ثلاثة، هي:

أولا : (وايم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه) اي لأملأن الحوض، وهو مجتمع الماء،

---

(١) العب: الشرب بلا تنفّس. وفي ه. ب: لا يشربون، ويقال: العب من الشرب، ضدّ المصّ.
(٢) في ه. أ هو ما يسقى منه باليد، وفي ه. ب: ما يشرب من غير مصّ.
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٣٧.

والماتح: المستقي من فوق.

ثانيا: (لا يصدرون عنه بريّ) والرّيّ: هو الارتواء.

ثالثا: (ولا يعبّون بعده في حسي) والعب: الشرب بلا مص، والحسي: الماء المترشح من الرمل، فمثل الحرب بكونه مجمعاً للشجعان يقودهم الامام، كالحوض الذي هو مجتمع الماء، فان البغاة سوف يدخلون الحوض لشرب الماء ولكن يخرجون منه من دون ظفر، حيث يخرجون بدون ري أو عب أو حس، بل مخذولين في خروجهم.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «ثم أقسم ليملأن لهم حوضا هو ماتحه ، وهذه كناية عن الحرب والهيجاء وما يتعقبهما من القتل والهلاك ، لا يصدرون عنه بري ، أي ليس كهذه الحياض الحقيقية التي إذا وردها الظمآن صدر عن ري ونقع غليله ، بل لا يصدرون عنه إلّا وهم جزر السيوف ، ولا يعبون بعده في حسي لأنهم هلكوا ، فلا يشربون بعده البارد العذب».[1]

(٣ / ط - ١٣٧) وصف البيعة:

وصف الامام الجماهير التي شاركت في البيعة، بما فيهم كل من طلحة والزبير في نقاط:

منها: فأَقْبَلْتُمْ إليَّ إقْبَالَ الْعُوذِ[2] ٱلَمطافِيلَ[3] على أوْلادِها، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ، قَبَضْتُ يَدِي[4] فَبَسَطْتُمُوها، ونَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُمُوها[5].

١ ـ (فاقبلتم الي اقبال العوذ المطافيل على أولادها) العوذ: النوق الحديثات الولادة، والمطافيل: وهي التي زال عنها اسم العياذ ومعها طفلها.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «يقول عليه السلام : انكم اقبلتم مزدحمين كما تقبل النوق الى اولادها تسألونني البيعة، فامتنعت عليكم حتى علمت اجماعكم فبايعتكم».

٢ ـ (تقولون: البيعة البيعة) فان الجماهير كان شعارها ذلك حين المطالبة بالبيعة للامام،

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٣٧.

(٢) جمع عائذة، وهي الحديثة النتاج من الإبل، أو كل أُنثىٰ. وفي هـ . ب: العوذ: جمع عائذة، وهي الناقة.

(٣) في هـ . ب: المطافيل، أي ذات الطفل، أي أقبلتم عليَّ كإقبالها على أولادها.

(٤) في ص: كفي.

(٥) في ا و ص: فجاذبتموها، وفي هـ . ب: «جاذبه البيعة» في الحال، و «جاذب البيعة» للاستقبال.

ولم يكن رد فعل الامام ايجابيا لما يعلمه من شرارة الفتن ممن لايرتضي سياسة الامام الادارية والمالية، وعبر عن ذلك بقوله:

٣ ـ (قبضت كفّي فبسطتموها) فمن جانب الامام، كان يرى المضاعفات المستقبلية، فقام بذلك لئلا يتهم بالرغبة الى الخلافة.

٤ ـ (ونازعتكم يدي فجاذبتموها) لما لم يجدوا اولى منه بها.

(٤ / ط ـ ١٣٧) الدعاء على الناقض:

وختم المقطع بالدعاء على كل من طلحة والزبير، باعتبارهما طليعة الناقضين للبيعة والخارجين على الامام بعد بيعتهما. فتوجه الى الله سبحانه الذي هو أحكم الحاكمين، داعيا عليهما بنقاط حسب استحقاقهما، فقال:

اللَّهُمَّ إنَّهُما[1] قَطعانِي وظَلَمَانِي، ونَكثَا بَيْعَتي، وألّـبا[2] النَّاسَ عَليَّ، فاحْلُلْ مَا عَقَدَا ، ولاَ تُحْكِمْ لَهُما ما أبْرَمَا[3]، وأرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيما أمَّلَا وعَمِلَا. ولقدْ ٱسْتَثبْتُهُما[4] قَبْلَ الْقِتالِ، وَٱستَأْنَيْتُ[5] بِهما أمَامَ الوقاع[6]، فغمطا[7] النّعمة وردّا العافية.

١ ـ (اللّهمّ انّهما قطعاني) حيث قطعا صلة القرابة، فان الزبير كان ابن عمة النبي ﷺ، وصلة الصحابة بالنسبة الى طلحة، فانه كان من صحابة النبي.

٢ ـ (وظلماني) حيث انهما كانا على علم ببراءة الامام من التهم الموجهة اليه.

٣ ـ (ونكثا بيعتي) بعد ان بايعا من دون اكراه أو اجبار.

٤ ـ (وألّبا النّاس عليّ) والتأليب: التحريض على الانسان.

وهذه ذنوب عظام، يستحق كل من يرتكبها العقاب من الله سبحانه، فسيتحقان من الله ما يأتي:

اولا: (فاحلل ما عقدا) من خطط في محاربة الامام.

ثانيا: (ولا تحكم لهما ما أبرما) من التعاقد على الحرب.

---

(١) في هـ. ب: أي طلحة والزبير.
(٢) في هـ أ و ب و ص: جمعا.
(٣) في هـ. ب: ما أحكما.
(٤) أي استرجعتهما، من ثاب: إذا رجع، أي طلبت منهما التثبّت على ما أظهرا. وفي هـ. ب : في نسخة: استتبتهما، أي طلبت منهما التوبة .
(٥) هـ. ب: أي طلبت تأنّياً.
(٦) في هـ. ب: قبل المحاربة.
(٧) في هـ. د: وغمط ـ ع، وفي هـ. ب: كفرا.

ثالثا: (وارهما المساءة فيما امّلا) من الاماني، وما (عملا) من المباشرة في الحرب .

وقد ذكر السبب في استحقاقهما العقاب المذكور بعد فشل دور الاصلاح الذي اقترحه الامام من جانبه:

اولا: بالدعوة الى الرجوع الى البيعة بقوله: (ولقد استثبتهما قبل القتال) والاستثبات: طلب الرجوع الى الحق بالالتزام بالبيعة التي عقدوها قبل ان يبدءا بالقتال.

وثانيا: باعطاء الفرصة لهما للرجوع بقوله: (واستأنيت بهما امام الوقاع) من الاناة والانتظار لان يرجعوا من دون استعجال الى الوقاع، وهو الحرب.

ولكن موقف كل من طلحة والزبير كان على العكس من ذلك فقد:

اولا: (فغمطا النّعمة) والغمط: التحقير.

وثانيا: (وردّا العافية) وهي السلامة من القتال.

ولعلها وجدا كلا في طلب الامام للرجوع الى البيعة اولا، واعطاء الفرصة ثانيا نوعاً من الضعف من جانب الامام. ولم يبق بعد اتمام الحجة امام الامام إلّا القتال.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «فاما الوصف لهما بما وصفهما به، فقد صدق عليه السلام فيه، وامّا دعاؤه فاستجيب له، والمساءة التي دعا بها، هي مساءة الدنيا لا مساءة الاخرة، فانّ الله تعالى قد وعدهما على لسان رسوله بالجنّة، وانما استوجباها بالتّوبة التي ينقلها أصحابنا رحمهم الله في كتبهم عنهما، ولولاها لكانا من الهالكين».[١]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٣٩.

[١٣٨]

ومن خطبة له عليه السلام يومىء فيها إلى ذكر الملاحم[1]:

يومئ فيها الى ذكر الملاحم، وهي عن امام الهدى، وحرب التحرير، وحاكم الشام.

(١ / ط - ١٣٨) **الملحمة الاولى - امام الهدى:**

يَعْطِفُ الْهَوَى على الْهُدَى إذا عَطَفُوا الْهُدَى على الْهَوَى، ويَعْطِفُ الرَّأيَ على الْقُرْآن، إذا عَطَفُوا الْقُرْآنَ على الرَّأي.

أشار الامام الى صفة القائد الاسلامي الذي يرفع راية الهدي في السلم فـ(يعطف الهوى على الهدى) والعطف: التني، اشارة الى طي حكم الهوى اعتمادا على الهدى القراني في وقت (اذ عطفوا الهدى على الهوى) فان كان الهدى متروكا اعتمادا على الهوى، وذلك بتغيير النظام المادي القائم على الهوى الى نظام اسلامي قائم على الهدى، للتناقض بينهما.

وكذلك يطوي حكم الراي (ويعطف الرّأي) اعتمادا (على القرآن) في الوقت الذي (اذ عطفوا القرآن على الرّأي) للتناقض بين حكم القرآن المستند الى الوحي وبين حكم الراي المستند الى الاراء الشخصية التي لاترى إلّا مصالحها الشخصية.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «هذا إشارة إلى إمام يخلقه الله تعالى في آخر الزمان ، وهو الموعود به في الاخبار والآثار ، ومعنى " يعطف الهوى " يقهره ويثنيه عن جانب الايثار والإرادة ، عاملا عمل الهدى ، فيجعل الهدى قاهرا له ، وظاهرا عليه . وكذلك قوله : " ويعطف الرأي على القرآن " أي يقهر حكم الرأي والقياس والعمل بغلبة الظن عاملا عمل القرآن . وقوله : " إذا عطفوا الهدى " و " إذا عطفوا القرآن " إشارة إلى الفرق المخالفين لهذا الامام ، المشاقين له ، الذين لا يعملون بالهدى بل بالهوى ، ولا يحكمون بالقرآن بل بالرأي».[2]

(٢ / ط - ١٣٨) **الملحمة الثانية - حرب التحرير:**

منها: حتّى تَقُومَ الحَرْبُ بكُمْ على سَاقٍ بادِياً نَوَاجِذُها[3]، مَمْلُوءَةً أخلاَفُها[4]، حُلْواً

---

(١) العنوان في أ و ط: ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٤٠.
(٣) النواجذ: أقصى الأضراس.
(٤) الاخلاف للناقة: حلمات الضرع، واحدها: خلف، وفي هـ. ب: جمع خلف.

رَضَاعُها، عَلْقَماً عَاقِبَتُها، ألَا وَفي غَدٍ ـ وسَيأتي غدٌ بما لا تَعْرِفُونَ ـ يأخُذُ الوَالي[١] منْ غيرها عُمَّالَها[٢] على مَسَاوِي أعمالِها، وتُخْرِجُ لهُ الأرْضُ أفاليذَ[٣] كَبدِها، وتُلْقِي إليْهِ سِلْماً[٤] مَقالِيدَها[٥]، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ[٦] عَدْلُ السِّيرَةِ، ويُحْيي مَيِّتَ الْكِتابِ والسُّنَّةِ.

وحيثما يتراكم انواع الظلم على الشعب من قبل السلطان الحاكم، فان ارادة الشعب سوف ينفجر بتغيير النظام القائم بالثورة، ويتحقق ذلك لفترة من الزمن، وتاريخ الثورات في العالم خير شاهد على تحمل الشعوب الضيم الى حد ما، وحينما يتجاوز الحد تكون ارادة الشعب في الثورة المسلحة، ولكن ذلك لا يتحقق إلّا بارادة الشعب كما قال تعالى: ﴿لاَ يُغَيِّرُ الله مَا بِقَوْمٍ حَتَّي يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٧].

واشار الامام الى كل من الحرب الاهلية واثارها من الحكم العادل المتعقب عليها: وقد وصف الحرب باوصافها الحقيقية، وهي:

١ ـ (حتّى تقوم الحرب بكم على ساق) فعند تفاقم الاحوال والمظالم لا تنفع المواعظ والنصائح، بل تحصل ثورة عارمة بين الشعب، والساق: الشدة؛ لمشاركة اغلب افراد الشعب في ذلك.

٢ ـ (بادياً نواجذها) وهي اقصى الاضراس، كناية عن بلوغ الحرب غايتها، كما ان غاية الضحك ان تبدوا النواجذ؛ وذلك بسبب كثرة الظلم وعمومه.

٣ ـ (مملوءة اخلافها) والاخلاف للناقة :حلمات الضرع؛ لامتلاء الارض ظلما وجورا.

٤ ـ (حلواً رضاعها) والرضاع – بالفتح –: مص الحليب من حلمة الثدي.

٥ ـ (علقماً عاقبتها) والعلقم: الحنظل وكل ما طعمه مر.

فان هذه الصفات الخمس متلازمة؛ لاية حرب عادلة ام ظالمة، ﴿فانهم يألمون كما

---

(١) في هـ. ب: الوالي هو المهدي عليه السلام.
(٢) في هـ. ب: يعني جميع العمّال الذين كانوا قبل... على مساوئ من المعاصي ويحاربهم.
(٣) في هـ. د: من أفاليذ ـ ب، وفي هـ. ب: أفاليذ جمع الأفلاذ، والأفلاذ جمع فلذة، وهو: القطعة من الكبد، وهذه إشارة الي الكنوز.
(٤) في هـ. أ: سِلماً وسَلماً معاً. وفي هـ. ب: أي صلحاً.
(٥) في هـ. ب: أي مفاتيحها.
(٦) في هـ. ب زيادة: يكون.
(٧) الرعد: ١١.

تألمون﴾[١].

وهذه الصفات تكون في الحرب العادلة التي من اجلها تقام الثورات في التاريخ، ونتيجة الحرب العادلة، هي النتيجة العادلة.

واشار الى ان الحرب العادلة تقع لا محالة بقوله: (الا وفي غد) بعد الحرب العادلة (سيأتي غدٌ بما لاتعرفون) من الظلم قبل الحرب العادلة، وسرد من مواصفاتها قائلا:

١ ـ (يأخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساوىء أعمالها) أي يحاكم الحاكم المسلم من غير الحرب بعد ان تضع الحرب اوزارها، جماعة العمال للدولة الجديدة، فلا يكون العمال مصونين عن المحاكمة كما كانت الحال قبل الحرب العادلة، بل نتيجة الحرب العادلة هي محاكمة المجرم ايا كان، وفي اي منصب كان.

فيعاقبون على مساوئ اعمالهم، وقد انث الضمير باعتبار ان العمال جماعة في الحكم القائم، وليس أفرادا معدودين.

٢ ـ (وتخرج له الارض أفاليذ كبدها) فان الحاكم باعتبار كونه عادلا يحيي الارض الموات ويستخرج المنابع الطبيعية من الارض كالنفط والغاز وسائر المعادن، كما تخرج الحيوانات (افاليذ كبدها) والفلذة: القطعة من الكبد، وقد أثبت العلم ان النفط يتكون من كبد الحيوانات البائدة منذ ملايين السنين، ولو لا عدالة الحاكم لما تمكن احد من التركيز على هذه المنابع والثروات الطبيعية في العمران.

٣ ـ (وتلقي اليه سلماً مقاليدها) من دون حاجة الى الحرب؛ لان الحكم قائم على العدل، فيكون تعاون الشعب معه تعاونا تاماً.

٤ ـ (فيريكم كيف عدل السّيرة) فان الحاكم العادل يتبع سيرة النبي الاعظمﷺ في العدل بين الناس.

٥ ـ (ويحيي ميّت الكتاب والسّنّة) بتطبيق الشريعة استناداً الى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في كافة مجالات الحياة .

وهذه النقاط الخمس ثوابت الحكم العادل في الاسلام، وقد ظهر مما ذكرنا ما في كلام الشارح (ت/ ٦٥٦ هـ) حيث وصف قول الامام: (يأخذ الوالي) الى آخره.. بما نصه:«كلام منقطع عما قبله، وقد تقدم ذكر طائفة من الناس ذات ملك وامرة، فذكر عليه السلام ان

(١) النساء: ١٠٤.

الوالي...».[١]

فان كلامه عليه السلام كلام متصل منظم في الحرب العادلة ضد الحكم الظالم، واثارها الخيرة، كما يشهد على ذلك تاريخ الثورات، والله العالم.

(٣ / ط - ١٣٨) **الملحمة الثالثة - حاكم الشام:**

والملحمة الثالثة عن حاكم الشام، وقد افرد عليه السلام الضمير، فقصد شخصا خاصاً وبحكم المعاصرة لا بد وان تكون الاشارة الى معاوية بن ابي سفيان، وخاصة اذا كان خطاب الامام عليه السلام الى جماعة من خلص اصحابه كحجر بن عدي وامثاله. وقد تنبأ بهذا الحاكم كأنها رؤية واضحة لأوصاف خاصة به، سردها قائلا:

منها: كأنِّي به[٢] قدْ نَعَقَ[٣] بالشَّام، وفَحَصَ[٤] بِرَايَاتِهِ في ضَوَاحِي[٥] كُوفَانَ، فَعَطَفَ عليْها[٦] عَطْفَ الضّرُوسِ[٧]، وفَرَشَ الأرْضَ بالرُّؤوُسِ[٨]، قدْ فَغَرَتْ فاغِرَتهُ[٩]، وثَقُلَتْ في الأرْضِ وطْأتُهُ[١٠]، بَعِيدُ الجَوْلَةِ[١١]، عَظِيمُ الصَّوْلَةِ.

واللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ في أطْرَافِ الأرْضِ، حتّى لا يَبْقَى مِنْكُمْ إلَّا قَلِيلٌ كالْكُحْلِ في الْعَيْنِ، فلَا تَزَالُونَ كذَلِكَ حتَّى تَؤُوبَ[١٢] إلى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أحْلامها[١٣].

فالْزَمُوا السُّنَنَ القائِمَةَ، والآثارَ الْبيِّنَةَ، والْعَهْدَ القرِيبَ الَّذِي عليْهِ باقي النُّبُوَّةِ، واعلَمُوا

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ٤٧٦، ط ١٩٦٠.

(٢) في هـ. ب: أشار عليه السلام إلى بعض من يخرج كالسفياني وغيره، وفي هـ. ص: قال في الشرح: هذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب في أيام عبد الرحمن بن الأشعث، وقتله أيام مصعب بن الزبير.

(٣) في هـ. ب: نعر بها.

(٤) في هـ. ب: فحَص أي أقلبها، فحص المطر النبات، أي أقلبه.

(٥) في هـ. أ: ما يبرز للشمس من الأرض، وفي هـ. ب: نواحيها.

(٦) في ط: إليها.

(٧) في هـ. أ و ب: ناقة ضروس: سيّئة الخلق تعضّ حالبها، وفي هـ. ص: هي الناقة سيّئة الخلق تعذلم وتخبط وتزبن.

(٨) في هـ. ب: من القتل.

(٩) في هـ ب: فتحت فمها، وفي هـ. ص: كأنّه شبّهه بأسد فتح فاه للضغم.

(١٠) في هـ. ب: خطوته.

(١١) في هـ. ص: منصوب على الحال، أي لاتنهزم.

(١٢) في هـ. ب: ترجع.

(١٣) في هـ. ب: بواعد عقلها، وفي هـ. ص: جمع عازبة، أي مابعد عنها من عقولها، عزب عنه الرأي: أي بعد.

أَنَّ الشَّيْطانَ إِنَّما يُسَنِّي[١] لَكمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ[٢].

١ ـ (كانّي به قد نعق بالشّام) فهو ليس من اهلها، وانما اظهر دعوته فيها، وقد عبر عنها بالنعيق الذي هو صوت الغراب المتشاءم به عند العرب.

٢ ـ (وفحص براياته في ضواحي كوفان) والفحص: التقلب يمينا وشمالاً، اعلانا بالنصر في الحرب والسيطرة على الحكم في الكوفة التي هي مركز حكم الامام.

٣ ـ (فعطف عليها عطف الضّروس) العطف: الثني، اي غلبة الحكم. والضروس: الناقة الثائرة التي تعض حالبها، فان غلبة الحكم ليست غلبة سلمية، بل حربية طاغية.

٤ ـ (وفرش الارض بالرّؤوس) من كثرة القتل لمن قاوم حكمه كما يغطي الفرش الارض.

٥ ـ (قد فغرت فاغرته) الفغر: الفتح، والفاغرة: الطير الذي يفتح فاه للصيد، وهذا الحاكم يشبهه في الاستيلاء على موارد الحياة للشعب المسلم في الكوفة التي كانت تعد انذاك مركز العراق كله.

٦ ـ (وثقلت في الارض وطأته) حيث وطأ قدمه علم أرض صلبة للحكم بالظلم.

٧ ـ (بعيد الجولة) فلا يستقر حكمه في منطقة خاصة، بل يشتمل النواحي كلها.

٨ ـ (عظيم الصّولة) وهي الحملة في الحرب، والقوة بالقهر.

ونتيجة هذا العدوان الظالم من حاكم الشام:

١٠ ـ (والله ليشرّدنّكم في اطراف الارض) متبعا سياسة:« فرق تسد»، (حتّي لا يبقى منكم إلّا قليل، كالكحل في العين) في القلة والضرورة، فان العين اعظم اعضاء الانسان نفعا واثراً، وهي تفتقر الى عناية تقيها السوء، وتزيدها النور، وهي الكحل، والمؤمنون برسالة الاسلام على قلتهم لهم هذه الصفة السامية في عصور الظلام والاستبداد.

وهذه الحالة تشير الى حقيقة اخرى، وهي: ان الظلم لا يدوم، فانه ياخذ دورا طبيعيا، وأشار الى ذلك بقوله: (فلا تزالون كذلك حتّي تؤوب الى العرب عوازب احلامها) والعزب: البعد، والمراد بالاحلام: العقول، أي حتى ترجع العرب الى عقولها البعيدة عنها، وذلك بالرجوع الى مبادئ العدالة التي بشر بها الاسلام في الكتاب والسنة.

الواجب الاسلامي:

---

(١) في هـ. ب: يسني: يرفع، وفي هـ. ص: أي يحسّن.

(٢) في هـ. ص: مؤخّر القدم، مؤنثة، أي: لتتبعوه.

وختم المقطع بالواجب الذي يدفع الظلم وحكامه كما يرفع ذلك، ولخصه في نقاط ثلاث:

اولا: (فالزموا السّنن القائمة) التي سنها رسول الله في حياته.

ثانيا: (والاثار البيّنة) التي رواها قادة المسلمين من بعده في رواياتهم واعمالهم.

ثالثا: (والعهد القريب الّذي عليه باقي النبّوة) بدراسة التاريخ الاسلامي في العهد القريب من عصركم مما بقي من بعد النبوة التي حملها اهل بيته، وفيه الاشارة الى تلازم الكتاب والعترة حتى يردا على رسول الله الحوض، فالعهد القريب منكم اعرف بما يصلح للمجتمع الموالي وهو الباقي من اثار النبي.

رابعا: (واعلموا انّ الشيطان انّما يسنّي لكم طرقة لتتبعوا عقبه) ويسنّي، أي يسهل، والعقب: مؤخر القدم، فان الدعايات الشيطانية موجودة في كل عصر ومصر، ولا يمكن القضاء عليها مادام هناك عصر ومصر؛ فان هناك شيطان ولا يمكن التحصن ضد مغرياته الا بالوعي الكامل المبتني على الكتاب والسنة.

وهذه النقاط الاربع هي الثوابت الاصيلة في مقاومة الظلم دفعاً ورفعا، والله المستعان.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «هذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق ، وما قتل من العرب فيها أيام عبد الرحمن بن الأشعث ، وقتله أيام مصعب بن الزبير».(١)

الى ان قال:«إن ملك أولاده ملكه أيضا ، وما زال الملك عن بنى مروان حتى آبت إلى العرب عوازب أحلامها ، والعرب هاهنا : بنو العباس ومن اتبعهم من العرب أيام ظهور الدولة كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه حميد والحسن ، وكبني رزتني ـ بتقديم الراء المهملة ـ الذين منهم طاهر بن الحسين وإسحاق بن إبراهيم المصعبي وعدادهم في خزاعة وغيرهم من العرب من شيعة بنى العباس . وقد قيل : إن أبا مسلم أيضا عربي أصله ، وكل هؤلاء وآبائهم كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين في دولة بنى أُميّة لم ينهض منهم ناهض ، ولا وثب إلى الملك واثب ، إلى أن أفاء الله تعالى إلى هؤلاء ما كان عزب عنهم من إبائهم وحميتهم ، فغاروا للدين والمسلمين من جور بنى مروان وظلمهم ، وقاموا بالامر ، وأزالوا تلك الدولة التي كرهها الله تعالى ، وأذن في انتقالها».(٢)

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩: ٤٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٤٨.

ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورىٰ:

(١/ ط - ١٣٩) في وقت الشورى:

لن[١] يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلي إلى دَعْوَةِ حَقٍّ وَصِلَةِ رَحِمٍ وعائِدَةِ كَرَم. فاسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوا[٢] منْطقي. عَسَىٰ أن تَرَوا هذا الأمْرَ منْ بَعدِ هذا الْيوْمِ تُنْتضَى[٣] فيهِ السُّيوفُ، وتُخانُ فيهِ الْعُهُودُ، حتَّى يكونَ بَعضُكُمْ أئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَّالَةِ؛ وشيعَةً لِأهْلِ الجَهَالةِ.

حينما طعن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، جعل امر الخلافة شورى بين ستة نفر من الصحابة، كان منهم الامام، وقد استند الخليفة في الشورى بقوله: «ان رسول الله صلى الله عليه وآله قضي وهو عن هؤلاء راض، فهم احق بهذا الامر من غيرهم»، وقد فصل الشارح (ت/ ٦٥٦ هـ) المناقشة في الشورى في شرح النهج ٩ ـ (٤٩ ـ٥٨ ط ١٩٦٠) فليراجع.

وقد اكد الامام في هذا المقطع على آثار هذه الشورى على المستقبل، وسرد حقائق توجب السماع.

وهي صفات اتصف بها الامام في تاريخ حياته حتى اصبحت طبيعة ثانوية له، هي:

١ ـ (لن يسرع احد قبلي الى دعوة حقّ) فاي عمل يقوم به هو في صالح الاسلام والمسلمين.

٢ ـ (وصلة رحم) لانها فريضة اسلامية يحافظ عليها في الاقارب.

٣ ـ (وعائدة كرم) يعود فضلها على جميع الامة في حاضرها ومستقبلها، فان الاسراع في هذه الامور يكشف عن خلوص والتزام بالثوابت، وتستلزم النتيجة التالية:

(فاسمعوا قولي وعوا منطقي) من التنبؤ في مستقبل الخلافة الاسلامية المبتني على هذه الشورى.

مستقبل الشورى:

وحذّر المجتمعين بان الشورى اذا لم تقم على اساس من الكتاب والسنة، سوف يشيع الانحراف في مسيرة الامة، واشار الى ذلك بقوله: (عسى ان تروا هذا الامر من بعد هذا) وهو يوم الشورى يكون امر الخلافة فيه مواجها لامور اربعة، هي:

---

(١) في هـ. د: لم يسرع ـ ض ب.
(٢) في هـ. ب: احفظوا.
(٣) في هـ. ب: تسل.

اولا: (تنتضي فيه السّيوف) اي تسلّ فيها، فان الانحراف عن الكتاب والسنة في الشورى يؤدي الى الانحراف في المستقبل.

ثانيا: (وتخان فيه العهود) فان عهد الله سبحانه لو نقض في هذه الشورى، فانه سوف يصبح تشريعا لحق النقض في المستقبل.

ثالثا: (حتّي يكون بعضكم ائمّة لاهل الضّلالة) فان تشريع ما يخالف الكتاب والسنة يمهد لذلك.

رابعا: (وشيعة لاهل الجهالة) حيث ان الشورى اذا لم يقم على الكتاب والسنة فيكون البديل غيرهما، ولا يكون بعدهما إلّا الجهل بالاهداف الاسلامية التي بعث الله سبحانه رسوله لابلاغها على المجتمع وتطبيقها على كل مرافق الحياة.

[١٤٠]

ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس:

(١/ط - ١٤٠) **ما ينبغي لاهل العصمة:**

وإنَّما(١) يَنْبَغي لأَهْلِ الْعِصْمَةِ والمَصْنوعِ إليهِمْ في السَّلَامَةِ(٢) أَنْ يَرْحَمُوا(٣) أَهْلَ الذُّنُوب والمَعْصِيةِ، ويكُونَ الشكْرُ(٤) هُوَ الْغَالِبَ عليهِمْ، والحاجِزَ(٥) لهُمْ عنهُمْ.

استفتح الكلام باشارة اجمالا الى واجب اهل الطاعة تجاه اهل المعصية، وهو الترحم عليهم، وليس التشهير بهم، فان التشهير قد يؤدي الى الاصرار على المعصية، دون الترحم فانه ينتج العكس، وكثيراً ما يودي الى الرجوع والانابة، فقال:

١ ـ (وانما ينبغي لاهل العصمة) الذين لم يقعوا في المعصية، وعصمتهم في ذلك علمهم بأبعادها وأضرارها، ثم وصفهم بقوله:

٢ ـ (والمصنوع اليهم في السّلامة) الذين احسن الله صنعه اليهم، بان اصبحوا سالمين من الذنوب .

وعن الواجب الاول، وهو الرحمة، اشار الى (ان يرحموا اهل الذّنوب والمعصية) باعتبار ارتكابهم المحرمات التي هي آثام يعثرون بها، وباعتبار اعراضهم عن الانوار الالهية يعثرون بالمعاصي.

ولا يصدر شيئ من ذلك إلّا عن جهل بالحكم والاسباب والنتائج، والجاهل يجب ان يرحم حتى يعتدل الى الصراط المستقيم، فان الرحمة تستلزم النصيحة له بالامر بالمعروف حتى يهتدي.

الثاني: (ويكون الشّكر هو الغالب عليهم) فهم يشكرون الله سبحانه على انهم لم يقعوا في براثن الجهل كما وقع المذنبون، فلم يتلوثوا بآثام المعاصي، فان الشكر يكون (الحاجز لهم عنهم) حيث ان الشكر يحجز أهل الطاعة عن التلوث باهل المعصية واعمالهم.

(٢/ط - ١٤٠) **حرمة الغيبة:**

---

(١) في أ: فإنما، وفي هـ. د: فإنما ـ ن م ف .
(٢) في هـ. ص: أي المنعم عليهم بتسليمهم من ارتكاب المعاصي.
(٣) في هـ. د: وان يرحموا ـ ف ن.
(٤) في هـ. ص: أي على النعمة والعصمة.
(٥) في هـ. ب: المانع.

فكَيْفَ بالْغائِبِ الَّذِي غاب أخاً وعَيَّرَهُ بِبَلْواهُ، أمَا ذَكَر مَوْضِعَ سَتْرِ اللّهِ عليهِ منْ ذُنُوبِهِ ممَّا هُوَ أعْظَمُ منَ الذَّنْبِ الَّذِي عابَهُ بهِ[١]!، وكَيْفَ[٢] يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فانْ لمْ يكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِه فَقَدْ عَصَى اللهَ فيما سِوَاهُ ممَّا هُوَ أعْظَمُ مِنْهُ.

وَأيْمُ اللهِ لئِنْ لَمْ يكُنْ عَصَاهُ في الْكَبيرِ وَعَصَاهُ في الصَّغيرِ، لَجرأَتُهُ عَلى عَيْبِ الناسِ أكْبَرُ.

واشار الى اسباب ملازمة لحرمة غيبة الناس بالاستفهام الانكاري: (فكيف بالعائب الّذي عاب اخاه وغيره ببلواه!) حيث ان الغيبة هي ذكر الانسان بعيب في اعمال اخيه وتعييره بابتلائه به شرح الاسباب التي لا يخلو منها حياة الانسان، وهي:

اولاً: الذنب الاعظم (أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو اعظم من الذنب الذي عابه به؟) فإن الذي يغتاب الناس ليس معصوما من الذنوب في نفسه، وقد ستر الله سبحانه ذلك عليه، ولو علم الناس بذنوبه لهجروه، ولو يقيس ذنبه الذي ستره الله عليه بذنب هذا الذي يعيب عليه الاخر، لكان اعظم مما يعيبه على الآخر. فاذا كانت ذنوبه اعظم فلا يحقّ له ان يعيب الاخرين علي ذنب اصغر من ذنوبه التي سترها الله عليه.

ثانياً: الذنب المساوي (وكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قدْ رَكِبَ مِثْلَهُ) فان كان الذنب منهما معا على حد سواء في المعصية أو الجريمة، فلا يحق لمن يتلبس بنفس الجريمة من أن ينتقد من يقوم بمثلها.

ثالثا: ذنب الاغتياب (فانْ لمْ يكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِه فَقَدْ عَصَى اللهَ فيما سِوَاهُ ممَّا هُوَ أعْظَمُ مِنْهُ) فاذا لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فلابد ان يكون من الثالث، فان الغيبة في نفسها من كبائر المحرمات شرعاً، وأكد ذلك بقوله:(وَأيْمُ اللهِ لئِنْ لَمْ يكُنْ عَصَاهُ في الْكَبيرِ وَعَصَاهُ في الصَّغيرِ، لَجرأَتُهُ عَلى عَيْبِ الناسِ أكْبَرُ) فان في الغيبة جرأةً ليست في غيرها من الذنوب الكبيرة والصغيرة.

وهذه الأسباب الثلاثة تستوجب حرمة الغيبة.

(٣ / ط - ١٤٠) ستر العيوب:

يا عَبْدَ اللهِ لاتَعْجَلْ في عَيْبِ أحَدٍ[٣] بِذنْبِهِ فلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ[٤] لَهُ، ولا تَأمَنْ على نَفْسِكَ

---

(١) في هـ. د: الذي عابه به ـ ض ب.
(٢) في ص: فكيف.
(٣) في ب: عبد، وفي هـ. د: عبد ـ ش.
(٤) في هـ. ب، وفي نسخة: معفوّ.

صَغيرَ مَعْصِيَةٍ، فلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عليْه. فلْيَكفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُم عَيْبَ غيرِهِ؛ لِمَا يَعْلَمُ منْ عَيْبِ نَفْسِهِ ولْيَكُنِ الشُّكْرُ شاغِلاً لهُ على مُعافاتِهِ ممَّا ٱبْتُلَى بِهِ غيْرُهُ.

١ ـ الاناة (لاتعجل فى عيب احد بذنبه فلعله مغفور له) بتوبة قام بها بعد الذنب فلا يكون مذنبا بعد التوبة التأمل في هذه الحقيقة يوجب الكف عن الغيبة.

٢ ـ محاسبة النفس (ولا تأمن على نفسك صغير مَعْصِيَةٍ، فلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عليه) فان المعاصي الصغيرة المستهان بها تكون كبيرة، فإذا لم يتعقبها التوبة كانت ذنبا يستحق العقوبة عليه.

٢ ـ تذكر عيوب النفس (فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه) فإن كلا منهما في حالة متساوية من حيث التلبس بالمعصية.

٤ ـ الشكر (وليكن الشكر شاغلا له على معافاته مما ابتلي به غيره) حيث اصبح في سلامة من المعصية التي ابتلي بها غيره.

الا من كانت حرفته البطالة، اعاذنا الله منها.

[١٤١]

ومن كلام له عليه السلام:

(ط - ١٤١/١) في النهي عن سماع الغيبة والفرق بين الحق والباطل:

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ[١] منْ أخيهِ وثِيقَةَ دِينٍ وسَدَادَ طَرِيقٍ، فلَا يَسْمَعَنَّ فيهِ أقاوِيلَ الرِّجَالِ[٢]. أمَا إنَّهُ قَدْ يَرْمِي ٱلرَّامِي، وتُخْطِئُ السِّهامُ، ويَحِيكُ[٣] الْكَلَامُ، وَباطِلُ ذلِكَ يَبُورُ، وٱللهُ سَميعٌ وشَهيدٌ.

يتضمن هذا المقطع تقييم الانسان انساناً آخر من أفراد المجتمع، وذكر للتقييم مبدأين لا ثالث لهما:

المبدأ الاول: المعرفة الشخصية لتاريخ الرجل، فقال: (أيها الناس من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق) فان تاريخ الرجل في ماضيه من حيث العقيدة (وثيقة دين) لاعتقاده الوثيق في الدين ومن حيث استقامته عليها، في العمل (وسداد طريق) يسلكه في الحياة، فإن السلوك الشخصي رمز لما يعتقده الانسان في ضميره والمعرفة الشخصية توجب الاطمينان من أية مصدر كانت، سواء بالعلم الحقيقي يعني اليقين، أو بالظن الغالب من الاعمال والافعال، فانها تكشف عن الاعتقاد بما يؤدي اليها.

وهذا هو المبدأ الحق في تقييم الناس، دون غيره.

المبدأ الثاني: الشائعات، وهي التي يعتمد عليها الناس عادة، وينتقدها الامام بقوله: (فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال) لان الشائعات لايمكن ان يعتمد عليها ؛ لاختلاف اسبابها ودواعيها، فقد تكون حقيقيةً وقد تكون دعاية سياسية باطلة، وقد تكون من جهة سوء فهم، كما يحصل كثيرا في نقل الاخبار، ومن أجل ذلك قيل: (وما آفة الأخبار رواتها) لفهم المعنى كما يتصورون، مع انه قد يكون غير مقصود أصلاً، وقد اشار الامام عليه السلام فيما في الشائعات (أقاويل الرّجال) من وجوه الفساد الثلاث:

---

(١) في هـ. د: من علم ـ م.

(٢) في أ و ص: الناس، وفي هـ. ص، وفي نسخة: الرجال، وفي هـ. د: الناس ـ ن ف.

(٣) في ط: يحيل، وفي هـ. ص: يحيك، أي: يؤثر، يقال: ما حاك فيه السيف، أي ما أثّر، ويجوز: ما أحاك، وروي: ويحيل الكلام ـ باللام ـ أي يكون باطلاً، أحال الرجل في منطقه: إذا تكلّم بالمحال الذي لا حقيقة له، وروايته باللام أشهر، انتهى من شرح ابن أبي الحديد. وأقول: انّ روايته بالكاف أنسب ؛ لقوله: أما أنه قد يرمي الرامي...الخ، فهو كالمقدمة له ؛ لانّ السهم قد يخطىء والكلام قد يؤثّر، والله أعلم.

اولا: الخطأ (أما إنّه قد يرمي الرّامي، وتخطىء السّهام) فإن اقاويل الرجال في حق شخص اخر يكون كالرامي الذي يخطئ سهمه، وإن كان قاصداً الهدف، فهذا القائل كذلك، فلخطأ في الفهم ينسب الى شخص آخر ما لم يقصده بفعله.

ثانيا: سوء الفهم (ويحيل الكلام) والاحالة: التغيير، فإن الاقاويل المتكررة بالنقل تحرف الكلمات الى الفاظ اخر مشابهة بسبب سوء الفهم للموقف والكلام أو العمل الذي قام به الشخص.

الثالث: الدعايات (وباطل ذلك يبور) اي الباطل من ذلك فاسد، فيظهر فساده بنفسه مع مرور الزمن، شأن كل الدعايات التي لا واقع لها في الحياة.

فإن هذه الوجوه الثلاثة تمنع من الاخذ بالمبدأ الشائع، وتوجب الالتزام بالمبدأ الاول مشيرا بقوله: (والله سميع وشهيد) الى أن الله سوف يظهر الحق وان طال الزمن.

(٢/ط - ١٤١) ميزان محسوس:

أَمَا إِنَّهُ لَيسَ بيْنَ الْباطِلِ والحَقِّ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فَسُئِلَ عليه السلام عنْ مَعْنى قوْلِهِ هذا، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ ووَضَعَها[1] بينَ أُذُنِهِ وعَيْنِه، ثمَّ قالَ: الْباطِلُ أَنْ تقُولَ: سَمِعْتُ، والحَقُّ أَنْ تقُولَ: رَأَيْتُ.

وختم المقطع بقاعدة عامة محسوسة للتفريق بين الميدانين بقوله:

١ ـ (أما أنه ليس بين الحق والباطل إلاّ أربع اصابع) فإن ذلك امر محسوس لكل من يريد قياساً مادياً.

٢ ـ (الباطل ان تقول: سمعت) الناس يقولون ذلك، مع العلم إن قول الناس ليس متابعات قد تصيب وقد تخطئ (والحق أن تقول: رأيت!) اما بالباصرة رأي العين، أو بعين البصيرة كالعلم والوجدان الموجب للاطمئنان، والفرق بينهما محسوس لكل انسان، والله المستعان.

---

(١) في ص: وجعلها.

[١٤٢]

ومن كلام له عليه السلام:

(١ / ط - ١٤٢) واضع المعروف:

وليْسَ لِوَاضِعِ المَعْرُوفِ في غيرِ حقِّهِ وعِنْدَ غيرِ أَهْلِهِ منَ الحَظِّ فيما أتىٰ إِلَّا مَحْمَدَةُ ٱللِّئامِ[١]، وَثَناءُ الأَشْرَارِ، ومَقالةُ الجُهَّالِ مادَامَ مُنْعِماً عليهمْ؛ ما أجْوَدَ يَدَهُ، وهُوَ عنْ ذَاتِ ٱللهِ[٢] بَخِيلٌ.

المعروف هو البر والاحسان في الاعمال الصالحة والخيرات النافعة في المجتمع الاسلامي، وقد أشار الامام الى ضرورة التوازن في الدنيا والاخرة في المعروف، ولا يتحقق ذلك إلّا بقائمة اولويات في ذلك، حيث ان عمل المعروف قد يكون الى من يستحقه والى من لايستحقه، وطبيعي ان عمل المعروف الى من لايستحقه مضيعة للهدف، فلابد من قائمة اولويات في ذلك، واشار الى الطائفتين:

(٢ / ط - ١٤٢) وظائف الطائفة الاولى:

الطائفة الاولى: من ليس اهلا للمعروف:

واشار الى الآثار العامة لهذه الطائفة بقوله:

(وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير أهله، من الحظ فيما أتى الاّ...) فان وضع الشئ لغير الهدف في وضعه (وضع في غير حقه) كسبيل الماء الموضوع للعطشان موضع الريان، كما ان (وضعه عند غير اهله) كذلك كسبيل الماء البارد للعطشان من الانسان يوضع لسقي البستان. فان وضع الشئ في غير موضعه له آثار ثلاث هي:

١ ـ (محمدة اللئام) فإن اللؤم: بخل النفس، وحمدهم ليس إلّا لبخلهم .

٢ ـ (وثناء الاشرار) فإن الشر الصادر عنهم هو الثناء؛ لعلمهم بانه في غير موضعه.

٣ ـ (ومقالة الجهّال، ما دام منعما عليهم منعما: ما أجود يده) فانها مقالة بسبب ما يحصلون عليه، وبمجرد ان ينقطع ذلك وتنتهي النعمة فلا تجد محمدة أو ثناء، كما لاتسمع المقالة. وما اكثر ذكر التاريخ لاصحاب السلطة الذين انعموا على هؤلاء في عزّ حكمهم وبعد ان فاتهم قطار الحكم أو المرجعية انقلبوا على الضد مما كانوا عليه، هذا جزاء هذه

---

(١) في هـ. د: من الحظ إلّا محمدة اللئام ـ ب.

(٢) في هـ. ب: أي طاعة الله.

الطائفة في الدنيا؛ لانه فعل ما فعل (و) الحال (هو عن ذات الله بخيل) ولم يقصد بشيئ من ذلك وجه الله فوكله الله الى من انعم عليهم من اللئام الاشرار والجهال.

(٣ / ط - ١٤٢) وظائف الطائفة الثانية:

فَمَنْ آتاهُ اللهُ مالاً فَلْيَصِلْ بِهِ القَرَابةَ، ولْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيافَةَ، ولْيَفُكَّ بِهِ الأسِيرَ والْعانيَ[١]، ولْيُعْطِ منْهُ الْفَقِيرَ والْغارِمَ[٢]، ولْيَصْبِرْ[٣] نَفْسَهُ[٤] على الحُقُوقِ والنَّوائِبِ ابْتِغاءَ الثَّوَابِ؛ فإنَّ فَوْزاً بِهذِهِ الخِصَالِ شَرَفُ مَكارِمِ الدُّنْيا، ودَرْكُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ؛ إنْ شَاءَ اللهُ[٥].

الطائفة الثانية: من هو اهل المعروف، وقد سرد الامام لذلك قائمة على اساس الاولويات، فقال:

(فمن آتاه الله مالاً) فاقبل عليه الدنيا فليضع المعروف في مواضعه، وهي:

١ ـ (فليصل به القرابة) فان الاقربون أولى بالمعروف، وصلة الرحم واجبة.

٢ ـ (وليحسن منه الضيافة) وهي سنة ابي الانبياء ابراهيم عليه السلام.

٣ ـ (وليفك به الاسير) الذي هو المحبوس في السجن، سواء كان في سجن العدو أو سجن الدولة.

٤ ـ (والعانى) ممن يعاني مشكلة اقتصادية في حياته اليومية، وما اكثرهم في الامم والشعوب؟!

٥ ـ (وليعط منه الفقير) وهو الذي لا يملك قوت سنته.

٦ ـ (والغارم) وهو المديون الذي لا يملك ما يفكّ به دينه.

٧ ـ (وليصبر نفسه) اي يحبسها، وخص ما ينبغي ان يحبس المسلم نفسه عليه بأمرين، هما:

الاول: (الحقوق) الشرعية المفروضة عليه، كما هو مشروح في الفقه الاسلامي.

الثاني: (والنوائب) وهي الحوادث التي تطرأ فجاة على حياة الانسان، فلابد من مال

---

(١) في هـ. ب: الأسير.

(٢) في هـ. ص: ذي الغرم.

(٣) في هـ أ: ليصبّر وليصبِّر ـ معاً ـ.

(٤) في هـ. ب: ليحبس، وفي هـ. ص: يقال صبّر نفسه على كذا: حبسها، انتهى من الشرح. أي ليحبس نفسه وإرادته على تأدية ما يحق عليه أداؤه والقيام بما ينويه ولا ينفق في الأباطيل التي لا يندبه الشرع للإنفاق فيها.

(٥) لم ترد «إن شاء الله» في أ، وفي هـ. د: «ان شاء الله» ساقطة من م ف ن.

لحمل ذلك؛ لكي لا يفتقر الى الاخرين.

وعلى العكس من الذي يضع معروفه في غير اهله، يجب على هذه الطائفة ان تعمل ما تعمل لغرض واحد، به قوام المعروف، وهو (ابتغاء الثواب) من رب الارباب، فلا يرى ما يقوم به من الواجبات إلّا واجبا اسلاميا، لا يريد بها جزاءً ولا شكوراً.

وبالاجمال: فهذه هي الجامعة للتوازن بين خير الدنيا والاخرة، وقد اجمل الامام وصفها بقوله: (فإن فوزاً بهذه الخصال شرفُ مكارم الدنيا، ودرك فضائل الآخرة؛ إن شاء الله) حيث ان بها يساهم الانسان في اسعاد اخيه الانسان في الدنيا ويتنعم باثاره في الاخرة.

[١٤٣]

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء:

وفيه تنبيه للعباد على وجوب الاستغاثة برحمة الله اذا حُبس عنهم رحمة المطر.

ويتضمن بيان ارادة الله وامتحان العباد بالجدب، ودعوات خمس بالمناسبة.

أَلَا وإِنَّ الأَرْضَ التي تَقُلُّكُمْ[1]، والسَّماءَ التي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتانِ لِرَبِّكُمْ، وما أَصْبَحَتا تَجُودَانِ لكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لكُمْ، ولا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، ولا لِخيرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنكُمْ، ولكِنْ أُمِرَتَا بِمَنافِعِكُمْ فأَطَاعَتا وأُقِيمتا على حُدُودِ مَصالِحكُمْ فقامتا[2].

(١/ط - ١٤٣) إرادة الله:

استفتح الخطبة ببيان ارادة الله سبحانه الحاكمة في الكون، فهو الذي خلق المخلوقات وقدّرها بقدرٍ في مسيرتها، وكذلك فهو قادر على ايقاف هذه المسيرة، وتسييرها لمصالح هو اعلم بها، ومن أسباب التغيير: معاصي العباد على الارض، واشار الامام في المفتتح إلىٰ هذه الارادة العليا بقوله:

١ ـ (ألا وانّ الأرض التي تقلّكم) والقلّ: الحمل، فإنّ الأرض تحمل على ظهرها كلّ أفراد الانسان.

٢ ـ (والسماء التي تظلّكم) حيث تعلوكم كما يعلوكم الظل.

٣ ـ (طيّعتان لربّكم) فهما تحت القدرة الالهية المطلقة، وذلك يستلزم انها تتبع الحكم الالهية في مسيرتها كما هي في خلقها، وليس للانسان ورغباته فيهما اثر إلّا ما أراده الله.

لانهما مخلوقتان بلا ارادة من الانسان، وانما المؤثر فيهما ارادة الله، ومثل بثلاثة موارد لذلك:

الأوّل: (وما أصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجّعا لكم) فان كلا من السماء والارض ليس لهما عاطفة تتوجع لألم من يكون فيها ويسير عليها، فما تجودان به من المطر والثمر ليس منهما حتى يستكشف منها أنّ لهما روح تعطف به على الاخرين.

الثاني: (ولا زلفة اليكم) والزلفة: القربة؛ لعدم حاجة منهما إلىٰ الانسان حتى تتقربا اليه.

الثالث: (ولا لخير ترجوانه منكم) وليس لهما رجاء من امر ترياه فضيلة تسعيان

---

(١) في بعض النسخ: «تَحْمِلكُمْ».

(٢) في د: فأقامتا، وفي هـ. د: فقامتا ـ ش.

للحصول عليه، فإنّ كلا من التوجّع والتزلّف والرجاء ان هي إلّا من صفات ذوات الارواح من الحيوان والانسان، والارض والسماء ليس منها، فليس مايصدر منهما من الاثار الطبيعية التي تؤثر في الحياة إلّا من مصدر حكيم قدير هو الله سبحانه.

واشار إلىٰ ذلك بقوله: (ولكن أمرتا بمنافعكم فأطاعتا) امر الله سبحانه بما فيه منافع الناس.

(وأقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا) كما خلقها الله لأداء تلك المصالح المأمورة بها.

(٢ / ط - ١٤٣) الامتحان:

إنَّ اللهَ يَبْتَلي عِبادَهُ عنْدَ الأَعمال السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَراتِ، وحَبْسِ البَرَكاتِ، وإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الخيْرَاتِ لِيَتُوبَ تائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ[١] مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ.

وَقدْ جَعلَ اللهُ سبحانه[٢] الاسْتِغْفارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ، ورَحمَةِ الخلْقِ[٣]. فقال[٤]: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إنَّهُ كانَ غَفاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عليكُم مِدراراً ويُمْدِدكم بأموالٍ وَبنينَ)[٥] فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَل تَوْبَتَهُ، وٱسْتَقالَ خَطِيئَته، وَبادَرَ مَنِيَّتَهُ.

والله سبحانه يجعل عبادة في فترة امتحان ـ منها حالة الجدب ـ التي لولاه لما تذكر الانسان خالقه، ولما توجه اليه بالدعاء والضراعة، بل اعتبر ذلك امراً طبيعياً عادياً.

فقال :(انّ الله يبتلي عباده عند الاعمال السيّئة) والابتلاء هو الامتحان، وخصه بعند حصول الاعمال السيئة حيث لا يمكن بدون الامتحان. واشار إلىٰ انواع الامتحانات بقوله:

١ ـ (بنقص الثّمرات) اثر الجدب الموجب للاستسقاء بالدعوات والصلاة.

٢ ـ (وحبس البركات) وأهمها: الماء الذي به كلّ شيءٌ حي من الانسان والحيوان والنبات.

٣ ـ (واغلاق خزائن الخيرات) من دون ابادة موادها؛ حيث أنّ الغرض هو الامتحان، وليس العذاب.

وأشار إلىٰ النتيجة المطلوبة من الامتحان هذا بقوله:

---

(١) في هـ. ب: يتّعظ.
(٢) في هـ. د: جعل الله الاستغفار ـ ض ب.
(٣) في أ: للخلق.
(٤) في هـ. د: فقال سبحانه ـ ض ح.
(٥) سورة نوح : ٧١ / ١٠.

١ ـ (ليتوب تائب) عن المعاصي التي ارتكبها في حياته.

٢ ـ (ويقلع مقلع) عن الافعال القبيحة التي يقوم بها.

٣ ـ (ويتذكّر متذكر) الاسباب التي دعت إلىٰ الحالة الحاضرة.

٤ ـ (ويزدجر مزدجر) عن تلك الاسباب حتى يغير الحالة.

ثم ركز على اهم الاسباب، وهو الاستغفار قائلاً:

(وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرّزق ورحمة الخلق، فقال سبحانه: ﴿استغفروا ربّكم انّه كان غفّارا يرسل السّماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنّات ويجعل لكم أنهارا﴾[١]

وما أصدق كلام الله سبحانه في حالة الجدب هذه؟!

فالمتعين في مثل هذه الحالة: الرجوع إلىٰ القدرة العليا بالوسائل التي تستوجب تغييرها، وخص منها قوله: (فرحم الله امرءا) ممن يشاهد حالة الامتحان أنّ يقوم بواجبات، منها:

١ ـ (استقبل توبته) فتوجه اليها مستقبلا، قائما بها مجدداً.

٢ ـ (واستقال خطيئته) بطلب العفو عنها بالاستقالة.

٣ ـ (وبادر منيّته) وهي الموت، ومبادرته: الاستعداد له قبل حلول الاجل.

(٣ / ط ـ ١٤٣) دعوات خمس:

بدأ كلّ منها بقوله: (اللهم).

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنا إليْكَ منْ تحْتِ الأَسْتارِ والأَكْنانِ، وبَعْدَ عَجِيجِ[٢] الْبَهائِمِ والْوِلْدَانِ، رَاغِبينَ في رَحْمَتِكَ، ورَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخائِفينَ منْ عَذَابِكَ ونِقْمَتِك.

اللَّهُمَّ فاسْقِنا غَيْثَكَ، ولا تجْعَلْنا منَ الْقانِطِينَ، ولا تُهْلِكْنا بالسِّنين[٣]، ولا تُؤَاخِذْنا بمَا فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنا إليْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ ما لَا يَخْفَى عليْكَ حِينَ أَلْجَأَتْنا المَضايِقُ الْوَعْرَةُ[٤]، وأَجَاءَتْنا[٥] المَقاحِطُ[٦] الْمُجْدِبَةُ، وأَعْيَتْنا[٧] المَطالِبُ الْمُتَعسِّرَةُ، وتَلاَحَمتْ[٨] عَلَيْنا الْفِتَنُ

---

(١) نوح: ١٠ ـ ١٢.

(٢) في هـ . ب: صوت.

(٣) في هـ . ص جمع سنة، بمعنى الجدب.

(٤) في هـ . ب: الشديدة، وفي هـ . ص: الوعرة بالتسكين، وقد شبّه مطالب المعاصي في تصعّبها بمسالك صعبة في جبل وعر.

(٥) في هـ . ب: أخرجتنا، وفي هـ . ص: جعلتنا جائين إليك.

المُسْتَصْعِبَةُ.

اللّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ أَنْ لا تَرُدَّنا خائِبِينَ، ولا تَقْلِبْنا وَاجِمِينَ[٩]، ولا تُخاطِبْنا[١٠] بِذُنُوبِنا[١١]، ولا تُقايِسْنا بأعمالِنا[١٢].

اللَّهُمَّ انْشُرْ علينا غَيْثَكَ وَبَرَكَتكَ ورِزْقَكَ ورَحمَتَكَ، واَسْقِنا سُقْيا نافِعةً[١٣] مُرْوِيةً مُعْشِبةً تُنْبِتُ بها ما قَدْ فاتَ، وتُحيِي بها ما قدْ مَاتَ[١٤]، نافِعةَ الحَيا[١٥]، كَثِيرَةَ الُمجْتنَى[١٦]، تُرْوِي بها القيعَانَ، وتُسِيلُ الْبُطْنانَ[١٧]، وتَسْتَوْرِقُ[١٨] الْأشْجارَ، وتُرْخِصُ الأسْعارَ، إنَّكَ على مَا تَشَاء[١٩] قدِيرٌ.

الأوّل: ـ قوله:

١ ـ (انّا خرجنا اليك من تحت الاستار) وهي الاماكن المستورة عن أعين عامة الناس، وهي البيوت المتخذة للسكنى.

(والاكنان) وهي التي اشد ستراً من البيوت، كالغرف الخاصة في البيوت.

٢ ـ (وبعد عجيج البهائم) من الحيوانات (والولدان) من الانسان، بسبب شحة الماء المطلوب.

٣ ـ (راغبين في رحمتك) وهي المطر في هذ الفصل، الموثر في الاخصاب لكل الموجودات من الانسان والحيوان والنبات.

٤ ـ (وراجين فضل نعمتك) فانها فضل منك على العباد في مثل هذه الحالة.

---

(٦) في هـ. ص: جمع مقطحة، أي جدب.
(٧) في هـ. ب: أعجزتنا.
(٨) في هـ. ب: اتصلت، وفي هـ. ص: أي اتصل بعضها ببعض.
(٩) في هـ. ب: الواجم الذي اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام.
(١٠) في هـ. د: ولا تعاقبنا ـ هـ م.
(١١) أي: لا تدعنا باسم المذنبين.
(١٢) أي لا تجعل فعلك بنا مناسباً لأعمالنا.
(١٣) في هـ. د: ناقعة ـ ح ر.
(١٤) في أ: ما مات، وفي هـ. أ في نسخة: ما قد مات.
(١٥) في هـ. ب: أي مجتمعة المطر.
(١٦) في هـ. ب: الثمرة المجتناة.
(١٧) جمع بطن وهو ما انخفض من الأرض، وفي هـ. ب: جمع البطن وهو الغامض من الأرض، وفي هـ. ص: جمع بطن: ما اطمأن من الأرض.
(١٨) في هـ. ب زيادة: بها وفي هـ. ص، وفي نسخة: زيادة بها.
(١٩) في ص: على كلّ شيء، وفي هـ. ص في نسخة: على ما تشاء.

٥ ـ (وخائفين من عذابك ونقمتك) حيث توجّهوا إلىٰ الدعاء والتضرع اليك.
وهذه حالات تستوجب التضرّع، وليس من يتضرع اليه إلّا الله سبحانه.
الثانية ـ قوله:
١ ـ (اللّهمّ فاسقنا غيثك) المطلوب في حالة الجدب هذه بعد التوجه اليك بالضراعة.
٢ ـ (ولاتجعلنا من القانطين) من رحمتك العامة، والتي هي في هذه الحالة: المطر .
٣ ـ (ولاتهلكنا بالسّنين) والسنة بالفتح: القحط بسبب الجدب الموجب للهلاك اذا استمر.
٤ ـ (ولاتؤاخذنا بما فعل السّفهاء منّا) حيث أنّ السبب في هذا الامتحان هو تنبيه العصاة للرجوع اليك، والتوجه، ولكن الجدب يؤثر على الجميع.
٥ ـ (يا أرحم الرّاحمين) فإنّ رحمة الله واسعة تعمّ العالمين اجمعين.
وهذه رغبات من لا يجد ملجأ ومجيبا في هذه الحالة سوى الله.
الثالثة ـ قوله:
١ ـ (اللّهمّ انّا خرجنا اليك) لانك القادر على كلّ شئ دون غيرك.
٢ ـ (نشكو اليك ما لا يخفى عليك) لانك العالم بكل شئ، ولكنا نبيّن حالتنا الحاضرة، وهي:
٣ ـ (حين ألجاتنا المضايق الوعرة) الوعورة: الصعوبة، حيث أنّ وصفها بلغت الشدة.
٤ ـ (وأجاءتنا المقاحط المجدبة) والإجاءة: الإلجاء، والمقحطة: سنة القحط.
٥ ـ (وأعيتنا المطالب المتعسّرة) حيث لا يمكنها أيّ مطلب اخر سوى الرجوع اليك.
٦ ـ (وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة) والتلاحم: الاتصال، فإنّ الفتن تصعب وتزداداستمرت حالة الجدب.
وهذه حالات تستوجب الرحمة ولا يمكن لغير الله سبحانه الترحم.
الرابعة ـ قوله:.
١ ـ (اللّهمّ إنّا نسألك) بصفة جماعية في صلاة الاستسقاء، وليست فردية فقط؛ لعموم الحالة بين المجتمع ، نسألك وحده لا غيرك.
٢ ـ (الّا تردّنا خائبين) لان معاصي السفهاء تستوجب ذلك.
٣ ـ (ولا تقلبنا واجمين) والقلب: الرد كما جاء، والوجوم: شدة الحزن بسبب الرد.
٤ ـ (ولا تخاطبنا بذنوبنا) فإنّ تلك الذنوب تمنع من الرحمة الالهية.
٥ ـ (ولا تقايسنا بأعمالنا) فإنّ اعمالنا المسيئة تستوجب الرد.

والاعترافات هذه تستدعي الرحمة الالهية للمعترفين بالخطيئة.

الخامسة ـ قوله:

١ ـ (اللّهمّ انشر علينا غيثك وبركتك) فإنّه لاملجأ لذلك سواك.

٢ ـ (ورزقك ورحمتك) حيث أنّ الغيث سبب للرزق لجميع المخلوقات من الانسان والحيوان والنبات.

٣ ـ ٦ ـ (واسقنا سقيا) يتصف بالاوصاف التالية:

(ناقعة مروية معشبة) فلا تكون قليلة لا تنفع ولا طلاً لا يروي ولا ينبت العشب.

٧ ـ (تنبت بها ما قد فات) من الانتفاع به في نبات الموسم.

٨ ـ (وتحيى بها ما قد مات) من المواشي والانعام التي أشرفت على الموت.

٩ ـ (نافعة الحيا) والحيا: المطر، بان لا يكون سيلا قالعا للاشجار.

١٠ ـ (كثيرة المجتنى) على اثر السقي الطبيعي.

١١ ـ (تروي بها القيعان) والقاع: الارض بأن يعم الرواء ما على الارض.

١٢ ـ (وتسيل البطنان) والبطنان: ما نزل من الارض من الوديان.

١٣ ـ (وتستورق الاشجار) بخروج اوراقها.

١٤ ـ (وترخص الاسعار) على اثر توفر الثروة النباتية والحيوانية في المجتمع.

١٥ ـ (انّك على ما تشاء قدير) فلا يتحقق شيء من النقاط الاربعة عشر من دون ارادتك العليا.

[١٤٤]

ومن كلام له عليه السلام:

في صفات الرسالة الالهية للبشر ومسؤولية الانبياء

بَعَثَ رُسُلَهُ[١] بما خَصَّهُمْ بهِ منْ وَحْيِهِ، وجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ على خَلْقِهِ، لِئَلَّا تجِبَ الحُجَّةُ لهمْ بِترْكِ الإعْذارِ[٢] إليهمْ، فدَعاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إلى سَبِيلِ الحَقِّ.

(١ / ط - ١٤٤) الرسالة الالهية:

وصف الرسالة الالهية للبشر ومسؤولية الانبياء بأوصاف، هي:

١ ـ (بعث الله رسله) لتبليغ الرسالة الالهية في المجتمع الانساني على مختلف الازمان مع مسؤولياتهم.

٢ ـ (بما خصّهم به من وحيه) المفتقر اليه في تلك الفترة من البعثة.

٣ ـ (وجعلهم حجتة له على خلقه) لئلا تخلو الارض من حجة.

٤ ـ (لئلا تجب الحجّة لهم بترك الاعذار اليهم) كما قال تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾[٣].

٦ ـ (فدعاهم بلسان الصّدق) وبكل صراحة، ممّا يعبر عن رؤية واضحة يفهمها السامع من امة بلسان قومه ﴿وما ارسلنا من رسول إلّا بلسان قومه﴾.

٧ ـ (الى سبيل الحق) الذي هو احق أن يتّبع، وعليه تجتمع رسالات السماء.

وهذه النقاط السبع هي التي تحدد اهداف الرسالة الالهية لتطبيقها في المجتمع الانساني على الارض.

(٢ / ط - ١٤٤) المجتمع الانساني:

أَلا إِنَّ اللهَ قدْ كَشَفَ الخَلْقَ كَشْفَةً[٤]، لا أَنَّهُ جَهِلَ ما أَخْفُوهُ منْ مَصُونِ[٥] أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمائِرِهِمْ، ولكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَن عَمَلاً، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، والْعِقابُ بَوَاءً[٦].

---

(١) في هـ. د: بعث الله رسله ـ ح ب.

(٢) في هـ. ب: الأعذار: نصب العذر وإقامته وتمهيله.

(٣) النساء: ١٦٠......

(٤) أي علم حالهم.

(٥) في ص: مصونات وفي هـ. ص في نسخة: مصون.

(٦) في هـ. أ: جزاء، وفي هـ. ب: سواءً للأعمال، وفي هـ. ص: أي كفاءً لعملهم ومماثلاً له.

وقد اكرم الله المجتمع الانساني بكرامة العقل والحرية والاختيار، وهو يعلم مسيرهم واختيارهم ومصيرهم، واشار إلىٰ ذلك في نقاط:

١ ـ (الا أنّ الله تعالى قد كشف الخلق كشفة) والكشف: هو اظهار الحقيقة التي تخفى عادة، فإنّ الله سبحانه كشف حقيقتهم المجهولة لغيرهم من المخلوقات كما للملائكة، ثم فسّر هذا الكشف بقوله:

٢ ـ (لا أنّه جهل ما أخفوه من مصون اسرارهم ومكنون ضمائرهم) لانه تعالى عالم السر وأخفى، بل كشف عن حقيقة خلقهم المبتني على الاختيار في طريقي الخير والشر ﴿إما شاكرا واما كفورا﴾ .

ثم اشار إلىٰ السبب في خلقهم مختارين بقوله:

٣ ـ (ولكن ليبلوهم أيّهم أحسن عملا) اقتباسا من القرآن الكريم.

وعن نتيجة هذا الخلق المختار بالاختيار اشار إلىٰ امرين:

٤ ـ (فيكون الثّواب جزاء) لما يقوم به الانسان من العمل الصالح المستوجب للثواب .

٥ ـ (والعقاب بواء) والبوء: القصاص عقابا للعمل الطالح المستحق للعقاب.

والمجتمع الانساني في كلّ مراحله لم يخلو من رسول يحمل الرسالة الالهية إلىٰ البشرية، وكان اخرهم النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله الخاتم الذي اكمل به الدين.

(٣ / ط - ١٤٤) أهل البيت عليهم السلام:

أَيْنَ الذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُم الرَّاسِخُون[1] في ٱلْعِلْمِ دُونَنا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنا؛ أَنْ رَفَعَنا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وأَعْطَانا وحَرَمَهُمْ، وأَدْخَلَنا وأَخْرَجَهُمْ، بِنا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، ويُسْتَجْلَى[2] الْعَمَى.

إِنَّ الْائِمَةَ مِنْ قُرَيْش، غُرِسُوا في هٰذَا الْبَطْنِ مِنْ هاشِمٍ، لا تَصْلُحُ عَلى سِوَاهُمْ، وَلا تَصْلُحُ ٱلْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وقد تخرج أهل بيت النبيّ عليهم السلام من مدرسة النبوة وحافظوا على تراث النبيّ الاعظم علما وتطبيقا في حياتهم ممّا جعلهم القدوة للأمّة.

واشار الامام إلىٰ مواصفاتهم في نقاط:

(اين اللّذين زعموا انّهم الرّاسخون في العلم دوننا) فان اثارهم محدودة ومعدودة لو

---

(١) في هـ. ب: أي الذين يدعون أنّهم راسخون كذباً.

(٢) في ب وص: وبنا يستجلي.

قيست باهل البيت، مع ملاحظة الفارق، فانّ أهل البيت كانوا اقلية مطاردة سياسياً.

ووصف الامام ذلك (زعما) لا واقع له، وذكر السبب في هذه المزاعم الباطلة بقوله:

٢ ـ (كذباً وبغيا علينا) ولا غرو، فقد كثر الكذب في عصر الرسالة حتى اعلن ﷺ بقوله:«قد كثرت عليّ الكذابة، ألا من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار» (راجع المادة في المعجم) والغبن على أهل البيت ظهرت في مواقف شخصية وجماعية بمبررات شخصية وقبلية حكمت المجتمع ، وتجلت بوضوح في الحرب الاهلية التي اشعلها معاوية ضد الامام.

٣ ـ (ان رفعنا الله ووضعهم) لان الحق يعلو ولا يعلى عليه وان طال الزمن.

٤ ـ (وأعطانا وحرمهم) من ميراث العلم النبوي الذي اعطى الامام حياته كلها لتعلمه من زلال ينبوع النبوة.

٥ ـ (وأدخلنا وأخرجهم) ربما يشير إلىٰ حديث الكساء الذي جمعهم رسول الله ﷺ فنزلت فيهم اية التطهير:﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[١].

٦ ـ (بنا يستعطى الهدى) حيث حافظ أهل البيت على ثوابت الهدي الاسلامي جيلا بعد جيل.

٧ ـ (ويستجلى العمى) في مواضع الشك والشبهة، وترتفع رواياتهم المتسلسلة إلىٰ النبيّ الاعظم.

٨ ـ(انّ الائمّة من قريش) كما صرحت بذلك روايات عديدة ، راجع المادة في المعجم.

٩ ـ (غرسوا في هذا البطن من هاشم) كما صرحت بذلك روايات الاصطفاء، فإنّ النبيّ ﷺ كان المصطفى منهم، والنتيجة لهذه المواصفات التي تستند إلىٰ الكتاب والسنة هي:

١ ـ (لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم) مشيراً إلىٰ الولاية للامة المستفادة من المقام، فإنّ اهم مقومات القيادة الاسلامية اجتمعت فيهم، وهي: العلم الكامل بالسنة والعمل بها، فهم لها كما هي لهم.

وهذه النقاط العشر تجعل القيادة الاسلامية لهم دون غيرهم ممن يفتقد هذه الصفات.

---

(١) الاحزاب : ٣٣.

(٤ / ط - ١٤٤) **أهل الضلال:**

منها: آثَرُوا عاجِلاً وأَخَّرُوا آجِلاً، وتَرَكُوا صَافياً، وَشَرِبُوا آجِناً[١]، كأَنِّي أَنْظُرُ إلى فاسِقِهِمْ وَقدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فألِفَهُ[٢]، وَبَسِئَ[٣] بِهِ وَوَافَقَهُ، حَتّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ[٤]، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً[٥] كالتيَّارِ[٦] لايُبَالي ما غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ النّارِ في الْهَشِيمِ لايَحْفِلُ[٧] ما حَرَّقَ[٨]، أَيْنَ ٱلْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ[٩] بِمَصَابِيحِ الْهُدَى، والأَبْصَارُ اللاَّمِحَةُ[١٠] إلى مَنَارِ[١١] التقْوَى، أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ الَّتي وُهِبَتْ للّٰهِ وعُوقِدَت عَلى طَاعَةِ ٱللهِ، ازْدَحَمُوا[١٢] عَلى الحُطَامِ[١٣]، وتَشاحُّوا عَلى الحَرَامِ، وَرُفِعَ[١٤] لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وٱلنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وأَقْبَلُوا إلى[١٥] النَّارِ بأَعْمالِهِمْ، دَعاهُمْ[١٦] رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا[١٧] و١وَلَّوْا، وَدَعاهُمُ ٱلشَّيْطانُ فاسْتَجابُوا وأَقْبَلُوا.

وبعد ان سرد مواصفات الرسالة الالهية والقادة من أهل البيت السائرين على خطى النبيّ الاعظم، سرد مواصفات أهل الضلال، وهي:

١ ـ (آثروا عاجلا) هو الحكم في الدنيا من دون اهتمام بالاخرة.

٢ ـ (وأخّروا آجلا) وهو الايمان بالحساب والعقاب في يوم الحساب.

٣ ـ (وتركوا صافيا) وهو رضى الله سبحانه.

---

(١) الآجن: الماء المتغيّر اللون والطعم، الكدر.
(٢) في هـ. ب: أي ألف المنكر فاسقهم.
(٣) في هـ. أ: بسى مقصور، يسيء بالامداد: استأنس به، وبسا لغة فيه، وفي هـ. ب: بسيء وبسا: إذا استأنس به.
(٤) في هـ. ب: أي صارت طباعاً، من قوله تعالىٰ: ﴿صبغةَ ٱللهِ﴾.
(٥) في هـ. ب: أي ذو زبد.
(٦) في هـ. ب: يموج.
(٧) في هـ. ب: أي لا يبالي.
(٨) في ص: بما حرّق.
(٩) في هـ. ب: المتخذة لنفسها مصباحاً وسراجاً.
(١٠) في هـ. ب: الناضرة.
(١١) في هـ. ب: علم، وفي هـ. د: منازل التقوى ـ ح وهـ ن، منابر التقوىٰ ـ م.
(١٢) في هـ. ب: اجتمعوا.
(١٣) في هـ. ب: ما تكسر من اليبس [فترك] استحقاراً له.
(١٤) في هـ. ب: كلام مستأنف؛ لأنّه عليه السلام عاد إلى ذمّ الناس.
(١٥) في هـ. ص في نسخة: على.
(١٦) في هـ. أ: ودعاهم ـ ض ح ب.
(١٧) في ب: فتفرقوا، وفي هـ. ب، وفي نسخة: فنفروا.

٤ ـ (وشربوا آجنا) وهو الماء المتغيّر من نعم الدنيا الفانية.

٥ ـ (كأني أنظر إلى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه) فإنّ امامتهم للضلال بسبب تعوّدهم عليه بحيث لا يستعينون بغيره.

٦ ـ (ويسئ به) اي ألفه عادة حتى كأنها طبيعة ثانوية لا تغيرها إلّا الكفن.

٧ ـ (ووافقه) فإنّ الصحبة والإلفة توجبان الموافقة على آثارهما.

٨ ـ (حتى شابت عليه مفارقه) المفرق: وسط الراس، والشيب: بياض الشعر، وذلك كناية عن طول هذا الوفاق واستمرار العادة حتى الشيخوخة.

٩ ـ (وصبغت به خلائقه) الخلق: العادة التي اصبحت طبيعة ثانية.

١٠ ـ (ثم أقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق) اي صاحب زبد، وهو ما يخرج من الفم كالرغوة، والتيار: السيل الجارف الذي يجرف كلّما في طريقه، والامام الضال يقوم بدور مشابه في الضلال لما له من أثر عام على انحراف المجتمع.

١١ ـ (أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق) والهشيم: الحطب، ولا يحفل: لا يبالي، فإنّ نار الضلال من امام ضال يحرق الامة.

مقارنة المعارضة:

والتفت من وصف ائمة الضلال إلىٰ استفهام انكاري، للمقارنة بين ائمة الهدى وائمة الضلال فقال:

١ ـ (أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى) فانها مفقودة في ضل حكم الضلال.

٢ ـ (والأبصار اللامحة إلى منار التقوى) من الشعب المقتدي بالقائد العادل.

٣ ـ (أين القلوب التي وهبت لله) بايمانها بأنها لله، وأنها وتعمل في سبيل الله وليس الحكم الزائل.

٤ ـ (وعوقدت على طاعة الله) فكانت حياتها عقد بينها وبين الله سبحانه.

فإنّ هذه الصفات الاربع للشعب المسلم تنقض في ظل حكم الضلال.

ثم رجع إلىٰ وصف ائمة الضلال بقوله:

١٢ ـ (ازدحموا على الحطام) اي مال الدنيا فهي كالحطام المعد للاحراق والفناء، وائمة الضلال ازدحموا متنافسين للحصول عليها، وليس لهم في الحكم هدف سوى المادة.

١٣ ـ (وتشاحوا على الحرام) والشح: البخل، بان تنافسوا بالبخل على ما يحرمه الاسلام من الماديات.

١٤ ـ (ورفع لهم علم الجنّة والنار فصرفوا عن الجنّة وجوههم، وأقبلوا إلى النار

بأعمالهم).

١٥ ـ (ودعاهم ربهم فنفروا وولوا) من دعوة الله.

١٦ ـ (ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا) على دعوة الشيطان.

وهذه النقاط تميّز ائمة الضلال عن ائمة الحق، ولا يخلو منهما زمان أو مكان.

[١٤٥]

ومن خطبة له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ[١] تَنْتَضِلُ[٢] فِيهِ[٣] المَنايَا؛ مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ؛ وَفِي كُلِّ أُكْلَةٍ غَصَصٌ؛ لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَىٰ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَاذِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ؛ وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ[٤] لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ[٥] جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّاَ وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ. وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا. فَمَا بَقَاء فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!

(١ / ط - ١٤٥) **لا خلود إلّا للحقائق:**

والانسان ـ كما هو الحال في كلّ الماديات ـ انما هو يعيش بين الوجود والعدم في نفسه، وفي نظمه، وفي كلّ آماله، وقد سرد هذه الحالة للانسان خاصة للاعتبار بان المادة والماديات من العناوين الخيالية ليس لها خلود، وانما الخلود للحقيقة التي تؤمن للانسان دوره في الحياة بما له من اثر في حياته النفسية في المجتمع الذي يعيش فيه، والاخرة التي يرجع اليها، فقال:

(أيها الناس، إنما أنتم في هذه الدنيا غرضٌ تنتضل فيه المنايا) والغرض: الهدف، والنظال: الرمي بالسهام، والمنيّة: الموت الذي هو عدم الحياة، فإنّه يستهدف الانسان في الدنيا في كلّ حركات الانسان المادية والمعنوية التي تتعلق بالمادة، فانها حركات بين الوجود والعدم، ففي اللحظة التي يعيش فيها الانسان فهو موجود، وبعد هذه اللحظة مباشرة ينعدم هذا الوجود ويتجدد له شيئ آخر في لحظة اخرى، قد تكون مشابهة لما سبق، أو لا.

وعلى كلي الحالتين فهما حالتا عدم بوجود سبقه العدم ولحقه كذلك .

وقد سرد من هذه الحالات ما يأتي:

---

(١) في هـ. ب: هدف، وفي هـ. ص: الغرض: ما ينصب ليرمى، وهو الهدف.
(٢) في هـ. ب: يرمى، وفي هـ ب : تترامى فيه للسبق، انتهى من الشرح .
(٣) في ب: فيكم وفي هـ. ب، وفي نسخة: فيه، وفي هـ. د: فيكم ـ ش، وفي الهامش ـ فيه.
(٤) في هـ. ب: فات.
(٥) لم ترد «له» في أ.

١ ـ (مع كلّ جرعة شرق) والجرعة من الماء: ما أُخذ منه ملأ الفم، والشرق ـ بكسر الراء ـ الجفاف؛ لعدم وجود الماء، يقال: شرقت الارض، اي جفّ ماؤها، فإنّ كلّ شربة يشربها الانسان تقارن فقدان شربة اخرى غيرها، ومن المستحيل أن يتهنأ بكلي الشربتين في آن واحد.

٢ ـ (وفي كلّ أكلة غصص) فالأكلة التي يتنعم بها حالاً تقارن غصص يتجرعها مع تلك الاكلة المفضّلة، وان لم يشعر بهذا الغصص غيره من الحاضرين.

٣ ـ (لا تنالون منها نعمة إلّا بفراق أخرى) فليس على وجه الارض من يتمتع بالنعم كلها ويتهنأ، فإنّ وجود نعمة تقارن فقدان اخرى.

٤ ـ (ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره إلّا بهدم آخر من أجله) ففي كلّ لحظة يعيشها الانسان يعيش بين عدمين: لحظة سبقت واهدمت، ولحظة مستقبلة لم تأت بعد.

٥ ـ (ولا تجدد له زيادة في أكله إلّا بنفاد ما قبلها من رزقه) الذي قدّره الله لقوت يومه، فلا يتمكّن من اكلة جديدة نافعة للصحة زائدة على ما تقدم اكلة، إلّا بهضم ما تقدم ومهما طال الزمن.

٦ ـ (ولا يحيى له أثر إلّا مات له أثر) ممّا عمله في الحياة ينتفع منها هو واهل عصره، وبعد فترة تسقط المخترعات المادية عن الانتفاع بمخترعات جديدة اخرى اشد اثرا.

٧ ـ (ولا يتجدد له جديد إلّا بعد أن يخلق له جديد) فإنّ كلّ ما ينتجه من جديد مادي من البناء مثلاً، انما هو مسبوق ببناء قد خلق وبلي فيما سبق... وهكذا سيكون بناؤه الجديد.

٨ ـ (ولا تقوم له نابتة إلّا وتسقط منه محصودة) فكل ما يزرعه الانسان من نبت ممّا يقوم نابتة لا بد وان تسقط على الارض مرة اخرى وتحصد.

٩ ـ (وقد مضت أصول نحن فروعها) فإنّ الانسان المادي بوجوده المادي كسائر الماديات مسبوق بالعدم وملحوق بالعدم، فإنّ كلّ جيل يسبقه جيل متقدم من الآباء ويلحقه جيل من الابناء.

وهذه الحقائق تشير إلىٰ نتيجة واحدة هي:

١٠ ـ (فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله) لان كلّ شئ في الوجود المادي بين حالتي عدم، فإنّ لحظة وجودها مسبوقة بعدمها في الماضي وعدمها في المستقبل.

هذا هو شأن المادة والماديات في الحياة، والشئ الزائل لا يكون له قيمة واقعية، لانها زائلة، والقيمة الواقعية للامور التي تكون ثابتة ولا تزول، وهي المبادي القائمة على الحق

والعدل.

(٢/ط ـ ١٤٥) **البدعة والسنة:**

منها: وَمَا أُحْدِثَتْ بدعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ، فَاتَّقُوا ٱلْبِدَعَ، وَالْزَمُوا الْمُهَيْعَ[١]. إِنَّ عَوَازِم[٢] الأُمورِ أَفْضَلُها، وَإِنَّ مُحْدَثَاتِها شِرَارُها.

ومن هذه المظاهر المادية تعرف العلاقة بين البدعة وهي ادخال ما ليس في الدين في الدين، والسنّة وهي الطريقة الاسلامية التي سار عليها سيد المرسلين لهداية المسلمين، وقد وصفها بقوله:

١ ـ (وما أحدثت بدعة إلّا ترك بها سنة) لان الله اكمل دينه بشريعة الاسلام حيث قال:﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾.

فالسنة والبدعة ضدان لا يجتمعان، فامرعليه السلام بأمرين:

الأوّل: (فاتقوا البدع) بالاجتناب عنها مهما كانت حسنة في ظاهرها.

الثاني: (والزموا المهيع) وهو الطريق الواضح والصراط المستقيم الذي بشر به النبيّ محمّدصلى الله عليه وآله.

وذكر السبب في هذين بقوله: (إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها) والسنة النبوية عزيمة الهية لا يخلق لانها خيار الله سبحانه للعباد.

---

(١) في هـ. ب: المنهج أي الزموا الطريق، وفي هـص: الطريق الواضح، والميم مفتوحة.

(٢) في هـ. ب: أي أنّ واجبات الأُمور من أمر الله، وفي هـ. ص: ما تقادم منها، من قولك عجوز عوزم، أي مسنّة، انتهى من الشرح .

[١٤٦]

ومن كلام له عليه السلام لعمر بن الخطّاب(١)

وقد استشاره في الشخوص لقتال الفرس(٢) بنفسه(٣):

ويتضمن خصائص الجيش العقائدي ومسؤولية القيادة العليا ومعرفة خطط العدوّ.

إنَّ هذا الأمْرَ لمْ يكُنْ نَصْرُهُ ولا خِذْلانُهُ بكَثْرَةٍ ولا قِلَّةٍ(٤)، وهُوَ دِينُ الله الَّذِي أظْهَرَهُ، وجُنْدُهُ الَّذِي أعَدَّهُ وأمَدَّهُ(٥)، حتى بَلَغَ ما بَلَغ، وطَلَعَ حَيْثُ(٦) طَلَعَ، ونحْنُ على مَوْعُودٍ منَ اللهِ، واللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وناصِرٌ جُنْدَهُ.

(١ / ط - ١٤٦) **الجيش العقائدي:**

ان الجيش العقائدي الذي يدعو اليه الاسلام يعطي الأوّل:وية للرؤية الواضحة في اهداف المحاربين، وتعتمد على ايمانها بعدالة قضيتها، واشار الامام إلىٰ ذلك بقوله:

١ ـ (إن هذا الأمر) وهو دين الاسلام في مبادئه ووسائله واهدافه

٢ ـ (لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلّة) فإنّ الكثرة والقلّة صفات مادية، والمحارب على عقيدة ثابتة لقضية عادلة لا يتحرك بهما كما يتحرك بالرؤية الواضحة للامور والاهداف

٣ ـ (وهو دين الله الذي أظهره) على المجتمع، وجعل نور الهداية عالية على الشعوب المستضعفة في الارض، كما قال تعالى:﴿ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون﴾

٤ ـ (وجنده الذي أعده وأمده) فإنّ النصر من عند الله سبحانه الذي اعد جند الدين وامدّهم بما يفتقرون اليه، واهم ذلك الرؤية الواضحة

٥ ـ (حتى بلغ ما بلغ) الدين من القوة ضدّ اعدائه من المشركين العرب وغيرهم

٦ ـ (وطلع حيث طلع) بالحكم خارج الجزيرة العربية من سائر البلاد والعرب من سائر الامم والملل، فاعتنقوه لما وجدوا فيه من العدالة، ولم يرجع احد من هذه القوميات

---

(١) لم ترد «ابن الخطاب» في أ وص.

(٢) في أ و ط: في غزو الفرس.

(٣) في هـ. ص: قيل في غزاة القادسية. وقيل في غزاة نهاوند، وعلى كلا القولين فإنّ عمر عمل على رأيه عليه السلام، تمت من الشرح.

(٤) في أ وب ط: ولا بقلة، وفي هـ. د، ولا قلة ـ ن ب.

(٥) في هـ. د: أعزّه وأيّده ـ حاشية م.

(٦) في ط ود: حيثما، وفي هـ. د: حيث ـ ش.

المختلفةديانتها السابقة، واشار إلىٰ الاسباب الرئيسية لهذه النتائج بقوله:

٧ ـ (ونحن على موعود من الله) فإنّ اول علائم الجيش الاسلامي العقائدي: الايمان بالوعد الالهي للمقاتل ﴿وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا﴾[١].

٨ ـ (والله منجز وعده) وهو الثانية من العلائم، وهو الايمان بان الله سبحانه ﴿لا يخلف الميعاد﴾[٢].

٩ ـ (وناصر جنده) وهذا الثالثة من العلائم، وهو الايمان بانّ الله الناصر دون غيره كما قال :﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾[٣].

فان كلا من العلائم الثلاث تدل على اصل للايمان بالله الواحد القهار.

(٢ / ط ـ ١٤٦) القيادة العليا:

ومكانُ الْقَيِّمِ[٤] بالأمْرِ مكان النِّظامِ[٥] مِنَ الخَرَزِ، يَجْمَعُهُ ويَضُمُّهُ. فإنْ[٦] اْنْقَطَعَ النِّظامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ[٧]، ثمَّ لمْ يَجْتَمِعْ بِحَذافِيرِهِ[٨] أبَداً.

والْعَرَبُ الْيَوْمَ وإنْ كانُوا قَلِيلاً فهُمْ كَثيرُونَ بالإِسلْاَمِ، عَزِيزُون[٩] بالإجتماع، فكُنْ قُطْباً واسْتَدِرِ الرَّحى بالْعَرَبِ، وأصْلِهِمْ[١٠] دونَكَ نارَ الحَرْبِ؛ فإنّكَ إنْ شَخَصْتَ[١١] منْ هذِهِ الأرْضِ اْنْتَقَضَتْ عليْكَ الْعَرَبُ منْ أطْرَافِها وأقْطَارِها، حتى يكُونَ مَاتَدَعُ ورَاءَكَ منَ الْعَوْرَاتِ[١٢] أهَمَّ إليْكَ ممَّا بينَ يَدَيْكَ.

---

(١) النور: ٥٥.
(٢) الرعد :٣١.
(٣) سورة محمّد: ٧.
(٤) في هـ. ب: هو قائم بإصلاح أمر على الاستمرار.
(٥) في هـ. ص: هو الخيط، ويقال له : السلك.
(٦) في ط ود: فإذا.
(٧) في ط : تفرق الخرز وذهب، وفي هـ. د: تفرق الخرز وذهب ـ ض ب.
(٨) في هـ. ب: حذافير الشيء: أعاليه، يقال: أعطاه الدنيا بحذافيرها: أي بأسرها، الواحدة: حذفار، وفي هـ. ص: هي أعالي الشيء ونواحيه واحدها: حذفار. من الشرح.
(٩) في ب وص: وعزيزون.
(١٠) في هـ. ب: أي اجعلهم يصلون نار الحرب ويحترقون بها، وفي هـ. ص: أي إجعلهم صالين لها مقاسين لحرّها وشدّتها.
(١١) أي خرجت.
(١٢) في هـ. ص: هي الأحوال التي يخاف انتقاضها في ثغر أو حرب، من الشرح.

وخليفة المسلمين هو القائد الاعلى للقوات المسلحة وعليه مسؤوليات القيادة، فيجب أن يكون محفوظاً ومصونا، وقد اشار إلىٰ أهميّة هذا الدور القيادي، وانه يجب ان يكون في موقع بعيد عن مواقع العدو، بقوله:

١ ـ (ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمّه، فإن انقطع النظام تفرّق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا) فإنّ من واجبات القائد أن يشرف على النظام والجيش لكي يؤدي كل دوره المسؤول بالنظام، فيجمع المسلمسين على الامر الذي فيه مصلحة الاسلام والمسلمين، كما يجمع الخيط الخرز التي توصل بعضها إلىٰ الاخر بنظام معين، فاذا انقطع ذلك الخيط تفرط كلّ شيء، ومهما يحاول الاخرون في جمعها على النظام السابق قبل الانفراط فلا ينجحون كليا؛ لاستحالة اعادة ما تفرط، وان ما يحصل من جديد هو امر جديد يخضع لنظام جديد ويفتقر إلىٰ فترة لتثبت القيادة حكمتها في القيام بالمسؤولية، واعادة النظام.

٢ ـ (والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام وعزيزون بالاجتماع) حيث أنّ العرب في عهد الخليفة الثاني (رض) وان كانوا من الناحية العددية قليلين بالنسبه إلىٰ أعدائهم الذين تكوّنوا من قوميات مختلفة، ولكن هذه القلة لها صفتان اساسيتان يفتقر اليها أي نصر عسكري، هما:

أوّلاً: العقيدة والرؤية الواضحة (فهم كثيرون بالاسلام) الذي يدعوا إلىٰ الشهادة في سبيل الله حتى النصر

ثانيا: الوحدة في الموقف (عزيزون بالاجتماع) لوحدة الجيش العقائدي في الحرب في سبيل الله.

واسناداً إلىٰ ما تقدم، اقترح الامام الاخذ بزمام المسؤولية في القيادة العسكرية من دون اخلاء مركز القيادة بالنقاط ثلاث:

الأوّل: (فكن قطبا) حيث توجه الاوامر القيادية إلىٰ الجيش

الثاني: (واستدر الرحى بالعرب) وهم الجيش المشارك الذي كان يديره الخليفة الثاني باعتباره قائداً عسكريا كما تدار الرحى، وهي آلة لطحن الحنطة دقيقاً صالحا للاستخدام

الثالث: (وأصلهم دونك نار الحرب) فالتوجيهات من القيادة العليا تكون إلىٰ الجيش، والجيش يقوم بدوره العسكري في احراق العدوّ بنار الحرب. والصلي: الحرّ الحاصل بسبب نار الحرب

وفي هذه الصورة يكون الخليفة يؤدي دوره القيادي بالتركيز عليه من دون مباشرة

في الحرب بنفسه.

وذكر السبب في المنع من المشاركة بنفسه بقوله:

(فإنك ان شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك ممّا بين يديك) فإنّ مباشرة الخليفة للحرب بنفسه في الوقت الذي يجعله قريبا من المعركة ولكن في نفس الوقف يجعل مركز القيادة والمسؤولية شاغرا، فينتفض اصحاب الاطماع من العرب في اطراف المدينة واقطار الدولة ويعلن كلّ واحد نفسه خليفة، ولا تخلو حالات الحرب من المنافقين كما هو واضح في تاريخ الامم، وهذه عورة ومشكلة يجب تداركها قبل حصولها؛ لان حصولها حين يمون القائد في ساحة الحرب تقلب الأوّل:وية إلىٰ المحافظة على مركز القيادة؛ لانها اهم من محاربة الاعداء الذين يواجههم الخليفة الآن، وهو محاربة العدوّ الخارجي.

(٣/ط - ١٤٦) خطّة العدوّ:

إنَّ الأَعاجِمَ إنْ يَنْظُرُوا إليْكَ غَداً يَقُولُونَ هذا أَصْلُ الْعَرَبِ فإِذا اقتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ[1]، فيكُونُ ذلِكَ أَشَدَّ لِكلَبِهِمْ[2] عَلَيْكَ وطَمَعِهِمْ فِيكَ.

فأَمَّا ما ذَكَرْتَ منْ مَسيرِ الْقَوْمِ إلى قِتالِ المُسْلِمينَ؛ فإِنَّ اللهَ سُبْحانهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسيرِهِمْ مِنْكَ، وهوَ أَقْدَرُ على تَغْيِيرِ مَا يكْرَهُ.

وأَمَّا ما ذَكَرْتَ منْ عَدَدِهِمْ، فإِنَّا لمْ نَكُنْ نُقاتِلُ فِيما مَضَى بالْكَثْرَةِ، وإِنَّما كُنَّا نُقاتِلُ بالنَّصْرِ والمَعُونَةِ.

ومن اهم عوامل النصر في الحرب معرفة خطط العدوّ الواقعية والمحتملة، وقد وقف الخليفه الثاني على أهداف العدو الواقعية بواسطة العيون، وانه يريد الحرب، واشار الامام إلىٰ خطة محتملة هي استدراج العدوّ القائد العسكري للدخول في ساحة المعركة، والقضاء عليه في الساحة، فإنّ ذلك يزعزع روح المقاومة عند المسلمين ويدعو الملسمين إلىٰ المسالمة ريثما يحصلوا على خليفة آخر جديد، فقال:

١ ـ (إن الأعاجم ان ينظروا إليك غدا) وانت في ساحة الحرب

٢ ـ (يقولوا: هذا أصل العرب) باعتباره القائد الأعلى لقوّات المسلمين.

٣ ـ (فإذا قطعتموه استرحتم) لان الجيش يصح بدون قيادة ولو لفترة من الزمن.

---

(١) في هـ. د: استرحتم منه ـ م.

(٢) في هـ. ب: أي شدّتهم، وفي هـ. ص: هو الشرّ والأذى، من الشرح.

ونتيجة هذه النظرة أن يتخذوا خطة للقضاء على القيادة في الساحة، في حين أنّ وجود القيادة في حصانة يمنعهم عن هذا التفكير، فقال:

٤ ـ (فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك) بسبب تواجدك في الساحة، حيث يقومون بالهجوم كلّ قوة وضراوة للقضاء عليك باعتبارك الخليفة، ويطمعون في التخطيط لاغتيالك.

ثم اشار في الجواب إلىٰ ما ذكره الخليفة الثاني (رض) وهو ممّا لم يذكره الشريف الرضي نصا، وهو امران:

الامر الأوّل: (فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين) وطبيعيّ أنّ القرار الجازم من الخليفة الثاني يوجب القلق لكل المسلمين بما فيهم القائد الاعلى الذي اوجب هذه المشورة

فأجاب الامام عليه السلام بان هذا القلق لا يؤثّر في الجيش العقائدي، وانما يؤثر في جيش المرتزقة، وبما أنّ الجهاد في الاسلام من العقيدة وهو فرض على كلّ من يتمكّن منه ، فلا خوف على الجيش الاسلامي العقائدي لأمرين:

أوّلاً: (فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك) والله يجعل النصر لمن ينصر دينه.

ثانيا: (وهو أقدر على تغيير ما يكره) لانه على كلّ شئ قدير، فاذا كانت المصلحة الالهية في النصر لتحقق النصر.

الامر الثاني: (وأما ما ذكرت من عددهم) حيث ذكر الخليفة الثاني كثرة عدد العدوّ الزاحف ضد المسلمين، ممّا اوجب الفزع واقتضى المشورة لمواجهته في جبهة موحدة، علق الامام على ذلك مشيراً إلىٰ الاصل الاصيل في الجيش العقائدي الاسلامي، وهو الرؤية الواضحةالاستشهاد في سبيل الله لنيل احدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، فقال عليه السلام:

(فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة) وتاريخ الاسلام والسيرة النبوية صريحة بأن ﴿كَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [١]

وحيث لم يمكن التحرك على اساس مادي فلا تأثير للقلة والكثرة فيه، بل العمل بالواجب المسؤول كما اراد الله سبحانه، وانما النصر والعون من الله سبحانه، ومن استعان

---

(١) البقرة: ٢٤٩.

بغير الله ذل و﴿إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(١)

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[يوم القادسية]

واعلم أنّ هذا الكلام قد اختلف في الحال التي قاله فيها لعمر ، فقيل : قاله له في غزاة القادسية ، وقيل في غزاة نهاوند . وإلى هذا القول الأخير ذهب محمّد بن جرير الطبري في "التاريخ الكبير" ، وإلى القول الأول ذهب المدائني في كتاب "الفتوح" ، ونحن نشير إلى ما جرى في هاتين الوقعتين إشارة خفيفة على مذهبنا في ذكر السير والأيام . فأمّا وقعة القادسية فكانت في سنة أربع عشرة للهجرة ، استشار عمر المسلمين في أمر القادسية ، فأشار عليه علي بن أبي طالب في رواية أبي الحسن علي بن محمّد بن سيف المدائني ألا يخرج بنفسه ، وقال: إنك إنّ تخرج لا يكن للعجم همه إلا استئصالك ، لعلمهم أنك قطب رحا العرب ، فلا يكون للاسلام بعدها دولة . وأشار عليه غيره من الناس أنّ يخرج بنفسه ، فأخذ برأي علي عليه السلام».(٢)

وقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) أيضاً، ما نصّه:

[يوم نهاوند]

فأمّا وقعة نهاوند ، فإن أبا جعفر محمّد بن جرير الطبري ذكر في كتاب التاريخ ، أنّ عمر لمّا أراد أنّ يغزو العجم وجيوش كسرى وهي مجتمعة بنهاوند ، استشار الصحابة ، فقام عثمان فتشهد ، فقال: أرى يا أمير المؤمنين تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم ، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين : البصرة والكوفة ، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ، فإنك إذا سرت بمن معك ومن عندك ، قل في نفسك ما تكاثر من عدد القوم ، وكنت أعز عزا وأكثر ، إنك لا تستبقي من نفسك بعد اليوم باقية ، ولا تمتع من الدنيا بعزيز ، ولا تكون منها في حرز حريز . إنّ هذا اليوم له ما بعده ، فاشهد بنفسك ورأيك وأعوانك ، ولا تغب عنه . قال: أبو جعفر : وقام طلحة ، فقال: وأمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فقد أحكمتك الأمور ، وعجمتك البلايا ، وحنكتك التجارب ، وأنت وشأنك ، وأنت ورأيك ، لا ننبو في يديك ، ولا نكل أمرنا إلا إليك ، فأمرنا نجب ، وادعنا نطع ، واحملنا نركب ، وقدنا ننقد ، فإنك ولى هذا الامر

(١) سورة محمّد صلى الله عليه واله: ٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٩٦ ـ ٩٧.

، وقد بلوت وجربت واختبرت ، فلم ينكشف شيئ من عواقب الأمور لك إلا عن خيار . فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : وأمّا بعد ، فإن هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، إنما هو دين الله الذي أظهره ، وجنده الذي أعزه وأمده بالملائكة ، حتى بلغ ما بلغ ، فنحن على موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناصر جنده ، وإن مكانك منهم مكان النظام من الخرز ، يجمعه ويمسكه ، فأن انحل تفرق ما فيه وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا ، والعرب اليوم وإن كانوا قليلا ، فإنهم كثير عزيز بالاسلام ، أقم مكانك ، واكتب إلى أهل الكوفة ، فإنهم أعلام العرب ورؤساؤهم ، وليشخص منهم الثلثان ، وليقم الثلث ، واكتب إلى أهل البصرة أنّ يمدوهم ببعض من عندهم ، ولا تشخص الشام ولا اليمن ، إنك إنّ أشخصت أهل الشام من شامهم ، سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ، ومتى شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أقطارها وأطرافها ، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك ممّا بين يديك من العورات والعيالات . إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا : هذا أمير العرب وأصلهم ، فكان ذلك أشد لكلبهم عليك . ووأمّا ما ذكرت من مسير القوم ، فإن الله هو أكره ليرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ، ووأمّا ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وإنما كنا نقاتل بالصبر والنصر . فقال: عمر : أجل ! هذا الرأي ، وقد كنت أحب أنّ أتابع عليه ، فأشيروا على برجل أوليه ذلك الثغر . قالوا : أنت أفضل رأيا ، فقال: أشيروا علي به ، واجعلوه عراقيا ، قالوا : أنت أعلم بأهل العراق ، وقد وفدوا عليك ، فرأيتهم وكلمتهم . قال: وأمّا والله لأولين أمرهم رجلا يكون عمدا لأول الأسنة ، قيل : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: النعمان بن مقرن ، قالوا : هو لها . وكان النعمان يومئذ بالبصرة ، فكتب إليه عمر ، فولاه أمر الجيش . قال: أبو جعفر : كتب إليه عمر : سر إلى نهاوند ، فقد وليتك حرب الفيروزان – وكان المقدم على جيوش كسرى – فإن حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان ، فإن حدث به حدث ، فعلى الناس نعيم بن مقرن ، فإن فتح الله عليكم فاقسم على الناس ما أفاء الله عليهم ، ولا ترفع إلى منه شيئا ، وإن نكث القوم فلا تراني ولا أراك ، وقد جعلت معك طليحة بن خويلد ، وعمرو بن معد يكرب ، لعلمهما بالحرب ، فاستشرهما ولا تولهما شيئا». [١]

قال الجلالي: لا ادري لماذا ذهب الشارح إلىٰ التعرض لاختلاف الحال التي قالها فيها

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٩٩ ـ ١٠١.

عمر؛ فإنّ النص المروي في نهج البلاغة اقرب إلىٰ الرواية الثانية دون الأولى، وهذا لا ينافي تعدد المشورة في التاريخين، اي يوم القادسية، في السنة الرابعة عشر للهجرة، ويوم نهاوند في السنة السابعة من خلافة عمر، الموافق للسنة الثامنة عشر للهجرة، وذلك لكثرة مشاورة الخليفة للامام علي عليه السلام حتى قال: «لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن»، وراجع المادة في المعجم.

على انّه (ره) لم يذكر رواية ثالثة هي اولى بالذكر منهما، وهي رواية الشيخ المفيد (ت /٤١٣ هـ) في كتابه الارشاد، وتكاد تطابق رواية الرضي في نهج البلاغة نصاً.

وتكشف الرواية عن امور هامة تتعلق بالنص، اليك توضيحها بالاجمال:

أوّلاً: تتضمن ذكر السبب لاستشارة الخليفة الثاني، وهو قوله: «تكاتبت الاعاجم من أهل همدان واهل الري واصبهان وقومس ونهاوند ـ إلىٰ قوله : ـ فتعاقدوا على هذا وتعاهدوا عليها».

ثانيا: قول الامام: «فأما ما ذكرت من مسير القوم إلىٰ قتال المسلمين» ما ينقضه قول الخليفة الثاني ونصه: «قد تعاهدوا وتعاقدوا أن يخرجوا من بلادكم اخوانكم من المسلمين ويخرجوا اليكم فيغزوكم في بلادكم»، وهذا لم يرد في الروايتين المتقدمين نصا.

ثالثا: قول الامام:«واما ما ذكرت من عددهم» ما تعقبه قول الخليفة الثاني ونصه: «الا أنّهمدان واهل اصبهان واهل الري وقومس ونهاوند مختلفة ألسنتها وألوانها وأديانها قد تعاهدوا وتعاقدوا»، وهذا ممّا قد ورد نصا في الرواية الثالثة فقط، دون الروايتين الأوّلتين.

والمظنون قويا أنّ الشريف الرضي اعتمد على رواية المفيد، وقد ذكرت النصوص في مسند نهج البلاغة، فراجع.

ونصّ الرواية الثالثة، بالاسناد إلىٰ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد (ت /٤١٣هـ) قال:«فصلٌ، ومما جاء عنه عليه السلام في معنى القضاء وصواب الرأي وإرشاد القوم إلى مصالحهم وتداركه ما كان يفسد بهم لولا تنبيهه على وجه الرأي فيه ما حدث به شبابة بن سوار عن أبي بكر الهذلي قال: سمعت رجالا من علمائنا يقولون : تكاتبت الأعاجم من أهل همدان وأهل الري وإصبهان وقومس ونهاوند ، وأرسل بعضهم إلى بعض أنّ ملك العرب الذي جاءهم بدينهم وأخرج كتابهم قد هلك – يعنون النبيّ صلى الله عليه وآله – وأنه ملكهم من بعده رجل ملكا يسيرا ثم هلك – يعنون أبا بكر ثم قام بعده آخر قد طال عمره حتى تناولكم في بلادكم وأغزاكم جنوده – يعنون عمر بن الخطاب – وأنه غير منته عنكم حتى تخرجوا من

في بلادكم من جنوده ، وتخرجوا إليه فتغزوه في بلاده ، فتعاقدوا على هذا وتعاهدوا عليه ، فلما انتهى الخبر إلى من بالكوفة من المسلمين أنهوه إلى عمر بن الخطاب ، فلما انتهى إليه الخبر فزع لذلك فزعا شديدا ، ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: معاشر المهاجرين والأنصارالشيطان قد جمع لكم جموعا وأقبل بها ليطفئ بها نور الله ، ألا إنّ أهل همدان وأهل إصبهان وأهل الري وقومس ونهاوند مختلفة ألسنتها وألوانها وأديانها قد تعاهدوا وتعاقدوا أنّ يخرجوا من بلادهم إخوانكم من المسلمين ، ويخرجوا إليكم فيغزوكم في بلادكم ، فأشيروا على وأوجزوا ولا تطنبوا في القول ، فان هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، فقام طلحة بن عبيد الله وكان من خطباء قريش فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين قد حنكتك الأمور ، وجرستك الدهور ، وعجمتك البلايا ، وأحكمتك التجارب ، وأنت مبارك الامر ، ميمون النقيبة ، وقد وليت فخبرت ، واختبرت وخبرت ، فلم تنكشف من عواقب قضاء الله إلا عن خيار ، فاحفر هذا الامر برأيك ولا تغب عنه ، ثم جلس . فقال: عمر : تكلموا ، فقام عثمان بن عفان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: وأمّا بعد يا أمير المؤمنين فاني أرى تشخص أهل الشام من شامهم وأهل اليمن من يمنهم وتسير أنت في أهل هذين الحرمين وأهل المصرين الكوفة والبصرة ، فتلقى جميع المشركين بجميع المؤمنين ، فإنك يا أمير المؤمنين لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية ، ولا تمتع من الدنيا بعزيز ، ولا تلوذ منها بحريز ، فأحضره برأيك ولا تغب عنه ، ثم جلس . فقال: عمر : تكلموا ، فقال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : الحمد لله – حتى أتمّ التحميد والثناء على الله والصلاة على رسوله ﷺ – ثم قال: وأمّا بعد فإنك إنّ أشخصت أهل الشام من شامهم سارت أهل الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإن أشخصت من هذين الحرمين انتقضت عليك العرب من أطرافها وأكنافها ، حتى تكون ما تدع وراء ظهرك من عيالات العرب أهم إليك ممّا بين يديك ، فأمّا ذكرك كثرة العجم ورهبتك من جموعهم فإنا لم نكن نقاتل على عهد رسول الله ﷺ بالكثرة ، وإنما كنا نقاتل بالبصيرة ، ووأمّا ما بلغك من اجتماعهم على المسير إلى المسلمين فإن الله لمسيرهم أكره منك لذلك ، وهو أولى بتغيير ما يكره ، وإن الأعاجم إذا نظروا إليك قالوا : هذا رجل العرب ، فإن قطعتموه قطعتم العرب ، وكان أشد لكلبهم وكنت قد ألبتهم على نفسك ، وأمدهم من لم يكن يمدهم ، ولكني أرى أنّ تقر هؤلاء في أمصارهم وتكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا على ثلاث فرق ، فلتقم فرقة على ذراريهم حرسا لهم ، ولتقم فرقة على أهل عهدهم لئلا ينتقضوا ، ولتسر فرقة منهم إلى

إخوانهم مددا لهم : فقال: أجل هذا الرأي ، وقد كنت أحب أنّ أتابع عليه ، وجعل يكرر قول أمير المؤمنين عليه السلام وينسقه إعجابا به واختيارا له . قال: الشيخ المفيد رحمه الله : فانظروا أيدكم الله إلى هذا الموقف الذي ينبئ بفضل الرأي ، إذ تنازعه أولو الألباب والعلم ، وتأملوا في التوفيق الذي قرن الله به أمير المؤمنين في الأحوال كلها ، وفزع القوم إليه في المعضل من الأمور ، وأضيفوا إلى ذلك ما أثبتناه عنه من القضاء في الدين الذي أعجز متقدمي القوم حتى اضطروا في علمه إليه ، تجدوه من باب المعجز الذي قدمناه ، والله ولي التوفيق». [١]

(١) الإرشاد: ١٩٨ ـ ٢٠١،ط / ١٣٤٦ طهران، وراجع: بحار الأنوار ٤٠ : ٢٥٣ – ٢٥٥، ح ٢٨.

[١٤٧]

ومن خطبة له عليه السلام:

يتضمن بعثة الرسول الاعظم وانحراف المسلمين عن الرسالة وتقويم الانحراف والنصيحة لله ودور العلماء.

فَبَعَثَ مُحَمَّداً[(١)] صلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ بالْحقِّ لِيُخْرِجَ عِبادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأوْثانِ[(٢)] إلى عِبَادَتِه، ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطانِ إلى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ[(٣)]، قدْ بَيّنَهُ وأحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ[(٤)] الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إذْ جَهَلُوهُ، ولِيُقِرُّوا بهِ بعد إذ[(٥)] جَحَدُوهُ، وليُثْبِتُوه بعْدَ إذْ[(٦)] أنْكَرُوهُ، فَتَجلَّى[(٧)] لَهُمْ سبْحانهُ[(٨)] في كِتابِهِ منْ غيرِ أنْ يكُونُوا[(٩)] رَأوْهُ بما أرَاهُمْ منْ قُدْرَتِهِ، وخَوَّفَهُمْ منْ سَطْوَتِه، وكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بالمَثُلَاتِ[(١٠)]، واحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بالنَّقَماتِ.

(ط ـ ١٤٧/١) الغاية من البعثة:

سرد الامام من آثار البعثة المحمدية في الحياة العامة، حيث طبق الرسالة الالهية على الارض، واشار من تلك الاثار بقوله:

١ ـ (فبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق) فإنّ رسالته هي الحق الذي يعلو ولا يُعلى عليه، والهدف من ذلك:

٢ ـ (ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته) حيث أنّ عبادة الوثن عبادة من لا يستحق العبادة، ولا ينبع ذلك إلّا من الجهل بالحق، فاذا عرف الانسان المكرم بالعقل ما هو الحق اخذه، كفاقد النور حينما يجده.

٣ ـ (ومن طاعة الشيطان إلى طاعته) حيث أنّ الشيطان انما يدعوا إلىٰ العداوة

---

(١) في ب: فبعث الله محمّداً، وفي هـ. د: فبعث الله محمّداً ـ ص ح ش.

(٢) في هـ. ص: جمع وثن، وهو الصنم، ويجمع ـ أيضاً ـ على وثن وسمّى به لانتصابه وثباته على حالة واحدة، انتهى من الشرح.

(٣) في هـ. ب: أي ليخرج بقرآن.

(٤) في هـ. ب: قد بيّنهُ ليعلم، اللام متعلّق ببينه.

(٥) في ص: «ان» وفي هـ. ص، في نسخة: إذ.

(٦) في ص: ان.

(٧) في هـ. ب: أي ظهر بدلائل القرآن، وتقديره، فتجلّى بما أراهم.

(٨) في هـ. ب: فتجلى سبحانه لهم، وفي هـ. د: فتجلى سبحانه لهم ـ ش.

(٩) في هـ. د: لم ترد «يكونوا» في ف.

(١٠) في هـ. ب: محق: هلك من هلك بالعقوبات: بالنقمات أو البلايا والشدائد.

والبعضاء والفساد، وطاعة الله سبحانه انما يدعوا إلىٰ العدالة في الارض.

وعن اسلوب الدعوة في البعثة النبوية قال:

٤ ـ (بقرآن قد بيّنه وأحكمه) فقد كانت سيرة النبيّ ﷺ بياناً لمبادئ القرآن، واحال الى مناسبة في تحكيم القرآن الكريم في حياة الامة.

٥ ـ (ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه) باتباعهم العادات الموروثة من دون وعي وعلم.

٦ ـ (وليقرّوا به إذ جحدوه) لجهلهم وبعد البعثة حصل لهم العلم فقرّوا به كتابا هاديا

٧ ـ (وليثبتوه بعد إذ أنكروه) والاثبات: جعله مستقراً بالاعتراف به بعد ان انكروه جهلا بحقائقه بعبادة الاوثان.

٨ ـ (فتجلى سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه) لما تضمن القرآن الكريم من صفات الله سبحانه الثبوتية والسلبية، واشار إلىٰ القدرة الالهية العليا التي تجلت وايات كثيرة من القرآن موكدا على اربع نقاط هي:

أوّلاً: (بما أراهم من قدرته) في الآفاق والأنفس في الانسان والحيوان والنبات.

ثانيا: (وخوفهم من سطوته) على من مرتكب المحرمات في الارض، وعاقبته في الدنيا والاخرة.

ثالثا: (وكيف محق من محق بالمثلات) اي الحدود الشرعية عقابا بالمثل لما ارتكب من المحرمات.

رابعا: (واحتصد من احتصد بالنقمات) كما يحصد الزرع فلم يبق لهم اثر محسوس في التاريخ، وهو خير شاهد على بوار الظالمين.

(٢ / ط ـ ١٤٧) الانحراف عن الاسلام:

وإنَّهُ سَيَأتي عَلَيْكُمْ منْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فيهِ شيءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، ولا أَظْهَرَ منَ الْباطِلِ. ولا أكثَرَ منَ الْكَذِبِ على اللهِ ورَسُولِهِ، وليْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ[١] منَ الْكِتابِ إذا تُلِي حَقَّ تِلاَوَتِهِ، ولا أَنْفَقُ[٢] منْهُ إذا حُرِّفَ[٣] عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ المَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَناسَاهُ حَفَظَتُهُ، فالكِتابُ يَوْمَئِذٍ وأَهْلُهُ[٤] مَنْفِيَّان[٥] طَرِيدَانِ، وصاحِبانِ مُصْطَحِبانِ في طَرِيقٍ واحِدٍ

---

(١) في هـ. أ: أكسد، وفي هـ. ب: أكسد، أفعل، من بار المتاع: إذا كسد.

(٢) أي أكثر رواجاً.

(٣) في هـ. ب: غيّر.

(٤) في هـ. ب: إشارة إلىٰ قول النبيّ ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي».

لايُؤْويهِما[٦] مُؤْوٍ، فالكِتابُ وأَهْلُهُ في ذَلِكَ ٱلزَّمانِ في النَّاسِ ولَيْسَا فِيهِمْ ومَعَهُمْ وليسامعهم؛ لأَنَّ ٱلضَّلَالَةَ لا تُوَافِقُ الْهُدَى وإِنِ ٱجْتَمَعا، فاجْتَمَعَ[٧] الْقَوْمُ عَلى الْفُرْقَةِ، وافْتَرَقُوا عن الْجَماعَةِ، كأَنَّهُمْ أَئمَّةُ الكِتابِ ولَيْسَ الكِتابُ إمامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ[٨] إِلَّا اسمهُ، ولا يَعْرِفُونَ إلّا خَطَّهُ وزَبْرَهَ[٩]، ومنْ قَبْلُ ما مَثَّلُوا[١٠] بالصَّالِحينَ كُلَّ مُثْلَةٍ[١١]، وسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلى اللهِ فِرْيَةً[١٢]، وجَعَلَوا في الحَسَنَةِ عُقُوبَةَ[١٣] السَّيِّئَةِ.

ان المبادئ الحقيقية تهددها الانحراف من مختلف الجهات، وآخرها الانحراف من الداخل بتشويه المفاهيم، وقد اخبر الامام بحكم تجربته التاريخية أنّ ذلك يقع حينما يغيب عن المجتمع الاسلامي من يسهر على مواصلة اهداف البعثة النبوية، وليس اولى بها ممن عاشها منذ فجر الاسلام، فتنبأ الامام عليه السلام عما يحصل بعد فقده بالموت بسرد اوصاف المجتمع الاسلامي الذي يطغى عليه الانحراف، وهي:

(وإنه سيأتي عليكم من بعدي) وليس في حياة الامام نفسه، حيث أنّ وجوده بالذات يكون سدا مانعا من الانحراف وما بعده، والانحراف لا مانع له، ونتيجة ذلك الصفات التالية:

١ ـ (زمان ليس فيه شئ أخفى من الحق) لان العدوّ الداخلي يشوّه المفاهيم الاسلامية ولطفى السنة النبوية.

٢ ـ (ولا أظهر من الباطل) حيث يظهر على الحق فيكون غالباً فيختفي الحق وان كان لا يموت.

---

(٥) في ط: طريدان منفيّان، وفي هـ. د: طريدان منفيان ـ ضٍ ح ب.
(٦) في هـ. ب: من آويت الغريب: إذا ضممته إليّ مكرّماً فأنـا مـؤوٍ. لايـؤويهما: أي لا يشـفق عليهما مشفق.
(٧) في هـ. د: واجتمع ـ ف ن.
(٨) لم ترد «منه» في أ وص.
(٩) الزبر: مصدر كتب، وفي هـ. ب: الزبر: الكتب، وفي هـ. ص: هو مصدر زبرت أزبر ـ بالضم ـ أي كتبت، وجاء «إزبر» بالكسر، من الشرح.
(١٠) في هـ. ب: من المثلة، و«ما» يجوز أن تكون مصدرية، ويجوز أن تكون موصولة، والأوّل أحسن، وفي هـ. ص: بالتخفيف: نكلوا بهم، ومن روى: «مـثّلوا» بـالتشديد أراد جـدعوهم بـعد قتلهم. من الشرح.
(١١) في هـ. ب: عقوبةٍ.
(١٢) بالكسر، أي: كذباً، وفي هـ. ب: كذبا.
(١٣) في ب ود: العقوبة، وفي هـ ب : عقوبة السيئة، على الاضافة أحسن، وفي هـ د: عقوبة السيئة ـ ف ن ض خ.

٣ ـ (ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله) فكثرة الأحاديث المروية على لسان الرسول من صفات ذلك الزمان، فاذا كثر الكذب في حياة الرسول فكيف بما بعده؟ فقد تواتر قوله: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار». راجع الماده في المعجم.

٤ ـ (وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته) والبور: الهلاك، ففي تفسير القرآن الكريم تفسيرا حقيقيا يكون الهلاك.

٥ ـ (ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه) فتكون سلعة رائجة عند تفسير القرآن بما يرضي اصحاب الشهوات بتحريف مفاهيمه.

٦ ـ (ولا في البلاد شئ أنكر من المعروف) فيصبح المعروف منكرا في المجتمع.

٧ ـ (ولا أعرف من المنكر) حيث يصبح المنكر الاسلامي معروفاً عند الناس، يستأنس به، واشار إلىٰ السبب في ذلك بقوله:

٨ ـ (فقد نبذ الكتاب حملته) حيث انهم يحملون القرآن معهم إلىٰ المساجد والمدارس، ولكنهم في نفس الوقت لا يطبقون احكامه في حياتهم.

٩ ـ (وتناساه حفظته) بالرغم من كثرة حفاظ القرآن بالاساليب المتجددة التي تطرب السامعين، ونسي هولاء العمل به مع الحفظ، ونتيجة ذلك أمران:

١٠ ـ (فالكتاب يومئذ وأهله منفيان) لان الحملة والحفاظ ليسوا من أهل القرآن، فيصبح القرآن وحيدا طريداً عن الاخرين أو منفيا من المجتمع الاسلامي.

١١ ـ (وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤوٍ) لان الحملة والحفاظ يصحبون القرآن بالعمل والحفظ في طريق واحد، ولكن المجتمع لايؤويهما معاً، بل يأوي الحافظ لحفظه وسماع صوته فقط، ولايأوي الحامل لحمله فقط.

١٢ ـ (فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم) لانهما موجودان، فالقرآن في المساجد والكتاب عند أهل القرآن في البيوت لا يسأل عنهم.

١٣ ـ (ومعهم، وليسا معهم) فإنّ الكتاب واهل القرآن مع الناس في صلواتهم ومساجدهم بالحضور وحين العمل والسبب في ذلك:

١٤ ـ (لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا) لانهما خطان متوازيان لا يجتمعان، وان كان احدهما يجتمع مع الاخر، وعن حقيقة هذا المجتمع، قال:

١٥ ـ (فاجتمع القوم على الفرقة) باجتماعهم على أن يفرقوا في القرآن حفظا وعملاً.

١٦ ـ (وافترقوا عن الجماعة) فلا يجتمعون على الجمع بين الحفظ والعمل.

١٧ ـ (كأنهم أئمة الكتاب، وليس الكتاب إمامهم) فهم يفرضون ارادتهم على معاني

القرآن، فيخلط الامام بالمأموم، ونتيجة انحراف كهذا:

١٨ ـ (فلم يبق عندهم منه إلّا اسمه) فيكون عند المجتمع اسم القرآن فقط، وليس واقعية القرآن بالتطبيق.

١٩ ـ (ولا يعرفون إلّا خطه) حيث يهتمون برسم القرآن المتوارث جيلا بعد جيل، فيحافظون على الرسم الكوفي أو العثماني مثلاً، من دون تدبّر لمحتويات القرآن الكريم.

٢٠ ـ (وزبره) أي كتابته، فيتسابقون في كتابة القرآن بالخطوط الحسنة أو بالذهب أو الطباعة الجيدة الفاخرة من حيث الالوان والمواد، من دون دراسة أهداف القرآن وتطبيقه في الحياة.

معرفة الانحراف:

واشار إلىٰ أنّ التنبؤ بالانحراف انّما يكون من معرفة تاريخ اصحاب الانحراف.

أوّلاً: ـ (ومن قبل) يكشف تاريخ حياتهم في الماضي وحالهم في الحاضر ما سيكون منهم في المستقبل.

ثانيا ـ (ما مثلوا بالصالحين كلّ مثلة) فإنّ اعمالهم في الماضي هو ما صدر منهم من المثلة، اي النكال بالصالحين، فلا يوجد في سجلاتهم إلّا المؤاخذات على الصالحين والتنكيل بهم مع انهم يرون اصحاب الباطل والمنكر فلا يستنكرون ذلك ، ولا يحركون ساكنا.

ثالثا ـ (وسموا صدقهم على الله فرية) فانهم يصفون صدق الذين يقومون بالاعمال الصالحة فرية على الله في حين انهم لا يقدمون عملا صادقا قط، وكأنّ واجبهم هو فقط الاعتداء على الصالحين بانواع التهم .

رابعا ـ (وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة) فانهم عن علم وعمد عوضوا الاعمال الحسنة بالسيئة وعاقبوا عليها بالاتهامات الباطلة.

فان هذا التناقض في تاريخ كلّ فرد بين الماضي والحاضر يكشف عن المستقبل.

(٣ / ط ـ ١٤٧) تقويم الانحراف:

وإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمالِهِمْ، وتَغَيُّبِ آجالِهِمْ، حَتى نَزَلَ بِهِمْ المَوْعُودُ[1] الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ المَعْذِرَةُ، وتُرْفَعُ عَنْهُ التوْبَةُ، وتَحُلُّ مَعَهُ الْقارِعَةُ[2] والنِّقْمَةُ.

(١) في هـ. ب: الموت.
(٢) أي: الداهية المهلكة.

والانحراف دائما يمكن فيه التقويم اذا درست الاسباب المساعدة له، واشار الامام إلىٰ امرين يدعوان إلىٰ الاستمرار في الانحراف وهما:

أوّلاً: طول الامل (وإنما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم) فإنّ طول الامل يسبب تأخير الواجب والتهاون في ادائه على امل اداءه في المستقبل المجهول.

ثانيا: الغفلة عن الاجل (وتغيب آجالهم) حيث أنّ الانسان بالرغم من العلم بالموت لا يتصور انه سيأتيه عاجلا، فيستمر في الانحراف مع الامل بالتوبة قبل حلول الاجل.

ولا يمكن تقويم الانحراف إلّا بضدهما، وهما: فصر الامل وذكر الأجل، واشار إلىٰ ما يوجب ذلك وهو العلم الحقيقي بان الموت لا يرحم احداً، فقال في نقاط ثلاث:

١ ـ (حتى نزل بهم الموعود) وهو الموت الذي وعده الله لكل فرد حيّ، ولا يبقى إلّا وجهه الكريم.

٢ ـ (الذي ترد عنه المعذرة) فإنّ من صفات الموت الحقيقية أنّه لا يقبل عذرا قط في رده حين حلول الاجل.

٣ ـ (وترفع عنه التوبة) فإنّ عند الموت ترفع التوبة فلا تكون مقبولة عند الموت ﴿الان وقد كفرت من قبل﴾.

٤ ـ (وتحل معه القارعة) وهي الحقيقة التي تقرع الانسان بشدة وقوة، حيث لا مفر من الموت.

٥ ـ (والنقمة) وهي عذاب الله سبحانه على الانحراف المتعمد عن الواجبات والمسؤوليات، فاذا كان الانحراف بأسباب طول الامل والغفلة عن الاجل فلا يكون التقويم إلّا بقصر الامل وتذكر الاجل.

(٤ / ط ـ ١٤٧) النصيحة لله:

أَيُّهَا النَّاسُ إنّه مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللهَ[١] وُفِّقَ، ومَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ، فإنَّ جارَ ٱللهِ آمِنٌ[٢]، وعَدُوَّه[٣] خائِفٌ[٤]، وإنَّهُ لا يَنْبَغي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فإنَّ[٥]

---

(١) في هـ. ص: أي من أطاعه علما منه إنّه لم يأمره إلّا بما هو أصلح له، ولم ينهه إلّا عمّا لا خير له فيه.

(٢) في هـ. ص: أي هو مستحق للأمن وإن خاف.

(٣) في هـ. د: وعدوّ الله ـ ب.

(٤) في هـ. ص: أي هو يعرض الهلكة وإن أمِنَ.

(٥) في هـ. د: وان ـ ف.

رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ما عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَواضَعُوا لهُ، وسَلامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ما[١] قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لهُ، فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الحَقِّ نِفارَ الصَّحِيحِ منَ الْأَجْرَبِ، والْبَارِي[٢] منْ ذِي السُّقْمِ.

فان النصيحة تنفع من يريد تقويم الانحراف في نفسه ومجتمعه، وهي في مواد، قال عليه السلام:

١ ـ (أيها الناس، إنه من استنصح الله وفق) فان اطاعة اوامر الله سبحانه يوجب التوفيق في الحياة نفسيا وروحيا؛ لان الطاعة توجب الرؤية الواضحة للامور في الحياة والسير على مقتضياتها.

٢ ـ (ومن اتخذ قوله دليلا هدي للتي هي أقوم) اقتباساً من قوله تعالى:﴿إِنَّ هٰذَا ٱلْقرآن يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٣] فان الايات القرآنية تحث على العلم والعمل على مقتضاه وتذم الجهل ومن والاه.

٣ ـ (فإن جار الله آمن) حيث انه ترك أمره اليه. ﴿أَلاَ بِذِكْرِ ٱللهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

٤ ـ (وعدوه خائف) من ذنب نفسه ومن ذنب غيره، حيث يعاملونه كما يعاملهم بالقسوة والغلبة.

٥ ـ (وإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أنّ يتعظم) فإنّ التعظيم على العظيم جهل بصفات العظمة.

٦ ـ (فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له) فإنّ واجب العظمة الحقيقية التواضع لها ممن يعرف استحقاق من اتصف بها.

٧ ـ (وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أنّ يستسلموا له) فلا تحصل السلامة من المؤاخذة إلّا بالاستسلام لله سبحانه لمن يعلم قدرة العليا الحاكمة في الكون والظاهرة لكل ذي عينين، ومن يصل إلىٰ هذه الحقيقة عن الذات المقدسة يجب عليه الموقف الصريح لتقويم الانحراف وهو قبول الحق.

٨ ـ فقال: (فلا تنفروا من الحق) لان النفرة من الحق يوجب اثارا نفسية على الانسان نفسه كما يوجب تعامل الاخرين مع الانسان بنفس الاسلوب من التعامل، فلا يكون له خير من الله لعصيانه، ولا من الناس لمعاملتهم اياه بالمثل، والمنفرة من الحق درجات اوطاؤها عدم الرغبة مع الالتزام بالعمل، وهذا ينفع من وسوسة الشيطان ولا يضر مع

---

(١) «ما» مشطوب عليها في أ.
(٢) أي المعافى من المرض.
(٣) الاسراء : ٩.

الارادة القوية، واشدها ما وصفه بقوله:

(نفار الصحيح من الأجرب ، والباري من ذي السقم) والصحيح من يتمتع بالصحة والسلامة، والجرب: مرض يسبب ظهور بثور منتشرة على الجسم، والبرؤ: العافية من المرض، والسقم: العاهة.

فان الذي يكره الحق ويرى نفسه صحيحا والحق داءً، يكون اشد نفرة من غيره الذي يجهل الامور، والمعافى من المرض الذي يرى الحق عاهة يبتعد عن الحق اكثر الابتعاد، وهذا اذا كان عن علم وعمد فانه يدل على خبث وضلالة لا خلاص منها، وان كان عن جهل وغفلة فانه تنفع فيه النصيحة.

(٥ / ط - ١٤٧) الرشد والضلال:

واعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ[١]، ولَنْ تأخُذُوا بِميثاقِ[٢] الكِتابِ حتَّى تَعْرِفُوا الذِي نَقَضَهُ، ولَنْ تَمسَّكُوا[٣] بِهِ حتّى تَعْرِفُوا الذِي نَبَذَهُ.

ان هذا المقطع يرشد إلىٰ قاعدة اصيلة في معرفة الرشد والضلال، فإنّ كلّ ضال يرى نفسه على حق، وان من يخالفه على باطل وهو ضال، والقاعدة الاصيلة هي التي تنفع من يريد التعرف على الحقيقة والعمل بها، ليكون هو الراشد ومن تركها في مقام العمل هو الضال، وحيث أنّ الحقائق الاسلامية معروفة مشروحة في الكتاب والسنة فالطريق لمعرفة الرشد والضلال هو العمل بما يطابق الكتاب والسنة النبوية، فالتي طبقها الرسول في حياته هو الرشد، وما لا يطابقهما هو الضلال، وشرح ذلك بقوله:

١ ـ (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه) فإنّ الاشياء تعرف باضدادها.

٢ ـ (ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه) فإنّ بنقض كتاب الله الذي هو ميثاق بين المسلمين وخالقهم، يبين وجوب العمل به.

٣ ـ (ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه) وبمعرفة النابذ لكتاب الله يبين ضرورة العمل به، ولا يعرف الانسان ضرورة العدل في المجتمع حتى يأتي من يظلم، فيحصل الانتباه إلىٰ ضرورة العدل، ولا يعرف قيمة احترام القانون إلّا عندما يوجد من ينقض القانون في الحياة.

---

(١) في هـ. ب: إشارة إلىٰ أنّ التولّي لأولياء الله لا يتم إلّا بالتبرئة من أعداء الله.
(٢) في هـ. ب الميثاق: هو ان لا يقولوا على الله إلّا الحقّ.
(٣) في هـ. ب: لن تعتصموا بالقرآن حتى تعرفوا من نبذه أي رمى بأحكامه.

(٦ / ط - ١٤٧) ائمة الرشد:

فالتمِسُوا ذَلِكَ منْ عِنْدِ أَهْلِهِ[١]، فإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ الجَهْلِ، هُمْ الذِينَ يُخبِرُكُم حُكمُهُمْ[٢] عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ[٣]، وَظاهِرُهُمْ عَنْ باطِنِهِمْ، لا يُخالِفُونَ الدِّينَ ولايَخْتَلفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شاهِدٌ صادِقٌ، وَصامِتٌ ناطِقٌ.

وختم المقطع بأوصاف ائمة الرشد الذين ينبغي أن يتخذهم الانسان ائمة، والاسباب الداعيةهذه المتابعة بقوله:

١ ـ (فالتمسوا ذلك من عند أهله) فلا يمكن تحصيل الرشد ممن يفقده، بل لابد من الرجوعاهل الرشد.

٢ ـ (فإنهم عيش العلم) لان العلم يعيش على الارض بهم، لانهم يحثون على طلب العلم ونشره.

٣ ـ (وموت الجهل) لانهم يدعون إلىٰ محو الامية والجهالة في الامة عامة، وبمختلف الطبقات.

٤ ـ (هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم) فانهم يطّبقون الحكم العادل في تعاملهم مع الاخرين.

٥ ـ (وصمتهم عن منطقهم) لانهم يجدون ان الصمت افضل من النطق مع من لا ينفع معه النطق.

٦ ـ (وظاهرهم عن باطنهم) لالتزامهم في السلوك العمل بالمبادئ الاسلامية في النفس والمجتمع.

٧ ـ (لا يخالفون الدين) فتتطابق اعمالهم واقوالهم وتقاريرهم الكتاب والسنة النبوية.

٨ ـ (ولا يختلفون فيه) فلا تكون رواياتهم متضاربة معهما بل توافقهما.

٩ ـ (فهو بينهم شاهد صادق) لان القرآن يشهد بصدق على استقامتهم في الدين.

١٠ ـ (وصامت ناطق) فالدين صامت في حياتهم لا يرفعون اصواتهم بالدين والقرآن، بل بالحفظ للقرآن، ولكنه ناطق فيهم حيث ينطق بتطابق اعمالهم وافعالهم مع الدين.

وهذه النقاط العشر هي اساسية في اية قيادة اسلامية مستقيمة على الدين، كما قال

---

(١) في هـ. ب: أُطلبوا من عند أهل القرآن معرفة النابذين للقرآن والناقضين لميثاقه والتاركين للرشاد، وذلك إشارة إلىٰ هلاكهم.

(٢) في أ: حلمهم، وفي هـ. ص: وذلك لأنّ الإمتحان يظهر خبيئة الإنسان، من الشرح.

(٣) في هـ. ص: لا يخفى فضل الفاضل وإن كان صامتاً، انتهى من الشرح.

تعالى:﴿واستقم كما اُمِرْتَ﴾[١]

(١) هود ١١ : ١١٢.

[١٤٨]

ومن خطبة[١] له عليه السلام في ذكر أهل البصرة:

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما[٢] يَرْجُو الأمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُوَنَ صَاحِبِهِ، لَايَمتَّانِ[٣] إِلَى ٱللهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يَمُدَّانِ[٤] إِلَيْهِ بِسَبَبٍ.

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما حامِلُ ضَبٍّ[٥] لِصاحِبِهِ؛ وَعَمَّا قَليلٍ يُكْشَفُ[٦] قِناعُهُ بِهِ[٧].

وَٱللهِ لَئِنْ أَصابُوا الَّذِي يُرِيدونَ لَيَنْتَزِعَنَّ[٨] هَذَا نَفْسَ هَذَا؛ وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا. قَدْ قامَتْ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ.

(١/١٤٨ - ط) في ذكر أهل البصرة:

مفتتح المقطع يتضمن وصف قيادات جيش البصرة في حرب الجمل عام ٣٦هـ من حيث المبادئ والاهداف والنتائج المترتبة على ذلك، حيث كانت القيادة العسكرية لكل من طلحة والزبير، ووصفها بأمور تساعدها الاعتبار، فقال:

١ ـ (كل واحد منهما يرجو الأمر له) فإنّ الهدف من هذه الحرب تزعّم الخلافة النبوية ؛ حيث ان المبادئ لكل منهما كانت غير معلنة، وان اتخذت شعار الدفاع عن أم المؤمنين. وقد اعلن الامام عن اهدافهم بحكم تجربته الشخصية مع كلّ منهما في الحياة، وهذا طبيعي، حيث أنّ كلا منهما كان يتميز بفضل الصحبة للرسول والقدم في الاسلام، فيكون من الطبيعيّ أن يعتبر كلّ واحد منهما نفسه اهلا للخلافة وان لم يعلن اي واحد منهما ذلك.

٢ ـ (ويعطفه عليه، دون صاحبه) والعطف: ثني الشئ على آخر، فإنّ كلا منهما، كان ـ وحسب تجربة الامام لهما ـ يحاول أن يلتف على الآخر ويغلبه في الخلافة، وذلك بفرض ارادته عليه وهذا ايضا طبيعيّ حيث تتواجد صفات الفضل فيهما على حدٍ سواء.

وعليه، فعلىٰ اي مستند يخضع أحدهما للاخر؟ والمفروض ان البيعة لم تحصل

---

(١) في ط: كلام.
(٢) في هـ. ب: يعني طلحة والزبير.
(٣) في هـ. ب: لا يتوصلان بقرابة، وفي هـ. ص: أي لا يتوسلان.
(٤) في هـ. ب: المت والمد: توسّل بقرابة.
(٥) في هـ. ب وص: أي حقد.
(٦) في هـ. ص: أي يظهره ويبديه.
(٧) في ص: له، وفي هـ. ص في نسخة: به.
(٨) في هـ. ب: أي ليستلبن.

لاحدهما بالذات، وكان خروجهما على الامام من دون بيعة أحدهما للاخر ولا لشخص ثالث غيرهما.

٣ ـ (لا يمتان إلى الله بحبل) المت: الوسيلة، فلم يعلنا عند الخروج استنادهما إلىٰ نص قرآني يسوّغ لهما ذلك، بل خرجا بدعوى شخصية منهما ولشبهة عرضت لهما واثّرت في الأُمة.

٤ ـ (ولا يمدان إليه بسبب) السبب: الحبل، والمراد هو سنة رسول الله ﷺ في حياته القيادية حيث لم يعلنوا عن حديث نبوي يبرر خروجها، فهما مشتركان في ان الخروج انما هو مبتنٍ على أسباب غير مستندة إلىٰ الكتاب والسنة.

٥ ـ (كل منهما حامل ضب لصاحبه) الضب: الحقد، وقد عرف الامام ذلك بتجربته الشخصية معهما في الحياة، وقد أخبر عن اثر حقدهما بقوله:

٦ ـ (وعما قليل يكشف قناعه به) لان الاشتراك في شئ من دون تحديد المسؤوليات بعد النصر، لابد وان ينتهي بالخلاف، فإنّ كلا منهما سيكشف القناع الذي ستر به حقد نفسه على صاحبه.

وعن نتيجة هذا الحقد الكامن في النفس قال مؤكّدا بالحلف:

٧ ـ (والله لئن أصابوا الذي يريدون لينتزعنّ هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا) كما يقتضيه طبيعة الحقد الكامن بين الاثنين، وغير المعلن عنه، فإنّ كلا واحد منهما يحاول الايقاع بالآخر في أقرب فرصة متاحة.

ثم وصفهما من وجهة نظره المستند الىٰ الكتاب الكريم والسنة النبوية، بقوله:

٨ ـ (قد قامت الفئة الباغية) فانها بخروجها على من انعقدت له البيعة تكون فئة باغية على الحاكم الشرعي، وحكم البغي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مشروح واضح.

وبهذه النقاط الثمان حدد موقف القيادة في جيش الجمل وموقفه منها.

(٢ / ط - ١٤٨) اين المحتسبون؟

فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ[١]! قَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ؛ وَقُدِّمَ لَهُمُ الخَبَرُ؛ وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ ناكِثٍ شُبْهَةٌ.

---

(١) في هـ. ب: هم الذين يفعلون ما يفعلون حسبة لله في هـ. ص المحتسب: العامل للأجر.

وَٱللهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ[١]، يَسْمَعُ[٢] النّاعِيَ[٣]؛ وَيَحْضُرُ الْباكِيَ، ثُمَّ لَايَعْتَبِرُ[٤].

ختام المقطع يتضمّن نقاط تستلزم العبرة في تحديد المواقف تجاه جيش البصرة بالردع الحاسم، وهي في نقاط رئيسية أشار إليها بقوله:

(فأين المحتسبون؟) أي طالبوا الحسبة والأجر في سبيل الله لتحقيق الحكم الاسلامي العادل في الموقف المتأزم بعد أن عرّف جيش البصرة بأنّها هي الفئة الباغية.

وعن اسباب ذلك قال:

١ ـ (فقد سنت لهم السنن) حيث أنّ حكم الله وسنة رسوله واضحة في حكم البغاة.

٢ ـ (وقدم لهم الخبر) وان جيش البصرة قد سمع قياداتها الاخبار من احاديث الرسول في الخروج ومحاربة الناكثين والقاسطين والمارقين، وآثار ذلك وحكمه في الشريعة وآثارها.

٣ ـ (ولكل ضلة علة) كان من الطبيعيّ أنّ الضلال لا يكون بدون سبب، والسبب الحقيقي لم يعلنه عنهما.

٤ ـ (ولكل ناكث شبهة) حيث لا يمكن أن ينكث من دون دعوى تبرر النكث، وهذه الشبهة المعلنة لقيادة جيش البصرة هو الطلب بدم عثمان.

٥ ـ العدوان على قتل الرسول الحكيم بن جبلة واتباعه الذين اوفدوا من جانب الامام إلىٰ قيادة جيش البصرة، وهما طلحة والزبير، وقد اوقدا بدورهما شرارة الحرب.

وقد عبر عن ذلك بقوله: (والله لا أكون كمستمع اللدم يسمع الناعي ويحضر الباكي ثم لا يعتبر) ومستمع اللدم – وهو صوت الحجر – كناية عن الضبع الذي يخاف من صوت الحجر الذي يضربه الصائد.

فإنّ قتل الرسل – وهم الحكيم بن جبلة واتباعه – من قبل طلحة والزبير باعتبارهما قائداً الجيش المعارض اعلان للحرب، فلا يكون الامام مكتوف اليدين تجاه هذا الاجرام بان يسمع الناعي لهم ويحضر الباكي عليهم ولا يعمل ما يقتضيه الواجب لردع المنحرفين عن الترك لحكم القرآن.

وهذه النقاط الخمس نقاط تقتضي الاعتبار بالموقف والتحرك للمواجهة مع البغاة

---

(١) في هـ. ب: اللّدِم: المخدوع المغرور.
(٢) في هـ. ص: الضمير راجع إلىٰ المشبه.
(٣) هـ. ب: من النعي، وهو الإخبار بموت أحد.
(٤) لم ترد «ثم لا يعتبر» في ب، وفي هـ. د: لم ترد «ثم لا يعتبر» في ص م ل ش ن.

حتى ارجاعهم الىٰ حكم القرآن والسنة.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ضمير التثنية راجع إلى طلحة والزبير رضي الله عنهما . ويمتان : يتوسلان ، الماضي ثلاثي ، مت يمت بالضم . والضب : الحقد . والمحتسبون : طالبوا الحسبة ، وهي الاجر . ومستمع اللدم كناية عن الضبع ، تسمع وقع الحجر بباب جحرها من يد الصائد فتنخذل وتكف جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها ، يقول : لا أكون مقرا بالضيم راغنا[١] ، أسمع الناعي المخبر عن قتل عسكر الجمل لحكيم بن جبلة وأتباعه ، فلا يكون عندي من التغيير والانكار لذلك ، إلا أنّ أسمعه وأحضر الباكين على قتلاهم . وقوله : " لكل ضلة علة ، ولكل ناكث شبهة " ، هو جواب سؤال مقدر ، كأنه يقول : إنّ قيل : لأي سبب خرج هؤلاء ؟ فإنه لابد أنّ يكون لهم تأويل في خروجهم ، وقد قيل : إنهم يطلبون بدم عثمان ، فهو‌عليه السلام قال: كلّ ضلالة فلا بد لها من علة اقتضتها ، وكل ناكث فلا بد له من شبهة يستند إليها . وقوله : " لينتزعن هذا نفس هذا " قول صحيح لا ريب فيه ، لان الرياسة لا يمكن أن يدبرها اثنان معا ، فلو صح لهما ما أراداه لوثب حدهما على الاخر فقتله ، فإن الملك عقيم ، وقد ذكر أرباب السيرة أنّ الرجلين اختلفا من قبل وقوع الحرب ، فإنهما اختلفا في الصلاة ، فأقامت عائشة محمّد بن طلحة وعبد الله بن الزبير ، يصلى هذا يوما ، وهذا يوما ، إلى أنّ تنقضي الحرب . ثم إنّ عبد الله بن الزبير ادعى أن عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار ، واحتج في ذلك بأنه استخلفه على الصلاة ، واحتج تارة أخرى بنص صريح زعمه وادعاه ، وطلب طلحة من عائشة أنّ يسلم الناس عليه بالإمرة ، وأدلى إليها بالتيمية ، وأدلى الزبير إليها بأسماء أختها ، فأمرت الناس أنّ يسلموا عليهما معا بالإمرة . واختلفا في تولى القتال ، فطلبه كلّ منهما أولا ، ثم نكل كلّ منهما عنه وتفادى منه[٢] . وقد ذكرنا في الاجزاء المتقدمة قطعة صالحة من أخبار الجمل .

[من أخبار يوم الجمل]

وروى أبو مخنف ، قال: لمّا تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا ، قال: علي‌عليه السلام لأصحابه : لا يرمين رجل منكم بسهم ، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح ، حتى أحدث إليكم ، وحتى يبدأوكم بالقتال وبالقتل . فرمى أصحاب الجمل عسكر عليبالنبل رميا شديدا متتابعا ،

---

(١) يقال: رغن إليه ، إذا أصغى .

(٢) تفادى منه : تحاماه .

فضج إليه أصحابه ، وقالوا : عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين . وجئ برجل إليه ، وإنه لفي فسطاط له صغير ، فقيل له : هذا فلان قد قتل . فقال: اللهم اشهد ، ثم قال: أعذروا إلى القوم ، فأتى برجل آخر فقيل : وهذا قد قتل ، فقال: اللهم اشهد ، أعذروا إلى القوم ، ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، يحمل أخاه عبد الرحمن بن بديل ، قد أصابه سهم فقتله ، فوضعه بين يدي علي عليه السلام ، وقال: يا أمير المؤمنين ، هذا أخي قد قتل ، فعند ذلك استرجع علي عليه السلام ، ودعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفضول فلبسها ، فتدلت بطنه فرفعها بيده ، وقال: لبعض أهله ، فحزم وسطه بعمامة ، وتقلد ذا الفقار ، ودفع إلى ابنه محمّد راية رسول الله صلى الله عليه وآله السوداء ، وتعرف بالعقاب ، وقال لحسن وحسين عليهما السلام : إنما دفعت الراية إلى أخيكما . وتركتكما لمكانكما من رسول الله صلى الله عليه وآله».[1]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩: ١٠٩ ـ ١١١.

[١٤٩]

ومن كلام له عليه السلام قبل موته:

يصف فيها الموت والوصية وحال الانسان المحتضر للموت.

أَيُّها النّاسُ[١] كلُّ ٱمْرىءٍ لَاقٍ مَا[٢] يَفِرُّ مِنْهُ في فِرَارِهِ، والأَجَلُ[٣] مَسَاقُ[٤] النَّفْس[٥]، والْهَرَبُ منْهُ مُوَافاتُهُ[٦].

كَمْ أَطْرَدْتُ[٧] الأَيَّامَ أَبْحَثُها عَنْ مَكْنُونِ هذَا الأَمْرِ، فَأَبَى اللهُ إِلَّا إِخْفاءَهُ، هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ.

(١/ط - ١٤٩) الموت حقيقة:

يصف الامام الموت على انه حقيقة يعرفها كلّ انسان وان لم يتمكّن من بيان حقيقته وتحديده من حيث الزمان والمكان؛ لان الله اختص بعلمه له، فقال: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[٨] فقال:

١ ـ (أيها الناس) وهذا الخطاب العام قد بشير إلىٰ أنّ الكلام لم يكن بعد الظربة التي استشهد بها بل قبل موته بفترة بحيث كان يمكنه الخطاب العام، وفذكر من اوصاف الموت:

٢ ـ (كل امرئ لاق ما يفرّ منه في فراره) وسواء فرّ ام لا، فلابدّ وان يواجه الموت، وقد يواجهه في نفس الفرار منه، والسبب في ذلك ان:

٣ ـ (الأجل مساق النفس) والحياة تسوق النفس الىٰ آخر المساق، وهو الاجل الذي

---

(١) لم ترد «أيّها الناس» في أ.

(٢) في ب: بما.

(٣) في ط: الاجل.

(٤) في هـ. ص: أي الأمر الذي تساق إليه النفس.

(٥) في هـ. ص: أي إذا كان مقدورا له وإن لم يكن مقدوراً له لم يلاقه وإن وقف ولم يضرّ، فحينئذٍ الفرار لا ينجي من مقدور ولا من غيره وهذا نحو قوله عليه السلام:

من أي يوميّ أفر ... أيوم لم يقدر أمْ يوم قُدر
فيَوم لم يقدر لا أرهبه ... ويوم قد قدر لا يغني الحذر

(٦) في هـ. ص: هذا مبالغة في عدم النجاة حتى كأنّ الهرب وصول إليه، انتهى من الشرح.

(٧) في هـ. ب: «اطّردت» أبلغ من «طردت».

(٨) لقمان ٣١: ٣٤.

﴿اذا اجاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.[١]

٤ ـ (والهرب منه موافاته) فإنّ الهرب يستغرق الزمن، وكلّما طال الزمن فانه لابد وان ينتهي ملاقاته.

٥ ـ (كم اطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر) والطرد: الاخراج، فقد اخرج اياما من ايامه العادة لغرض البحث وكشف سر الموت حتىٰ يقف على الموعد والمكان الذي فيه يموت الامام بشخصه من دون جدوى.

٦ ـ (فأبى الله إلّا إخفاءه) لانه علم اختص الله سبحانه به، ولم يعلم بالتحديد ذلك لا لنبيّ مرسل ولا غيره.

٧ ـ (هيهات) فعل بمعنىٰ بَعُد ذلك؛ لانه (علم مخزون) لا يعلمه إلّا الله سبحانه.

(٢ / ط ـ ١٤٩) الوصية:

أَمَّا وَصِيَّتي[٢]، فاللهُ[٣] لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، ومُحَمَّدٌ[٤] صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلهِ فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ[٥]، أَقِيمُوا هٰذَيْنِ العَمُودَيْنِ[٦] وأَوْقِدُوا هَذَيْنِ المِصْباحيْنِ، وخَلاَكُمْ[٧] ذَمٌّ مَالَمْ تَشْرُدُوا[٨]، حَمَّلَ[٩] كلُّ ٱمْرِيءٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وخَفَّفَ عنِ الجَهَلَةِ، رَبٌّ رَحِيمٌ، ودِينٌ قَوِيمٌ[١٠]، وإمَامٌ عَليمٌ.

تتضمن الوصية أهم المبادئ الاسلامية التي تبتني عليها العقيدة والشريعة، ويتفرع منها الاخلاق، ، وهي أمران: اشار اليهما بقوله: (أما وصيتي):

الأوّل: (فالله، لا تشركوا به شيئا) فنهى عن الشرك بمختلف مظاهره؛ لان التوحيد يناقض الشرك.

---

(١) الاعراف ٧: ٣٤.
(٢) في هـ. ب: هذه وصّيتي، أو اسمعوا وصيتي.
(٣) في هـ. أ: فاللهَ فاللهُ، ـ معاً ـ، وفي هـ. ب: بالرفع أحسن.
(٤) في أ وص: ومحمّداً وفي هـ. ب: بالرفع أحسن.
(٥) في هـ. ص: أي ما سنّه وشرّعه من الدين.
(٦) في هـ. ب: الشهادتين، تؤمنوا بالله ورسوله وتطيعوا أمرهما.
(٧) في هـ. ب: أي لا لوم عليكم مالم تتفرّقوا عن الأوامر والنواهي التابعة لذلك، وفي هـ. ص: الأقرب أنّ مراده عليه السلام مالم ترتكبوا محبطاً مُفَسّقاً.
(٨) هذا وما بعده ماضٍ ومعناه الأمر.
(٩) في هـ. ب: حمّل رب رحيم، وإذا كان «ربّ رحيم» مستأنف أي ذاك ربّ رحيم وهذا أحسن وروايته أصح.
(١٠) في هـ. ب: أي قيّم.

الثاني: (ومحمّداًﷺ، فلا تضيّعوا سنته) فإنّ السنة النبوية تطبيق لمبادئ الايمان، ولا تكمل إلّا بها، فهما مبدآن متلازمان لتكوين المجتمع الاسلامي، وسرد نقاط في الوصية بهما مؤكدا عليهما بقوله:

١ ـ (أقيموا هذين العمودين) فإنّ فقد احدهما يهدم الاسلام أساساً، فلا قائمة له بدونهما.

٢ ـ (وأوقدوا هذين المصباحين) الذين تضئ للمسلمين طريقهم في حياتهم، وبدونهما تكون الحياة مظلمة.

٣ ـ (وخلاكم ذم ما لم تشردوا) أي تخلوا من الذم بسبب عدم المسؤولية الاساسية الاخرى ما عدى هذين الامرين، شريطة أن لم تشردوا، والتشرّد: الملل عن الشئ، وهو الاعراض عن الحقيقة، فإنّه كفر بهما.

٤ ـ (حمل كلّ امرئ منكم مجهوده) فإنّه ﴿لاَ يُكَلِّفُ ٱللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[1]

٥ ـ (وخفف عن الجهلة) فقد قال الرسول ﷺ: «رفع عن أمتي تسع» وعد منها: ما لا يطيقون، (وراجع المادة في المعجم).

وعن اسباب ذلك قال:

٦ ـ (رب رحيم) بالعباد فقد وسعت رحمته كلّ شئ.

٧ ـ (ودين قويم) حيث أنّ ﴿هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[2] في الحياة.

٨ ـ (وإمام عليم) يعني رسول الله ﷺ الذي خلّف سنة واضحة، أو معني نفسهعليه السلام الذي سار علىٰ منهج رسول الله ولم يبدل تبديلا.

وهذه النقاط الثمان في الوصية تتضمن المواد الاساسية للمجتمع الاسلامي، وحدود المسؤولية للامة والاسباب الكفيلة باستمرارها.

(٣ / ط - ١٤٩) حالات ثلاث:

أنا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وأنا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وغَداً مُفارِقُكُمْ، غَفَرَ اللهُ لِي ولَكُمْ! إنْ ثَبتَتِ[3] الْوَطأةُ في هذهِ المَزَلَّة[4] فَذَاكَ، وإنْ تَدْحَضِ[5] القَدمُ، فإنَّا كُنَّا في

(١) البقرة ٢: ٢٨٦.
(٢) الاسراء ١٧: ٩.
(٣) في أ وب، ص ود: تثبت، وفي هـ. د: تثبت ـ ض ب ح.
(٤) في هـ. د: المنزلة ـ ن ل وفي هـ. ب: أي المزلقة.

أَفْيَاءِ[٦] أَغْصَانٍ، ومَهَبِّ[٧] رِيَاحٍ، وَتحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ إِضْمَحَلَّ[٨] في الجَوِّ مُتَلَفِّقُها[٩]، وعَفَا[١٠] في الْأَرْضِ مَخَطُّها[١١]، وإِنَّما كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ[١٢] بَدَنِي أَيَّاماً، وسَتَعْقِبُونَ[١٣] مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً[١٤]، ساكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وصامِتَةً بَعْدَ نُطُوقٍ[١٥]، لِيعظْكُمْ هُدُوِّي[١٦] وخُفُوت[١٧] إِطْرَاقِي[١٨]، وسُكُون أَطْرَافِي[١٩]، فإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلمُعْتبِرِينَ منَ المَنْطِقِ الْبَليغِ والْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ، ودَاعِيكُمْ[٢٠] وَدَاعُ امْرِىءٍ مُرْصِدٍ لِلتلَاقِي[٢١]! غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، ويُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وتَعْرِفُونَني بَعْدَ خُلُوِّ مَكانِي وقِيَامِ غيرِي مَقَامِي.

ثم ختم ما تقدم بمثال حيّ لمن التزم بهذه النقاط الثمان في حياته، وهو نفسه الشريفة مشيراً ثلاث حالات لا تخلوا منها حياة أيّ انسان، وهي:

الأولى: (أنا بالأمس صاحبكم) وهذه العبارة تعم العلاقات الاجتماعية المتواجدة في المجتمع حال صحة الانسان.

الثانية: (وأنا اليوم عبرة لكم) في ظهور علامات الموت كالمرض أو ضربة الشهادة.

الثالثة: (وغدا مفارقكم) فإنّ بالموت يكون الفراق الأبديّ بين الناس.

وهذه الحالات الثلاث تعم كلّ انسان في الحياة فيفتقر إلىٰ الرحمة الالهية فيها، ولذلك

---

(٥) في هـ. ب: تزل، وفي هـ. ص: أي تزلّ وتزلق.
(٦) هـ. ب: ظلال.
(٧) في أ وب ود: مهاب، وفي هـ. د: مهب ـ ض ح ب . وفي هـ. ب: جمع مهب، وهـو مـوضع هبوب الريح.
(٨) في هـ. ب: زال، وفي هـ. ص: ذهب وتفرّق.
(٩) في هـ. ب: أي مجتمع مهاب تلك الرياح والغمام.
(١٠) في هـ. ب: أي اندرس.
(١١) في هـ. ص: أثرها ورسمها.
(١٢) في هـ. ص: أي أنّ بقاء الإنسان مع الناس في الدنيا مجاورة عارضة زائلة.
(١٣) في هـ. ب: من التعقيب.
(١٤) في هـ. ب: خالية.
(١٥) في هـ. د: بعد نطق ـ م ن ف .
(١٦) في هـ. د: هدئي ـ ح، وفي هـ. ب: أي سكوتي.
(١٧) الخفوت: السكون والإطراق. وفي هـ. ب: خفت الصوت: سكن.
(١٨) في ط: أطرافي، وفي هـ. ب: أطرق برأسه: إذا نكس.
(١٩) في هـ. ب: أعضائي.
(٢٠) في ص: ودعتكم وفي ط: وداعي لكم، وفي هـ ب : وداعيكم أي: وداعي اياكم وداع رجل على انتظار الملاقاة، وفي هـ د : وداعي لكم ـ ض ح.
(٢١) في هـ. ب: أرصد له: أي أعدّ له، وفي هـ. ص: أي معدّ للتلاقي بيني وبينكم بين يـدي الله فاسأل عنكم وتسألون عنّي.

قال:

(غفر الله لي ولكم) فان كلّ انسان يحتاج الىٰ المغفرة من الله سبحانه في هذه الحالات كلها.

ثم شرح هذه الحالات في نقاط بقوله:

١ ـ (إن تثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك) الوطاءة: هي وطأة القدم، والمزّلة: الحالة التي نزلت به، يعني بتثبت القدم يكون العافية من الضربة، فذاك من امر الله، فتكون الحالة طبيعة كما كانت من قبل.

٢ ـ (وإن تدحض القدم) والدحض: الانزلاق، وهو كناية عن الموت المحتوم، فهو أيضاً حالة متوقعة؛ لانها طبيعية في الانسان في الحياة، حيث يسير إلىٰ الموت شاء أم أبىٰ.

وعن سبب كون الموت امراً طبيعيا اشار إلىٰ صفات عامة في الحياة الدنيا ، وهي:

أوّلاً: (فإنّا كنا في أفياء أغصان) والفيء: الظل الحادث بسبب تدلي اغصان الحياة الدنيا.

ثانيا: (ومهب رياح) حيث تتوارد على حياة الانسان الحوادث غير المتوقعة، كالرياح.

ثالثا: (وتحت ظل غمام) حيث يزول الظل بزوال الغمام وسيره.

رابعا: (اضمحل في الجو متلفقها) وبعد أنّ يتلفق اي يجتمع الغمام في الجو، فانه يضحل يسبب ما قدّره الله له.

خامسا: (وعفا في الأرض مخطها) والعفاء: محو الاثر، والمخط: الاثر، فإنّ اثر ظل الغمام ينمحي بمجرد اضمحلال الغمام في الجوّ.

فان حياة الانسان على الارض يشابه الظل الحاصل في الغمام، فانه يحدث أثراً على الارض ويزول بسبب زوال الغمام الذي هو اصله.

وعن نتيجة هذه الحالة قال:

٢ ـ (وإنما كنت جاراً جاوركم بدني أياما) عشتها معكم في الدنيا أيام حياتي.

٤ ـ (وستعقبون مني جثة) وهي الجسم، فإنّ عقيب وفاتي تقفون على جثة توصف بالاوصاف التالية:

أوّلاً: (خلاء) أي خالية من الروح.

ثانيا: (ساكنة بعد حراك) لا تتحرك كما كانت تتحرك بحرية في الدنيا، بل هي ساكنة عن الحركة.

ثالثا: (وصامتة بعد نطق) فلا تتمكّن الجثة من النطق بعد فقدها للروح.

وهذه الاوصاف الثلاث تستدعى العبرة التالية:

٥ ـ (ليعظكمُ هُدوِّي) بسبب عدم الحركة إلىٰ الابد.

(وخفوت اطراقي) الخفت: السكون، والطرق ـ بالقاف ـ: كناية عن سكون العين التي لا تتمكّن من تحريك الاجفان والرؤية.

(وسكون أطرافي)، وهي الأعضاء من اليدين والرجلين.

وذكر السبب في هذا الوعظ بقوله:

(فإنّه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع) لأن عدم الحركة والسكون بالاوصاف المذكورة أبلغ في الوعظ من الوعظ بالكلام مهما بلغ رقة وإسماعاً.

وختم هذه الحالات بالوداع قائلاً:

٦ ـ (وداعي لكم وداع امرئ مرصد للتلاقي) أي منتظر على موعد هو الموت، وهذا الوعد يظهر حقائق أربع، هي:

أوّلاً: (غدا ترون أيامي) الماضية نظرة حقيقية تختلف عن نظرتكم الآن في الحياة؛ لانها تكون نظرة موضوعية لجثة هامدة.

ثانيا: (ويكشف لكم عن سرائري) التي لم تظهر مني لكم في الحياة، بالوقوف على آثارها من المواريث.

ثالثا: (وتعرفونني بعد خلوّ مكاني) حيث لا يعرف الانسان قيمة الشئ إلّا بعد فقده.

رابعا: (وقيام غيري مقامي) في المسؤولية. ومن المستحيل أن يكون كالانسان المفقود نفسه.

وهذه الحقائق الاربع يواجهها كلّ انسان في الحياة بعدما يفقد الشيئ ولا يحس بحقيقتها في الحياة إلّا بعد حصول الموت.

[١٥٠]

ومن خطبة له عليه السلام يومىء(١) فيها إلى الملاحم(٢):

يؤمي فيها إلىٰ الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال.

ويتضمّن التنبؤ بمستقبل الصراع بين الحق والباطل واهلهما. وظاهر قوله: (حتى اذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله) في هذه الخطبة انها القيت في عصر الرسالة، فيكون التنبؤ بفتنة بني أُميّة والتي تكرر الاشارة اليها في النهج، إلّا أن يؤول الفتنة بالاعراض عن السنّة النبوية على تكلّف.

والخطبة تشير إلىٰ حقيقة الصراع بين الحق والباطل، الذي هو قائم دائماً في الحياة، لاختلاف المبادئ والاهداف في كلّ منهما، فانهما خطان متوازيان لا يلتقيان أبداً، وكذلك يستمر الصراع بين اصحابهما، وقد أشار إلىٰ ذلك في مقطعين.

الأوّل: في جولة الباطل ودولة الحق.

والثاني: في أصحاب واهل الحق واهل الضلال.

(١/ط - ١٥٠) جولة الباطل ودولة الحق:

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً ظَعْناً(٣) فِي مَسَالِكِ ٱلْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ؛ فَلَاتَسْتَعْجِلُوا مَا(٤)هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ(٥)، وَلَا(٦) تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ ٱلْغَدُ؛ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ(٧) بِما إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ(٨) أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ(٩) غَدٍ!

يَاقَوْمِ هَذَا إِبَّانُ(١٠) وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ(١١)، وَدُنُوٍّ(١٢) مِنْ طَلْعَةِ مَالَا تَعْرِفُونَ(١٣).

---

(١) في ط: ويومي.
(٢) العنوان في ا هكذا: ومن خطبة له في الملاحم.
(٣) في أ وب: طعناً. وفي هـ. ب في نسخة: ظعناً، أي ذاهبين في الجهل وطعناً: من الطعن بالرمح.
(٤) في ص: بما هو.
(٥) في هـ. ب: نزول العذاب.
(٦) فلاتستبطئوا ـ ل، ولم ترد «ولا» في ب.
(٧) في هـ. ب: من مستعجل مثل قوله تعالىٰ: ﴿لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبدَ لَكُمْ تسؤكُم﴾ المائدة:٥ / ١٠١، وفي هـ. د: فكم مستعجل ـ م.
(٨) في هـ. ب: أحب.
(٩) في هـ. ب: علامات، وفي هـ. ص: تباشير كلّ شيء: أوّل ما يبدو منه، وتباشير الصبح: أوّل ما يبدو من ضوئه.
(١٠) ابّان: وقت.
(١١) في هـ. د: كلّ موعد ـ ب.

ان من ابرز صفات الباطل ان له جولة سريعة، والجولة: تطلق على كلّ شيئ يستلزم السرعة من دون تأنٍ، وحيث يواجه الانسان المعرض الحق النتائج المعاكسة للتطرّف فانه سوف يغيّر الموقف الىٰ النقيض فورا، وقد يتطرّف أيضاً، وما ذلك إلّا لفقدان الرؤية الواضحة للامور، وقد اشار الامام الى ذلك بأمرين:

الأوّل: (وأخذوا يمينا وشمالا طعنا في مسالك الغيّ) فهم سائرون في طريق الغيّ والضلال، ولكن الطعن ـ وهو السير ـ لا يكون في حالة واثقة بنفسها، بل في حالة تتّسم بالتطرف يميناً أو شمالا.

الثاني: (وتركاً لمذاهب الرشد) فليس الهدف سوى ترك الطريق المبين الذي يهدي إلىٰ الرشد والهداية، مهما كانت طرق الغي ملتوية.

وهذان الامران صفتان لكل باطل، وصادقة على كلّ من أعرض عن الحق من اصحاب الباطل في جولتهم.

الغد الموعود:

واشار إلىٰ أنّ جولة الباطل لا تدوم، بل تنتهي بالكشف عن حقيقة نفسها، وفي خلال هذه الجولة لابد للانسان من الصبر حتّىٰ تنكشف الحقائق، وان كان اصحاب الحق بحكم كونهم على الحق ـ يحبون السرعة في ذلك، ولكن السرعة هي في نفسها أيضاً نوع تطّف في الوقت، فإنّ القضاء على الباطل قبل انكشاف أمره يؤدي إلىٰ المؤاخذة بالعقاب قبل الجناية، فقال:

١ ـ (فكم من مستعجل بما إن أدركه ودَّ أنه لم يدركه) فإنّ تحقق الشيئ قبل تحقق أسبابه يدعوا الى التساؤل.

٢ ـ (وما أقرب اليوم من تباشير غد) فإنّ العلامات الظاهرة في اليوم تباشير أوائل الغد، فإنّ العلامة اذ اظهرت كان الشيئ قريب الوقوع لا محالة.

٣ ـ (يا قوم) الذين تستعجلون الاحداث قبل تحقق اسبابها:

٤ ـ (هذا إبان ورود كلّ موعود) فإنّ هذا اليوم وقت تحقق ما توعدون به، باعتبار ظهور علاماته، وإذا ظهرت العلامة تحقق الموعود.

٥ ـ (ودنوّ من طلعةِ ما لا تعرفون) فإنّ المستقبل مجهول، وما يتحقق فيه يزيد ذلك

---

(١٢) أي: قرب.

(١٣) في هـ. ب: إشارة إلى عهد المهدي عليه السلام.

جهلا لو لا هذه العلامات التي تنبئ عن المستقبل.

ويشير الىٰ أن الغد الموعود لكل حركة اصلاحية تتحقق لا محالة اذا تحقق أسبابه، ومنها: تطرف المعارضة؛ فإنّه من العلامات التي تشير الىٰ تعقبها بالحكم المعتدل.

(٢/ ط - ١٥٠) من صفات دولة الحق:

أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا[١] يَسْرِى فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو[٢] فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً[٣]، وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقّاً[٤]، وَيَصْدَعَ شَعْباً[٥]، وَيَشْعَبَ صَدْعاً[٦]؛ فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ؛ لَا يُبْصِرُ ٱلْقَائِفُ[٧] أَثَرَهُ، وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ؛ ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ[٨] فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ ٱلْقَيْنِ[٩] النَّصْلَ، تُجْلَى[١٠] بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بالتفسيرِ في مَسَامِعِهِمْ[١١]، وَيُغْبَقُونَ[١٢] كَأْسَ ٱلْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ[١٣].

وعن صفات دولة الحق قال:

١ ـ (ألا ومن أدركها منا يسير فيها بسراج منير) حيث انه يسير برؤية واضحة للمبادئ والوسائل والأهداف كالذي يسير مع السراج المعد لأداء دوره بالانارة.

٢ ـ (ويحذو فيها على مثال الصالحين) حيث أنّ له قدوة حسنة، وهي السنة النبوية الشريفة التي طبقها في حياته.

---

(١) في هـ. ب: منّا عهد الإمام، أيّ إمام كان.
(٢) في هـ. ب: يذهب.
(٣) الربق ـ بالكسر ـ فالسكون ـ في الأصل حبل فيه عدّة عرى تربط به البُهم. ويستعار للرابطة الجامعة للأُمّة. وفي هـ. د: ليحل ربقا ـ ع.
(٤) في ب ود : ويعتق رقا، وفي هـ. د: ويعتق فيها رقا ـ ض ح.
(٥) في هـ. ب: جمعاً.
(٦) أي يفرّق جمع الضلال ويجمع متفرّق الحق، وفي هـ. ب: الصدع والشعب والشمل يقع على المجموع المتفرّق.
(٧) القائف: الذي يعرف الآثار فيتبعها، وفي هـ. ب: هو للإنسان جمع قاف، وقفت أثره فأنا قائف...، وقفوت أثره: تبعت، وهما لغتان.
(٨) في هـ. ب: «ليشحذن» إشارة إلى من يتعاطى في الغيبة علوم آل محمّد، وشحذ السيف: حدّده. والمشحّذ: المسنّن.
(٩) القين: الحدّاد.
(١٠) في ب: يجلى وتجلى ـ معاً ـ.
(١١) في هـ. د: لم ترد «ويرمى بالتفسير في مسامعهم» في ب.
(١٢) «يغبقون» مبني للمجهول أي: يسقون كأس الحكمة بالمساء بعدما شربوه بالصباح.
(١٣) في هـ. ب: شرب الصباح.

وعن اهداف دولة الحق قال:

٣ ـ (ليحل فيها ربقا) وهو الحبل المعد لربط الحيوانات منعاً لها من التشتت ومن أن تنطلق على حريتها، فإنّ دولة الحق يطلق عنان الشعوب التي اسرت كالحيوانات.

٤ ـ (ويعتق رقا) فإنّ دولة الحق يعتق العبيد من الرقيّة.

٥ ـ (ويصدع شعبا) الصدع: التفرّق، والشعب: الجمع، فإنّ دولة الحق تقضي على الباطل وتفرّق اصحابه.

٦ ـ (ويشعب صدعا) حيث أنّ كلمة أصحاب الحق تتحد ضدّ الباطل.

٧ ـ (في سترة عن الناس) ويتحقق ذلك ليس للاعلان على الناس، بل للعمل بالواجب الاسلامي من دون اعلان.

ويكون نتيجة هذه العمل في مجالات:

٨ ـ (لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره) والقيافة: معرفة الاثار من اثر الشي؛ لان العمل الاسلامي في دولة الحق للحقّ فقط، فلا يمكن تتبع آثار العامل لله فيها.

وعن بعض صفات اصحاب هذه الدولة قال:

٩ ـ (ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين النصل) والشحذ: الحد؛ ليؤدى الدور المطلوب منه، والقين: الحدّاد، والنصل: رأس الحراب المتخذ من الحديد. فيكون دور جماعة خاصة في هذه الدولة الاستعداد بالعدّة الحربية المطلوبة.

وعن المبادئ التي يسيرون عليها قال:

١٠ ـ (تجلّى بالتنزيل أبصارهم) فهم ينظرون إلىٰ الامور نظرة ما نزل به القرآن الكريم.

١١ ـ (ويرمى بالتفسير في مسامعهم) ولا يسمعون إلّا ما يفسره القرآن الكريم.

١٢ ـ (ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح) والغبق: السقي ليلا، والصبوح: السقى صباحاً، وهذا كناية عن الاستعداد للامور قبل تحققها بالحكمة والرؤية الواضحة لأسبابها ونتائجها.

وهذه الصفات الاثني عشر من اصحاب دولة الحق الثابتة، وهى تضاد صفات جولة الباطل الزائلة.

(٣/ط ـ ١٥٠) جولة الباطل واثارها:

منها[١]: وَطالَ الأمد بِهم[٢] لِيَستكْمِلوا الْخِزي[٣] وَيَسْتَوجِبوا[٤] الْغِيَرَ[٥] حتَّى[٦]

---

(١) في ص: ومنها.

إذا اخْلَوْلَقَ[(٧)] الأَجَلُ، واَسْتَرَاحَ[(٨)] قَوْمٌ إلى الْفِتَنِ، واشتالوا[(٩)] عَنْ لِقَاحِ حرْبِهِمْ، لَمْ يَمُنُّوا على اللهِ بالصَّبرِ[(١٠)] ولمْ يَسْتَعْظِمُوا بذْلَ أَنْفُسِهمْ في الْحَقِّ[(١١)]، حتَّى إذا وَافَقَ وارِدُ القَضَاءِ اَنْقِطاعَ مُدَّةِ البَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ على أسْيافِهِمْ[(١٢)] وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بأمْرِ واعِظِهِمْ.

حتّى إذا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ[(١٣)] صلّى الله عَلَيْهِ وآلهِ.

في هذا المقطع اشارة إلىٰ أنّ جولة الباطل قد تطول حتى يتخيّل أنّها دولة، ولكنها دولة وقتية لا تخلد إلّا في مزبلة التاريخ، فهي ليس معروفة إلّا بالخزي والعار لا بالخير والاعمال الصالحة للمجتمع، لان أصحاب الحق يؤدون دورهم المطلوب في مقاومتها، فقال:

(وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي) فإنّ الأمر لو كان قصيراً لكان لهم عذراً لتبرير مواقفهم بان لم تتاح الفرصة لهم للاصلاح، ولكن بعد اتاحة الفرصة الكاملة تظهر حقيقتهم؛ لوجود الوقت الكافي لان يعملوا ما يرويدنه من المقاصد، وبذلك يكون لهم كمال الخزي التي يستحقون بها المقاومة، واشار إلىٰ هذا الاستحقاق بقوله: (ويستوجبوا الغِيَر) أي تغييرهم كما قال تعالى:﴿ان الله لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[(١٤)].

اصحاب التغيير:

---

(٢) في هـ. ص أي: بأهل هذه الفتن، وصدَقﷺ؛ فإنَّ أمد فتنة أعداء أهل البيت طال وأمرهم أعضل.
(٣) في هـ. ب: اعتراض من ذكر أمر المهدي وأصحابه.
(٤) في هـ. ب: يستحقوا.
(٥) في هـ. ص: أي تغيير ماهم فيه من النعمة.
(٦) في هـ. ص: هي الابتداء به، التي قد أبعدها الكلام ويستأنف.
(٧) هـ. ب: أي تقادم العهد، يقال: اخلولق الثوب: إذا بلغ الغاية في الخلاقة، يقال: اخلولق.
(٨) في هـ. ب: أسرعوا ووقعوا فيها.
(٩) أي رفعوا أيديهم بسيوفهم ليفحلوا حروبهم على غيرهم، أي: يسعّروها عليهم، وفي هـ. ب: أي إذا التحمت حرب هؤلاء القوم اشتالوا وهلكوا، اشتالت الناقة ذنبها مثل شالت وأشالت، وفي هـ. د: وأشالوا ـ ب.
(١٠) الضمير فيه للمؤمنين، والجملة جواب «إذا».
(١١) في د: في حق. وفي هـ. د: في الحق ـ ض ح ب ل .
(١٢) أي أشهروا عقيدتهم داعين إليها غيرهم، وهذا من أروع التمثيل، وفي هـ. ب: البصائر لها ثلاثة معان: أوّلها: البصيرة والجملة عطف على حملوا بصائرهم واعتقاداتهم على أسيافهم، ويكون البصائر بمعنى جمع البصر. والبصائر: بقايا الدُّبا.
(١٣) في ص: رسول الله.
(١٤) الرعد ١٣: ١١.

وعن اصحاب التغيير للواقع الباطل قال:

١ ـ (حتى إذا اخلولق الأجل) أي قارب امرهم الانقضاء؛ لكونهم صاروا خليقين بالتبعيد لمخازيهم.

٢ ـ (واستراح قوم إلى الفتن) بأن أثّرت فتنتهم في المجتمع بحيث استأنسوا بها وتقبلوها في حياتهم.

٣ ـ (وأشالوا عن لقاح حربهم) والشيل: الرفع، فهم استراحوا ورفعوا أيديهم عن سلاح المقاومة، واللقاح كناية عن هيجان الحرب.

٤ ـ (ولم يَمُنّوا على الله بالصبر) حيث ظهرت الحقائق للجميع، فكانت المقاومة ايمانا بالواجب الذي لا بديل له.

٥ ـ (ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق) بعدم السكون إلىٰ راحة النفس، بل بذل ما يملكون في سبيل الحق حتى مماتهم.

وهذه الصفات لاصحاب الحق ليست بتطرّف أو ارتجال، بل بدراسة للمواقف واسبابها ونتائجها، والى ذلك اشار بقوله:

٦ ـ (حتى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء) وهو الوقت من الموعود الذي يتطلب منهم الواجب، قاموا بما يجب عليهم وهو:

٧ ـ (حملوا بصائرهم على أسيافهم) فأخذوا يتحركون برؤية واضحة وهم يحملون اسلحتهم، ولكن على هذه الاسلحة رؤية واضحة تتحكم فيها، وليس كجيش الباطل الذي يحمل سيفه على عاتقه لمصالحه الخاصة من دون رؤية واضحة، وهم لا يريدون الموت، بينما اصحاب الحق يحاربون مستميتين، والسبب في ذلك انهم:

٨ ـ (دانوا لربهم بأمر واعظهم) وهو القائد الذي يعظهم بإطاعة الاوامر الالهٰية فقط.

ثم اشار إلىٰ أنّ هذا الموعد كان هو وفاة الرسول القائد ﷺ، بقوله:

(حتى إذا قبض الله رسوله ﷺ) كما هو الحالة في اية حركة نفاق تنتظر فقدان القائد بالموت أو القتل لتنفيذ خططها، ولذلك كان المنافقون يخططون لاقامة دولتهم بعد حياة الرسول ﷺ ولو بزمن طويل، وهذا من التنبؤات والملاحم الصادقة من الامام عليه السلام، اشارة إلىٰ فتنة بني أُميّة وادوارهم المخططة قبل وفاة الرسول القائد لتنفيذها بعد وفاته، كما قال ابو سفيان في حكمته المشهورة لبني أُميّة : «تلقّفوها تلقّف الكرة».

(٤ / ط ـ ١٥٠) آثار الباطل:

رَجَعَ قَوْمٌ على الأعْقابِ[١]، وغَالَتْهُمْ[٢] السُّبُل[٣]، واتَّكلُوا على الْوَلائج[٤]، ووَصَلُوا غيرَ الرَّحِمِ، وهَجَرُوا السَّبَبَ الذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عنْ رَصِّ أسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ في غيرِ مَوْضِعِهِ، مَعادِنُ كلِّ خَطِيئَةٍ، وأبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ في غَمْرَةٍ[٥]، قَدْ مَارُوا[٦] في الحَيْرَةِ[٧]، وذهِلُوا في السَّكْرَةِ، على سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، منْ مُنْقَطِعٍ إلى الدُّنْيا رَاكِنٍ[٨]، أوْ مُفارِقٍ للدين مبائنٍ[٩].

وسرد آثار الباطل بقوله:

١ ـ (رجع قوم على الأعقاب) اشارة إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿أ فإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم﴾[١٠] فان أعمالهم في الحكم تكشف عن الإعراض عن السنة النبوية واوضحها نقل الخلافة من الشورى إلىٰ الملوكية.

٢ ـ (وغالتهم السبل) فاهلكهم اختلاف الآراء والأهواء وهو سبيل الحياة، والغول: الهلكة.

٣ ـ (واتكلوا على الولائج) والوليجة: البطانة والحاشية، حيث يغلب التحزّب والمصالح الحزبية على مصالح عامة الشعب.

٤ ـ (ووصلوا غير الرحم) بإهمال الواجب الاسلامي لصلة الرحم باهتمامهم لمصالح البطانة.

---

(١) في هـ. ب: قوله تعالىٰ: ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ ال عمران :٣ / ١٤٤، وفي هـ. ص: أي تركوا ما كانوا عليه.
(٢) هـ. ب: أهلكتهم، وفي هـ. ص: أي أهلكهم اختلاف الآراء والأهواء، من الشرح.
(٣) في هـ. ب: سبل الغيّ والجهل.
(٤) أي: دخائل المكر والخديعة، وفي هـ. ص: جمع وليجة: وهي البطانة يتّخذها الإنسان لنفسه، انتهى من الشرح.
قلت: كأنّ أصل معناها يدخلها في أمره وشأنه، والله أعلم.
(٥) الغمرة: الشدّة، أي: مزدحم الفتن.
(٦) في هـ. ب: جاءوا وذهبوا.
(٧) في هـ. ص: أي الضاربون في غمرة الضلال.
(٨) في هـ. ب: ساكن، وفي هـ. ص: هم الأُمراء والرؤوساء ولاة الأمر في هذه الفتن، الذين قصدهم نيل الدّنيا بما فعلوا.
(٩) في هـ. ص: هم علماء السوء وأهل الضلال والجهل والبدع وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً وهذا تقسيم للضاربين في الغمرات الذين يستندون إلى من رجع على الأعقاب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.
(١٠) آل عمران ٣: ١٤٤.

٥ ـ (وهجروا السبب الذي أُمروا بمودّته) وكان اصحاب الحاشية هم اصحاب المودة دون غيرهم، وهم الاسباب دون اصحاب الحق الشرعيين.

٦ ـ (ونقلوا البناء عن رصّ أساسه) وذلك بإقلاع البناء من الأساس الملصق به، بنقله من الموضع اللائق ـ وهو الحكم علىٰ اساس الوصية الذي يجمع المسلمين ـ الىٰ الملوكية.

٧ ـ (فبنوه في غير موضعه) ببنائه في الموضع غير اللائق به، فاصبح بناءً يمكن القضاء عليه بسهولة وهو الحكم بالملوكية الذي يفرّق المسلمين ويقضىٰ عليه بملوكية أخرىٰ، كما يشهد بذلك التاريخ، وبهذا التلاعب بالثوابت الاسلامية في الحكم تغيّر:

٨ ـ (معادن كلّ خطيئة) وانها تبرّر كلّ تلاعب في المستقبل، بالقهر والغلبة.

٩ ـ (وأبواب كلّ ضارب في غمرة)، وهي شدة الضلال، فإنّ كلّ من يواجه شدة قد وجد لنفسه مبرّرا في الغلبة على الحكم، ونتيجة ذلك انهم:

١٠ ـ (قد ماروا في الحيرة) والمور: الذهاب والمجيىء كالسابح في الماء من دون توجّه وارادة، فهؤلاء ماروا في الحيرة كما يسبح الانسان في الماء.

١١ ـ (وذهلوا في السكرة) والذهول: غياب الرشد، والسكرة: اضطراب العقل، فهم في تصرفاتهم كالسكران، فذهلوا عن الثوابت الاسلامية.

١٢ ـ (على سنة من آل فرعون) من استخدام سياسة التعذيب والحكم الملوكي المستبد.

١٣ ـ (من منقطع إلى الدنيا راكن) فلهم هدف واحد هو الركون إلىٰ الدنيا بدلاً من الركون الىٰ الحق وخدمة شعب المسلم الذي يحكمونه؛ وذلك بالانقطاع إلىٰ الدنيا وملذّاتها وزخارفها، دون أي شيئ آخر من العدالة في المجتمع كما أمر به الاسلام.

١٤ ـ (أو مفارق للدين مباين) بالاعراض عن الثوابت الاسلامية التي أمر بها الاسلام، من العدالة، وبذلك فارقوا الاسلام وباينوه في اعمالهم سواء في حياتهم الشخصية أو الاجتماعية.

واثار الباطل هذه تؤثر في كلّ شرائح المجتمع الاسلامي من القاعدة إلىٰ القمّة. أعاذ الله المسلمين شرها.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«يذكر عليه السلام قوما من فرق الضلال أخذوا يمينا وشمالا ، أي ضلوا عن الطريق الوسطى التي هي منهاج الكتاب والسنة ، وذلك لان كلّ فضيلة وحق فهو محبوس بطرفين خارجين عن العدالة ، وهما جانبا الافراط والتفريط ، كالفطانة التي هي محبوسة بالجربزة والغباوة ، والشجاعة

التي هي محبوسة بالتهور والجبن ، والجود المحبوس بالتبذير والشح ، فمن لم يقع على الطريق الوسطى وأخذ يمينا وشمالا فقد ضل . ثم فسر قوله : "أخذ يمينا وشمالا" ، فقال: " ظعنوا ظعنا في مسالك الغي ، وتركوا مذاهب الرشد تركا " ، وينصب " تركا " و" ظعنا " على المصدرية ، والعامل فيهما من غير لفظهما ، وهو قوله : " أخذوا».(١)

الى ان قال :«ثم ذكر أنّ مهدي آل محمّد صلى الله عليه وآله ، وهو الذي عنى بقوله : " وإن من أدركها منا يسرى في ظلمات هذه الفتن بسراج منير " ، وهو المهدى ، واتباع الكتاب والسنة».(٢)

الى ان قال :«ووصلوا غير الرحم ، أي غير رحم الرسول صلى الله عليه وآله ، فذكرها عليه السلام ذكرا مطلقا غير مضاف للعلم بها ، كما يقول القائل : " أهل البيت " فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول . وهجروا السبب ، يعنى أهل البيت أيضا : وهذه إشارة إلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله : " خلفت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض ، لا يفترقان حتى يردا على الحوض " ، فعبر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ " السبب " لما كان النبيّ صلى الله عليه وآله قال: " حبلان " ، والسبب في اللغة : الحبل . عنى بقوله : " أمروا بمودته " ، قول الله تعالى :﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾(٣)».(٤)

الى ان قال :«عنى عليه السلام أعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أفناء العرب ، في أيام صفين ، وهم الذين نقلوا البناء ، وهجروا السبب ، ووصلوا غير الرحم ، واتكلوا على الولائج ، وغالتهم السبل ، ورجعوا على الأعقاب ، كعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة ، وحبيب بن مسلمة ، وبسر بن أرطاة ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وحوشب ، وذي الكلاع ، وشرحبيل ابن السمط ، وأبى الأعور السلمي ، وغيرهم ممن تقدم ذكرنا له في الفصول المتعلقة بصفين وأخبارها ، فإن هؤلاء نقلوا الإمامة عنه عليه السلام إلى معاوية ، فنقلوا البناء عن رص أصله إلى غير موضعه . فإن قلت : لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأولته ، لأنه قال عليه السلام : حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب ، فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرسول صلى الله عليه وآله ، وما ذكرته أنت كان بعد قبض الرسول بنيف وعشرين سنة ! قلت : ليس يمتنع أنّ يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب ، لمّا مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأضمروا في أنفسهم مشاقة أمير المؤمنين

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ١٢٦ ـ ١٢٧.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ١٢٨.
(٣) سورة الشورى: ٢٣.
(٤) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ١٣٢ ـ ١٣٣.

وأذاه ، وقد كان فيهم من يتحكك به في أيام أبى بكر وعمر وعثمان ، ويتعرض له ، ولم يكن أحد منهم ولا من غيرهم يقدم على ذلك في حياة رسول الله . ولا يمتنع أيضا أنّ يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الاسلام بالكلية ، فإن كثيرا من أصحابنا يطعنون في إيمان بعض من ذكرناه ويعدونهم من المنافقين ، وقد كان سيف رسول الله صلى الله عليه وآله يقمعهم ويردعهم عن إظهار ما في أنفسهم من النفاق ، فأظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك ، خصوصا فيما يتعلق بأمير المؤمنين ، الذي ورد في حقه : " ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلا ببغض علي بن أبي طالب " ، وهو خبر محقق مذكور في الصحاح».[1]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ١٣٤ ـ ١٣٥.

[١٥١]

ومن خطبة له عليه السلام:

تتضمن الحمد والشهادتين والاشارة إلىٰ منابع الشر والفتنة الكبرى وآثارها، وطريق النجاة:

وأحمد الله وأسْتَعِينُهُ علىٰ مَدَاحِرِ[١] الشَّيْطانِ وَمَزاجِرِهِ[٢]، والاعْتِصَام منْ حَبائِلِه[٣] وَمَخاتِله[٤].

وأشْهَدُ أنَّ محمّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ونَجِيبُهُ وصَفْوَتُهُ، لا يُؤَازَى[٥] فَضْلُهُ، ولا يُجْبَرُ فَقْدُه[٦]، أضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بعْدَ الضَّلاَلَةِ المُظْلِمَةِ، والجَهَالَةِ الْغالِبَةِ، والْجَفْوَةِ[٧] الجَافِيَةِ، والنَّاسُ يَسْتَحِلّوُنَ الحَرِيمَ[٨]، ويَسْتَذِلّونَ الحكيم[٩]، يُحْيَوْنَ على فَتْرَةٍ[١٠]، وَيَمُوتُونَ علىٰ كَفْرَةٍ.

(١/ط - ١٥١) التحذير من الفتن:

افتتح الخطبة بالحمد لله والاستعانة بالله العظيم سبحانه على الشيطان الرجيم في وسائل الاغراء التي يستخدمها، وخصّ منها أربعة:

١ ـ (مداحر الشيطان) الامور التي يدحر بها الشيطان، من الافعال القبيحة. والدحر: الطرد، ويجمعها: العصيان الذي بسببه طرد الشيطان من السماء بقوله تعالى:﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾[١١].

---

(١) في هـ. ب: مداحر الشيطان، المصدر مضاف إلى الفاعل... والدحور: الطرد والإبعاد، وفي هـ. ص: جمع مدحرة، وهي ما يدحر به أي يطرح.

(٢) مزاجر الشيطان: هي الأعمال الحسنة.

(٣) هـ. ص: حبائله، جمع حبالة: يصيد به.

(٤) في هـ. ب: الختل: الخدع، وفي هـ. ص: مخايله، جمع مخيلة: وهي ما يختل به، أي: يخدع.

(٥) في أ وب: «يوازي» بدون همزة، وفي ص: مهموزة، وفي هـ. ب: لا يقابل، وفي هـ. ص: أي لا يساوي واللفظة مهموزة.

(٦) في هـ. ب: إنّ فقده كسر لا يجبر، وفي هـ. ص: أي لا يسدّ أحد مسدّه.

(٧) في هـ. ب: الجفوة ـ بالكسر ـ: إسم للجفاء، وبالفتح: الفعلة الواحدة منه، وفي هـ. ص: هي غلظ الطبع وقسوة القلب.

(٨) في هـ. د: الجريم ـ ب وهذه غلطة مطبعية لم ترد في نسخ ب.

(٩) في هـ. ب، وفي نسخة: الحليم.

(١٠) في هـ. ص: أي انقطاع من الوحي وآثار النبوّة.

(١١) الأعراف ٧: ١٨.

٢ ـ (ومزاجره) وهي الامور يزجر بها، والزجر: المنع، لمنعه عن الاعمال الصالحة التي تخدم الانسان في حياته وآخرته والمجتمع الاسلامي بصورة عامة.

٣ ـ (والاعتصام من حبائله) وهي المكائد والاشراك التي يضل بها لبشر سواء النفسية والشخصية والاجتماعية وغيرها.

٤ ـ (ومخاتله) وهي الأُمور التي يخدع بها من المغريات المادية والخيالية، فلا عاصم منها سوى الله سبحانه.

الشهادتان:

وعقّب الحمد بالشهادتين بقوله:

(وأشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله) وقد ذكر من اوصافه ﷺ انه:

١ ـ (عبده) فهو يشترك مع البشر عامة في العبودية وان امتاز عنهم بالصفة التالية:

٢ ـ (و رسوله) فلا يشاركه في عصره أحد في صفة الرسالة.

٣ـ(ونجيبه) وهو المنتجب من خلقه، وفي بعض النسخ:«ونجيّه» لتلقيه الوحي بواسطة جبرئيل مما هو خفيّ على البشر غيره.

٤ ـ (وصفوته) حيث اختاره الله سبحانه للرسالة في عصره، دون غيره.

٥ ـ (لا يوازى فضله) فإنّ فضل الرسالة الالهية فضل لا يعادله فضل.

٦ ـ (ولا يجبر فقده) لان فقده يلازم فقدان واسطة الوحي، فلا يمكن أن يجبر قط.

٧ ـ (أضاء به البلاد بعد الضلالة المظلمة) حيث عمت الجزيرة العربية الجهل وعبادة الأوثان.

٨ ـ (والجهالة الغالبة) على العالم المتحضّر آنذاك، فلم يعرفوا سوى الماديات الحاكمة في حياتهم، فحررهم إلى تحكيم العقل في حياتهم.

٩ ـ (والجفوة الجافية) وهي غلظ الطبع بسبب العادات الموروثة في المجتمع آنذاك.

وعن نتيجة هذه الحالات غير الانسانية أشار إلىٰ اصناف المجتمع آنذاك، وهي اربع:

أوّلاً: (والناس يستحلّون الحريم) حيث لا شريعة لهم تحدد ما يجوز عما لا يجوز.

ثانيا: (ويستذلّون الحكيم) فإنّ كلمة الحكمة منه لا تأخذ موقعها في نفوسهم، فلا يعمل فيها.

ثالثا: (يحيون على فترة)، وهي فترة انقطاع الوحي من نبوّة عيسى وتنبؤ محمّد ﷺ.

رابعا: (ويموتون على كفرة) حيث لا عقيدة صحيحة ولا شريعة ثابتة.

فان هذه الآثار الأربعة نتيجة المجتمع الذي يفقد مقوّمات الانسانية، وبالنتيجة

يحكمها شريعة الغاب. ولم تتغيّر هذه الحالة الاجتماعية إلّا بشريعة الاسلام الذي بشرّ به النبيّ القائد صلى الله عليه وآله.

(٢ / ط - ١٥١) **منابع الشر:**

ثمَّ إنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أغْرَاضُ[١] بَلاَيَا قدْ اقتَرَبَتْ، فاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ[٢]، واحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ[٣]، وتَثبَّتُوا في قَتامِ[٤] الْعِشْوَةِ[٥]، واعْوِجاجِ الْفِتْنَةِ[٦].

حذر الامام العرب بصفة عامة على مختلف الطبقات في كلّ المواقع بقوله:

(ثم إنّكم معشر العرب) من الحضر والبدو رجالا ونساءً صغارا وكبارا (أغراض بلايا قد اقتربت) وقد تنبأ لهذه البلايا امرين:

اولهما: انها توجهت إلىٰ العرب باعتبارهم امة واحدة.

وثانيهما: أنّ هذه البلايا مقتربة، وليست بعيدة الوقوع، وعدّدها باربع بقوله:

١ ـ (فاتقوا سكرات النعمة) وهي ما تحدثه النعم من الغفلة التي تشبه السكر، فيفتقد العقل في الامور.

٢ ـ (واحذروا بوائق النقمة) والبائقة: الداهية التي تعم كالصوت الخارج من البوق.

٣ ـ (وتثبّتوا في قتام العشوة) والقتام: الغبار، والعشوة: ضعف الرؤية في العين.

٤ ـ (واعوجاج الفتنة) فإنّها اذا كانت في مسير مستقيم يمكن مقاومتها بصورة أسهل ممّا اذا كانت في اعوجاج.

فان هذه الأُمور الاربعة من السكرة والداهية والعشوة والفتنة منابع شرّ يجب الاستعداد ضدّها في حياة أيّ انسان، فكيف اذا كانت مؤثرة في حياة امة لها كيانها المستقل؟!.

(٣ / ط - ١٥١) **مراحل الفتنة:**

عِنْدَ طُلوعِ جَنِينِها[٧]، وَظُهُورِ كمِينِها[٨]، وانْتِصابِ قُطْبِها[٩]، ومَدَارِ رَحَاها، تَبْدأ[١٠] في

---

(١) في هـ. ب: أهداف.
(٢) في هـ. ص: هي ما تحدثه النعمة عند أهلها من الغفلة الشبيهة بالسكر.
(٣) في هـ. ب: دواهي العقوبة، وفي هـ. ص: البوائق، جمع بائقة: الداهية.
(٤) في هـ. ب: الغبار، وفي هـ. ص: القتام: الغبار.
(٥) في هـ. ب: العشوة: أن تركب أمراً على غير بيان، وفي هـ. ص: العشوة ـ بكسر العين ـ ركوب الأمر على غير بيان ووضوح.
(٦) في هـ. ص: إعوجاج الفتنة: أخذها في غير القصد وعدولها عن النهج، انتهى من الشرح.
(٧) في هـ. ب: أي مستورها، وفي هـ. ص: أي ما خفي منها أو بدء أوّلها كخروج الولد.

مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ[١١]، وَتَؤُولُ إلى فَظَاعَةٍ[١٢] جَلِيَّةٍ، شَبابُها[١٣] كشَبابِ الْغُلاَمِ[١٤]، وآثارُها كآثارِ السَّلاَمِ[١٥]، تَتوارَثُها[١٦] الظَّلَمَةُ بالْعُهُودِ، أَوَّلُهُمْ قائِدٌ لآخِرِهِمْ، وآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بأَوَّلِهِمْ، يَتَنافَسُونَ[١٧] في دُنْيا دَنِيَّةٍ، ويَتَكالَبُونَ[١٨] على جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ[١٩]، وعنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التابعُ عَنِ المَتْبُوعِ[٢٠]، والْقائِدُ منَ المَقُودِ، فَيتَزَايَلُونَ[٢١] بالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلاَعَنُونَ عِنْدَ اللِّقاءِ[٢٢].

والفتنة هنا: المحنة التي توجب اختلاف الآراء والقتال نتيجة الاعجاب بالمادة والماديّات، وقد سرد بعض أوصافها؛ لانها أساس منابع الشرّ الأُخرى، فقال:

١ ـ (عند طلوع جنينها) أي عند طلوع ما استجنّ منها، اي استتر من علامات تنبئ عن نتائج المستقبل.

٢ ـ (وظهور كمينها) والكامن: ما بطن ولم يظهر.

٣ ـ (وانتصاب قطبها) والنصب: جعل الشيء في موضعه، والقطب للرحى: ما يدار عليه للطحن.

٤ ـ (ومدار رحاها) حيث لا يدور الرحى بدون ذلك، فيجب الحذر من الفتنة قبل ذلك.

٥ ـ (تبدأ في مدارج خفيّة) فإنّ للفتنة مراحل تتدرج من المبتدأ إلىٰ أن تتحقق، ولكن هذه المراحل خفية في البداية إلّا لمن يعتبر بالتاريخ.

٦ ـ (وتؤول إلى فظاعة جليّة) بعد تدرّج تلك المراحل فتنتهي إلىٰ فتنة ظاهرة،

---

(٨) في هـ. ص: أي ما كان مكتمناً.
(٩) في هـ. ص: عبارة عن تمامها وانتشارها.
(١٠) في أ ب ص: يبدأ.
(١١) في هـ. ب: أي تبدأ الفتنة في مسالك غير ظاهرة.
(١٢) في هـ. ب: أي أمر شنيع وفضيع مشكل.
(١٣) هـ. ب: الشباب: نشاط الفرس.
(١٤) أي شدتها كشدّة الغلام وفتوّته.
(١٥) في هـ. ب: الحجر، وفي هـ. ص: هي الحجارة، واحدها: سلمة.
(١٦) في ط: يتوارثها.
(١٧) في هـ. ب: يرغبون.
(١٨) في هـ. ب، وفي رواية: ويكالبون.
(١٩) في هـ. أ: مريحة: متغيّرة منتنة، وفي هـ. ب: منتنة، وفي هـ. ص: أي ذات ريح، أي يتنازعون الدنيا تنازع الكلاب الجيف.
(٢٠) في هـ. ص: يعني يوم القيامة، وذكر في الفقرة الثانية تبرّؤ المتبوع من التابع، انتهى من الشرح.
(٢١) أي يتفارقون.
(٢٢) في ب: البقاء.

والفضاعة: الشدّة.

٧ ـ (شبابها كشباب الغلام) والشباب ـ بالكسر ـ: الهيجان والعنف، فيتصف بها الانسان في شبابه.

٨ ـ (وآثارها كآثار السلام) وهو ـ بالكسر ـ: الحجارة القوية التي تؤثر في الإضرار بالأنفس والاموال.

٩ ـ (تتوارثها الظلمة بالعهود) فإنّ الحاكم الظالم يورث الفتنة لمن يخلفه، مستخدمين قاعدة (فرّق تسد) حتى يتحقق لهم السيادة.

١٠ ـ (أولهم قائد لآخرهم) حيث انه اول من يتعامل بالظلم باستخدامه في حياته والعهد به بعد وفاته.

١١ ـ (وآخرهم مقتد بأولهم) حيث انه يقتدي بمن يخلفه في وراثة الظلم، وكل يقتدي بمن سبقه حتى ينتهي إلىٰ الأوّل.

١٢ ـ (يتنافسون في دنيا دنيّة) لأنّ الهدف لهم في الحياة ليس الاّ إستخدام الناس لمصالحهم الشخصية من المادة والماديات، فيتنافسون في الماديات الدنيوية التي هي (دنيّة) كما تدل عليه كلمة (الدنيا) التي هي تصغير للدني.

١٣ ـ (ويتكالبون على جيفة مريحة) فهم يتهافتون على الدنيا كالكلاب التي تتحارب فيما بينها على جيفة الحيوان المنتن ذي الرائحة الكريهة، فلا يهمهم الريح المنتنة، بل يهمهم الحصول عليها.

وعن نتيجة هذا التهالك المادي على الدنيا قال:

١٤ ـ (وعن قليل يتبرّأ التابع من المتبوع) والتابع: هو طبقة الحاشية الذين يتبعون الظالم بالفعل الذي هو متبوع بحكم تسلّمه القيادة بالظلم، وتظهر هذه البراءة فور سقوط الحكم من أقرب المقرّبين.

١٥ ـ (والقائد من المقود) والقائد هو الظالم الحاكم بالفعل الذي ورث الظلم ممّن تقدّمه في الحكم.

وعن نتيجة هذه البراءة، قال:

١٦ ـ (فيتزايلون بالبغضاء) أي يتفرقون بالاختلاف في تقسيم الحصص في نفس وقت الحكم؛ فإنّ كلّ واحد منهم يريد الزيادة.

١٧ ـ (ويتلاعنون عند اللقاء) وجهاً لوجه، أو في ساحة الحرب، والتاريخ يشهد بحصول ذلك في كلّ حكم ظالم من أقرب المقرّبين إلىٰ الحاكم الظالم نفسه في انصاره

وعشيرته، ومن أنعم عليهم.

(٤ / ط - ١٥١) الفتنة الكبرى:

ثمَّ يأتي بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ ٱلرَّجُوفِ[١]، والْقاصِمَةِ[٢] الزَّحُوفِ[٣]، فَتَزِيغُ[٤] قُلُوبُ بَعْدَ اسْتِقامَةٍ، وتَضِلُّ رِجالٌ بَعْدَ سَلاَمَةٍ، وتخْتَلِفُ الأَهْوَاءُ عنْدَ هُجُومِها[٥]، وتَلْتَبِسُ الآرَاءُ عنْدَ نُجُومِها[٦]، مَنْ أَشْرَفَ لها قَصَمَتْهُ[٧]، وَمَنْ سَعَى فيها حَطَمَتْهُ[٨]، يَتَكادَمُونَ[٩] فيها تَكادُمَ الحُمُرِ في الْعانَةِ[١٠]، قَد ٱضْطَرَبَ مَعْقُودُ الحَبْلِ، وعَمِيَ وجْهُ الأَمْرِ، تَغِيضُ[١١] فيها الحِكْمَةُ، وتَنْطِقُ فيها الظَّلَمَةُ، وتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمسْحَلِها[١٢]، وتَرُضُّهُمْ[١٣] بِكَلْكَلِهَا[١٤]، يضيعُ في غُبارِها الْوُحْدَان[١٥]، ويَهْلِك في طَرِيقِها الرُّكْبانُ، تَرِدُ بِمُرِّ الْقضاءِ، وتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ[١٦]، وتَثْلِمُ[١٧] مَنَارَ الدِّينِ، وتَنْقُضُ عَقْدَ[١٨] الْيَقينِ، يَهْرُبُ[١٩] مِنها الأَكْياسُ[٢٠]، ويُدَبِّرُها[٢١] الأَرْجاسُ[٢٢]، مِرْعادٌ مِبرَاقٌ،

---

(١) في هـ. ب: الفتنة التي يضطرب فيها، وفي هـ. ص: أي التي ترجف بالناس وتزلزلهم.
(٢) في هـ. ب وص: الكاسرة، وفي هـ. د: القاصمة بدون واو ـ ب.
(٣) في هـ. ب: الساري في هلاك كلّ شيء، وفي هـ. ص: التي تسير في الأرض وتنتشر.
(٤) في هـ. ب: فتعوج.
(٥) في هـ. ب: سقوطها.
(٦) في هـ. ب: ظهورها.
(٧) في أ، وفي نسخة: فضحته، وفي هـ. ص: أي كسرته.
(٨) في هـ. ص: أي من انتصب برفعها وسعى في تغييرها هلك؛ لأنّ لها أمداً، وكذلك وقع الأمر.
(٩) في هـ. ب: يتعاضّون.
(١٠) هـ. ب: العانة: قطيعة من حمر الوحش، والجمع: عون، وفي هـ. ص: أي يعضّ بعضهم بعضاً على الدنيا والتغلّب فيها، والعانة: قطيع من حمر الوحش، هكذا كان حال بني العباس وأهل دولتهم ومن يعزى إليهم.
(١١) أي تغور، وفي هـ. ب: تنقص.
(١٢) في هـ. ب: المسحل: حديدة عريضة يجبّ فم الفرس إذا أُلجم، وفي هـ. ص: هو المبرد.
(١٣) في هـ. ب: تدقّهم.
(١٤) في هـ. ب: أي صدرها، وفي هـ. ص: هو الصدر، وهذا إشارة إلى شمولها الحضر والبادية.
(١٥) في هـ. ب: جمع وحيد، أي: واحداً واحداً.
(١٦) في هـ. ب: طريّ الدماء.
(١٧) في هـ. ب: ثلمت الإناء أثلمه: إذا كسرتَ منه شيئاً فانثلم، وفي السيف ثلم: اذا كُسرت حافتُه.
(١٨) في ب: عُقَدَ وعَقْدُ ـ معاً.
(١٩) في ب: تهرب.
(٢٠) في هـ. ص: العقلاء، فلا يدخل في أمرها تقيّ.
(٢١) في ب: من التدبير.
(٢٢) في هـ. ب: جمع رجس، وفي هـ. ص: الخبثاء.

كاشِفَةٌ عَنْ ساقٍ[١]، تقْطَعُ فِيها ٱلْأَرْحامُ[٢]، ويفارَقُ عليها الْإِسْلاَمُ[٣]، بَرِيُّها سَقِيمٌ، وظَاعِنُها مُقِيمٌ.

والفتنة ـ كما اشار عليه السلام تتدرج في مراحلها من الجنين الىٰ الشباب وهكذا حتى تصل الىٰ أشدها وهي الفتنة الكبرى، وقد أشار اليها بقوله:

(ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة) أي مقدماتها، وقد وصفها بما يأتي:

١ ـ (الفتنة الرجوف) والرجفة: شدة الاضطراب؛ لان الفتنة تكون حينئذ في منتهىٰ قوتّها.

٢ ـ (والقاصمة) والقصم: القطع الذي يبين، ودونه القضم، لأثرها في قطع المجتمع الاسلامي فرق.

٣ ـ (الزحوف) والزحف: السير على تؤدة، كسير الجنود بعضها إلى بعض بانتظام عسكري.

٤ ـ (فتزيغ قلوب بعد استقامة) والزيغ: الميل بسبب شدة الموقف.

٥ ـ (وتضلّ رجال بعد سلامة) بسبب عدم الرؤية الواضحة.

٦ ـ (وتختلف الأهواء عند هجومها) فكل يرىٰ رأياً يريد فرضه على الآخرين من دون شورى.

٧ ـ (وتلتبس الآراء عند نجومها) والنجم: الظهور، فكل واحد يظهر رأيه الخاص في نفس الوقت من دون بحث أو استشارة، وذلك يؤدي إلىٰ التباس الاراء على الجميع، من دون قاعدة يرجع اليها.

وعن حال الناس في هذه الفتنة قال:

٨ ـ (من أشرف لها قصمته) بأن صادمها وقابلها كالمتطلّع عليها من الأعلى.

٩ ـ (ومن سعى فيها حطّمته)؛ فانها من القوة والشدة بحيث لو تدخل الانسان لاخمادها غرق فيها بنفسه.

١٠ ـ (يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة) التكادم: التعاض بأدنى الفم، والعانة: القطيع من حمر الوحش، فالناس في هذه الفتنة الكبرى كالعانة، كلّ يحاول التغلب على

---

(١) في هـ. ب: شدّة، وفي هـ. ص: كلّ هذا كناية عن شدّتها وكلبها.
(٢) في هـ. ص: لا شك أنّ بني العباس قطعوا رحم آل رسول الله صلى الله عليه وآله وقطع بعضهم رحم بعض على الملك.
(٣) وذلك لأنّهم استحلّوا الغدر واتخذوه سنّة وطريقة.

الآخر بالعضّ، حيث ليس يحكمهم شريعة عادلة، بل شريعة الغاب، فهم كقطيع الحُمُر في الوصف المذكور.

وعن سبب هذه الحالة غير الانسانية قال:

١١ ـ (قد اضطرب معقود الحبل) وهو حبل الله الذي امر الله بالاعتصام به، بقوله تعالى: (وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا)[1] فكأنّ حبل القيادة العادلة مضطرب، وجعلت التفرقة بين الامة، وبالنتيجة حكم شريعة الغاب اي الحكم بالقوة والغلبة.

١٢ ـ (وعمي وجه الأمر) الذي أمرنا الله سبحانه باتباعة في الحكم وصفات القائد للأُمة.

١٣ ـ (تغيض فيها الحكمة) وهي التدبير والعقل. والغيض: النقصان؛ لغياب العدل في الحكم.

١٤ ـ (وتنطق فيها الظلمة) حيث لا حكم ناطق، فكان الظلم والجهل ناطقاً عوضا عنه.

وعن سعة هذه الفتنة قال:

١٥ ـ (وتدق أهل البدو بمسحلها) فلا تختص هذه الحالات بأصحاب السلطة فقط بل يصطلي بنارها الجميع، وفي المقدمة أهل البدو، حيث أنّ السلطة تظلم المستضعفين وهم في المقدمة والدق: الطحن، والمسحل: المبرد؛ فإنّ الظالم سوف يسحق الامة كالمبرد، لا لشيئ سوى انهم اهل بادية، لا يعرفون سياسات الحاكم الظالم.

١٦ ـ (وترضّهم بكلكلها) والرض: السحق، والكلكل: الصدر، فالسلطة الظالمة تسحقهم بالرضّ على صدورهم، فلا تكون لهم قائمة للمعارضة.

١٧ ـ (يضيع في غبارها الوحدان) والواحد: من يسير لوحده، فلا يهتدي إلىٰ المقصد؛ اذ لا يتبيّن الطريق الصحيح له في تلك الحالة.

١٨ ـ (ويهلك في طريقها الركبان) والراكب: الذي يظن النجاة من السفر اسرع من الراجل، فانه يهلك أيضاً؛ لشدة الغُبار والقتام فيها.

واهل البوادي في كلّ التاريخ يصطلون بظلم السلطة بأنواع مختلفة، لوجود الفرق بينهم وبين مركز الحكم على أساس المصالح المادية.

واجمل صفات هذه الفتنة الكبرى قائلا:

١٩ ـ (ترد بمر القضاء) ويكون المورد لهذه الفتنة الماء المر من القضاء.

---

(١) آل عمران ٣: ١٠٣.

٢٠ ـ (وتحلب عبيط الدماء) ويكون الحليب الناتج من هذه الفتنة الدم الطري للمظلومين.

٢١ ـ (وتثلم منار الدين) والثلم: الكسر، فيصاب المنار بالكسر، فلا هادي للجميع.

٢٢ ـ (وتنقض عقد اليقين) من الثواب الاسلامية فتندحض بها.

٢٣ ـ (تهرب منها الأكياس) والكيّس: العاقل؛ لانها فتنة لاتخدم حقيقة اصلاً فقط.

٢٤ ـ (وتدبرها الأرجاس) والرجس: القذر؛ لانهم لا يهمّهم امر الدين ولا الناس، بل مصالح انفسهم فقط.

٢٥ ـ (مرعاد) فإنّ الفتنة ترعد بصوت دويّ، كالرعد في السماء الذي يعمّ هوله المجتمع.

٢٦ ـ (مبراق) ولها بريق كالبرق في السماء حيث يخوّف الرائي.

٢٧ ـ (كاشفة عن ساق) كناية عن اشتدادها.

٢٨ ـ (تقطّع فيها الأرحام)؛ لأنّ الفتنة تتنكّر لكل القيم الانسانية بما فيها صلة الارحام.

٢٩ ـ (ويفارق عليها الاسلام) لأنّها فتنة تتنكّر لكل القيم والثوابت الاسلامية.

٣٠ ـ (بريّها سقيم) لأنّ الذي يبرأ من هذه الفتنة من نارها لابدّ وان يكون سقيماً في وضع رؤيته للثوابت، فإنّ وضوح الرؤية يوجب اتخاذ موقف مّا ولو كان بضرره.

٣١ ـ (وظاعنها مقيم) والظاعن: من يسير عقبها، فانه لابدّ وان يصطلي بنارها وهو في طريق النجاة منها، فكأنه مقيم فيها، فان كلّ من يحاول الفرار من المسؤولية، لابدّ وان يلحقه الاذى وأقلّها الخوف الذي دعاه إلى الفرار.

وهذه النقاط الاحدى والثلاثين من اوصاف الفتنة الكبرى حقاً توجب اتخاذ التحذّر منهجاً لكافة الأُمة على اختلاف طبقاتها وخاصة المستضعفين.

(٥ / ط ـ ١٥١) آثار الفتنة:

منها: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[١]، وَخائِفٍ مُسْتجِيرٍ، يَخْتَلُونَ[٢] بِعَقْد الأَيْمَانِ، وبِغُرَور[٣] الْإيمانِ.

وخصّ الامام هذا المقطع الصغير بآثار الفتنة المحسوسة بين طائفتين، هما: الشعب

(١) في هـ. ب: الطل: إبطال الدم وهدره.
(٢) في هـ. ب: يخدعون.
(٣) في ص: وغرور.

والسلطة.

أمّا الشعب:

فذكر طائفتين هما:

أوّلاً: (بين قتيل مطلول) والطلّ: الدم الذي لا طالب له ممن قتل، حيث جاهر بموقفه تجاه الظلم الحاكم.

ثانيا: (خائف مستجير) يخاف من ظلم الحاكم فيسكت خوفاً من ظلمه ويشكو إلىٰ الله سبحانه حيث لاملجأ له سوى ذلك.

واما الظالم:

أوّلاً: (يختلون بعقد الأيمان) فان اليمين الكاذبة أسهل شئ للحاكم الظالم، يمنحه بسخاء على الشعب المظلوم فختلون بها، والختل: الخدعة، التي هي شعار كلّ سياسي في الحياة.

ثانيا: (وبغرور الايمان) والغرور ـ بالفتح: ما يغرّ الانسان ويخدعه، فإنّ الظالم يظهر الايمان والعقيدة في القيادة ويغتر به عامة الناس.

وهذه الاثار الاربعة محسوسة لكل مجتمع ظالم يثني على الظالم في الحكم.

طريق النجاة: (٦ / ط - ١٥١)

فَلاَ تَكُونُوا أَنْصابَ[1] الْفِتَنِ، وأَعْلاَمَ الْبِدَعِ، وَٱلْزَمُوا ما عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الجَمَاعَةِ[2]، وبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكانُ الطاعَةِ، واقْدَمُوا على اللهِ مَظْلُومِينَ، ولا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ[3] ظالِمِينَ، وٱتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطانِ[4]، ومَهابِطَ[5] الْعُدْوَانِ، ولا تدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ[6] الحَرَامِ، فإنَّكُمْ[7] بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَعْصِيَةَ، وسَهَّل لكُم سَبيل الطاعَةَ[8].

واشار الامام عليه السلام إلىٰ طريق النجاة من الفتنة قبل وقوعها وقبل أن تتكوّن وتتدرج في

---

(١) في أ، أنصار، وفي هـ . ب: جمع نصب.

(٢) من ولاية أهل البيت عليهم السلام

(٣) في أ: على الله. وفي هـ . أ، وفي نسخة: عليه، وفي هـ . د: ولا تقدموا على الله ـ ف، ولا تقدمون عليه ـ م.

(٤) في هـ . ص: جمع مدرجة: وهي السبيل.

(٥) في هـ . ص: جمع مهبط، محالّها حيث تهبط.

(٦) في هـ . ب: اللعقة: ما تأخذه الملعقة. وفي هـ . ص: جمع لعقة، ما يلعق، أي قليل الحرام فضلاً عن كثيره.

(٧) في هـ . ص: أي فإنّ أعمالكم لا تخفى على الله.

(٨) لم ترد «وسهّل لكم سبيل الطاعة» في أ وط وفي هـ . د: لم ترد «وسهل لكم سبيل الطاعة» في ف ن ب ل، سبل الطاعة ـ ل.

مراحلها من مرحلة الجنينيّة إلىٰ الفتنة الكبرى، وهي نقاط اساسية توجب المسؤولية على جميع افراد الأُمّة، وهي:

أوّلاً: (فلا تكونوا أنصاب الفتن) بتحمّل المسؤولية للظالم في حكمه، كالنصب المنصوبة للفتنة.

(وأعلام البدع) بان يصبح الانسان علماً للبدعة الذي يريد الظالم رواجها.

ثانيا: (والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة) ممّا يوحّد المسلمين في كلمتهم ومواقفهم.

(وبنيت عليه أركان الطاعة) لله سبحانه وهو الكتاب والسنة، وبذلك يمارس الظالم سياسة التفرقة بين المسلمين.

ثالثا: (واُقدموا على الله مظلومين) حيث يسلب الظالم حقوقكم المشروعة وانتم لا تسفكوا دما في سبيلها حفظاً لوحدة الكلمة ما دام فيها سلام الاسلام.

(ولا تقدموا عليه ظالمين) باراقة دماء المسلمين في المصالح الشخصية.

رابعا: (واتقوا مدارج الشيطان) بقلع منابع الشر التي اشار اليها، ومراحل الفتنة التي تواجهها؛ لانها تستلزم اموراً هي:

(مهابط العدوان) على الاسلام كعقيدة، وعلى المسلمين كافة.

خامسا: (ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام) واللعقة ـ بالفتح ـ: المرة الواحد، وبالضم اسم تأخذه الملعقة، فان تذوّق الحرام حبّة حبّة توجب الاستكثار منه، وبالتدريج يقع الانسان في عين الحرام.

وقد اشار ﷺ إلىٰ أنّ اي شئ قليل أو كثير لا يغيب عن عين الله الناظرة بقوله:

(فإنكم بعين من حرم عليكم المعصية) فهو يعاقب المعتدي في نفسه وماله، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.[١]

وختم هذه النقاط الخمسة لطرق النجاة بالسبب في انها طرق نجاة بقوله:

(وسهل لكم سبيل الطاعة)، فإن المواقف الاسلامية المذكورة سبيل للطاعة شرعها الله سبحانه لمن يريد النجاة لنفسه في الدنيا والاخرة، وللمجتمع الذي يعيش فيه في حاضره ومستقبله حتى يخرج من هذه الدنيا حرّ الضمير طاهر القلب يخلّده التاريخ بأحرف من نور لمن يقرأ ما بين السطور.

---

(١) الزلزلة ٧: ٨.

[١٥٢]

ومن خطبة له عليه السلام:

تتضمن هذه الخطبة مقاطع في صفات الله جل جلاله، وصفات أئمة الدين وصفات الاسلام.

(١/١٥٢ - ط) **من صفات الله:**

الحَمْدُ لِلّٰهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ على أَزَلِيَّتِهِ، وَبِاشْتِباهِهِمْ[١] على أَنْ لَا شَبهَ لَهُ[٢]؛ لَا تَسْتَلِمُهُ[٣] المَشاعِرُ[٤]، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ؛ لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالمَصْنُوعِ، وَالحَادِّ والمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالمَرْبُوبِ. الأَحَدِ لابتَأْوِيلِ[٥] عَدَدٍ، وَالخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَداةٍ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ[٦]، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُماسَّةٍ، وَالْبائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لا بِرُؤْيَةٍ، وَالْباطِنِ لَا بِلَطافَةٍ.

بانَ مِنَ ٱلأَشْياءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْها، وَبانَتِ الأَشْياءُ مِنْهُ بالخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ.

افتتح الامام الخطبة بالحمد وسرد من صفات الله سبحانه ما يدلّ على إثبات وجوده تعالى بقوله:

١ ـ (الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه) لأنّ الخلق حادث وكلّ حادث لابد له ممّن أحدثه، والله سبحانه علّة العلل لكلّ المخلوقات، فهي تدلّ على وجوده دلالة المعلول على العلّة المنتهية الىٰ الله سبحانه.

٢ ـ (وبمحدث خلقه على أزليّته) والأزليّة: القدم، ولولا قدمه تعالى لاستلزم العلل أن لا تنتهي الى علّة، وهو التسلسل الباطل، بل لابدّ من انتهاء العلل الىٰ علة أُولى قديمةٍ.

٣ ـ (وباشتباههم على أن لا شبه له) لأنّه تعالى ليس جسماً، والتشابه انما يكون في الاجسام.

٤ ـ (لا تستلمه المشاعر) والاستلام: اللمس للشيئ، وانما يمكن ذلك في الاجسام،

---

(١) في ب: وبأشباههم، وفي هـ. ب في نسخة: وباشتباههم.
(٢) في هـ. د: لا شبيه له ـ م.
(٣) في هـ. ب: لا تشتمله، بمعنى المسّ.
(٤) في هـ. ب: الحواس، ويكون في اللغة مواضع المناسك.
(٥) في ط: بلا تأويل.
(٦) في هـ د: بلا تفريق الة ـ ب.

والله سبحانه ليس بجسم.

٥ ـ (ولا تحجبه السواتر) والستر: هو الحجاب، وانما يتحقق الحجاب فيما له مكان، والله سبحانه منزّه عن المكان؛ لانه غير متحيّز، والتحيّز انما يكون في الاجسام، والله سبحانه ليس بجسم.

واشار الىٰ اسباب ثلاثة في الفرق بين الله سبحانه الخالق وبين المخلوقات، وهي:

أوّلاً: (افتراق الصانع والمصنوع) في الحدوث والقدم.

ثانيا: (والحادّ والمحدود) في الأجسام الملموسة.

ثالثا: (والرب والمربوب) في المحجوب في المكان.

فان الفروق المذكورة تنفي الجسمية وكل ما يلزمها من الحدوث واللمس والحجاب وما شابه ذلك.

٦ ـ (الأحد لا بتأويل عدد) فهو الأحد الذي لا يقبل التجزّي، وليس من الاعداد التي يتكون منها الاعداد المتسلسلة.

٧ ـ (والخالق لا بمعنى حركة ونصب) الحركة: هي تبدّل حال الذات من المبدأ الىٰ المنتهىٰ، والنصب: التعب، والانسان في ايجاده الاشياء التي يريدها في الحياة يفتقر إلىٰ تبدل حال الذات باستخدام الالات لتحقيق مقاصده، وذلك لا يخلو من تعب، ولا يتحقق براحةٍ، والله سبحانه يخلق الخلق بارادته التي اذا قال لشئ: «كن» فيكون.

٨ ـ (والسميع لا بأداة) فإنّ السماع بأداة السامعة من خواص الاجسام الحيوانية، والله ليس بجسم.

٩ ـ (والبصير لا بتفريق آلة) وهي العين الباصرة، كما في الانسان، لأنّه سبحانه ليس بجسم.

١٠ ـ (والشاهد لا بمماسّة) المس: هو لمس الشئ من الاجسام، والله سبحانه منزّه عن الجسمية.

١١ ـ (والبائن لا بتراخي مسافة) البينونة: البعد بين جسمين، والله سبحانه يباين المخلوقات في ذاته المقدسة لا بالمسافة التي تفرّق بين الاجسام.

١٢ ـ (والظاهر لا برؤية) لأنّ رؤية الباصرة انما يكون في المحسوسات دون المجردات.

١٣ ـ (والباطن لا بلطافة) فإنّ الباطن ما كان لطيفاً جداً، اما لصغره أو لشفافيته كالروح والريح، وهما توجدان في الاجسام.

١٤ ـ (بان من الأشياء بالقهر لها) فإنّ الاشياء لا يمكنها القهر عليه.

١٥ ـ (والقدرة عليها) لانه على كلّ شيءٍ قدير لكونه واجب الوجود لذاته، ونتيجة ذلك ان:

(بانت الأشياء منه بالخضوع له) لتأثّرها بالقهر منه تعالى، كما في مظاهر الطبيعة والمعجزات.

(والرجوع إليه) حيث ينفذ امره دون غيره.

وهذه الصفات الخمسة عشر من صفات الذات المقدسة المختصة التي لايشاركه فيها غيره.

(٢ / ط ـ ١٥٢) نتيجة الصفات:

مَنْ وَصَفَهُ[١] فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قالَ: «كيْفَ» فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قالَ: «أَيْنَ»، فَقَدْ حَيَّزَهُ، عالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ، وَقادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ.

واشارعليه السلام إلىٰ نتيجة هذه الصفات الخمسة عشر في نقاط:

أوّلاً: (من وصفه فقد حدّه) بان يصفه بصفة زائدة على الذات المقدسة؛ لان صفاته جميعها عين الذات، والوصف بغير الذات تحديد بصفات غير الذات من الاجسام، وهو منزّه عنها.

ثانيا: (ومن حدّه فقد عدّه) لان تحديد أيّ شيءٍ مادي يستلزم أن يكون المحدود بالجنس والفصل المادي، لكى يفرق بينه وبين المادي الآخر، وهذا عدّ لها في المحدودات المادية المحددة بالجنس والفصل، والذات المقدسة منزّهة عن الجسمية.

ثالثا: (ومن عدّه فقد أبطل أزله) فإنّ العدّ يستلزم كون المعدود جسماً، والاجسام حادثة، والحدوث يناقض القدم، وهو الأزلية.

رابعا: (ومن قال كيف؟ فقد استوصفه) والكيفية: الحالة التي عليها الجسم، وحيث أنّ الذات المقدسة ليست بجسم، فالسؤال عن الكيفية طلب لوصفه بالجسمية المحال فيه تعالى.

خامسا: (ومن قال أين؟ فقد حيّزه) الحيّز: المكان، والسؤال بـ«أين؟» الذي هو ظرف مكان، يستلزم تصوّر المكانية للشيءِ، والله سبحانه ليس في مكان خاص وإن كانت قدرته

---

(١) في هـ. ص في نسخة زيادة: سبحانه.

في مكان.

ثم لخصّ هذه النقاط بقوله:

ـ (عالم إذ لا معلوم) فعلمه أزليّ قبل وجود المخلوقات.

ـ (وربّ إذ لا مربوب) لأن ربوبيته ازلية قبل وجود المربوبين.

ـ (وقادر إذ لا مقدور) لأنّ قدرته ازلية قبل وجود المقدورين.

وهذه الصفات للذات المقدسة لا يمكن أن تتواجد في الموجودات المادية، للفرق الذاتي بين المجردات والمحسوسات.

(٣ / ط - ١٥٢) دور الامام:

ومنها: قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ؛ وَلَاحَ لَائِحٌ، وَٱعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَٱسْتَبْدَلَ ٱللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً؛ وَٱنْتَظَرْنَا ٱلْغِيَرَ ٱنْتِظَارَ الْمُجْدِبِ ٱلْمَطَرَ.

وَإِنَّمَا ٱلْأَئِمَّةُ قُوَّامُ ٱللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبادِهِ، وَلَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ.

في هذا المقطع اشارعليه السلام إلىٰ دور الامام ومسؤولياته حينما تتوجه إليه مسؤولية القيادة، وذكر نفسه كمثالا.

فانه لما وصلت الخلافة اليه بعد مقتل عثمان (رض) اشار إلىٰ دوره القيادي بقوله:

١ ـ (قد طلع طالع) حيث عاد الىٰ الامام الخلافة، وبرز في البيعة العامة له.

٢ ـ (ولمع لامع) حيث رأىٰ في خلافته بريق أمل لتحقيق السنة النبوية.

٣ ـ (ولاح لائح) اللوح: الظهور، حيث ظهر الامام كخليفة جديد للدولة الاسلامية.

٤ ـ (واعتدل مائل) مشيراً إلىٰ الخلاف في الادارة لمن سبقه من الخلفاء، ومنها: التسوية في العطاء بين المسلمين عامة، كما كانت عليه السنة النبوية، ورفض التفضيل في العطاء كما عليه خلافة الخليفة الثاني (رض).

٥ ـ (واستبدل الله بقوم قوما) حيث أنّ الخلافة انتقلت من جماعة لآخرين.

٦ ـ (وبيوم يوما) حيث أنّ ايام الخلافة الاسلامية تختلف في سياساتها باختلاف اشخاصها.

٧ ـ (وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر) مشيراً إلىٰ أنّ التغيّر في الوضع الذي كان في عصر الخليفة الثالث (رض) كان متوقّعاً، وليس للامام وحده، بل لغيره ايضاً، فانهم كانوا منتظرين للاصلاح الاداري.

مسؤولية الائمة:

وحدد المسؤولية القيادية الملقاة على عاتق الخليفة، في نقاط:

أوّلاً: (وإنما الأئمة قوّام الله على خلقه) أي يقومون بأوامر الله سبحانه وتطبيق الحكم الاسلامي في المجتمع علىٰ جميع الخلق بدون تفريق.

ثانيا: (وعرفاؤه على عباده) العريف: النقيب في الناس، الذي يتتبع الاخبار ويعمل من اجل مصلحتهم.

ثالثا: (لا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه) فإنّ الصلة بين القائد والقاعدة يجب أن تكون صلة معرفة كاملة، فهم جميعا ينظرون إلى القائد نظرة المحافظ على مصالح الامة، وهو ينظر اليهم نظرة الاب إلىٰ أبناء اُمته.

رابعا: (ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه) فإنّ التناكر بين القائد والقاعدة يؤدّي إلىٰ الفصل بينهما، ويكون وبال ذلك على الامّة جميعا، وقد نهى الله سبحانه عن التفرقة، ومن ارتكبها استحق النار.

وهذه النقاط الأربع التي اشار اليها الامامعليه السلام في مسؤولية الامّة، تمثلت في شخصه الكريم بالذات منذ تسلّمه الحكم حتى استشهاده، كما شرحته في موارد الاعتبار، فليراجع.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« هذه خطبة خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه . قد طلع طالع ، يعنى عود الخلافة إليه ، وكذلك قوله : " ولمع لامع ، ولاح لائح " ، كلّ هذا يراد به معنى واحد . واعتدل مائل ، إشارة إلى ما كانت الأمور عليه من الاعوجاج في أواخر أيام عثمان ، واستبدل الله بعثمان وشيعته عليا وشيعته ، وبأيام ذاك أيام هذا . ثم قال: " وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر " ، وهذا الكلام يدل على أنه قد كان يتربص بعثمان الدوائر ، ويرتقب حلول الخطوب بساحته ، ليلى الخلافة . فإن قلت : أليس هو الذي طلق الدنيا ، فأين هذا القول من طلاقها ؟ قلت : إنه طلق الدنيا أنّ يقبل منها حظا دنيويا ، ولم يطلقها ، أنّ ينهى فيها عن المنكرات التي أمره الله تعالى بالنهي عنها ، ويقيم فيها الدين الذي أمره الله بإقامته ولا سبيل له إلى النهى عن المنكر والامر بالمعروف إلا بولاية الخلافة .

[عقيدة علي في عثمان ورأي المعتزلة في ذلك]

فإن قلت : أيجوز على مذهب المعتزلة أنّ يقال: إنهعليه السلام كان ينتظر قتل عثمان ، انتظار المجدب المطر ، وهل هذا إلا محض مذهب الشيعة ! قلت : إنهعليه السلام لم يقل : " وانتظرنا قتله " وإنما انتظر الغير ، فيجوز أنّ يكون أراد انتظار خلعه وعزله عن الخلافة ، فإن علياعليه السلام

عند أصحابنا كان يذهب إلىعثمان استحق الخلع بإحداثه ، ولم يستحق القتل ، وهذا الكلام إذا حمل على انتظار الخلع كان موافقا لمذهب أصحابنا».[١]

(٤/ ط - ١٥٢) من خصائص الاسلام:

إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَٱسْتَخْلَصَكُمْ[٢] لَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ٱسْمُ سَلَامَةٍ، وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ، ٱصْطَفَى ٱللَّهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ[٣] عِلْمٍ[٤]، وَبَاطِنِ حِكَمٍ؛ لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ.

فِيهِ مَرَابِيعُ[٥] النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لَا تُفْتَحُ ٱلْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ[٦]، وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ[٧]، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ[٨]، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ[٩]، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي.

وفي المقطع الاخير خاطب الشعب المسلم المبايع له بالخلافة بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم بوصف الاسلام وصفاً يستلزم العمل بثوابته، فقال:

(إن الله تعالى خصّكم بالاسلام) حيث بعث في الامّة العربية رسولاً منهم ولم يخصّ الامم الاخرى به، اذ لو كان الاسلام في أية أُمة متحضرة لتمكنت من التأثير في الاسلام بطبيعة الحضارة القائمة آنذاك، وهذا ممّا لم يحصل في الامة العربية، ولذلك قال: (واستخصّكم له) حيث جعلكم خالصا، فاصبحت الامة العربية ليست فيها شائبة الشرك قط، لقلع الشرك من اساسه في الجزيرة العربية.

ثم شرح الامام خصائص الاسلام بقوله:

١ ـ (وذلك لأنه اسم سلامة) فإنّ التسمية تعبير عن واقع الشيء، والاسلام مشتق من مادة «سلم» التي هي بمعنى السلامة روحيا جسمياً واجتماعيا واقتصاديا وغير ذلك، ومن يدرس الاسلام على حقيقته يعلم انه يعدّ الانسان عضواً صالحا في المجتمع الذي

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩: ١٥٣.
(٢) في هـ. د: واستخصكم ـ ب.
(٣) في هـ. د: وظاهر حلم ـ حاشية م.
(٤) في هـ. ب: هو القرآن.
(٥) في هـ. ب: الأمطار التي تجيىء في أول الربيع.
(٦) في أ وب وص ود: بمفاتحه، وفي هـ. د: بمفاتيحه ـ ض ح م.
(٧) في أ وب ود: بمصابحه، وفي هـ. د: بمصابيحه ـ ن ض ح.
(٨) في هـ. ب: أي منع المحرّمات.
(٩) في هـ. ب: أي أحل الطيّبات.

يعيش فيه كما في الحديث: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه».

٢ ـ (وجماع كرامة) الجماع: الجمع للشئ فإنّ الاسلام يجمع الكرامة الانسانية بجميع مظاهرها في الحياة، فقد كرّم الانسان بالغاء العبودية إلّا للحق وحده، وكرّم العبيد بتحريرهم، وكرّم النساء بحقوق خاصة مع الرجال، وكرم البنات بتحريم الوأد، وكرم الفقراء بأن جعل لهم حقاً في اموال الاغنياء، ودراسة الاسلام من جوانبه العقائدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية كفيلة بشرح ذلك.

٣ ـ (اصطفى الله تعالى منهجه)؛ لأنّ الاسلام دين الله سبحانه الذي يجمع بين العقيدة والشريعة التي أكملها للناس كافّة بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1].

٤ ـ (وبين حججه من ظاهر علم) ويعني به القرآن الكريم؛ فإنّ الاسلام في تشريعاته تشريعات واضحة بيّنه غير مستورة على طائفة خاصة من اصحاب الكهنوت، كما هي الحال في الأديان الاخرى، بل ليس في مصطلح الاسلام كلمة «رجل دين»؛ فإنّ كلّ من يعمل بالدين هو رجل دين، بلا استثناء، وهذه الحجة ظاهرة من العلم المذكور في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٥ ـ (وباطن حكم) أي الحكم الباطنة للعلم المستند إلى الوحي، ممّا لا يعرفها إلّا الله سبحانه والراسخون في العلم، وقد تكفّل بدراساتها العرفاء بصفة خاصة، ويكفي في الدلالة على الحكمه في التشريعات التزام المسلمين من مختلف القوميات بها، فإنّ القوميات المختلفة التي اعتنقت الاسلام ـ لأيّ سبب كان ـ لم ترجع إلىٰ أديانها السابقة قط، بل هي أشدّ تمسكا بالدين كما نشاهده في عصرنا بين المسلمين الترك والهنود والفرس، ولا نجد لها دعوة بالاسلام من العرب إلىٰ الوثنيّة والمجوسية قط، وما ذلك إلّا لما وجدوا في الاسلام من الحكم التي توجب تطبيقها الحياة السعيدة لهم.

من خصائص القرآن:

ثم ختم المقطع بخصائص القرآن الكريم الذي يعتبر الدستور الاسلامي الخالد، والمفهوم من السياق في ذلك ان القرآن:

١ ـ (لا تفنى غرائبه) فإنّ للقرآن بطون، ويمكن لجميع المستويات الاستفادة من النص كلّ حسب فهمه للنص.

---

(١) المائدة ٥: ٣.

٢ ـ (ولا تنقضي عجائبه) لانها تستند إلىٰ الوحي من الله سبحانه، وكلامه لا يقاس بشيئ آخر.

٣ ـ (فيه مرابيع النعم) المرابيع: الامطار النازلة في اوّل الربيع، وبها تحيى الطبيعة، والقرآن يحيي القلوب العامرة بالايمان.

٤ ـ (ومصابيح الظلم) فإنّ تشريعات القرآن هداية للبشرية روحياً وماديا.

٥ ـ (لا تفتح الخيرات إلّا بمفاتيحه) فإنّ تشريعاته مفاتيح للخير في الحياة في النفس والمجتمع في الدنيا.

٦ ـ (ولا تكشف الظلمات إلّا بمصابيحه) لأنّ هداية القرآن تكشف ظلمات القلب، كما تنير الحياة في الدنيا.

٧ ـ (قد أحمى حماه) فإنّ الله تعالى حمى القرآن بالحفظ، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [1].

٨ ـ (وأرعى مرعاه) فإنّ الله تعالى جعل القرآن مبيّنا حيث انزله بلسان عربي مبين، يفهمه قارئ من دون تعقيد في المفاهيم الاسلامية التي يدعو اليها من التوحيد وغيره.

٩ ـ (فيه شفاء المشتفي) فإنّ الشفاء من امراض الفكر الوثني والمادي لا يكون إلّا بالرجوع مفاهيم القرآن.

١٠ ـ (وكفاية المكتفي) والناحية العملية في تشريعات القرآن في الحياة روحياً واجتماعيا واقتصاديا وغيرها ممّا يكفي لبناء العضو الصالح في المجتمع في علاقات عادلة في النفس والأُسرة والمجتمع الاسلامي، فإنّها علاقات قائمة على العدل.

وشرح هذه النقاط العشر يخرج عن نطاق هذا الكتاب.

---

(١) الحجر ١٥: ٩.

[١٥٣]

ومن خطبة له عليه السلام:

في صفات الضال والمتغافل، والفرق بينهما وطريق النجاة

قال: وهو[١] في مُهْلَةٍ منَ ٱللهِ يهْوِي[٢] مَعَ الْغافِلينَ، وَيَغْدُو[٣] مَعَ المُذْنِبينَ، بِلَا سَبِيلٍ قاصِدٍ[٤]، ولا إِمامٍ قائِدٍ[٥].

(١/ط - ١٥٣) صفاتُ الضال:

يتضمن المقطع لصفات الغالبة في الضال والمتغافل، وان الفرق بينهما يوجب الامهال في العقاب، والمهلة في الأوّل دون الثاني، فان الضال بحكم جهالته يكون حكمه أخفّ، فقال:

(وهو في مهلة من الله) اي يمهل الله سبحانه الضال، ولا يعجّل انزال العقوبة به، لاتاحة الفرصة له للهداية، وذلك لكونه ضالا وأنّ ما يصدر منه انما هو عن جهل، وعن صفات الضال ذكر أربعة، هي:

١ ـ (يهوي مع الغافلين) والهوى: السقوط، فيرتكب من المحذورات بتأثير صحبة الغافلين عن طريق الحق، فلو يحاسب انسانيته لا يكون هاوياً.

٢ ـ (ويغدو مع المذنبين) فإنّ السقوط وصحبة الغافلين يوقعه في ارتكاب المحرمات، فيصبح مذنبا مثلهم، ولو لا اختياره صحبتهم لما حصل ذلك.

٣ ـ (بلا سبيلٍ قاصد) وهو الطريق المؤدي إلىٰ المطلوب الذي يقصده، فهو بحكم كونه ضالاً يسلك هذا الطريق، فيكون من الطبيعيّ أن لا يصل الىٰ مقصده.

٤ ـ (ولا إمام قائد) فان الضال بحكم كونه ضالاً ليس له امام يتبعه في الحياة ويقوده إلىٰ ما فيه النجاة، فيسير على هواه ويقع فيما لا يحمد عقباه.

وهذه الصفات غالبة على الفرد أو المجتمع الذي لا يسير في طريق واضح من حيث المبادئ الهادية والوسائل والاهداف، دون من يشعر بالمسؤولية ويسير على تحقيق

---

(١) في هـ. ب: أي المكلف.
(٢) في هـ. ص، وفي نسخة زيادة: بها.
(٣) في ص: ويعدو.
(٤) في هـ. ص: القاصد: الموصل إلى المطلوب.
(٥) في هـ. ص: أي ليس له بصيرة ولا هادي.

هدفه سواء في ذلك الافراد أو الامم.

(٢ / ط - ١٥٣) صفات الغافلين:

مِنْها: حَتى إذا كَشَفَ[١] لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، واسْتَخْرجهُمْ مِنْ جَلاَبِيبِ غَفْلَتِهِمْ[٢]، إسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً[٣]، واسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أدْرَكُوا مِنْ طُلْبَتِهِمْ، ولا بِمَا قَضُوا مِنْ وَطَرِهِمْ[٤]. وإنِّي[٥] أُحَذِّرُكُمْ[٦] وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ[٧].

ومن صفات الغافلين اشار الىٰ أنّ الغافل يفترق في عن الضال بانه له علم بالحقائق ولكن يغفل عنها لاسباب شخصية أو اجتماعية، واشار إلىٰ سببين لهذا الفرق، هما:

أوّلاً: (حتى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم) فإنّ الله قد كشف لهم عمّا لهم من المسؤوليات وما عليهم من العقوبات في تركها، وهذا هو المطلوب من القانون حيث تبيّن مواد القانون قبل حدوث الحوادث، فيستحق المجرم العقوبة على ترك المسؤوليات، وقد شرح الاسلام قوانينه فأصبحت معلومة في المجتمع الاسلامي.

ثانيا: (واستخرجهم من جلابيب غفلتهم) والجلباب: لباس يغطي الجسم، وبعد الاعلان عن الثوابت الاسلامية في الشريعة المطهرة بأن أوصلها سبحانه بواسطة الرسول الاعظم حتى وعيها كل المجتمع بالطرق المستخدمة في عصره، وفي حالة كهذه لا عذر لمن سمعها ووعاها فلا يمكن فيه دعوى الضلال والجهالة، بل يمكن فيه الغفلة والنسيان العارضان لكل انسان، وبالنتيجة لا يكون في مهلة الضلّال.

وسرد الامام من الصفات الغالبة في الغافلين من الناس اجمعين، أربعة بقوله:

١ ـ (استقبلوا مدبرا) أي استقبلوا امراً كان في ظنهم أنّه مدبر عنهم؛ لكونه في اعتقادهم ليس أمراً مهمّاً في الحياة، فإن مرتكب الموبقات يعتبرها لذّات عابرة لا تستحق الاهتمام بها والمؤاخذة عليها، مع أنّ لها آثاراً في نفس المخالف للقانون تجرّه إلىٰ ما هو أعظم من ذلك في الحياة.

٢ ـ (واستدبروا مقبلا) بأن تركوا وراء ظهورهم واجباتهم ومسؤولياتهم على الظن بأنّ

---

(١) في هـ. ص: الكاشف هو الله تعالىٰ، وكأن قد سبق ذكره إما لفظاً أو معنى.
(٢) في هـ. ص: كأن الغفلة كانت لباساً عليهم.
(٣) في هـ. ب: أحوال يوم القيامة.
(٤) في هـ. ب: حاجتهم.
(٥) في ب وص: فإني.
(٦) في هـ. د: احذرهم ـ ش، فاني أُحذركم ـ ش.
(٧) في هـ. ص: وروي: «هذه المزلة» مفعلة من الزلل.

اهمال تلك المسؤوليات لا يكون له أثر مهم في حياتهم، مع انه يوجب التعوّد لهم عليها، فتصبح طبيعة ثانوية لهم كما هو المشاهد في اصحاب الجرائم، فانهم حين تركوا الواجبات في الصغر حتى ادى ذلك الىٰ الوقوع في المحرمات.

٣ ـ (فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم) حيث لم يؤدوا ما عليهم من المسؤوليات للوصول مطاليبهم، وبالنتيجة يكون ما ادركوه غير نافع لهم في الوقت الذي يفتقرون إليه.

٤ ـ (ولا بما قضوا من وطرهم) الوطر: الحاجة، والمأرب: ما ينبغي للانسان تحصيله، فإنّ الحاجة لا تقضىٰ إلّا لمن سعى، فإنّه ﴿ليس للانسان إلّا ما سعى﴾[١] وحيث يهمل الغافل العمل الواجب عليه فيكون من الطبيعيّ ان لا تقضىٰ حاجته في الوقت الذي يفتقر إلىٰ قضاء الحاجة.

وحيث أنّ الغفلة والنسيان من خصائص الانسان، ختم الامام عليه السلام هذه الصفات الغالبة للغافل بالتحذير عنها لكل انسان بما فيه نفسه، فقال:

(إني أحذّركم ونفسي هذه المنزلة) التي لا عاصم منها إلّا لمن عصمه الله سبحانه.

(٣ / ط - ١٥٣) من خصائص البصير:

فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ[٢] فإِنَّما البَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فأَبْصَرَ، وٱنْتَفَعَ بالعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً[٣] واضِحاً، يَتَجَنَّبُ فيهِ الصَّرْعَةَ في الْمَهاوِي[٤]، والضَّلاَلَ في الْمَغاوِي[٥]، ولا يُعِينُ[٦] على نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ[٧] في حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ في نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ[٨] منْ صِدْقٍ.

من خصائص البصير في الدين: التحرك في الحياة برؤية واضحة للمبادئ والوسائل والاهداف، والى ذلك أشار بقوله:

---

(١) النجم: ٢٩.

(٢) في هـ. ص: أي لا يعتمد على التقليد وعنده آلة الاستبصار، فإن لم يكن بصيراً في المسائل استبصر في المسؤول، فاعتمد على من هدى الله ومن قام الدليل على أنّ الحق معه، والله أعلم.

(٣) في هـ. ب: طرقاً واضحة، وفي هـ. ص: أي طريقاً ومذهباً يشهد بصحته العقل والنقل.

(٤) في هـ. ب: المساقط، وفي هـ. ص: جمع مهواة، وهي الهوة، وهي هنا: قضايا الهوى.

(٥) في هـ. ص: جمع مغواة؛ ما يغوى فيه، وهي هنا: الشبهة.

(٦) في ص: ولا يعن.

(٧) في هـ. ب: الأخذ على غير الطريق، وفي هـ. ص: أي بأن يتكلّف في تقرير الحق بما ينبو عن أذهان الخصوم ولو كان المحتج له حقّاً أو تحريف في نطق بأن يغيّر ألفاظ الأدلّة فيجد خصمه عليه بذلك مطعناً أو تخوّف من صدق، بل يؤثر الصدق حيث يضرّه على الكذب حيث ينفعه.

(٨) في ب: أو تخويف، وفي هـ. د: أو تخويف ـ ش، وفي هـ. ب: أي تنقص.

(فلينتفع امرؤ بنفسه) فإنّ الغافل انما يقع في الغفلة حينما ينسىٰ المسؤوليات، والانسان محل السهو والنسيان، فلابدّ للانسان أن يرجع إلىٰ محاسبة نفسه فينتفع بما يملي عليه انسانية من العمل الهادف برؤية واضحة، ثم ذكر خصائص الرؤية بقوله:

١ ـ (فإنما البصير من سمع فتفكر) وقد سمع الانسان المسلم المواعظ في القرآن والسنة، فهو على علم بها، وبهذا افترق عن الضال، ولم يكن السماع مطلوبا في نفسه بل لأجل العمل، فيستلزم السماع الفكر في تلك المسؤوليات.

٢ ـ (ونظر فأبصر) فإنّ الله أكرمه بالفكر للنظر في حوادث التاريخ، وبالباصرة للنظر إلىٰ سرعة السير في الحياة إلىٰ الفناء، والبصيرة تقتضي استخدامها لتحقيق الغرض من ذلك، وهو التبصّر التبصر بها.

٣ ـ (وانتفع بالعبر) فإنّ حوادث التاريخ فيها موارد الاعتبار، وليس دراسة التاريخ لمعرفة الارقام وتسلسل الحوادث فيها، بل للانتفاع من موارد الاعتبار فيها كيلا يبتدئ الانسان من نقطة الصفر مرّة أُخرىٰ.

٤ ـ (ثم سلك جددا واضحا) الجدد: الطريق، وهو ان يعتبر بموارد الاعتبار فيسلك الطريق الواضح إلىٰ المقصد، فلا يكون علمه مجرداً عن السلوك والعمل .

٥ ـ (يتجنب فيه الصرعة في المهاوي) والهوّة: التردي في الاماكن السفلىٰ، حيث أنّ معرفة موارد الاعتبار يوجب الاجتناب من الوقوع فيها الموجبة لان يلقىٰ الانسان فيها مصرعه.

٦ ـ (والضلال في المغاوي) والمغواة: الشبهة التي تغوي الانسان، فإنّ عدم الاعتبار بالتاريخ يوقع الانسان في تلك الشبهات التي هي الضلال.

٧ ـ (ولا يعين على نفسه الغواة) وذلك باستخدام وسائل لم يستخدمها الاسلام، فإنّ الغاية لاتبرّر الواسطة، واستخدام الوسائل غير المشروعة ـ ولو لغرض مشروع ـ يوجب اعانة الغواة وتضعيف اصحاب الحق، ومثل لذلك أمثلةً هي:

أوّلاً: (بتعسف في حق) والعسف: ضد الرفق، فان المتعسّف في أي امر كان، ولو كان الامر حقاً، يوجب الإعراض عنه، فيكون المتعسف في حق معينا للغواة على نفسه وان كان هو على حق، حيث لم يدخل الرفق في شئ إلّا زانه.

ثانيا: (أو تحريف في نطق) وهو تغيير الشئ عمّا هو عليه واقعاً عملاً، وذلك في المنطق هو الكذب؛ فإنّه محرّم ولو لغرض سامٍ، كما كان من بعض المحدثين في فضائل القرآن ظناً منهم أنّ في ذلك ترغيب في القراءة، وذلك من أبعد أنواع الغفلة عن الرؤية

الواضحة للاسلام في وسائله.

١٠ ـ ثالثا: (أو تخوف من صدق) في العمل الصادق المفتقر اليه في الحياة الاسلامية أو الكلام الحق من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند اجتماع شرائطهما، فإنّ افضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر.

وهذه النقاط العشر حقائق الغفلة عن المسؤولية الاسلامية بعد العلم بها.

(٤ / ط - ١٥٣) اسس النجاة:

فأَفِقْ[١] أيُّها السَّامِعُ منْ سَكْرَتِكَ، واسْتَيْقِظْ منْ غَفْلَتِكَ، واخْتَصِرْ منْ عَجَلَتِكَ وأنْعمِ[٢] الْفِكْرَ فِيما جاءَكَ على لِسانِ النَّبيِّ الْأُمِّيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ مِمَّا لابُدَّ منْهُ، ولا مَحِيصَ[٣] عَنْهُ، وخالِفْ مَنْ خالَفَ ذَلِكَ إلى غيْرِهِ، ودَعْهُ، وما رَضِي لِنَفْسِهِ، وَضَعْ فَخْرَكَ، واحْطُطْ كِبْرَكَ، وٱذْكُرْ قَبْرَكَ، فإنَّ عليْهِ مَمَرَّكَ[٤]، وكما تَدِينُ تُدَان[٥]، وكما تَزْرَعُ تحْصُدُ، وما قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَليهِ غَداً، فامْهِدْ لِقَدَمِكَ، وقدِّمْ لِيَوْمِكَ، فالْحَذَرَ الْحَذَرَ[٦] أيُّها المُسْتَمِعُ، والجِدَّ الجِدَّ أيُّها الْغافِلُ (ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)[٧].

في هذا المقطع يستعرض نقاطاً عشرة تعتبر ألأُسس للنجاة من الغفلة، هي:

١ ـ (فأفق أيها السامع من سكرتك) فإنّ حالتي الضلال والغفلة كالسكرة التي تعترض السكران على إثر النشوة الحاصلة من استعمال المشروبات والمخدرات، وفيها لاينتبه الانسان مسؤولياته إلّا بعد الصحوة منها والإفاقة من عوارضها، وهي في حالة الغفلة في اختيار الانسان نفسه.

٢ ـ (واستيقظ من غفلتك) فإنّ اهم أسباب اليقظة متيسّرة وهي العلم والقدرة، وينبغي التيقظ على الانسان نفسه.

٣ ـ (واختصر من عجلتك) وهي التسرّع في الامور من دون تدبّر، واختصارها: تقليلها حتى يتعوّد الانسان على التدبّر؛ فإنّ العجلة من الشيطان والتأنّي من الرحمان، والله المستعان.

---

(١) في هـ. ب: أفاق: صحّ من مرضه وغشيانه.
(٢) في هـ. ب: بالغ.
(٣) في هـ. ب: لا معدل.
(٤) في هـ. ص: أي اُذكر أنّك ستموت فتذلّ ولا ينفعك الكبر، بل يضرّك.
(٥) في هـ. ب: أي كما تفعله تجازى، وفي هـ. ص: أي إنك تجزى بعملك فأصلحه.
(٦) في هـ. ب: «الحذر الحذر» للماضي، و«الجد الجد» للمستقبل.
(٧) فاطر: ١٤.

٤ ـ (وأنعم الفكر فيما جاءك على لسان النبيّ الأمّي ﷺ لا بد منه ولا محيص عنه) فإنّ السنة النبوية المطهرة هي المفسّرة للقرآن الكريم، وهي امّا في الثوابت الاصيلة التي لا يمكن الاعراض عنها، وقد فسرها بقوله:

(مما لابد منه) حتى يكمل الاسلام.

(و لا محيص عنه) بالتبديل من شئ اخر، ومن السنة: المستحبّات التي ليست بهذه الصفةرغّب فيه الشارع بأن الاتيان بها أفضل ثوابا، وقد أنزل الله تعالىٰ تعاليم الاسلام كاملة في حياة رسول الله ﷺ فقال سبحانه: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم﴾[1] فلا يمكن فهم هذه الثوابت كاملة إلّا بتطبيق سنّة الرسول وسيرته في المجتمع الاسلامي وغير الاسلامي حتى وفاته ﷺ.

وحيث أنّ الجهل والنفاق يحاول خلط الامرين في المأثور عن السنة النبوية حذّر منهم بقوله:

٥ ـ (وخالف من خالف ذلك إلى غيره) حيث أنّ أي عمل مخالف للسنة النبوية يعتبر اعتراضا عليها وانحرافا عنها، والمخالف لابد وان لا يتابع قط على خلافه، بل يجب أن يخالف بالرجوع الى غير المخالف للسنة النبوية واتباع الموافق لها.

وحيث أنّ المخالف يتذرع بشبهة أنّ السنة ليست واجبة، اشار إلىٰ أنّ هذ الخلاف النابع من الجهل أو الشبهة أو النفاق يجب أنّ يتقوقع على نفسه، فلا يوجب انشقاقاً.

(ودعه وما رضي لنفسه) لايّ سبب كان، فإنّ ما يخالف السنة بدعة، والبدعة تمات بترك ذكرها.

٧ ـ (وضع فخرك) وهو الفضل والعظمة بعدم الاستعلاء بذلك؛ فإنّ فوق كلّ منهما درجات، والفخر على من دونك جهل بأنك دون من هو أعلىٰ منك في الفخر، ومن هو دون غيره لاينبغي له الفخر على غيره، فلا يكون الفخر إلّا شيئاً وضيعاً في الحياة.

٨ ـ (واحطط كبرك) وهو الشرف والرفعة، فإنّ على كلّ شريف من هو أعلى شرفا ورفعة.

٩ ـ (واذكر قبرك) فإنّ ذكر القبر الذي هو المحطة الأخيرة في الحياة تجعل الانسان يتحسس بالمسؤولية قبل الحلول فيه، وكفى بالموت واعظا.

١٠ ـ (فإن عليه ممرّك) فإنّ القبر وان كان المحطة الاخيرة في الحياة لكنه في نفس

---

(١) المائدة ٥:٣.

الوقت المحطة الأولى للحياة الاخرة التي يحاسب عليها الانسان في التاريخ ويوم القيامة.

وهذه النقاط العشر نقاط اساسية لطريق النجاة من الغفلة عن اداء المسؤولية في الدنيا.

وختم هذا المقطع بالنتائج الحتمية التي تترتب على هذه النقاط ، وهي:

أوّلاً: (وكما تدين تدان) فإنّ الجزاء عادل في التاريخ وفي يوم القيامة، اي كما تجازي غيرك يكون الجزاء لنفسك بحسب اعمالك ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[١].

ثانيا: (وكما تزرع تحصد) فإنّ الحصاد إنما يكون من جنس الحب المزروع، ولا يختلف ذلك في سنة الطبيعة التي خلقها الله، فكل انسان رهين اعماله.

ثالثا: (وما قدمت اليوم تقدم عليه غداً) فإنّ الأعمال في الدنيا تمهيد لما تقدم عليه في الاخرة خيرا كان أو شراً، وسواء ذلك في التاريخ أو يوم الحساب.

رابعا: (فامهد لقدمك) والتمهيد: التسوية للشئ تسهيلا؛ فإنّ العمل في الدنيا تمهيد لما يقدم عليه في الاخرة.

خامسا: (وقدم ليومك) الموعود في التاريخ وفي يوم القيامة.

وختم هذه النقاط بالتحذير قائلا:

(فالحذر الحذر أيها المستمع . والجدّ الجدّ أيها الغافل ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾[٢])؛ فان خبرة الامام بدراسة القرآن وصحبة الرسول القائد وتحليل التاريخ وتطبيق الاسلام في جميع مراحل حياته حتىٰ استشهاده كما هو مشروح في التاريخ، وكل ذلك يوجب الحذر من الغفلة عن المسؤولية في الحياة.

(٤ / ط - ١٥٣) موبقات كبرى:

إنَّ منْ عزَائِمِ[٣] اللهِ في الذِّكْرِ الحَكِيم، الَّتي عَليها يُثِيبُ ويُعاقِبُ، ولها يَرْضَى ويَسْخَطُ، أَنَّهُ لا يَنْفَعُ عَبْداً ـ وإنْ أجهَدَ نَفْسَهُ[٤]، وأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أنْ يَخْرُجَ منَ الدُّنْيا لاقِياً رَبَّهُ بِخِصْلَةٍ منْ هَذِهِ الْخِصَالِ لم يَتُبْ منها، أنْ يُشْرِكَ باللهِ فيما أفترَضَ عليْهِ منْ عبادَتِهِ أوْ

---

(١) الزلزلة ٩٩:٧،٨.

(٢) فاطر ٣٥:١٤.

(٣) في ب: كرائم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: عزائم، وفي هـ. د: كرائم ـ ش، وفي الهامش: عزائم. وفي هـ. ص: عزائم الله قضاياه المبتوتة التي يجزي العباد على وفقها.

(٤) في هـ. ص: أي في العبادة من الصلاة والصيام والصدقة.

يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلاَكِ نَفْسٍ[١]؛ أَوْ يَعُرَّ[٢] بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ؛ أَوْ يَسْتَنْجِحَ حاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهارِ بِدْعَةٍ في دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِي فِيهِمْ بِلِسانَيْن.

موبقات ست تعدّ من كبرى الموبقات، والمقياس في كون الموبقة كبيرة امران، اشار اليها بقوله:

الأوّل: (إن من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب وبها يرضى ويسخط) والعزيمة: الامر المقطوع عليه الذي لا ريب فيه، وهذا الوصف صادق على هذه الموبقات، فإنّ الله سبحانه نصّ عليها في القرآن الكريم من دون نسخ لها.

الثاني: (أنه لا ينفع عبداً – وإن أجهد نفسه وأخلص فعله – أن يخرج من الدنيا لاقياً ربّه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها) فإنّ التوبة الصادقة تمحي الذنوب فتجعل الانسان كيوم ولدته أُمّه.

فإنّ هذين الأمرين تأتيان في قائمة الاولويات لمحاسبة اعمال الانسان في الحياة، وغيرها من الاعمال تكون دونها من الاهمية مهما كانت لتلك الاعمال الثانوية من الجهد والمشقة، وقد عدد الامام هذه الخصال الموبقة بقوله:

أوّلاً: ـ الشرك (أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته) لأن الشرك بالله ظلم عظيم، وقال سبحانه: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً﴾[٣].

ثانيا ـ القتل (أو يشفي غيظه بهلاك نفس) فإنّ القتل المتعمّد إهدارٌ لحق الحياة التي أنعم الله بها على العباد، وقال: ﴿فكأنما قتل الناس جميعا﴾[٤].

ثالثا ـ (أو يعر بأمر فعله غيره) العر: العيب، بان يعيب الآخر على أمر فعله ممّا يكرهه، قال تعالى: ﴿لاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[٥].

رابعا ـ البدعة (أو يستنجح حاجة إلى الناس بإظهار بدعة في دينه) والبدعة: ادخال ما ليس من الدين في الدين، وذلك باستخدام الدين لنجاح حاجاته إلىٰ الناس، وما أكثرهم في عصرنا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ ٱللَّهِ﴾[٦].

---

(١) في ب: نفسه، وفي هـ. ص: أي يقتل نفساً لتشفّي غيظه، انتهى من الشرح.
(٢) في أ وب: يقر، وفي هـ. ص: أي ينسب فعله الصحيح إلى غيره.
(٣) الكهف ١٨: ١٠.
(٤) المائدة: ٣٢.
(٥) الحجرات: ١٢.
(٦) القصص ٢٨: ٥٠.

خامسا ـ النفاق (أو يلقى الناس بوجهين) يواجه الحاضر بما يحبّ أن يسمعه، ويلقى الاخر بما يحب أن يسمع؛ للوقيعة بينهما حسداً وبغياً، قال سبحانه: ﴿إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار﴾[١].

سادسا ـ النميمة (أو يمشي فيهم بلسانين) فينقل بين الناس من الاخبار بلسان الناقد إلىٰ غيره مما يحب أن يسمع ما فيه الضرر على الأوّل في شخصه أو سمعته، قال سبحانه: ﴿ولا تطع حلّاف مهين همّاز مشّاءٍ بنميم﴾[٢].

وهذه الموبقات الست تقوّض العلاقات الاجتماعية في الافراد والأُسر والمجتمع، ومن أجل ذلك كانت في أعلى قائمة الموبقات، ما لم يتحصن الانسان منها بالتوبة المستلزمة لتقويم ما افسدته هذه الموبقات بصدق، والله العاصم.

(ط - ٥ / ١٥٣) اسباب الموبقات:

اعْقِلْ ذَلِكَ[٣]؛ فإنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ على شِبْهِهِ. إِنَّ الْبهَائِمَ هَمُّها بُطُونُها، وَإِنَّ السِّباعَ هَمُّها الْعُدْوَانَ[٤] عَلى غَيْرِها، وَإِنَّ النِّساءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الحَياةِ الدُّنْيا وَالْفَسادُ فِيها.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ[٥]، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ[٦]، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خائِفُونَ[٧].

في هذا المقطع الاشارة إلىٰ اسباب الموبقات المذكورة، فانها جميعاً ترجع إلىٰ أسباب ثلاث رئيسية، هي القوى السبعيّة والشهويّة والشيطانية التي توجد في الحيوان بصورة عامة، ويمتاز عنها الانسان بقوة رابعة هي القوة العقلية التي بها التحكّم في غيرها، ويميز بها بين الخير والشر، والحسن والقبيح من الأعمال. واشار عليه السلام إلىٰ هذه القوى الاربع بقوله:

أوّلاً: (اعقل ذلك، فإنّ المثل دليل على شبهه) فإنّ القوة العقلية هي التي تدرك المعقولات، وقد يعبّر عنها بالروح؛ لتوقف الحياة عليها، أو القلب ؛ لتقلّبه في الخواص، فإنّ الانسان يمتاز بها على سائر الحيوانات، وعلى سائر القوى في نفسه، وأشار عليه السلام إلىٰ درك الانسان للمعقولات بالتمثيل المنطقي، وهو الاستدلال بالمثل على مثيله، فان المثل يدل على الشيء المماثل له، وهذه الموبقات لها اسباب مشابهة للآثار معها، وهي

---

(١) النساء ٤: ١٤٥.
(٢) القلم ٦٨: ١١.
(٣) لم ترد «ذلك» في ص، وفي هـ. ب: أي إجعل هذا معقولاً لك.
(٤) هـ. ب: أي التعدّي.
(٥) في هـ. ص: نفى عنهم التكبّر والاعتداء.
(٦) في هـ. ص: نفى عنهم الركون إلىٰ الدنيا واستلذاذها.
(٧) في هـ. ص: نفى عنهم نسيان الآخرة.

الاسباب الآتية.

ثانياً: (إن البهائم همّها بطونها) وذلك بسبب القوة البهيمية الشهوية التي يتشرك فيهاالحيوانات، فلا يهمّها في حياتها سوىٰ بطونها وما تروم اليها من حاجاتها الجسمية المادية فقط.

ثالثاً: (وإن السباع همّها العدوان على غيرها) بسبب وجود القوّة الغضبية السبعيّة التي تصدر من الحيوانات المفترسة من التوثّب على الأضعف منها وجعلها فريسة لها.

رابعاً: (وإن النساء همّهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها) بسبب القوّة الوهمية الشيطانية التي تستخدم وجوه المكر والخداع للوصول إلىٰ اغراضها في الحياة، وتستخدم وسيلة للدعاية والتضليل من قبل اصحاب المصالح الوقتيّة، وان هذه الصفة ليست ذاتية فيهنّ، بل باعتبار استخدامهن ضدّ من لا يشعر بكرامتهن، وايقاع الفساد في المجتمع وخاصة الشباب، كما هو الغالب في عصرنا من قبل أصحاب السياسات الذين يستخدمون كلّ المغريات.

والتأمّل في الموبقات المذكورة يوصلنا الىٰ انها تنبع من احدى هذه القوى الثلاث السبعيّة والبهيميّة والشيطانية.

وختم الامامعليه السلام هذا المقطع ببيان الخصال العالية في المؤمنين بقوله:

الأوّل: (إن المؤمنين مستكينون) والسكينة: الاطمئنان، لإيمانهم العميق بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[١].

الثاني: (إن المؤمنين مشفقون) الاشفاق: الخوف والوجل، فالمؤمنون مشفقون من جهة احتمالهم القصور في أداء واجبهم، قال تعالى:﴿الذين يخشون ربهم بالغيب، وهم من الساعة مشفقون﴾[٢].

الثالث: (إن المؤمنين خائفون) والخوف من النتائج التي سوف تظهر يوم القيامة، كما وعد الله سبحانه، وبسبب هذا الخوف فهم يبالغون في أداء واجباتهم وتحقيق مسؤولياتهم في الحياة الدنيا، قال تعالى:﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربّهم ويخافون سوء الحساب﴾[٣].

وهذه الخصال الثلاث ـ من السكينة والشفقة والخوف ـ تميّز الانسان المؤمن بالله عن

---

(١) الرعد ١٣: ٧.
(٢) الانبياء ٢١: ٤٩.
(٣) الرعد ١٣:٥.

غيره في السلوك الاجتماعي، فهو يرى الحياة برؤية واضحة مبتنية على المبادىء والوسائل والاهداف الاسلامية التي فرضها الله سبحانه وطبّقها النبيّ صلى الله عليه وآله في الحياة في سيرته وسنته.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ثم أمر عليه السلام بأن يعقل ما قاله ، ويعلم باطن خطابه ، وإنما رمز بباطن هذا الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل ، لأنهم حاولوا أنّ يشفوا غيظهم بإهلاكه وإهلاك غيره من المسلمين عروة عليه السلام [(١)] بأمر هم فعلوه ، وهو التأليب على عثمان وحصره ، واستنجحوا حاجتهم إلى أهل البصرة بإظهار البدعة والفتنة ، ولقوا الناس بوجهين ولسانين ، لأنهم بايعوه وأظهروا الرضا به ، ثم دبوا له الخمر [(٢)] فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشرك بالله سبحانه ، في أنها لا تغفر إلا بالتوبة ، وهذا هو معنى قوله : " أعقل ذلك " ، فإن المثل دليل على شبهه ، وروى " فإن المثل " واحد الأمثال ، أي هذا الحكم بعدم المغفرة لمن أتى شيئا من هذه الأشياء عام ، والواحد منها دليل على ما يماثله ويشابهه . فإن قلت : فهذا تصريح بمذهب الإمامية في طلحة والزبير وعائشة . قلت : كلا فإن هذه الخطبة خطب بها وهو سائر إلى البصرة ، ولم تقع الحرب إلا بعد تعدد الكبائر ، ورمز فيها إلى المذكورين ، وقال: " إنّ لم يتوبوا " ، وقد ثبت أنهم تابوا ، والاخبار عنهم بالتوبة كثيرة مستفيضة . ثم أراد عليه السلام ان يومئ إلى ذكر النساء للحال التي كان وقع إليها من استنجاد أعدائه بامرأة».[(٣)]

---

(١) عروة : سبوه .
(٢) أخمر القوم ، إذا تواروا بالخمر ، ويقال للرجل إذا ختل صاحبه : هو يدب له الضراء ويمشي له الخمر .
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ١٦٢.

[١٥٤]

ومن خطبة له عليه السلام:

في فضائل أهل البيت

وناظِرُ قلْبِ[١] اللَّبِيبِ[٢] بهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، ويَعْرِفُ غَوْرَهُ ونَجْدَهُ[٣]، دَاعٍ دَعا، وَرَاعٍ رَعَى[٤]، فاسْتَجِيبوُا لِلدَّاعِي، واتَّبِعُوا الرَّاعِي[٥].

(١/ط ـ ١٥٤) **البصيرة:**

استفتح المقطع بما هو معتمد كلّ انسان في الحياة، وهو النظر إلىٰ الامور عن بصيرة ورؤية واضحة، حيث أنّ فقدان ذلك يوجب التخبّط في المواقف والانحراف في المسالك والوقوع في المهالك للفرد والأُمة، وأشار إلىٰ ابعاد هذه الرؤية الواضحة بقوله:

١ ـ (وناظر قلب اللبيب) واللبيب: العاقل، والقلب: العقل. وناظر القلب استعارة عن التنبؤ من الباصرة، فان العقل ينظر الىٰ الامور نظرة واقعية، كما تنظر الباصرة للأمور نظرة ظاهرية، وقد سرد للنظرة الواقعية للعقل إلىٰ الامور من نواحي ثلاث:

الأولىٰ: (به يبصر أمده) من معرفه النتائج التي تترتب على اي عمل، فإنّ العمل بدون غاية يكون عبثاً لايليق بالعاقل.

الثانية: (ويعرف غوره) الغور: هو العمق الباطن للشيئ ممّا يفتقر إلىٰ استنباط ونظر، فبعد معرفة الغاية يجب تحديد العلل المادية والصورية والآثار الكفيلة لتحقيقه.

الثالثة: (ونجده) وهذا كناية عن الآثار الايجابية لتلك الغاية، والنجد: المرتفع من الارض.

وهذه النواحي الثلاث يجب أن تكون واضحة لمن يريد أي عمل في الحياة، لكي يسير برؤية واضحة نحو الهدف.

---

(١) «ناظر القلب» استعارة من ناظر العين، والمراد: البصيرة التي يدرك بها اللبيب غايته ومنتهاه، وفي هـ. ب: قيل هي صفة أهل الله، وهو مبتدأ، وخبره: به يبصر، وقيل: جرى ذكر حب آل محمّد عليهم السلام فقال حبّهم كذا وكذا فهو عطف وقال: ناظر.

(٢) في هـ. ب: أي كلّ عاقل مكلّف.

(٣) الغور: ماأنخفض من الأرض، والنجد: ما ارتفع منها، أي: يدرك الباطن والظاهر، وفي هـ. ب: يعرف الإنسان بفكر القلب الغور أي منزله السهل.

(٤) في ب: راع رعا وداع دعا، وفي هـ. ب: الداعي: الرسول، والراعي: الامام.

(٥) في هـ. د: للراعي ـ ب.

اهل البيت عليهم السلام:

ومدرسة أهل البيت لها قيادتها التي أسست هذه المدرسة، ولها دعاتها التي حافظت عليها، كما ان لهم خصائص اختصوا بها واتباع عرفوا بالولاء لهم، باعتبارهم قادة لمبادئ العدل الاسلامي التي اعلنوها وطبّقوها في حياتهم.

والامام يشير إلىٰ نقاطٍ عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مقاطع:

القائد والراعي:

اشار اليهما اشارة مقتضبة بقوله:

(داعٍ دعا، وراعٍ رعى، فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي).

قال الشارح (ت / ٦٥٦هـ): «يعني بالداعي: الرسول الله صلى الله عليه وآله وبالراعي نفسه عليه السلام».[(١)]

فانّ الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله هو عميد أهل البيت الذين جمعهم تحت الكساء وطلب من الله تطهيرهم من الرجس، وهو الذي اسس المبادئ الاساسية لهذه المدرسة الفكرية التي قوّضت اركان الحكم الجاهلي والملوكيات القائمة على الظلم في عصره، متّبعا منهاج القرآن الكريم، فيجب على كلّ مسلم يؤمن بالاسلام دينا أن يستجيب للدعوة الاسلامية التي اعلنها الرسول صلى الله عليه وآله.

(فاستجيبوا للداعي) بالعمل على هديه الكريم والأخذ بسنّته الشريفة.

(فاتبعوا الراعي) كما أمر الله سبحانه بالطاعة لأُولي الامر، ونص على ذلك الرسول الاعظم، والامام عليه السلام في عصره هو الراعي للمبادئ التي اعلنها الرسول القائد في دعوته، فيجب اتّباعه.

واكتفىٰ بهذا الايجاز لما في السيرة النبوية، وحياة الامام مليئ بحقائق لا ينكرها من يدرس التاريخ الاسلامي مستهديا بسيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله.

(٢ / ط - ١٥٤) خصائص أهل البيت عليهم السلام:

قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبدع دون السنن. وأرز المؤمنون[(٢)]. ونطق الضالون المكذبون. نحن الشعار[(٣)] والاصحاب والخزنة والابواب. لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ٦٤، ط / ١٩٦٢م.

(٢) أرز يأرز بكسر الراء في المضارع، أي انقبض وثبت. وأرزت الحية: لاذت بجحرها ورجعت إليه.

(٣) الشعار: ما يلي البدن من الثياب، والمراد بطانة النبي صلى الله عليه وآله.

واشار إلىٰ خصائص أهل البيت بصورة عامة والتي يوجب اتباعهم كرعاة للمصلحة الاسلامية العليا:

١ ـ (قد خاضوا بحار الفتن) فإنّ سيرة أهل البيت من العميد والراعي ومن بَعدهم واضحة في مواقفهم، من المشاركة مع الشعب المسلم في آماله واعماله بأنفسهم، ومنها: الخوض في بحار الفتن لمنع اجتياح المسلمين الفتن، كما يقوم بذلك كلّ مسلم مؤمن في الحروب العقائدية، ولم يكن لهم موقف الآمرين من دون مشاركة شخصية في الساحة.

٢ ـ (وأخذوا بالبدع دون السنن) بمحاربتهم البدع ودفاعهم عن السنن التي شرعها الله سبحانه، فتركوا تلك السنن قائمة، وأما البدع فاخذوا بالقضاء عليها وازالتها من المجتمع، كما كانت عليه سيرة الرسول الواضحة للقضاء على الكفر في عصره.

٣ ـ (وأرز المؤمنون) الازر: القبض، وهو كناية عن جمع المؤمنين وقلّتهم في مواجهة البدع وكذلك كان المؤمنون في مطلع عصر الرسالة، وكذلك المؤمنون بدعوة أهل البيت عليهم السلام من بعده.

٤ ـ (ونطق الضالون المكذّبون) وصفتا الظلم والكذب إشارة إلىٰ الوسائل التي يستخدمها الظالمون في معارضة أهل البيت عليهم السلام، فالنبيّ صلى الله عليه وآله واجه أشّد أنواع ذلك في عصر الرسالة حتى قال: «ما أوذي نبيّ مثلما أوذيت»، وعلى ذلك سار المعارضون لدعوة أهل البيت من بعده الرسول الكريم.

٥ ـ (نحن الشعار) والشعار: هو ما يلي الجسد من الثياب، فاهل البيت النبوي اقرب إلىٰ النبيّ من غيرهم، فهم كالشعار الذي هو أقرب إلىٰ الجسد من غيره من الثياب.

٦ ـ (والأصحاب) لطول صحبتهم مع عميد أهل البيت عليه السلام اكثر من غيرهم من الصحابة (رض).

٧ ـ (والخزنة) لعلوم جدهم التي توارثوها بحكم تربيتهم في حجر جدّهم.

٨ ـ (والأبواب) حيث أنهم بحكم كونهم أقرب إلىٰ جدّهم يعتبرون الأبواب إلىٰ الرسول صلى الله عليه وآله.

٩ ـ (ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها) فمن اراد الوصول إلىٰ تراث النبيّ صلى الله عليه وآله لابد وان يدخل من الابواب، فقد قال سبحانه: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾[1] والتزم أهل البيت بهذه الثابتة الاسلامية.

---

(١) البقرة ٢: ١٨٩.

١٠ ـ (فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقا) فإنّ هذا هو شأن السارق الذي يستولي على ما في الدار من غير طريقه؛ لاختصاص الطريق بهم.

وهذه النقاط العشر تميّز أهل البيت عن غيرهم، حيث أنّهم سائرون على خطىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله علي المبادىء الاسلامية وبالوسائل الاسلامية لتحقيق الاهداف الاسلامية من دون تخطٍّ عن السيرة النبوية صلى الله عليه وآله.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«والشعار: ما يلي الجسد من الثياب، فهو أقرب من سائرها إليه، ومراده الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وآله. والخزنة والأبواب، يمكن أنّ يعنى به خزنة العلم وأبواب العلم، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: "أنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب". وقوله فيه: "خازن علمي": وقال: تارة أخرى: "عيبة علمي". ويمكن أنّ يريد خزنة الجنّة وأبواب الجنّة، أي لا يدخل الجنّة إلا من وافى بولايتنا، فقد جاء في حقه الخبر الشائع المستفيض: إنه قسيم النار والجنّة، وذكر أبو عبيد الهروي في "الجمع بين الغريبين"، أنّ قوما من أئمة العربية فسروه، فقالوا: لأنه لمّا كان محبه من أهل الجنّة، ومبغضه من أهل النار، كأنه بهذا الاعتبار قسيم النار والجنّة. قال: أبو عبيد: وقال: غير هؤلاء: بل هو قسيمها بنفسه في الحقيقة، يدخل قوما إلى الجنّة، وقوما إلى النار، وهذا الذي ذكره أبو عبيد أخيرا هو ما يطابق الأخبار الواردة فيه، يقول للنار: هذا لي فدعيه، وهذا لك فخذيه».[١]

(٣ / ط - ١٥٤) نتيجة الخصائص:

منها: فيهم كرائم[٢] القرآن، وهم كنوز الرحمن. إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا[٣].

واشار إلىٰ نتيجة هذه الخصائص في أهل البيتهم عليهم السلام، وهي اربع:

أوّلاً: (فيهم كرائم القرآن) والكريمة: ما يكرم به الانسان، فقد نزلت آيات قرآنية في فضلالبيت، وتكفي منها آية التطهير، قوله تعالىٰ: ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجسالبيت ويطهركم تطهيرا﴾[٤] وما وردت آية بـ ﴿الذين آمنوا﴾ إلّا وكانوا هم منها

---

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ٩: ١٦٥.

(٢) الضمير لآل النبي. والكرائم: جمع كريمة، والمراد أنزلت في مدحهم آيات كريمات. والقرآن كريم كله وهذه كرائم من كرائمهم.

(٣) لم يسبقهم أحد إلى الكلام وهم سكوت، أي يهاب سكوتهم فلم يجرؤ أحد على الكلام فيما سكتوا عنه.

(٤) الاحزاب ٣٣: ٣٣.

وعلىٰ رأس المخاطبين بها.

ثانيا: (وهم كنوز الرحمن) حيث ضحّوا في سبيل اعلاء كلمة الله في الارض بما يملكون من نفسٍ ونفيس، كما يشهد بذلك تواريخ حياتهم.

ثالثا: (إن نطقوا صدقوا) فيهم يعلنون مواقفهم التي تساند الاسلام والمسلمين بصدق وامانة اذا رأوا ذلك.

رابعا: (وإن صمتوا لم يسبقوا) فلا يكون سكوتهم عن عيٍّ يوجب كونهم مسبوقين، بل عن رعاية لمصلحة الاسلام والمسلمين، كما يروه برؤية واضحة.

وهذه النقاط الأربع نتيجة لخصائصهم التي فضلهم الله سبحانه لما يرثونه من جدهم النبيّ الاطهر، والعلم المورث جيلاً بعد جيل.

(٤/ط - ١٥٤) اتباع أهل البيت عليهم السلام:

فليصدق رائد أهله ، وليحضر عقله ، وليكن من أبناء الآخرة ، فإنه منها قدم وإليها ينقلب . فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمله عليه أم له . فإن كان له مضى فيه ، وإن كان عليه وقف عنه . فإن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق . فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعدا من حاجته . والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح ، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع .

ذكر من الصفات التي يجب أن يتحلّىٰ بها أتباع أهل البيت ثلاثاً بقوله:

الأولى: (فليصدق رائد أهله) والرائد: من يذهب لمعرفة المرعى الصالح للرعي، فهو الدليل لغيره، ولابد له من اداء مسؤوليته بأمانة وصدق؛ لانه يؤثر ليس على نفسه وحده، بل على الجمع الذي يدلّهم، وان أتباع أهل البيت في صدقهم يكونون قدوة لغيرهم ممن يأتي بعدهم.

الثانية: (وليحضر عقله) فيتصرف من منطق العقل لا العاطفة والقرابة.

الثالثة: (وليكن من أبناء الآخرة) بان ينظر إلىٰ الاواخر والعواقب، وليس القريب العاجل فقط، وقد وضّح عليه السلام هذه الصفة الاسلامية الثالثة بالبيان فقال:

(فإنّه منها قدم وإليها ينقلب) لأنّ الآخرة والعاقبة لأيّ عمل هو علّة غائية للشئ، والعلة الغائية وان كانت متأخرة في الوجود لكنها حاضرة مفهوما في التصوّر قبل البدء بالحركة، ولأجلها يتحرّك الانسان بأيّ عمل يقوم به، فالانسان من منطلق هذه العلة الغائية يقدم ويتحرّك للعمل الى هذه الغاية، ويصل الىٰ مقصوده.

وعن نتيجة هذه الصفة الاسلامية التالية قال:

(فالناظر بالقلب العامل بالبصر) وهو العاقل الذي ينظر بالبصيرة للعواقب ويعمل برؤية واضحة للمبادئ والاسباب والنتائج.

(يكون مبتدأ عمله أن يعلم: أعمله عليه أم له؟) فلا يتحرك أية حركة حتى يعلم في البداية ما هي نتيجة عمله، أفي صالحه أو ضده؟ ثم بعد ذلك يتحرّك.

(فإن كان له مضى فيه) لأنّ مصلحته الاسلامية تقتضي ذلك؛ عملاً بالمسؤولية.

(وإن كان عليه وقف عنه) وامتنع من التحرّك نحو غاية لا تكون فيه مصلحة له.

ثم قارن بين أهميّة التحرك عن علم وعن غير علم بقوله:

(فإن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق) حيث لا فرق بين عدم السير أصلاً أو السير على غير الطريق إلّا في أنّ السير على غير طريق يوجب العناء بدون أثر.

(فلا يزيده بعده عن الطريق إلّا بعدا من حاجته) التي هو الوصول إلىٰ المقصد.

وعلى النقيض تماماً: التحرك عن علم، حيث أن: (والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح).

وهذه المقارنة العابرة تقتضي التحرك برؤية واضحة، فقال:

(فلينظر ناظر، أسائر هو أم راجع) لأنّ السير مع العلم سير إلىٰ المقصد، والسير بدون علم رجوع الى الجهل، ولا يختار الانسان العاقل على السير إلىٰ المقصد شيئا آخر؛ فإنّ المقياس في تقدم الافراد والأُمم هو العلم والعمل الصالح، كما قال تعالى:﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[1].

(ط - ٥ / ١٥٤) الاعمال والنتائج:

واعلم أن لكل ظاهر باطنا على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه. وما خبث ظاهره خبث باطنه. وقد قال الرسول الصادق ﷺ: « إن الله يحب العبد [2]، ويبغض عمله، ويحب العمل ويبغض بدنه».

وختم المقطع بانّ الاعتبار ليس بالاقوال، بل بالأعمال ونتائجها، فقال:

(واعلم أنّ لكل ظاهر باطنا على مثاله) مشيرا إلىٰ نتيجة العمل التي تنبئُ عن العمل، فإنّ كلّ ما يظهر من حالات الانسان لابدّ وان تنبع من قصد مبيتٍ في نفسه.

واشار إلىٰ هذه الحقيقة الكلية مستدلاً بالقرآن الكريم حيث قال:

---

(١) الزمر ٣٩: ٩.

(٢) إن الله يحب...الخ، أي يحب من المؤمن إيمانه ويبغض ما يأتيه من سيئات الاعمال ولا يفيده ذلك الحب مع هذا.

(فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه) واشار بذلك إلىٰ قوله تعالى :﴿والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربّه والذي خبث لا يخرج إلّا نكدا﴾[1].

ثم استدل عليه السلام على هذه الحقيقة بما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله في المنافقين بقوله:

(وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله: إنّ الله يحب العبد ويبغض عمله، ويحب العمل ويبغض بدنه).

فإنّه قد يتوهم أنّ العبد اذا حصلت منه معصية، فانّ تلك المعصية الظاهرة كاشفة عن خبث نفسه، ويستلزم أن يكون العبد العاصي آيسا من رحمة الله، كما أنّه لو أظهر المنافق عملا محبوباً مع خبث نفسه، فيستلزم أن يكون المنافق محبوباً عند الله .

وقد أشار الحديث الشريف إلى الفرق بين الحالتين ببيان أنّ من صدرت منه معصية عن جهل له وغفلة يكون عاصياً مذنبا، فيكون العمل الصادر منه مبغوضا عند الله يستوجب العقاب لولا التوبة، وبالتوبة تغفر المعصية ويصبح العبد محبوباً عند الله سبحانه، بخلاف المنافق الذي يعمل عملاً صالحاً، فإنّ العمل الصالح محبوب من اي انسان كان، ولكن الشخص المنافق القائم به ليس محبوباً؛ لعدم القصد في عمله ان يكون لله سبحانه، ولا يكون له توبة صادقة؛ لعدم العزم عليها، فيكون في بدنه المشخّص خارجاً مبغوضاً عند الله لمكان النفاق الذي هو عليه، والذي يمنعه من التوبة والله العالم.

(٦ / ط - ١٥٤) النتائج الطبيعية:

واعلم أن لكل عمل نباتا . وكل نبات لا غنى به عن الماء ، والمياه مختلفة . فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته ، وما خبث سقيه خبث غرسه وأمرّت ثمرته.

وختم المقطع بان نتائج الاعمال طبيعية في سلسلة مترابطة من الاسباب والمسببات فيفتقر الىٰ ما يضيء له دروب الحياة، فقال:

١ ـ (واعلم أنّ لكل عملٍ نباتا) وثمرة تعتبر نتيجة طبيعية لذلك العمل.

٢ ـ (وكل نبات لا غنى به عن الماء) فلا تكمل الثمرة في نضجها إلّا باستمرار ما يؤثر في ذلك، وهو الماء، فللماء تأثير مباشر في الثمرة من حيث الكمّ والكيف.

٣ ـ (فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته) فإنّ نتيجة المياه العذبة ان تصلح نشوه ونماءه المطلوب وتحلو الثمرة.

٤ ـ (وما خبث سقيه خبث غرسه وأمرّت ثمرته) فيكون على العكس ما يسقىٰ من

---

(١) الاعراف ٧: ٥٨.

الماء الآجن والمرّ تماماً.

وهذه النتيجة طبيعية في النبات والحيوان والانسان، فإنّ التربية الصالحة على اسس الوعي الاسلامي لابد وان تثمر ثمرتها المطلوبة في اعداد العضو الصالح في المجتمع، والعكس بالعكس، والله المستعان.

[١٥٥]

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع[١] خلقة الخفّاش[٢]:

تتضمن صفات الذات المقدسة وحياة الخفّاش وخلقته.

(ط - ١ / ١٥٥) **من صفات الله:**

الحَمدُ للهِ الَّذِي انْحَسَرَتْ[٣] الأوْصَافُ عنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ورَدَعَتْ عظَمَتُهُ الْعُقُولَ فلمْ تَجِدْ مَسَاغاً[٤] إلى بُلوغِ غايَةِ مَلَكُوتِه.

هُوَ ٱللهُ[٥] الْحَقُّ المُبينُ أحَقُّ وأبْيَنُ مِمَّا تَرى الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونُ مُشَبَّهاً، ولَمْ تَقَعْ عليهِ الأَوْهامُ بِتَقْدِيرٍ فيكُونَ مُمَثَّلاً، خَلَقَ الخَلْقَ على غيرِ تَمْثِيلٍ، ولاَ مَشُورَةِ مُشِيرٍ، ولا مَعُونَةِ مُعينٍ؛ فَتمَّ خَلْقُهُ بأمْرِهِ، وأذْعَنَ لِطاعَتِهِ، فأجابَ ولمْ يَدافعْ[٦]، وٱنْقادَ ولَمْ يُنازعْ.

افتتح المقطع بالحمد لله بدءً بصفات الذات المقدسة التي يعجز عن ادراكها الانسان المادي؛ حيث يعجز المادي عن الاحاطة بغير المادة إلّا بالآثار الدالة على وجود المجردات بلا خلاف فيها، بقوله عليه السلام:

الأوّل: ـ (الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته) والانحسار: الانقطاع؛ لعجز المادي عن التعرف على الاشياء بأوصاف حقيقية كاملة لكنه ما ليس بمادي، فتنقطع الاوصاف عن الاحاطة بها.

الثاني ـ (وردعت عظمته العقول) حيث تصبح العقول حائرة امام عظمة الله سبحانه المتجلية في مخلوقاته في الكون اللامتناهي.

الثالث ـ (فلم تجد مساغا إلى بلوغ غاية ملكوته) فإنّ ملكه تعالى يعمّ الكون كلّه، ولم

---

(١) في أ: عجيب وفي هـ. أ: بديع.

(٢) في هـ. ب: ذكر عجيب خلقة الخفافيش، وأشار إلىٰ شيء من غامض حكمته فيها، انّها تعشى بالنهار المضيء وتبصر في الليالي المظلمة على خلاف الحيوانات الأُخر، وأنّها تطير بلا أجنحة مثل سائر الطيور وإنّ ولدها يلصق بها حال طيرانها، وفي هـ. ص: الخفاش؛ هو واحد الخفافيش، وهو هذا الطائر الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار.

(٣) في هـ. ب: انكشفت الأوصاف عن كنه المعرفة وغاية العلم بذاته، والانحسار: الانكشاف.

(٤) هـ. ب: طريقاً، هـ. ص: أي مسلكاً.

(٥) في ط زيادة: الملك، وفي هـ. د : زيادة الملك ـ ض ب.

(٦) في هـ. د: يدفع ـ ب.

يمكن الانسان المادي ان يمسح الكون كلّه، فكيف يمكنه بلوغ نهاية الملكوت؟

ونتيجة الانحسار والردع الاعتراف بالعجز عن بلوغ هذه المعرفة، ولم يختلف في هذه الحقيقة أحد من الفلاسفة بما فيهم غير المؤمنين.

المؤمنون:

وأما المؤمنون من الانبياء واصحاب الرسالات السماوية والفلاسفة، فقد عبروا هذه المرحلة من العجز ووصلوا إلىٰ دلالة المخلوقات على خالق لها، فإنّ كلّ اثر لابد له من مؤثّر في الايجاد بقانون العلية، وهذا يدعو إلىٰ الايمان بالعلة الأُولى، وان الله سبحانه هو العلة الأُولى للخلق أجمعين، وآيات القرآن الكريم والاحاديث طافحة بهذا النوع من الاستدلال، وعدد الامام من صفات الذات المقدسة المستنبطة من قانون العلية قوله:

١ ـ (هو الله) الذي الله منشىء العلل في الخلق أجمعين.

٢ ـ (الحق) فإنّ من وجود فيضه كان خلق المخلوقات والكون وما فيه.

٣ ـ (المبين أحق وأبين ممّا ترى العيون) فإنّ العيون الباصرة انما ترى المادة والماديات فقط، واما ما وراء الطبيعة والمادة فلا تدركها بالعين الباصرة.

٤ ـ (لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبّها) لقصور العقل المادي من تحديد حقيقة الشيئ غير المادي، فان كلّ حدّ يتصوره العقل يكون تشبيها بشيئ مادي، وهناك تباين بين الماديّ والمجرّد.

٥ ـ (ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون مُمثّلا) فإنّ الأوهام والافكار لو تصوّرت اموراً على سبيل الافتراض والتقدير تكون تلك الموهومات تمثيلاً للأمر المادي.

(٢/ ط ـ ١٥٥) حياة الخفاش:

ومنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وعَجائِبِ خلقَتِهِ[١]، مَا أَرَانا منْ غَوَامِضِ الحِكْمَةِ في هذِهِ الخَفافِيشِ التي يَقْبِضُها الضِّيَاءُ الْباسِطُ لِكلِّ شَيْءٍ، ويَبْسُطُها الظَّلَامُ الْقابِضُ لِكلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُها[٢] عنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ منَ الشَّمْسِ المُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ في مَذَاهِبِها، وتَصِلَ[٣] بِعَلَانِيَةِ بُرْهانِ الشَّمْسِ إِلى مَعارِفِها، ورَدَعَها بتَلَالُؤُ[٤] ضِيائِها عَنِ المُضِيِّ في

---

(١) في ط: حكمته، وفي هـ. د: حكمته ـ ض ب.

(٢) العشا مقصوراً: سوء البصر وضعفه.

(٣) ب وط ود: وتتصل.

(٤) في ب: بتلالي، وفي هـ. ب: لمعانها.

سُبُحاتِ[١] إشْرَاقِها، وأكَنَّها في مَكامِنِها عنِ الذَّهابِ في بَلَجِ ٱئْتِلاَقِها[٢]. فَهِيَ مُسْدِلَةُ[٣] الجُفُونِ[٤] بالنَّهارِ على حدَاقِها[٥]، وجاعِلَةُ[٦] اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بهِ في الْتِماسِ أرْزَاقِها، فلا يَرُدُّ أبْصَارَها إسْدَافُ ظُلْمَتِه[٧]، ولايَمْتَنِعُ منَ المضِيِّ فيهِ لِغَسَقِ دُجْنَتِهِ، فإذا ألْقَتِ الشَّمْسُ قِناعَها، وبَدَتْ أوْضَاحُ[٨] نَهارِها، ودَخَلَ منْ إشْرَاقِ[٩] نُورِها على ٱلضِّبابِ[١٠] في وِجَارِها[١١]، أطْبَقَتِ الأجْفانَ على مَآقِيها[١٢]، وتَبَلَّغَت[١٣] بما اكْتَسَبَتْهُ من المعاش في ظُلَمِ[١٤] لَيالِيها، فَسُبْحانَ مَنْ جَعلَ ٱللَّيْلَ لها نَهاراً وَمعاشاً، والنَّهارَ[١٥] سَكَناً وقَرَاراً.

الخفاش: الوطواط، وهو طائر لبون، له جناحان بلا ريش، يغير في الليل ويسكن في النهار، والخفش: ضعف البصر خلقةً.

والتامل في حياة الخفاش وكذا في خلقته توقف الانسان على مفارقات عن الحالات الطبيعية في الحيوانات غالبا، وهذا التباين يكشف عن قدرة الله في خلق الاشياء على الاضداد خارقة. واشار الامام الىٰ ثلاث منها في الخفاش بقوله:

أوّلاً: (ومن لطائف صنعته) واللطف: الدقة التي تحفىٰ عادة ويغفل عنها عامة الناس، فإنّ الخفاش ليس من الطيور الاليفة، فلا تشبه شيئاً منها، مع انها علىٰ صفتها من حيث

---

(١) «سبحات النور»: درجاته، وفي هـ. ب: السبحات: النور والسبجات ـ بالجيم ـ: أي القمصان، وهو استعارة هاهنا عن الوجهين، وأشرقت الشمس: أضاءت، وأشرق فلان: دخل في الشروق.
(٢) البلج: الضوء ووضوحه، والائتلاق : اللمعان، وفي هـ. ب: بلج الصبح بلوجا: أي: طلع، وائتلاقها: لمعانها. وفي هـ. ص: جمع بُلجة وهي أوّل الصبح، وجاء «بلجة» بالفتح ـ تمت من الشرح.
(٣) في ط: مسدَلة.
(٤) في هـ. ب: أي مغمضة على نواظرها.
(٥) في د: أحداقها.
(٦) في هـ. د: وعاجلة ـ م، وفي الهامش: جاعلة.
(٧) «أسدف الليل»: أظلم، والدجنة: الظلمة، وغسق الدجنة: شدّة الظلمة، وفي هـ. ب: أضاف الأسداف إلىٰ الظلمة للتخصيص.
(٨) في هـ. ب: جمع وضح: بياض الصبح، وفي هـ. ص: جمع وضح، وهو ما يتضح ويلمع من النور والبياض.
(٩) في هـ. د: ودخل اشراق ـ م ف ن.
(١٠) في هـ. د: الضباع ـ حاشية ن.
(١١) الضباب: جمع ضب، وهو حيوان معروف والوجار: الحجر.
(١٢) جمع مآق، وهو طرف العين ممّا يلي الأنف.
(١٣) من البلاغ: وهو الكفاء والقوت، فالمعنى: اكتفت واقتاتت.
(١٤) في هـ. د: اكتسبت من فيء ظلم.
(١٥) في ب: وجعل النهار لها، وفي هـ. د: وجعل النهار لهاـ ش.

خلقتها العامة، وهذا يدل انه على صنعة ينبغي التامل فيها، وان هذه الصنعة في الخلق معلول لعلة قادرة على ذلك، وهي قدرة الله سبحانه.

ثانيا: (وعجائب خلقته) فإنّ في حياتها وخلقها ـ كما سيأتي في كلامه ـ ما يوجب العجب؛ للاختلاف الذي بين هذ المخلوق وغيره من الطيور.

ثالثا: (ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش) فإنّ الحكمة في خلقها وحياتها غامضة للبشر، والبحث في حكمة خلقها، وخاصة بالصفات الاتية بحث عقيم، ويكفي فيها من الحكمة أنها من مظاهر قدرة الله تعالى.

اسئله خمسة: عن حياة الخفاش ينبغي التوقف عندها، قال عليه السلام:

١ ـ (التي يقبضها الضياء الباسط لكل شئ، ويبسطها الظلام القابض لكل حي) على خلاف كافة الحيوانات والطيور، فان الضياء هو نبراس الحياة للمخلوقات ومنها الانسان، وبدونه يكون الكون والانسان في حيرة، ولكن الخفاش على العكس تماما، فيقبض الضياء عين الخفاش في حين يفتح الظلام عين الخفاش.

٢ ـ (وكيف عشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها) فإنّه سؤال بلا جواب؛ لأن العين انما تبصر بالضياء، والخفاش عينه لا تبصر في الضياء، في الطريق التي تذهب فيها، فعين الخفاش غاشية ضعيفة البصر، مع أنّ البصير إنما يرى في النور، لا في الظلمة.

٣ ـ (وكيف عجزت أعينها عن ان تتصل بعلانية برهان الشمس إلى معارفها) فكيف عجزت عن أن تتعرف على ما تريد في حياتها مع وضوح الشمس علنا؟ فالسؤال عن هذا العجز بلاجواب أيضاً.

٤ ـ (وكيف ردعها بتلألؤ ضيائها عن المضيّ في سبحات إشراقها؟) مع أنّ السباحة في الاشراق ممهد لكل الطيور، فكيف أنّ تلألؤ الضوء يردع الخفاش من ذلك؟

٥ ـ وكيف (أكنها في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلافها) الكن: الستر، والبلجة: الصبح، فكيف أنّ ائتلاف الشمس لكافة الموجودات بالنور من اول الصبح جعل عيون الخفاش مستورة في عشها مانعاً لها عن الذهاب في هذا الوقت الذي تفتح الطبيعة قلبها لجميع الموجودات؟.

وليس لهذه الاسئلة جواب سوى ان ارادة الله في خلقة الخفاش هو الذي اقتضىٰ ذلك كله، وانها مظهر من مظاهر القدرة الالهية.

من صفات الخفاش:

ونتيجة هذا الخلق المختص بالخفاش من دون سائر الطيور والحيوانات، وجود الصفات التالية فى الخفاش:

١ ـ (فهي مسدلة الجفون بالنهار على أحداقها) التي بها تنظر العيون.

٢ ـ (وجاعلة الليل سراجا تستدل به في التماس أرزاقها) في الظلمة.

٣ ـ (فلا يرد أبصارها إسداف ظلمته) والسدف: ظلمة الليل الحالكة التي تمنع غير الخفاش من طلب القوت.

٤ ـ (ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته) وغسق الدجنة: ظلام الليل، كما يمنع غيرها، وهذه صفات خاصة بالخفاش.

ونتيجة هذه الخصائص:

٥ ـ أنّ الخفاش انما ينام في الحالة التالية:

ـ (فإذا ألقت الشمس قناعها) بارتفاع الليل عن وجهها.

ـ (وبدت أوضاح نهارها) والوضح: بياض الصبح بعلوّ النهار.

ـ (ودخل من إشراق نورها على الضباب في وجارها) والضب: حيوان من الزواحف ذو ذنبٍ خشن، والوجار: بيتها، وهذا الحيوان يخرج من ممكنه عند طلوع الشمس مباشرة.

فاذا حصلت هذه الحالة للضب يكون وقت النوم للخفاش، فقال:

(أطبقت الأجفان على مآقيها) والمآق: طرف العين من جانب الانف.

٦ ـ (وتبلغت بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها) والبلاغ: الوصول إلىٰ ما ترغب، فإنّ فيما اكتسبته في الليل طعاما تتبلّغها الخفافيش في ظلم الليل؛ لاستهلاكها في النهار.

وهذه الخصائص الست للخفاش يجعلها تمتاز عن سائر الطيور والحيوانات في كيفية الحياة وتحصيل المعاش، وهي حالة توجب العجز عن معرفة أسرار الكون.

وختم المقطع بهذه الحالة التي تستوجب التسبيح بقوله:

(فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا . والنهار سكنا وقراراً) على العكس تماماً لسائر الحيوانات التي يكون الليل لها سكنا وقرار والنهار معاشاً.

ولا يعرف السرّ في هذا الخلق سواه تعالى.

(٣ / ط - ١٥٥) عجائب اخرىٰ في خلق الخفاش:

وجعَلَ لها أجْنِحَةً منْ لَحْمِها[١] تَعْرُجُ[٢] بها عِنْدَ الحَاجَةِ إلى الطَّيَرَانِ كأنّها شَظَايا الآذَانِ[٣]، غيْرُ ذَواتِ رِيش ولا قَصَبٍ[٤]، إلَّا أنَّكَ تَرَى مَوْضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أعْلَاماً[٥]، لها جَناحَانِ لَمَّا[٦] يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، ولمْ يَغْلُظا فَيَثْقُلا، تَطِيرُ وولَدُها لاصِقٌ بها، لاجيءٌ إليْها، يَقَعُ إذا وَقَعَتْ، ويَرْتَفِعُ إذا ٱرْتَفَعَتْ، لا يُفارِقُها حَتّى تَشْتَدَّ أرْكانُهُ، ويَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَناحُهُ، ويَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحانَ الْبارِي لِكُلِّ شَيْءٍ على غَيرِ مِثالٍ خَلَا منْ غَيرِهِ[٧].

وكما أنّ الخفاش في حياته ومعاشه يفترق عن سائر الطيور والحيوانات، فكذلك يختلف في كيفية خلقه. والمشهور ان انثى الخفاش تحيض وترضع وليدها على خلاف طبيعة الطيور التي تبيض ولا ترضع، ولكن المقطع اشار إلىٰ حقائق في خلق الخفاش محسوسة بقوله:

١ ـ (وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران كأنها شظايا الآذان) فعلىٰ خلاف الطيور، فان اجنحة الخفاش من لحم. والشظية: القطعة من الشيء، وقد شبّه عليه السلام اجنحة الخفاش بقطع الاذن في الحجم والشكل والتكوين من اللحم.

٢ ـ (غير ذوات ريش ولا قصب) فإنّ سائر الطيور لا تطير إلّا بالريش الملتف حول عمود يعرف بالقصب، وهو المتصل بالجناح، ولا يمكن للطائر أن يطير بدونها سوى الخفاش.

٣ ـ (إلا أنك ترى مواضع العروق بيّنة أعلاما) العلم: الشيء الظاهر، والعروق في جناح الخفاش ظاهرة بيّنة كالقصب في سائر الطيور.

٤ ـ (لها جناحان لما يرقّا فينشقا) فإنّ جناحي الخفاش بالرغم من رقّتها ليستا بالدرجة من الرقة بحيث تكون معرضة للانشقاق، وفي نفس الوقت (ولم يغلظا فيثقلا) بل رقتهما بدرجة لا يمنعها من الطيران بالسرعة التي تريدها للحصول على معاشها.

٥ ـ وهي (تطير وولدها لاصق بها) في حين أنّ الطيور لا تصحب صغارها عند الطيران

(١) هـ. د: وروي أجنحة من لحم ـ ر.
(٢) في هـ. ب: تصعد.
(٣) في هـ. ب: زوائد، والشظية: الفلقة من العصا ونحوها، والجمع شظايا.
(٤) في هـ. ب: القصب: كلّ عظم مستدير أجوف، واحده: قصبة. والقصب: عروق الرئة، وهي مخارج التنفس ومجاريه، أي لا ريش للخفاش ولا عظم ولا عرق كما يكون لسائر ما يطير.
(٥) في هـ. ب: جمع علم، ويريد عليه السلام: رسوماً ظاهرة.
(٦) عبّر بـ«لمّا» إشارة إلى أنّهما ما رقيا في الماضي ولا هما رقيقان، فهو نفي مستمر.
(٧) في هـ. ب: الأيّام الخالية: أي: الماضية.

إلّا بعد حين.

وعلاقة الخفاش بولدها بأمور غير مألوفة:

فاولها: (ولدها لاصق بها) لا ينفصل عنها.

ثانيها: (لاجئ إليها) فلا يلتجئ إلىٰ المكان المولود فيه.

ثالثا: (يقع إذا وقعت) في المسير فينزل حينما تنزل الام.

(ويرتفع إذا ارتفعت) بالطيران كانهما جسم واحد.

رابعا: (لا يفارقها) في الطيران والسكون؛ خلافا لسائر الطيور؛ فإنّ سائر الطيور لا يتعلّق بها ولدها بهذه الدرجة، والخفاش يستمر علىٰ هذه الطريقة اللصيقة حتى يستقل الولد في حياته في الحالة التالية.

أوّلاً: (حتى تشتد أركانه) من الناحية الجسمية.

ثانيا: (ويحمله للنهوض جناحه) بأن يتمكّن من الطيران بمفرده.

ثالثاً: ويعرف مذاهب عيشه ويتمكّن من تحصيل معاشه بنفسه.

رابعاً: ومصالح نفسه بالمحافظة على اسلوب حياة الخفافيش.

وهذه الخصائص في الخفاش من حيث الحياة ومن حيث الخلقة التي تفارق فيها سائر الطيور والحيوانات توجب المعرفة للقدرة العليا التي أودعهما حياتها وخلقها، وتستوجب التسبيح للخالق تعالى، فقال في ختام المقطع:

(فسبحان البارئ لكل شئ على غير مثال خلا من غيره) حيث خلق من المخلوقات من غير مثال سبق من خالق غيره.

بل خلقها أدلّة يستدل بها على قدرته المطلقة في الخلق.

[١٥٦]

ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص[1] الملاحم:

خاطب به أهل البصرة علىٰ جهة اقتصاص الملاحم، وشرح اهداف الحرب والقيادة المعارضة وحقائق الايمان، والناس في يوم القيامة وخصائص الامر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ استناداً الىٰ نصوص القرآن.

(١ / ط - ١٥٦) اهداف الحرب:

فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ[2] أَنْ يَعْتَقِلَ[3] نَفْسَهُ عَلَى ٱللهِ فَلْيَفْعَلْ؛ فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي؛ فَإِنِّي حَامِلُكُمْ ـ إِنْ شَاءَ ٱللهُ ـ عَلَى سَبِيلِ ٱلْجَنَّةِ؛ وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ.

في مفتتح الخطبة بيّن الامام بوضوح اهداف حرب البصرة (فى سنة ٣٥ ﻫ) والسياق يقتضي تفصيلاً قد تقدم في كلامه أوجب بيان الاهداف من جانبه كقائد أعلى يتحمل المسؤولية فيها،، وقد تضمّن المقطع رؤية واضحة لما لهذه الحرب من سلبيات وايجابيات، وان المصلحة الاسلامية العليا تقتضي خوضها معرضاً عن السلبيات، وشرح ذلك في نقاط بقوله:

١ ـ (فمن استطاع عند ذلك) يعني عند وقوع الحرب المسلحة من الجانبين ، وهذا يقتضي أنّ التوجيه انما كان قبل ذلك بفترة استعداداً لخوض المعركة.

٢ ـ (أن يعتقل نفسه على الله عز وجل فليفعل) العقل: الحبس، وذلك بأن يركز حياته ويجعلها وقفا في سبيل الله تعالى بالخوض في هذه المعركة التي لا تحسم إلّا بذلك.

٣ ـ (فإن أطعتموني فإني حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنّة) للرؤية الواضحة له كقائد أعلى، بأنّ المعركة لا تحسم إلّا بقطع دابر المعارضين للخلافة الشرعية، والحرب المشروعة طريق الجنّة، ولعله اشارة إلىٰ قوله صلى الله عليه وآله: «الجنّة تحت ظلال السيوف» كما هو الحال في كلّ حرب عقائدية، وهذا هو الهدف الايجابي في الحرب، ثم أشار إلىٰ السلبيات فيها بقوله:

٤ ـ (وإن كان ذا مشقة شديدة) لانها حرب أهلية بين المسلمين، يصعب على المسلم خوضها مع العلم بأنها الطريقة الوحيدة لحركة التصحيح؛ فإنّ الحرب في نفسها حركة

---

(١) في ﮬ. ب: جمع «قص» به.
(٢) في ﮬ. ص: الإشارة إلىٰ غلبة أهل الفتن وضعف جانب الحق.
(٣) في ﮬ. ب: يحبس، وفي ﮬ. ص: أي يحبسها على طاعته، من الشرح.

شاقة.

٥ ـ (ومذاقة مريرة) فإنّ الحرب الاهلية هذه هي أُولى الحروب التصحيحية التي خاضها الامام ، وهي ـ بلاشك ـ تؤثر في اهدار الجهود التي يجب أن تستخدم في جهاد العدوّ المشترك من غير المسلمين، والحرب يكون له حينئذٍ طعم غير مستساغ كما هو مستساغ في حرب الكفار.

وهذه النقاط الخمس تحدد المسيرة التي يسير فيها القائد برؤية واضحة، كما يكشف عن أنّ الامام بحكم قيادته لم يفرض رأيه على الجيش الذي يقوده، بل أبدى رأيه وجعل الخيار لهم بقوله: (فان أطعمتموني) ويعني أنّ الجيش يتكون من الذين أصحبوا مقتنعين بهذه النقاط ووقفوا الى جانبه حتى النصر.

(٢/ط - ١٥٦) **القيادة المعارضة:**

وأَمَّا فُلَانَةُ فأَدْرَكَها رَأيُ[1] النِّساءِ، وضِغْنٌ[2] غَلَا في صَدْرِها كَمِرْجَلِ القَيْنِ[3]، ولوْ دُعِيَتْ لِتَنالَ منْ غَيْرِي ما أَتَتْ إليَّ لمْ تَفْعَلْ، ولها بَعْدُ حُرْمَتُها الْأُولى، والحِسابُ على اللهِ.

وقيادة المعارضة ضدّ الامام علي عليه السلام في حرب الجمل في البصرة عام ٣٦ تشكلت من شخصين من الصحابة هما: طلحة والزبير، وهما المخططان في تقليد القيادة للسيدة عائشة باعتبارها ام المؤمنين. وهذه اول حرب اسلامية تزعمتها أمرأة مسلمة لموقعها الاجتماعي في الامة، ولم يسبقها كما لم يلحقها حرب اسلامية يستخدم فيها المرأة للقيادة.

وقد اعلن الامام في هذا المقطع الدوافع الشخصية التي جعلت السيدة عائشة تتزعّم هذه المعركة، والامام ـ في هذا النص ـ لم يسمّها بإسمها، بل كنّىٰ عنها، كما لم يشرح الاسباب السياسية لاستخدام هذه الشخصية كواجهة في الحرب، في حين أنّ أيّة إمراة اخرى من امهات المؤمنين وحتى نساء كلّ من طلحة والزبير وغيرهما لم تشترك في هذه الحرب، ممّا يكشف عن دوافع شخصية منهما، وأشار إليها بقوله:

١ ـ (وأما فلانة) وعدم التصريح بالاسم؛ لاحترام مقام زوجها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله.

٢ ـ (فأدركها رأي النساء) اي طبيعة النساء وهي تختلف عن الرجال في التحكم في

---

(١) في هـ. د: ضعف رأي ـ ر، وهامش م.

(٢) في هـ. ب: حقد.

(٣) في هـ. ب: القين ـ عند العرب ـ : كلّ من يعمل بالنار. المرجل: القدر، وإنّما مثل بمرجل القين لأنّه يغلي مادام يصنع، إشارة إلىٰ أنّ حقدها دائم الغليان.

العواطف الشخصية في سبيل المصلحة الاسلامية العليا، بل مقتضىٰ الطبيعة تقديم العلاقات العائلية على غيرها ما أمكن.

٣ ـ (وضغن غلا في صدرها كمرجل القين) الضغن: الحقد، والمرجل: القدر الذي يطبخ فيه الطعام، والقين: الحدّاد، فان قدر الحدّاد أشد ما يتصوّر حرارة، وهو يعدّ لصهر ما يريد الحداد صهره من المواد الحديدية، وان الحقد الذي حوت عليه صدرها تجاه شخص الامام عليه‌السلام كانت بهذه الدرجة من الحرارة والشدّة.

ولم يبيّن الامام هنا الاسباب الشخصية الداعية الىٰ هذا الحقد المتأجّج؛ ترفعاً، وقد أشار إليه الشارح (ت /٦٥٦) وغيره في كتب التاريخ. (وراجع: موارد الاعتبار، والمادة في المعجم) ويظهر انها كانت مفهومة وواضحة لمن لخاطبهم الامام، فلم يسألوه عنها، وكلّما أراد الامام هو أن يبين أنّ الدوافع لتحمّلها القيادة لم تكن اموراً عقائدية، بل اموراً شخصية، كما قال:

٤ ـ (ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل) حيث انه لم يكن لها مثل هذه الدوافع الشخصية تجاه شخص آخر، مهما كانت مواقفها تجاه ذلك الشخص، وبمراجعة حياة السيدة عائشة يمكن الوقوف على هذه الحقيقة، حيث انها لم تشترك في أية معركة سياسة اُخرى قط حتىٰ وفاتها في سنة ٥٧ هـ حيث عاشت احدى وعشرين عاماً بعد هذه المعركة التي قادتها عام ٣٦ هـ.

واكتفى الامام بهاتين النقطتين في وصفها؛ باعتبار أنها تحملت قيادة المعارضة في معركة الجمل، واشار إلىٰ موقفه كقائد وهو يترأس الجيش الذي يقوده بالحقيقة التالية:

٥ ـ (ولها بَعْدُ حرمتها الأولى)، وهي حرمة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله؛ لانها من امهات المؤمنين، ويحب المحافظة على هذه الحرمة مهما كانت الاسباب الداعية لخروجها عليه.

ـ وعن مستقبل المحاكمة عن هذه التصرفات بين المتحاربين من الجانبين قال:

٦ ـ (والحساب على الله تعالى) فإنّ تقييم هذه المواقف التي خلفت آثاراً عميقة في المجتمع الاسلامي الحاضر والمستقبل يخرج عن نطاق الأفراد؛ فإنّ أيّ عمل يفسر بغير تفسيره من الجانب الآخر، والمسؤولية تقتضي القيام بالواجب المسؤول عنه في هذه المرحلة فقط.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه: «ثم كان بينها وبين علي عليه‌السلام في حياة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أحوال وأقوال، كلها تقتضي تهييج ما في النفوس، نحو قولها له وقد استدناه رسول الله، فجاء حتى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان:

وأمّا وجدت مقعدا لكذا – لا تكنى عنه – إلا فخذي! ونحو ما روى أنه سايره يوما وأطال مناجاته، فجاءت وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما، وقالت: فيم أنتما فقد أطلتما! فيقال: إنّ رسول الله ﷺ غضب ذلك اليوم. وما روى من حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها، ونحو ذلك ممّا يكون بين الأهل وبين المرأة وأحمائها. ثم اتفق أنّ فاطمة ولدت أولادا كثيرة بنين وبنات، ولم تلد هي ولدا، وأن رسول الله ﷺ كان يقيم بنى فاطمة مقام بنيه، ويسمّى الواحد منهما "ابني" ويقول: دعوا لي ابني ولا تزرموا[1] على ابني "و" ما فعل ابني" فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل، ثم رأت البعل يتبنىابنته من غيرها، ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق! هل تكون محبة لأولئك البنين ولأمهم ولأبيهم، أم مبغضة! وهل تود دوام ذلك واستمراره، أم زواله وانقضائه! ثم اتفق أنّ رسول الله ﷺ سد باب أبيها إلى المسجد، وفتح باب صهره، ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة، ثم عزله عنها بصهره، فقدح ذلك أيضا في نفسها، وولد لرسول الله ﷺ إبراهيم من مارية، فأظهر علي عليه السلام بذلك سرورا كثيرا، وكان يتعصب لمارية، ويقوم بأمرها عند رسول الله ﷺ ميلا على غيرها، وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة، فبرأها علي عليه السلام منها، وكشف بطلانها أو كشفه الله تعالى على يده، وكان ذلك كشفا محسا بالبصر، لا يتهيأ للمنافقين أنّ يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشة، وكل ذلك ممّا كان يوغر صدر عائشة عليه».

الى ان قال: «هذه خلاصة كلام الشيخ ابن يعقوب ـ يوسف السمعاني ـ ولم يكن يتشيع وكان شديدا فيب الاعتزال الا انه في التفضيل كان بغداديا».[2]

(٣ / ط ـ ١٥٦) من خصائص الايمان:

مِنْهُ[3]: سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهاجِ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ، فَبِالْإِيمانِ يُسْتَدَلُّ على الصَّالِحاتِ، وبالصَّالِحاتِ يُسْتَدَلُّ على الْايمانِ، وبالْإِيمَانِ يُعْمَرُ[4] الْعِلْمُ، وبالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وبالمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيا، وبالدُّنْيا تُحْرَزُ الآخِرَةُ[5]، وإنَّ الْخَلْقَ لا مَقْصَرَ[6] لَهُمْ عَنِ الْقِيامَةِ،

---

(١) أي لا تقطعوا عليه بوله، يقال: زرم الدمع والبول، إذا انقطع (النهاية؛ لابن الأثير ٢: ١٢٤).
(٢) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ٩: ١٩٤ ـ ١٩٥.
(٣) في ص: ومنه.
(٤) في هـ. ب: من العمارة.
(٥) في ط ود زيادة: وبالقيامة تزلف الجنّة للمتّقين، وتبرز الجحيم للغاوين؛ في هـ. د: هذه العبارة ساقطة من ف ع ن ل ش.
(٦) في هـ. ب: لا معدل.

مُرْقِلِينَ[١] في مِضْمارِها[٢] إلى الْغايَةِ الْقُصْوَى.

سرد الامام خصائص الايمان في سلسلة مترابطة في العقيدة والعمل، فقال:

١ ـ (سبيل أبلج المنهاج) البلوج: النور، والايمان طريق واضح كالنور في وضوحة؛ لأنّ المنهاج الذي يبعثه ليس إلّا الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإنّ وضوح الطريق بداية السلسلة للحركة.

٢ ـ (أنور السراج) والنور الذي في منهاج الايمان الحقيقي ليس نوراً ضعيفا، بل أشدّ أنواع النور المضيئ في حياة الانسان الفردية والأسرية والمجتمع الذي يعيش فيه، كما يقتضيه الايمان اذا عرف على حقيقته، المستلزم للعمل الصالح، ولا يمكن للحركة الهادفة الاستمرار من دون منهاج منير كالسراج.

٣ ـ (فبالإيمان يستدل على الصالحات) فانّ أُولى درجات الايمان هو كلمة التوحيد التي تحرر الانسان من عبادة المادة والماديات والشهوات، وهذه الكلمة الطيبة دليل على الاعمال الصالحة التي يقوم بها الانسان في الحياة، وهذه الدرجة تستدعي درجة اخرى مترابطة كما ستأتي.

٤ ـ (وبالصالحات يستدل على الإيمان) بمختلف مراتبه، فان زيادة الاعمال الصالحة يدل على قوة مرتبة الايمان، فلا يكون بين الكلامين دور، قال تعالىٰ:﴿يرفع الله الذين امنوا والذين أُوتوا العلم درجات﴾[٣].

٥ ـ (وبالإيمان يعمر العلم) فإنّ العلم المجرد عن الايمان يكون وبالاً علىٰ الانسانية، كالقنابل المبيدة في عصرنا الحاضر.

٦ ـ (وبالعلم يرهب الموت) فإنّ العلم الحقيقي هو معرفة الدور الذي للانسان في الحياة وينتهي بالموت.

٧ ـ (وبالموت تختم الدنيا) حيث أنّه آخر لحظة في الحياة فيها.

٨ ـ (وبالدنيا تحرز الآخرة) لان آثار الاعمال في الدنيا تنعكس في الآخرة.

٩ ـ (وبالقيامة تزلف الجنّة) والزلفة: المنزلة والقِرى لمن يستحقها بأعماله في الدنيا.

١٠ ـ (وتبرز الجحيم للغاوين) والغاوي: هو المنقاد للهوى، وهذا اقتباس من قوله

---

(١) في هـ. ب: مسرعين.
(٢) المضمار: ميدان السباق.
(٣) المجادلة ٥٨: ١١.

تعالى:﴿وبرّزت الجحيم للغاوين﴾[1].

وهذه الخصائص العشر سلسلة مترابطة في حياة المؤمنين السائرين علىٰ خطى ثابتة في العقيدة والشريعة في الحياة الدنيا وما بعدها.

(٤/ ط - ١٥٦) وصف يوم القيامة:

مِنْهُ[2]: قدْ شَخَصُوا[3] منْ مُسْتَقَرِّ الْاجْدَاثِ، وصَارُوا إلى مَصائِرِ الْغاياتِ، لِكُلٍّ دَارٍ أهْلُها، لايَسْتَبْدِلُونَ بهَا، ولا يُنْقَلُونَ عَنْها.

وختم المقطع بالإشارة إلىٰ أنّ يوم القيامة حقيقة عقائدية لكل البشر، وان قصر عن معرفتها اصحاب المادة، فقال:

١ ـ (وإن الخلق) على اختلاف اجناسهم واديانهم .

٢ ـ (لا مفر لهم عن القيامة) أي لايمكنهم الفرار عن يوم الحساب، فان مسيرة الحياة المادية لابد وان تنتهي إلىٰ الموت.

٣ ـ (مرقلين في مضمارها إلى الغاية القصوى) والرقل: السرعة في الحركة، فالخلق مسرعون في سيرهم إلىٰ المضمار، وهو غاية الفرس في السباق للوصول إلىٰ الغاية القصوىٰ من السير، وهو الجزاء في يوم الحساب.

وعن حال الناس يوم القيامة قال:

٤ ـ (قد شخصوا من مستقر الأجداث) والشخوص: الرحلة والانتقال. والجدث: القبر، فإنّ في يوم القيامة ترتحل هذه الاجساد من قبورها بالكيفية التي لا يعلمها إلّا الله سبحانه، وربما بالجينات التي تحتوي على كلّ خصائص الانسان المتوفى والتي تتوارثها الاجيال من نسله، والله العالم.

٥ ـ (وصاروا إلى مصائر الغايات) فإنّ مصير كلّ انسان مرهون بعمله من الخير أو الشر.

٦ ـ (لكل دار أهلها) من دار النعيم أو دار الجحيم ودار الجحيم .

(لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها) كما تقتضيه العدالة الالٰهية.

(٥/ ط - ١٥٦) الامر بالمعروف:

وإنَّ الأمْرَ بالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ، لَخُلُقَانِ منْ خُلُقِ الله[4] سُبْحانَهُ، وإنَّهُما لا

---

(١) الشعراء ٢٦: ٩١.

(٢) في ب: منها.

(٣) في هـ. ب: ذهبوا.

(٤) في ب: من خلق الله، وفي هـ. ب: في رواية: خُلُق الله.

يُقرِّبانِ منْ أجَلٍ، ولا يَنْقُصان منْ رِزْقٍ.

وعن خصائص الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ذكر ثلاث نقاط:

الاولىٰ: (وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله سبحانه) والخلق: الصفة، وهذه استعارة باعتبارهما انهما مرضيّان لله سبحانه حين أمر بهما، وحدّد عليه السلام موقفه في حرب الجمل على هذا الأساس.

الثانية: (وإنهما لا يقرّبان من أجل) فإنّ لكل إنسان أجله الخاص، قال تعالىٰ: ﴿اذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون﴾[1] فإنّ كان أجل الانسان قد حلّ فهو ذلك، والّا فلا يموت آنئذٍ، والجيش المحارب الذي يخاطبه الامام يفتقر إلىٰ هذه التعبئة الروحية للمقاومة.

الثالثة: (ولا ينقصان من رزق) فإنّ ما يفتقر الانسان اليه من رزق ليعيش عليه في الاستمرار في الحياة ليس إلّا أكلة محدودة من حيث الحجم لاتزيد ولا تنقص، وما زاد زيادة فانه غير مفتقر إليها.

(٦ / ط - ١٥٦) من خصائص القرآن:

وعليكُمْ بكِتابِ اللهِ؛ فإنَّهُ الحَبْلُ المَتينُ، والنورُ المُبينُ، والشِّفاءُ النَّافِعُ[2]، والرِّيُّ النَّاقِعُ[3]، والْعِصْمَةُ لِلمُتَمَسِّكِ[4]، والنجاةُ لِلْمُتَعلِّقِ، لا يَعْوَجُّ فَيقامَ، ولايَزيغُ فَيَسْتَعْتِبُ[5]، ولا تُخْلِقُهُ كثرَةُ الرَّدِّ، وَوُلُوجُ ٱلسَّمْعِ[6]، مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ، ومَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

وحيث أنّ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما هو لتطبيق الدستور الاسلامي الخالد وهو القرآن الكريم، ختم المقطع بذكر خصائص القرآن، فقال:

(وعليكم بكتاب) وسرد من خصائصه ما يلي:

١ ـ (فإنّه الحبل المتين) فإنّه الوحي الالهي المنزل على خاتم الانبياء فيجب التمسّك به.

٢ ـ (والنور المبين) لهداية القلوب الواعية في كلّ مجالات الحياة الفكرية والعمليّة.

---

(١) النحل ١٦: ٦١.

(٢) في هـ. ص قال عزّوجلّ: ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ يونس: ١٠ / ٥٧.

(٣) في هـ. ب: وصف الريّ بالناقع توكيد، وفي هـ. ص: أي: ينقع الغلّة ويقطعها.

(٤) في أ: للمستمسك. وفي هـ. أ، وفي نسخة: للمتمسك.

(٥) في هـ. ص: أي يطلب عتباه، أي: رضاه وعذره، والمراد من عمل به.

(٦) في هـ. ص: قوله: ولا يخلقه كثرة الرد... الخ هذا من خصائص القرآن المجيد شرّفه الله أنّه لا يُمَلّ ولا يُسْمَج وإن كثرت تلاوته واستماعه بخلاف كلام غيره.

٣ ـ (والشفاء النافع) للامراض الفكرية في العقيدة التي يكون الاخلال بها أساس الانحراف، ولابد للانسان حينئذٍ اللجوء إلىٰ الايمان.

٤ ـ (والريّ الناقع) النقع: الزوال، فإنّ المرتوي بمعارف القرآن تزول عنه الحاجة إلىٰ أي كتاب هداية اخرىٰ في الحياة.

٥ ـ (والعصمة للمتمسك) بهذا الحبل المتين، فيعصم الانسان عن الانزلاق في المزالق في الدنيا.

٦ ـ (والنجاة للمتعلّق) في الاخرة بسبب تعلّقه، باحكام القرآن.

٧ ـ (لا يعوج فيقام) وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿لم يجعل له عوجا﴾[1]، وانها بوحي إلٰهي فلا يحصل له عوج حتىٰ يفتقر الىٰ تقويم.

٨ ـ (ولا تخلقه كثرة الردّ وولوج السمع) فإنّ ذكر القرآن وتلاوة آياته وسماعها في مختلف الاوقات لا يوجب الملل، كما يحصل في تلاوة وسماع الخطابات والاشعار، ويؤيد ذلك أنّ الاذاعات العالمية في عصرنا الحاضر، لا تبث بالعربية في مفتتح برامجها واخبارها سوى القرآن الكريم، دون الكتب السماوية الأُخرى.

٩ ـ (من قال به صدق) فإنّ من تلا القرآن الكريم تلاوة باللسان كان صادقا في المحتوى.

١٠ ـ (ومن عمل به سبق إلىٰ خير لنفسه وثواب مقدّم لمستقبله).

وهذه النقاط العشر لهذا الدستور الاسلامي الخالد يوجب السعي في تطبيق القرآن في الحياة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وان اقتضى ذلك المعركة، والله المستعان.

الفتنة:

ويتضمن هذا المقطع بيان معنى الفتنة في القرآن وفي السنة والبشارة بالشهادة وموارد الفتنة والموقف الذي يجب اتخاذه عند الفتنة.

وَقامَ إليهِ رَجُلٌ فَقالَ: أخبِرْنا عَنِ الْفِتْنَةِ[2]، وهَلْ سَأَلْتَ عَنْها رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلهِ؟ فَقالَ عليه السلام:

(٧ / ١٥٦ ـ ط) الفتنة في القرآن:

لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحانَهُ قَوْلَهُ: ﴿الٓم أحَسِبَ النَّاس أن يُتركوا أن يقولوا آمنَّا وهُم لا

---

(١) الكهف ١١٩: ١.

(٢) في هـ. ب: الفتنة: الهلكة المحرقة، فتن الرجل وافتتن: إذا أصابته فتنة.

يُفتنون﴾[١] عَلِمْتُ أنَّ الْفِتْنَةَ لا تَنْزِلُ بِنا ورَسُولُ ٱللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ بيْنَ أَظْهُرِنا.

فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ما هَذِهِ ٱلْفِتْنَةُ الَّتي أخبَرَكَ اللهُ بهَا؟.

فَقالَ: ياعَليُّ إنَّ أُمَّتي سَيُفْتَنُونَ منْ بَعْدِي.

فقُلْتُ: يارَسُولَ اللهِ أوَلَيْسَ قُلْتَ لِي يوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ منَ المُسْلمينَ وحِيزَتْ عَنِّي الشَّهادَةُ[٢] فَشَقَّ ذلِكَ عليَّ فَقُلْتَ لِي: أبْشِرْ فإنَّ الشَّهادَةَ منْ ورَائِكَ؟.

فَقالَ لِي: إنَّ ذَلِكَ لكَذلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إذاً؟.

فَقُلْتُ: يارَسُولَ ٱللهِ لَيْسَ هٰذَا منْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، ولكِنْ منْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى والشُّكْرِ.

الفتنة لغة: بمعنىٰ الامتحان، وبهذا المعنى وردت المادة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ويتضمن هذا المقطع الإشارة اليها:

أمّا في القرآن الكريم، فقد قال سبحانه: ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾[٣].

فان هذا ينبئ عن ان الفتنة طريقة في الحياة يستلزم الثبات عليها عند الامتحان، فإنّ الدعوة المجردة لا قيمة لها ما لم يسندها العمل، ولا يظهر حقيقة الانسان إلّا عند الامتحان، ولولا ذلك لقال كلّ واحدٍ ما شاء، كما هو شأن الكفار الذين لا يؤمنون بشيئ، والانسان المؤمن الذي يؤمن بمبادئ الاسلام العادلة كذلك يمرّ في مرحلة العمل بالامتحان حينما يواجه مفترق الطرق، إما صراط الحق المستقيم وإمّا التطرّف إلىٰ اليمين أو اليسار حسب المصالح والشهوات، فلا يترك الله سبحانه الناس بدون امتحان في الحياة.

وهذا الحسبان انما يكون للجاهل بواقع الحياة، والايمان انما يوقد نار الحقيقة في قلوب المؤمنين، وهم أيضاً يمتحنون في هذه كما يمتحنون في العقيدة (راجع المادة في التفسير).

(٨/١٥٦ - ط) الفتنة في السنّة:

وامّا في السنّة النبويّة، فقد اشار الامام إلىٰ الحديث الذي سمعه من الرسول القائد عند سماعه آية العنكبوت التي تحتوي على امور اربعة، قال عنها:

لا فتنة في عصر الرسول:

---

(١) الدخان: ١.

(٢) حازها الله عنّي فلم أنلها، وفي هـ. ب: جمعت، ويحتمل صرفت.

(٣) العنكبوت ٢٩: ٢.

الأوّل: (عملت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله ﷺ بين اظهرنا) والسبب في علمه عليه السلام ذلك ليس قوله تعالى:﴿وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم﴾[١]، كما ذهب اليه الشارح (ت / ٦٥٦ هـ)[٢] ؛ لأن الامام لم يستشهد بها، بل لان الفتنة بمعنىٰ الامتحان، ومع وجود النبيّ ﷺ الاطهر بين الصحابة لا يكون موجبا للامتحان، بل الموجب له يكون بعد موته ﷺ، فإنّه كان يحلّ بأقواله موارد الفتنة، كما هو الشان في أيّ قائد حكيم، فلم تظهر الخلافات إلّا بعد وفاته، فان الخلافات الحادة بقيت كامنة في النفوس في حياته.

الثاني: الفتنة بعد الوفاة :

(فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها) فإنّه عليه السلام لم يفهم من الفتنة الواردة الكريمة معنى العذاب، بل معنى الامتحان.

(فقال : يا علي أنّ أمتي سيفتنون من بعدي) وهذا الحديث النبوي ايضا يفسر الفتنة بمعنى الامتحان ولكن من بعد وفاته، حيث لا يكون مجال لهذا الامتحان الصريح في حياته.

الثالث: البشارة بالشهادة:

(فقلت يا رسول الله : أو ليس قد قلت لي يوم أُحُد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة، فشقّ ذلك عليَّ، فقلت لي : أبشر، فإنّ الشهادة من ورائك؟

فقال لي : أنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذاً؟

فقلت : يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر).

وهذا الحديث يدل ـ فيما يدل ـ على أنّ الشهادة لا تنحصر في القتال مع المشركين فقط، بل أنّ الشهادة في سبيل الاسلام يتحقق في الحرب الاسلامية التي تخاض في سبيل تطبيق المبادي الاسلامية العادلة، كما انه من الملاحم النبوية المتكررة في السنة، وقد تحققت في حق الامام عليه السلام.

وانما سأل الامام ما سأل لشبهة أنّ الشهادة تختص بالحرب ضد الكفار، وليس في تحقيق حكم القرآن ذلك، سواء كان ضد الكفر أو في سبيل تطبيق الاسلام بين المسلمين.

الرابع: موارد الفتنة التي عدّدها ﷺ، وستأتي بتفصيل.

---

(١) الأنفال ٨: ٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩:٢٠٧.

(٩ / ط - ١٥٦) موارد الفتنة:

وقالَ: ياعَلِيُّ إنّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بأَمْوَالِهِمْ، ويَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ على رَبِّهِمْ، ويَتَمَنُّوْنَ رَحْمَتَهُ، ويأَمَنُونَ سَطْوَتَهُ، ويَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بالشُّبُهاتِ الْكاذِبَةِ، والأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُونَ الخَمْرَ بالنَّبِيذِ، والسُّحْتَ بالْهَدِيَّةِ، والرِّباءَ بالْبَيْعِ.

وقد عدّد الرسول القائد موارد الفتنة بقوله:

(إن القوم) من المسلمين بعد وفاته:

١ ـ (سيفتنون بأموالهم) والمسلمون الذين يقومون بالتركيز على المبادى العادلة سوف يواجهون الامتحان في الاموال، فإنّ حبّ المادة والماديات من المزالق لأصحاب المبادئ، قال تعالى:﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾[١].

٢ ـ (ويمنّون بدينهم على ربّهم) ويكشف ذلك عن تضعضع في المبادئ؛ فإنّ المؤمن بالشيئ يقوم بواجبه من دون أن يمنّ على أحد، والاسلام جاء للعمل في الحياة بالمبادئ لا المنّ على الله، قال سبحانه:﴿يمنّون عليك أن اسلموا قل لا تمنّوا عليَّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان﴾[٢].

٣ ـ (ويتمنّون رحمته) والتمنّي: طلب الشيئ المحال؛ فإنّ الله سبحانه جعل لرحمته اسباب من الطاعة، فاذا أخلّ الانسان بموارد الطاعة سلبت منه الرحمة، ومن تلك الأسباب: العمل بالمسؤولية في حالة الفتنة، قال تعالى:﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربّصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني﴾[٣].

٤ ـ (ويأمنون سطوته) فإنّ الله وعد العقاب على المعاصي، فكيف يأمن ذلك المؤمن بكتاب الله الناطق حيث يقول: ﴿فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون﴾[٤].

٥ ـ (ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية) وذكر لهذا الاستحلال سببين يستخدمان مبرراً لاستحلال الحرام، وهما:

اولا: كما قال تعالى:﴿فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه﴾[٥].

وثانيا: (الأهواء الساهية) اي الغافلة عن الحكم التي حرم الله الحرام من اجلها.

---

(١) الأنفال ٨: ٢٨.
(٢) الحجرات :١٧.
(٣) الحديد ٥٧: ١٤.
(٤) الأعراف ٧: ٩٩.
(٥) آل عمران ٣:٧.

ثم ذكر موارداً من الامتحان النابعة من هذه الشبهات بقوله:

٦ ـ (فيستحلون الخمر بالنبيذ) والخمر: ما يخامر العقل، وما أسكر كثيره فقليله حرام، والنبيذ ـ لقلة نسبة الكحول فيه ـ قد يتطرق اليه شبهة كاذبة بانه ليس يخامر العقل كاملا، مع أنّ المخامرة القليلة تجرّ الىٰ العادة وممارسة الخمر ذو النسبة الكبيرة.

٧ ـ (والسحت بالهدية) والسحت: الحرام كالرشوة، والمحلل له يسميها هدية، وهذه غفلة عن الحكمة التي حرم الاسلام من أجلها الرشوة، حيث انها تؤدي إلىٰ الظلم واهمال الواجب الإداري.

٨ ـ (والربا بالبيع) ففي الربا القرضيّ أو المعامليّ، وهو بيع شئ بزيادة لا يستحقها بعمل، بل على استغلال حاجة المحتاج، والحيل في تحليل المعاملات الربوية شائعة غفلة أو تغافلاً عن الحِكَم التي شرّعها الحكم في استغلال المحتاجين وتكوين طبقات مقهورة بأغلال الاقتصاد الظالم، وهذه الشبهات هي التي استحل بها أهل الجاهلية الربا كما قال تعالى:﴿ذلك بأنّهم قالوا انما البيع مثل الربا﴾[1].

وهذه الموارد الثمانية للامتحان لم تكن في عصر الرسالة لتطبيق الحكم الاسلامي فيه نصاً بقيادة الرسول القائد، وانما ظهرت بوضوح بعد وفاته في حركات الانحراف في تحريف الاسلام في مفاهيمه، والله العاصم.

(١٠ / ط ـ ١٥٦) الموقف في الفتنة:

فَقُلْتُ: يَارَسُولَ ٱللهِ، فَبِأَيِّ المَنَازِلِ[2] أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ[3]، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ.

وختم المقطع بالموقف الاسلامي المطلوب عند الامتحان وهو الرؤية الواضحة المستندةالكتاب والسنة في تقييم الموقف وليس غيرهما، فإنّ الانحراف عنها يعتبر شبهة اخرى يقع فيها الانسان من حيث لا يشعر.

وقد اشار الرسول القائد إلىٰ أنّ الرؤية الاسلامية الواضحة تفرّق بين حالتي الردة والفتنة، ولكل منهما احكام مشروحة في الفقه الاسلامي واكتفى بالاشارة إليها.

ويتضمّن هذا المقطع الاخير نقاط في غاية الاهمية للتحرك على اساسها عند الامتحان في الفتنة، وهي:

---

(١) آل عمران ٣:٧.

(٢) في هـ. د: فبأيّة المنازل ـ هامش ن.

(٣) في هـ. ب: من الإرتداد، أي: هم المفتونون أم المرتّدون.

أوّلاً: السؤال عن القيادة، كما فعل الامام سائلا عن النبيّ صلى الله عليه وآله: (قلت يا رسول الله: فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك؟) فالامة التي وقعت في موارد الفتنة التي أشار اليها الرسول القائد وقعت في الانحراف عن الخط الاسلامي الصحيح، فكيف يجب التعامل معهم في هذه الحالة، فلا تخلوا من حالتين، اشار اليهما بقوله:

ثانيا: الردة (أبمنزلة ردّة؟) وهي الخروج من الاسلام الذي هو الكفر، وحكمه في العقوبات الاسلامية القتل، كما طبّقها الرسول في حياته ، وهي مشروحة في السيرة (وراجع المادة في المعجم).

ثالثاً: الفتنة (أم بمنزلة فتنة ؟ فقال : بمنزلة فتنة) فإنّ الموارد المشار اليها كلها لا توجب الخروج من الاسلام؛ لعدم اعلان الكفر، بل انما توجب الفسق، والفسق لا يوجب القتل في العقوبات الاسلامية كما هو مشروح في الفقه الاسلامي، (وراجع المادة في المعجم) .

وبالرغم من الانحراف الموجود، بما انه قائم على الشبهة فتبقى فتنة وامتحاناً لجميع افراد الأُمة بالنسبة إلىٰ العصاة أنفسهم؛ لانهم يعلمون بالانحراف، فيكون لهم فرصة الحياة الدنيا للتوبة والرجوع إلىٰ الله، وللمؤمنين اصحاب الرؤية الواضحة أيضاً بالاعتبار من انواع المغريات المادية والوساوس الشيطانية للتجنب عنها كي لا يقعوا في الفخ كما وقع غيرهم.

وللقائد الاسلامي الذي يجب أن يتعامل مع هؤلاء المنحرفين ليس على نياتهم المنحرفة التي تستخدم الشبهات لتحليل المحرمات، بل لتقييم كلّ حادثة بانفراد؛ لتصحيح الانحراف وتطبيق العقوبات الاسلامية بحدودها الشرعية من دون انحراف، والله المستعان.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قد كان عليه السلام يتكلم في الفتنة ولذلك ذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولذلك قال: " فعليكم بكتاب الله " أي إذا وقع الامر واختلط الناس ، فعليكم بكتاب الله فلذلك ، قام إليه من سأله عن الفتنة ، وهذا الخبر مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قد رواه كثير من المحدثين عن علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله قال: له : " إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين ، كما كتب على جهاد المشركين " ، قال: فقلت : يا رسول الله ، ما هذه الفتنة التي كتب على فيها الجهاد ؟ قال: قوم يشهدون أنّ لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وهم مخالفون للسنة . فقلت : يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد ؟ قال: على الاحداث في الدين ، ومخالفة الامر ، فقلت : يا رسول الله ، إنك كنت وعدتني الشهادة فاسأل الله أنّ يعجلها لي بين يديك ، قال:

فمن قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين! وأمّا إني وعدتك الشهادة وستستشهد، تضرب على هذه فتخضب هذه، فكيف صبرك إذا! قلت: يا رسول الله، ليس ذا بموطن صبر، هذا موطن شكر قال: أجل أصبت فأعد للخصومة فإنك مخاصم فقلت: يا رسول الله، لو بينت لي قليلا! فقال: إنّ أمتي ستفتن من بعدي، فتتأول القرآن وتعمل بالرأي. وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية، والربا بالبيع، وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال، فكن جليس بيتك حتى تقلدها فإذا قلدتها جاشت عليك الصدور، وقلبت لك الأمور، تقاتل حينئذ على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى. فقلت: يا رسول الله، فبأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك؟ أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة؟ فقال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أنّ يدركهم العدل. فقلت: يا رسول الله، أيدركهم العدل منا أم من غيرنا؟ قال: بل منا، بنا فتح وبنا يختم، وبنا ألف الله بين القلوب بعد الشرك. وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة. فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله».[1]

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ٩: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

[١٥٧]

ومن خطبة له عليه السلام

يحثّ فيها الناس على التقوي ويتضمن خصائص الحمد والتقوىٰ والفجور، ومسؤولية النفس في يوم القيامة، وشهادة النفس، وموارد الاعتبار.

(١ / ط - ١٥٧) **من خصائص الحمد:**

الحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَ الحَمدَ مِفْتاحاً لِذِكْرِهِ[١]، وسَبَباً لِلْمَزِيدِ منْ فَضْلِهِ، ودَلِيلاً على آلائِهِ وعَظَمَتِهِ.

استفتح الخطبة بالحمد، واشار إلىٰ حقائق ثلاث للحمد لله تعالى، بقوله:

١ ـ (الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره) حيث يفتتح كلّ مسلم كلامه بعد البسملة بالحمد لله، ثم بعد ذلك يبتدئ بالموضوع الذي يهمّه، ومن هنا ورد :«كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر» و «كل امر ذي بال لم يبدأ بالحمد لله فهو أبتر» على الوجوه المعروفة في الجمع بينهما فإنّ البسملة مبتدأ والحمدله مفتاح.

٢ ـ (وسببا للمزيد من فضله) لأنّ فضائله ـ كنعمه ـ تعالى لا تحصىٰ، والحمد لها فضيلة اخرى، فتكون سببا لمزيد الفضل كما أرشدت القراءة إلىٰ الحمد، وجرت بذلك السنة في الادعية المروية في المناسبات المختلفة.

٣ ـ (ودليلا على آلائه وعظمته) حيث يتعلّق الحمد بسبب موجب له، وذلك السبب هو اما من نعم الله سبحانه التي أنعم بها على الانسان، وهي لا تحصى، أو من مظاهر خلق الله العظيمة، فكما أنّ الآلاء والنعم كانتا سبباً للحمد، فيكون الحمد أيضاً دليلا عليها يتعرف عليها بواسطة الحمد.

وهذه خصائص ثلاث للحمد لله سبحانه متواجدة في منطق أيّ حامد له سبحانه.

(٢ / ط - ١٥٧) **من خصائص الدهر:**

---

(١) في هـ . ب: ابتدأ فَحَمَدَ الله الذي جَعَل الحمد في أوّل القرآن: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾، وفي هـ . ص: قوله:« مفتاحاً لذكره»؛ وذلك لأنّ الله سبحانه شرّع لعباده ـ إذا ذكروه ـ: أن يفتتحوا ذكره بحمده، وافتتح به كتابه الذي هو ذكره العظيم. وقال صلى الله عليه وآله: «كلّ كلام لايُبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم».

وقوله: «سبباً للمزيد من فضله» قال الله تعالىٰ: ﴿لئِنْ شَكَرْتُم لأزِيدنّكُم﴾ابراهيم: ١٤ / ٧، والحمد أحد أطراف الشكر. وقوله: «ودليلاً على آلائه وعظمته» وذلك لأنّ الله جَعلَ الحمد للعباد ليدلّوا به على عظمته في قلوبهم واعترافهم بنعمته عندهم.

عِبادَ اللهِ إنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بالْباقينَ كَجَرْيِهِ بالمَاضِينَ[١]، لا يَعُودُ ماقدْ وَلّى منْهُ، ولا يَبْقَى سَرْمَداً مافيهِ، آخِرُ فِعالِه[٢] كأوَّلِهِ، مُتَشابِهَةٌ[٣] أُمورُه[٤]، مُتَظاهِرةٌ أعْلَامُهُ[٥]، فَكأنَّكُمْ بالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ[٦] حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ[٧].

سرد الامام من خصائص الدهر المعروفة لكل انسان يعيش في الحياة قد يكون غافلاً عنها فأوجب التذكير بها، وهي:

١ ـ (عباد الله، أنّ الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين) فليس الدهر تفضيل بزمن على آخر، ولا في الجري والسير على طبيعة الدهر الذي اوجدها الله فيه، وهي السير من الولادة إلىٰ الوفاة ولم يتمكّن أحد مدىٰ الدهر ان يكتشف شيئاً يوقف هذا السير الطبيعي.

٢ ـ (لا يعود ما قد وليّ منه) من الماضي، فإنّه يصبح في ذاكرة التاريخ حتىٰ ينسىٰ.

٣ ـ (ولا يبقى سرمداً ما فيه) والسرمد: الدائم، فإنّ كلّ شئ من الانسان والحيوان والنبات والجماد إلىٰ فناء.

٤ ـ (آخر فعاله كأوّله) فالدهر يعمل في كلّ فترة زمنيّة نفس العمل الذي تقدم منه لأوّل مرة من الحدوث والسير والموت في عجلة دائرية.

٥ ـ (متسابقة أموره) في الوجود والعدم وما يتعلق بهما من حالات الموجودات.

٦ ـ (متظاهرة أعلامه) وهي العلامات الدالة على مقاصدها، والتظاهر في القوة والغلبة بسبب تكرر علامات الدهر على مرّ الزمن، فإنّ التكرار للشئ يدل على قوّة ذلك كالموت والحياة.

٧ ـ (فكأنّكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله) شبّه الامامعليه السلام سير الحياة إلىٰ يوم القيامة بسير الناقة، والحداء: سوق الابل، والزاجر: السائق، والشوال: الناقة التي خفّ لبنها، فإنّ الانسان في الحياة كالناقة الشولة السريعة السير لخفة لبنها والتي يزجرها سائق من خلفها حاديا لها، فيكون السير في منتهى السرعة المتصوّرة. وهكذا حالة الانسان في

---

(١) في هـ. ب: أي أحوال الدهر متسارعة يتسابق خيرها وشرّها لا يبقى منه شيء.
(٢) في ص: أفعاله.
(٣) في أ وب وط ود: متسابقة، وفي هـ. ب، وفي نسخة: متشابهة، وفي هـ. د: متشابهة ـ ح.
(٤) أمور الدهر: مصائبه.
(٥) في هـ. ب: متناصرة راياته.
(٦) في هـ. ص: تسوقكم.
(٧) في هـ. ب: أي بإبله الشايلة أذنابُها، وفي هـ. ص: قوله «بشوله» الشوّل: النوق التي جفّ لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية ـ من الشرح.

السير نحو الموت.

(٣ / ط - ١٥٧) انقاذ النفس:

فَمَنْ شَغَلَ نفْسَهُ[١] بِغيرِ نفْسِهِ[٢] تَحيَّرَ في ٱلظلُمَاتِ، وٱرْتَبَكَ[٣] في الهَلكاتِ، ومَدَّت[٤] بِهِ شَياطِينُهُ في طُغْيانِهِ، وزَيَّنَتْ لهُ سَيِّيءَ أعمالِه، فالجَنَّةُ غايَةُ السَّابِقينَ، والنَّارُ غايةُ المُفَرِّطينَ.

ونتيجة لهذه الخصائص المعروفة للدهر فلابدّ من أن ينقذ الانسان نفسه في هذا السير السريع، وان هذا الانقاذ يجب أن يكون بواسطة الانسان نفسه دون غيره، فقال:

(فمن شغل نفسه بغير نفسه تحيّر) حيث أنّ الانسان على نفسه بصيرة، وغيره لا يمكن أن يعرف مشاكل الانسان نفسه؛ لان الانسان على نفسه بصيره، وأشار إلىٰ أربعة اُمور تلازم الاعتماد على الغير، وهي:

أوّلاً: (تحيّر في الظلمات) لان الاعتماد على الغير ضعف في الرؤية لحدود الانسان نفسه، وهذا الضعف ظلمة توجب الحيرة، والآخر الذي يرىٰ مصلحة نفسه مقدماً على مصلحة هذا.

ثانيا: (وارتبك في الهلكات) والارتباك: الاختلاط بسبب ضعف الرؤية، وغيره يستخدم ضعف الرؤية هذا فيما يضرّه.

ثالثا: (ومدت به شياطينه في طغيانه) والشياطين تمهل الانسان في الطغيان بالعصيان؛ لئلا يهتدي إلىٰ طريق الصواب، فيبقىٰ راضيا بما هو فيه ويفوته ما به قوام حياته في المستقبل كما هي عادة أصحاب السوء دائماً.

رابعا: (وزينت له سيئ أعماله) فإنّ الاعمال السيئة تمنعه من متابعة ما ينفعه في مستقبله بايقاعه فيما يفرح به في العاجلة ويزينه له بحيث يراه حياة مرفّهة في حين انه يسرق زهرة شبابه ويؤخّره عن الوصول إلىٰ ما فيه سعادته.

وختم المقطع بالاشارة إلىٰ أنّ الحقيقة هي عاقبة العمل، وهي لا تخلو من أمرين:

الأوّل: العمل الصالح المنتهي إلىٰ الثواب الدائم (فالجنّة غاية السابقين) للعمل اليها في الدنيا.

---

(١) في هـ. ص: أي لم يسسها ويتفقّد أحوالها فيصلح فاسدها ويزكّيها.

(٢) في هـ. ص: ذلك الغير: الدنيا وزينتها.

(٣) في هـ. ب: نشب فيها؛ أخلط، وفي ص: أي نشب ولم يخلص.

(٤) في ص: وأمدت.

الثاني: العمل الطالح المنتهي إلىٰ الندامة الدائمة (والنار غاية المفرطين) الذين يحيدون عن المسؤولية الواجبة عليهم في الدنيا.

وهذه الحقائق توجب على الانسان المسؤول أن يعمل في الدنيا لا نقاذ نفسه في الآخرة، والله المستعان.

(٤ / ط - ١٥٧) **التقوى والفجور:**

إعْلَمُوا عِبادَ اللهِ؛ أنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، والْفُجُورُ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لايَمْنَعُ أهْلَهُ، ولَا يُحْرِزُ[١] مَنْ لَجَأ إليْهِ، ألَا وبالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ[٢] الخَطَايا، وباليَقِينِ تُدْرَكُ الْغايةُ الْقُصْوَى[٣].

يقارن المقطع بين التقوى والفجور في حقيقتهما وآثارهما: فإنّ التقوى يعني: الوقاية من الموبقات، والفجور العدول عن الحق، فقال:

١ ـ (اعلموا عباد الله أنّ التقوى دار حصن عزيز) لان التقوى يقي الانسان ويجعله في حصن من الانحراف وعزيزاً في المجتمع بالتزامه بالمبادئ التي ينبغي للانسان احترامها.

٢ ـ (والفجور دار حصنٍ ذليل) فإنّ العدول عن الحق يجعل الانسان في حصن الذلة والمهانة في المجتمع، لإعراضه عمّا ينبغي للانسان احترامه، وبيّن ذلك بقوله:

٣ ـ (لا يمنع أهله) فإنّ الذلة تمنع من النصر لاهله.

٤ ـ (ولا يحرز من لجأ إليه) والحرز: الحفظ؛ فإنّ الذلّة لا تتمتع بقدرة حفظ نفسها فكيف بمن يلجأ اليها من الناس.

وعن نتيجة هذه المقارنة قال:

(ألا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا) والحمة: السم القاتل؛ فإنّ الخطايا لا يكون لها أثر مع وجود التقوى، فلا تؤثر سمومها في الانسان.

(وباليقين تدرك الغاية القصوى) لان اليقين درجة عالية من الايمان، وبهذه الدرجة يصل الانسان إلىٰ أعلى الغايات في مسيرة الكمال الانسانية.

(٤ / ط - ١٥٧) **المسؤولية الشخصية:**

عِبادَ اللهِ، اللهَ اللهَ في أعَزِّ الأنْفُسِ عليكُمْ، وأحَبِّها إليْكُمْ؛ فإنّ اللهَ قدْ أوْضَحَ[٤] سَبيلَ

---

(١) أي لا يحفظ.

(٢) الحمة في الأصل: إبرة العقرب ونحوها؛ والمراد سطوة الذنوب.

(٣) في هـ. ب: أي الخلود في الجنّة.

(٤) في هـ. د: أوضح لكم ـ ض ح ب .

الحَقِّ، وأنارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ[١] لازِمَةٌ، أَوْ سَعادَة دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا في أَيَّام الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقاءِ، فقَد[٢] دُلِلْتُمْ على الزَّادِ، وأُمِرْتُمْ بالظَّعْن، وحُثِثْتُمْ على المَسيرِ، فإنَّما أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٌ لاتَدْرُونَ مَتى تُؤْمَرُونَ بالمسيرِ[٣].

ألَا، فَما يَصْنَعُ بالدُّنْيا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ، وما يَصْنَعُ بالمالِ مَنْ عمَّا قلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وتَبْقَى عليْهِ تَبِعَتُهُ[٤] وحِسابُه.

وسرد الامام مسؤولية الانسان الشخصية في الحياة في نقاط:

١ ـ (عباد الله ، الله الله) بالنصب على الاغراء، أي اتقوا الله.

٢ ـ (في أعز الأنفس عليكم وأحبها إليكم) ، وهي نفس الانسان.

٣ ـ (فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق وأنار طرقه) بإرسال الرسل وانزال الكتب كمنهاج للحياة.

٤٤ ـ (فشقوة لازمة أو سعادة دائمة) وممّا أوضح للانسان أنّ الصراط المستقيم يؤدي إلىٰ سعادة دائمة تقيه في الحياة في الدنيا والآخرة، وأنّ الانحراف يميناً أو يساراً يؤدي إلىٰ شقوة نفسية لازمة في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى﴾[٥].

٥ ـ (فتزوّدوا في أيام الفناء لأيام البقاء) وبالعمل الصالح ايام الحياة الدنيا للاخرة.

٦ ـ (فقد دللتم على الزاد) من الاعمال الصالحة التي اُمرتم بها.

٧ ـ (وأمرتم بالظعن) وهو السفر إلىٰ الاخرة.

٨ ـ (وحُثثتم على المسير) مزوّدين بما يفتقر اليه الانسان في هذه المسيرة.

٩ ـ (فإنما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالمسير) فإنّ حالة الانسان في الحياة الدنيا حالة موكب السفر الذي هو متيقن من السفر ولكنه لا يدري موعد الحركة بالضبط، فكل انسان يدري بالموت ولكن لا يعلم موعد نزوله.

١٠ ـ (ألا، فما يصنع بالدنيا من خُلق للآخرة؟) حيث أنّ الدنيا فانية والآخرة باقية، فحق أن يكون العمل لما هو باقٍ، لا لما يفنىٰ.

---

(١) في هـ. ب: من الشقاوة.

(٢) في أ وط ود: قد، وفي هـ. د: فقد ـ ش.

(٣) في أ وص وط ود: بالسير، وفي هـ. د: بالمسير ـ م ب، وفي هـ. ب: أي تؤمرون بالضَّعْن من الدار.

(٤) في هـ. ب: التبعة: ما يتبع شيئاً، واختصت بالذنوب لأنّها تابعة للفعل القبيح.

(٥) سورة ص ٣٨: ١٢٤.

١١ ـ (وما يصنع بالمال من عما قليل يُسَلْبُه وتبقى عليه تبعته وحسابه) فإنّ التهالك على الماديات بأكثر ممّا يفتقر اليه ويحتاجه الانسان في الحياة تهالكٌ على شئ لا ينفعه؛ لانه سوف يسلب منه لا محالة بالموت في حين أنّ المحاسبة عليها تستمر؛ لانه هو الذي جمعه من دون أداء لحقوق الفقراء ومن طرق مشبوهة أو غير شرعية أو غير قانونية، فيكون عليه تبعة ذلك كلّه حتى يؤدي ما عليه من حقوق الله وحقوق الناس، وأنىٰ له ذلك بعد الموت؟

(٥ / ط - ١٥٧) وعد الله حق:

عِبَادَ الله! إنّهُ ليْسَ لِما وَعَدَ ٱللّهُ منَ الخيرِ مَترَكٌ[1]، ولا فِيما نَهَى عنْهُ منَ الشَّرِّ مرغَبٌ[2].

وركّز الامام على مقارنة يحسبها الجاهل حقيقة وهي مقارنة حياة الاخرة بالدنيا فيتصوّر أنّ ما وعده الله سبحانه من الثواب وان كان حقاً كما يؤمن به، ولكن لا حاجة للانسان اليها في الآخرة كما يستغني الانسان من أمثالها في الدنيا، فأكد الامام عليه السلام على أن المقارنة هذه باطلة؛ لأنها قياس للحقائق غير المادية بالماديات، وذلك قياس باطل، فقال:

(عباد الله ، إنه ليس لما وعد الله من الخير مترك، ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب) فإنّ ما وعده سبحانه ممّا يفتقر اليه الانسان في الآخرة، ولا يمكن أن يترك ويستغنىٰ عنه قط، وان ما أوعد الله سبحانه من الشر عقاباً؛ بارتكاب ما نهى عنه لا يمكن أن يُرغب فيه قط؛ لعظم العقوبة على من يستحقها.

(٦ / ط - ١٥٧) يوم القيامة:

عِبَادَ ٱللهِ ٱحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فيهِ الأعمالُ، وَيكْثُرُ فيهِ الزلْزَالُ، وتَشيبُ فيهِ الأطْفالُ.

وعن وصف يوم القيامة ذكر ثلاث صفات، فقال:

(عباد الله ، احذروا يوما) ليس كأيام الدنيا المادية، فان لها خصائصها، وهي:

أوّلاً: (تفحص فيه الأعمال) والفحص: الكشف، فإنّ الاعمال في الدنيا تعرض للحساب لكشفها ومداقّتها.

ثانيا: (ويكثر فيه الزلزال) والزلزال ـ بالفتح ـ الحركة الشديدة بسبب هول الموقف،

---

(١) في ب: متروك. وفي هـ. ب، وفي نسخة: مترك.

(٢) في ب: مرغّب. وفي هـ. ب، وفي نسخة: مرغب.

حيث لا يعلم نتائج تلك المحاسبات.

ثالثا: (وتشيب فيه الأطفال) بسبب الهول والخوف المستولي على الانسان، فالطفل يصبح شيخاً من عظم الاهوال، وفيه اقتباس من قوله تعالى:﴿يوما يجعل الولدان شيبا﴾[1].

وهذه الصفات الثلاث المادية تصوّر لنا هول الموقف، وهو يستدعي الاستعداد ليوم القيامة.

(ط - ٧/١٥٧) الشهادة على النفس:

اَعْلَمُوا عِبادَ ٱللهِ أنَّ علَيْكُمْ رَصَداً[2] مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وعُيُوناً منْ جَوَارِحِكُمْ، وحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمالَكُمْ، وعَدَدَ أَنْفاسِكُمْ، لايستركم[3] مِنْهُمْ ظُلْمَةُ ليل دَاجٍ[4]، ولا يُكِنُّكُمْ[5] مِنْهُمْ بابٌ ذُو رِتاجٍ[6]، وإِنَّ غَداً منَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

وفي هذه المقطع اشارة إلىٰ شهادة جوارح الانسان على نفسه، كما قال تعالى:﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾[7].

وقال عليه السلام:

١ ـ (اعلموا عباد الله أنّ عليكم رصدا من أنفسكم) حيث تشهد أعضاء الانسان على نفسه، ومنها:

٢ ـ (وعيونا من جوارحكم) والجارحة: اعضاء الانسان من اليد والرجل، قال تعالى:﴿حتى اذا جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾[8].

٣ ـ (وحفّاظ صدق) وهم كتبة الاعمال الكرام الكاتبين، قال تعالى:﴿اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد﴾[9].

وعن اعمال كاتبي العدل هذين أشار الىٰ حقائق ترتبط بهما، وهي:

---

(١) المزمّل ٧٣: ١٧.
(٢) في هـ. ب: الرصد: القوم يرصدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنّث والمذكّر، وهي العيون: الجواسيس.
(٣) في هـ. ب: لا تستركم.
(٤) في هـ. د: ظلمة داج ـ ب.
(٥) في هـ. ب: لا يستركم.
(٦) في هـ. ب: إغلاق.
(٧) يس ٣٦: ٦٥.
(٨) فصلت ٤١: ٢٠.
(٩) سورة ق ٥٠: ١٨.

أوّلاً: (يحفظون أعمالكم) من خير أو شرّ.

ثانيا: (وعدد أنفاسكم) وفي هذا غاية الدقة للحساب.

٤ ـ (لا تستركم منهم ظلمة ليل داج، ولا يكنّكم منهم باب ذو رتاج) ـ الداج: الظلمة الشديدة والكنّ: الستر، والرتاج: الاغلاق، فإنّ هذه الحالات الطبيعة للحياة المادية حيث يمكنه الاستتار: بالظلمة الشديدة، ويمنع الباب المغلق من الوصول إلى الانسان، ولكن الملائكه الحفاظ باعتبارهم أجسام روحانية لا تمنعهم الظلمة ولا الاجسام من أداء واجباتهم والعمل بمسؤولياتهم في الحفظ والرصد.

٥ ـ (وإن غدا من اليوم قريب) حيث أنّ هذه النقاط حقائق أكد عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة، فيجب أن يستعد الانسان لها مادام له الفرصة في الدنيا.

(٨ / ط - ١٥٧) موارد الاعتبار:

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، ويَجيءُ الْغَدُ لاحِقاً بِهِ، فَكأَنَّ كلَّ امْرِيءٍ مِنْكُمْ قد بَلَغَ منَ الأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ[١]، وَمَخَطَّ[٢] حُفْرَتِهِ، فَيالَهُ منْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، ومُفْرَدِ غُرْبَةٍ[٣]، وكأَنَّ الصَّيْحةَ قدْ أَتَتْكُمْ، والسَّاعةُ قد غَشِيَتْكُمْ، وبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقضَاءِ، قد زَاحَتْ[٤] عَنْكُمُ الأباطِيلُ، واضْمَحَلَّتْ[٥] عَنْكُمُ الْعِلَلُ[٦]، واسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الحَقَائِقُ، وصَدَرَتْ بكُمُ الأُمُورُ مَصادِرَها، فاتَّعِظُوا بالعِبَرِ واعْتَبِرُوا بالْغِيَرِ، وانْتَفِعُوا بالنذُرِ.

وختم المقطع بموارد الاعتبار من أحوال الدنيا والقبر والقيامة بأمور، ففي الدنيا قال:

١ ـ (يذهب اليوم بما فيه) فينتهي اليوم، وبانتهائه ينتهي كلّ شئ حدث فيه من خير أو شر.

٢ ـ (ويجئ الغد لاحقاً به) فيأتي بما فيه من صباحه حتى مسائه، وينتهي كلّ شئ فيه إلىٰ يوم آخر... وهكذا.

٣ ـ (فكأن كلّ امرئ منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته ومخطّ حفرته) حيث أنّ كلّ يوم ينتهي، فإنّ المنتهى هو الغاية لذلك اليوم يكون كالقبر الذي يكون فيه وحيداً، فذلك الموقف المنتهي هو القبر، فكذلك اليوم الذي يصبح فيه وحيداً في حفيرة (وهي

---

(١) هو القبر.

(٢) في هـ. ب، وفي نسخة: ومحطّ، والمخط: موضع الخطّ.

(٣) في هـ. ب، وفي نسخة: ومقر غربة.

(٤) في هـ. ب: زالت: قطعت.

(٥) هـ. ب: زالت.

(٦) في هـ. ص في نسخة زيادة: والأضاليل.

القبر).

وعن القبر الذي يصير اليه بعد انتهاء الحياة في الدنيا، قال:

١ ـ (فيا له من بيت وحدة) حيث يدفن لوحده، ويوضع في قبرٍ خاص لا يشاركه احد غيره، فانها الوحدة الحقيقية التي لا مثيل لها.

٢ ـ (ومنزل وحشة) حيث تنقطع عنه الامال والاسباب وكل مظاهر المادة والماديات.

٣ ـ (ومفرد غربة) لان القبر محل انفراد وغربة عن عالم الماديات.

وعن الحشر قال:

١ ـ (وكأن الصيحة قد أتتكم) كما قال تعالى:﴿ان كانت إلّا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون﴾[1] بما انها حقيقة وعد الله بها فكانها حاصلة، فإنّ كلّ آتٍ قريب.

٢ ـ (والساعة قد غشيتكم) فقد قامت ساعة الحساب لكل الخلائق.

٣ ـ (وبرزتم لفصل القضاء) للاعمال صالحة وطالحة، فيجازى كلٌّ بما عمل.

وعن وصف العامة قال:

١ ـ (قد زاحت عنكم الأباطيل) بانكشاف الحقائق ومعرفة الحق من الباطل.

٢ ـ (واضمحلت عنكم العلل) التي كان الانسان يتعلل بها من الشّك والريب من يوم القيامة؛ لمشاهدتها رأي العين.

٣ ـ (واستحقت بكم الحقائق) أي اصحبت الحقائق الذي كان ينذر بها الرسل حقيقة ووقعت لكم كما كنتم أُنذِرتم، وان انكرتم ذلك في الحياة الدنيا.

٤ ـ (وصدرت بكم الأمور مصادرها) حيث ظهرت مصادر الامور ونتائجها، واصبح الانسان صادراً من الدنيا إلىٰ يوم القيامة.

وختم المقطع بنتيجة موارد الاعتبار المذكورة عن الدنيا والقبر والحشر والقيامة بأمور ثلاثة:

أوّلاً: (فاتعظوا بالعبر) المتكررة في القرآن العظيم والسنة المطهرة والتاريخ.

ثانيا: (واعتبروا بالغير)، وهي الحوادث المتغيّرة في الحياة لكل انسان.

ثالثا: (وانتفعوا بالنذر) من الأنبياء والرسل وعباد الله الصالحين.

فان في ذلك كلّه ما يوجب على الانسان أن يؤدي مسؤولياته في الحياة، كأنّه يموت غدا، والله الموفق.

---

(١) يس ٣٦: ٣٢.

[١٥٨]

ومن خطبة له عليه السلام

ينبه عليه السلام فيها على فضل الرسول الأعظم وفضل القرآن، ثم حال دولة بني أُميّة والقرآن ودولة الظلم وسياساتها ومصيرها، وملحمة صادقة عنها.

(١ / ط - ١٥٨) **رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله:**

أَرْسَلَهُ على حِين فَتْرَةٍ منَ الرُّسُلِ، وطُولِ هَجْعَةٍ[١] منَ الْأُمَمِ، وانْتِقاض[٢] منَ المُبْرَمِ، فَجاءهُمْ بِتَصْدِيقِ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ[٣] والنُّورِ المُقْتَدَى بِهِ[٤].

يتضمن المقطع الأوّل: خصائص رسالة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ، وهي:

١ ـ (أرسله على حين فترة من الرسل) ، وهي خمسمئة عام تقريبا بعد نبوّة عيسى عليه السلام ، وهي الفترة، والفترة في اللغة: الضعف، فإنّ هذه المدة من الزمن كان قد حصل فيه فتوراً في تنفيذ المبادئ الالهية التي دعىٰ اليها الرسل والانبياء من قبل.

٢ ـ (وطول هجعة من الأمم) والهجعة: النومة الخفيفة، وقد تستعمل في النوم المستغرق ايضاً، وكلاهما صادقان على الأُمم التي تستولى عليها الماديات عادة، فكلّما بعُد زمنها عن زمن الرسالة الالهية التي حملها الانبياء كان نوماً مستغرقا، وكلّما قرب كان نوماً خفيفا بسبب المغريات المادية التي تناقض المبادئ الالهية، وعرب الجاهلية شملتهم الهجعتان كذلك.

٣ ـ (وانتقاض من المبرم) وهو المحكم من الشيء، وهو حكم الله الذي ارسل به الانبياء لتطبيقه على الارض، فإن بقدر انحراف الامم عن ذلك يكون نقضاً فيه.

٤ ـ (فجاءهم بتصديق الذي بين يديه) من حكم الله الذي بشّر به الأنبياء من قبله من أُولي العزم: ابراهيم وموسى وعيسى في الصحف والتوراة والانجيل؛ لوحدة دين الله ووحدة رسالة الانبياء جميعا، قال تعالى:﴿قُولُوا آمَنَّا بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ

---

(١) في هـ . ب: النوم والغفلة، وفي هـ . ص: الهجعة والهجاع: الغفلة، وقد يستعمل في النوم المستغرق «وانتقاضٍ من المبرم» كأنّه عليه السلام عنى به مواثيق الله التي أخذها من الأنبياء على طاعة أئمتهم.

(٢) في هـ . ب: من النقض في الحكم.

(٣) في هـ . ص: قوله «بتصديق الذي بين يديه» العرب تستعمل بين يدي الشيء عبارة عن السابق عليه، أي: الذي قبله من الكتب والرسالات، كما قال تعالىٰ: ﴿وصَدَّق المُرسلين﴾.

(٤) في هـ . ب: للمقتدي به ـ صح.

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

٥ ـ (والنور المقتدى به) فإنّ النبيّ محمّد ﷺ جاء بالقرآن الذي هو نور للهداية يقتدى به في كافة جوانب الحياة الفردية والاجتماعية وغيرها.

(٢ / ط - ١٥٨) من خصائص القرآن:

ذٰلِكَ الْقُرْآنُ فاسْتَنْطِقُوهُ، ولَنْ يَنْطِقَ ولكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ، ألا إنَّ فيهِ عِلْمَ ما يأتِي، والحَدِيثَ عنِ المَاضِي، ودَوَاءَ دَائِكُمْ، ونَظْمَ ما بَيْنَكُمْ.

وشرح خصائص النور المذكور في نقاط:

١ ـ (ذلك القرآن) باعتباره خاتمة الكتب السماوية التي انزلها الله سبحانه.

٢ ـ (فاستنطقوه، ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه) فإنّ النطق من خصائص الانسان والقرآن كتاب العلم والحياة فلابدّ من دراسة ما فيه للاهتداء به، وقد اشار إلىٰ خصائص القرآن الموجبة لدارسته، بقوله:

٣ ـ (ألا أنّ فيه علم ما يأتي) في المستقبل من الملاحم، كما أخبر عن فتح مكة، بقوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ﴾[2].

وذلك قبل تاريخ عام الفتح من الهجرة، بل غير الملاحم فإنّ الحقائق الاسلامية تنبئ عن مستقبل أي عمل، فإنّ نتيجة الظلم في الحكم هو السقوط في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وعلى العكس العدالة تستلزم استمرار الحكم بقاءه لمساندة الشعب المحكوم له، وهكذا غيره من الامور المستقبلية.

٤ ـ (والحديث عن الماضي) من التاريخ العام من إرم وعاد وثمود وغيرها من الامم البائدة ومسيرة الانبياء من نوح وابراهيم وموسى وعيسى، ومصير الحكومات من فرعون وهامان وجالوت لما فيه من قصص الحق، وليس الاساطير الخياليه للانسان المادي.

٥ ـ (ودواء دائكم) فإنّ المرض الروحي يفتقر الىٰ دماء روحي، والانحراف العقائدي يفتقر تصحيح للعقيدة والانحراف الاجتماعي يفتقر إلىٰ توجيه اجتماعي، وفهكذا الحال فيمواضع الانحراف كالانسان المادي المبتلىٰ بمرض فهو الىٰ المعالجة، والقرآن هو

---

(١) البقرة ٢: ١٣٩.

(٢) الفتح ٤٨: ٢٧.

الدواء والعلاج من الانحراف نحو المادة والماديات، وكتب الاخلاق كفيله بششرح.

٦ ـ (ونظم ما بينكم) من امور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلاقات الفردية والأُسرية والدوليّة، فان نظام الاسلام المتمثل بالقرآن الكريم كفيل بنظم هذه الجوانب الحياتية في أي مجتمع. ومن المؤسف أن القرآن أصبح اليوم محصوراً في القراءة على أرواح الاموات في الفواتح المقامة بهذه المناسبات، وليس هناك من يدرسه على حقيقته رسالته التي حملها رسول الله ﷺ، بل لم يدرس في الحوزه كدراسة مستقلة، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

وهذه النقطة السادسة والاخيرة تميّز القرآن عن غيره من الكتب السماوية؛ لاحتوائه على التشريع الاسلامي الذي يوازي العقيدة، فإنّ الاسلام يعتمد على العقيدة والشريعة معاً وانتقاص احدهما يكون نقصاً لواقع الاسلام الذي بشربه النبيّ محمّدﷺ، وبهذا الاعتبار كانت الرسالة الالهية كاملة، كما قال تعالى:﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾[١].

(٣ / ط ـ ١٥٨) **دولة الظلم:**

مِنْها: فَعِنْدَ ذَلِكَ لا يَبْقي بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا وأَدْخَلهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً[٢]، وأوْلَجُوا[٣] فيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لايَبْقى لكُمْ في السَّماء عاذر[٤]، ولا في الْأَرْضِ ناصِرٌ، أصْفيْتُمْ[٥] بالْأَمْرِ غيرَ أَهْلِهِ، وأوْرَدْتُمُوهُ غيرِ وِرِدِهِ[٦]، وسَيَنْتَقِمُ ٱللّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مأكَلاً بمأكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، منْ مَطاعِمِ الْعَلْقَم[٧]، وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ والمقِرِ[٨]، ولِباسِ شِعارِ الخَوْفِ، ودِثارِ السَّيْفِ[٩]،

---

(١) المائدة ٥: ٣.
(٢) في هـ . ب: حزناً، وفي هـ . ص: هي الحزن.
(٣) في هـ . ص: ادخلوا.
(٤) لم ترد «عاذر» في طبعة عبده.
(٥) في هـ . ب: اخترتم، وفي هـ . ص: خصصتم، كأنّ سائلاً سأله عن سبب هذه الفتن وتسليط هؤلاء الظلمة، فقال: سببه إخراج الأمر من أهله وتصييره في غير منصبه ومستحقه، وهو يشير بذلك إلى أمر السّقيفة وما بعده، وهذا المعنى قد ذكرهﷺ كثيراً وورد معناه في أحاديث كثيرة عن النبيّ ﷺ وفي آثارٍ عن الصحابة، والله أعلم.
(٦) في ص وط: مورده. وفي هـ . ب، وفي نسخة: مورده.
(٧) في هـ . ب: هو ثمر الحنظل، وهو مرّ، وفي هـ . ص: هو الحنظل، وعبّر به هنا عن المأكل البشيع من الزقّوم والضّريع.
(٨) هو السم، وفي هـ . ب: شيء مرّ، وفي هـ . ص: هو ما مرّ من المشرب وكُره.
(٩) الدثار من اللّباس: أعلاه، وشبّه السيف بالدثار بما إذا عمّت إباحة الدم بالأهواء فلا يفلت منه بدن ولا عضو.

وإنَّمَا هُمْ مَطَايا الخَطِيئاتِ، وزَوامِلُ[١] **لاثام.**

يتضمن المقطع وصف دولة الظلم المتمثلة بني أُميّة واسباب ظهور الدولة الظالمة ومصيرها، وبيان ان الحكم القائم على سياسة الظلم لا يمكن ان يستمر وان مصير الدوله الظالمة الخسران في التاريخ فقال:

١ ـ (فعند ذلك) اشارة إلىٰ استيلاء الظالمين على الحكم القائم على سياسة الظلم.

٢ ـ (لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلّا وأدخله الظلمة ترحة) والمدر: الحجر، كناية عن المجتمع المتحضّر في المدن. والوبر: الخيام المصنوعة منها، كناية عن المجتمع في القرى والأرياف والترحة: الحزن، فإنّ الحكم القائم على سياسة الظلم يعم ظلمه الجميع بدون استثناء؛ لانه يعلم بان الذين يرضخون له انما يرضخون بسبب ظلمه وهذا ممّا يزيد طغيانه كي يتمكّن من الاستيلاء الكامل عليهم بالقهر والجبروت.

٣ ـ (وأولجوا فيه نقمة) الولوج: الدخول، والنقمة: الكراهة والعقوبة؛ فإنّ الظلمة يتعمدون احداث الخوف والرعب في قلوب الناس، لكي لا يفكروا إلّا بالطاعة حباً للسلامة فيشيع الكره والعقاب في كلّ طبقات الشعب.

٤ ـ (فيومئذ لا يبقى لكم في السماء عاذر) حيث تتنكر الظلمة لمباديئ العدالة الالهية، فلاعذر لهم عند الله لمخالفتهم اوامر الله سبحانه في العدل في الحكم.

٥ ـ (ولا في الأرض ناصر) لان النصر بسبب الخوف ليس نصراً حقيقياً بل إذلالاً يوجب وعي القادرين على المقاومة بطرق لا يتمكّن الظالم من العثور عليها، فيزدادوا تحصناً لتغيير الظلم عند تحقق ظروف التغيير.

وهذه النقاط الخمس سلسلة مترابطة في أي حكم ظالم؛ لان الظلم يدعوا إلىٰ الظلم حتىٰ تصيح طبيعة ثانوية للظالم، وبالنتيجة يعم ظلمه الجميع وعند ذلك يبدأ التغيير الجذري والثورة.

وعن اسباب نجاح دولة الظلم قال عليه السلام:

أوّلاً: (أصفيتم بالأمر غير أهله) وذلك باختيار الشعب من ليس اهلاً للقيادة وطبيعيّ أنّ من ترك حقه الواجب لا يلوم إلّا نفسه بالتقاعس عن الحصول على حقّه. والحكم في الاسلام له شروط في القيادة فإنّ أهمل الشعب مسؤوليته في اختيار القائد الكفوؤ تكون الفرصة متاحة للظالم بأنّ يستغل الحكم لتحقيق سياسته الظالمة.

---

(١) في هـ. ب: حوامل، وفي هـ. ص: جمع زاملة وهو البعير يحمل عليه المسافر متاعه.

ثانيا: (وأوردتموه غير مورده) وذلك بإعطاء أمر القيادة العليا إلى الشخص الذي لا يستحقه لعدم كفائته من حيث العلم والعمل فبعد اعطاء زمام القيادة لمن لايستحقها يكون كمن سلم الزمام الامور بيد الجاهل بالامور فيكون سببا في تحقق الحوادث التي تنبع من القيادة غير الكفوءة، ونتيجة هذين الامرين يتحقق نجاح الدولة الظالمة التي لم يكن تصل إلىٰ الحكم لوقام الشعب المسؤول بواجب المسؤولية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كلّ مجالات الحياة بما فيها: السياسة في الحكم القائم على الشورى، كما امر به الله بقوله: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[1] وسار عليه الرسول القائد في حياته وسنته.

وعن مصير الدولة الظالمة قال:

١ ـ (وسينتقم الله ممن ظلم) مهما تعاونت الاسباب لنجاح الظالم في الحكم أو غيره من شؤون الحياة للافراد والاسرة والامم كما تقتضيه العدالة الالهية.

٢ ـ (مأكلا بمأكل ومشربا بمشرب) معاملة عادلة كما قال تعالى:﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾[2].

فان كلّ أكلة ظالمة تأتي عليها أكلة ظالمة مثلها، وكل مشرب بظلم يكون عليه مشرب ظلم، وهذه سنّة الحياة، وضحّهاﷺ في موارد بقوله:

٣ ـ (من مطاعم العلقم) وهو الحنظل وكل طعام مثله في المرارة، فلا يكون للظالم طعام مريئ.

٤ ـ (ومشارب الصبر والمقر) الصبر: شجر مرّ، وطبيعيّ أن يكون عصيره شراباً مرّاً. والمقر: السم، فلا يكون للظالم ممّا يستولي عليه بالظلم إلّا عصيراً بمرارة السم القاتل للشارب.

٥ ـ(ولباس شعار الخوف) فان استخدام سياسة الظلم يوجب ان يستولي الخوف على الظالم من أي انسان مهما كان قريبا، وكأنّه قد لبس لباسا تحت ثيابه خوفا من الاغتيال. والشعار: هو الثوب الداخلي الملاصق للبدن والمستور عن العيون، والظالمون في عصرنا يستخدمون ذلك في حياتهم اليومية.

٦ ـ (ودثار السيف) والدثار: ما يلبس فوق الثيات الظاهرة للعيان؛ لاستخدام الظالم

---

(١) الشورى ٤٢:٣٨.

(٢) الزلزلة ٩٩: ٢.

سياسة الظلم علناً على كافة الشعب لاذلالهم لارادته بالقوة.

٧ ـ (وإنما هم مطايا الخطيئات) حيث يحمل هؤلاء الظلمة الخطايا التي ارتكبوها في حكمهم تجاه الآخرين.

٨ ـ (وزوامل الآثام) والزاملة: البعير الذي يحمل المتاع في السفر، وهؤلاء الظلمة يحملون الآثام الذي يرتكبونها اينما حلّوا ورحلوا، كما تقتضيه سياستهم الظالمة.

وهذه هي الصفات العامة لأية سلطة ظالمة؛ لعلمها بأنّ سياستها لا ينجح إلّا بذلك. وعلى العكس الدولة العادلة؛ فانها تقوم بواجبها السياسي عن اعتقاد وايمان بأنّها مسؤولية رسالية وترى خدمة الشعب من مسؤولياتها، فلا يكون مطعمها علقماً ولا مشربها صبراً ﴿ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾؛ لانهم عاملون بما يؤمنون به ومطمئنون إلىٰ ما يعدون، وعندما يتركون مسؤولياتهم يكونون نقيّ الثياب، ويسجلون انفسهم في التاريخ بأحرف من نور.

(٤/ط - ١٥٨) ملحمة صادقة:

فأُقْسِم ثُمَّ أُقْسِمُ، لتَنْخَمَنَّها[١] أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَما تَلْفِظُ النُّخامَةَ[٢]، ثُمَّ لاتَذُوقُها[٣] ولا تَطْعَمُ بِطَعْمِها أبَداً ما كَرَّ الجَدِيدَانِ.

وختم الامام بيانه لسياسة دولة الظلم ببيان مصيرها المحتوم بملحمة صادقة عن دولة بني أُميّة، مؤكّدا تأكيداً بالغا علىٰ هذه الملحمة التي أثبت التاريخ صدقها، فقال:

١ ـ (فأقسم، ثم أقسم) وتكرار القسم تأكيد لامزيد عليه من الرؤية الواضحة، لصدق الملحمة.

٢ ـ (لتنخّمنّها أُميّة من بعدي كما تلفظ النخامة)، وهي النخامة المعبّر عنها في عصرنا بالمخاط النازل من الأنف، مؤكداً بان الحكم سوف يتنصل عن بني أُميّة، وهذه حقيقة أشار اليها في مصير السياسة الظالمة.

٣ ـ (ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها أبدا ما كرّ الجديدان) وهما الليل والنهار.

وهذه ملحمة جديدة لم يذكرها من قبل، والتاريخ يشهد أنّ حكم بني أُميّة تقوّض في

---

(١) في هـ . ب: يعني: لترمينّها، يقال؛ تنخّم: أي تنخّع.

(٢) في هـ . ص: أي مرّة واحدة، ولا استرجاع للملفوظ.

(٣) في هـ . ص: قال في الشرح فإن قلت: كيف قال: «لا تذوقها أبداً» وقد ملكوا بالمغرب بعد قيام الدولة الهاشمية مدّة طويلة؟، قلت: الاعتبار بملك العراق والحجاز، وما عداها من الأقاليم النائية لا اعتداد به، والله أعلم.

الشرق ففروا بأنفسهم إلىٰ الغرب حيث لم يبق لهم موضع قدم في الشرق إلّا مقروناً باللعن والتنكّر على اعمالهم، وحلّ بهم في الغرب مثل ذلك، فلم تقم لهم قائمة ولم يرجع الحكم إلىٰ بني اُميّة لا في الشرق ولا في الغرب، ولم تعلو لدعوتهم داعية، وعلى العكس منهم كانت الدعوات العلوية الهاشمية في ازدياد في الشرق من العباسية والفاطمية والعلوية، بل وفي الغرب من الحمودية والادراسة ولا تزال لهم دولتهم حتى عصرنا الحاضر، ولقد رأيت ملكهم محمّد الخامس يصحبه ولده الحسن زائراً لمرقد أبي عبدالله عليه السلام في كربلاء. وهذه ملحمة صادقة عن تاريخ بني اُميّة، وعبرة لمن تدبّر تاريخهم، ولله الامر من قبل ومن بعد.

قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ): «وقد جاء في الاخبار الآنفة المستفيضة في كتب المحدثين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أن بني اُميّة تملك الخلافة بعده، مع ذم منه عليه السلام.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«وقد جاء في الاخبار الشائعة المستفيضة في كتب المحدثين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أنّ بني اُميّة تملك الخلافة بعده، مع ذم منه عليه والسلام لهم، نحو ما روى عنه في تفسير قوله تعالى :﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾[1] فإن المفسرين قالوا: إنه رأى بني اُميّة ينزون على منبره نزو القردة، هذا لفظ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فسر لهم الآية به، فساءه ذلك ثم قال: الشجرة الملعونة بنو اُميّة وبنو المغيرة ونحو قوله صلى الله عليه وآله: " إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا " ونحو قوله صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالى :﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾[2] قال: ألف شهر يملك فيها بنو اُميّة. وورد عنه صلى الله عليه وآله من ذمهم الكثير المشهور نحو قوله:« " أبغض الأسماء إلى الله الحكم وهشام والوليد» " وفى خبر آخر: " «اسمان يبغضهما الله : مروان والمغيرة» "، ونحو قوله: " «إنّ ربكم يحب ويبغض، كما يحب أحدكم ويبغض وإنه يبغض بني اُميّة ويحب بني عبد المطلب» ". فإن قلت: كيف قال: " ثم لا تذوقها أبدا " وقد ملكوا بعد قيام الدولة الهاشمية بالمغرب مدة طويلة؟ قلت: الاعتبار بملك العراق والحجاز، وما عداهما من الأقاليم النائية لا اعتداد به».[3]

قال الجلالي: بل الاعتبار بالحقائق التاريخية؛ فإنّ كلام الامام ملحمة صادقة حيث لم

---

(١) سورة الإسراء: ٦٠.
(٢) سورة القدر: ٣.
(٣) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ٩: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

تقم للامويين دولة في الشرق حتى هربوا إلىٰ الغرب ولم تقم لهم دولة في الغرب أيضاً حتى استولى عليهم العلويون الحموديين في الجزيرة الخضراء والادراسة في المغرب الاقصى ولا يزال الحكم في الادراسة حتى يومنا هذا (عام ١٣٨٣ هـ) وانقرض الحكم الاموي ولم تقم له قائمة.

ومن خطبة له عليه السلام:

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وَأَحَطْتُ بِجُهدِي مِنْ وَرَائِكُمْ[١]، وَأعْتَقْتُكم مِنْ رِبَقِ[٢] الذُّلِّ وحَلَقِ الضَّيْمِ[٣]؛ شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقاً[٤] عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ، وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ[٥].

(١/ط - ١٥٩) حسن معاملة الرعية:

ينطبق الوصف في هذا المقطع على شيعة عليّ بالكوفة، حيث أنّ الامام استقر فيها فترة طويلة حتى استشهاده في الأعوام (٣٥ ـ ٤٠) بعيداً عن وطنه الام «المدينة المنورة» وعن مولده «مكة المكرمة» ولم ينتخب الجوار في أيّة مدينة أُخرى غير الكوفة.

واشار إلىٰ دوره كقائد في هذه العاصمة الجديدة لحكمه، وعن دور أهل الكوفة كشيعة مخلصين له شخصياً وان لم يلتزموا بأوامره القيادية حرفيا، وعن دوره القيادي، فقال:

١ ـ (ولقد أحسنت جواركم) فأدّىٰ الامام كقائد وكمواطن في الكوفة الدور المطلوب منه، من حسن الجوار كمثال حيّ لتطبيق السنة النبوية، وتاريخ حياته فيها خير شاهد علىٰ ذلك وللتفصيل راجع: موارد الاعتبار.

٢ ـ (وأحطت بجهدي من ورائكم) والحوط للشئ: حفظه والسهر على سلامته، فقد أدّى دوره القيادي في حفظ ظهور أهل الكوفة من أي اعتداء خارجي، فإنّ العدوّ عادة لا يواجه الانسان من الامام، بل يلتفّ عليه من الطرق التي لا يمكن الالتفات عليه عادة، وهو من وراء الظهور، وقام الامام بدوره القيادي حسب جهده وطاقته أداءً لواجب الدفاع .

٣ ـ (وأعتقتكم من ربق الذلّ) حيث انه كان أعرف من أهل الكوفة بخطط أعدائهم الامويين والخارجين بقيادة طلحة والزبير في البصرة، ولولا قيادته في الحركات

---

(١) في هـ. ص: أحطت بجُهدي من ورائكم: حميتُكم وحضَنْتُكم.
(٢) في هـ. ب: الرِّبَق: جمع رِبقْة، وهي الحبل يُرْبَق به البهم.
(٣) جمع حلقة، وفي هـ س: حلق الضيم: جمع حَلْقة، بالتسكين، ويجوز: «حلق» بكسر الحاء وحلاق، انتهى من الشرح .
(٤) في هـ. ب: شكراً وأطراقاً، كلاهما مصدران في موضع الحال، ويجوز أن يكونا مفعولاً، يقال: أطرق الرجل: إذا سكت.
(٥) في هـ. د: الكبير ـ هامش م.

التصحيحية ضدهم للرجوع إلىٰ السنة النبوية لكان أهل الكوفة من دون قيادة مقاومة، يعانون من ربق الذل لمن لا يطبّق السنة النبوية. والربقة: الحبل، اشارة إلىٰ ذلّ القيادة التي تؤدّي الىٰ العبودية لغير المبادئ الاسلامية العادلة؛ لانحرافها عنها والتي تنتج:

٤ ـ (حلق الضيم) والحلقة: آلة مستديرة توضع في عنق الأسير، والضيم: الظلم، فإنّ السياسة التي تتنكّر للسنة النبوية سياسة ظالمة، وتولّد في المجتمع طغيان يبعدها من ان تقضي على اساس عادل. ولولا قيادة الامام السائرة على سنة النبيّ صلى الله عليه وآله لكانت حالة أهل الكوفة كذلك.

وعن دور أهل الكوفة من وجهه نظر الامام، اشار إلىٰ حقائق ثلاث مترابطة دعت إلىٰ حسن الجوار، هي :

أوّلاً: ـ (شكرا مني) فإنّ الشكر من الأدب الاسلامي، قال تعالى:﴿لئن شكرتم لازيدنّكم﴾[(١)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق».

وعن سبب الشكر قال:

ثانيا: (للبرّ القليل) فإنّ برّ أهل الكوفة للامام كان شخصيا، حيث وجدوا فيه مثالا صادقاً للامام المنفّذ لسنة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا البرّ الشخصي قليل بالنسبة إلىٰ مسؤولياتهم تجاه الامام، باعتباره قائداً اسلاميا.

والى تلك المسؤوليات اشار بقوله:

ثالثا: (وإطراقا عما أدركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير) الاطراق: السكوت، والمنكر: هو نكران البرّ بقرنية المقابلة في قوله: (للبرّ القليل) فإنّ من حسن الجوار السكوت ما أمكن عما يوجب الكدورة بين الجيران من نكران حقوق الجوار.

وذكر الامام أنّ نكران البر من أهل الكوفة كان كثيراً، ولم يشر إلىٰ تفصيلها حيث ان المقام ليس مقام ذلك، بل يقتضي المقام التركيز على ما يوجب الوفاق، ولكنه أشار إلى انها نوعان:

الأوّل: (ما أدركه البصر) ممّا رآه شخصيا من أهل الكوفة من نكران البرّ به عليه السلام.

الثاني: (ما شهده البدن) ممّا شاهده بنفسه من عدم البرّ، ويجمع بينهما: نكران مسؤولياتهم تجاه القيادة وأوامرها العسكرية عند الحاجة.

---

(١) ابراهيم ١٤: ٧.

وقد تكرر منه عليه السلام ذلك في خطبه وكلماته.

وبالاجمال: فإنّ أهل الكوفة وان كانوا مخلصين له شخصيا ومؤمنين به قياديا، لكنهم لم يقوموا بواجبهم المطلوب منهم من تنفيذ أوامر القيادة بالرغم من احترامهم لها والايمان بها، ومع هذه المفارقة يستحق أهل الكوفة الشكر على البرّ القليل، فإنّ من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق.

[١٦٠]

ومن خطبة له عليه السلام:

تتضمن من صفات الله وحمده والخوف والرجاء، وصفات الرسول، وداود وعيسى، والاسوة برسول الله، واسبابها ومتعلقاتها، والمثال الحيّ للاسوة.

(١ / ط - ١٦٠) **الذات المقدسة:**

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ؛ يَقْضِي بِعِلْمٍ[(١)]، وَيَعْفُو[(٢)] بِحِلْمٍ.

ابتدأ المقطع بصفات أربعة للذات المقدسة تشمل الأصول الثابتة لإرادة الله سبحانه التكوينيّة والتشريعية، فقال:

١ ـ (أمره قضاء وحكمة) إذ من آثار أوامره التكوينيّة ايجاد المخلوقات، قال سبحانه: ﴿اذا قضىٰ امراً فانما يقول له كن فيكون﴾[(٣)] فإنّه قضاءٌ منه تعالى لحكمة عادلة هو أعرف بها، وكذلك اوامره التشريعية، فقال تعالى:﴿قل أمر ربّي بالقسط﴾[(٤)]، فالقضاء لازم، وحكمته ثابتة، سواءً وصل اليها العقل البشري، أم لا.

٢ ـ (ورضاه أمان ورحمة) فإنّ برضاه يكون الأمن النفسي في الحياة، والأمن من التقصير في الواجبات بالعقاب في الآخرة، وليس ذلك إلّا رحمة للعالمين.

٣ ـ (يقضي بعلم) لان العلم عين الذات المقدسة، ولا يكون عن جهل.

٤ ـ (ويعفو بحلم) عن علم باستحقاق العبد العقاب؛ لأنّ حلمه لا يكون عن عجز، فليس شئ من هذه الصفات مشابهة لصفات الانسان المادي، فإنّ الآثار المذكورة تتخلّف عن ارادته في الحياة، شاء أم أبىٰ.

(٤ / ط - ١٦٠) **حمد الله:**

وذكر عليه السلام لمتعلق الحمد اُموراً أربعة عامة في حياة كلّ انسان، بقوله:

(اللهم لك الحمد على):

اللّٰهُمَّ لَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي؛ وَعَلَى مَا تُعَافِي[(٥)] وَتَبْتَلِي؛ حَمْداً يَكُونَ أَرْضَى

---

(١) في هـ. ب: أي عالم بمصلحة المأمور به.

(٢) في أ وص : ويغفر، وفي هـ. د: ويغفر ـ ن ف.

(٣) البقرة ٢: ١١٧.

(٤) الأعراف ٧: ٢٩.

(٥) في هـ. ب: ما تعافي من الجرم والذمّ، وتبتلي بالتكليف.

ٱلْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ ٱلْحَمْدِ إِلَيْكَ؛ وَأَفْضَلَ ٱلْحَمْدِ عِنْدَكَ؛ حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغ مَا أَرَدْتَ[1]؛ حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلاَ يُقْصَرُ[2] دُونَكَ؛ حَمْداً لاَ يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ.

١ ـ (ما تأخذ) بالضراء.

٢ ـ (وتعطي) بالسراء.

٣ ـ (وعلى ما تعافي) في الرخاء.

٤ ـ (وتبتلي) في الشدة.

وهذه الامور متضادّة في حياة الانسان، ولكنها صادرة ممّن (أمره قضاء وحكمة)، وهي حكمة خافية على الانسان، والعلم بها اجمالا يوجب الحمد عليها كذلك، فإنّ ذلك كلّه من الله لمصالح هو أعرف بها.

وذكر لحدود الحمد أنواعاً أربعة؛ لانهاية لها بقوله:

أوّلاً: (حمدا يكون أرضى الحمد لك، وأحب الحمد إليك وأفضل الحمد عندك) وهذه الاوصاف الثلاثة من الرضا والحب والفضيلة، لا نهاية لحدودها، ولا يعرفها إلّا الله سبحانه وحده.

ثانيا: (حمدا يملأ ما خلقت، ويبلغ ما أردت) وحدود هذا الحمد يسع جميع المخلوقات التي لايعلمها سوى الله سبحانه، ولا يمكن معرفة الغاية المرادة إلّا له سبحانه.

ثالثا: (حمداً لا يحجب عنك ولا يقصر دونك) بتجرد الحمد ممّا يستوجب الحجب من الذنوب والمعاصي التي تسبب قصر الحمد من القبول. والقصر: الحبس والمنع من الوصول إلىٰ الغاية.

رابعا: (حمداً لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده) وهذا النوع يختلف عن غيرها بأنّ مبتدأ الحمد معلوم للحامد دون منتهاه، فاذا أراد الله سبحانه تضعيف ذلك إلىٰ ما لا نهاية له، كان حمداً متصلا في العدد ومتسلسلاً من دون فناء. والمدد: طول المدة الزمنيّة.

(ط - ٢/١٦٠) قصور الفكر المادي:

فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ؛ إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ؛ لاَ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ؛ لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ ٱلْابْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ ٱلْأَعْمَال[3]، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ.

---

(١) في هـ. ب: لأنّ مراد الله من المكلّف أن يعبده بما يستحق.

(٢) في هـ. ب: أي: لا يحبس، والتقصير في الأمر: التواني.

(٣) في أ: الاعمار.

ان الاسباب الموجبة لانواع الحمد الاربعة التي لا تتحدد تنتهي الىٰ علم الله سبحانه، فإنّ جميع الاسباب تنتهي إلىٰ قصور فكر الانسان المادي عن معرفة حدود قدرة الله سبحانه وصفاته التي جميعها عين ذاته، وهذا القصور يستلزم الاكتفاء بالحمد إجمالا بالأنواع الأربعة المشار إليها، وأشار إلىٰ تلك الاسباب بقوله:

١ ـ (فلسنا نعلم كنه عظمتك) حتى نتمكّن من الحمد المناسب لذلك بالتحديد؛ لقصور الفكر المادي عن ادراك ذلك.

٢ ـ (إلّا أنّا نعلم أنّك حيّ قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم) كما قال تعالى في سورة البقرة الآية ٢٥٢) وهذه المعرفة الاجمالية تستلزم الحمد الاجمالي.

٣ ـ (لم ينته إليك نظر ولم يدركك بصر) من الباصرة المادية للانسان لتنزّه الذات المقدسة من الجسمية، وكذا لما سيأتي.

٤ ـ (أدركت الأبصار) المادية بقدرتك الازلية.

٥ ـ (وأحصيت الأعمال) الصادرة من العباد خيرها وشرّها.

٦ ـ (وأخذت بالنواصي والأقدام) في يوم القيامة؛ اقتباسا من قوله تعالى:﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام﴾[1].

وتكفي هذه النقاط في الدلالة على قصور الفكر المادي وبيان قدرة الله العليا الحاكمة على المادة والماديات.

(٣/ط ـ ١٦٠) السبب في القصور:

وَمَا ٱلَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ[2]؛ وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَٱنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سواتر[3] ٱلْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، أَعْظَمُ.

وإلىٰ سبب قصور الفكر المادي أشار بأنّ المعلومات البشرية محدودة بالحواس المادية، ولا احاطة لها على ماوراء الطبيعة في نقاط، بقوله:

١ ـ (وما الذي نرى من خلقك) المحسوس للانسان بالحواس الظاهرة الخمس.

٢ ـ (ونعجب له من قدرتك) الحاكمة علىٰ هذه المخلوقات جميعها.

٣ ـ (ونصفه من عظيم سلطانك) حيث أنّ الآثار القدرة هذه تصف عظم السلطان

---

(١) الرحمن ٥٥: ٤١.
(٢) في ب: شأنك.
(٣) في ط ود: ستور.

والقدرة لموجدها.

٤ ـ (وما تغيب عنّا منه) ممّا لا نعلمه في أعلى السماوات وأعماق البحار.

٥ ـ (وقصرت أبصارنا عنه) بسبب عجز الحواس عن الوصول اليها.

٦ ـ (وانتهت عقولنا دونه) بسبب انعدام مثيل يمكن التمثيل به.

٧ ـ (وحالت سواتر الغيوب بيننا وبينه) من اعماق الفضاء اللامتناهي.

٨ ـ (أعظم) ممّا نرى ونعجب له، ونصف سلطانك وان ما يغيب عن الابصار ولاتصل اليه العقول هي اعظم بكثير ممّا هو محسوس ومشاهد، وهذا الجهل بواقع الامر والطبيعة التي نشاهد قسماً منها يوجب الاعتراف بالعجز، فكيف بما وراء الطبيعة؟!

والنتيجة: (٥ / ط - ١٦٠)

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ[١] خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى[٢] مَوْرِ[٣] ٱلْمَاءِ أَرْضَكَ؛ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهوراً[٤]، وَسَمْعُهُ وَالِهاً[٥]، وَفِكْرُهُ حَائِراً.

ونتيجة هذا القصور الفكري المادي: أنّ من يحاول معرفة الحقائق المجهولة لابدّ وان يرجع خائباً.

(فمن فرغ قلبه وأعمل فكره ليعلم) من ذلك يرجع حائراً؛ لانه يواجه أسئلة لا جواب عليها بحسب المقاييس المادية، واشار إليها بقوله:

الأوّل: ـ (كيف أقمت عرشك؟) الذي هو مصدر القدرة الالهية.

الثاني: ـ (وكيف ذرأت خلقك؟) والذرّ: الخلق، فلا علم للانسان بذلك سوى ما أخبر الله سبحانه في كتابه وعلى لسان أنبيائه.

الثالث ـ (وكيف علّقت في الهواء سماواتك؟) فإنّ تماسك الأفلاك الطبيعية لم يعرف العلم الجديد إلّا جوانب منها، مع الاعتراف بالعجز عن الاختراع، والفخر باكتشاف ما اكتشف ليس الا بسلطان العلم الذي اكرم الله تعالى به الانسان.

الرابع ـ (وكيف مددت على مور الماء أرضك؟) المور: الموج، فإنّ الأمواج عادة

---

(١) في هـ. د: وذرأت ـ ب.

(٢) في ب: في.

(٣) المور: الموج.

(٤) في هـ. ب: مغلوباً.

(٥) في هـ. ب: متحيّراً، وبالجيم ـ الجائر ـ: العادل.

تقتضي تفتيت الشئ بكثرة التلاطم، لا تمديده بهذه الصورة التي نجدها في الارض.

وليس هناك من جواب على هذه الاسئلة مهما حاول الانسان المادي الحصول على ذلك، بل أنّ السائل يبحث في هذا المسعى ويحصل له الحالات التالية:

١ ـ (رجع طرفه حسيرا) أي كليلا متعباً، وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير﴾[١].

٢ ـ (وعقله مبهورا) أي مغلوباً.

٣ ـ (وسمعه والها) والوله الحزن.

٤ ـ (وفكره حائرا) والحيرة: التردد بسبب عدم الهداية، كما قال الشاعر:

فيك يا اعجوبة الكـــ ـــون غدا الفكر كليلا
انت حيّرت ذوي اللبّ وبلبلت العقولا
كلّما قدم فكري فيـــ ـــك شبراً فرّ ميلا

(٦ / ط ـ ١٦٠) الخوف والرجاء:

منها[٢]: يَدَّعِي[٣] بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجو ٱللهَ، كَذَبَ والعَظِيم! ما بالُهُ لا يَتَبَيَّنُ رَجاؤُهُ في عَمَلِهِ، فَكُلُّ[٤] مَنْ رَجا عُرِفَ رَجاؤُهُ في عَمَلِهِ، وكل[٥] رجاء[٦] إلّا رَجاءَ اللهِ فإِنّهُ مَدْخُولٌ[٧]، وكلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إلَّا خَوْفَ اللهِ فإِنَّهُ مَعْلُولٌ[٨].

يَرْجُو اللهَ في الكَبيرِ[٩]، ويَرْجُو الْعِبادَ في الصَّغيرِ[١٠]، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَالاَ يُعْطِي الرَّبَّ، فما بَالُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عمَّا يُصْنَعُ لِعبَادِهِ[١١]؟

---

(١) الملك ٦٧: ٤.

(٢) في ص: ومنها.

(٣) في هـ. ب: يجوز أن يكون إنساناً معيّناً، ويجوز أن يكون على الإطلاق أي إنّ الإنسان يزعم أنّه راجٍ لله وخائفٍ من الله، ولا تظهر علامات ذلك من حاله.

(٤) في ب و ص : وكل.

(٥) في ط ود: فكل، وفي هـ. د: وكل ـ حاشية ش.

(٦) «وكل رجاء» من ص وفي هـ. ب، وفي نسخة، ولم ترد في أ وط.

(٧) المدخول: المغشوش غير الخالص، أو المعيب الناقص لا يترتّب عليه عمل، وفي هـ. ب: يقال: دخل فلان فهو مدخول، أي في عقله دخل عيب وريبة، والنخل المدخول: ما يكون ثمره ناقصاً.

(٨) في ص: مغلول، وفي هـ. ب: الخوف المعلول نقيض المحقّق وأصل العلّة: المرض.

(٩) في هـ. ب: هو الثواب.

(١٠) في هـ. ب: يعني به عرض الدنيا وما لابدّ منه.

(١١) في أ وب: بعباده، وفي هـ. د: يصنع لعباده ـ ض ب، يصنع به لعباده ـ ح.

أَتَخافُ أَنْ تكُونَ في رَجائِكَ لهُ كاذِباً، أَوْ تَكُونَ لا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً، وكذلِكَ إنْ هُوَ خافَ عَبْداً منْ عَبِيدِهِ أَعْطاهُ منْ خَوْفِهِ مَالاَ يُعْطي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ منَ الْعِبَادِ نَقْداً، وَخَوْفَهُ منْ خالِقِهِمْ[١] ضِمَاراً[٢] وَوَعْداً.

وَكذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيا في عَيْنِهِ، وكَبُرَ مَوْقِعُها من قَلْبِهِ[٣]، اثَرَها على اللهِ فانْقَطَعَ إلَيْها، وَصَارَ عَبْداً لها.

الرجاء: توقع النفس حصول ما ترغب فيه، والخوف توقع ما تكره، فترهب منه، وكل منها يستلزم العمل على مقتضىٰ الرغبة والرهبة، فيكون لها آثاراً في سلوك الانسان الكاشف عنها ما قال تعالى:﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احداً﴾[٤].

وقال:﴿الذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾[٥].

وقال:﴿واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي الماوى﴾[٦].

فكلٌّ من الرجاء والخوف يرتبط بالعمل مباشرة، وقد أشار الامام في هذا المقطع إلىٰ كلّ منهما:

أما عن الرجاء:

فقال مخاطبا من وصفه بقوله: (يدعي بزعمه أنه يرجو الله) وانتقده نقداً صريحا بقوله: (كذب والعظيم) تأكيداً بالقسم على كذب الدعوى.

وعن سبب هذا النقد قال متسائلاً: (ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله؟)؛ فإنّ الرجاء اذا لم يقارن العمل المطلوب من الراجي يكون رجاءً كاذبا.

ثم ذكر السبب في الرمي بالكذب بقوله:

(فكل من رجا عرف رجاؤه في عمله) فان الرجاء المجرد عن العمل ليس رجاءً صادقا.

حقيقة الرجاء:

---

(١) في ص: خالقه وفي هـ. ص، وفي نسخة: خالقهم.
(٢) هـ. ب: ما لا يرجى أداؤه من المال، وما لا يرجى أداؤه من الدَّين.
(٣) في هـ. د: في قلبه ـ ض ب، من قلبه ـ حاشية ن.
(٤) الكهف ١٨: ١١٠.
(٥) الرعد ١٣: ٢١.
(٦) النازعات ٧٩: ٤٠.

واشار إلىٰ أنّ الرجاء والخوف الكاذب في الحقيقة نابع من ضعف العقيدة بالقدرة المطلقة، وهو الله تعالى، وذلك بسرد حقائق عن الرجاء والخوف في نقاط:

١ ـ (وكل رجاء ـ إلّا رجاء الله تعالى ـ فإنّه مدخول) والدخل: العيب، فما يرجوه الانسان من غير الله ليس رجاءً حقيقة، بل رجاء معيباً؛ لان قدرة كلّ انسان ينتهي إلىٰ الله سبحانه لانه الواهب للقدرة، فاذا سلبها بالموت أو غيرها كان ذلك الرجاء معيبا، والرجاء من الله ليس فيه ذلك؛ لانه على كلّ شئ قدير.

٢ ـ (وكل خوف محقق إلّا خوف الله، فإنّه معلول) وكذلك كلّ خوف يتحقق في الخارج فيه العلة ما عدا الخوف من الله سبحانه، فإنّ الله قادر على منع ذلك بالحوادث والكوارث.

وهاتان المقدمتان نصفي الايمان بالله تعالى في الرجاء والخوف دون غيره؛ لان الخوف والرجاء من غيره تعالى دليل على ضعف العقيدة.

وعن سبب رمي الزاعم انه يرجو الله بالكذب، قال:

٣ ـ (يرجو الله في الكبير) وهو المغفرة عن المعاصي.

(ويرجو العباد في الصغير) من الأُمور العادية، ولكن في مقام العمل يفرق بين الحالين:

(فيعطي العبد ما لا يعطي الرب) حيث يعمل حسب رجاءه من العبد بالضراعة والاسترحام ودق الابواب ما لا يكون مثله في طلبه ودعائه من الله سبحانه، فان قراءته الدعاء من دون ضراعة واسترحام حقيقي، كما امره الله سبحانه من الخلوص في الدعاء هذا؛ فإن التفريق يدل على كذب من يزعم الرجاء.

٤ ـ (فما بال الله جل ثناؤه يقصر به عما يصنع لعباده؟) فإنّ هذا سؤال محرج، اذ لو كان الرجاء بين الله والعباد على نفس المستوى مقروناً بالعمل لكان رجاءً حقيقة، ولكن التقصير في العمل في رجاء الله ظاهر دون العباد.

وهنا احتمالان، وكل منهما يدل على ضعف العقيدة، اشار اليهما بقوله متسائلاً:

أوّلاً: (أتخاف أن تكون في رجائك له كاذبا؟) فإنّ هذا هو الكذب في الرجاء.

ثانيا: (أو تكون لا تراه للرجاء موضعا؟) وهذا يدل على اعتقاد باطل يكشف عن الكفر بان الله سبحانه هو المرتجى.

وكل من الاحتمالين يدل على أنّ الرجاء غير المقرون بالعمل كذب في الدعوى أو العقيدة، اعاذنا الله منهما.

واما عن الخوف:

فان الحال فيه كالحال في الرجاء تماماً، فقد قال تعالى:﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[1]

وقال:﴿الذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾[2].

حيث قرن الخوف بالعمل؛ فان الخوف المجرد عن العمل على مقتضاه ليس خوفا حقيقة، لسببين أشار اليهما بقوله:

١ ـ (وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربّه) فإنّ الخائف من السلطان الجائر يتوسّل بأية وسيلة ممكنة لتجنب سخطه والاختفاء منه حتى لا يقع في الفخ، وارسال وسائط ترضيه من عهود وقسم وأيمان.

٢ ـ (فجعل خوفه من العباد نقدا ، وخوفه من خالقهم ضماراً ووعداً) النقد: الحاضر، والضمار: الوعد الذي لا يرجىٰ تنفيذه، فاصبح خوفه من عباد الله مقرونا بالعمل دون خوفه من الله تعالى.

وكلّ من السببين يوجب أن لا يكون الخوف حقيقة، والزاعم له كاذباً.

نتيجة الخوف والرجاء:

وختم المقطع بذكر النتيجة الحتمية للخوف والرجاء الحقيقي المقرون بالعمل، وهو موقع الدنيا من هذا الزاعم للرجاء والخوف؛ فإنّه لا يؤثر الدنيا ومغرياتها من المال والجاه على رضا الله سبحانه، وقد اشار إلىٰ ذلك بنقاط بقوله:

١ ـ (وكذلك من عظمت الدنيا في عينه) بأن أصبحت مغريات الدنيا اهم عنده من العمل بالمسؤوليات.

٢ ـ (وكبر موقعها في قلبه) بان اصبح حبّ الدنيا راسخاً في قلبه، فإنّ هذا الشخص:

٤ ـ (آثرها على الله تعالى) وقدم الدنيا على الاخرة في العمل ولذلك:

٥ ـ (فانقطع إليها) حيث لا توازن بين الدنيا والآخرة، كما امر الله بذلك، بل فضّل الدنيا على الاخرة بالانقطاع اليها حتى (صار عبداً لها) وخرج بذلك عن كونه عبداً لله تعالى.

وهذه النقاط الخمس هي المقياس في التفريق بين الخوف والرجاء الصادقين من الخوف والرجاء الكاذبين.

---

(١) النازعات ٧٩: ٤.

(٢) الرعد : ٢١.

(٧ / ط ـ ١٦٠) **رسول الله هو الاسوة:**

ولقدْ[١] كانَ في رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآله[٢] كاف لَكَ في الأُسْوَةِ[٣]، ودَلِيل لكَ[٤] على ذَمِّ الدُّنْيا وعَيْبِهَا، وكثرَةِ مَخازِيهَا[٥] وَمَسَاوِيها، إذْ قُبِضَتْ عنْهُ أطْرَافُها، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أكْنافُها[٦]، وفُطِمَ مِنْ رَضَاعِها[٧]، وزُوِيَ عنْ زَخارِفِها[٨].

ذكر الامام عليه السلام المقياس في الرجاء والخوف الحقيقي، واشار في المقاطع التالية إلىٰ قدوة الانبياء وحياتهم الدنيا التي تعبّر عن رجاء وخوف واقعيين ينبغي ان تكون اسوة للانسان في الحياة. وقد ذكر الانبياء مبتدأ بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ثم موسى ثم داود ثم عيسى، للتركيز على حياتهم العملية ونظرتهم الواقعية إلىٰ الدنيا باجمال، ثم فصّل السيرة النبوية بتفصيل.

الذي جمع بين الدنيا والدين في خدمة الدين، حيث بعث رحمة للعالمين أجمعين، وابتدأ بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله باعتباره خاتم النبيّين وقد امر الله سبحانه باتخاذه اسوة فقال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾[٩]، واستناداً الى ذلك قال الامام:

(ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الأسوة)، وهي القدوة، فإنّ حياته الشخصية وسنته المطهرة قدوة لمن أراد الاهتداء بها، فان الرسول صلى الله عليه وآله :

٢ ـ (دليل لك على ذم الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها) فإنّ سيرة الرسول القائد صلى الله عليه وآله ينبئ عن الاعراض عن الدنيا وكلّ مظاهرها المغرية من المال والجاه للنقاط المذكورة من الذم والعيب والخزي والسوء المجتمعة فيها، ومن يدرس حياة البؤس في المسضعفين في الدنيا يجدها نابعة من عبادة أهل الدنيا للدنيا.

ثم ذكر عليه السلام السبب في دلالة هذه النقاط المذكورة في السيرة النبوية المطهرة في حياته واشار الى اُمورٍ أربعة:

---

(١) في هـ. د: وقد كان ـ ب.
(٢) في ص: عليه السلام.
(٣) في هـ. ب: الاُسوة: أي القدوة، وتأسّي: أي اقتدِ، من الإقتداء.
(٤) لم ترد «لك» في أ.
(٥) في هـ. ب: من الخزي.
(٦) الأكناف: جمع أكنف، أي: الجانب.
(٧) في هـ. د: عن رضاعها ـ ض ح ب .
(٨) في هـ. ب: زينتها.
(٩) الاحزاب ٢١:٣٣.

أوّلاً: (إذ قبضت عنه أطرافها) فلم تتلوث حياة الرسولﷺ بأطراف الدنيا بإرادة الله التطهير له عنها.

ثانيا: (ووطئت لغيره أكنافها) وهي الجوانب، فلم يدعوا إلىٰ الملك والسلطنة قط.

ثالثا: (وفطم عن رضاعها) حين لم يرتوا من رضاعها أصحاب الدنيا.

رابعا: (وزوي عن زخارفها)، والزوي: القبض، فلم يتمتع بشيئ من زخارف الدنيا.

فان النبيّ ﷺ أحبّ خلق الله عند الله سبحانه، ولو كان في هذه الامور قيمة عند الله لأكرمه بها، وقد عصمه منها لحبّه إياه، وأمره بالتوازن بين الدنيا والاخرة بما يصلح النفس والأُسرة والمجتمع دون غيرها، فإنّ في الرسول القائدﷺ خير أُسوة لمن أراد السلوك في مدارج الكمال الاسلامي.

(٨/ط - ١٦٠) **سيرة النبيّ موسى**عليه السلام:

وإنْ شِئْتُ ثنَّيْتُ بِمُوسَى كليمِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم[١] إذْ يَقُولُ[٢]: ﴿رَبِّ[٣] إنِّي لِمَا أنْزَلْتَ إليَّ مِنْ خَيرٍ فَقير﴾[٤] واللهِ ما سَألَهُ إلَّا خُبْزاً يَأكلُهُ؛ لأنَّهُ كانَ يأكلُ بَقْلَةَ الأرْضِ. ولَقَدْ كانتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى منْ شَفيفِ[٥] صِفاقِ[٦] بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ وتَشَذُّب[٧] لحمِهِ.

ونظرة النبيّ موسى إلىٰ الدنيا نظرة مشابهة إلى نظرة النبىﷺ لوحدة الرسالات السماوية في غاياتها وان اختلفت في الوسائل المطلوبة في عصر كلّ منها، وقد اشار من حياة موسى الىٰ الحقائق التالية بقوله:

١ ـ (وإن شئت ثنّيت بموسى) في التأسي والاعراض عن حبّ الدنيا وزخارفها وعناوينها الخيالية، وهو الذي عاش في كنف فرعون وكان له أن يستغل موقعه الاجتماعي ليكون منعماً بتلك العناوين الخيالية التي يتهالك عليها اصحاب الدنيا حتىٰ قيل: ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا﴾[٨] ولكن موسى تركها واتجه إلىٰ رضا

---

(١) لم ترد «وسلم» في ص، وفي ب:ﷺ .
(٢) في هـ. د: حيث يقول ـ ض ح.
(٣) لم ترد «رب» في ب.
(٤) القصص :٢٨ / ٢٤.
(٥) لرقته يشفّ ما وراءه، والصفاق الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن، انتهى من الشرح.
(٦) في هـ. ب: صفاق الجلد: أسفل الجلد الذي يلي الجلد الذي عليه الشعر.
(٧) تفرّق لحمه، وفي هـ. ب: شذّب الشجرة: أي قطع ما تفرّق من أغصانها.
(٨) يونس ١٠:٨٨.

الله سبحانه حتى اصبح ملقباً باللقب الذي لا يشاركه فيه غيره:

٢ ـ (كليم الله)؛ لقوله تعالى: ﴿وكلّم الله موسى تكليما﴾[١] وهذا المقام العظيم وصل إليه بعلمه والاكتفاء بما يفتقر اليه من الدنيا والا عراض عما زاد على ذلك، فقال:

٣ ـ حيث يقول: ﴿رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾[٢] والفقر: الحاجة إلىٰ ما يأتي من الله سبحانه وحده، وليس ما يأتي من الناس.

وأشار عليه السلام إلىٰ أن المسؤول عنه كان الحاجة الشخصية من دون زيادة؛ لقوله مؤكّدا بالقسم:

٤ ـ (والله ما سأله إلّا خبزاً يأكله) وهو هارب من مصر فرعون المادية إلى أرض مدين في سبيل الحفاظ على دينه. من غير زاد ولا راحلة في مسيرة ثلاثة ايام على أقل الروايات، وهو سائر على رجليه وكان مأكله في الطريق بقلة الأرض:

٥ ـ (لأنه كان يأكل بقلة الأرض) المتواجدة في أرض الله، ثم أشار إلىٰ اثر السعى والأكل بانه:

٦ ـ (ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه، لهزاله وتشذّب لحمه) خضرة البقل: ما نبت من النبات. والشفيف: الرقيق الذي يكشف عن ماوراءه. والصفاق: الجلد الباطن. والهزال: الضعف. والتشذب: التفرق بالذوبان، والكلام بظاهرة لا يستقيم إلّا بتأويل أنّ المراد من الشفاف: الرؤية من خلال الجلد استعارةً، اشارةً الى المشاقّ التي تحمّلها في سبيل الخلاص من الظالم فرعون، والسير على الرجلين في المسيرة الوعرة والتقوّت من النباتات الطبيعية فقط ممّا اوجب هزال الجسم إلىٰ حدّ مفرط بحيث ظهر اثر الاكل من ظاهر البطن بسبب ذوبان الشحوم على أثر كثرة المشي وانعدام الغذاء الكافي. ومع هذه الحالة غير الطبيعية لم يسأل موسى ربّه سوى الخبز لسد حاجته من الغذاء فقط دون غيره من الأطعمة الفاخرة فكيف بمغريات الحياة المادية.

(٩ / ط - ١٦٠) **سيرة داود النبيّ عليه السلام:**

وإِنْ شِئْتُ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، صاحِبِ المَزَامِيرِ[٣]، وقارِئ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلَقَدْ كانَ يَعْمَل سَفائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ[٤] ويَقُولُ لجُلَسائِهِ: أَيّكُمْ يَكْفِيني بَيْعَها ويأْكلُ قُرْصَ

---

(١) النساء ٤: ١٦٤.

(٢) القصص ٢٨: ٢٤.

(٣) في هـ. ب: واحدها مزمار، تقول منه زمر يزمر فهو زمّار، ويقال: ذا زمر: صوت حزين.

(٤) في هـ. ب: سفيفة من خوصٍ : نسيجة منه، يقال: اسففته إذا نسجته، والخوص: ورق النخل،

الشَّعيرِ منْ ثَمنِها.

ونظرة ثالثة الىٰ داود النبيّ فقد كان ينظر الىٰ الدنيا بنظرة تشابه نظرة غيره من الانبياء، من الاكتفاء منها بما يسد حاجته، وقد ذكر عنه الحقائق التالية:

١ ـ (وإن شئت ثلّثت بداود) وانما ثلّث به؛ لانّه جمع بين الحكم والنبوة معاً، مع أنّ موسى لم يصل إلىٰ ارض الميعاد ولم يتمكّن من اقامة حكم الله على الارض، ومع ان داود أدرك هذه الحقيقة ولكنه لم ينصرف داود إلىٰ الدنيا قط، وكان من صفته انه كان:

٢ ـ (صاحب المزامير) وذكر عليه السلام وصفه بما عرف به من الحكم التي تحتوي عليها مزاميره المعروفة في عصره حتىٰ اليوم، وكان اذا قرأ مزاميره أوّبت معه الطير لحسن صوته.

٣ ـ (وقارئ أهل الجنّة) وهذا الوصف ممّا اختص به، حيث أنه كان يقرأ ما ختمت به الشرائع السابقة، وبهذه الصفات حارب طالوت جالوت وانتصر عليه.

فقد قضى مدة اربعين عاما من حياته وكان له من الحرس اربعة الاف، ولم يكن تغره الدنيا بمظاهرها، وكان يصوم نصف الدهر ويكثر من العبادة، ولم يأكل من أموال الدنيا شيئا، بل كان يكتسب بيده؛ زهداً في الدنيا.

٤ ـ (فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده) والسفيفة: النسيجة، والخوص: ورق النخيل. فيعتمد في رزقه على هذه المنسوجات الطبيعية.

٥ ـ (ويقول لجلسائه: أيّكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها) والظاهر انه كان يقايض على ذلك، فيكون قرص الشعير بدلاً من ثمن المنسوج الخوص؛ ويكتفي بذلك عن عرضه في السوق للبيع.

وهذه النقاط الخمس تبيّن عظمة داود الذي زهد في الدنيا بالرغم من توفّر جميع اسباب الراحة لديه، وعمل بمسؤولياته في الحياة من دون اعتماد على أحد سوى الله.

ولهذه المواقف قال الله سبحانه: ﴿يا جبال أوّبي معه وألَنّا له الحديد﴾[1].

(١٠ / ط ـ ١٦٠) سيرة النبيّ عيسى عليه السلام:

وإنْ شِئْتُ قُلْتُ في عِيسى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَلَقَدْ كانَ يَتَوَسَّدُ الحَجَرَ، ويَلْبَسُ الخَشِنَ، ويأكُل الجشب[2]، وكانَ إدَامُهُ الجُوعِ، وسِرَاجُهُ باللَّيْلِ الْقَمَرُ، وظِلاَلُهُ[3] في الشِّتاءِ

الواحدة: خوصة.

(١) سبأ ٣٤: ١٠.

(٢) لم ترد «ويأكل الجشب» في أ وب وفي هـ. د: ساقطة من م ن ب ل ش.

مَشَارِقُ الأَرْض وَمَغارِبُها، وفاكِهَتُهُ ورَيْحانُهُ ما تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهائِم، ولمْ تكنْ لهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ(٤)، ولا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، ولا مَالٌ يَلْفِتُهُ(٥)، ولا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وخادِمُهُ يَدَاهُ.

وموقف عيسى النبيّ عليه السلام من الدنيا لا يختلف عن غيره من الانبياء، فإنّه سعى في تطبيق حكم الله على الارض، وقاوم المرابين في بيت المقدس حتى عذّب وسجن، وهو وان لم يتمكّن من تطبيق حكم الله في الارض، ولكن نظرته إلىٰ الدنيا كانت واضحة من سيرته المتواترة، وقد اشار الامام عليه السلام إليها بقوله:

١ ـ (وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام) أي بمثل ما تقدم قوله في سائر الانبياء؛ لكونهم جميعاً على خط واحد، وهو تطبيق حكم الله بالعدل على الأرض، وكان من صفاته عليه السلام:

٢ ـ (فلقد كان يتوسّد الحجر) ويجعلهُ وسادة عند النوم بدلاً عن الوسائد الفاخرة؛ زهداً في الدنيا.

٣ ـ (ويلبس الخشن) من اللباس الذي لا يلبسه إلّا الفقراء والضعفاء.

٤ ـ (ويأكل الجشب) وهو الغليظ من المأكول الذي لا يؤكل عادة إلّا بعد إصلاحه بالطبخ وغيره.

٥ ـ (وكان إدامه: الجوع) متأسياً بالطبقة الكادحة من المجتمع.

٦ ـ (وسراجه بالليل: القمر) مستضيئاً به، عوضاً عن الاسرجة التي يستضيئ بها الاغنياء.

٧ ـ (وظلاله في الشتاء: مشارق الأرض ومغاربها) أي الموضع الذي يستظل به كدار سكنى، فلم يكن له دار خاصة للسكنى به.

٨ ـ (وفاكهته وريحانه: ما تنبت الأرض للبهائم) والفاكهة: الثمر، ومايتنعم بأكله رطباً عادة. والريحان: كلّ نبات طيب الرائحة، فكان يعتمد في مأكله على الموارد الطبيعية من الاعشاب التي تعتمد عليها الحيوانات.

٩ ـ (ولم تكن له زوجة تفتنه) والفتنة بمعنى الامتحان، فكان غير ممتحن من هذه الناحية.

---

(٣) الظلال: جمع الظل، وهو الكِنّ والمأوى وما يستظلّ به ومن كان ظلاله المشرق والمغرب فلا ظلال له.

(٤) في هـ. ب: من الفتن.

(٥) في هـ. ب: لفته عن رأيه، أي: صرفه بلفتة، وفي هـ. ص: أي يلفته عن الآخرة وطلبها.

١٠ ـ (ولا ولد يحزنه) فإنّ أولادنا أكبادنا تمشي على الارض، وطبيعيّ أن يوجب انحرافهم عن الصحة والحق حزناً.

١١ ـ (ولا مال يلفته) لفته: صرفه ولواه عن واجبه، بالاغترار بالمال.

١٢ ـ (ولا طمع يذلّه) فإنّ الطمع يجعل الانسان ذليلا إلىٰ ذلك الشئ أو الانسان الذي عنده ذلك.

١٣ ـ (دابته رجلاه) يعتمد على نفسه في السير من دون حاجة إلىٰ واسطة نقليّة.

١٤ ـ (وخادمه يداه) بالاعتماد على نفسه في نظم اُموره.

وهذه الصفات الأربعة عشر ليست طبيعية في عصرنا، لكنها كانت من خصائص النبوّة في عصر النبيّ عيسى عليه السلام، حيث ظهر الطغيان المادي في المجتمع انذاك، ولم يتمكّن عيسى من مقاومته إلّا بنفسه وشخصه، ليكون عبرة للآخرين. ومن هنا اصبح الدين المسيحي مؤكدا على الجانب الروحي فقط، غفلة عن الظروف التي دعت السيد المسيح عليه السلام الىٰ سلوك هذه المواقف التي لم يكن مجالٌ للتشريع فيها. ولهذا السبب صار الدين المسيحي فاقداً للتشريع الكامل، وأصبح ديانة افقر الامم إلىٰ تشريع يوحّدهم، فلم يجدوا طريقاً سوى القوانين الوضعية التي ابتعدت عن التعاليم الروحية المسيحية أبعد ما يكون، واستعبدت الضعفاء وتنعمت بظلّها طبقة الاغنياء بما يعدّ وصفها خارجاً عن هذا الكتاب.

(١١ / ط - ١٦٠) سيرة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله:

فَتَأَسَّ[١] بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ[٢] صَلّى اللهُ عليهِ وآلهِ، فإن فيهِ أُسْوَةٌ[٣] لِمَنْ تَأَسَّى[٤]، وَعَزَاءً[٥] لِمَنْ تَعَزَّى، وأَحَبُّ الْعِبَادِ إلى الله المُتأَسِّي[٦] بِنَبِيِّهِ، والمُقْتَصُّ[٧] لِأثرِهِ.

وامتازت سيرة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بتطبيق حكم الله في الارض في عصره، والتوفيق بين العقيدة والشريعة.

---

(١) أي: اقتد.
(٢) في ب: الأطهر الأطيب، وفي هـ. د: الأطهر الأطيب ـ ش.
(٣) في هـ. ب: اثرة.
(٤) في هـ. ب: لمن اقتدىٰ.
(٥) في هـ. ب: صبر.
(٦) في هـ. ب: المقتدي.
(٧) في هـ. ب: التابع.

واستهل المقطع خصائص السيرة النبوية بقوله:

١ ـ (فتأس بنبيّك الأطيب الأطهر ﷺ)، والافضلية في الطيب والظهور يظهر من جمعه بين العقيدة والشريعة وتمكّنه من تطبيق حكم الله على الارض.

٢ ـ (فإن فيه أُسوة لمن تأسى) والتأسي: الصبر بالزهد في الدنيا أُسوةً به.

٣ ـ (وعزاءً لمن تعزّى) والعزو: النسبة، فهو القائد الخليق بأن ينتسب اليه.

٤ ـ (وأحب العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه) الذي يعتقد به بشيرا ونذيراً وداعيا إلىٰ الله بإذنه وسراجا منيرا، يقول تعالى:﴿قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ﴾[1].

٥ ـ (والمقتص لأثره) وهو المتّبع لما خلّفه من أثر في العمل، كما هو مشروح في السيرة النبوية، فإنّ هذه النقاط الخمس توجب على المحب أن يتابع من يحب في الحياة.

وقد شرح الإمام ـ وهو أعرف الناس به ـ أمثلة من زهده ﷺ في الدنيا، مشيراً إلى موارد من سيرة الرسول القائد في زهده عن الدنيا ونظرته الواقعية إلىٰ الدنيا وسلوكه الشخصي في الدنيا واعراضه القلبيّ عنها .

(١٢ / ط - ١٦٠) النظرة الواقعية:

قَضَمَ[2] الدُّنْيا[3] قَضْماً، ولمْ يَعْرُها[4] طَرْفاً[5]. أَهْضَمُ[6] أهْلِ الدُّنْيا كَشْحاً[7]، وأخْمَصُهُمْ[8] منَ الدُّنْيا بَطْناً، عُرِضَتْ عليهِ الدُّنْيا[9] فأبَى أنْ يَقْبَلَها، وعَلِمَ أنَّ اللهَ سُبْحانهُ أبْغَضَ شَيْئاً فأبْغَضَهُ، وحَقَرَ شَيْئاً فَحَقَرَهُ[10]، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، ولوْ لمْ يَكُنْ فينا إلّا حُبُّنا ما

---

(١) آل عمران ٣: ٢١.

(٢) في هـ . د: قضم ـ م ك، وفي هـ . ص: ويروى «قضم» بالضاد المهملة والقضم الأكل بأطراف الأسنان، والأغلب أن يكون للشيء اليابس (انتهى من الشرح) وكنى به ﷺ عن أكل غير رغيب، بل للضرورة.

(٣) هـ . ب: كسرها، قضم الدنيا: اكتفى منها بالقليل.

(٤) في هـ . ب: من العارية.

(٥) في هـ . ب: نظراً.

(٦) في هـ . ب: رجل أهضم وبيّن الهضم وهو الهضام: إذا كان خميصاً لقلّة الأكل.

(٧) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع في الخلف، وفي هـ . ص: الكشح: الخاصرة والمعني من الفقرتين واحد.

(٨) الخمص: خلوّ البطن وانطباقها من الجوع.

(٩) في ص: الدنيا عليه.

(١٠) في ب وص: حقّر بالتشديد، وفي هـ . ص: وروي: حقر شيئاً فحقرهُ بالتخفيف، انتهى من الشرح.

أبْغَضَ اللهُ ورَسُولُه[١]، وتَعْظيمنا ما صَغَّرَ اللهُ ورَسُولُهُ[٢]، لَكَفَى بهِ شِقاقاً[٣] لِلّهِ، ومُحادَّةً[٤] عَنْ أمْرِ اللهِ.

وعن النظرة الواقعية للنبيّ القائد الى الدنيا قال:

١ ـ (قضم الدنيا قضماً) والقضم: أكل الشيئ اليابس بأطراف الاسنان، وهذا كناية عن تناول قدر الكفاية منها، وضدّه: الخضم، وهو الأكل للرطب بملئ الفم كأكل الفواكه.

٢ ـ (أهضم أهل الدنيا كشحا) والهضم: خمص البطن، والكشح: الخاصرة، وفيه كناية عن قلة الاكل الموجب لذلك.

٣ ـ (وأخمصهم من الدنيا بطنا) والخميص: الغامر بسبب الجوع أو قلّة الاكل.

٤ ـ (عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها) فإنّ الحالات المذكورة انما كانت بإرادة منه وليس لفقر أو حاجة، وكان ذا للرؤية الواضحة التي كان يتمتع بها للدنيا.

٥ ـ (وعلم أنّ الله سبحانه أبغض شيئا فأبغضه) من دون أن يكون مأمورا بان يبغض ذلك، فإنّ مجرد علمه بكون الشيئ مبغوضا لله كان سببا لان يبغضه كذلك.

٦ ـ (وحقر شيئا فحقره) وبمجرد علمه بأن ذلك الشيئ حقير عند الله ألزم نفسه بذلك.

٧ ـ (وصغر شيئا فصغره) وكذلك عند العلم بأن ذلك الشي صغير عند الله فالتزم بذلك على نفسه، علماً بان الحقارة والصغر لا يكون إلّا لحكمة، وإن لم يأمر بها؛ رحمة للناس اجمعين. والدنيا بما ان الله وأبغضها وحقرها وصغرها فقد صارت عنده ﷺ كذلك وصغره.

وهذه النظره إلىٰ الدنيا من القائد الاسلامي الاعلى درس عملي للمسلم في حياته.

وقد اشار إلىٰ ضرورة التأسي بالنبيّ في هذه النقاط لأمرين:

الأوّل: (ولو لم يكن فينا إلّا حبنا ما أبغض الله ورسوله).

الثاني: (وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله).

(لكفى به شقاقا لله ومحادّة عن أمر الله) لان الحبّ يستلزم أن يحب الانسان ما يحبه الله ورسوله وان يبغض ما يبغضه الله ورسوله، وقد أشار بان الرسول أبغض وصغر ما ابغضه

(١) لم ترد «ورسوله» في أ وب ود.
(٢) لم ترد «ورسوله» في أ وب ود، وفي هـ. د: ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله ـ ض ح ب.
(٣) الشقاق: الفساد والمخالفة، وفي ب: شفاقاً، وفي هـ. ب: خوفا.
(٤) المحادّة: المخالفة في عناد، وفي هـ. ب: معاداة.

الله وصغّره، وفي نظرته الواقعية للدنيا أظهر ذلك بالبغض والتحقير والتصغير، فيكون مقتضىٰ الحب التأسي به في ذلك؛ لان عدم التأسي يكون شقاقاً ومحادّة، وهي المعاداة. نعوذ بالله من ذلك.

وهذه النقاط تعكس النظرة الواقعية التي يتمتع بها النبيّ بالنسبة إلىٰ الدنيا.

(١٣ / ط - ١٦٠) السلوك الشخصي:

ولَقَدْ كانَ صَلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّم يَأكُلُ على الأرْضِ، ويَجْلِس جِلْسَةَ الْعَبْدِ، ويَخْصِفُ بيَدِهِ نَعْلَهُ، ويَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبُه، ويَرْكَبُ الحِمارَ الْعارِيَ ويُرْدِفُ خَلْفَهُ، ويَكُونُ السِّتْرُ على بابِ بَيْتِهِ فَتكُونُ فيهِ التَّصاوِيرُ، فَيقُولُ: يا فُلاَنَةُ ـ لإِحْدَى أزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي؛ فإنِّي إذا نَظَرْتُ إليْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيا وزَخارِفَها.

وعن السلوك الشخصي للنبيّ القائد صلى الله عليه وآله في الدنيا، قال:

(ولقد كان صلى الله عليه وآله) يتصف بالصفات التالية:

١ ـ (يأكل على الأرض) تواضعاً لله ومواساةً للفقراء من دون اتكاء على المقاعد.

٢ ـ (ويجلس جلسة العبد) من غير تربيع كما يجلس الملوك بوضع أحد الرجلين على الآخر.

٣ ـ (ويخصف بيده نعله) والخصف: الخزر باصلاح ما فسد منه مباشرة بنفسه.

٤ ـ (ويرقع بيده ثوبه) والترقيع: اصلاح الخرق لاستعمال الشئ ثانياً.

٥ ـ (ويركب الحمار العاري) من دون أن يكون عليه السرج المعدّ لراحة الراكب.

٦ ـ (ويردف خلفه) بان يحمل غيره خلفه على ظهر الحمار؛ عونا له على الطريق.

٧ ـ (ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة – لإحدى أزواجه – غيّبيه عنّي؛ فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها) .

ولم يكن هذا الموقف منه كراهة للشئ المعدّ على الباب ولا للتصاوير في نفسها، بل لما تحمل هذه التصاوير التي كانت تعتبر من زخارف ذلك العصر من ذكر الدنيا وحب زينتها، فإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، وحبّ الشئ القليل مثل هذا يؤدي إلىٰ حبّ ما هو اكبر منه، كما هو المشاهد في أصحاب الأموال الذين يحبّون المال ويتدرج حبهم له إلىٰ ما لا ينتهي قط حتى الموت، وهذا السلوك في الموارد المذكورة مظاهر عملية من شخصية النبيّ صلى الله عليه وآله القيادية للزهد في الدنيا.

(١٤ / ط - ١٦٠) الاعراض القلبي:

فأعْرَض عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ، وأماتَ ذِكْرَها عنْ نَفْسِهِ، وأَحَبَّ أنْ تَغيبَ زِينَتها عَن[1] عَيْنِه لِكَيْلاَ يَتَخِذَ منها رِياشاً[2]، ولا يَعْتَقِدَها قَراراً، ولا يَرْجُو فيها مُقاماً، فأَخْرَجَها منَ النَّفْسِ، وأَشْخَصَها عَنِ الْقَلْبِ[3]، وغَيَّبَها عَنِ الْبَصَرِ، وكَذَلِكَ[4] مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أنْ[5] يَنْظُرَ إِليهِ، وأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

وعن الاعراض القلبي عن الدنيا، قال:

١ ـ (فأعرض عن الدنيا بقلبه) فإنّ السلوك الشخصي المتقدم يكشف عن ذلك.

٢ ـ (وأمات ذكرها من نفسه) حتى في أبسط الاشياء كالتصاوير على الستر.

٣ ـ (وأحبّ أنّ تغيّب زينتها عن عينه) حتى في الأُمور المحلّلة شرعا، وهذا هو الزهد الحقيقي، حيث يعوّد النفس على أبسط الأشياء، فإنّ تواجد هذا الزخرف امام العين الباصرة قد يوجب احد الامور الآتية:

أوّلاً: (لكيلا يتخذ منها رياشا) والرياش: الزينة، واللباس الفاخر المصنوع منها.

ثانيا: (ولا يعتقدها قرارا) بأن تصبح هذه الزينة جزءً من الأُمور الطبيعية في الحياة كسائر الامور القارّة كأُمور ثابتة ضرورية مثل السكنى.

ثالثا: (ولا يرجو فيها مقاما) إذ لو كانت الزينة قرارا يوجب الامل بان يبقى كذلك ولا يزول وبزوالها يشعر الانسان بالنقص من ناحيتها.

٤ ـ (فأخرجها من النفس) حتى اصحبت نفسه الشريفة خالية من الدنيا وما يتعلّق بها من غير ضرورة.

٥ ـ (وأشخصها عن القلب) والاشخاص: الابعاد؛ لئلّا يشتغل القلب بها.

٦ ـ (وغيّبها عن البصر) حيث أمر بتغييب الستر ذي التصاوير عن الرؤية الباصرة، فإنّ الحبّ انما يبدأ من البصر حتى يستحكم في النفس تدريجاً.

وهذه النقاط الست في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله يستلزم أن يتأسى بها الانسان المسلم، كما قال عليه السلام:

(وكذا من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه وأن يُذكر عنده) فإنّ النظر يؤكّد على

---

(١) في ب: منْ، وفي هـ. د: من ـ ش.
(٢) الرياش: اللّباس الفاخر.
(٣) أي: أبعدها.
(٤) في هـ. د: وكذا ـ ب، ولذلك ـ ل.
(٥) في هـ. د: من أن ـ ب.

الاستئناس به والذكر يكّرر ثبوته في الذاكرة حتى يستولي حبّ الدنيا على الانسان في حياته، وحبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة.

(١٥ / ط - ١٦٠) ضرورة الأُسوة:

ولَقَدْ كانَ في رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ ما يَدُلُّكَ على مَساوِي الدُّنْيا وعُيُوبِها؛ إذْ جاعَ فيها مَعَ خاصتِهِ[١]، وزُويَتْ[٢] عَنهُ زَخارِفُها مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ.

ان الاسوة بالنبيّ ﷺ في الزهد في الدنيا ضرورة في سلوك الانسان المسلم، وأشار إلىٰ ذلك بقوله:

(ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها) وذلك من نظرته الواقعية الى الدنيا وسلوكه الشخصي وإعراضه القلبي عنها.

ونتيجة ذلك ـ كما هو مشروح في سيرته ـ اموراً ثلاثة ثابتة على:

أوّلاً: (إذ جاع فيها مع خاصته) فإنّ النبيّ ﷺ واصحابه وخاصة أصحاب الصفة وأهل بيته فضّلوا الجوع على الشبع؛ مواساةً للفقراء، وهم يطعمون الطعام على حبّه مسكينا ويتيما واسيراً.

ثانيا: (وزويت عنه زخارفها) أي صرفت وأُبعدت عنه زخارف الدنيا بإرادته، مع تيسرهاله.

وثالثا: (مع عظيم زلفته) والزلفى: القرب المعنوي من الله سبحانه.

ومن الضروري للمسلم الذي يؤمن بالنبيّ محمّد ﷺ رسولا أن يقتدي به ﷺ في الزهد في الدنيا. كما قال تعالى: ﴿ولكم في رسول الله أُسوة حسنة﴾[٣].

(١٦ / ط - ١٦٠) حكمة الاسوة:

فَلْيَنْظُرْ ناظِرٌ بعَقْلِهِ، أأكْرَمَ[٤] اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أمْ أهانَهُ؟ فإنْ قال: «أهانَهُ» فقدْ كَذَبَ واللهِ العَظِيمِ[٥]، وإنْ قالَ: «أكْرَمَهُ» فَلْيَعْلَمْ أنَّ اللهَ قد أهانَ[٦] غيرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيا لَهُ وزَواها[٧]

---

(١) أي: خصوصيته وفضيلته.
(٢) أي: قبضت عنه الدنيا وأُبعدت، وفي هـ. ب: «زويت لي الأرض» أي: طويت.
(٣) الأحزاب ٣٣: ٢١.
(٤) في ب ط د: أكرم، وفي هـ. د: أكرم ـ ض ح ب ش.
(٥) في أ وص: كذب والعظيم وفي ط: كذب والله العظيم بالافك العظيم وفي د: كذب والعظيم وأتى بالافك العظيم، وفي هـ. د: لم ترد «وأتى بالافك العظيم» في س ل ف ن م وفي ح: فقد كذب والله العظيم بالافك العظيم. وفي ب: فقد كذب وأتى بالافك العظيم.
(٦) في هـ. د: ان الله أهان ـ ب.

عنْ أقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّى[٨] مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، واقْتَصَّ أَثَرهُ، وولَجَ مَوْلِجَهُ، وإِلَّا فَلاَ يأْمَنِ الهَلَكَةَ.

وعن الحكمة الداعية إلىٰ التأسي بالرسول القائد ﷺ قال:

١ ـ (فلينظر ناظر بعقله) الىٰ سيرة النبيّ بالزهد في الدنيا بروح موضوعية سواءً، فإنّه يواجه سؤالاً يستحق الإجابة، وهو:

٢ ـ (أكرم الله محمّدا بذلك أم أهانه؟) فإنّ الموقف النبوي تجاه الدنيا في نظرته وسلوكه وإعراضه، هل كان إكراما للنبيّ من الله أم إهانة؟ والجواب: لا يكون إلّا من وجهين:

الأوّل: (فإن قال: أهانة، فقد كذب والعظيم) لأنّ نظرة النبيّ ﷺ وسلوكه الشخصي واعراضه القلبي هي التي كانت سبباً لانتصار الاسلام في التاريخ على الشرك، وكان في ذلك نصراً عظيما للمستضعفين في الارض بتحرير عقولهم من عبادة المادّة والماديات، واهتدائهم إلىٰ تطبيق العدالة في الحياة، فكيف يكون ذلك إهانة؟ وليس القول بذلك إلّا كذبا وزورا وبهتاناً كما يشهد بذلك التاريخ.

الثاني: (وإن قال: أكرمه، فليعلم أنّ الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه) فإن صدق الأوّل يستلزم كذب نقيضه وهو الثاني.

وبالاجمال: فان الحق والباطل طريقان مختلفان وخطان مستقيمان متوازيان لا يلتقيان أبداً، وهما اما طريق المادة والماديات فقط الحاكمة في الدنيا، أو طريق الاعتدال والمساواة والموازنة في الدنيا. والتاريخ يشهد بأنّ انتصار الاسلام على الشرك الداعي إلىٰ الطريق الأوّل، والذي اكرم الله محمّداً بالنصر عليها ويبقىٰ كذلك شعلة الحرية في قلوب من يطلب الهداية من الناس اجمعين.

ونتيجة هذه المقارنة في حكمة الاسوة للانسان المسلم اموراً ثلاثة، هي:

أوّلاً: (فتأسى متأسٍّ بنبيّه) فإنّ اسباب النصر للنبيّ ﷺ ترجع إلىٰ ما تقدم من النصرة والسلوك والحذر عن الدنيا.

ثانيا: (واقتص أثره) بالسير على السنة النبوية في السلوك الشخصي.

ثالثا: (وولج مولجه) بالدخول فيما دخل فيه من المنهاج الاسلامي، وليس بعد هذه الامور الثلاثة إلّا الانحراف (وإلا فلا يأمن الهلكة) في الانحراف عن السنة النبوية

---

(٧) في هـ. ب: قبضها.

(٨) في هـ. د: فليتأس ـ هامش م، و«فتأسىٰ» خبر يراد به الطلب.

المطهرة.

(١٧ / ط - ١٦٠) **الاسوة الخالدة:**

فإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ عَلَماً لِلسَّاعَة[١]، ومُبَشِّراً بالجَنَّةِ، ومُنْذِراً بالْعُقُوبَةِ، خرَجَ منَ الدُّنْيا خَميصاً[٢]، ووَرَدَ الآخرة سَليماً، لمْ يَضَعْ حَجَراً على حَجَرٍ حتّى مَضى لِسبيلِهِ[٣]، وأجابَ دَاعِيَ رَبِّه، فَما أعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنا حينَ أنْعَمَ علَيْنا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ وقائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ[٤].

المقطع يتضمن النقاط البارزة للأسوة بالرسول القائد، فقال عن رسالته:

١ ـ (فإن الله جعل محمّداً ﷺ عَلَما للساعة) علامة ليوم القيامة يستدل به عليها في الدنيا.

٢ ـ (ومبشرا بالجنّة) حيث بعثه شاهداً ومبشراً ونذيراً.

٣ ـ (ومنذرا بالعقوبة) على الانحراف عن الرسالة الالهية التي حملها إلىٰ أنبيائه في خط واحد.

وقال عن سلوكه الشخصي:

٤ ـ (خرج من الدنيا خميصا) أي خالي البطن جائعاً بالاعراض عن الدنيا.

٥ ـ (وورد الآخرة سليما) حيث لم ينحرف عن منهاجه الالٰهي طرفة عين.

٦ ـ (لم يضع حجرا على حجر) ببناء الدنيا مع انه بنىٰ القلوب العامرة بالايمان.

٧ ـ (حتى مضى لسبيله) بالموت الذي هو نهاية الحياة في الدنيا.

٨ ـ (وأجاب داعي ربه) كما يجب علىٰ كلّ من في الدنيا.

وهذه النقاط الثمان ثوابت نبوية تسندها السيرة في مختلف مصادرها بتفصيل مدروس.

وعن التأسي بهذه الاسوة أشار إلى أمرين:

الأوّل: (فما أعظم منّة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفا نتبعه) فإنّ الأُمم الاخرى تعرف من قصص الانبياء ما ليس بهذا التفصيل المدروس في السنة النبوية رواية ودراية وكتابة .

---

(١) العلم: العلامة، أي: بعثه دليل على قرب القيامة.

(٢) أي: خالي البطن، وفي هـ. ب: أخمص.

(٣) في هـ. د: حتى مضى وأجاب ـ ف ن.

(٤) العقب: مؤخّر القدم، ووطء العقب مبالغة في الاتباع، هـ. ب: يخطو.

الثاني: (وقائدا نطأ عقبه) وطأ الشيئ: داسه برجله. والعقب: مؤخّر القدم، فإنّ الخطوط الواضحة للسيرة النبوية تستوجب على المسلم المؤمن برسالته أن يقفو آثار قدم الرسول القائدﷺ ويضع مواضع قدمه على إثر قدم الرسول ﷺ خطوة فخطوة حتى يتحقق النصر الاسلامي في نفسه واسرته ومجتمعه.

(١٨/ ١٦٠ - ط) **مثال الاسوة:**

واللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعتِي هذهِ حتّى ٱسْتَحْيَيْتُ منْ رَاقِعِها[١] ولقدْ قالَ لي قائِلٌ: ألَا تَنْبِذُها[٢] عَنْكَ فَقُلْتُ اغْرُبْ[٣] عَنِّي فَعِنْدَ الصَّباحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى[٤].

وختم الامام المقطع بالمثال الشخصي الذي قام به في التأسي بالنبيّ القائد، مؤكدا صدق مقاله بالقسم بالله بقوله:

أوّلاً: (والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها) فقد كان من سلوك النبيّ القائد ان يرقع بيده ثوبه، وسار الامام اسوة به في ترقيع مدرعته. والمدرعة: ثوب من برود الحديد يلبس في القتال ولم يباشر الامام نفسه ترقيعها؛ لأنّ ترقيع المدرعة امر خارج عن اختصاصه وفلابد من اعطائه إلىٰ أهل الاختصاص.

والسرى: السير ليلا، ويضرب المثل المسافرين اذا سار بعضهم ليلاً في حين راى الاخرون النوم استراحة، فعند الصباح يصل المسافر ليلا ويحمدون السير ليلا ويندم النائمون على استراحتهم لعدم وصولهم إلىٰ مقاصدهم قبلهم.

فان الزهد في الدنيا يقتضي القناعة بالمدرعة المرقعة؛ لأنّ مسير الجميع إلىٰ الآخرة، والحمد على من يصل إلىٰ المقصد من دون تأخير في السير، وهذه العلاقات الدنيوية تؤخر الاستعداد للمقصد الأعلى وهو مواصلة السير بالعمل بالمسؤوليات الاسلامية والاعراض عن المظاهر الدنيوية تأسياً بالرسول القائدﷺ.

والذي اوجب الحياء من الراقع هو تكليفه بما يشق عليه لا تساع الخرق على الراقع ممّا دعى البعض إقتراحاً.

ثانيا: (ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلت: أُغْرُب عنّي) وقد تضمّن الاقتراح الاستغناء عن المدرعة المرقعة استحقاراً لها. فكان جواب الامام: (اغرب عني) أي ابتعد،

---

(١) المدرعة: ثوب من صوف، وفي هـ. ب: المدرعة والرداء والقميص ممّا يلبس.

(٢) في هـ. ب: ألا ترميها لخلاقتها؟

(٣) في هـ. د: اعزب ـ ح م ب ل، وفي هـ. د: أي أبعد.

(٤) في هـ. ب: سير الليل، والمسافرون السائرون بالليل إذا أصبحوا ويريد به: القيامة.

فإنّ الزهد في الدنيا يقتضي الابتعاد عمّا لا يزهد الانسان في الدنيا مهما كان مخلصا.

لان صحبة من يهتم بزخارف الدنيا يوجب ذكر الدنيا، ثم حبّ الدنيا وحبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة.

وختم الامام الكلام بقوله: (فعند الصباح يحمد القوم السرى) وهو مثل يضرب لمحتمل المشقة العاجلة رجاء الراحة الآجلة.[١]

(١) شرح النهج البلاغة ٩: ٢٣٤، ط / ١٩٦٢ م.

[١٦١]

ومن خطبة له عليه السلام:

في صفة النبيّ واهل بيته واتباع دينه، وفيها يعظ بالتقوى.

(١ / ط - ١٦١) **في صفة النبيّ واهل بيته واتباع دينه:**

ابتَعَثَهُ[١] بالنُّورِ المُضيء، والبُرْهانِ الجَليِّ، والمِنْهاجِ الْبادِي[٢]، والكِتابِ الْهادي.

أُسْرَتُهُ[٣] خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ[٤] خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصانُها مُعْتَدِلة[٥]، وثِمارُها مُتَهَدِّلةٌ[٦]، مَوْلِدُهُ بمَكَةَ، وهِجْرَتُهُ بِطَيْبةَ[٧]، عَلَا بها ذِكْرُهُ، وامْتَدَّ منها صَوْتُهُ، أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كافِيَةٍ، ومَوْعِظَةٍ شافِيَةٍ، ودَعْوَةٍ مُتَلاَفِيَةٍ[٨]، أظْهَرَ بِهِ الشَّرائعَ المَجْهُولةَ، وقَمَعَ[٩] بِهِ الْبِدَعَ المَدْخُولةَ[١٠]، وَبيَّنَ بِهِ الأَحكامَ المَفْصُولَةَ[١١]، فَمَنْ يَبتغ[١٢] غَيرَ الإِسْلاَمِ دِيناً يَتَحَقَّقُ[١٣] شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمُ[١٤] عُرْوَتُهُ، وتَعْظُمُ كَبْوَتُهُ[١٥]، ويكُن[١٦] مَآبُهُ[١٧] إلى الحُزْنِ الطَّوِيلِ، والْعذَابِ الوَبِيلِ.

وأَتَوَكَّلُ على اللهِ تَوَكلَ الإنابَةِ إليْهِ، وأَسْتَرْشِدُهُ السبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إلى جَنَّتِهِ، الْقاصِدةِ إلى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ.

سرد من اوصاف الرسول القائد صلى الله عليه وآله قوله:

---

(١) في أ: بعثه، وفي هـ. د: بعثه ـ ب ن.
(٢) في هـ. ب: الطريق الظاهر.
(٣) في هـ. ب: اسرة الرجل: رهطه؛ لأنّه يتقوّى بهم، ورهطه بنو هاشم.
(٤) في هـ. ب: قريش.
(٥) في هـ. ب: مستقيمة.
(٦) في هـ. د: متبدلة ـ م، وفي الهامش: مهدلة، وفي هـ. ب: أي متدلّية، يعني دانية للاقتطاف.
(٧) في هـ. ب: المدينة.
(٨) التلافي: تدارك الشيء بالإصلاح قبل أن يهلكه الفساد.
(٩) في هـ. ب: أذلّ.
(١٠) في هـ. ص: أي المعيبة، والدخل: العيب والفساد.
(١١) المفصولة: أي التي فصلها الله أي قضى بها.
(١٢) في هـ. د: يتبع.
(١٣) في أ: تتحقق.
(١٤) في هـ. ب: ينكسر.
(١٥) في هـ. ب: يقال: كبا الرجل لوجهه: أي سقط لوجهه.
(١٦) هـ. د: يكون ـ ب.
(١٧) في هـ. ب: مرجعه.

١ ـ (ابتعثة) الله سبحانه بالاسلام لهداية البشرية، الذي هو:

٢ ـ (بالنور المضئ) في الحياة، ومن وقف على هذا النور لا يسعه انكاره والاغماض عنه، ومن اجل ذلك استمرت الأُمم من العرب وغير العرب على دين الاسلام، ولم تقم داعية إلىٰ الجاهلية وعبادة الاوثان والمجوسية والوثنيّة قط.

٣ ـ (والبرهان الجلي) لوضوح مبادئة العادلة في العقيدة والشريعة.

٤ ـ (والمنهاج البادي) والمنهاج: الطريق، والبدوّ: الظهور من دون تعقيد في الوصول اليه.

٥ ـ (والكتاب الهادي) وهو القرآن الكريم الهادي إلىٰ الصراط المستقيم.

وهذه هي اصول الرسالة المحمّدية التي أشرقت على الامة في عصر الظلام ولا تزال نورها يضئ الدرب للامم ولكل من يدرسها بروح موضوعية.

وعن شخصية الرسول القائد قال:

١ ـ (أسرته خير أسرة) فإنّها سلالة الأنبياء المنتهية إلىٰ اسماعيل وابراهيم.

٢ ـ (وشجرته خير شجرة) النامية منه الفروع المتأخّرة عنه، فهو اصل شجرة الطهر والنبوّة.

٣ ـ (أغصانها معتدلة) لأن الفروع تناسب حجم الشجرة التي تتفرع منها.

٤ ـ (وثمارها متهدلة) أي متدلية.

ولا تنطبق هذه الاوصاف إلّا علىٰ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لانهم تخرجوا من مدرسة جدهم في العلم، الذي هو ثمرة شجرته المباركة، وتاريخ حياتهم يشهد باتصافهم بالاعتدال على سنته المطهرة، ولا يتصف فرع من الفروع المتقدمة على شخص النبيّ صلى الله عليه وآله في النسب بهذه الاوصاف مجتمعة.

٥ ـ (مولده بمكة) أقدس بقاع الارض منذ عهد أبي الانبياء إبراهيم.

٦ ـ (وهجرته بطيبة) وهي التسمية التي اختارها النبيّ صلى الله عليه وآله ليثرب، حيث مهجره ومدفنه.

وعن آثار الدعوة الاسلامية قال:

١ ـ (علا بها ذكره) حتى اطلقت عليها تحقيقا كلمة «مدينة الرسول صلى الله عليه وآله»، ونصره الانصار بعد أن حاربه المشركون في مولده.

٢ ـ (وامتد بها صوته) حيث اصحبت المدينة عاصمة الدولة الاسلامية الأولى في عهده صلى الله عليه وآله.

وعن وسائل الدعوة النبوية قال:

١ ـ (أرسله بحجة كافية) من الآيات والمعجزات التي بسببها آمن من آمن اعتقاداً.

٢ ـ (وموعظة شافية) لتهذيب النفوس التي لم تؤمن بسبب المصالح المادية.

٣ ـ (ودعوة متلافية) والتلافي: التدارك بإصلاح ما يفتقر إلىٰ اصلاح من اسلوب الدعوة الموثّرة في المجتمع الذي لا يعرف عن حقائق الاسلام شيئا.

وعن اهداف الدعوة قال:

١ ـ (أظهر به الشرائع المجهولة) في السنة الابراهيمة بسبب طغيان الشرك عليها.

٢ ـ (وقمع به البدع المدخولة) بسبب تحريف الملة الحنيفية التي بشرّ بها ابراهيم عليه السلام.

٣ ـ (وبيّن به الأحكام المفصولة) من الشرائع التي فصّلها الله سبحانه في القرآن الكريم، وبيّنها الرسول العظيم.

وعن نتيجة الدعوة حيث حققت الدعوة اهدافها، قال:

(فمن يبتغ غير الاسلام دينا) بعد ظهور الحقائق الاسلامية يتحقق فيه الأوصاف التالية:

١ ـ (تتحقق شقوته) حيث رفض الحقائق بعد ظهورها.

٢ ـ (وتنفصم عروته) حيث لا مستمسك له في عقيدته.

٣ ـ (وتعظم كبوته) وهي العثرة عن الصراط المستقيم بعد وضوح الادلة.

٤ ـ (ويكون مآبه إلى الحزن الطويل) حيث يفقد بفقد الاسلام الحرية الفكرية في الدنيا (والعذاب الوبيل) في الاخرة.

وعن منهاج المسلم في الحياة، قال:

١ ـ (وأتوكل على الله توكل الإنابة إليه) كما ورد في قوله تعالى:﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾[1].

٢ ـ (وأسترشده السبيل المؤدي إلى جنته، القاصدة إلى محل رغبته) بالدعاء اليومي عشر مرات في كلّ يوم يقول: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ في كلّ صلاة مفروضة، وهي تودّي إلىٰ ذلك.

وهذه هي الخطوط العريضة للرسالة النبوية التي شرحتها كتب السيرة بتفصيل.

(٢ / ط ـ ١٦١) الوصية بالتقوى:

---

(١) ابراهيم ١٤: ١٢.

أُوصيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى الله وطَاعتِهِ، فإِنَّها النَّجاةُ غَداً، والمنْجاةُ[١] أبَداً. رَهَّبَ[٢] فأبْلَغَ، ورَغَّبَ فأسْبَغَ[٣]، ووَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيا وآنْقِطَاعَها، وزَوَالَهَا وانْتِقالَها.

ويتضمن المقطع نقاطاً من الوصية.

منها: تقوى الله سبحانه، فقال:

١ ـ (أوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته) ثم ذكر السبب في الوصية بهما بقوله:

٢ ـ (فإنها النجاة غدا) في الآخرة حيث يترتب عليها الثواب والعقاب.

٣ ـ (والمنجاة أبدا) في كلّ من الدنيا والآخرة، حيث يشعر الانسان بالتقوى العمل بواجباته أو مسؤولياته في الحياة كانسان حرّ، وليس رهين التقاليد والعبودية لاصحاب المصالح الدنيوية.

وعن لطف الله سبحانه قال:

١ ـ (رهَّب فأبلغ) بآيات الترهيب الواردة في القرآن الكريم.

٢ ـ (ورغّب فأسبغ) والاسباغ: الاحاطة التامة للترغيب كذلك في القرآن الكريم، ونكتفي منها بقوله تعالى:﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٤].

٣ ـ (ووصف لكم الدنيا وانقطاعها، وزوالها وانتقالها) في آيات كثيرة، نكتفي منها بقوله تعالى:﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾[٥].

(٣ / ط ـ ١٦١) وصف الدنيا:

فأَعْرِضُوا[٦] عمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيها[٧]؛ لِقلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْها، أقْرَبُ دَارٍ منْ سُخْطِ الله، وأبْعَدُها منْ رِضْوَانِ اللهِ[٨].

---

(١) في هـ. ب: النجاة والمنجاة كلاهما جملة مجاز.
(٢) في هـ. ب: رهّب أي خوّف بالله فبالغ في التخويف.
(٣) في هـ. ب: ورغّبَ في الجنّة فأكمل الترغيب.
(٤) الحديد ٥٧: ٢٠.
(٥) النساء ٤: ٧٧.
(٦) في هـ. ب: أعرض عن الشي: تركه.
(٧) في هـ. أ في نسخة: منها، وفي هـ. د: منها ـ م وحاشية ف.
(٨) في هـ. د: لم ترد لفظة الجلالة في م.

فَغُضُّوا[١] عَنْكُمْ عِبَادَ اللهِ غُمُومَها، وأَشْغالَها لِمَا قد[٢] أيْقَنْتُمْ بِهِ منْ فِرَاقِها، وتَصَرُّفِ حالاتها، فاحْذَرُوها حَذَرَ الشَّفِيقِ[٣] النَّاصِحِ[٤]، والُمجِدِّ الْكادِحِ[٥]، واْعْتَبِرُوا بِما قدْ رَأيتُمْ منْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ، قدْ تَزَايَلَتْ[٦] أوْصالُهُمْ[٧]، وزَالَت أسْماعُهُمْ وأبْصارُهُمْ[٨]، وذَهَبَ شَرَفُهُمْ وعِزُّهُمْ، واْنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ ونَعِيمُهُمْ، فَبُدِّلُوا[٩] بِقُرْبِ الأوْلاَدِ فَقْدَها، وبِصُحْبَةِ الأزْوَاجِ مُفارَقَتَها، لا يَتَفاخَرُونَ، ولا يَتَناسَلُونَ[١٠]، ولا يَتَزَاوَرُونَ[١١]، ولا يَتَجَاوَرُونَ[١٢].

وعن خصائص الدنيا قال:

١ ـ (فأعرضوا عما يعجبكم فيها؛ لقلّة ما يصحبكم منها) فإنّ كلّما يعجب الانسان في الدنيا يترك من بعده لمن بعده، ولا يمكن أن يصحب منها شيئا سوى العمل الذي يلازمه، وهو قليل بالنسبة الى ما يعجب أصحاب الدنيا من الدنيا من الاموال والاولاد والعناوين الخيالية البالية.

٢ ـ (أقرب دار من سخط الله) لكونها دار الإنزلاق إلىٰ المعاصي التي تؤدي الىٰ سخط الله سبحانه.

٣ ـ (وأبعدها من رضوان الله) لبعد المصالح الدنيوية عن المصالح الأُخروية.

وعن موقف الانسان المسؤول تجاة الدنيا، قال:

الأوّل: الكفّ عن أهل الدنيا: ـ (فغضوا عنكم – عباد الله – غمومها وأشغالها؛ لما قد أيقنتم به من فراقها وتصرّف حالاتها) فإنّ الأُمور المتيقنة منها المذكورة توجب الكف عن الانشغال بهمومها ومشاكلها.

---

(١) في ص: ففضوا، وفي هـ. ب: أي كفّوا عنها، والغض: غضّ البصر.
(٢) لم ترد «قد» في ص وط، وفي هـ. د: لم ترد «قد» في ض ح ب.
(٣) في هـ. ب: المشفق.
(٤) الناصح: الخالص والمجدّ والمجتهد.
(٥) الكادح: المبالغ في سعيه، وفي هـ. ب: الساعي.
(٦) في هـ. ص: تفارقت.
(٧) في هـ. ب: أعضاؤهم، وفي هـ. ص: الأعضاء المتواصلة.
(٨) في ط ود: أبصارهم وأسماعهم، وفي هـ. د: أسماعهم وأبصارهم ـ م ف ن ل.
(٩) في هـ. د: فتبدلوا ـ م.
(١٠) في هـ. ب: من النسل، أي لا يتوالدون.
(١١) في هـ. ب: من الزيارة.
(١٢) في هـ. ب: من المجاورة.

الثاني: الحذر ـ (فاحذروها حذر الشفيق الناصح والمجدّ الكادح) فإنّ الشفيق يخاف على من يعزّ عليه وينصحه بالحذر، والساعي في عمل يكدح ويجتني الخيبة في مسعاه، وكذلك الانسان الذي يعيش في الدنيا يجب ان يكون على حذرٍ منها ومن تقلّباتها التاريخية.

العبرة بالتاريخ:

(واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم) فإنّ في التاريخ عبرة، والتاريخ لا يرحم احداً.

وسرد من موارد الاعتبار التي لا يمكن انكاره قط:

١ ـ (قد تزايلت أوصالهم) بتفريق الاعضاء في القبور واندراسها.

٢ ـ (وزالت أبصارهم وأسماعهم) وهي الأعضاء التي كانوا يتمتعون بها بالرؤية والسماع خلال فترات الحياة الدنيا المحسوسة.

٣ ـ (وذهب شرفهم وعزّهم) من العناوين الخيالية في الحياة.

٤ ـ (وانقطع سرورهم ونعيمهم) ممّا ادخروه وانتقلت الىٰ غيرهم، فهم يتمتعون بها بعدهم.

٥ ـ (فبدلوا بقرب الأولاد فقدها) فليس لهم قريب يؤنس وحدتهم.

٦ ـ (وبصحبة الأزواج مفارقتها) بعد طول الصحبة.

٧ ـ (لا يتفاخرون).

٨ ـ (ولا يتناسلون).

٩ ـ (ولا يتزاورون).

١٠ ـ (ولا يتجاورون).

فان هذه العلاقات الاجتماعية التي كانوا يتمتعون بها ويتهالكون في سبيل تحصيلها في الحياة الدنيا، قد انقلبت إلىٰ العكس والنقيض تماماً.

(٤ / ط ـ ١٦١) النتيجة الواضحة:

فاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ حَذَرَ الْغالبِ لِنَفْسِهِ[١]، المَانِع لِشَهْوَتِه، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ[٢]؛ فإِنَّ الأمْرَ واضِحٌ، والْعَلَمَ قائِمٌ، والطَّرِيقَ جَدَدٌ[٣]، والسَبِيلَ قَصْدٌ[٤].

(١) في أ شطب على لنفسه وكتب فوقه: نفسه.
(٢) في ب: الناطق بعقله، وفي هـ. ب، وفي نسخة: الناظر بعقله ـ معاً ـ في هـ. د: الناطق ـ ش.
(٣) الجدد: الطريق المستوي المسلوك.

ونتيجة لهذه الحقائق الدنيوية لابد من الحذر منها، والعمل بالمسؤولية كما هو المطلوب فيها، فقال:

١ ـ (فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه) من حيث العمل بمسؤولياته.

٢ ـ (المانع لشهوته) فلا ينزلق إلىٰ المهالك والمعاصي.

٣ ـ (الناظر بعقله) فبحكم العقل فيما يتصرف في الحياة بالنسبة إلىٰ نفسه واسرته ومجتمعه.

والىٰ السبب في هذا التحذير اشار بأُمور أربعة:

أوّلاً: (فإن الأمر واضح) لوضوح الحقائق في الحياة والموت وآثارهما.

ثانيا: (والعلم قائم) حيث لا مجال للتشكيك في هذه الحقائق.

ثالثا: (والطريق جدد) أي سهل لمن يتدبّر الامور على حقيقتها.

رابعا: (والسبيل قصد) أي مستقيم لا عوج فيه لمن يتدبره.

وهذه الاسباب لا تدع مجالا للشك على الانسان المسؤول أن يتحرك على طبق المسؤولية الملقاة على عاتقه في الحياة تجاه نفسه واسرته ومجتمعه.

---

(٤) القصد: القويم.

[١٦٢]

ومن كلام له عليه السلام[١]:

في مسألة الخلافة بعد سؤال مهد للجواب فيه واجاب عنه في ناحيتين: السقيفة والحرب الاهلية.

قاله لِبَعْضِ أصْحابِهِ وقدْ سَألَهُ: كَيْفَ دَفَعَكُمْ قَوْمُكُمْ عنْ هذا المَقامِ وأنْتُمْ أحَقُّ به؟ فقالَ:

(١/ط - ١٦٢) **التمهيد للجواب:**

يَا أَخَا[٢] بَني أَسَدٍ إنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ[٣] تُرْسِلُ في غيرِ سَدِدٍ[٤]، وَلَكَ[٥] بعْدُ ذِمامَةُ[٦] الصِّهْرِ[٧] وحَقُّ المَسألةِ[٨]، وقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فاعْلم:

والسؤال واضح وصريح ممن سأل مستفهماً وليس متعنّتاً.

فان السائل كان من اصحابه من بني اسد، كما في رواية النهج، أو من بني دودان في صفين كما في رواية الصدوق، (راجع المسند) والاسئلة عن الخلافة وملابساتها ونتائجها كثيرة، لكن السائل حدّد السؤال بموضوع واحد هو:

(كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام؟) والقوم هم قريش لا غير.

وتمهيداً للجواب ذكر الامام اموراً تكشف عن عدم رغبته في الحديث عن الموضوع، فقال:

١ ـ (يا أخا بني أسد) ، وهي القبيلة المعروفة بالولاء لأهل البيت عليهم السلام كما في رواية النهج، او من بني دودان كما في رواية الصدوق.

٢ ـ (إنّك لقلق الوضين) والوضين: هو حزام السرج، يضبط به السرج ليتمكّن الراكب من الجلوس عليه، والقلق: الاضطراب، واضطراب الحزام يوجب اضطراب الراكب، فان

---

(١) في أ: ومن كلامه.

(٢) في ب، كتب فوق «يا أخا»: يا أبا.

(٣) في هـ. ب: الوضْين: للهودج بمنزلة البطان للقَتَب، وكلاهما حبل يشدّ كلّ واحد منهما به، وإذا اضطرب (قيل:) فيها قلق.

(٤) في هـ. ب: ترسل السؤال والكلام في غير صواب، وفي هـ. ص: أي في غير قصد وسداد.

(٥) في هـ. د: وروي ولكن ـ ر.

(٦) هـ. ب: الذمام: الحرمة، هـ. ص: أي: حرمته.

(٧) في هـ. ب: أصهار أهل البيت، وفي هـ. ص: قال في الشرح: لأنّ زينب بنت جحش أسديّة وأُمّها «أُميمة بنت عبد المطلب».

(٨) في هـ. ب: أي حقّ السؤال، وفي هـ. ص: لأنّ للسّائل على المسؤول حقّاً.

هذا السؤال قد طرح في غير الموضع اللائق به، وخاصة على رواية الصدوق بانه طرح في حرب صفين، فإن الموضع موضع حرب وليس موضع السؤال عن أُمور تاريخية.

٣ ـ (ترسل في غير سدد) والسدد: الصواب، فإنّه من ارسال الكلام بهذا في حال الحرب غير صائب.

٤ ـ (ولك بعد ذمامة الصهر) الذمام: الحماية، والصهر: النسبة في الزواج؛ لان زينب بنت جحش زوجة الرسول صلى الله عليه وآله كانت من بني أسد.

٥ ـ (وحق المسألة) فإنّ لكل انسان الحق في أن يسأل مستفهما لطلب الحقيقة، وان كان للسؤال أوقات مناسبة ينبغي مراعاتها.

وهذه النقاط الخمس تكشف عن عدم رغبة الامام في الجواب، ولكنه اجاب عملاً بالمسؤولية وكان الجواب عن السؤال في مرحلتين متعاقبتين:

(٢ / ط - ١٦٢) المرحلة الاولى ـ في السقيفة:

أَمَّا الإِسْتِبْدَادُ[١] عَلَيْنا بهذَا المَقام ـ وَنَحْنُ الأعْلَوْنَ نَسَباً، والأشَدُّونَ[٢] بالرَّسُولِ[٣] نَوْطاً[٤] ـ فإنّها[٥] كانَتْ أَثَرَة[٦]، شَحَّتْ[٧] عليها نُفُوسُ قوْمٍ، وسَخَتْ[٨] عَنْها نُفُوسُ آخَرِينَ[٩]، والحَكَمُ اللهُ[١٠]، والمَعْوَدُ[١١] إلَيْهِ يَوْمَ[١٢] الْقِيامَةِ.

ودَعْ عَنْكَ نَهْباً[١٣] صِيحَ[١٤] في حَجَرَاتِهِ

فانه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله في مؤتمر السقيفة حيث اجتمع المهاجرون والانصار في

---

(١) في هـ. ب: يعني الانفراد.
(٢) في ب: والأشد.
(٣) في ص: بالنبي، وفي ط: برسول الله صلى الله عليه وآله.
(٤) في هـ. ب: علقة، وفي هـ. ص: أي اتصالاً وتعلّقاً.
(٥) في هـ. ص: يحتمل أن يكون الضمير للخلافة.
(٦) في هـ. ص: أي استبداد بالأمر.
(٧) في هـ. ب: بخلت يعني هؤلاء.
(٨) في هـ. ب: من السخاء.
(٩) في هـ. ص: أي اولاده المعصومين.
(١٠) في هـ. ص: هذا كلام شاك متظلّم، مترصّد للاستعلاء، فهو يدلّ على أنّ ما ارتكبه القوم عظيم.
(١١) المعود: مفعل، من عاد يعود مستعمل على الاصل.
(١٢) لم ترد «يوم» في ص. د.
(١٣) في هـ. ب: أي غنيمة.
(١٤) من الصياح.

انتخاب خليفه الرسول في حين كان أهل البيت منشغلين في تجهيز النبيّ صلى الله عليه وآله للدفن، وانتهى الامر بعدم مشاركة احد من أهل البيت ولا أحد من المسلمات للمبايعة، وقد عبّر عن ذلك في نقاط:

١ ـ (أما الاستبداد علينا بهذا المقام) حيث ثم تمت البيعة من دون مشاركة أهل البيت مع العلم باحقيتهم لها .

(ونحن الأعلون نسباً) والعلو ـ هنا ـ بمعنىٰ القرب .

(والأشدون برسول الله صلى الله عليه وآله نوطا) والنوط: العلاقة الوثيقة.

٢ ـ (فإنها كانت أثرة) والاثرة: اختصاص المرء نفسه بأجود الأشياء دون غيره؛ لعلم جميع المشتركين في مؤتمر السقيفة من المهاجرين والانصار .

والاسفار بالحقيقتين المذكورتين في حق أهل البيت وعمادهم في عصره الامام نفسه.

٣ ـ (شحت عليها نفوس قوم) والشح: البخل لايثار النفس بأجود الاشياء.

٤ ـ (وسخت عنها نفوس آخرين) ممن وجد في نفسه مسؤولية أهم من البخل بها، وهي مسؤولية غسل النبيّ الاطهر وتكفينه ودفنه.

٥ ـ (والحَكَم الله ، والمعود إليه القيامة) اشارة إلىٰ أنّ الحكم الفاصل في أي من الموقعين كان الصواب: هل الشحّ بالاثرة أو السخاء بالاثرة، يجب أن يكون عند ديّان يوم الدين؛ لأنّها حادثه ـ مهما عظمت ـ قد انتهت، والحديث عنها في غير موقعه حديث لا ينتهى إلىٰ حد.

ثم تمثل شعراً من القيس الكندي، وهو قوله:

ودع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل

مما يكشف عن شهرة صدر هذا البيت في عصره:

والنهب: الغنيمة، والصيحة: الاعلان عن الغارة بالصياح، والحجرات: النواحي. والرواحل: ما يوضع على ظهر الجمل للركوب عليه، فهذه حادثة ـ مهما عظمت آثارها ـ قد مضت عقيب وفاة الرسول القائد، وليست حادثة معاصرة.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ويروى : ″ ماتة الصهر ″ أي حرمته ووسيلته ، مت إليه بكذا ، وإنما قال عليه السلام له : ″ ولك بعد ذمامة الصهر ″ لان زينب بنت جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وآله كانت أسدية ، وهي زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة . وأمها أُميّة

بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فهي بنت عمة رسول الله ﷺ ، والمصاهرة المشار إليها ، هي هذه».[١]

وقال ابن أبي الحديد عن الشعر، ما نصّه:«وكان من قصة هذا الشعر أنّ امرئ القيس ، لمّا تنقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طيئ ، يقال: له طريف بن ملء [٢]، فأجاره وأكرمه ، وأحسن إليه ، فمدحه وأقام عنده . ثم إنه لم يوله نصيبا في الجبلين : أجأ وسلمى ، فخاف ألا يكون له منعة ، فتحول ونزل على خالد بن سدوس بن أصمع النبهاني ، فأغارت بنو جديلة على امرئ القيس وهو في جوار خالد بن سدوس ، فذهبوا بإبله ، وكان الذي أغار عليه منهم باعث بن حويص ، فلما أتى امرئ القيس الخبر ، ذكر ذلك لجاره ، فقال: له : أعطني رواحلك ألحق عليها القوم ، فأرد عليك إبلك ، ففعل فركب خالد في إثر القوم حتى أدركهم ، فقال: يا بني جديلة ، أغرتم على إبل جارى ! فقالوا : ما هو لك بحار ، قال: بلى والله وهذه رواحله ، قالوا : كذلك ! قال: نعم : فرجعوا إليه فأنزلوه عنهن ، وذهبوا بهن وبالإبل . وقيل : بل انطوى خالد على الإبل فذهب بها ، فقال امرؤ القيس :

دع عنك نهبا صيح في حجراته ... ولكن حديثا ما حديث الرواحل [٣]
كأن دثارا حلقت بلبونه ... عقاب تنوفي لا عقاب القواعل [٤]
تلعب باعث[٥] بجيران خالد ... وأودى دثار في الخطوب الأوائل
وأعجبني مشى الحزقة خالد ... كمشي أتان حلئت بالمناهل
أبت أجأ أن تسلم العام جارها ... فمن شاء فلينهض لها من مقاتل
تبيت لبوني بالقرية أمنا ... وأسرحها غبا بأكناف حائل
بنو ثعل جيرانها وحماتها ... وتمنع من رجال سعد ونائل
تلاعب أولاد الوعول رباعها ... دوين السماء في رؤوس المجادل
مكللة حمراء ذات أسرة ... لها حبك كأنها من وصائل

دثار : اسم راع كان لامرئ القيس . وتنوفي والقواعل جبال . والحزقة : القصير الضخم

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٢٤٢.
(٢) في الديوان: ١٤٢: طريف بن مالك .
(٣) الشعر والخبر في الديوان: ٩٤ – ٩٦ . والحجرات : النواحي .
(٤) اللبون : التي لها ألبان .
(٥) باعث : رجل من طئ ، وهو ممن أغار عليه .

البطن ، واللبون : الإبل ذوات الألبان . والقرية : موضع معروف بين الجبلين . وحائل اسم موضع أيضا وسعد ونائل حيان من طيئ . والرباع : جمع ربع ، وهو ما نتج في الربيع والمجادل : القصور . ومكللة ، يرجع إلى المجادل مكللة بالصخر . والأسرة : الطريق وكذلك الحبك . والوصائل : جمع وصيلة ، وهو ثوب أمغر[١] الغزل ، فيه خطوط . والنهب : الغنيمة والجمع النهاب ، والانتهاب مصدر انتهبت المال ، إذا أبحته يأخذه من شاء ، والنهبى : اسم ما أنهب . وحجراته : نواحيه ، الواحدة حجرة ، مثل جمرات وجمرة ، وصيح في حجراته صياح الغارة . والرواحل : جمع راحلة ، وهي الناقة التي تصلح أنّ ترحل ، أي يشد الرحل على ظهرها ، ويقال: للبعير : راحلة . وانتصب " حديثا " بإضمار فعل ، أي هات حديثا أو حدثني حديثا . ويروى : " ولكن حديث " أي ولكن مرادي أو غرضي حديث فحذف المبتدأ ، وما هاهنا ، يحتمل أنّ تكون إبهامية ، وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة زادته إبهاما وشياعا ، كقولك : أعطني كتابا ما ، تريد أي كتاب كان ، ويحتمل أن تكون صلة مؤكدة كالتي في قوله تعالى :﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله﴾[٢] فأمّا " حديث " الثاني فقد ينصب وقد يرفع ، فمن نصب أبدله من " حديث " الأول ومن رفع جاز أنّ يجعل " ما " موصولة بمعنى " الذي " وصلتها الجملة ، أي الذي هو حديث الرواحل ، ثم حذف صدر الجملة كما حذف في ﴿تماما على الذي أحسن﴾ [٣] ويجوز أنّ تجعل " ما " استفهامية بمعنى " أي».[٤]

(٣ / ط ـ ١٦٢) المرحلة الثانية ـ في صفّين:

وهَلُمَّ[٥] الخَطْبَ فِي ٱبْنِ أَبي سُفْيانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَني الدَّهْرُ بعْدَ إِبْكائِهِ، ولا غَرْوَ[٦] ـ واللهِ ـ فَيالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ[٧] الْعَجَبَ، ويُكْثِرُ الْأَوَدَ[٨]، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفاءَ نُورِ ٱللهِ منْ مِصْباحِهِ، وسَدَّ فَوَّارِهِ منْ يَنْبُوعِهِ[٩]، وَجدَحُوا[١٠] بيْني وَبَيْنُهمْ شِرْباً وبيئاً[١١]، فإنْ

---

(١) المغرة : لون يضرب إلى الحمرة .
(٢) سورة النساء :١٥٥ .
(٣) سورة الأنعام: ١٥٤ .
(٤) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩: ٢٤٤ ـ ٢٤٦.
(٥) أي هلمّ أذكر، والخطب: الأمر العظيم، وفي هـ . ب: أمراً عظيماً، وفي هـ . ب: هلُمّ كـذا، أي: هات، وإذا قيل لك: هَلُمّ كذلك قلت.
(٦) في هـ . ص: أي لا عجب.
(٧) في هـ . ب: من الإفراغ.
(٨) في هـ . ب: العوج.
(٩) الينبوع: الثقب الذي يفور منه الماء بشدّة.

تَرْتَفِعْ(١٢) **عَنَّا وعنهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أحملهم من الحق على محضه**(١٣)**، وإن تَكُن الأُخْرىٰ، ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرات، إنّ الله عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُون﴾**(١٤).

وفي صفين ـ وهي الحادثة المعاصرة ـ والاشارة في قوله :«ابن أبي سفيان» تساند الرواية بانها كانت في صفين، اي في عام ٣٧ هـ، فإنّ الاولوية في السؤال يقتضي الجواب عما يتعلق بالحالة الحاضرة ، وهي الحرب مع معاوية الذي يخطط لنقل الحكم من الشورى إلى الملوكية.

وقد ذكر في ذلك نقاط، هي:

١ ـ (وهلم الخطب في ابن أبي سفيان) هَلُمّ: بمعنى تعال، والخطب: الحادث الجليل، أي فليكن الجواب عن المسألة التي هي حديث الساعة من خروج معاوية بن أبي سفيان تحت شعار قميص عثمان.

٢ ـ (فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه) والسبب في البكاء ما سلف في التاريخ، والسبب في الضحك رفع معاوية شعار قميص عثمان للقضاء على الخلافة بالشورى وتحكيم الملوكية في الاسلام.

٣ ـ (ولا غرو والله) أي ولا عجب، مؤكّدا ذلك بالقسم؛ لان شرّ البليّة ما يضحك لآثاره التالية:

أوّلاً: (فيا له خطبا يستفرغ العجب) لانها حادثة عظيمة في تاريخ الاسلام، والاستفراغ: الافناء؛ فإنّ هذه الحادثة وهي قلب نظام الشورى إلىٰ الملوكية يقتضي العجب.

ثانيا: (ويكثر الأود) وهو العوج بالانحراف عن الثابتة الاسلامية: ﴿وامرهم سوى بينهم﴾(١٥).

ثالثا: (حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه وسد فواره من ينبوعه) والفوار: ثقب البئر، فإنّ تغيير هذا النظام في الحكم يؤثر على الاسلام في كلّ جوانب الحياة؛ لان الشورى يؤدي إلىٰ تحرك اجتماعي عادل في كلّ مرافق الحياة الفردية والأُسرية

---

(١٠) في هـ. ب: خلطوا، جدحوا: مزجوا.
(١١) في هـ. ب: من الوباء.
(١٢) في أ: يرتفع.
(١٣) في هـ. ب: خالصه.
(١٤) فاطر: ٣٥ / ٨.
(١٥) الشورىٰ : ٣٨.

والاجتماعية والسياسية وغيرها، والغاء هذا النظام يستلزم إلغاء كلّ الاحكام الاسلامية المتعلقة بها.

رابعا: (وجَدحوا بيني وبينهم شربا وبيئا) الجدح: الخلط، والشرب: النصيب من الماء. والوبئ: المخلوط بالوباء؛ فإنّ هذا التغيير في نظام الحكم من الشورى إلىٰ الملوكية خلط للماء بالوباء بسبب الانحراف عن الثوابت الاسلامية الاصيلة التي طبّقها الرسول القائد في حياته، وامتاز به نظام الاسلام على كلّ الانظمة السياسة الملوكية في عصره.

وعن مستقبل هذا الخطب الجلل أشار إلىٰ انها (إحدى الحسنيين) فقال:

١ ـ (فإن ترتفع عنا وعنهم محن البلوى) بالنصر عليهم في ساحة المعركة.

اعلن الامام عن موقفه الواضح والصريح:

(أحملهم من الحق على محضه) أي خالص الحق الذي بشّر به الاسلام وطبّقه رسوله الاعظم من الرجوع إلىٰ الشورى.

٢ ـ (وإن تكن الأخرى) وهي خسران المعركة، فقد ادى واجبه الاسلامي في مقاومة طرق الضلال، وبعد أداء الواجب ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إنّ الله عليم بما يصنعون﴾[١].

ومما قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«وسألت أبا جعفر يحيى بن محمّد العلوي نقيب البصرة وقت قراءتي عليه ، عن هذا الكلام ، وكان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب العلوية منصفا وافر العقل فقلت له : من يعنى عليه السلام بقوله : "كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ؟ " ومن القوم الذين عناهم الأسدي بقوله : " كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به " ؟ هل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى ؟ فقال: يوم السقيفة ، فقلت : إنّ نفسي لا تسامحني أنّ أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع النص . فقال: وأنا فلا تسامحني أيضا نفسي أنّ أنسب الرسول صلى الله عليه وآله إلى إهمال أمر الإمامة ، وإن يترك الناس فوضى سدى مهملين ، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أميرا وهو حي ليس بالبعيد عنها ، فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث !».[٢]

---

(١) فاطر ٣٥: ٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٢٤٨.

[١٦٣]

ومن خطبة له عليه السلام:

تتضمن في صفات الواجب وعلمه وقدرته في الخلق وخلق الانسان.

(١/ط - ١٦٣) واجب الوجود:

الحَمْدُ لِلَّهِ خالِقِ الْعِبادِ، وسَاطِحِ المِهادِ[١]، ومُسِيل[٢] الْوِهادِ[٣]، ومُخْصِبِ[٤] النِّجادِ[٥]، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ٱبْتِدَاءٌ[٦]، ولا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضاءٌ، هُوَ الأَوَّلُ لمْ[٧] يَزَلْ، والْباقِي بِلاَ أَجَلٍ، خَرَّتْ[٨] لَهُ الجِباهُ[٩]، وَوحَّدَتْهُ الشِّفاهُ[١٠]، حَدَّ[١١] الأَشْياءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لها إبانَةً لهُ[١٢] منْ شَبَهِها، لا تَقْدِرُهُ الأَوْهامُ بالحُدُودِ والحَرَكاتِ، ولا بالجَوَارِحِ والأَدَواتِ، لا يُقالُ لهُ: «متَى» ولا يُضْرَبُ لهُ أَمَدٌ بِـ«حتّىٰ»[١٣]، الظاهِرُ لا يُقالُ: «ممَّا»[١٤]؟، والْباطِنُ لا يُقالُ: «فِيما»[١٥]؟

لا شَبَحٌ[١٦] فَيَتَقَضَّى[١٧] ولا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى[١٨]، لمْ يَقْرُبْ منَ الأَشْياء بالْتِصاقٍ، ولمْ

---

(١) في هـ. ب: الأرض، وفي هـ. ص: هو هنا الأرض، وأصله الفراش، وقد سمّى الله تعالى الأرض مهاداً وفراشاً وبساطاً، والسطح: البسيط.
(٢) في هـ. ب، وفي نسخة: ومسبل.
(٣) في هـ. ب وص: جمع وهدة، وهو المكان المطمئن.
(٤) في هـ. ب: أخضب: أعشب.
(٥) في هـ. ب: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.
(٦) في هـ. ص: أي أنّه واجب الوجود لذاته، ويتفرّع عليه ما بعده.
(٧) في ط: ولم.
(٨) في هـ. ب: سقطت.
(٩) في هـ. ب: جمع جبهة.
(١٠) في هـ. ب: أضاف الخرور إلى الجباه والتوحيد إلى الشفاه.
(١١) في هـ. ص: أي جعل لها حُدوداً وغايات.
(١٢) لم ترد «له» في أ وفي هـ. أ: لها له، وفي هـ. د: لها ـ ف ر.
(١٣) في هـ. ص: لأنّ «حتى» للزمان ويتضمن السؤال عن الابتداء.
(١٤) في ط: ممّ.
(١٥) في ط: «فيم»، وفي هـ. ص: أي لا يقال «مِمَّ ظهر؟» كما هو شأن كلّ ظاهر غيره، ولا يقال «فيمَ بطن؟» كما هو شأن بطون الأجسام.
(١٦) في هـ. ب: لا شخص.
(١٧) في هـ. ب، وفي نسخة: فيتقضى ـ بالصاد وبالضاد ـ، وفي هـ. ص: من شأن الجسم أن ينقضي.
(١٨) في هـ. ص: من شأن المحجوب بغيره أن يحويه حاجبه.

يَبْعُدْ عنها بافْتِرَاقٍ(١).

يتضمن هذا المقطع صفات الذات المقدسة التي تدل على انه تعالىٰ واجب الوجود، وهي آثار الخلق، فقال:

١ ـ (الحمد لله خالق العباد) من الملائكة والجن والانس أجمعين، لكونهم افضل الخلق في العبادة.

٢ ـ (وساطح المهاد) وهو الارض بالنسبة إلىٰ الجبال غير المسطحة.

٣ ـ (ومسيل الوهاد) وهو ما انخفض من الارض وأصبح مجرى لسيل المياه.

٤ ـ (ومخصب النجاد) والنجد: ما ارتفع من الارض، الذي يخصب بالنباتات الطبيعية.

٥ ـ (ليس لأوّليته ابتداء) لكونه واجب الوجود، والابتداء انما يكون للحادث المفتقر إلىٰ من يوجده.

٦ ـ (ولا لأزليّته انقضاء) والانقضاء من صفات الحادث، دون واجب الوجود.

٧ ـ (هو الأوّل لم يزل) كذلك لوجوب وجوده.

٨ ـ (والباقي بلا أجل) فإنّ الأجل انما هو لغير الازلي.

٩ ـ (خرّت له الجباه) حيث تهوي الجباه على الارض بالسجود لعظمة الله تعالى.

١٠ ـ (ووحّدته الشفاه) حيث تنطق بكلمة الشهادتين.

١١ ـ (حد الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبهها) فإنّ لكل مخلق حدّ يميّزه عن غيره تمييزاً مبايناً تامّاً.

١٢ ـ (لا تقدره الأوهام بالحدود والحركات) لأنّ الحدود والحركات من لوازم الجسميّة، والله سبحانه منزّه عنها.

١٤ ـ (ولا بالجوارح والأدوات) كما يحدّدها عبدة الاصنام، فانها مخلوقات لهم، وصفات الاجسام.

١٥ ـ (لا يقال له: متى؟) لتحديد الزمان.

١٦ ـ (ولا يضرب له أمد بحتّى) لان حتىٰ هو تحديد بالزمن.

١٧ ـ (الظاهر، لا يقال: مما؟) لكيفية الظهور.

١٨ ـ (والباطن، لا يقال: فيما؟) لمكان الستور.

فان هذه الاسئلة إنما تصح في الاجسام المحدودة بالزمان والمكان والكيفيّة، وان

---

(١) في ب ـ ظاهراً ـ: بافراق.

الباري تعالى منَزّه عن ذلك كلّه.

١٩ ـ (لا شبح فينقضي) والشبح: الشخص روحاً لا جسماً، والنقض: طلب اقصى الشيئ لمعرفة حقيقته.

٢٠ ـ (ولا محجوب فيحوى) فإنّ الحجاب يحوي الاجسام ويسترها، والله منزّه عن الجسمية.

٢١ ـ (لم يقرب من الأشياء بالتصاق) كما تتقرب الاجسام بعضها إلى بعض.

٢٢ ـ (ولم يبعد عنها بافتراق) حيث أن الاجسام تبعد عن الاخرى بدرجة افتراقها في الزمان والمكان، وهذه الصفات كلها لواجب الوجود الذي ليس بجسم، فينفئ عنه كلّ الصفات الجسمية.

(٢ / ط ـ ١٦٣) علم الله:

لا يَخْفَى عليهِ منْ عِبادِهِ شَخُوصُ[1] لَحظةٍ[2]، ولا كُرُورُ[3] لَفْظَةٍ، ولا ٱزْدِلافُ[4] رَبْوَةٍ[5]، ولا انْبساطُ خُطْوَةٍ في لَيْلٍ دَاجٍ[6]، ولا غَسَقٍ ساجٍ، يَتَفَيَّأُ[7] عليهِ[8] الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وتَعْقُبُهُ[9] الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ، في الكُرُورِ والأُفُولِ[10]، وتَقَلُّبِ[11] الأزْمِنَةِ والدُّهورِ منْ إقْبالِ لَيل مُقْبِلٍ، وإدْبارَ نَهارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غايةٍ ومُدَّةٍ[12]، وكُلِّ إحْصاءٍ وعِدَّةٍ.

تَعالى عَمَّا يَنْحَلُهُ[13] الْمحَدِّدُونَ[14] منْ صِفاتِ الأَقْدَارِ[15]، ونِهاياتِ الأقْطارِ[16]،

---

(١) في هـ. ب: نهايتها.
(٢) أي امتداد بصر.
(٣) في ص: وكرور.
(٤) تقربها من النظر. هـ. ب: قرب.
(٥) في هـ. د: ورتوه ـ ك. ر.
(٦) الداجي: المظلم.
(٧) في هـ. ب: يتقلّب، وفي ص: يتقلّب فيفيء.
(٨) في هـ. ص: أي على الغسق.
(٩) هـ. ص: أي تتعقّبه، فحذف حرف المضارعة.
(١٠) في ط د: الأُفول والكرور، وفي هـ. د: الكرور والأفول وتقليب ـ ف م ن ل ش.
(١١) في أ و ب و ط: وتقليب.
(١٢) «قبل كلّ غاية» متعلق بـ«يخفى» أي لا يخفى عليه شيء من ذلك قبل كلّ غاية أي يعلمه قبل.
(١٣) في هـ. ب: أي يدعونه من النحلة.
(١٤) في ص زيادة : له.
(١٥) في هـ. ص: جمع قدر، أي تعالى أن يوصف بقدر.
(١٦) في هـ. ب: الجوانب، جمع قطر، وفي هـ. ص: جمع قطر، وهو الجانب.

وتَأَثُّلِ[١] الْمَساكِنِ، وتمكّن الأماكِنِ، فالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وإلى غيْرِهِ مَنْسُوبٌ.

وسرد أوصافاً لعلم الذات المقدسة، فان علمه وكل صفاته عين ذاته يشمل خفايا المعلومات التي لا يمكن للانسان المادّي أن يصل إليها، فقال:

١ ـ (لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة) والشخص: المد، واللحظة: البصر، فهو عالم بكل شئ حتى حركة لحظ العيون.

٢ ـ (ولا كرور لفظة) والكرّ: الرجوع بإعادة اللفظة مرة أُخرىٰ.

٣ ـ (ولا ازدلاف ربوة) وهي الموضع المرتفع من الارض، والازدلاف: صعودها.

٤ ـ (ولا انبساط خطوة في ليل داج) والانبساط: امتدادها، فإنّ الخطوة في الليلة المظلمة لا يتمكن الانسان تصوّرها.

٥ ـ (ولا غسق ساج) والغسق: الليل، والساج: الساكن، حيث لا حركة في هذا الوقت من الليل.

٦ ـ (يتفيأ عليه القمر المنير) ومن صفات الليل أن يتفيّأً: اى يتقلب عليه القمر المنير فيكشف عن ظلمته بنوره.

٧ ـ (وتعقبه الشمس ذات النور في الأفول والكرور) ومن بعد القمر يأتي دور الشمس، حيث لها النور الأشد من نور القمر في كلّ من الافول الذي هو المغيب، والكرور الذي هو الرجوع مرة أُخرى.

٨ ـ (وتقلّب الأزمنة والدهور) بالحوادث الواقعة فيها باستمرار الحياة بالتعاقب المستمر.

(من إقبال ليل مقبل) ثمّ (وإدبار نهار مدبر) وأنّ تقابل الليل والنهار المستمر لا يغيب عن علمه تعالىٰ.

٩ ـ (قبل كلّ غاية ومدّة) لكونه الخالق لهما، فهو قبلهما.

١٠ ـ (وكل إحصاء وعدة) وهو العالم بكل عدد واحصاء قبل كلّ احصاء وكل عدد من حركات المخلوقات.

وهذه النقاط العشر تشير إلىٰ سعة علم الله سبحانه وسعة مخلوقاته قبل ايجادها وبعده كما قال تعالى:﴿وَيَعْلَمُ مَا في ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إلّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ في

---

(١) التأثّل: التأصل، وفي هـ. ب: تحكم، هـ. ب: تأثل المال: إذا عقده للانتفاع، وفي هـ.ص: أي اتخاذ، من الشرح.

ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا في كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[١].

(٣/ط - ١٦٣) قدرة الله :

لَمْ يَخْلُقِ الأشْياءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ولا من[٢] أَوَائل[٣] أَبَدِيَّة، بَلْ خَلَقَ ما خَلَقَ فأَقامَ حَدَّهُ، وصَوَّرَ ماصَوَّرَ فأَحْسَنَ صُورَتَهُ[٤].

لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ ٱمْتِناعٌ[٥]، ولا لَهُ بِطاعَةِ شَيْءٍ ٱنْتِفاعٌ، عِلْمُهُ بالأَمْوَاتِ المَاضِينَ كَعِلْمِهِ بالأَحْياء الْباقِينَ، وعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّماوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الأَرْضين[٦] السُّفْلَى.

وعن قدرته تعالى المطلقة اشار إلىٰ خلق المخلوقات عامة، ثم خلق الانسان، فقال:

١ ـ (لم يخلق الأشياء من أصول أزلية) حيث أبدع في الخلق بإرادته العليا، حيث قال له ﴿كن فيكون﴾ من دون تركيب مادة به موجودة قبل الخلق، بل ايجاد المادة بنفس الارادة التكوينيّة للايجاد.

٢ ـ (ولا أوائل أبدية) بالخلق على مثال متقدم في الأبد من الصور، فيكون الخلق نتيجة تركيب المادة بالصورة، بل بايجاد الصورة بنفس الارادة التكوينيّة، فإنّ افتراض المادة والصورة قبل الخلق يستلزم العجز، والله سبحانه على كلّ شيء قدير.

٣ ـ (بل خلق ما خلق فأقام حده) الذي يعرف به مادةً وصورةً في آنٍ واحد، فهي جميعاً مخلوقه له تعالى في آنٍ واحد.

٤ ـ (وصوّر ما صوّر فأحسن صورته) وأنّ الصورة التي وهبها للمادة هي أحسن صورة تعرف ذلك المخلوق بها وبمثالها عن غيره من الانواع والأجناس.

٥ ـ (ليس لشئ منه امتناع) حيث لا يمتنع عليه تعالى شيء؛ لأنّه على كلّ شئ قدير.

٦ ـ (ولا له بطاعة شئ انتفاع) فإنّه تعالى لا ينتفع بهذا الخلق، بل الخلق ينتفع بالله سبحانه، وذلك بوجوده الذي يعرّفه على سائر الموجودات ومدىٰ قدرته سبحانه.

واشار إلىٰ أنّ هذه القدرة المطلقة لا تنفك عن العلم؛ لانهما معاً ذاتيّان للذات المقدسة كسائر الصفات، فقال:

---

(١) الأنعام ٦: ٥٩.

(٢) في هـ. د: لم ترد «من» في ب.

(٣) في هـ. ب: أوائل، إشارة إلىٰ أصحاب الهيولى.

(٤) لم تكن موادّ متساوية في القدم والأزلية، فجعلها لتصاوير مختلفة، بل خلق المادة وأقام لها حدوداً وصوّر منها المخلوقات.

(٥) أي لا يمتنع عليه شيء فهي كلّاً تحت قدرته.

(٦) في هـ. د: الأرض ـ ب.

(علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين) فلا يحدّ علمه بالزمان الماضي أو الحال أو الاستقبال.

(وعلمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السفلى) فلا حدّ لعلمه من حيث المكان.

كما هو الحال في قدرته سبحانه التي لا حدّ زمني له ولا حد مكاني، ولولا هذا التلازم بين العلم والقدرة لكان ذكر علمه هنا منقطعاً عن الموضوع، والله العالم.

(٤ / ط - ١٦٣) خلق الانسان:

مِنْها: أَيُّها ٱلَمخْلُوقُ ٱلسَّوِيُّ[١]، وٱلْمُنْشأُ[٢] ٱلمَرْعيُّ[٣] في ظُلُماتِ الأَرْحامِ، ومُضاعَفاتِ الأَسْتارِ، بُدِئْتَ منْ سُلاَلَةٍ[٤] مِنْ طِين، وَوُضِعْتَ في قَرَارٍ مَكِينٍ[٥] إلى قَدَرٍ مَعْلُوم، وأَجَلٍ مَقْسُوم، تَمُورُ[٦] فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً[٧]، لا تُحِيرُ[٨] دُعاءً، ولا تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ منْ مَقَرِّكَ إلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْها[٩]، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِها.

ومن مظاهر قدرة الله تعالى خلق الانسان الذي خلقه سبحانه في أحسن تقويم، واشار الى أوصاف منها بقوله:

١ ـ (منها: أيها المخلوق السويّ) أي المستوي الخلقة بتوازن في الاعضاء المناسبة للجسم.

٢ ـ (والمنشأ المرعي) اسم مفعول، حيث أنشأه الله سبحانه ورعاه بالحفظ في مراحل التطوّر الجنيني إلىٰ الولادة وما بعدها.

٣ ـ (في ظلمات الأرحام) فكانت رعاية الله سبحانه له في تلك الظلمات لما يفتقر اليه

(١) في هـ. ص: المستوي الخلقة غير ناقصها.
(٢) في هـ. ب: المخلوق.
(٣) في هـ. ص: المحفوظ الملحوظ.
(٤) في هـ. ب: أي من خلاصة، لأنّها سلّت من بين الكدر، ويحتمل أن يريد أصل الإنسان وهو آدم عليه السلام، وأن يريد كلّ واحدٍ من نسله؛ لأنّ النطفة سلّت من الغذاء والغذاء من الطين والماء، والله أعلم.
(٥) في هـ. ص: هو الرحم.
(٦) في هـ. ص: تتحرّك.
(٧) في ص: حنيناً.
(٨) في هـ. ب: يقال: كلّمته فما أحار إليّ جواباً، أي: ما رجع إليّ جواباً، وفي هـ. ص: أي: لا ترجع، أحار يحير: أي أجاب.
(٩) في هـ. ب: تحضرها.

من التغذية الجسمية.

٤ ـ (ومضاعفات الأستار) وهي ستر الرحم الحاوي على ستر الغشاوة المحيطة بالمولود، وهو في أستار مضاعفة.

٥ ـ (بدئت من سلالة من طين) وهذا اقتباس من قوله تعالى:﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾(١).

٦ ـ (ووضعت في قرار مكين) وهو اقتباس من قوله تعالى:﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾(٢).

٧ ـ (إلى قدر معلوم) عند الله، وهو اقتباس من قوله تعالى:﴿ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلىٰ قدر معلوم﴾(٣).

٨ ـ (وأجل مقسوم) لا يعلمه إلّا الله مهما تكاثفت عليه الاحتمالات الطبيعية.

٩ ـ (تمور في بطن أُمّك جنينا) تمور، اي تتحرك بالحركة الطبيعية للجنين.

١٠ ـ (لا تحير دعاء) فإنّ الام تناجي جنينها بما يحب وربما تسكن حركته لذلك، ولكن الجنين لا يرجع جواباً؛ حيث انه لا يستطيع الرد.

١١ ـ (ولا تسمع نداء) فإنّ القوة السامعة للجين غير متكامل في تلك المراحل.

١٢ ـ (ثم أُخرجت من مقرّك) من دون ارادة لك.

١٣ ـ (إلى دار لم تشهدها) من قبل، فهي دار المرحلة الأُخرى، وتختلف تماماً عمّا ألفتها.

١٤ ـ (ولم تعرف سبل منافعها) فكانت لك حياةً جديدة من البداءة.

وهذه الحالات الطبيعة للانسان حقيقة يمر بها كلّ انسان وان لم ينتبه اليها إلّا بالتكذير، فانها جارية في كلّ حالة يبرز فيها مظاهر قدرته تعالى في الخلق الذي وهب لهذه المادة المنويّة القدرة علىٰ القيام بوضائفها الطبيعية في كلّ دور منها.

فاذا غاب عن الانسان مظاهر قدرة الله في الكون فلن يغب عنه مظاهر قدرته تعالى في نفسه.

(٥ / ط ـ ١٦٣) العجز في التحديد:

---

(١) المؤمنون ٢٣: ١١.
(٢) المؤمنون ٢٣: ١٣.
(٣) المرسلات ٧٧: ٢٣.

فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ[١] الغَذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وَعَرَّفَكَ[٢] عِنْدَ الحَاجَةِ مَوَاضِعَ[٣] طَلَبِكَ وإِرَادَتِكَ، هَيْهَاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عنْ صِفاتِ ذِي الهَيْئَةِ والْأَدَوَاتِ فَهُوَ عنْ صِفاتِ خالِقِهِ أَعْجَزُ، ومِنْ تَناوُلِهِ بِحُدُودِ الَمخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

وختم المقطع ببيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه الواسع في الخلق أجمعين، ومنه خلق الانسان نفسه، فانه يستلزم العجز عن تحديد الذات المقدسة؛ لعجز الانسان المادي عن تحديد ما ليس بمادة، مع انه عاجز عن تحديد الاسباب الداعية إلىٰ مظاهر قدرة الله سبحانه في الخلق، واكتفى بأمثلة محسوسة لكل انسان، فقال:

١ ـ (فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أُمّك؟) في الصغر، فقد تعوّد الجنين في الرحم على الغذاء من طريق الحبل السري، وهو غير طريق الفَم. فكيف اهتدى إلىٰ أنّ يمصّ الثدي ليدّر عليه لبناً يكون غذاءً له، فهو يلوي فمه بحثاً عن الثدي؟

٢ ـ (وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك؟) بالفحص عن الشيئ المطلوب لك ممّا تفتقر إليه ويتوقف عليه الحياة، فمن الذي عرفك عليه بموهبة العقل؟

٣ ـ (وإرادتك) ومن هداك لاستخدام إرادتك في اتباع ما يشير عقلك ويدلك عليه؟

فإنّ هذه الصفات الثلاث في الانسان، وهي: الاغتذاء من حلمة الثدي في الصغر، ومعرفة ما يفتقر اليه الانسان في الكبر، والتحكيم في ارادته كما يريد، كلّها تشير إلىٰ قدرة الله العليا التي وهبها للانسان، والانسان عاجز عن تحديد هذه الصفات كالعقل والارادة مثلا، فاذا عجز الانسان عن تحديد ما يعرفه في نفسه، فكيف يمكنه تحديد ما ليس تحت اختياره؟

٤ ـ (هيهات) اي أنّ ذلك بعيدٌ جداً، وعن سبب ذلك، قال:

٥ ـ (إن من يعجز عن صفات ذي الهيئة والأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز) حيث أنّ العجز عن تحديد صفات نفسه المحسوسة له يستلزم العجز عن تحديد صفة الشي الذي هو غير محسوس له كالذات المقدسة وصفاته تعالىٰ.

والى السبب الحقيقي لهذا العجز أشار بقوله:

(ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد) فإنّه تعالى ليس بجسم حتى يتناول المحدود الذي يعرفها المخلوقون ، وهي حدود الاجسام، فإذا كان تعالى أبعد من أن يناله حدود

---

(١) في هـ. ب: من الجرّ، وهو مصّ الطفل ثدي أُمّه.
(٢) في ب: وحرّك، وفي هـ. ب: عرّفك.
(٣) في ط: مراضع.

المخلوقين كان الانسان المادي أعجز من تحديد صفاته.

وهكذا يقف الانسان المادي معترفا بعظمة الخالق ويقرّ بالعجز عن تحديد كنه ذاته.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«واعلم أنه عليه السلام أورد في هذه الخطبة ضروبا من علم التوحيد، وكلها مبنية على ثلاثة أصول:

الأصل الأول: أنه تعالى واجب الوجود لذاته، ويتفرع على هذا الأصل فروع: أولها: أنه ليس لأوليته ابتداء، لأنه لو كان لأوليته ابتداء، لكان محدثا، ولا شئ من المحدث بواجب الوجود، لان معنى واجب الوجود، أنّ ذاته لا تقبل العدم، ويستحيل الجمع بين قولنا: هذه الذات محدثة، أي كانت معدومة من قبل، وهي في حقيقتها لا تقبل العدم. وثانيها: أنه ليس لأزليته انقضاء، لأنه لو صح عليه العدم لكان لعدمه سبب، فكان وجوده موقوفا على انتفاء سبب عدمه، والمتوقف على غيره، يكون ممكن الذات، فلا يكون واجب الوجود. وقوله عليه السلام: "هو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل" تكرار لهذين المعنيين السابقين على سبيل التأكيد، ويدخل فيه أيضا قوله: "لا يقال: له متى، ولا يضرب له أمد بحتى"، لان "متى" للزمان وواجب الوجود يرتفع عن الزمان، و"حتى" للغاية وواجب الوجود لا غاية له: ويدخل أيضا فيه قوله: " قبل كلّ غاية ومدة وكل إحصاء وعدة".

وثالثها: أنه لا يشبه الأشياء البتة، لان ما عداه إما جسم أو عرض أو مجرد، فلو أشبه الجسم أو العرض لكان إما جسما أو عرضا، ضرورة تساوى المتشابهين المتماثلين في حقائقهما. ولو شابه غيره من المجردات – مع أن كلّ مجرد غيره ممكن – لكان ممكنا، وليس واجب الوجود بممكن، فيدخل في هذا المعنى قوله عليه السلام: "حد الأشياء عند خلقه لها، إبانة له من شبهها" أي جعل المخلوقات ذوات حدود ليتميز هو سبحانه عنها، إذ لأحد له، فبطل أنّ يشبههمنها. ودخل فيه قوله عليه السلام: " لا تقدره الأوهام بالحدود والحركات، ولا بالجوارح". والأدوات: جمع أداة وهي ما يعتمد به ودخل فيه قوله: " الظاهر فلا يقال: مم"؟ أي لا يقال: من أي شيئ ظهر، و" الباطن فلا يقال: " فيم" أي لا يقال: فيما ذا بطن؟ ويدخل فيه قوله: " لا شبح فيقتضى" والشبح: الشخص ويتقصى يطلب أقصاه. ويدخل فيه قوله: " ولا محجوب فيحوى"، وقوله: "لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق" لأن هذه الأمور كلها من خصائص الأجسام وواجب الوجود لا يشبه الأجسام ولا يماثلها. ويدخل فيه قوله عليه السلام: " تعالى عما ينحله المحددون من صفات الاقدار" أي ما ينسبه إليه المشبهة والمجسمة من صفات المقادير وذوات المقادير. ونهايات الأقطار، أي الجوانب. وتأثل المساكن، مجد مؤثل، أي أصيل

وبيت مؤثل ، أي معمور ، وكان أصل الكلمة أنّ تبنى الدار بالأثل ، وهو شجر معروف وتمكّن الأماكن : ثبوتها واستقرارها . وقوله : " فالحمد لخلقه مضروب ، وإلى غيره منسوب " وقوله : " ولا بطاعة شيئ انتفاع " لأنه إنما ينتفع الجسم الذي يصح عليه الشهوة والنفرة ، كلّ هذا داخل تحت هذا الوجه .

الأصل الثاني : أنه تعالى عالم لذاته ، فيعلم كلّ معلوم ، ويدخل تحت هذا الأصل قوله عليه السلام : " لا تخفى عليه من عباده شخوص لحظة " أن تسكن العين فلا تتحرك . ولا كرور لفظة ، أي رجوعها . ولا ازدلاف ربوة ، صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض ، وهي الموضع المرتفع . ولا انبساط خطوة . في ليل داج . أي مظلم . ولا غسق ساج ، أي ساكن . ثم قال: " يتفيأ عليه القمر المنير " هذا من صفات الغسق ومن تتمة نعته ، ومعنى : " يتفيأ عليه " يتقلب ذاهبا وجائيا في حالتي أخذه في الضوء إلى التبدر ، وأخذه في النقص إلى المحاق . وقوله : " وتعقبه " أي وتتعقبه ، فحذف إحدى التاءين ، كما قال سبحانه: ﴿الذين توفاهم الملائكة﴾[1] أي " تتوفاهم " والهاء في " وتعقبه " ترجع إلى القمر ، أي وتسير الشمس عقبه في كروره . وأفوله ، أي غيبوبته ، وفي تقليب الأزمنة والدهور ، من إقبال لليل وإدبار نهار . فإن قلت : إذا كان قوله : " يتفيأ عليه القمر المنير " في موضع جر ، لأنه صفة " غسق " ، فكيف تتعقب الشمس والقمر مع وجود الغسق ؟ وهل يمكن اجتماع الشمس والغسق . قلت : لا يلزم من تعقب الشمس للقمر ثبوت الغسق . بل قد يصدق تعقبها له ويكون الغسق معدوما ، كأنه عليه السلام قال: " لا يخفى على الله حركة في نهار ولا ليل ، يتفيأ عليه القمر ، وتعقبه الشمس " أي تظهر عقيبه ، فيزول الغسق بظهورها . وهذا التفسير الذي فسرناه يقتضى أنّ يكون حرف الجر وهو " في " التي في قوله : " في الكرور " متعلقا بمحذوف ، ويكون موضعه نصبا على الحال ، أي وتعقبه كارا وآفلا . ويدخل تحته أيضا قوله عليه السلام : " علمه بالأموات الماضين ، كعلمه بالاحياء الباقين ، وعلمه بما في السماوات العلا ، كعلمه بما في الأرضين السفلى " .

الأصل الثالث : أنه تعالى قادر لذاته ، فكان قادرا على كلّ الممكنات ، ويدخل تحته قوله : " لم يخلق الأشياء من أصول أزلية ، ولا من أوائل أبدية ، بل خلق ما خلق فأقام حده ، وصور ما صور فأحسن صورته " والرد في هذا على أصحاب الهيولي والطينة التي يزعمون قدمها . ويدخل تحته قوله : " ليس لشئ امتناع " لأنه متى أراد إيجاد شئ أوجده ،

---

(١) سورة النساء: ٩٧.

ويدخل تحته قوله : " خرت له نحباه " أي سجدت . و" وحدته الشفاه " يعنى الأفواه ، فعبر بالجزء عن الكل مجازا ، وذلك لان القادر لذاته هو المستحق للعبادة لخلقه أصول النعم . كالحياة والقدرة والشهوة .

واعلم أنّ هذا الفن هو الذي بان به أمير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه قاطبة واستحق به التقدم والفضل عليهم أجمعين ، وذلك لان الخاصة التي يتميز بها الانسان عن البهائم هي العقل والعلم ، ألا ترى أنه يشاركه غيره من الحيوانات في اللحمية والدموية والقوة والقدرة ، والحركة الكائنة على سبيل الإرادة والاختيار ، فليس الامتياز إلا بالقوة الناطقة ، أي العاقلة العالمة ، فكلّما كان الانسان أكثر حظا منها ، كانت إنسانيته أتم ومعلوم أنّ هذا الرجل انفرد بهذا الفن ، وهو أشرف العلوم ، لان معلومه أشرف المعلومات ، ولم ينقل عن أحد من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد ، ولا كانت أذهانهم تصل إلى هذا ، ولا يفهمونه بهذا الفن فهو منفرد فيه ، وبغيره من الفنون – وهي العلوم الشرعية – مشارك لهم ، وراجح عليهم ، فكان أكمل منهم ، لأنا قد بينا أنّ الأعلم أدخل في صورة الانسانية ، وهذا هو معنى الأفضلية».[١]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٢٥٣ ـ ٢٥٧.

ومن كلام له عليه السلام(١) لما اجتمع الناس إليه(٢)، وشكوا(٣) ما نقموه(٤) على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه(٥) لهم، فدخل عليه السلام على عثمان، فقال:

(١/ ط - ١٦٤) سفارة الامام:

تتضمن سفارة الامام وسببها وموضوعها الواضح، وتحذيرات أربع وجواب السفارة، وذلك عندما اجتمع الناس اليه وشكوا ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته لهم واستعتابه لهم،، فدخل عليه السلام عليه فقال:

يستفتح الامام عليه السلام هذا المقطع بان الامام زار الخليفة الثالث عثمان سفيراً حيث قال:

(ان الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم) والسفير ـ لغة ـ: الرسول، وايضا المصلح بين قوم وقوم، وهذا المعنى الاخير هو المعنيّ في هذا المقطع، حيث لم يكن يحمل الامام اليه نقاطاً خاصة في الرسالة منهم اليه.

وعن خلفية هذا الكلام التاريخية من الضروري مراجعة المسند، وتواريخ هذه الفترة الزمنيّة من خلافة عثمان، ويستنبط من هذا المقطع مؤخذات ثلاث في النظام الاداري، هي:

الأولى: مخالفة السيرة النبوية، المفهومة من قوله: (او صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا).

الثانية: مخالفة سيرة الشيخين، المفهومة من قوله: (وما أتى ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولىٰ بعمل الحق منك).

الثالثة: الانقياد لمروان بن الحكم الاموي، المفهوم من قوله: (فلا تكوننّ لمروان سيقة يسوقك حيث شاء).

وللتفصيل عن ذلك راجع التاريخ الاسلامي العام، وخاصة تواريخ عام (٣٠) من الهجرة.

---

(١) في ط زيادة: لعثمان بن عفّان، قالوا.
(٢) في ط: إلى أمير المؤمنين عليه السلام.
(٣) في ط: وشكوا إليه.
(٤) في هـ. ص: نقمت على زيد، أنقم وأنا نـاقِمٌ: إذا عـبت عـليه، وهـذه اللـفظة تـجيء لازمـة ومتعدّية ـ من الشرح.
(٥) في هـ. ب: الاستعتاب: طلب الرضا، وفي هـ. ص: أي: طلبوا منه ما يرضيهم، من الشرح.

(٢ / ط - ١٦٤) وضوح الموقف:

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ ٱسْتَسْفَرُونِي[١] بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ؛ وَوَٱللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ[٢]! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ[٣]، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ[٤] لاَ تَعْرِفُهُ!

إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ؛ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنَا[٥] بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ؛ وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسلّم كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ٱبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ٱبْنُ ٱلْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الحق[٦] مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشِيجَةَ[٧] رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ[٨] مَالَم يَنَالاَ[٩].

ان الامام لم يحمل رسالة خاصة، بل سعى للاصلاح، واشار إلىٰ وضوح الموقف في سياسة عثمان، وربما كانت هناك محادثات سبقت على هذه السفارة، كما هي مشروحة في رواية الطبري (ت / ٣٠٠ ه) والتي نقلها الشارح (ت / ٦٥٦ هـ) .[١٠]، فليراجع.

ومن أجل ذلك اشار الامام إلىٰ وضوح الموقف في نقاط، هي:

١ ـ (ووالله ما أدري ما أقول لك؟) في امر الاصلاح بين الناس الذين يلتقون بالامام وبين الخليفة، وعن سبب ذلك قال:

٢ ـ (ما أعرف شيئا تجهله) من المؤاخذات على الادارة التي كان يستخدمها الخليفة،

---

(١) في هـ . ب: أي جعلوني سفيراً، وفي هـ . ص: أي جعلوني سفيراً ووسيطاً بينك وبينهم، من الشرح.

(٢) في هـ . ب: ما أعلم ما أقول لك وأنت لا تعلم ذلك، وفي هـ . ب أيضاً: ليس هذا أقوال على أنّه يعلم من العلوم الدينيّة، بل يقول له قولاً ليّناً ويراقب جانبه.

(٣) في هـ . ص: تجهله، أي: من هذه الأحداث خاصّة، وهذا حقّ؛ لأنّ عليّاً عليه السلام لم يكن يعلم منها ما يجهله عثمان، بل كلّ أحد من الصبيان، فضلاً عن العلماء المتميّزين يعلمون وجهي الصواب والخطأ فيها، انتهى من الشرح.

(٤) في هـ . د: شيء ـ ب.

(٥) في هـ . ب: خلونا مع النبيّ بالمدينة.

(٦) في ط: الخير، وفي هـ . د: الخير ـ ح ل.

(٧) هـ . ب: وشيجة: قرابة، هـ . د: وشيجة قرابة منهما ـ هامش ش.

(٨) في هـ . ب: أي زوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله بنت خديجة، وفي هـ . ص: قال ابن أبي الحديد: هذا موضع المثل: «نسرّ حسواً في ارتغاء» ومراده تفضيل نفسه عليه السلام عليهما؛ لأنّ العلّة التي فضّل عثمان باعتبارها محققة فيه وزيادة؛ لأنّ له مع المنافيّة الهاشميّة، فهو أقرب. والوشيجة: عروق الشجرة، انتهىٰ.

(٩) في ب: من لم ينالا، وفي هـ . ب: مالم ينالا ـ صح. من قرابة الرسول صلى الله عليه وآله.

(١٠) شرح نهج البلاغة ٩: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، ط / ١٩٦٢م.

وهم جميعا أقاربه في النسب الامويين، وهم: عبدالله بن سعد بن ابي سرح الاموي، المعروف بعدائه للاسلام، والوليد بن عقبة بن أبي سعد الاموي، ومروان بن الحكم الاموي، ويظهر أنّ مروان كان اشدهم تأثيراً؛ حيث قطعت مؤامراته العلاقة بين الخليفة وبين القاعدة الاسلامية الغاضبة.

٣ ـ (ولا أدلك على أمر لا تعرفه) من المؤاخذات التي تفتقر إلىٰ تصحيح الموقف من الخليفة نفسه.

٤ ـ (إنك لتعلم ما نعلم) من المؤاخذات والشكاوىٰ المرفوعة التي يعلمها عامة الشعب.

٥ ـ (ما سبقناك إلى شئ فنخبرك عنه) فانها ليست بجديدة، وكما هي طبيعة أيّة معارضة فانها تبدأ بالشكاوى الصغيرة التى غالباً مّا تهمل من قبل الحكام، ثم تجتمع حتىٰ تصبح نقمة شعبية عارمة.

٦ ـ (ولا خلونا بشئ فنبلغكه) مؤكداً على أنّ السفارة ليست تخطيطا لمآرب سياسية لم يعلن عنها.

٧ ـ (وقد رأيت كما رأينا) من أصحاب الشكوى الداعين إلىٰ تصفية الادارة من العناصر غير المرغوب فيها والمفضّلة لا لشئ سوى رابطة النسب، مع وجود الصحابة الأكفّاء.

٨ ـ (وسمعت كما سمعنا) عن الاحداث والاحاديث الاسلامية عن النبيّ والصحابة الراشدين.

٩ ـ (وصحبت رسول الله ﷺ كما صحبنا) فإنّ العهد النبوي ليس بعيداً عن الجميع وخاصة الخليفة والسفير.

وهذه النقاط الثمان تكفي في توضيح الموقف من الجانبين.

المؤاخذات:

أشار اليها بكلمة موجزة، هي: (العمل بالحق) الذي قد اُهمل في إدارة الخليفة عثمان في قضيتين:

الأولى: (وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك) فيها من جهة سبقهما في الخلافة، ولم تكن الشكوى ضدهما كما كان بالنسبة إلىٰ عثمان، حيث لم تكن ادارتهما للحكم على اساس التفضيل بالنسب.

الثانية: (وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ وشيجة رحمٍ منهما) والوشيحة: القرابة، حيث

أنّ نسب كل من عثمان والنبيّ ﷺ ينتهي إلىٰ عبد مناف، فالنبيّ هو محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف. وعثمان هو ابن عفان بن ابي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف. والفرق بينهما ظهران . مع أنّ نسب الخليفة أبي بكر ينتهي إلىٰ تيم، ونسب الخليفة عمر ينتهي الىٰ عدي .

فأبوبكر بن أبي قحافة بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وعمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رباح بن عبدالله بن فرط بن عدي، وهما أبعد من عبد مناف. ورابطة النسب يقتضي المحافظة على لوازمها من اتباع السنة الشريفة.

١٢ ـ (وقد نلت من صهره ما لم ينالا) فقد تزوّج برقية بنت النبيّ ﷺ، وهذا ما لم يحصل للخليفتين قبله، والصهر هو الآخر ممّا يقتضي رعاية حقوق النبيّ ﷺ بالالتزام بسنته المطهرة.

(وأنّ العمل بالحق) الذي اشار اليه لا يكون إلّا بالرجوع إلىٰ الكتاب والسنة المطهرة وإدارة الخلافة الاسلامية على هذا الاساس. وتفصيل المؤاخذات في كتب التاريخ.

مطالب هامة:

وقد تضمّن المقطع نصائح هامة لها اثرها في (العمل بالحق) المطلوب في مثل هذا الموقف لإصلاح الإدارة وتصحيح الانحراف.

(٣ / ط - ١٦٤) **المطلب الأوّل ـ التحذير من الانحراف:**

فَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ وَاللّٰهِ مَا تُبَصَّرُ[1] مِنْ عَمىً، وَلَا تُعَلَّمُ مِن جَهْلٍ؛ وَإِنَّ الطُّرُقَ[2] لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ.

وهذا تذكير شخصي لما ذكر به من حقائق شائعة في شخص الخليفة، فقال:

١ ـ (فالله الله في نفسك) على سبيل التحذير، أي أُحذّرك الله في امر نفسك، وذكر الاسباب لهذا التحذير وهي:

٢ ـ (فإنك والله ما تبصر من عمى) لأنّه بحكم سبقه في الاسلام وقرابته للرسول وصهره على بصيرة من الثوابت الاسلامية في العمل بالحق.

٣ ـ (ولا تعلم من جهل) فإنّ المفتقر إلىٰ التعليم هو الجاهل، وعثمان ليس منهم.

٤ ـ (وإن الطرق لواضحة) فإنّ طريق العمل بالحق ليست خافية؛ لوضوحها في القرآن

---

(١) في هـ. ب: ما تبصر من عمى، أي: أنت بصير به وأنت عليم لا حاجة لك إلى غيرك.

(٢) في ص: الطريق.

الكريم نظرياً وفي السنة النبوية عملياً.

٥ ـ (وإن أعلام الدين لقائمة) والأعلام: هي العلامات التي بها يعرف الدين من العمل بالحق في كافة مجالات الحياة الفردية والأُسرية والادارية والسياسية وغيرها.

والتذكير بهذه النقاط الخمس من اولى مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب على كلّ مسلم.

(٤ / ط ـ ١٦٤) **المطلب الثاني ـ التحذير من الجور:**

فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ ٱللهِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ؛ هُدِيَ وَهَدَى[1]، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً؛ وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ[2] لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ ٱلْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ؛ وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ؛ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً! وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ، وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ[3] وَلَا عَاذِرٌ[4]، فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ[5]، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى؛ ثُمَّ يَرْتَبِطُ[6] فِي قَعْرِهَا».

سرد في هذا المقطع ما يرتبط بالتحذير من الجور مبيّناً للمسؤوليات المطلوبة من الامام بقوله:

(فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام) له المواصفات التالية:

١ ـ (عادل) والعدالة في الامام مسؤولية لمصلحة كافة المسلمين من دون تفصيل أو تفضيل.

٢ ـ (هُدىً) بالبناء للمجهول يعلم الثوابت الالهية والاسلامية والمسؤوليات المطلوبة منه في القيادة.

٣ ـ (ويهدي) أفراد المجتمع الاسلامي الىٰ ما يجب عليهم من المسؤوليات في انفسهم وفي غيرهم بما فيهم القائد.

٤ ـ (فأقام سنة معلومة) بتطبيق الحكم الاسلامي المعلوم في المجتمع.

٥ ـ (وأمات بدعة مجهولة) بمعاقبة المتحرفين وتصحيح الانحراف عن الحق ممّا تظهر

---

(١) في ب وص: فهدى.
(٢) في هـ. د: لكثيرة ـ م، وفي الهامش لنيّرة.
(٣) في هـ. ب، وفي نسخة: زيادة: تصير.
(٤) في هـ. ب: معذر.
(٥) في هـ. ب في رواية: في نار جهنّم. وفي ط: في نار جهنّم.
(٦) في ص: يرتبك، وفي هـ. ب: يرتبط يرتبك معاً، ويرتبك: أي ينشب.

من البدع في الدين .

وهذه النقاط الخمس تحدد المسؤوليات العامة للامام الذي يقود المسلمين.

الامام الجائر:

وعن جور الامام، قال:

(وإن السنن كثيرة لها أعلام ، وإن البدع لظاهرة لها أعلام) فإنّ لكل من السنة والبدعة علامات ظاهرة واضحة يستدل عليها بالعمل، وليس بالكلام المجرد عن التطبيق.

(وإنّ شر الناس عند الله إمام) للضلالة يتصف بالصفات التالية:

١ ـ (جائر) بالانحراف عن الحق وإهمال المسؤولية الاسلامية العليا.

٢ ـ (ضلّ) حيث لم يتعرّف على مسؤولياته بالعلم.

٣ ـ (وضُلّ به) بأن يستخدم كواجهة لغيره من اصحاب المصالح الدنيوية.

٤ ـ (فأمات سنّة مأخوذة) عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ ـ (وأحيى بدعة متروكة) تركها النبيّ صلى الله عليه وآله لإماتتها.

وهذه الصفات الخمس هي صفات الامام غير العادل.

ثم استشهد الامام بحديث نبوي في مصير الامام الجائر، فقال:

(وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها») وللحديث دلالة واضحة على شدّة العقوبة الذي يكون للامام الجائر حيث يفقد النصر والقدرة ويعذّب، ثم يظل في قعر جهنم محبوساً ومربوطا.

(٥ / ط - ١٦٤) المطلب الثالث ـ التحذير من القتل:

وَإِنِّي أَنْشُدُكَ ٱللهَ[1] أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ المَقْتُولَ! فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا ٱلْقَتْلَ وَٱلْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ ٱلْفِتَنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلْبَاطِلِ؛ يَموجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ[2] فِيهَا مَرْجاً.

ويظهر من رواية الطبري (ت / ٣١٠ هـ) أنّ الخليفة عثمان كان يتوقع ذلك حيث قال: (فدعا عليا وقال له: قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي).

وفي هذا المقطع يتوقّع الامام ذلك ايضاً حيث قال:

---

(١) في هـ . ب: أي أقسمتك بالله.

(٢) في هـ . ب: يخلطون.

(وإني أنشدك الله أن لا تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنّه كان يقال: يقتل في هذه الامة اماماً يفتح عليها القتل والقتال إلىٰ يوم القيامة وتلتيس امورها عليها وتبث الفتن فيها فلا ينصرون الحق من الباطل، ويموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا) والمرج: الخلط.

وهذه ملحمة سمعها الامام من قبل، ولعله سمعها من النبيّ ﷺ وتشير إلىٰ أنّ القيادة السياسية العليا لابد وان تحل مشاكلها السياسية بالطرق السلمية، فاذا لم تتمكّن من ذلك لابد وان تنقلب النقمة إلىٰ ثورة عارمة، وبالنتيجة يصبح الطريق الموصل إلىٰ الحكم الثورة وليس الطرق السلمية بالشورى التي امر بها الاسلام.

وبهذه النتيجة يحصل التباس الامور وظهور الفتن امواجا متلاطمة واختلاط الحق بالباطل، وهي الحالة السائدة في عصرنا في العراق، فانه بعد الانقلاب على الحكم الملكي حصلت بعد كل ثورة، ثورة اخرى، والله يعلم نهايتها.

(ط - ٦/١٦٤) المطلب الرابع ـ التحذير من تبعيّة مروان:

فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ[1] سَيِّقَةً[2] يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جُلَالِ[3] السِّنِّ، وَتَقَضِّي ٱلْعُمْرِ.

وهو المطلب الخاص الذي يظهر مدى نفوذ الامويين في الادارة الحاكمة، فقد قال عليه السلام:

(فلا تكونن لمروان سيقة) والسيقة: ما يساق من الدواب من قبل العدوّ.

(يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضّي العمر) والجلال: الطول في العمر، وهذا يكشف عن الدور الذي كان لمروان بن الحكم الاموي في ادارة الخليفة عثمان طيلة خلافته، وقد كان عمر مروان آنذاك ٣٣ عاماً، فقد ولد في السنة الثالثة للهجرة، وقد بلغ عند مقتل الخليفة عام ٣٥ هذا السن، وكان له تأثير كبير على الخليفة البالغ من العمر آنذاك ٨٦ عاماً.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«هو مروان بن الحكم بن أبي العباس بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أُميّة الكناني . يكنى أبا عبد الملك ، ولد على عهد رسول الله ﷺ ، منذ سنة اثنتين من الهجرة وقيل عام الخندق ، وقيل يوم أحد ، وقيل غير ذلك . وقال: قوم : بل ولد بمكة ، وقيل : ولد بالطائف . ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب . قال:

---

(١) في هـ. ب: مروان بن الحكم.
(٢) في هـ. ب: سائقاً، وفي هـ. ب: ما يساق من الدواب.
(٣) في هـ. ص: بالضمّ الجليل.

أبو عمر : وممن قال: بولادته يوم أحد مالك بن أنس ، وعلى قوله يكون رسول الله ﷺ قد توفى ، وعمره ثمان سنين . ونحوها . وقيل : إنه لمّا نفى مع أبيه إلى الطائف كان طفلا لا يعقل ، وإنه لم ير رسول الله ﷺ ، وكان الحكم أبوه قد طرده رسول الله عن المدينة ، وسيره إلى الطائف ، فلم يزل بها حتى ولى عثمان ، فرده إلى المدينة ، فقدمها هو وولده في خلافة ، عثمان وتوفى فاستكتبه عثمان وضمه إليه ، فاستولى عليه إلى أن قتل . * * * والحكم بن أبي العاص ، هو عم عثمان بن عفان ، كان من مسلمة الفتح ، ومن المؤلفة قلوبهم ، وتوفى الحكم في خلافة عثمان قبل قتله بشهور . واختلف في السبب الموجب لنفى رسول الله ﷺ ، فقيل : إنه كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله ﷺ إلى أكابر الصحابة في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين ، ويفشي ذلك عنه ، حتى ظهر ذلك عنه [١] . وقيل كان يتجسس على رسول الله ﷺ وهو عند نسائه ، ويسترق السمع ويصغي إلى ما يجرى هناك ممّا لا يجوز الاطلاع عليه ، ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء . وقيل : كان يحكيه في بعض مشيته وبعض حركاته ، فقد قيل النبيّ ﷺ كان إذا مشى يتكفأ[٢] ، وكان الحكم بن أبي العاص يحكيه ، وكان شانئا له مبغضا حاسدا ، فالتفت رسول الله ﷺ يوما ، فرآه يمشى خلفه يحكيه في مشيته ، فقال له : كذلك فلتكن يا حكم . فكان الحكم مختلجا يرتعش من يومئذ».[٣]

ان محاولة الاصلاح الذي قام به الامام انتجت النتيجة التالية:

فقال له عثمان: كَلِّم النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ.

فقال عليه السلام: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ؛ وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ[٤].

(فقال له عثمان (رض): «كلم الناس في أنّ يؤجّلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم») وهذا حلّ معقول فيما يفتقر اليه التأجيل.

---

(١) الخبر في النهاية لابن الأثير ١ : ٣١٠ ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر : أنّ الحكم بن أبي العاص ابن أبي أميّة أبا مروان ، كان يجلس خلف النبيّ ﷺ ، فإذا تكلّم اختلج بوجهه ، فرآه فقال: له : كن كذلك ، فلم يزل يختلج حتى مات أي كان يحرك شفتيه وذقنه استهزاء وحكاية لفعل النبيّ، فبقي يرتعد ويضطرب إلى أن مات .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ٤ : ٢٤ في صفة مشيه عليه الصلاة والسلام : كان إذا مشى تكفى تكفيا ، أي تمايل إلى قدام ، هكذا روى غير مهموز ، والأصل الهمز ، وبعضهم يرويه مهموزا لأنه مصدر تفعل .

(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٦ : ١٤٨ ـ ١٥٠.

(٤) لم ترد «إليه» في ب.

(فقالعليه السلام : ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه) فإنّ التأجيل انما يكون فيما يفتقر اليه، فإنّ المظالم التي بالمدينة التي تحت تصرف الخليفة يمكن حلّها بأمره وطرد مروان مثلا، دون ما ليس في المدينة، فإنّه يفتقر إلىٰ وصول أر الخليفة اليه.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قال: عثمان : هم أقرباؤك أيضا ، فقال على : لعمري إنّ رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل في غيرهم. فقال عثمان : أفلا تعلم أنّ عمر ولى معاوية ! فقد وليته . قال: على : أنشدك الله ألا تعلم أنّ معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ غلامه له ؟ قال: بلى ، قال: فأن معاوية يقطع الأمور دونك ويقول للناس : هذا بأمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه ! ثم قام على ، فخرج عثمان على أثره ، فجلس على المنبر ، فخطب الناس ، وقال: وأمّا بعد فأن لكل شئ آفة ، ولكل أمر عاهة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ، ويسرون عنكم ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون ، أمثال النعام يتبع أول ناعق أحب مواردها إليها البعيد ، لا يشربون إلا نغصا ولا يردون إلا عكرا . وأمّا والله لقد عبتم على ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ، ولكنه وطأكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأتكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم على . وأمّا والله لأنا أقرب ناصرا وأعز نفرا وأكثر عددا ، وأحرى إن قلت : هلم أنّ يجاب صوتي . ولقد أعددت لكم أقرآنا وكشرت لكم عن نابي ، وأخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه ، ومنطقا لم أكن أنطق به . فكفوا عنى ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم ، فما الذي تفقدون من حقكم ! والله ما قصرت عن بلوغ من كان قبلي يبلغ وما وجدتكم تختلفون عليه ، فما بالكم ! فقام مروان بن الحكم فقال: وإن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف . فقال: عثمان : اسكت لا سكت ! دعني وأصحابي ، ما منطقك في هذا ! ألم أتقدم إليك ألا تنطق ! فسكت مروان ، ونزل عثمان».[١]

وقال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«وقد ذكرنا من الاحداث التي نقمت على عثمان فيما تقدم ما فيه كفاية ، وقد ذكر أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريرحمه الله في التاريخ الكبير هذا الكلام ، فقال:نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تكاتبوا ، فكتب بعضهم إلى بعض : أنّ اقدموا ، فإن الجهاد بالمدينة لا بالروم ،

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٢٦٥.

واستطال الناس على عثمان ، ونالوا منه ، وذلك في سنة أربع وثلاثين ، ولم يكن أحد من الصحابة يذب عنه ولا ينهى ، إلا نفر ، منهم زيد بن ثابت ، وأبو أسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، فاجتمع الناس ، فكلموا علي بن أبي طالب عليه السلام وسألوه أنّ يكلم عثمان ، فدخل عليه وقال: له : إنّ الناس . . . وروى الكلام إلى آخره بألفاظه ، فقال: عثمان : وقد علمت أنك لتقولن ما قلت ! وأمّا والله لو كنت مكاني ما عنفتك ، ولا عتبت عليك ولم آت منكرا ، إنما وصلت رحما ، وسددت خلة ، وآويت ضائعا ، ووليت شبيها بمن كان عمر يوليه ، أنشدك الله يا علي ، ألا تعلم أنّ المغيرة بن شعبة ليس هناك ! قال: بلى قال: أفلا تعلم أنّ عمر ولاه ! قال: بلى ، قال: فلم تلومني أنّ وليت ابن عامر في رحمه وقرابته ! فقال: علي عليه السلام : إنّ عمر كان يطأ على صماخ من يوليه ، ثم يبلغ منه إنّ أنكر منه أمرا أقصى العقوبة وأنت فلا تفعل ، ضعفت ورققت على أقربائك». [١]

ومما قال الشارح في ترجمة الخليفة عثمان في المجلد الثاني من شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«... وكان عثمان قد استشار نصحاءه في أمره ، فأشاروا أنّ يرسل إلى علي عليه السلام ، يطلب إليه أنّ يرد الناس ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم ، حتى تأتيه الامداد ، فقال: إنهم لا يقبلون التعليل ، وقد كان مني في المرة الأولى ما كان . فقال: مروان : أعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك ، فإنهم قوم قد بغوا عليك ، ولا عهد لهم . فدعا عليا عليه السلام ، وقال: له : قد ترى ما كان من الناس ، ولست آمنهم على دمي ، فارددهم عني ، فإني أعطيهم ما يريدون من الحق من نفسي ومن غيري . فقال: علي : إنّ الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك ، وإنهم لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيتهم من قبل عهدا فلم تف به ، فلا تغرر في هذه المرة ، فإني معطيهم عنك الحق ، قال: أعطهم فوالله لأفين لهم . فخرج علي عليه السلام إلى الناس ، فقال: إنكم إنما تطلبون الحق ، وقد أعطيتموه ، وإنه منصفكم من نفسه ، فسأله الناس أنّ يستوثق لهم ، وقالوا : إنا لا نرضى بقول دون فعل ، فدخل عليه فأعلمه ، فقال: اضرب بيني وبين الناس أجلا ، فإني لا أقدر على تبديل ما كرهوا في يوم واحد ، فقال: علي عليه السلام : وأمّا ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، ووأمّا ما غاب فأجله وصول أمرك ، قال: نعم ، فأجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام . فأجابه إلى ذلك ، وكتب بينه وبين الناس كتابا على رد كلّ مظلمة ، وعزل كلّ عامل كرهوه . فكف الناس عنه ، وجعل يتأهب سرا للقتال ، ويستعد بالسلاح ، واتخذ جندا ، فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغير شيئا ثار به الناس ، وخرج قوم إلى من

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٢٦٤.

بذي خشب من المصريين ، فأعلموهم الحال ، فقدموا المدينة ، وتكاثر الناس عليه ، وطلبوا منه عزل عماله ورد مظالمهم ، فكان جوابه لهم : إني إنّ كنت أستعمل من تريدون لا من أريد ، فلست إذن في شيء من الخلافة ، والامر أمركم . فقالوا : والله لتفعلن أو لتخلعن أو لنقتلنك ، فأبى عليهم وقال: لا أنزع سربالا سربلنيه الله . فحصروه وضيقوا الحصار عليه». (١)

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٢ : ١٥١ ـ ١٥٢.

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس:

تتضمن عجائب خلق الله وخصّ بالتركيز من الطيور الطاووس، وختمها بذكر الجنّة، ويذكر فيها عجيب خلقة الطاووس.

(١٤ / ط - ١٦٥) **عجائب المخلوقات:**

ابْتَدَعَهُمْ[١] خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ[٢]، وساكِنٍ وَذِي حَرَكاتٍ[٣]. وأقامَ مِنْ شَواهِدِ الْبَيِّناتِ على لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، ما انْقادَتْ لَهُ الْعُقولُ[٤] مُعْتَرِفَةً بِهِ[٥] وَمُسَلِّمَةً[٦] لَهُ، وَنَعَقَتْ[٧] في أَسْماعِنا دَلَائِلُهُ على وَحْدَانِيَّتِهِ.

افتتح المقطع بذكر عجائب خلق الله التي تدل على قدرته العظيمة وحكمته العميمة لجميع المخلوقات، فقال:

(ابتدعهم خلقا عجيبا) والابتداع: خلق المخلوقات من العدم من دون سابق مثال، وكل انواع المخلوقات خلق عجيب في أنفسها، وأشار عليه السلام إلىٰ أنواع أربعة منها:

الأوّل: (من حيوان) من المخلوقات التي لا تموت، وهم الملائكة والجن؛ لأنّها أرواح بلا أجساد.

الثاني: (وموات) وهي التي تموت بعد الحياة، وهم كالانسان والحيوان والنبات.

الثالث: (وساكن) لا يتحرك حركة محسوسة، كما يتحرك الحيوان، والموات كالجبال والتلال.

الرابع: (وذي حركات) محسوسة ممّا ليس من الاقسام الثلاثة كالنجوم في السماء.

فان بهذه الانواع من المخلوقات على ما في كلّ واحد منها من اسرار الخلق الخارجة عن نطاق هذا الشرح تشترك جميعا في الاوصاف التالية:

١ ـ (لشواهد بينات) التي اقامها الله سبحانه ليتدبرها الانسان.

---

(١) في هـ. ب: اخترعهم.

(٢) في هـ. ب: الجماد.

(٣) في هـ. ب: الرياح والماء.

(٤) في هـ. ب: انقاد العقلاء.

(٥) في هـ. ب: مُقرّة.

(٦) في هـ. ب: منقادة.

(٧) هـ. ب وص: صاحت.

٢ ـ (على لطيف صنعته) فإنّ لصنع أيّ نوع منها خصائص لطيفة لا تظهر إلّا لمن يدرسها بالخصوص.

٣ ـ (وعظيم قدرته) في خلق هذه المخلوقات المتناسقة في عالمها الخاص بها، وان هذه الاوصاف تدعوا الانسان المتفكر الىٰ الايمان بوحدانية الله سبحانه.

أوّلاً: (ما انقادت له العقول معترفة به) من الايمان بأنّ الصانع لهذه المخلوقات لا يتصف بالجهل والصدفة والاعتباط، بل العقل.

ثانيا: (معترفة به) اعترافاً بأنّ الخالق لها عالم قادر حكيم، وقد قدّر امور الطبيعة بحيث تنبئ خلق هذه المخلوقات كلها، فإنّ بها يمكن معرفة الخالق.

ثالثا: (ونعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته) والنعق: الصياح، فإنّ كثرة وجود هذه المخلوقات لدكيل صارخ على أنّ الخالق لها لابد وان يكون متوحّداً في صفات الجلال والكمال.

وهذه الحقائق الثلاث من تحكيم العقل ومعرفة الخالق والوحدانية هي نتائج التدبّر في عجائب خلق الله تعالى التي لا نهاية لها.

وقد اكتفىٰ بذكر نوع واحد منها، وهو الطيور، ومثالا واحداً لها، وهو الطاووس، فإنّ التأمّل في ذلك يغني عن غيرها من الطيور ومشاركته مع سائر الطيور في الجنس والفصل يغني عن وصف غيره من الطيور.

(٢ / ط ـ ١٦٥) **الطيور:**

وَما ذَرأَمِنْ مُخْتَلِف صُوَرِ الأَطْيارِ الَّتِي أَسْكَنَها أَخادِيدَ[1] الأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجاجِها[2]، وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِها[3]؛ مِنْ ذوّاتِ[4] أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ وَهَيْئاتٍ مُتَبايِنَةٍ؛ مصرَّفةٍ في زِمامِ التَّسْخِيرِ[5]، ومُرَفْرفَةٍ[6] بِأجْنِحَتِها في مَخارِقِ الجَوِّ المُنْفَسِح[7]، والْفَضاءِ المُنْفَرِج.

(١) في هـ. ب: جمع اخدود: الواسعة بين الجبلين، وفي هـ. ب: جمع اخدود، وهو الشقّ في الأرض.
(٢) في هـ. ب: جمع خرق، وهو الأُخدود، وفي هـ. ص: جمع فجّ، وهو الفضاء بين الجبلين.
(٣) في هـ ب وص: الجبال.
(٤) في ط: ذات، وفي هـ. د: ذات ـ ض ح ب.
(٥) في هـ. ب: التذليل.
(٦) في هـ. ب: رفرف الطائر: إذا حرّك جناحيه.
(٧) في هـ. ب: الواسع.

كَوَّنَها بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ، فِي عَجائِبِ صُوَرٍ ظاهِرَةٍ، وَرَكَّبَها في حِقاقِ[١] مَفاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ[٢]، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعبَالَةِ خَلْقِهِ[٣] أَنْ يَسْمُوَ في الهَوَاءِ[٤] خُفُوفاً؛ وَجَعَلَهُ يَدِفُّ[٥] دَفِيفاً؛ وَنَسَقَها[٦] على اخْتِلاَفِها في الأَصابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ؛ فَمِنْها مَغْمُوسٌ[٧] في قالَبِ لَوْنٍ لا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ ما غُمِسَ فِيهِ، ومِنْها مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ[٨] بِخِلَافِ ما صُبِغَ بِهِ.

ان من دراسة الطيور تعلّم الانسان صنع الطائرة، وسمّى أجزائها بأسماء أجزائها العامة كالجناحان والذيل وما شابه، فان في خلق الطيور دروس لابد وان يشرحها ذوي الاختصاص، وعسى أن يقوم بذلك من له القدرة والكفاءة، والمستفاد لمن يتأمل بالاجمال:

(ما ذرأ) أي خلقه الله سبحانه (من مختلف صور الأطيار) الاوصاف العامة التالية التي تفتقر اليها في حياتها، فعن اماكن تواجدها قال:

١ ـ (أسكنها أخاديد الأرض) والاخدود: الشق، يستخدمها الطيور مسكنا ومأمناً لها، كمساكن القطا.

٢ ـ (وخروق فجاجها) والخروق: الأماكن التي يخترقها الهواء، والفج: الطريق الجبلين وهو مسكن القباج.

٣ ـ (ورواسي أعلامها) الرواسي: الاثقال، والاعلام: الجبال، وتسكنها الصقور والعقبان.

وعن خلقها المتميز عن خلق سائر الحيوان، قال:

١ ـ (من ذات أجنحة مختلفة) باختلاف الاحجام والمقاييس المتناسبة مع أجسامها.

٢ ـ (وهيئات متباينة) في الوزن والطول والعرض وما شابه.

---

(١) في هـ. ب: جمع حقّة، من العظم والعصب واللّحم حول المفصل، وفي هـ. ص: جمع حق، ويعني به مجمع المفصلين من الأعضاء، من الشرح.

(٢) في هـ. ب: من الاحتجاب.

(٣) في هـ. ص: أي كثافة جسمه.

(٤) في أ: في السماء، وفي هـ. د: السماء ـ ف ن م.

(٥) في هـ. ب: دفف الطائر: مرّ فوق الأرض، وفي هـ. ص: أي قرب من الأرض.

(٦) في هـ. ب: أي جعلها مسوقاً.

(٧) في هـ. ب: المغموس هو الشيء المستور تحت الماء أو تحت الطين.

(٨) في أ: قد طرّق.

٣ ـ (مصرّفة في زمام التسخير) فإنّها مؤتمرة بأمر من بيده زمام التسخير، وهو العمل قهراً حسب الطبيعة التي اوجدها الله من اجل ذلك، وفيه اشارة الىٰ قوله تعالى:﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ في جَوِّ ٱلسَّماءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إلّا ٱلله أنّ في ذٰلِك لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

٤ ـ (ومرفرفة بأجنحتها في مخارق الجوّ المنفسح، والفضاء المنفرج) والرفّ: البسط، ومخارق الجو: الفلاة، فان الطيور تعيش في العالم الفسيح بما لايمكن للانسان أو سائر الحيوان.

وعن قدرة الله تعالى في خلق الطيور قال:

١ ـ (كونها بعد أن لم تكن) بخلقها من العدم على غير مثال.

٢ ـ (في عجائب صور ظاهرة) للأبصار المحسوسة؛ لاختلاف تلك الصور في الحجم والمقاييس والوزن.

٣ ـ (وركبها في حقاق مفاصل محتجبة) الحقّ: مجمع المفصلين من الاعضاء، كالركبة، وهذه الحقاق محجوبة بالجلد الذي عليها.

٤ ـ (ومنع بعضها بعبالة خلقة أن يسمو في السماء خفوفا) العبالة: ثقل الجسد، والسموّ: الارتفاع، والخفوف: سرعة الحركة، فإن ثقل الجسم يوجب النزول إلىٰ الارض بقانون الجاذبية.

٥ ـ (وجعله يدف دفيفا) وهو الطيران قريبا من الأرض فإنّ جسمها الثقيل يمنعها من الطيران أعلى من ذلك.

٦ ـ (ونسقها على اختلافها في الأصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته) والصبغ: اللون، والتنسيق: الترتيب، فإنّ لكل من الطيور الوان خاصة بها.

٧ ـ (فمنها: مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه) من أنواع الطيور ذات لون واحد كالغراب، فكأنّه غمس في قالب معد للون السواد فلا يختلط لونه بلون آخر.

٨ ـ (ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به) من الطيور ذات ألوان مختلفة كأنّ الألوان تطوّق جسمها في ترتيب متناسق كالببغاء.

وهذه الأوصاف المحسوسة للطيور انما تحققت بأسباب وعلل تتسلسل إلىٰ العلة

---

(١) النحل ١٦: ٧٩.

الأولى، وهي خلق الله سبحانه وتعالى الذي ميّزها عن غيرها من أصنافها وأنواعها، قال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾(١).

(٣ / ط - ١٦٥) **الطاووس:**

وَمِنْ أَعْجَبِها خَلْقاً الطَّاوُوسُ؛ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكم(٢) تَعْدِيلٍ(٣)، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ(٤) قَصَبَهُ(٥)، وَذَنَبٍ أَطالَ مَسْحَبَهُ؛ إِذَا دَرَجَ إِلَى الأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وسمَا(٦) بِهِ مُطِلّاً(٧) عَلَى رَأْسِهِ؛ كَأَنَّهُ قَلْعُ(٨) دَارِيٍّ(٩) عَنَجَهُ(١٠) نُوتِيُّهُ(١١). يَخْتالُ(١٢) بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ(١٣) بِزَيفَانِهِ. يعدّ الامام الطاووس من أعجب الطيور خلقاً بقوله: (ومن أعجبها خلقا الطاووس) فإنّ الجزيرة العربية لا يوجد فيها هذا الطائر، وكأنّما جلبت إليها فتأملها تأمّلاً دقيقاً ووصفها بالأوصاف المذكورة (معاينة) ـ كما قال ـ وقال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ):«قلت: لم يشاهد أمير المؤمنين عليه السلام الطواويس بالمدينة، بل بالكوفة، وكانت يومئذ تجبئ اليها ثمرات كلّ شيء، وتأتي اليها هدايا الملوك من الآفاق، ورؤية المسافدة مع وجود الذكر والانثى غير مستبعدة».(١٤)

---

(١) الملك ٦٧: ١٩.
(٢) في ط: أحسن.
(٣) في هـ. ب: استقامة: مستقيم.
(٤) في أ: أسرج، وفي هـ. أ: في التكملة عن الجاردعي: المسرج: اللّسان؛ لأنّه يؤلّف الكلام، يقال: سرجت الصوم. سردت أي تابعت.
(٥) في هـ. ب: سرجت العيبة إذا أحلت من اشراجها، وفي هـ. ص: أشرج قصبه، أي: ركّب بعضها فوق بعض كما ان شرج العيبة: أي يداخل بين أشراجها، وهي عراها واحدها شرج، والقصب ـ هاهنا ـ عروق الجناح وغضاريفه وعظامه الصغار، تمت من الشرح.
(٦) في هـ. ب: علا.
(٧) في ص: مظلاً، وفي هـ. ب: مرتفعاً.
(٨) في هـ. أ: شراع، وفي هـ. ب: الشراع، وفي هـ. ص : عن الصحاح: بكسر القاف، والقلع: شراع السفينة، والداري: جالب العطر من البحر من دارين، وهي فرضة في البحرين فيها سوق يحمل إليها المسك من الهند، والنوتي: الملّاح والجمع: نواتي، انتهى من الشرح.
(٩) في هـ. ب: إسم بلد.
(١٠) في هـ. ب: عطفه، وفي هـ. ص عطفه ولوّاه، والنّوتي بالنون والواو والتاء: الملاح .
(١١) في هـ. ب: مَلّاحُه.
(١٢) في هـ. ص: يتبختر.
(١٣) في هـ. ب: أي يتكبر ويتبختر، وفي هـ. ص: يتمايل كثيراً، والزيفان: الخفّة والغرة.
(١٤) شرح نهج البلاغة ٩: ٢٧٠، ط / ١٩٦٢م.

قال الجلالي: راجعت حين كتابة هذا الموضع مؤلّف «المعجم الزيولوجي الحديث» حفظه الله مستفهما عمّا يعرف عن الطاووس ممّا ورد في هذه الخطبة فقال: هل تتصور أني اعلم ما يعلمه امير المؤمنين؟ فقلت: إنّ عليا لم يخبر عن الغيب، بل وصف ما شاهد معلقا على ما سمع عن هذا الطائر الغريب عن الجزيرة العربية، ولا يوجد إلّا في حدائق الحيوانات، وليس في هذه المدينة التي أسكنها وهي النجف الأشرف، ولا في مسقط رأسي كربلاء المقدسة حديقة للانسان فكيف بالحيوان، وعسىٰ أن يقيّض الله من له الاختصاص فيشرح هذه الخطبة شرحاً علمياً بدراسة هذا الحيوان الذي ينبغي أن يكون وجوده درسا للانسان، والله المستعان.

وسرد من أوصاف الطاووس الذي عاينه مايلي:

١ ـ (الذي أقامه في أحكم تعديل) يناسب جسمه من حيث تناسق الاعضاء في الخلق.

٢ ـ (ونضد ألوانه في أحسن تنضيد) بألوان زاهية بنظام بهيّ في الجمال.

ثم شرح هذا التعديل في الخلق بقوله:

٣ ـ (بجناح أشرج قصبه) والقصب: عروق الجناح، وشرح القصبة: ادخال بعض عراها في بعض، فإنّ عروق الجناح داخلة بعضها في بعض بتناسب يظهر حينما يبسط الطاووس جناحه، فترى الالوان الزاهية متناسقة.

٤ ـ (وذنب أطال مسحبه) فهو يسحبه على الارض بسبب طوله.

٥ ـ (إذا درج إلى الأنثى نشره من طيّه) فإنّ الذنب مطويّ عادة، ولكن ينشره في مسعاه الى الانثىٰ.

٦ ـ (وسما به مطلًّا على رأسه) يرفع ذيله عاليا على رأسه لاظهار زينته للانثىٰ.

٧ ـ (كأنه قلع داري عنجه نؤتيه) فإنّ المثل لهذه الحالة من سموّ الذيل ما يأتي:

ـ (قلع) وهو شراع السفينة.

ـ (داريّ) وهو من يأتي بالعطور من داري يحمل المسك اليها من الهند.

ـ (عنجه) والعنج: الجذب بشدة.

ـ (نؤتيه) والنوتي: البحّار.

ووجه الشبه: أنّ البحار يستخدم سرعة فائقة في جذب الشراع في حمل العطور من دارين الى مقصده، والطاووس يرفع ذيله بشدة كشراع السفينة حينما يريد الوصول إلىٰ مقصده.

٨ ـ (يختال بألوانه ، ويميس بزيفانه) والاختيال: العجب، والميس: التبختر، وكذلك الزيفان، وهذا هو مقصدة في رفع ذيله العجب والتبختر.

وهذه الاوصاف ذاتية محسوسة للطاووس مشاهدة بالمعاينة.

(٤/ط - ١٦٥) اللقاح:

يُفْضِي[١] كإِفْضاءِ الدِّيَكَةِ[٢]، وَيَؤُرُّ[٣] بِمَلَاقِحِه[٤] أَرَّ الْفُحُولِ المغْتَلِمَةِ للضِّرَابِ[٥]. أَحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ على مُعايَنَةٍ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ على ضَعِيف إِسْنادُهُ. وَلَوْ كَانَ كَزَعْم مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُها[٦] مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ في[٧] ضَفَّتَيْ[٨] جُفُونِهِ، وَأَنَّ أُنْثاهُ تطْعَمُ[٩] ذَلِكَ؛ ثُمَّ تَبِيضُ[١٠] لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْع الْمُنْبَجس[١١]؛ لمَا كانَ ذلكَ بأَعْجَب مِنْ مُطاعَمَة الغراب[١٢].

خصّ الكلام بلقاح الطاووس للفرق بين ما اشتهر عنه، وبين ما شاهده الامام بالمعاينة، فذكر أوّلاً مشاهدته ثم علّق على ما اشتهر، فقال:

١ ـ (يفضي كإفضاء الديكة) والإفضاء: السفاد للحيوانات والطيور كالنكاح للانسان.

٢ ـ (ويؤر بملاقحة أرَّ الفحول المغتلمة في الضراب) الأرّ: السفاد، والملاقح: آلة اللقاح، والغلمة: الشهوة، والظراب: اللقاح أيضاً، فإنّ حال هذا الطائر الذكر حال الفحول من الحيوانات عند اجتماع اسبابها من الشهوة الىٰ اللقاح.

---

(١) هـ. ب: يصل، هـ. ص: أي يصل إلى أُنثاه ويلقي إليها لقاحه.
(٢) في هـ. ب: إفضاء الديكة للدجاج وصوله إليها عند الجماع.
(٣) في ب: ويأر، وفي ص: ويورُّ، وفي هـ. ب: يلقي النكاح، وفي هـ. ص: ينكح.
(٤) في هـ. ب: من ألقح الفحل الناقة، وفي هـ. ص: جمع ملقح آلة النكاح.
(٥) لم ترد «أرّ الفحول المغتلمة للضراب» في أ وب وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ق ن ش ب، وللضراب ساقطة من م ل.
(٦) في د: تنسجها، وفي هـ. د: تسفحها ـ ض م ح، وبخط الرضيّ تنسجها، تنشحها ـ ل، وفي هـ. أ: تسحها، وفي هـ. ص: تسفحها، ويروى: تسحها، من السح: صبّ الماء. (من الشرح).
(٧) لم ترد «في» في ب.
(٨) في هـ. ب: جانبي، وفي هـ. ص: والضفة بفتح الضاد المعجمة: الجانب، وهما ضفتا النهر، وقد جاء ذلك بالكسر أيضاً (من الشرح).
(٩) في ص: تطعَّم، وفي هـ. أ: التطاعم بالفم.
(١٠) في هـ. ب: من باض يبيض.
(١١) في هـ. ب: الدمع المنبجس: الذي يجيء قليلاً قليلاً.
(١٢) في هـ. ص: تزعم العرب ان الغراب لا يسفد، وانما سفاده مطاعمته، ويقال: أخفى من سفاد الغراب، ويقال: في النعام: انها تلقح بالريح تمر على الظليم فتستنشقها الأُنثى فتبيض، وكل ذلك ـ إذا ثبت ـ غير بعيد في قدرة الله وحكمته.

٣ ـ (أحيلك من ذلك على معاينة) حيث اسند هذا الوصف إلىٰ مشاهدة منه بالعين.

٤ ـ (لا كمن يحيل على ضعيف إسناده) وليس هذا الوصف الحقيقي المشاهد كالوصف الشائع عن الطاووس عند اللقاح؛ لانها شائعة لا اصل لها، وشرح الشائعة بقوله:

٥ ـ (ولو كان كزعم من يزعم أنه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وأن أنثاه تطعم ذلك، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس) ويتضح المعنىٰ لهذه الشائعة من تفسير مفردات كلامه:

السفح: الارسال، وضفة الجفن: جانبيه، والطعم: رشف الدمع، كأنها تأكله، والانبجاس: الانفجار.

فان هذا ـ في نظر الامام ـ ليس سوى شائعة مزعومة؛ لأنّه يناقض ما عاين بنفسه.

ثم استدرك بان هذه الشائعة لو صحت فهناك شائعة اعرف منها اشار اليها بقوله:

٦ ـ (لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب) بان لقاح الغراب بالأكل من المنقار. فإنّ كلي الشائعتين مجرد زعم غريب يتساويان في الغرابة؛ لان اللقاح في الحيوانات لا يكون إلّا بما عليه طبيعة الحيوانات من اللقاح، وبذلك يفترق الحيوان عن النباتات، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«واعلم أنّ قوما زعموا أنّ الذكر تدمع عينه ، فتقف الدمعة بين أجفانه ، فتأتي الأنثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة ، وأمير المؤمنين عليه السلام لم يحل ذلك ، ولكنه قال: ليس بأعجب من مطاعمة الغراب ، والعرب تزعم أنّ الغراب لا يسفد ومن أمثالهم : " أخفى من سفاد الغراب " فيزعمون أنّ اللقاح من مطاعمة الذكر والأنثى منهما ، وانتقال: جزء من الماء الذي في قانصته إليها من منقاره . ووأمّا الحكماء فقل يصدقوا بذلك ، على أنهم قد قالوا في كتبهم ما يقرب من هذا ، قالوا في السمك البياض : إنّ سفاده خفى جدا ، وإنه لم يظهر ظهورا يعتد به ويحكم بسببه . هذا لفظ ابن سينا في كتاب " الشفاء " ثم قال: والناس يقولون : إنّ الإناث تأخذ زرع الذكور في أفواهها إلى بطونها ، ثم قال: وقد شوهدت الإناث منها تتبع الذكور مبتلعة للزرع ، ووأمّا عند الولادة فإن الذكور تتبع الإناث مبتلعة بيضها».[1]

(ط - ٥/١٦٥) جناح الطاووس:

تَخالُ[2] قَصَبهُ مَدَارِيَ[3] منْ فِضَّةٍ، وما أُنْبَتَ عليْها مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِه[4] وشُمُوسِهِ[5]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٢٧٠.

(٢) في هـ . ب: تظن.

(٣) في هـ . ب: مداراة، جمع مدارةٍ: وهي الهالة، وهي ـ هاهنا ـ مجاز واستعارة، وفـي هـ . ص:

خالِصَ الْعِقْيان[٦] وَفِلَذَ[٧] الزَّبَرْجَدِ[٨]، فإِنْ شَبَّهْتَهُ بمَا أَنْبَتَتِ ٱلأَرْضُ قُلْتَ: جَنِيٌّ جُنِيَ[٩] منْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ[١٠]، وإنْ ضاهَيْتَهُ[١١] بالْمَلاَبِسِ[١٢] فَهُوَ كَمَوشِيِّ[١٣] الْحُلَلِ، أوْ مُونِقِ[١٤] عَصْبِ[١٥] الْيَمَنِ[١٦]، وإنْ شَاكَلْتَهُ بالحُليِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قدْ نَطَقَت[١٧] باللجيْنِ[١٨] ٱلمُكَلَّلِ[١٩].

ووصف جناح الطاووس وصفا عينياً بامور محسوسة، منها:

الاعيان المثبتة:

ـ تخال قصبه مداري من فضة) والقصب: عمود الريش كالعماد للأجنحة، والمدراة: المشط، شبّه الامام عظام اجنحة الطاووس بأسنان المشط في بياضها.

ـ (وما أنبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد) وكأنك حينما تنظر الى الريش تخال أنّ ما انبتت على الأجنحة هي هالات القمر، وضياء انوار الشمس كالذهب الخالص والقطعة من الزبرجد.

والدارة: هالة القمر، والعقيان: الذهب، والفلذة: القطعة، والزبرجد: من الاحجار الثمينة.

فان الطاووس حينما ينشر جناحيه يتخيّل للناظر هذه الاوصاف المشابهة للمحسوسات المتوفرة في الاشياء الثمينة مادّياً في الحياة.

الازهار الزاهية:

جمع مدري، وهو شيء كالمسكة تصلح به الماشطة شعور النساء.
(٤) في هـ. ص: جمع دار، وهي: ما تدور في ريشه.
(٥) في هـ. ص: شبيهة الشمس.
(٦) في هـ. ب: الذهب، وفي هـ. ص: هو الذهب.
(٧) في هـ. ص: جمع فلذة: قطعة.
(٨) في هـ. ص: حجر من الجواهر، أخضر.
(٩) لم ترد «جني» في أ وب.
(١٠) في هـ. ص: لاختلاف ألوانه وأصباغه.
(١١) في هـ. ب: شابهته، وفي هـ. ص: شاكلته وماثلته.
(١٢) في ب: باللّباس، وفي هـ. ب: بالملابس ـ صح.
(١٣) هـ. ب: مزيّن، هـ. ص: هو ما دبّج بالوشي، وهو الإبريسم الملوّن.
(١٤) في هـ. د: أو كمونق ـ ض ح، وفي هـ. ب: مونق، أي: معجب.
(١٥) في هـ. ب: العصب، أي: البُرد من اليمن .
(١٦) في هـ. ص: ضرب من الثياب تصنع باليمن.
(١٧) هـ. ب: نطّقت أي تجعل منطقة.
(١٨) في ب: في اللجين.
(١٩) اللجين: الفضة، والمكلل: المزين بالجواهر.

وفي وصف العين المشابه لازهار النباتات، قال:

ـ (فإن شبهته بما أنبتت الأرض قلت: جني جُني من زهرة كلّ ربيع) الجني: الشيئ المجتنىٰ، فإنّ الأجنحة المنتشرة للطاووس تشبه ازهار الربيع الزاهية المنتقاة من كلّ زهرة حينما تكون مجتمعة في مكان واحد للزينة بها؛ لاختلاف الالوان الزاهية فيها.

الملابس الفاخرة:

وفي وصف الاجنحة الطاووس عينا بالملابس، قال:

(وإن ضاهيته بالملابس، فهو كموشي الحلل أو مونق عصب اليمن) والموشي: المنقوش، والحلي: ما تلبسه المرأة للزينة من الذهب والفضة، والعصب: برود اليمن.

وأجنحة الطاووس تضاهي تلك الملابس الفاخرة التي تتحلىٰ بها المرأة زينة في حياتها.

الحلى الثمينة:

وفي وصف عينيّ آخر مشابه للحلي التي تستخدمها النساء قال:

(وإن شاكلته بالحليّ، فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللّجين المكلّل) والفصّ: الحجر الثمين الذي يستخدم للزينة كالياقوت والألماس، واللجين: الفضة الخالصة، والمكلل: المزيّن بالجواهر، والنطاق: الحزام، فإنّ لأجنحة الطاووس تشابه مع الاحجار الثمينة المختلفة الالوان، وهي تزيّن النطاق المصنوع من الفضة الخالصة اللامعة بياضاً، وهو مزين بتلك الجواهر الثمينة.

مشي الطاووس: (٦ / ط - ١٦٥)

يَمْشِي مَشْيَ المَرِحِ[١] اَلْمُخْتالِ[٢]، وَيَتَصَفَّحُ[٣] ذَنَبَهُ وجَناحَيْهِ[٤]، فيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمالِ سِرْبالِهِ[٥] وأَصَابِيغ وَشاحِهِ[٦]. فإذا رَمىٰ بِبَصَرِهِ إلى قوَائِمِهِ زَقَا[٧] مُعْوِلاً بصوت[٨] يكادُ يُبِينُ عنِ اَسْتِغاثَتِه، ويَشْهَدُ بِصادِقِ تَوَجُّعِهِ، لأَنّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ[٩] كَقَوَائِمِ

---

(١) المرح: المعجب.
(٢) المختال: الزاهي بحسنه.
(٣) في هـ. د: يتصفّح ـ م، وفي هـ. ب: ينظر إلى ذنبه.
(٤) في ب: وجناحه.
(٥) في هـ. ب: ثوبه.
(٦) الوشاح: أديم عريض مرصّع بالجواهر يلبس ما بين العاتق والكشح.
(٧) في هـ. ب: زقا: أي صاح.
(٨) في هـ. د: لم ترد «بصوت» في ب.

الدِّيَكَةِ الخَلاَسِيَّةِ[١٠]،[١١].

وعن مشي الطاووس قال:

١ ـ (يمشي مشي المرح المختال) والمرح: الفرح، والمختال: من له العجب.

٢ ـ (ويتصفّح ذنبه وجناحيه) مفتخرا بجمال نفسه بطول الذنب وجمال الجناح.

٣ ـ (فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله وأصابيغ وشاحه) والسربال: اللباس، وهو ما ألبسه الله من جمال المنظر المستوجب للضحك إلى حد القهقهة، والصبغ: اللون، والوشاح: قلادة زينة مكوّنة من اللؤلؤ والجوهر.

٤ ـ (فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته، ويشهد بصادق توجّعه) القوائم: الساق، والزقاء: الصيحة الثقيلة، والعويل: البكاء بالصوت العالي.

وعن السبب في هذا التوجّع والاستغاثة، قال:

٥ ـ (لأن قوائمه حمشٌ كقوائم الديكة الخلاسية) والحمش: الدقيق الرفيع، والديكة الخلاسية: المتولدة من الدجاج الهندي والفارسي.

قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ): «يقول عليه السلام: إنّ الطاووس يُزهي بنفسه؛ ويتيه إذا نظر في أعطافه، ورأى ألوانه المختلفة؛ فإذا نظر إلىٰ ساقيه وجم لذلك وانكسر نشاطه وزهوه، فصاح صياح العويل لحزنه؛ وذلك لدقّة ساقيه ونتوء عرقوبيه».[١٢]

قال الجلالي: اني لم أنعم برؤية الطاووس عيانا سوى زغابات من ريشه جلبت من الهند هدية لتجعل علامة لمواضع الصفحات المتلوّة من القرآن الكريم، لندرتها وجمالها، وقالت والدتي العلوية حفظها الله: إنّ بقدر ما فيها من جمال المنظر لها صوت قبيح ينفر الطباع. وسمعت ذلك ممن رآها ايضا، وهي أيضاً لم ترها رأي العين وان كان مشاهدة صورها يغني عن ذلك، ولكن ليس البيان كالعيان.

(٧ / ١٦٥ ـ ط) خلقة الطاووس:

وقَدْ نَجَمَتْ[١٣] **منْ ظُنْبُوب**[١٤] **ساقِهِ صِيصِيَّةٌ**[١٥] **خفِيَّةٌ.**

---

(٩) في هـ. ب: دقاق.

(١٠) في هـ. أ: الديك الخلاسي، أي ذو لونين.

(١١) في هـ. ب: الخلاسي: الذي من الأهلي والهندي، والخلاس موضع، وفي هـ. ص: هي المتولدة بين الدجاج الهندي والفارسي، انتهى من الشرح.

(١٢) شرح النهج ٩ ـ ٢٧٣، ط / ١٩٦٢.

(١٣) في هـ. ب: طلعت، وفي هـ. ص: أي خرجت.

(١٤) في هـ. ب: عظم الساق، وفي هـ. ص: هو حرفه وجانبه.

ولَهُ في مَوْضعِ الْعُرْفِ قنزعة[١٦] خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ[١٧]، ومَخْرَجُ عُنْقِهِ كالإْبرِيقِ، ومَغْرَزُها إلى حيثُ بَطْنَهُ كَصِبْغِ ٱلوَسِمَةِ ٱلْيمانِيَّة[١٨]، أوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرآة ذَاتَ صِقالٍ[١٩]، وكأَنَّهُ مَتَلَفَّعٌ[٢٠] بِمعجَرٍ أَسْحَمَ[٢١]، إلّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكثرَةِ مَائِه[٢٢]، وشِدَّةِ بَرِيقه[٢٣]، أنّ الخضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمتَزِجَةٌ[٢٤] بهِ.

وقد وصف عليه السلام الطاووس في خلقها، فقال:

١ ـ (وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفيّة) النجوم: الظهور، والظنبوب: حرف الساق، والصيصة: الشوكة.

٢ ـ (وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة) العرف: الشعر المرتفع علىٰ الرأس، والقنزع: القطعة من ذلك، والوشي: النقش.

٣ ـ (ومخرج عنقه كالإبريق) في الطول والحجم.

٤ ـ (ومغرزها إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية أو كحريرة ملبّسة مرآة ذات صقال) والغرز: موضع التصاق العنق بالجسد. والوسمة: نبات يستخدم لونه خضاباً. والصقال: جلاء اللون.

فكان هذا المقطع من الجسم لونه يشبه لون السواد المستعمل للوسمة، وفي الصفاء كالحريرة السوداء الصقيلة.

٥ ـ (وكأنه متلفّع بمعجر أسحم) والمعجر: ثوب تغطي المرأة رأسها به، والاسحم: الاسود لونا. والمتلفّع: الملتحف، فيكون ذلك كالمغطية رأسها بذلك .

(إلا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه أنّ الخضرة الناضرة ممتزجة به) فإنّ اللون ليس

---

(١٥) شوكة مرتفعة تكون في رجل الديك، وفي هـ.ص :شوك مرتفع.
(١٦) القنزعة: خصيلة شعر تترك على رأس الصبي، وفي هـ . ب: شعر حوالي الرأس، وفي هـ . ص: شعر مرتفع.
(١٧) في هـ . ب: منقّش، وفي هـ . ص: منقوشة.
(١٨) في هـ . ص: صبغ أسود، وهو النيل.
(١٩) الصقال: الجلاء.
(٢٠) في أ وص :متقنّع، وفي هـ . د: مقنع، ف م، وروي متقنع ـ ك، وفي هـ . ب: متلفّع بمعجر: متقطّع بمقنعة، وفي هـ . ص: لابس قناع، ويروى: «متلفّع» أي ملتحف، والمعجر: ما يعتجر به نحو ما تشدّه المرأة على رأسها، كالرداء.
(٢١) الأسحم: الأسود، وفي هـ . ب: أسود.
(٢٢) في هـ . د: لكثرة ـ ما به ـ ف، وفي هـ . ب: أي: بالرونق.
(٢٣) في هـ . ب: لمعانه.
(٢٤) في هـ . ب: مختلط .

سواداً محضا، بل الخضرة الممتزجة بالسواد.

وكنّىٰ عليه السلام عن الخضرة والنظارة بالماء، وقد سمعت العرب الواردين لشراء الطعام إلىٰ قرية الدسم من سواد الحلة، يعبرّون عن الشباب بالطري والريّان، كما نعبّر نحن في الحضر عن الفواكه بذلك.

(٨/ط - ١٦٥) **علامة الطاووس:**

ومَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَط كُمسْتدِقِّ الْقَلَمِ[١] في لَوْن الأُقْحُوَانِ[٢]، أبْيَضُ يَقِقٌ[٣]، فَهُوَ بِبَياضِهِ في سَوَادِ ما هُنالِكَ يَأتَلِقُ[٤].

وعن العلامة الخاصة بالطاووس قال:

(ومع فتق سمعه خط) السمع الاذن المثقوبة وآلة للسماع والخط: العلامة.

١ ـ (كمستدق القلم) إشارة إلىٰ رأس القلم في الدقة عرضا.

٢ ـ (في لون الأقحوان) وهو نبات له زهرة صفراء صغيرة في الوسط يحفظ بها أوراق من الزهر الابيض الصغير.

٣ ـ (أبيض) فإنّ لون الأُقحوان الىٰ البياض اميل.

٤ ـ (يقق) أي خالص، بمعنى انها كذلك بالأصالة الطبيعية وليست عارضية.

٥ ـ (فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلّق) أي يلمع نتيجة هذا اللون الاقحواني المحاط بالسواد.

وهذه علامه خاصة بالطاووس.

(٩/ط - ١٦٥) **الوان الطاووس:**

وقَلَّ صبْغٌ إلَّا وقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ[٥]، وعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقالِه، وبَصِيص[٦] دِيبَاجِهِ ورَوْنَقِهِ[٧]، فَهُوَ كالْأَزَاهِيرِ المَبْثُوثَةِ[٨]، لم تُرَبِّهَا[٩] أمْطَارُ رَبِيعٍ، ولا شُمُوسُ[١٠] قَيْظٍ.

---

(١) في هـ . ب: كمستَدقّ القلم : القلم الدقيق.
(٢) في هـ . ب: البابونج، وهو نوع من النبات، وفي هـ . ص: هو البابونج الأبيض، وجمعها: قاح.
(٣) في هـ . ص: أي خالص البياض، وجاء: «يقِق» بالكسر، انتهى من الشرح.
(٤) في هـ . ب وص: يلمع.
(٥) أي: بنصيب.
(٦) في هـ . ب: بص، وفي هـ . ص: هو البريق، وبصّ الشيء: لمع، انتهى من الشرح.
(٧) الرونق: الحسن.
(٨) أي: الأزهار المنتشرة.
(٩) في هـ . ص، وفي نسخة: تربها، وفي هـ . ب: لم يجمعها.
(١٠) في هـ . ب: جمع شمس.

وعن اجتماع الالوان المختلفة في الطاووس قال:

(وقل صبغ إلّا وقد أخذ منه بقسط وعلاه) لكثرة الألوان المختلفة في الطاووس، ولكن اللون الذي في الطاووس يعلو على نفس اللون في غيره بأسباب هي:

١ ـ (بكثرة صقاله) وهو الجلاء.

٢ ـ (وبريقه) وهو اللّمعان.

٣ ـ (وبصيص ديباجه) البصيص: اللمعان، والديباج: الزينة.

٤ ـ (ورونقه) وهو الحسن.

واجتماع هذه الأسباب جعل من الالوان المجتمعة منظراً عجيباً مثّله بقوله:

(فهو كالأزاهير المبثوثة لم تربّها أمطار ربيع ولا شموس قيظ) والبثّ: النشر، والتربية: الانماء. والقيظ: الحر، فإنّ هذه الألون الطبيعية المشاهدة في الحسن والجمال لألوان الازهار الطبيعية لا تفتقر إلىٰ ما تفتقر اليه الازهار من التربية والإنماء اعتماداً على امطار الربيع ثم اقتباساً من نور الشمس في الصيف.

قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ): «يقول عليه السلام: كأنّ هذا الطائر ملتحف بملحفة سوداء، إلّا أنّها لكثرة رونقها يتوّهم أنه قد امتزج بها خضرة ناضرة، وقلّ أن يكون لون إلّا وقد أخذ هذا الطائر منه بنصيب، فهو كأزاهير الربيع، إلّا أنّ الازهار تربّيها الأمطار والشموس؛ وهذا مستغنٍ عن ذلك».[(١)]

($\frac{١٠}{ط ـ ١٦٥}$) الريش الجديد:

وقدْ يَتَحَسَّرُ[(٢)] من رِيشِهِ ويَعْرَى منْ لبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى[(٣)]، ويَنْبُتُ تِبَاعاً[(٤)]، فَيَنْحَتُّ[(٥)] منْ قَصَبِه انْحِتات أوْرَاقِ الأَغْصَانِ، ثمَّ يَتَلَاحَقُ نامِياً حتّى يَعُودَ كَهيئَتِه قبْلَ سُقُوطِه، لا يُخالِفُ سالِفَ أَلْوَانِه، ولا يَقعُ لَوْنٌ في غَيرِ مكانِه.

وعن تجديد الطاووس ريشه في كلّ عام مرّة كسائر الطيور، قال:

١ ـ (وقد يتحسّر من ريشه) والإنحسار: الكشف بسقوط الريش الذي عليه ليكسب ريشاً جديداً.

---

(١) شرح نهج البلاغه ٩: ٢٧٥، ط / ١٩٦٣.

(٢) في أ و ب وص : ينحسر ، وفي هـ. ص: وروي «يتحسر» من الشرح، وفي هـ. د: ينحسر ـ م ك ح.

(٣) في هـ. ص: أي شيئاً بعد شيء مع تراخٍ وفترات.

(٤) في هـ. ص: أي متتابعاً بلا فترات.

(٥) من النحت: السقوط والتقشّر.

٢ ـ (ويعرى من لباسه) حيث أنّ الريش يغطي بدنه كاللباس للانسان.

٣ ـ (فيسقط تترى) أي شيئاً بعد شيءٍ، وبينهما فترة، فيكون السقوط تدريجا، كسقوط الاوراق من الاشجار في الخريف.

٤ ـ (وينبت تباعا) فينبت الريش بعد السقوط تابعاً له، كما هي الحالة الطبيعية في الموجودات النامية، ولا ادري لماذا قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ): «لا فترات بينهما، وكذلك حال الريش الساقط يسقط شيئاً بعد شيءٍ وينبت جميعه».[1] ولعل الامر كذلك.

ونتيجة هذا التجديد الطبيعيّ قال:

(فينحت من قصبه انحتات أوراق الأغصان ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه) والانحتات: السقوط، كما هي الحال في الاشجار بنفس المواصفات التي كانت سابقا.

واشار هنا الى امرين هما:

أوّلاً: (لا يخالف سالف ألوانه) التي كانت عليها من قبل.

ثانيا: (ولا يقع لون في غير مكانه) لمكان الجينات التي خلقها الله سبحانه فيها.

(١١ / ط - ١٦٥) شعرة الطاووس:

وإذا تَصفَّحْتَ[2] شَعْرَة منْ شَعَرَاتِ قَصَبِه أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً[3]، وتارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً[4]، وأحْياناً صُفْرَةً عَسجَدِيَّةً[5].

ووصف الذي يكون علىٰ الطاووس بقوله:

(وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه) فترى ما في كلّ قصبة أيضاً في كلّ شعرة منها، وكل شعره تتصف بما يأتي:

١ ـ (أرتك حمرة وردية) فإنّ حمرة الورد خاصة بها لا يشاركها حمرة أُخرىٰ.

٢ ـ (وتارة خضرة زبرجدية) الزبرجد: هو الزمرّد، وهو من الاحجار الكريمة ذات لون خاص من الخضرة.

٣ ـ (وأحيانا صفرة عسجدية) والعسجد: الذهب، وصفرتها ـ أيضاً ـ خاصة به.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩ : ٢٧٦، ط / ١٩٦٢م.
(٢) في هـ. ب، وفي نسخة: تأملت.
(٣) في هـ. ص: منسوبة إلى الورد.
(٤) في هـ. ص : نسبة إلىٰ الزبرجد.
(٥) في هـ. ب: ذهبية، وفي هـ ص: نسبة إلى العسجد، وهو الذهب.

وهذه الالوان المختلفة توجد في كلّ قصبة من قصبات الطاووس، كما توجد في كلّ ريشة في تلك القصبة.

(١٢ / ط - ١٦٥) العجز عن الوصف الكامل:

فَكَيْفَ[١] تَصِلُ إلى صِفَةِ هذا عَمائِقُ[٢] الْفِطَنِ، أوْ تَبْلُغُهُ قَرائِحُ[٣] ٱلْعُقُولِ، أوْ تَسْتَنْظِمُ[٤] وَصْفَهُ أقْوَالُ ٱلْوَاصِفِينَ، وأقَلُّ أجْزَائِه قدْ أعجَزَ الأوْهامَ أنْ تُدْرِكَهُ[٥]، والأَلْسِنَةَ أنْ تَصِفَهُ[٦].

وهذه الاوصاف الظاهرة في الطاووس محسوسة لكل انسان، ولكن الاسباب الخفيّة التي أدّت الى ظهور هذه الصفات في هذا المخلوق، وجمعه للألوان المختلفة والجينات التي توجب هذا التناسق لا تزال مجهولة للانسان، فان العلم لم يخترع هذه الاسباب قط، بل تمكّن من اكتشافها فقط، فكم فرقٌ بين الاختراع والاكتشاف؟.

والىٰ هذه الحقيقة أشار الامام بقوله:

(فكيف تصل إلى صفة هذا) حقيقة للاسباب المؤثرة في هذه الخصائص، فإنّ ذلك حكمة خاصة بالباريء سبحانه الذي خلق الطاووس، فلا يمكن للفكر المادّي أن يصل إلىٰ ذلك بواسطة ماديّة هي:

أوّلاً: (عمائق الفطن) والعمق، البُعد في القعر؛ لان فكر الانسان مهما كان عميقا يخرج من كونه من انسان مادى محدود بالمادة.

ثانيا: (أو تبلغه قرائح العقول) والقريحة: الخاطر والذهن؛ لان القريحة انما تكون من الذهن المادي.

ثالثا: (أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين) لأنّهم مهما قالوا فلا يكون أقوالهم عن مشاهدة عين اليقين، لقصورهم عمّا وراء الطبيعة؛ فإنّ هذه الاسباب تحاول فهم ما وراء الطبيعة بالمقاييس الطبيعية، وهذا مالا يمكن أن يحصل.

وعن استحالة ذلك قال:

(وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، والألسنة أن تصفه) لأنّ العجز إذا كان في

---

(١) في أ ود: وكيف، وفي هـ. د: فكيف ـ ض ب ح ل ش .
(٢) في هـ. ب: العمائق: الأشياء البعيدة، وفي هـ. ص: بعيدة العمق.
(٣) في هـ. ب: القريحة الخاطر والذهن، وفي هـ. ص: قوّة العقل المدركة.
(٤) في هـ. ب: من الانتظام.
(٥) في ب : يدركه.
(٦) في ب : يصفه.

اقل الاجزاء فطبيعيّ أن يكون في أكبر الأجزاء بطريق أولى.

فلا محيص لمعرفة هذه الحقائق بالطرق المادية، بل لابد من الاعتراف بعجز الفكر المادي عن معرفة حقائق ما وراء الطبيعة.

(١٣/ط - ١٦٥) **العبرة:**

فسُبْحانَ الذِي بَهَرَ[١] الْعُقُول عنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاهُ[٢] لِلْعُيُونِ، فأدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، ومُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وأعجَزَ ٱلأَلْسُنَ عنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بها عنْ تأدِيَةِ نَعْتِه.

وختم المقطع بأنّ العبرة المستفادة من خصائص الطاووس تقتضي الايمان، بقوله:

١ ـ (فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون، فأدركته محدودا مكونا، ومؤلّفا ملوّنا) البهر: الغلبة، والجلاء: الظهور. فان الآثار في خصائص الطاووس في التلوين والاوصاف ظاهرة للعيون مع عجز الانسان عن معرفة اسبابها.

٢ ـ (وأعجز الألسن عن تلخيص صفته) وصفا حقيقياً.

(وقعد بها عن تأدية نعته) نعتاً كاملا.

فليس للفكر الانساني سوى الاستدلال بأنّ لهذه الآثار مؤثر في الوجود، وهو الخالق سبحانه.

(١٤/ط - ١٦٥) **سائر المخلوقات:**

وسُبْحانَ[٣] مَنْ أدْمَجَ[٤] قَوَائِمَ الذَّرَّةِ[٥]، والهَمَجَةِ[٦] إلى ما فَوْقَها مِنْ خَلْقِ ٱلحِيتَانِ وٱلأَفْيِلَةِ[٧]، وَوَأى[٨] على نَفْسِهِ أنْ لا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ[٩] مِمَّا أوْلَجَ فيهِ الرُّوحَ إلَّا وجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، والفَنَاءَ غايَتَهُ.

واشار إلىٰ أنّ العبرة من دلالة الآثار على وجود خالقها جارية في سائر المخلوقات من ذوي الأرواح التي تسير في سيرها التكاملي من الولادة إلىٰ الموت.

---

(١) في هـ. ب: غلب، وفي هـ. ص: أي غلب وحيّر.
(٢) في هـ. ب: جلاه من جلوت العروس إلى زوجها.
(٣) في ب وص: فسبحان.
(٤) في هـ. ب: أدمج القوائم: أحكمها، وفي هـ. أ: أحكم.
(٥) في هـ. ب: النمل.
(٦) الهمجة ـ محرّكة ـ: واحدة الهمج: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم، وفي ط ود: والفيلة.
(٧) في هـ. ب، وفي نسخة: والفيلة، وفي هـ. د: والافيلة ـ ش وفي الهامش: الفيلة.
(٨) في هـ. ب وص: وعد وقضى.
(٩) في هـ. ب: شخص.

الحقيقة الأولى: (وسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة إلى ما فوقهما من خلق الحيتان والأفيلة).

وهذه أربعة اصناف من المخلوقات متناقضة في الحقائق ومتفاوتة في الاحكام والمتباينة في الخلق، وهي جميعاً لها قوائم أي أرجل خاصة بها للسير الىٰ مقاصدها، والدمج: ابداع هذه الوسائل لها كي تستخدمها في أغراضها كالارجل للانسان الذي يستخدمها للوصول الى مقاصده في الحياة.

وهذه الاربعة هي:

أوّلاً: الذرّة، اي النملة، والذر: اصغر النمل حجما ووزنا.

ثانيا: الهجمة: وهي الذبابة، وهي اصغر الطيور حجماً وزنا.

ثالثا: الحيتان، وهي الاسماك فإنّ زحانفها تستخدم كوسيلة للانتقال في المياة، ويختلف انواعها الىٰ حدّ لا يعلمه إلّا الله من حيث الحجم والوزن.

رابعا: الفيلة ، وهي اعظم الحيوانات علىٰ الارض حجماً ووزنا.

ولهذه الاصناف الاربعة خصائص تدل على حكمة في خلقها تنتهي الىٰ العلّة الأولى تعالىٰ.

الحقيقة الثانية: ان لسائر المخلوقات جميعاً مصير واحد، هو الفناء بالموت، فقال: (ووأى على نفسه أن لا يضطرب شبح ممّا أولج فيه الروح إلّا وجعل الحمام موعده، والفناء غايته) والوأي: الوعد، والشبح: المتشخص من الشئ، والحمام: الموت.

فان بالموت فناء الحياة في الدنيا.

وهاتان الحقيقتان اللتان: لا يمكن لاي أحد أن ينكرها، وهما الآثار الحكمية في سائر الخلق، والموت الذي هو مصيرها جميعا، توجبان الايمان بأن لها مؤثر ينتهي في سلسلة العلل إلىٰ العلة الأولى الواجب الوجود ﴿الذي يحيي ويميت واليه ترجعون﴾[1].

(١٥ / ط - ١٦٥) صفة الجنّة:

مِنها: في صِفَةِ الجنَّةِ:

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ ما يُوصَفُ لكَ مِنْها، لَعَزِفَتْ[2] نَفْسُكَ[3] عَنْ[4] بَدَائِعِ ما

---

(١) يونس ١٠: ٥٦.

(٢) في هـ. د: لغرقت ـ ض ب .

(٣) في هـ. ب: زهدت فيها وكرهت، لانصرفت.

(٤) في هـ. ب: من ـ ب .

أُخْرِجَ إلى الدُّنْيا منْ شَهَوَاتِها، ولَذَّاتِها، وَزَخارِفِ مَناظِرِها، ولَذَهِلْتَ[١] بالْفِكْرِ في اصْطِفاقِ[٢] أشجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُها في كُثْبانِ الْمِسْكِ على سَوَاحِلِ أنْهارِها، وفي تَعْلِيقِ كَبائِسِ[٣] اللُّؤلُؤِ الرَّطْبِ في عَسَالِيجِها وأفْنائِها[٤]، وطُلُوعِ[٥] تِلْكَ الثِّمارِ مُخْتَلِفَةً في غُلُفِ[٦] أكمامِها[٧]، تُجنَى[٨] منْ غيرِ تَكَلُّفٍ، فَتأتِي على مُنْيَةِ[٩] مُجْتَنِيهَا، ويُطافُ على نُزَّالِها[١٠] في أفْنِيَةِ قُصُورِها بالأَعْسالِ[١١] ٱلْمُصَفَّقَةِ[١٢]، والْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ[١٣]، قَوْمٌ لمْ تَزَلِ ٱلكَرَامَةُ تَتَمادَى[١٤] بِهِمْ حَتى حَلُّوا دَارَ ٱلقَرَارِ[١٥]، وأمِنُوا نُقْلَةَ ٱلأَسْفارِ.

يتضمن هذا المقطع الاخير صفة الجنّة، وان معرفتها تستلزم أمرين: العزوف عن الدنيا، والذهول في حقائقها، ثم وصف أهل الجنّة وحقيقة الشوق إليها.

واشار في مفتتح المقطع الى أنّ الجنّة لا يمكن أن توصف إلّا بالبصيرة القلبية، وليس بالباصرة الجسمية، فقال:

(فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها) فإنّ هذه البصيرة القلبية تستلزم أمرين:

الامر الأوّل: العزوف عن الدنيا بالانصراف عنها، والتوجّه إلىٰ الآخرة، فقال:

(لعزفت نفسك عن بدائع ما أخرج إلى الدنيا) وذكر منها ثلاث طوائف، هي:

---

(١) في هـ. ب: غفلت.

(٢) في هـ. ب: إضطراب، وفي هـ. ب: والرواية الصحيحة: لذهلت الفكر في اصطفاق الأشجار، كقول الشاعر:

كأنّ النحل صفت من ... حواسر ناشراتٍ

جمع حاسرة وهي مكشوفة الرأس.

(٣) في هـ. ب: الكباسة ـ في الأصل ـ: العنقود، جمع كباس. وهو سبطة التمر.

(٤) في هـ. ب: أغصانها.

(٥) في هـ. ب: عطف على اصطفاق.

(٦) في هـ. ب: جمع غلف.

(٧) الأكمام جمع كم ـ بكسر الكافِ ـ: وعاء الطّلع.

(٨) في هـ ط: تحنى من حناه حنواً: عطفه، وفي هـ. ب: تجد.

(٩) في هـ. ب: رجاء.

(١٠) في هـ. ب: النازلين.

(١١) في هـ. ب: جمع عسل.

(١٢) في هـ. ب: الصافية.

(١٣) في هـ. ب: راق الشراب: صفا.

(١٤) في هـ. ب: أي تبلغ المدى.

(١٥) هي الآخرة.

١ ـ (من شهواتها) الجسمية المادية، والعناوين الخيالية من الاموال والانفس والمناصب الادارية.

٢ ـ (ولذّاتها) الجسمية والروحية، كالرياضة البدنية والعبادات الدينيّة.

٣ ـ (وزخارف مناظرها) الخلابة الطبيعية أو المموّه كالذهب والاحجار الكريمة، فانها جميعا محكومة بحقيقة ثابتة وهي الموت، حيث لا خلود لشئ منها في الدنيا، ويكون ذلك سبباً للانصراف عنها لمن يعقلها على حقيقتها.

ثم شرح الامام هذه الطوائف؛ لانّها معروفة لكل انسان في الحياة.

الأمر الثاني: ذهول الفكر من خصائص الجنّة؛ فانها تضاد الدنيا في أنها حقائق خالدة، وليس لها فناء؛ لانها خصائص روحية وليست مادية حتى تفنىٰ، ومع انها حقائق روحية لها وجودها واثرها الخاص بها ممّا لا يمكن وصفه حقيقة إلّا بالتجربة لها، والتمثيل لما يشابهها في الدنيا بأثر مادي مصغّر اذا قيس بالأثر الأُخروي.

وأشار الامام إلىٰ بعض أوصافها التي توجب ذهول الفكر حقّاً، فقال:

١ ـ (في اصطفاق أشجار) والاصطفاق: اضطرابها بسبب ما يهبّ عليها من النسيم فتضطرب اوراقها.

٢ ـ (غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل أنهارها) الكثيب: التل المرتفع من الشئ والارض التي تنبت عليها هذه الاشجار هي تلال من المسك على جانبي الانهار، وطبيعيّ أنّ الشجرة النابتة فيها سوف تكتسب رائحة المسك في أوراقها وثمارها، حيث أنّ عروقها ممتدة في هذه التلال.

٣ ـ (وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وأفنانها) حيث أنّ ثمار هذه الاشجار هي عناقيد مكبوسة في اللؤلؤ الجديد، معلّقة اغصانها واعوادها. والعسلوج: ما لان واخضرّ من قضبان الشجر أول نباته، والافنان: الأغصان.

٤ ـ (وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف أكمامها) والكم: وعاء الطلع، فإنّ تلك الثمار تطلع من وعائها الذي يغلّفها، ولكنها ليست ثمرة واحدة للشجرة الواحدة كما هو الحالة الطبيعية في اشجار الدنيا، بل للشجرة الواحدة ثمرات مختلفة.

٥ ـ (تجنى من غير تكلّف) فإنّ الجني: قطف الثمر، وهو عادة يفتقر إلىٰ تكلّف باستخدام وسيلة للقطف، ولكن الامر في الجنّة ليس كذلك، فلا يحتاج الجني إلىٰ تكلّف.

٦ ـ (فتأتي على منية مجتنيها) لأنّ الثمار تأتي بأنفسها إلىٰ من له هذه الأُمنية، فيكون القطف بالارادة الشخصية وليس بالوسيلة المادية.

١ ـ (ويطاف على نزالها في أفنية قصورها) وظاهر السياق أنّها أيضاً بالارادة الشخصية وليس بالوسائل للذين نزلوا الجنّة باستحقاق. وأشار إلىٰ مادتين ممّا يطاف عليهم:

٢ ـ (بالأعسال المصفّقة) والعسل المصفق: هو المصفّىٰ من كلّ ما يشوبه.

٣ ـ (والخمور المروّقة) والرقة: الشفافية بحيث ينظر من خلالها الىٰ الجانب الآخر.

(قوم لهم نزل الكرامة) بسبب ما قدّموا من الأعمال الصالحة في الدنيا.

٤ ـ (تتمادى بهم) فتمتد الكرامة لهم من الدنيا إلىٰ الاخرة.

٥ ـ (حتى حلّوا دار القرار)، وهي دار الخلود في الجنّة.

٦ ـ (وأمنوا نقلة الأسفار) من الديار الموحشة التي تصاحب النقل في السفر إلى الآخرة.

كما قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً﴾[١].

وقد استحقوا بايمانهم وأعمالهم هذه الخصائص التي لا يمكن للفكر المادي أن يتصوّره.

(١٦ / ط - ١٦٥) الشوق الىٰ الجنّة:

فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّها المُسْتَمِعُ بالوُصُولِ إلى ما يَهْجُمُ[٢] عَلَيْكَ[٣] منْ تلْكَ ٱلْمَناظِرِ[٤] ٱلْمُونِقَةِ[٥]، لَزهَقَتْ[٦] نَفْسُكَ شَوْقاً إليها، وَلَتَحَمَّلْتَ منْ مَجْلِسِي هٰذَا إلىٰ مُجَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ اسْتِعْجالاً بها، جَعَلَنا ٱللهُ وإيَّاكُمْ مِمَّنْ يسعَى[٧] بقلبه إلى مَنَازِلِ ٱلأَبْرَارِ برَحْمَتِهِ.

وعن الشوق الحقيقي إلىٰ الجنّة، قال:

١ ـ (فلو شغلت قبلك أيها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة) فإن كان الهدف الوحيد في الحياة هو الوصول إلىٰ تلك الخصائص الخاصة بالجنّة فيستلزم أن يكون القلب مشتغلاً بها لا بغيرها من مغريات الحياة المادية في الدنيا.

---

(١) الإنسان ٧٦: ١٧.
(٢) في هـ. ب: يسقط.
(٣) في ص: تهجم عليه.
(٤) في هـ. ب: جمع منظر.
(٥) المونقة: المعجبة.
(٦) في هـ. ب: علت.
(٧) في أ وص: سعىٰ.

وعن نتيجة شوق حقيقيّ كهذا قال:

٢ ـ (لزهقت نفسك شوقا إليها) وليس الرجاء بالكلام، بل بالعمل الصادق الذي يستغرق حياة الانسان إلىٰ درجة التضحية بها في سبيل الجنّة، والزهوق إلىٰ الموت في سبيل الله تعالىٰ.

وأُولى مراحل هذا الشوق، واشار بقوله:

٣ ـ (ولتحمّلت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالا بها) فإنّ العمل بالواجب لا يتطرّق اليه التأخير والتأجيل، فالشوق الحقيقي يستلزم العمل الفوري لما هو المطلوب، في اللحظة التي عرف الانسان واجبة وهو مجلس السماع هذا.

والتحمّل: الارتحال، وفي استخدام صيغة التفعّل ايماء إلىٰ القصد في ذلك؛ فإنّ المستمع الذي لا يزال يستمع ولا يتحرك على ما يقتضيه واجبه لا يتحمّل، فيكون كاذبا عملياً في رجاءه الجنّة وشوقه اليها، ولايسعنا سوىٰ ان نتابع الامام ونختم الشرح بما ختمه من الكلام بقوله:

(جعلنا الله وإياكم ممن سعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته) امين رب العالمين.

تَفْسِيرُ بَعْضِ ما جاءَ فِيَها[١] منَ ٱلغَرِيبِ.

قوله عليه السلام: وكِنَايةٌ عَنِ ٱلنكاحِ، يُقالُ: أرَّ ٱلمَرْأةَ يَؤُرُّها[٢]، أي نكَحَها[٣].

وقَوْلُهُ عليه السلام: كأنّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ: ٱلْقِلْعُ: شِرَاعُ ٱلسَّفِينَةِ[٤]، ودَارِيٌّ: مَنْسُوبٌ إلى دَارِينَ[٥]، وَهيَ بَلْدَةٌ على البَحْرِ يُجْلَبُ مِنها ٱلطِّيبُ، وعَنَجَهُ: أيْ عَطَفَهُ، يُقالُ: عَنَجْتُ النَّاقَةَ[٦] أعْنُجُها عَنْجاً: إذَا عَطَفْتُها والنُّوتيُّ: ٱلمَلَّاحُ.

وقَوْلُهُ: «ضَفَّتيْ جُفُونِهِ» أرَادَ جانِبَيْ جُفُونِهِ[٧]، والصَّفَّتانِ: الجَانِبَانِ وقَوْلُهُ: «وفِلَذِ ٱلزَّبَرْجَدِ»[٨] ألْفِلَذ جَمْعُ فِلْذَةٍ، وَهيَ ٱلقِطْعَةُ.

---

(١) في ب وص وط ود : ما في هذه الخطبة .
(٢) لم ترد «قوله عليه السلام : ويؤرّ بملاقحه» في أ.
(٣) في ب ص : «أرَّ المرأة: إذا نكحها» .
(٤) لم ترد «أي نكحها.. إلىٰ : نوتيه» في أ .
(٥) في هـ. ب: اسم موضع .
(٦) في ط زيادة كنصرت.
(٧) لم ترد «وقوله ... إلى جفونه» في أ .
(٨) لم ترد «وقوله وفلذ الزبرجد» في أ .

وقَوْلُهُ: «كبائِسِ ٱللُّؤْلؤِ ٱلرَّطْبِ»[١] الكِباسَةُ ٱلْعِذْقُ[٢]، وٱلْعَسالِيجُ: ٱلْغصُونُ، واحِدُها: عُسْلُوجٌ.

(١) في أ: والكبائس جمع الكباسة.
(٢) العذق للنخلة كالعنقود للعنب، مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العرجون.

[١٦٦]

ومن خطبة له عليه السلام:

في الحث على التآلف

لِيَتَأَسَّ[١] صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ[٢]، ولْيَرْأفْ[٣] كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ؛ وَلاَ تَكُونُوا كَجُفاةِ[٤] الجَاهِلِيَّةِ[٥]؛ لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ[٦]؛ وَلاَ عَنْ اللهِ يَعْقِلُونَ[٧]؛ كَقَيْضِ[٨] بَيْضٍ في أَدَاحٍ[٩]، يكُونُ كَسْرُها وِزْراً[١٠]، وَيُخْرِجُ حِضانُها[١١] شَرّاً.

(أ / ط - ١٦٦) **الحث على التآلف:**

لا يتكوّن أي مجتمع إلّا بالعمل بالمسؤوليات الملقاة على عاتق أفراد ذلك المجتمع، وقد جاء الاسلام بقيمه الواضحة العادلة لتأسيس المجتمع الاسلامي، وطبقّ الرسول القائد تلك القيم بنفسه في سنته الشريفة في مكة والمدينة، وقضى على الجاهلية بقيمها الوثنيّة المادية.

واشار الامام إلىٰ الواجبات الاجتماعية في الاسلام، وهي:

أوّلاً: (ليتأسّ صغيركم بكبيركم) والتأسّي: الاقتداء بمن له تجربة في الحياة، فهذا واجب الصغير.

ثانيا: (وليرأف كبيركم بصغيركم) والرأفة: العطف على الصغير بما يصدر عنه عن غفلة وجهالة.

---

(١) في هـ. ب: ليقتدي.

(٢) في هـ. ب: صغير القدر والعمل الكبير القدر في العمل الصالح، وفي هـ. ص: أي ليتبعه في أخلاقه وآدابه.

(٣) في هـ. ص: أي ليرحمه، والرأفة: الرحمة.

(٤) هـ. ب: جمع الجافي.

(٥) في هـ. ب: لا تكونوا مثل قوم جفاة من عادتهم الجهل وروي: «الجهل عار».

(٦) في أ ب: تتفقهون، وفي هـ. ص: وروي بالتاء على الخطاب، تمت من الشرح، وفي هـ. د: لا يتفقهون في الدين ـ ع.

(٧) في أ وب: تعقلون.

(٨) في هـ. ب: كقشر، أي: أنتم كقيض بيض، وفي هـ. ص: هو قشر البيض.

(٩) في ص: أداخ، وفي هـ. ب: جمع أدحياء، وهي الوكر للحيّة، وهو موضع البيض، وأدحى النعامة: الموضع الذي تفرخ فيها.

(١٠) في هـ. ب: إثما.

(١١) في هـ. ب: ما احتضن منها.

ثالثا: (ولا تكونوا كجفاة الجاهلية) لان الاسلام قضىٰ على تلك المفاهيم قضاء تامّاً.

وفي السبب في هذا الموقف ضد الجاهلية اشار إلىٰ أمرين:

الأوّل: (لا في الدين يتفقّهون) حيث لا شريعة تحكمهم سوى شريعة الغاب والغارات القبلية.

الثاني: (ولا عن الله يعقلون) لفقدان العقيدة الصحيحة التي يبتني عليها المجتمع عندهم ومثّل عن المجتمع الجاهلي الذي يتواجد فيها الوصفان يكون بقوله:

(كقيض بيض في أداح يكون كسرها وزراً ويخرج حضانها شرّا) القيض: الكسر لقشر البيض، والادحية: ألمحل الذي فيه البيض، فإنّ المجتمع الذي يفقد الشريعة والقانون لا يعرف فيه الخير من الشر إلّا بالقوّة والغلبة، كما كان عليه المجتمع الجاهلي، وحالة كهذه حال البيضة التي لا يعلم هل هي بيضة صالحة لتحضن فتنتج انتاجاً حسنا أو بيضة شرّ يجب القضاء عليها ولو كانت سالمة، فإنّ الجهل بحقيقتها يجعل الانسان في حيرة؛ لانّ كسرها على الأوّل يكون وزرا وعلى الاحتمال الثاني يكون إبقاؤها شراً وكسرها خيرا، ولا يعلم ذلك إلّا بموازين عادلة في تمييز اسباب الخير من الشر، والاسلام له القدح الاوفى منها.

(٢/ط - ١٦٦) **نتيجة اهمال الواجب:**

منها: افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ آخِذٌ[1] بِغُصْنٍ؛ أَيْنَما مالَ مالَ مَعَهُ.

والى نتيجة اهمال الواجب الجماعي من الصغير والكبير اشار إلىٰ ثلاث خصال من اثار الجاهلية، وهي:

أوّلاً: الفرقة، (افترقوا بعد أُلفتهم) فإنّ في تضيع الحقوق الاجتماعية العامة سبب مباشر في الفرقة وايجاد طبقات متفاوتة متفاضلة، وفي اختلاف الطبقات من دون عدالة بذرة الفرقة إن لم تكن نفسها، وهكذا كانت الجاهلية قبل الاسلام.

وفي قوله: (بعد أُلفتهم) اشارة إلىٰ أنّ النظام الجاهلي لم تكن فيه ألفة، وان المجتمع الاسلامي حصل له الألفة بالاسلام، فيكون الفرقة له أشد ألماً.

ثانيا: الانحراف (وتشتتوا عن أصلهم) لأن الاصل الذي جمعهم على الوحدة هو أساس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأكدّ كلّ منهما على الوحدة. فقال سبحانه:

---

(١) في ص: أخذ.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا﴾[١] وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «المسلم للمسلم كالبيان المرصوص يشد بعضه بعضها» وما أكثر الأُصول الآمرة بالوحدة فيهما. والفرقة انحراف عن هذه الثابتة الاسلامية.

ثالثا: الانتهازية (فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه) ونتيجة الفرقة والانحراف هو التنكّر للاهداف الاسلامية التي بشرّ بها النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله في رسالة الاسلام من التضامن الاجتماعي بين الشعب، فنهىٰ وتنكر لتفضيل كلّ فرد علىٰ غيره على حساب المصلحة الشخصية المادية على أي واجب آخر، وان يسلك طرقاً انتهازية لتحقيق المصالح المادية وياخذ بالوسيلة التي تنفعه شخصيا، ويميل معها حيث مالت؛ متنكراً لواجباته الاسلامية وكرامته الانسانية.

(٣ / ط - ١٦٦) بنو أُميّة:

على أَنَّ اللهَ تَعالَى سَيَجْمَعُهُمْ لَشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ؛ كَما يَجْتَمِعُ[٢] قَزَعُ الخَرِيفِ[٣]، يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ[٤] رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحابِ[٥]، ثُمَّ يَفْتَح اللهُ[٦] لَهُمْ أَبْوَاباً يَسيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ[٧] كَسَيْلِ الجَنَّتَيْنِ[٨]؛ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قارَةٌ[٩]، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْه[١٠] أَكَمَةٌ[١١]،

---

(١) الشورى: ١٣.
(٢) في أ: تجتمع.
(٣) في هـ. ب: جمع قزعة، وفي هـ. ب أيضاً: قطع سحاب تجتمع ولها مطر. قال عليه السلام: إذا فسد دنياهم اجتمعوا على هلاك بني أُميّة من هنا وهناك، وفي هـ. ص: جمع قزعة، وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاما.
(٤) في ط: يجمعهم، وفي هـ. د: يجمعهم ـ ح.
(٥) في هـ. ب: السحاب المتراكم، وفي هـ. ص: هو ما اجتمع فتكاثف.
(٦) لم ترد لفظة الجلالة في أ ود، وفي هـ. د: بفتح الله ـ ض ح ب.
(٧) في هـ. ب: يخرجون من أوطانهم، وفي هـ. ص: موضع استثارهم.
(٨) في هـ. أ: يعني سيل العرم، وفي هـ. ب: إشارة إلىٰ جنتين لقوم سبأ، وأنّ الذين أزعجهم بنو أُمية فيها مثل سيل الجنتين، وهو سيل العرم الذي ذكره الله في كتابه، قال تعالىٰ: ﴿لَقَد كانَ لِسَبأٍ﴾ وهو ابو اليمن كلّها ﴿في مسكنهم﴾ وفي بلدهم ﴿آية﴾ أي حجّة على وحدانية الله والتذكير بنعمته وقدرته. ثم فسّر الآية فقال: ﴿جنتان عن يمينٍ وشمالٍ﴾ أي جنتان عن يمين دارهم وبستان عن شمالها، وكانت ثلاثة عشر قرية، في كلّ قرية نبيّ يدعوهم إلى الله يقول لهم: ﴿كلوا من رزق ربكم﴾ في هذه المساكن ﴿واشكروا له﴾ أي لله ﴿بَلدةٌ طيِّبةٌ وَرَبٌّ غَفُور. فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ سورة سبأ: ٣٤ / ١٥ـ١٦. وذلك أنّ هناك كان يجتمع ماء المطر والسيول خلف الحبس...، وفي هـ. ص: يعني جنتي سبأ.
(٩) في هـ. ب: جبل، وفي هـ أ وص: جبل صغير.
(١٠) في أ: تثبت له.
(١١) في هـ. ص: هي التلعة من الأرض.

وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ[١] رَصٌّ[٢] طَوْدٍ[٣]، وَلاَ حِدَابُ[٤] أَرْضٍ؛ يُذَعْذِعُهُمُ[٥] اللهُ فِي بُطُونِ أودِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنابيعَ فِي الأَرْضِ[٦]، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ[٧] قَوْمٍ، وَيُمكِّنُ لِقَوْمٍ[٨] فِي دِيارِ قَوْمٍ[٩].

وَاَيمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ[١٠] ما فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ والتَّمْكِينِ[١١]، كما تَذُوبُ الأَلْيَةُ[١٢] عَلَى النَّارِ.

والى نتيجة الفرقة والانحراف والانتهازية أشار إلى البديل لحكم الحق في عصره، وهو حكم بني أُميّة، فحقائق التاريخ تشهد بأن البديل للحق لا يكون إلّا الباطل، ولان الباطل يستخدم كافة الطرق الخادعة لايجاد الفرقة في الكلمة بين القائد والقاعدة، ثم يستخدم القاعدة لضرب القائد، ثم يعود ويضرب القاعدة بيد من حديد من دون أن يتمكّن من المقاومة، حيث يفتقر إلىٰ قيادة تسنده ، وهي معدومة آنذاك.

ولو تأملت الخلافات في الاسرة الواحدة والعوائل المتصاهرة والجماعات التي تعيش في بلدة واحدة والشعوب والامم لتجدها جميعاً ترجع إلىٰ فقدان هذا التضامن الاجتماعي المطلوب واستخدام العدوّ كافة الوسائل والحيل لإلغائه؛ لاجل الوصول إلىٰ غاياته الدنيئة، وان التاريخ يشهد بنفس الدور للبديل الظالم.

وقد أشار الامام إلىٰ واقع عصره بنماذج من خطط بني أُميّة كحزب معارض، فقال:

١ ـ (على أنّ الله تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبني أُميّة) فإنّ اهمال الواجب بنصرة القائد العادل يستلزم انتصار الظالم، ويكون له شرّ يوم للشعب الذي أهمل واجبه.

٢ ـ (كما تجتمع قزع الخريف يؤلّف الله بينهم) القزعة: القطعة المتفرقة من السحاب،

---

(١) في هـ. ب: طريقه، وفي هـ. ص: أي مجراه ومسلكه.
(٢) في هـ. أ : رصصت الشيء: ألصقت بعضه ببعض هاهنا أراد ثبوت طود.
(٣) في هـ. ب: جبل.
(٤) هـ. ب وص: جمع حدبة.
(٥) في هـ. ب: يفرّق، وفي هـ. ص: بالذال المعجمة، أي يفرّقهم.
(٦) في هـ. ص: أي يظهرون بعد خفائهم.
(٧) في هـ. ص: هي الثارات .
(٨) في هـ. ص : بني العبّاس بلاء وفتنة .
(٩) في هـ. ص : بني اُميّة .
(١٠) في هـ. ص : يعني بني اُميّة .
(١١) في هـ. د : بعد التمكّن حاشية ن .
(١٢) في هـ. ص: بفتح الهمزة، هي الشحمة التي تكون من الكباش موضع الأذناب من غيرها.

فإنّ بعد افتراق الكلمة طبيعيّ ان تختلف الآراء في اسباب الاختلاف؛ لتعدد الاشخاص المنتفعين من هذا الاختلاف، فتتشكل أحزاب وجماعات، وترتفع اصوات كل يدعوا إلىٰ مصالح خاصة وتحت عناوين ترضي وتخدع من ينتسب اليها، وهذه الاجتماعات الصغيرة لا يكون لها اثر قط في تغيير الواقع لقلّتها وافتراقها، كما لا اثر للسحاب المتفرّق في الخريف.

وعن مصير البديل الظالم قال: انها تمنع وحدة الكلمة ثم نجاح الهدف، ثم السقوط نتيجة لممارسة الظلم، في سلسلة مترابطة.

أوّلاً: وحدة الكلمة (يؤلّف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب) فإنّ وحدة الكلمة تعطيهم القوة الكافية للنصر، فيصبح جمعهم ركاما وهو السحاب المتراكم الذي له أثره في نزول المطر وليس كالسحاب المتفرق الذي ينشأ في الخريف.

ثانيا: نجاح الهدف، وهو الوصول إلىٰ الحكم (ثم يفتح لهم أبوابا) نتيجة لوحدة كلمتهم.

وعن خصائص هذا النجاح قال:

١ ـ (يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين) قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ):«مشيراً إلىٰ سيل سبأ» مستثارهم: موضع ثورتهم. والجنتان: هما اللتان قال الله تعالى فيهما: ﴿لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال﴾[١]. وسلط الله عليهما السّيل، قال الله تعالى:﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾. فشبّه ﷺ سيلان الجيوش إلىٰ بني أُميّة بالسيل المسلّط على تينك الجنّتين».[٢]

قال الجلالي: وفي ذلك اشارة إلىٰ قوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذٰلِك جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إلّا ٱلْكَفُورَ﴾[٣].

فقد كانت ديار سبأ ـ كما يذكره التاريخ ـ ديار جنان عامرة بالخيرات نتيجة اعمالهم في العمران التي خطط لها سليمان النبيّ بواسطة جنوده، ولمّا أهمل الشعب واجبه والتهىٰ أبناءه بالمعاصي حلّ بهم نتيجةا عمالهم من العذاب وتفرّقوا ـ كما في المثل ـ «ايدي سبأ» في أنحاء العالم العربي، وأغلب العرب تنتهي أنسابهم إلىٰ العدنانية والقحطانية منهم، ومن

(١) سبأ ٣٤: ١٧.
(٢) شرح النهج ٩ـ٢٨٥ ط ١٩٦٢.
(٣) سبأ ٣٤: ١٧.

آثارهم اليوم في اليمن سدّ مأرب الذي قضىٰ عليه سيل العرم (وراجع المادة في المعجم).

٢ ـ (حيث لم تسلم عليه قارة) وهي الجبل الصغير لقوة السيل القاضي على كلّ ما في طريقه.

٣ ـ (ولم تثبت عليه أكمة) وهي التلّ الصغير، فإنّ العدوّ لا يرحم صغيرا ولا كبيرا.

٤ ـ (ولم يرد سننه رصّ طود) السنة: الطريقة، والرض: شدة الالتفاف، والطود: الجبل.

٥ ـ (ولا حداب أرض) وهي المرتفع منها، فإن الوحدة التي تكون مثل تجمع ماء السيل فيعطيها القوة التي لا يمنعها شئ.

وعن دور الحكم الظالم قال:

أوّلاً: (يزعزعهم الله في بطون أوديته) والزعزعة: التفرّق بالاستيلاء على الوطن الذي لاقائد فيه، وهي بطون الاودية فيختفون فيها استعداداً لمرحلة جديدة ، وهي:

ثانيا: (ثم يسلكهم ينابيع في الأرض) في مرحلة جديدة بالاستيلاء على المدن المتحضرة التي هي منابع الحياة في الارض لكافة الشعوب المتحضّرة وغيرها.

وبذلك يتم لهم الحكم لما عملوا من اجله.

وعن الحكمة في هذا النصر للحكم الظالم، قال:

١ ـ (يأخذ بهم من قوم حقوق قوم) لان القوم الأول قصّروا في واجبهم من نصرة الحاكم العادل وأضاعوا حقوق القيادة الاسلامية الشرعية.

٢ ـ (ويمكّن لقوم في ديار قوم) لان القوم الثاني عملوا، وكان نتيجة عملهم: النصر، وهذه سنة الله سبحانه في الحياة، بأنّ العامل هو الذي يحصل على النتيجة في الدنيا والآخرة، وليست النتائج بالتمنّي والترجّي.

والى سقوط الحكم الظالم اشار الىٰ الحقيقة التاريخية الثابتة بان من لا يرضى بالحق لابد وان يرضخ للباطل، وان الباطل يدوم حتى تظهر حقائقه وآثاره السيئة في المجتمع وعندئذ تبدأ الثورة بالاصلاح، فقال مؤكّدا بالقسم بالله بقوله:

١ ـ (وأيم الله ليذوبنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتمكين) وليس قبل ذلك، لأنهم بخططهم يغرون الشعوب بالمواعيد الفارغة؛ تخديراً لهم عن العمل.

٢ ـ (كما تذوب الألية على النار) التي توقدها الثورة على الظلم، فإنّ الحكم الظالم في نفس الوقت الذي يحكم على الشعب المظلوم فانه يولد بذرة الوعي لتصرفات الحاكم الظالم، ومعرفة خططه وحقائق عن طبيعته، وكلّما زاد الظالم ظلماً كلّما زادت الشعوب وعياً حتى ينقلب الوعي إلىٰ معارضة القيادة من أُناس أكفّاء، وتقوىٰ المعارضة في

اساليبها كلما زاد الظالم في أساليب الظلم، حتى ينقلب إلىٰ ثورة عارمة، والثورة نار يتأثر بها كلّ من يمسها، ويكون أشدها ضرراً أضعفها عدلاً.

ويذوب الحكم الظالم كما تذوب الألية التي هي دهن محض على النار فتمحىٰ من الوجود، والتاريخ يشهد بحكم بني أُميّة في الشرق، فانه لم ينفعهم الفرار إلىٰ الغرب حتى لحق بهم ما لحق، ولم تقم لهم قائمة قط، وهكذا هي سنة الظلم في الحياة.

(٥ / ط - ١٦٦) نتيجة العمل بالواجب:

أَيُّها النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخاذَلُوا عَنْ[١] نصرِ الحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا[٢] عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، لَكِنَّكُمْ تُهْتُمْ[٣] متَاهَ بَنِي إِسْرائِيلَ.

وَلَعَمْرِي[٤] لَيُضَعَّفَنَّ[٥] لَكُمْ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعافاً؛ بِمَا[٦] خَلَّفْتُمُ الحَقَّ[٧] وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَى[٨]، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ[٩].

واعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ[١٠]، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ ٱلرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مُؤْنَةَ ٱلاِعْتِسَافِ[١١]، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفادِحَ[١٢] عَنِ الأَعْناقِ.

وأشار إلىٰ ما للعمل بالواجب من آثار كما هو للاهمال بالواجب أيضاً آثار. وابتدأ بآثار الاهمال التي اصطلىٰ الكثير بنارها، ثم ضرب أمثله علىٰ ذلك من التاريخ، ثم امثلة محسوسة للإهمال بالواجب، ثم نتيجة العمل بالواجب، فقال عن الاثار المحسوسة لإهمال الواجب:

١ ـ (أيها الناس) بالخطاب إلىٰ الجميع، فليس النصر إلّا بوحدة كلمة للناس عامة، وليس لطائفة خاصة، حيث ان الرأي العام الذي يتشكل من ٧٥٪ هو الغالب، والرأي

---

(١) في هـ. د: أيها الناس لم تخاذلوا ـ ب.
(٢) في هـ. ص: مضارع وهن، أي ضعف، وهو من ألفاظ القرآن أيضاً.
(٣) في هـ. ب: حيرتم، وفي هـ. ص: أي حرتم وأضللتم الطريق، تمت من الشرح.
(٤) في ب: فلعمري، وفي هـ. د: فلعمري ـ ش.
(٥) في هـ. ب: التضعيف أن يزاد على أصل الشيء.
(٦) لم ترد «بما» في أ ب ص.
(٧) في هـ. ص، قوله: خلفتم الحق يعني عهد رسول الله فيه ونصّه عليه، وكأنّه سئل عن سبب التّيه وعلّته؟ فقال: خلّفتم الحق...، أي: عوقبتم بذلك، والله أعلم.
(٨) في هـ. ص: يعني نفسه وآله.
(٩) في هـ. ص: يعني من ولّوه أُمورهم وادّعوا له الفضل.
(١٠) في هـ. ص: يعني نفسه، وروي: الراعي ـ بالراء، من الشرح.
(١١) في هـ. ب: الاعتساف: الأخذ على غير طريقة.
(١٢) في هـ. ب: المثقل، وفي هـ. ص: أي المؤثر بثقله في الحامل.

الخاص انما ينتهي بالدكتاتورية ، وهي مرفوضة من وجهة نظر الاسلام الداعي إلىٰ الشورى.

٢ ـ (لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق) فإنّ الخذلان عن نصر الحق هو إهمال لواجب اسلامي اصيل من أجله شُرّع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ ـ (ولم تهنوا عن توهين الباطل) بالمعارضة للباطل بالطرق الميسورة والموثرة كما هي مشروحة في الفقه الاسلامي. فلو لم يحصل الخذلان والوهن لما حصل نتيجتهما وهو طمع العدوّ وقوّته.

٤ ـ (لم يطمع فيكم من ليس مثلكم) في معرفة المبادئ الاسلامية الاصيلة، وايضا:

٥ ـ (ولم يقو من قوي عليكم) قوة عسكرية قاضية عليكم، فان القوة انما تخدم من له طمع في الشيئ، والطمع لا يتحقق إلّا ممّن يحس بالضعف في الحانب الآخر، فمن المستحيل أن يطمع الضعيف في القضاء على القويّ، ومن الضعف: الخذلان عن الحق والهوان.

فهذه الحقائق مترابطة أثّرت في انتصار الباطل على الحق.

وعن مثال تاريخي مماثل للموقف، قال:

١ ـ (لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل، ولعمري ليضعفنّ لكم التيه من بعدي أضعافا) إشارة إلىٰ ما حكاه الله سبحانه عن قول اليهود لموسىٰ:﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّك فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِك إلاّ نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ في ٱلْأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ﴾[1].

ولم يكن لهم النصر مدة أربعين سنة بسبب اختلاف كلمتهم ووحدة كلمة عدوهم بالرغم من كثرة عددهم وهم كانوا علىٰ بعض الروايات ست مئة الف مقاتل (٦٠٠/٠٠٠) وهو جيش كفيل بايجاد تغيير ما ولو جزئيا، وخاصة أنّ هذه الحادثة كانت بعد هلاك فرعون كما في بعض الروايات، ونتيجة هذا التقاعس عن أداء الواجب أن مات موسى في التيه خلال هذه المدة، حيث انهم بسبب اختلاف كلمتهم لم يتمكّنوا من الرجوع إلىٰ وطنهم مصر، ولا الزحف علىٰ مقصدهم وهو «بيت المقدس». وحتى يومنا هذا ١٣٨٦ لا يعرف موضع قبر موسي في منطقة التيه هذه، والتي تشمل منطقة محصورة بين الاردن وفلسطين، كلّ ذلك نتيجة اختلاف الكلمة، ولو كانت كلمتهم موحدة لكان مصيرهم

(١) المائدة ٥: ٢٦.

معروفا، والتاريخ يشهد انه لم تنجح اية امة باختلاف كلمتها مهما امتازت بالقوة.

فان حال المسلمين الذين كانوا حول الامام في اختلاف كلمتهم مع الاعتقاد فيه بالخلافة حال اليهود الذين كانوا حول موسى مع اختلاف كلمتهم مع الاعتقاد فيه بالنبوة، حيث لم يمكنهم التراجع عن عقيدتهم؛ لا يمانهم بعدالة القضية التي من اجلها تحرّكوا، ولا يمكنهم النصر على العدوّ؛ لعدم عمل في هذا المقصد الوحيد للانتصار والحرية، وذلك بسبب خلودهم إلىٰ الراحة واهمال المسؤولية.

واشار إلىٰ أنّ الحالتان واحدة من حيث المصير إلىٰ الخسران والهوان، وان حالة المسلمين أشد تيهاً من اليهود؛ فان اليهود حصل لهم التيه مدة اربعين سنة فقط ، وهي مدة كافية لإذلال شعب معارض حتى يسير في ركب الغالب عليه القضاء في حضارته ولغته وهويّته، حيث يغلب غلبة الروح المادية، ولكن ذلك لا يمكن فيمن يعتقد في الاسلام دينا يبتني علىٰ العدالة الاسلامية الرافضة للباطل بمختلف صوره وانواعه، فإنّ بذرة الايمان الذي يرعاها القرآن الكريم يرفض كل صور المادة والماديات التي تعارض العدالة في الحياة والظلم عليها، وأنه وان نجح لفترة من الفترات، لكنه لن يتمكّن من القضاء على تلك المبادئ التي هي مغروسة في قلب كلّ مسلم مؤمن بالقرآن يؤمن بان الشهادة طريق الجنّة، وهذا مالم يوجد عند اليهود، ولهذا الفرق يكون التيه عند المسلمين أطول مدة من التيه عند اليهود أضعافاً وليس ضعفين فقط، لان المسلمين لا يمكنهم التنكر لهذه الثوابت الصريحة في القرآن، وتحريف حقائقها يستلزم زمناً أطول بكثير من جيل أو جيلين كما كانت عند اليهود الذين لم تشرع عندهم طريق الشهادة.

وعن الامثلة المحسوسة لاهمال الواجب ذكر اموراً ثلاثة:

الأوّل: (بما خلّفتم الحق وراء ظهوركم) حيث لم تعملوا بالحق وبما أمرت به القيادة التي تؤمنون بعدالتها وترفضون العمل بما يصدر منها:

الثاني: (وقطعتم الأدنى) وهو القائد الذي بين أيديكم، ويعني به نفسه عليه السلام، أو الواجب الأدنى المفروض عليهم في الحال.

الثالث: (ووصلتم الأبعد) وهو القائد الذي تتمنونه وليس هو معكم الآن، أو الواجب المثالي الذي تتمنونه ممّا لا يتوافق مع ما تقتضيه الساحة.

ولكل منها أمثلة محسوسة عرفها الامام والمجتمع المخاطب بالكلام، ولو كان مجهولا لسأله عن ذلك سائل، وهم يعلمون عدالة الامام في الإصغاء إلىٰ الكلام والنقد البنّاء، ولكن لم يظهر ذلك منهم لوضوح الواقع عندهم.

وعن نتيجة العمل بالواجب ـ الذي هو بيت القصيد ـ اشار إلىٰ اصلين أساسيين ونتيجتين، هما:

أوّلاً: طاعة القيادة (واعلموا أنكم أن اتبعتم الداعي لكم) ويقصد بذلك نفسه ـ حيث لم يكن في الساحة آنذاك داعيا لهم غيره ـ تؤمنون بعدالة دعوته وان لم تؤمنوا بأنّ دعوته عملية لاسباب شخصية أهمّها الوهن والضعف.

ثانيا: سنّة الرسول الاعظم (سلك بكم منهاج الرسول) وهو السنة النبوية الواضحة المعروفة بين المسلمين من تطبيق حكم الله على الارض والعدالة بين المجتمع.

واما النتيجتان فهما:

أوّلاً: التخلص من الظلم (وكفيتم مؤونة الاعتساف) والعسف ـ لغة ـ: الظلم والموت، فإنّ الحكم العادل يمنع من الظلم الذي قد ينجرّ إلىٰ الموت، وعلى العكس تماماً من الحكم الظالم حيث يستخدم الظلم المؤدي إلىٰ الموت.

ثانيا: الحرية (ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق) والفدح: المشقة، ويكون ذلك بالتحرر من أثقال الظلم التي تطوق الاعناق بسلسلة الذلّ الذي يولد ثقلاً شاقاً، وليس ثقلا يسيراً سهلا مقبولاً، فإنّ الظالم لا يرحم أحداً سوى نفسه، وما أعظم الحرية الحاصلة من نتيجة العمل بالواجب حيث تبذل من اجلها النفس والنفيس، ومن لم يتنعم بها لا يمكن ان يعرف قدرها، ومن لم يسع في سبيلها يبقىٰ في ذلّ العبودية حتىٰ الموت.

ورحم الله أبي القاسم الشابي القائل:

اذا الشعب يوماً أراد الحياة   فلابدّ أن يستجيب القدر
ولابد للّيل ان ينقضي   ولابدّ للصبح ان يُنتظر

ومن خطبة له عليه السلام في أول خلافتة:

تتضمن الاشارة إلىٰ القانون الأساسي في الاسلام والثوابت الاسلامية، ثم لزوم المبادرة اليها، ثم المسؤولية الاسلامية، ثم لزوم طاعة الله فيما أمر ونهىٰ.

(١ / ط - ١٦٧) القانون الاسلامي:

إِنَّ اللّٰهَ سُبْحانَهُ[١] أَنْزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فِيهِ الخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا[٢] عَنْ سَمْتِ[٣] الشَّرِّ تَقْصِدوا[٤].

استفتح المقطع بالاشارة إلىٰ حقائق القانون الاسلامي في الاسلام، وهو القرآن الكريم بقوله:

١ ـ (إن الله تعالى أنزل كتابا) فإنّ القرآن مكتوب، أي فرض، انزله الله سبحانه على نبيه.

٢ ـ (هاديا) بهدف الهداية، فيما ينظم الحياة على الارض في النفس والاسرة والمجتمع.

٣ ـ (بيّن فيه الخير والشر) وليس كتابا مجملا، بل الحقائق فيه مبينة بوضوح (وهذه الحقائق للقانون الاساسي تستتبع العمل.

ـ (فخذوا نهج الخير تهتدوا) والنهج: الطريق، وطريق الخير يوصل إلىٰ الهداية.

ـ (واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا) الصدف: الاعراض، والسمت: الجهة، والقصد: الرصل. فإنّ الاعراض عن جهة السترصدٌ له. ولآثاره، وذلك يستلزم عدم التلبّس بالجزيمة بسبب الوعى لها ولنتائجها.

وهذه النقاط الثلاث للقانون الأساسي الاسلامي أصيلة لمن يدرس القرآن الكريم دراسة موضوعية.

(٢ / ط - ١٦٧) الثوابت الاسلامية:

الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ[٥]! أَدُّوها إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الجَنَّةِ. إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ،

---

(١) في ط: ان الله تعالى سبحانه أنزل، وفي هـ. د: ان الله تعالى أنـزل ـ ض ب، ان الله سـبحانه وتعالى أنزل ـ ح.

(٢) في هـ. ص: أي أعرضوا.

(٣) في هـ. ص: طريقه ونهجه .

(٤) في هـ. ص: أي تستقيموا وتعدلوا.

(٥) في هـ. ص: نصب على الإغراء، أي: الزموا .

وأَحَلَّ حَلَالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ[١]، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ المُسْلِمِ على الحُرَمِ كُلِّها، وشَدَّ بِالإخْلَاصِ والتَّوْحِيدِ حُقُوقَ المُسْلِمينَ في مَعاقِدِها[٢]. فالمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ إلَّا بِالحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى ٱلْمُسْلِمِ إلَّا بِمَا يَجِبُ.

اشار إلىٰ أنّ القرآن الكريم تتضمن ثوابت اسلامية لا يمكن التغاضي عنها من آداب وأخلاق شخصية ليست بتلك الدرجة ويرجع أمرها إلىٰ الانسان نفسه، والثوابت الاسلامية هي الفرائض التي فروضها الله سبحانه على العباد.

١ ـ (الفرائض الفرائض) كررها على سبيل الإغراء أي اتبعوا الفرائض بالنداء على اهميّتها في حياة الانسان المسلم، وهي معلومة للمسلم الذي يتلو القرآن.

٢ ـ (إن الله حرم حراما غير مجهول) حيث انه مذكور في القرآن، فلا داعي لتكرار ذكرها.

٣ ـ (وأحلّ حلالا غير مدخول) والدخل العيب، حيث لا نقص في ما أحلّه الله سبحانه على العباد.

٤ ـ (وفضل حرمة المسلم على الحُرم كلّها) فإنّ قانون العقوبات الاسلامية لاتجري إلّا فيما اذا كان التلبّس بالجريمة واضحة مئة في المئة، ومن أجل ذلك اتفقت كلمة الفقهاء بأنّ الحدود تدرأ بالشبهات.

٥ ـ (وشدّ بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها) فإنّ الحقوق الاسلامية يجب أن تراعى حرفيا فيما عقد بينهم من العهود والمواثيق، فإنّ مراعاة الحقوق ممّا يؤكد عليه الاخلاص لله سبحانه والايمان بتوحيده، فإنّ نقض الحقوق خرق لهما، ويكشف ذلك عن طاعة الشيطان.

و يتفرع على هذه الثوابت الاسلامية الاصيلة نتيجتان:

الأولى: (فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلّا بالحق) اقتباسا من الحديث النبوى بزيادة للتوضيح.

الثانية: (ولا يحلّ أذى المسلم إلّا بما يجب) من العقوبات المنصوصة في القرآن .

وهذه الثوابت الاسلامية الاصيلة مستقاه من الكتاب والسنة، وتعتبر مواد قانونية؛ لانها أُعلنت قبل حدوث الحوادث، والقانون هو ما ينصف بذلك وليست اموراً ارتجالية،

---

(١) لم ترد « وأحل حلالاً غير مدخول» في ب وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ن ف ل ش، وفي هـ . ص: أي لا عيب فيه ولا نقص.

(٢) في هـ. ب: مواضعها.

فمن آمن بالاسلام لابدّ وأن يرجع إليها.

(٣/ ط - ١٦٧) **المبادرة للعمل:**

بَادِرُوا أَمْرَ ٱلْعامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ المَوْتُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ[١] أَمَامَكُمْ[٢]، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ.

تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا[٣]؛ فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

وعن المبادرة للعمل أشار إلىٰ ان الأيمان بالقانون الأساسي ومعرفة القوانين الاسلاميةوحدهما لا تكفى في بناء المجتمع الاسلامي، بل لابد من المبادرة بالعمل بهما في الحياة العامة والخاصة فقال:

١ ـ (بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم) وإنّما قدّم أمر العامة ليشير إلىٰ ان الاولوية في اداء الواجب بالنسبة الىٰ الامور العامة التي تؤثر في المجتمع عامة فان لما الاولوية، وإنّ المبادرةالامور الخاصة تأتي في الدرجة الثانية، ثم أشار إلىٰ سبب التقاعس في المبادرة إلىٰ أمر العامه عادة بقوله:

٢ ـ (وهو الموت) فإنّ اهمال الواجب الاجتماعى عادة يكون للخوف من الموت من احكام الظالم، مع أنّ الظالم يظلم ولا يتورّع من القتل في سبيل ظلمه، فالموت عزيزاً مدافعا عن الحق للشهادة أولىٰ من الموت ذليلا تحت رحمة الظالم، وليس عن الموت مهرب في الحياة إمّا عزيز أو ذليلا.

٣ ـ (فإن الناس أمامكم) حيث تواجهون عدواً في الساحة، أو الناس الذين يدرسون التاريخ ويقيّمون الحركات على وجهها وآثارها في المجتمع.

٤ ـ (وإنّ الساعة تحدوكم من خلفكم) حيث أنّ الحياة تسير إلى الامام حتىٰ يصل إلىٰ الموت والحساب في يوم قيام الساعة.

٥ ـ (تخفّفوا تلحقوا) فإنّ الحالة في الدنيا حالة سفر، والمسافر يحاول الاسراع للّحوق إلى مقصده.

---

(١) في هـ. د: وروي فإن البأس أمامكم ـ ك.

(٢) في هـ. ص: أي سبقوكم وأنتم لاحقون بهم.

(٣) في هـ. ص: التخفف هو القناعة والرضا من الدنيا باليسير وترك الحرص على قنياتها؛ فإنّ المسافر الخفيف أحرى بالنجاة ولحاق أصحابه من الثقيل، وقد نظم الرضي أبو الحسن عليه السلام هذا المعنى فقال:

حذفت فضول العيش حتى رددتها ... إلى دون ما يرضى به المتعفّف
وأمّلت أن أجري سريعاً إلىٰ العلى ... إذا شئتم أن تلحقوا فتحفّفوا

٦ ـ (فإنما ينتظر بأوّلكم آخركم) فإنّ الاجيال المتقدمة سوف تحاسب الذي تقدم عليهم من الاجيال الأولى، وان اي تقصير في العمل منهم سوف يؤثر على مواقف المتأخرين وسيحاسبهم التاريخ الذي لا يرحم احداً في أداء المطلوب منهم.

وقال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ): «انما ينتظر ببعث الموتى المتقدمين أن يموت الأواخر ايضا فيبعث الكل جميعا في موقف واحد»[١] وهذا ليس انتظاراً لهم بل انتظار ليوم البعث كما لا يخفى.

وقال ايضا من قبل: ثم امر بمبادرة الموت، وسمّاه: «الواقعة العامة؛ لأنه يعم الحيوان كلّه ثم سماه خاصة أحدكم لانه وان كان عاما إلّا انه مع كلّه يعينه خصوصية زائدة على ذلك العموم».[٢]

قال الجلالي: وهذا غريب جداً، اذا لا يبقىٰ فرق بين العموم والخصوص، فإنّ كلّ خاص له خصوصية زائدة على ذلك العموم. مع أنّ متعلق الأمر بالمبادرة في امر العامّة، وليس الموت، فكيف يحصل متعلقها؟ والظاهر: أنّ «الواو» حالية، أو مستأنفة كما ذكرناه، والله العالم.

(٤/ ط - ١٦٧) المسؤولية:

اتَّقُوا اللّهَ فِي عِبادِهِ وَبِلاَدِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ[٣] الْبِقاعِ وَالْبَهَائِمِ.

وعن حدود المسؤولية الاسلامية الملقاة على عاتق كلّ فرد مسلم أشار إلى أربع حدود واسعة هي:

أوّلاً: إماماً ومأموماً (اتقوا الله في عباده) فإنّ المسؤولية الاسلامية الجماعية ليست مسؤولية قبلية أو قومية أو عرقيّة، بل تعم كافة الناس، والرسالة الاسلامية رسالة إلٰهية عامة للبشرية كافة.

ثانيا: العالم (وبلاده) فإنّ الارض لله، وليست رسالة الله محدودة بحدود جغرافية فتعمّ بلاد الله عامة من الشرق والغرب والشمال والجنوب، بما فيها من الموارد الطبيعية وما عليها.

ثالثا: المناطق (فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع) والبقعة: القطعة من الارض وفي ذلك إشارةأنّ الهدف من المسؤولية ليس فتح البلاد وفرض الحكم عليهم فرضاً من دون

---

(١) شرح النهج: (٩: ٢٩٠).
(٢) شرح نهج البلاغة ٩: ٢٨٩، ط / ١٩٦٢م.
(٣) مسئولون عن ـ ع.

تطبيق حكم الله العادل فيها، كما عليه سياسات المستعمرين في التاريخ، حيث تعقد المعاهدات بإعطاء السلطة المحلية من تريد في مقابل الرضوخ لسيادة القوّة فقط، بل الأمر على العكس فان الهدف من المسؤولية الاسلامية تطبيق العدالة في كلّ يقعة من بقاع الارض مهما كانت صغيرة.

رابعا: الحيوانات (والبهائم) إنّ المسؤولية الاسلامية لا تنحصر بالانسان والبلاد والبقاع، بل تعم جميع الموجودات التي يهملها الانسان عادة في وحياته، كالبهائم من الحيوانات التي لا ينتفع بها إلّا لمصالح الانسان الشخصية، فان للبهائم في الاسلام حقوقاً يجب علىٰ المسلم أن يودى ما عليه من المسؤولية تجاهها.

وهذه النقاط الأربع تشمل كافة المسؤوليات الاسلامية وهي عامة في كافة المسلمين ـ إماماً ومأموماً ـ من القيادة حتى القاعدة، وتتلخص المسؤولية تجاه الانسان عامة والعالم بما في ذلك البلدان والقرىٰ بصورة عامة، وبما فيه من منابع الثروة الطبيعية وما عليه من النبات والحيوان حتى البهائم. وطبيعيّ أن لا يتحقق شئ من هذه المسؤوليات إلّا بالوعي للمسؤولية، والتحرك حسب القدرة في هذا السبيل.

ونتيجة هذا الوعي أنّ من يؤمن بهذه المسؤولية العامة يودي دوره الشخصي في المحافظة علىٰ النظافة في المجتمع وان اهملها غيره، ولا يبذر منابع الثروة الطبيعية لغير ما يفتقر اليه منها، ولا يقطع النبات التي خلقها الله على وجه الارض من غير حاجة إلىٰ ذلك.

ولا يستخدم البهائم إلّا بقدر حاجته اليها مع الرحمة والرفق بها بعدم تحميلها ما لا طاقة لها به وفق الله الجميع لمعرفة حدود هذه المسؤوليات والعمل بها، آمين.

(٥ / ط - ١٦٧) إطاعة الله :

أَطِيعُوا[1] ٱللّهَ وَلاَ تُعْصوهُ؛ وَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

وختم المقطع بالدعوة إلىٰ طاعة الله فيما انزله سبحانه من الرسالة في نقاط ثلاث بقوله:

١ ـ (أطيعوا الله ولا تعصوه) فإنّ الطاعة الحقيقية تستلزم عدم العصيان، وذلك بأداء ما يجب على الانسان من المسؤوليات والاجتناب عما نهى عنه من المحرمات، ونتيجة ذلك:

٢ ـ (وإذا رأيتم الخير فخذوا به) لان الله سبحانه أمر بالعمل بالخير فقال ﴿فاستبقوا

---

(١) في ط د: وأطيعوا، وفي هـ. د: أطيعوا ـ ش.

الخيرات﴾.[١]

٣ ـ (وإذا رأيتم الشرّ فأعرضوا عنه) فإنّ الله سبحانه جعل الانسان مخيّرا بين الخير والشر للامتحان في تنفيذ هذه الارادة الانسانية بقوله: ﴿ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة والينا ترجعون﴾.[٢]

والفتنة: الامتحان، فإنّ الانسان مخير بين الطريقين، وله القدرة على ذلك كلّه، وطاعة الله سبحانه يدعوا إلىٰ الخير، وطاعة الشيطان يدعو إلىٰ الشرّ، والقرار الاخير إلىٰ الانسان، عصمنا الله من الزلل في القول والعمل، آمين.

---

(١) البقرة ٢: ١١٤.
(٢) الانبياء ٢١:٣٠.

[١٦٨]

ومن كلام له عليه السلام بعدما بويع له بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممّن أجلب[1] على عثمان، فقال عليه السلام:

تتضمن الخطبة ما يفرضه الواقع بين النظرية والتطبيق، وحقيقة الموقف ومتطلّبات الموقف ومسؤولية جيش الامام عليه السلام بعدما بويع بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان ؟ فقال عليه السلام:

(ط - ١ / ١٦٨) **النظرية والتطبيق:**

يا إِخْوَتَاه![2] إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ ما تَعْلَمُونَ؛ وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْم[3] المجْلِبُونَ[4] عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ[5] يَمْلِكُونَنا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ! وَهَاهُمْ هؤُلاَءِ قَدْ ثارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكَمْ[6]، والْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكمْ[7]؛ وَهُمْ خِلاَلَكمْ[8] يَسُومُونَكُمْ ما شَاءوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدرَةٍ عَلَى شَيءٍ تُرِيدُونَهُ!

استفتح المقطع بالنظرية.

وذكر انها نظرية غير قابلة للتطبيق بقوله:

أوّلاً: (لا، يا إخوتاه) وأصلها يا أخوتي، خطاباً للجمع، والهاء للسكت، ممهداً للجواب عن نظرية هذه الجماعة بالمبادرة إلىٰ محاكمة من اعان علىٰ الخليفة عثمان، كما يقتضيه اصول الحكم الاسلامي العادل.

ثانيا: (إني لست أجهل ما تعلمون) بأنّ الحكم الاسلامي العادل يجب أن يطبّق، ولكن الحكم الذي يجب أن يطبّق إذا لايمكن تطبيقه لا يكون إلّا حكما لاغياً عمليا، وان كان صائباً نظريا، وذكر الأسباب المانعة عن تطبيق هذه النظرية بقوله:

---

(١) في هـ. ص: أي قصد لخلعه وجيّش لذلك.
(٢) في ط: يا إخوتا.
(٣) في هـ. ب: القوم (بدون واو).
(٤) في هـ. أ: جاء القوم بشوكتهم : أي بجماعتهم، وفي هـ. ب: مجتمعون ومعاونون.
(٥) في هـ. ب: شوكة الإنسان: شدّته، وفي هـ. ص: أي لم ينفلّ حدّهم ولم يضعفوا.
(٦) في هـ. ب: العبدان، جمع العبد، وفي هـ. ص: جمع عبد، وتكسر العين وتضم.
(٧) في أ وص: إغراركم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: أعرابكم، وفي هـ. ب: أهل البدو في ناحية الحجاز.
(٨) في هـ. ب: أوسطكم.

(ولكن كيف لي بقوة؟) اشار إلى قوّة العدوّ في حين ضعف نظام الحكم الاسلامي المتمثل به، حيث ان القضاء الاسلامي يستلزم الاعتراف وحضور كلّ من المتحاكمين إلىٰ الحاكم ليظهر حكمه بعد السماع منهما واستيفاء كافة الشروط والاطلاع على الملابسات.

في حين أن الجانب الداعي الى محاكمة من اعان على الخليفة عثمان هو معاوية واصحابه الذين لم يرضخوا الىٰ حكم الامام، ورفضوا طلبه في المثول عنده كحاكم لهذا الغرض، فكيف يمكن الحكم مع رفض أحد المتحاكمين الحضور للمحاكمة؟ وهل هذا إلّا رفض لشرعية كل ما يصدر من الحكم؟

فالنظرية بالمحاكمة في مثل هذا الظرف نظرية حسنة إلّا أنها غير قابلة للتطبيق.

٢ ـ (والقوم المجلبون على حد شوكتهم) والجلب :الإعانة، والشوكة: الشدة، ويعني بهم الذين اعانوا على قتل الخليفة عثمان وفي مقدّمتهم طلحة والزبير الذين اعلنا خروجهم في مكة وسارا الى البصرة حتى قتل مروان بن الحكم طلحة معلنا إنّه من قتله عثمان.

فإنّ الشوكة لهؤلاء المجلبين كانت في المدينة، وكانوا قد تسللوا في صفوف جيش الامام ولهم القدرة على القضاء على جميع الرؤوس، ومنهم الامام نفسه بالاغتيال.

٢ ـ (يملكوننا ولا نملكهم) اما انهم «يملكوننا» فلعدم التزامهم بالمبادئ الاسلامية في القتال، وأما أن الامام وجميع المسلمين لا يملكونهم، فلأنهم ملتزمون بالمبادئ الاسلامية في الحكم من عدم العقوبة قبل الجناية، ولو مع العلم بانهم ينوون الاغتيال، وهذه الحقيقة هي التي تميّز الاسلام عن غيره من الأديان والمبادئ، حيث يعتمد الاسلام على البيّنات قبل الحكم بالجرائم، والله العاصم.

٤ ـ (وهاهم هؤلاء) حيث كان يرى الامام التحزّبات داخل المدينة لهؤلاء اللذين قادوا المعارضة في البصرة، وبالأخص طلحة والزبير، فإنّ لكل منها أقرباء يجمعهم الولاء القبلي، وأصحاب يشتركون معهم في الأهداف، ومرتزقة يأتمرون بأوامرهم، وقد وصفهم بقوله:

٥ ـ (قد ثارت معهم عبدانكم) الذين استعبدوهم بالمال وغيره.

٦ ـ (والتفت إليهم أعرابكم) والاعراب: من لم يتثقف بثقافة الاسلام، فكان انظمامهم اليهم بدوافع قبليّة وقومية غير اسلامية.

٧ ـ (وهم خلالكم) والخلال: البين، فان هؤلاء المجلبين كانوا يتواجدون بين صفوف الشعب.

٨ ـ (يسومونكم ما شاؤوا) والسوم: التكليف والحكم، كما يتحكّم صاحب الحيوان في سيره بالقبض والارسال، وهؤلاء لتسللهم بين جماعات الشعب، لهم نفس الدور من طريق غير مباشر.

وهذه النقاط الثمانية تجعل الحكم فيمن اعان على الخليفة عثمان حكما لاغياً عمليا؛ لانهم يقومون بالدور الفعّال لإلغائه، ومع هذه الاسباب لا يمكن تحقق النظرية المذكورة، كما قال:

(وهل ترون موضعا لقدرة على شئ تريدونه؟).

فان هذه الاسباب مجتمعة تمنع من إصدار حكم يُعلم بعدم امكان تنفيذه، كما يظهر ان اصحاب هذه النظرية كانوا قد اقتنعوا حيث لم يذكر لهم اعادة هذا الاقتراح مرة اخرى، كما أنّ الحوادث المتأخرة منها كنقض البيعة من طلحة والزبير يكشف بوضوح عن صحة موقف الامام.

(٢ / ط - ١٦٨) حقيقة الموقف:

إِنَّ هَذَا الأَمْرَ أَمْرُ جاهِلِيَّةٍ[١]؛ وَإِنَّ لِهَؤُلاءِ الْقَوْمِ مادَّةً[٢]، إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمرِ ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَى أُمورٍ[٣]: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَالاتَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى[٤] هَذَا وَلاَ هَذَا[٥].

وذكر حقائق ثلاث عن الموقف يستدعي موقفاً حكيماً في مواجهتها علىٰ كلّ اساس من الثوابت الاسلامية المفروضة لكل من القائد الاسلامي والمسلمين، وهي:

أوّلاً: الانحراف (إن هذا الأمر أمر جاهلية) وان القتل من العقوبات الاسلامية التي لا يمكن أن يكون إلّا لمن يستحقها بجريمة مثلها، ولم يرتكب الخليفة عثمان جريمة تستحق القتل، والاعتداء بهذه الجريمة من اي مصدر كان هو غير مستند إلىٰ الثوابت الاسلامية، بل مستند الى دوافع شخصية أو قبلية، وهي دوافع غير اسلامية، فيكون لامحالة امراً جاهلياً.

---

(١) في هـ . ص: أي مشوب بعصبيّة.
(٢) أي عوناً ومدداً، وفي هـ . ب: المادة: الزاوية المتّصلة.
(٣) في هـ . ب: الناس على ثلاثة فرق: فرقة تقول: يجب أن يعاقبوا، ومنهم من يقول: لا يعاقبوا، ومنهم من يقول: لا يعاقبوا الآن، بل من بعد.
(٤) في ب زيادة: لا، وفي هـ . ص في نسخة زيادة: لا.
(٥) لم ترد «وفرقة لا ترى هذا ولا هذا» في أ، وفي ب: لا هذا ولا هذا، وفي أ وص زيادة: وفرقة ترى لا هذا ولا هذا، وفي هـ . د: لا ترى هذا ولا ذاك. ص ب، لا هذا ولا هذا ـ ش.

ثانيا: الاستعداد (وإن لهؤلاء القوم مادة) فإنّ الذين اعانوا على قتل الخليفة عثمان كانوا أفراداً يحققون احكاماً صدرت ممن يسيّرهم، فهم مستخدمون آلة لغيرهم، ويتخذون ذلك المنبع مادة لهم في قراراتهم، ولم يسمهم الامام بالاسم ولكن التوصيف بالجاهلية تشير إلىٰ المنتفعين من هذا القتل. والتاريخ اثبت أنّ اول المنتفعين هو معاوية في الشام، حيث رفع شعار قميص عثمان بعد مقتله، ولم يقدم على خطوات صادقة في انقاذه، وطبيعيّ أنه كان يتابع الاحداث بكل دقة لرفع شعار «قميص عثمان» من بعده.

ثالثا: (إن الناس من هذا الأمر – إذا حرك – على أمور) فإنّ النظرية المقترحة ليست النظرية الوحيدة المجمع عليها بين الناس، والنظرية اذا لم يؤيّدها الجمهور بالاغلبية تكون نظرية غير صالحة للتطبيق.

واشار الامام إلىٰ أنّ موضوع محاكمة من اعان على قتل الخليفة عثمان في الظرف المذكور، فيه آراء ومواقف ثلاثة أشار اليها بقوله:

١ ـ (فرقة ترى ما ترون) من المبادرة إلىٰ المحاكمة من دون حضور المتخاصمين.

٢ ـ (وفرقة ترى ما لا ترون) من عدم المباردة حتى عند عدم حضور المتخاصمين ومعرفة المتهمين والحقائق تفصيلاً.

٣ ـ (وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك) حيث لا رأي لها في موضوعٍ معقّدٍ مثل هذا.

وهذه الفرق توجد في كلّ حادثة معضلة، وطبيعيّ أن يكون السلوك بالنسبة اليها بموقف حكيم، فما هو؟

(٣ / ط - ١٦٨) الموقف الاسلامي:

فاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدأَ[١] النَّاسُ وَتَقَعَ الْقُلُوبَ مَوَاقِعَها، وتُؤْخَذَ الحُقُوقُ مُسْمَحَةً[٢]. فاهْدَءُوا[٣] عَنِّي وَانْظُرُوا ماذَا يَأْتِيكمْ[٤] بِهِ أَمْرِي؛ وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ[٥] قُوَّةً، وتُسْقِطُ مُنَّةً[٦]، وَتُورِثُ وَهْناً وذِلَّةً. وَسأَمْسِكُ الأَمْرَ ما اسْتَمْسَكَ؛ وإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً؛ فآخِرُ

---

(١) في هـ. ب: يسكن.

(٢) في هـ. أ: مسمحة، من قولهم: أسمحت فروسه، أي: ذلّلت نفسه وتابعت، وفي هـ. ب: بكسر الميم، منقادة، من اسمحت قروسه: أي ذلّت نفسه وتابعته. وبفتح الميم مـن أسـمحت وسـامحت أي: ساهلت، وفي هـ. ص: أي سهلة.

(٣) في هـ. ب : اسكتوا، وفي هـ. ص: أي اسكتوا ودعوا الاعتراض .

(٤) في ص: ما يأتيكم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: ماذا يأتيكم.

(٥) في هـ. ب: تضعف، وفي هـ. ص: تضعف وتهدّ.

(٦) في هـ. ب: قوّة عمل.

الدَّواء الْكَيُّ[١].

وقد أشار الامام إلى أنّ الموقف الاسلامي في الحكم يقتضي استقصاء الحقائق في الحوادث الواقعة، وان اولى مراحل الحكم الاسلامي أن ترفع الشكوى من المتحاكمين إلىٰ حاكم معترف به للمحاكمة، ولم يقم احد من ورثة الخليفة عثمان بذلك في المدينة، كما أنّ معاوية الذي رفع قميص عثمان كان معارضا ولم يرضخ لحكومة الامام، ولم يبايع الامام.

وفي مثل هذا الموقف لا يمكن اصدار قرار من دون تقصّي الحقائق للحادث.

وأنّ الموقف الاسلامي أن يطبق كلّ من المسلمين والامام مسؤولياتهم المفروضة عليهم حتى يتم تقصّي الحقائق على ثوابت اسلامية في الحكم.

فعن مسؤولية المسلمين، قال:

١ ـ (فاصبروا حتى يهدأ الناس) حيث لا يجوز اسلاميا اصدار حكم تحت تأثير العواطف.

٢ ـ (وتقع القلوب مواقعها) ويكون الرأي مستنداً إلىٰ مواقع ثابتة من دون تأثير خارجي.

٣ ـ (وتؤخذ الحقوق مسمّحة) من السماح بقبول الحق واعطاء الحق عن معرفة.

٤ ـ (فاهدأوا عني) أي امسكوا عن فرض نظرياتكم المستعجلة في القرار.

٥ ـ (وانظروا ماذا يأتيكم به أمري) بعد تقصّي الحقائق والرؤية الواضحة.

٦ ـ (ولا تفعلوا) فعلا يخالف أوامر القيادة الشرعية، فإنّ مخالفة اوامر القيادة الشرعية التي تنظر الى الامور بنظرة واقعية غير صحيح، مع انه يستلزم آثاراً وخيمة سردها بقوله:

أوّلاً: (فعلة تضعضع قوة) ويكون ذلك مستمسكاً للعدوّ في اتباع سياسة «فرّق تسد» فإنّ من لا يأتمر بأمر القيادة يكون سببا للفرقة، والفرقة اساس الضعف.

ثانيا: (وتسقط منّة) والمنّة: القدرة، فإنّ في الافعال الاعتباطية ما تحدّ من قدرة الانسان حيث يوجب الانشغال بامور جانبية ينبغي الترفّع عنها كالاصلاح بين الجماعات

---

(١) في أ وب: فآخر الداء الكيّ وفي ص: فإنّ آخر الدواء الكيّ.. وفي هـ. ب: فآخر الدواء الكيّ، وهذا أصح.

وفي هـ. ص: قال في الشرح مثل مشهور، ويقال: آخر الطب، ويغلط فيه العامة فتقول: «آخر الداء الكي»؛ لأنّ الكي لا يكون من الداء حتى يكون آخره.

وفي هـ. ص ـ أيضاً ـ: لعلّه على حذف مضاف للعلم به أي آخر علاج الداء أو دواء الداء. فلا غلط ومثله كثير شائع.

قلت: والظاهر أنّ الكي هنا كناية عن القتل.

المتخالفة في الآراء.

ثالثا: (وتورث وهنا) وهو الضعف، نتيجة لفقدان وحدة الكلمة بين الشعب.

رابعا: (وذلّة) وهي نتيجة عملية وطبيعية لما تقدم امام العدوّ المتربّص لايجاد هذه المشاكل ما امكن في المجتمع.

وعن مسؤولية القائد الاسلامي أشار إلىٰ امرين، هما:

الأوّل: (وسأمسك الأمر ما استمسك) إشارة إلىٰ أنّ الواجب الاسلامي يقتضي نظام الأولويّة في المسؤوليات، وحيث يعلم بأنّ هذه الحادثة الفضيعة تنبئ عن خطط لها مادة جاهلية، فإنّ مقتضى الاولوية هي المحافظة على السلم وعدم البدء بالقتال عملاً بالتعاليم الاسلامية المعروفة في القانون الاسلامي.

الثاني: (وإذا لم أجد بدّا فآخر الدواء الكيّ) حيث لا يكون حلاً سوى الحرب مباشرة، ولكن لا يكون ذلك إلّا بعد الاستفادة من جميع الاسباب المتيسرة لتحاشيها، وتاريخ حياة الامام تظهر هذه الحقيقة جلية لمن يدرسها.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[موقف علي من قتله عثمان]

واعلم أنّ هذا الكلام يدل على أنهعليه‌السلام كان في نفسه عقاب الذين حصروا عثمان والاقتصاص ممن قتله ، إنّ كان بقي ممن باشر قتله أحد ، ولهذا قال: إني لست أجهل ما تعلمون ، فاعترف بأنه عالم بوجوب ذلك ، واعتذر بعدم التمكّن كما ينبغي ، وصدقعليه‌السلام ، فإن أكثر أهل المدينة أجلبوا عليه ، وكان من أهل مصر ومن الكوفة عالم عظيم حضروا من بلادهم ، وطووا المسالك البعيدة لذلك ، وانضم إليهم أعراب أجلاف من البادية ، وكان الامر أمر جاهلية ، كما قالعليه‌السلام ، ولو حرك ساكنا لاختلف الناس واضطربوا ، فقوم يقولون : أصاب ، وقوم يقولون : أخطأ ، وقوم لا يحكمون بصواب ولا خطأ . بل يتوقفون ، ولا يأمن – لو شرع في عقوبة الناس والقبض عليهم – من تجدد فتنة أخرى كالأولى وأعظم ، فكان الأصوب في التدبير ، والذي يوجبه الشرع والعقل الامساك إلى حين سكون الفتنة ، وتفرق تلك الشعوب وعودقوم إلى بلادهم ، وكانعليه‌السلام يؤمل يطيعه معاوية وغيره ، وأن يحضر بنو عثمان عنده يطالبون بدم أبيهم ويعينون قوما بأعيانهم ، بعضهم للقتل ، وبعضهم للحصار ، وبعضهم للتسور ، كما جرت عادة المتظلمين إلى الامام والقاضي ، فحينئذ يتمكّن من العمل بحكم الله تعالى . فلم يقع الامر بموجب ذلك ، وعصى معاوية وأهل الشام ، والتجأ ورثة عثمان إليه ، وفارقوا حوزة أمير المؤمنينعليه‌السلام ، ولم يطلبوا القصاص

طلبا شرعيا ، وإنما طلبوه مغالبة ، وجعلها معاوية عصبية الجاهلية ، ولم يأت أحد منهم الامر من بابه ، وقبل ذلك ما كان من أمر طلحة والزبير ، ونقضهما البيعة ، ونهبهما أموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين من أهلها ، وجرت أمور كلها تمنع الامام عن التصدي للقصاص ، واعتماد ما يجب اعتماده لو كان الامر وقع على القاعدة الصحيحة من المطالبة بذلك على وجه السكون والحكومة ، وقد قال: هو عليه السلام لمعاوية : " فأمّا طلبك قتلة عثمان ، فادخل في الطاعة ، وحاكم القوم إلي ، أحملك وإياهم على كتاب الله وسنة رسوله " . قال: أصحابنا المعتزلة رحمهم الله : وهذا عين الحق ، ومحض الصواب ، لأنه يجب دخول الناس في طاعة الامام ، ثم تقع المحاكمة إليه ، فإن حكم بالحق استديمت إمامته ، وإن حكم بالجور انتقض أمره ، وتعيّن خلعه».[1]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

[١٦٩]

ومن خطبة له عليه السلام:

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

تتضمن سلطان الاسلام ونظام المسلمين في الدنيا ونتيجة الانحراف.

(١ / ط - ١٦٩) الحكم الاسلامي:

إِنَّ اللهَ[١] بَعَثَ رَسُولاً هادِياً بِكِتابٍ ناطِقٍ وأمْرٍ قائِم[٢] لا يَهْلِكُ عَنْهُ إلَّا هَالِكٌ[٣] وإنَّ الْمُبْدِعات[٤] الْمُشبِّهاتِ[٥] هُنَّ الْمُهْلِكاتُ إلَّا ما حَفِظَ[٦] اللهُ منْها[٧]. وإنَّ في سُلْطانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ[٨] فأعْطُوهُ طاعَتَكُمْ غَيرَ مُلَوَّمَةٍ[٩] ولا مُسْتَكْرَهٍ بها[١٠] واللهِ لَتَفْعَلُنَّ أوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ[١١] عنكُمْ سُلْطانَ الإسْلامِ[١٢] ثمَّ لا يَنْقُلهُ إليكُم أبداً حتّى يَأرِزَ[١٣] الأمْرُ إلى غيرِكُمْ.

جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بين الدين والدولة، فإنّ شريعته جددت شريعة ابراهيم وامتازت

---

(١) في أ ود زيادة : تعالى، وفي هـ. د: ان الله بعث ـ ص ح ب .

(٢) في هـ. ب: هو الدين.

(٣) في هـ. ص: هذا كما تقول لا يعلم هذا الفنّ إلّا عالم، أي: من قد بلغ الغاية واستحق أن يوصف بذلك ويشار إليه فيه، كذلك لا يهلك بعدوله عنه إلّا مَن هو أعظم الهالكين ومن يشار إليه بالهلاك وقد بلغ الغاية في الهلاك، انتهى من الشرح.

(٤) في أ وب وص: المبتدعات، ويحتمل في ب: المتبدّعات.

(٥) في هـ. ص: أي المشبهات بالسنن، وروي «المشبّهات» أي: الشبهات على الناس، ويروى «المشتبهات» أي: المتشابهات، انتهى من الشرح.

(٦) في ب: عصم الله، وفي هـ. ب، وفي نسخة: حفظ الله، وفي هـ. د: عصم الله ـ ش، وفي هـ. ص: ما حفظ الله، يحتمل أن تكون «ما» مصدرية، أي: إلّا وقت ما حفظ الله منها، ويحتمل أن تكون موصولة، أي: إلّا من حفظ الله، واستعملت لمن يعلم، نحو ﴿والسّماء وَما بَناها﴾ الشمس :٩١ / ٥.

(٧) لم ترد «منها» في ب وص.

(٨) في ب: عصمة لربكم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: عصمة لأمركم، وفي هـ. ص: أي حفظاً، وفي هـ. د: عصمة لربكم ـ ش.

(٩) ملوّمة: مبالغة في لامه.

(١٠) في هـ. د: غير متلوّمين ولا مستكرهين ـ حاشية ن. وفي ب وص: ملومة. وفي هـ. ب، وفي نسخة: ملوّمة، وفي هـ. ص: أي لا يلام فاعلها ولا ينسب إلى نفاق ولا رياء، تمت من الشرح.

(١١) في هـ. د: لم ترد لفظ الجلالة في ب.

(١٢) في هـ. ب: سلطان الاسلام هو قوّة الإسلام ولطفه.

(١٣) في هـ. ب: ينقبض، وفي هـ. ص: أي ينضم ويجتمع.

على غيرها من الشرائع بتطبيق حكم الله على الارض ولم يتمكّن احد من الانبياء قبله من ذلك، فقد عصىٰ قوم موسى حتىٰ ضلّوا في التيه، ولم يصل موسى إلىٰ بيت المقدس.

ولم يتمكّن عيسى من تطبيق حكم الله على الارض حتى رفع إلىٰ السماء، ولكن النبيّ محمّد ﷺ جمع بين الامرين.

وفي هذا المقطع اشار الامام إلىٰ سلطان الاسلام المعتمد على الأمرين معاً، وأنّ الانحراف عنهما يستلزم زوال هذا السلطان في الدنيا، فقال:

١ ـ (إنّ الله بعث رسولا هاديا) يهدي البشرية إلىٰ أمرين، أشار اليهما بقوله:

٢ ـ (بكتاب ناطق وأمر قائم) فالكتاب الناطق هو كتاب الله سبحانه، والأمر القائم هو سنّة النبيّ المطهرة القائمة، وهما أمر واحد، أحدهما ناطق والآخر مفسّر، ويعني بالسنّة: ما عمله النبي بنفسه دليلا ـ كما شرحته في مباني الاصول ـ ليس المستحب، كما هو في مصطلح فقهاء العصر، فراجع.

وعن نتيجة الانحراف عن ذلك قال:

٣ ـ (لا يهلك عنه إلّا هالك) وهو الموت روحيا وحضاريا؛ فإنّ الاعراض عن القرآن يسبب الهلاك الروحي للانسان، وذلك يستلزم الهلاك الحضاري للدولة الدينيّة التي تجمع بين العقيدة والشريعة.

وعن السبب في هذا النوع من الانحراف، قال:

٤ ـ (وإن المبتدعات المشبّهات هنّ المهلكات إلّا ما حفظ الله منها) والبدعة: ما يخالف الكتاب والسنة ، وهي مشبّهة بالحق، فليست لذلك حقيقة وانما كانت كذلك لاخفاء ماهيتها في خدمة الكفر واقعاً، فهي لذلك من المهلكات، دون غيرها، إلّا انه ا لا تضر من يعرف حقيقتها فيتحفظ منها.

وعن الحصانة عن هذه المبتدعات قال:

٥ ـ (وإن في سلطان الله عصمة لأمركم) لان ما امر الله به سبحانه من الامر بالتقوى والاعتصام بحبل الله وما شابه من الآيات الكريمة والسنة النبوية عصمة من الوقوع في المهالك.

٦ ـ (فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها) بأن تكون الطاعة خالصة من صميم الاعتقاد بانها طاعة واجبة لا تتحمل اللوم والاكراه من أي مصدر كان، كما في كلّ عمل واجب.

والى نتيجة هذا الانحراف أشار بقوله حالفاً:

٧ ـ (والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام) القائم على الدين والدولة معاً.

(ثم لا ينقله إليكم أبدا حتى يأرز الأمر إلى غيركم) والأرز: الرجوع، فإنّ الإخلال بأحد العمودين يضعف الاسلام الجامع بين الدين والدولة، فيكون دينا بلا سلطان ودولة كسائر الاديان التي تعتمد العقيدة فقط، وطبيعيّ أن أي دولة لا تعتمد الشريعة الاسلامية أو إن أي دولة تعتمد على السلطة الدنيوية فقط وتهمل العقيدة يكون مصيرها الفشل. وسبحان الله، فإنّ الدولة الاموية والعباسية والفاطمية والعثمانية انما قضت احدهما على الاخرى بسبب هذا الانحراف، ولو كانت قد رجعت إلىٰ العهد النبوي لما حلّ بها ما حلّ، والله العاصم.

(٢ / ط ـ ١٦٩) **نظام المسلمين:**

إنَّ هؤُلاءِ قدْ تَمالَؤُا[١] على سَخْطَةِ[٢] إمَارَتي وسَأصْبِرُ مَالمْ أخَفْ على جَماعَتِكُمْ. فإنَّهُمْ إنْ تَمَّمُوا على فيَالَةِ هذا الرَّأيِ[٣] ٱنْقَطع نِظامُ المُسْلِمينَ وإنَّما طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيا حَسَداً لمنْ أفاءَها اللهُ عليْهِ[٤] فأرَادُوا[٥] رَدَّ الأُمُورِ على أدْبارِها. وَلَكُمْ عَلَيْنا الْعَمَلُ بِكِتابِ اللهِ تعالى وسِيرَةِ رسُولِ اللهِ[٦] صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وٱلْقِيامِ بِحَقِّهِ والنَّعْشِ[٧] لِسُنَّتِهِ.

نظام المسلمين انما هو بالخلافة النبوية الداعية والعاملة بما أمر به الله سبحانه في كتابة وطبّقه الرسول القائد في حياته، وان اهمال أيّ ركن منهما يكون سبباً لاختلال نظام المسلمين.

وفي هذا المقطع اشار الامام إلىٰ المعارضة الداعية إلىٰ هذا النوع من الانحراف، فقال:

١ ـ (إن هؤلاء قد تمالؤوا على سخطة إمارَتي) والتمالؤ: الاتفاق بإحداث جبهة خاصة ضد الامام في البصرة عام ٣٦، كما هو مشروح في التاريخ.

وعن موقفه تجاه هذه الجبهة قال:

---

(١) في هـ. ب: تعاونوا.

(٢) السخطة: الكراهة وعدم الرضا، وفي هـ. ب: غضبه.

(٣) في هـ. أ: في التكملة «فيالة الرأي» بالكسر: خطأ الرأي، وفي هـ. ب: الفيالة: ضعف الرأي، وفي هـ. ص: أي ردّها، وفيه إشارة إلى أنّها كانت له فغُصبت عليه.

(٤) في هـ. ب: أي جعل تعالى تلك الأرض فيئاً لنا وغنيمة خاصّة لنا، وفي هـ. ص: فيه إشارة إلى أنّها كانت قبل أن يتولّاها مدبرة عن القصد راجعة القهقرى.

(٥) في هـ. د: وأرادوا ـ حاشية ن.

(٦) في ب ورسوله، وفي هـ. ب: ورسوله ـ ش.

(٧) في هـ. ب: الرفع.

٢ ـ (وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم) وهي جماعة المسلمين، فإنّ لهم رأيهم، ومن الناحية الاسلامية لا يمكن فرض رأي عليهم ما لم ينقضوا عهداً اسلاميا؛ فإنّ للجبهة المعارضة الحرية في إبداء رأيها كما تريد ما لم تتعدّ على القانون الاسلامي.

وعن أثر هذه الجبهة على مستقبل الامة، قال:

٢ ـ (فإنهم إن تمموا على فيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين) الفيالة: الضعف، فمن وجهة نظر القائد، فان رأي الجبهة المعارضة لا تمثل الاسلام القائم على القرآن والسنة، بل إنّ ذلك انحراف عنهما، فإنّ رأي الجبهة ضعيف لمخالفة للقرآن والسنة، وان هذا الرأي الضعيف إذا تمّ له النجاح فانه سوف يؤثر على مستقبل الاسلام؛ لاختلال نظام المسلمين بامكان استلام الحكم بالغلبة وليس بالشورى.

وعن الاسباب الدافعة لهذه الجبهة قال:

٤ ـ (وإنما طلبوا هذه الدنيا حسدا لمن أفاءها الله عليه) والايفاء: الارجاع والرد، فإنّ الدوافع لم تكن دينيّة اسلامية، بل شخصية دنيوية.

واسند هذا الاستنتاج إلىٰ حقيقة اعلنها بقوله:

٥ ـ (فأرادوا رد الأمور على أدبارها) وهي إيقاف حركة الاسلام التي قادها الرسول الاعظم وارجاع عقارب الساعة إلىٰ الوراء.

والىٰ طرق مواجهة الجبهة التي يستخدمها الامام اشار بقوله:

أوّلاً: (ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى) وهو الركن الأوّل للاسلام، كقانون اساسي.

ثانيا: (وسيرة رسول الله ﷺ) ، وهي الركن الثاني للاسلام، كمفسّر للقانون.

ثالثا: (والقيام بحقه) أي الرسول ممّا يرتبط بتطبيق حكم الله سبحانه على الارض.

رابعا: (والنعش لسنته) والنعش ـ لغة ـ: الرفع، اي العمل على طبق سنة الرسول ﷺ واعلاء سنته على العادات غير الاسلامية.

فان هذه النقاط الأربع مبادئ الحركة الاسلامية التي قادها الامام ضد الجبهة المعارضة وطبّقها عمليا كما يشهد به تاريخ حياته في كلّ من حروب الجمل وصفين.

ومن كلام له عليه السلام:

كلَّمَ بِهِ بَعْضَ الْعَرَبِ وقدْ أرْسَلَهُ قوْمٌ منْ أهْلِ الْبِصْرَةِ لمَّا قَرُبَ عليه السلام منها ليعْلَمَ لَهُمْ منْهُ حَقِيقَةُ حَالِهِ مَعَ أصْحَابِ الجَمَلِ[1] لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهمْ فَبيَّنُ لَهُ عليه السلام منْ أمْرِهِ مَعهُمْ ما عُلِمَ بِهِ أنَّهُ على الحَقِّ ثمَّ قالَ لهُ: بايِعْ[2]. فقالَ إنِّي رَسُولُ قوْمٍ[3] ولا أحْدِثُ حَدَثاً حتّى أرْجِعَ إليْهِمْ، فقالَ عليه السلام:

(ط - ١٧٠/١) البيعة مع الحجة:

أَرَأَيْتَ لوْ أنَّ الذِينَ ورَاءَك بَعَثُوكَ رَائِداً[4] تَبْتَغي لَهُمْ مَساقِطَ[5] الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إليهِمْ وأخْبَرْتَهُمْ[6] عنِ الْكلأَ والمَاءِ فَخالَفُوا إلى المَعاطِشِ[7] والَمجادِبِ ما كُنْتَ صانِعاً[8]. قالَ: كُنْتُ تارِكَهُمْ ومُخالِفَهُمْ إلى الْكلاءَ والمَاء. فقالَ عليه السلام: فامْدُدْ إذاً[9] يَدَكَ، فقالَ الرَّجُلُ: فَوَٱللهِ ما ٱسْتَطَعْتُ أنْ أمْتَنِعَ عنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عليَّ فَبايَعْتُهُ عليه السلام والرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ الجَرْمِي[10].

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«الجرمي : منسوب إلى بني جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة ، من حمير . وكان هذا الرجل بعثه قوم من أهل البصرة إليه عليه السلام يستعلم حاله : أهو على حجة أم على شبهة ؟ فلما رآه عليه السلام ، وسمع لفظه ، علم صدقه وبرهانه ، فكان بينهما ما قد شرحه عليه السلام . ولا شئ ألطف ولا أوقع ولا أوضح من المثال الذي ضربه عليه السلام ، وهو حجة لازمة لا مدفع

(١) في هـ . ب: أي ليعلم ما فعل أمير المؤمنين بأصحاب الجمل لتزول الشبهة من أنفس أهل البصرة فبيّن عليه السلام من أمره مع أصحاب الجمل.

(٢) في هـ . ب: بايعني، والعبارة في أ وردت هكذا: ومن كلامه عليه السلام لما قال لكليب الجرمي قبل وقعة الجمل: بايع.

(٣) في أ: قومي، وفي هـ . ب، وفي نسخة: قومي.

(٤) في هـ . ب: طالباً.

(٥) في هـ . ص: المواضع التي يسقط عليها المطر.

(٦) في ب: فأخبرتهم، وفي هـ . د: فأخبرتهم ـ ش.

(٧) في هـ . ب: موضع القحط والعطش، وفي هـ . ص: مواضع العطش والجدب.

(٨) في هـ . ب: ما الذي كنت صادقاً.

(٩) في ب : اذن، وفي هـ . ب: إذاً.

(١٠) عبارة «عليه السلام، والرجل يعرف بكليب الجرمي» لم ترد في أ، وفي هـ . ص: الجرمي منسوب إلى بني جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، من حمير، انتهى من الشرح.

لها».[١]

قال الجلالي: البيعة تقوم على الحجة، وقد بيّنت الحجة للجرمي شخصياً في لقاءه مع الامام، وبعد اتمام الحجة لم يكن أمامه سوى قبول الحجة أو رفضها، وحيث لم يتمكّن من رفضها عند قيام الحجة تعيّن عليه قبولها، والامام لم يمنعه من ايصال الرسالة الىٰ اصحابه، كما لم يفرض عليه المبايعة عنهم، بل ركّز على من قامت عليه الحجة وهو شخص الجرمي المذكور كما تقتضيه الاصول الاسلامية من قبول الحق حيث ظهر، وقد ظهرت الحقائق له بعد ايصال الرسالة وسماع جوابها. كما يحصل للكثير ممّن طلب الحقيقة فيجدها ثم يعمل بها، وفي السيرة والتاريخ ـ وخاصة تاريخ أهل البيتعليهم السلام ـ كثير من ذلك ممن لم توثر فيه دعايات اعداء الاسلام الذين اتهموا النبيّصلى الله عليه وآله بتهم يندىٰ منها الجبين، واعداء أهل البيت الذين لم يتلقوا تعاليمهم ورموهم بانواع التهم، كما هو شأن كلّ الاقليات في التاريخ الذين ضاع تاريخهم ولم يحفظ عنهم سوى سقطات التاريخ الذي كتب بأقلام أعدائهم، والتي يسنبط منها من يدرسها روائع موضوعية مستخرجة من بين السطور.

ولم يذكر الرضي في هذا الموضع موادّ الرسالة ولا أجوبتها، حيث انها ليست مقصودة، بل التقط جواب الامام من بليغ الكلام كما انه له المرام فلا يلام على اهمال ما لا يرام.

وعن نتيجة المحادثة خاطب الامام الجرمي بما هو من طبيعة حياته فقال:

١ ـ (أرأيت لو أنّ الذين وراءك بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث، فرجعت إليهم وأخبرتهم عن الكلأ والماء، فخالفوا إلى المعاطش والمجادب، ما كنت صانعا ؟) .

الرائد: المرسول لمعرفة المكان الصالح للنزول. ومساقط الغيث: محل نزول المطر. والكلأ: العشب. والمعاطش: الامكنة التي تخلوا من الماء، فتوجب العطش. والمجادب: الامكنة التي فيها الجدب، فتكون خالية من الكلأ أيضاً.

فان الرسول عليه بيان الحقيقة، وهذا الرائد ليس عليه إلّا ذلك، والقرار النهائي يكون بأيدي اصحابه، في أي مكان أرادوا نزلوا حسب رأيهم وإرادتهم وحرّيتهم.

٢ ـ (قال: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلأ والماء) لانه يختار المكان الصالح لنفسه ممّا يتوفر فيه الماء والكلأ، ولانه يعلم أن النزول في الموضع الذي ليس فيه الكلأ والماء موجب للهلاك، فمن الطبيعيّ أن يمتنع من النزول فيها، لعدم تحقيق غرضه من النزول؛

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

اعتماداً على العقل الذي وهبه الله، وان خالفه الجمهور؛ لعلمه بجهلهم الحقيقة التي عرفها بنفسه.

٢ ـ ونتيجة هذه المحادثة كانت قيام الحجة ولزوم البيعة، فقال عليه السلام:

(فامدد إذاً يدك) لاتمام الحجة عليك شخصياً.

فانّ البيعة تتبع الحجة، وبعد قيامها على الانسان لا يمكن الإعراض عنها، وهذا هو الفارق الاعظم بين المسلم الملتزم وغيره؛ فإنّ الاسلام يأمر باتباع الحق اينما وجد، ومخالفة الباطل اينما كان؛ لان الحق أحق أن يتّبع. والله الهادي.

[١٧١]

ومن خطبة له عليه السلام:

لما عزم على لقاء القوم بصفّين

والخطبة تتضمّن الاستعانة بالله تعالى بصفاته الدالة على قدرته في السماء والارض لتحقيق حكم الله في الارض والشهادة.

(١/ط - ١٧١) **الدعاء في الحرب:**

أَللَّهُمَّ رَبَّ ٱلسَّقْفِ المَرْفُوعِ، والجَوِّ المَكْفُوفِ[(١)]، الذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً[(٢)] لِلَّيْلِ وٱلنَّهارِ، ومَجْرىً لِلشَّمْس والْقَمَرِ، ومُخْتَلفاً لِلنُّجُومِ السيَّارَةِ، وجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً[(٣)] منْ مَلاَئِكَتِكَ[(٤)]، لا يَسأمُونَ منْ عِبَادَتِكَ، ورَبَّ هَذِهِ ٱلأَرْضِ ٱلَّتي جَعَلتها قَرَاراً لِلأَنامِ، ومَدْرَجاً[(٥)] لِلْهَوَامِّ والأَنْعامِ، ومَا لا يُحْصَى مِمَّا يُرَى ومِمَّا لا يُرَى، وَرَبَّ الجِبَالِ ٱلرَّوَاسِي الَّتي جَعَلْتَها لِلأَرْضِ أوْتاداً، ولِلْخَلْقِ ٱعْتِماداً[(٦)]، إنْ أظْهَرْتَنا[(٧)] على عَدُوِّنا فَجَنِّبْنا البَغْيَ، وسَدِّدْنا[(٨)] لِلْحَقِّ، وإنْ أظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنا فارْزُقْنا ٱلشَّهَادَةَ، وٱعْصِمْنا مِنَ الْفِتْنَةِ.

ويتضمّن المقطع الاستعانة بالله بسرد صفاته تعالىٰ الدالة علىٰ قدرته في السماء وفي الارض ثم الدعاء.

ان احدىٰ الحسنيين هو النصر بتحقيق حكم الله أو الشهادة في سبيل الله، مؤكداً على

---

(١) الجو: ما بين الأرض والأجرام السماوية وفيها من مصنوعات الله ما لا يحصى ولا يعدّ، وهو بحر عظيم تسبح فيه الكائنات العلوية وهي مكفوفة عن الأرض لاتسقط عليها.
في هـ. ب: الجو في اللغة الهواء، والمكفوف بالذات جعله كالقميص ويقال: هو الفلك الدائر مجرى القمر، وفي هـ.ب: المكفوف، يجوز أن يكون من الكف، وهو المنع عن السقوط، ويجوز أن يكون من كفّ الثوب وهو أن يخاط بالدرز الثاني.

(٢) غاض الماء، أي: نقص، وفي هـ. ب: المغيض، الموضع الذي يغيض فيه الماء، لنضبْه، ويقال: فإذا قلّت فيه الشجر فهي غيضة وفي هـ. ب أيضاً: المغيض اسم يقع على اشتداد الظلمة، والنهار على الضياء.

(٣) في هـ. ب: جماعة.

(٤) في هـ. د: الملائكة ـ ع.

(٥) في هـ. ب: ما يمشي عليه كلّ هامة، وفي هـ. ص: مدرجاً، أي: موضعاً لدروجهم وهو سيرهم وحركاتهم في طلب معاشهم.

(٦) في هـ. ص: أي يعتمدون عليها في معاشهم.

(٧) في هـ. ب: أي جعلت لنا الغلبة.

(٨) في هـ. ب: أصلحنا.

أنّ الهدف من هذه الحرب هي اسلامية عقائدية وليست دنيوية.

وعن صفات القدرة في السماء، قال:

١ ـ (اللهم ربّ السقف المرفوع) وهو السماء الذي يعلو علينا كالسقف، رفعةً لا يعرف مقدارها الانسان في الفضاء اللامتناهي.

٢ ـ (والجوّ المكفوف) والجوّ: ما بين الارض والسماء من فضاء. والكفّ: الجمع؛ فإنّ الفضاء هذا مقسّم طبيعاً الىٰ طبقات لا تتداخل، وفيها تبثّ الذبذبات للاتصالات اللاسلكية وغيرها.

٣ ـ (الذي جعلته مغيضا للّيل والنهار) والغيض: الأجمة التي يجتمع اليها ماء السماء، فتجتمع مياه المطر النازلة من السحاب فيها، كما أنّ فيها تجتمع الليل والنهار بالتناوب في رؤية كلّ انسان بتعاقبهما في كلّ يوم وليلة.

٤ ـ (ومجرى للشمس والقمر) ان الشمس والقمر يسيران بنظام دقيق، وعلى محاسبات دقيقة يترتب عليها معرفة التاريخ الشمسي القائم على أساس حركة الشمس، والتاريخ القمري القائم على حركة القمر، ولكل منها محاسبات معروفة تعرف بالتقويم.

٥ ـ (ومختلفا للنجوم السيارة) التي لا يعلم عددها سوى الله، والاختلاف: مجئ بعضها خلف الاخر، أو لان السماء هو موضع لاختلافها كما يحدده علم الفلك في المحاسبات الفلكية.

٦ ـ (وجعلت سكانه سبطا من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك) والسبط: القبيلة، فإنّ الملائكة يسكنون السماوات على اختلاف طبقاتها، كلٌ يسبح بحمد الله وعبادته دون سأم أو ملل، وهذه القدرة الحاكمة على السماء بما فيها ومن فيها قادرة على استجابة الدعاء.

وعن صفات القدرة في الارض، قال:

١ ـ (وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام) بحيث يستقرون عليها للسكنى والحياة فيها.

٢ ـ (ومدرجا للهوام والأنعام) والهوام: الحشرات، والانعام: الابل والبقر والغنم، فانها جميعا تسبّح في ارض الله سبحانه وتتنعم بما جعل الله لها منها لحياتها.

٣ ـ (وما لا يحصى ممّا يُرى ومما لا يرى) من الحيوانات التي لا حدّ لها وعدّ من غرائب الحيوانات المائية والحشرات الارضية والطيور الهوائية، ممّا لآيعلمها إلّا الله سبحانه.

٤ ـ (ورب الجبال الرواسي) الرسوّ: الثبوت بحيث لا تنتقل من أماكنها.

وعن حكمة ثبوتها، قال:

٥ ـ (التي جعلتها للأرض أوتادا) وفي وجودها أثر في حفظ توازن حركة الارض، كالوتد، والله العالم.

٦ ـ (وللخلق اعتمادا) يعتمدون عليها لما يفتقرون اليه في الحياة من الماء والكلأ والمنازل والعوامل، فانّ هذه القدرة الحاكمة في الارض قادرة على استجابة الدعاء، ممن يعتمد على الله وحده.

وعن مضمون الدعاء أشار الى ما هو مقدم في الحرب العقائدية العادلة، فإنّ نتيجة الحرب ـ كما هو الحال في أيّ حرب ـ اما النصر أو عدم النصر ـ والامام باعتباره قائداً اسلاميا يحث في الحالتين على الدعاء بما هو الواجب الاسلامي الذي يجب أن يؤديه المحارب في ساحة المعركة.

وعن حالة النصر، قال:

(إن أظهرتنا على عدونا فجّنبنا البغي وسدّدنا للحق) فإنّ النصر في نفسه من دون اهداف ليس نصراً اسلاميا، بل هو نصر مادي. واشار إلى الاهداف الاسلامية وهي:

(مجانبة البغي) و (سداد الحق) وكلاهما ممّا يسعى العدوّ على خلافه باستخدام البغي، واماتة الحق، ممّا اوجب الحرب.

وعن حالة عدم النصر، قال:

(وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة) فإنّ الموت في الحرب العقائدية شهادة يتمناها المؤمن، وحيث أنّ خسران المعركة عادة يستتبع امتحاناً وفتنة بين الناس عقّب ذلك بالدعاء بالعصمة منها والثبات على الرؤية الواضحة مهما اشتدت الظروف.

والامام في هذا الدعاء ابرز الخصائص التي تميّز الحرب الاسلامية عن غيرها، وهي: الرؤية الواضحة للأهداف.

(٢ / ١٧١ ـ ط) اعلان الحرب:

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ[1]، وَالْغَائِرُ[2] عِنْدَ نُزُولِ الحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الحِفاظِ، أَلْعَارُ[3] وَرَاءَكُمْ،

---

(١) في هـ. ص: الذمار: ما يحقّ للرجل أن يحميه ويمنعه.

(٢) الغائر: الذي تحشمه الحمية والغيرة، والحقائق: الأُمور الشديدة كالحاقات.

(٣) في ص: النار، وفي هـ. ص، وفي نسخة: العار.

والجَنَّةُ أمامَكُمْ.

خاطب الامام عليه السلام صفوف الجيش المحارب وشجّعهم على أنّ الرؤية الواضحة تستلزم الموقف الصامد، وهذا يتطلب الايمان بالقضية حتى يؤدي إلىٰ اتخاذ القرار المناسب؛ اداءً للواجب العسكري، فقال:

١ ـ (أين المانع للذمار) وهو ما يحامىٰ عنه من المبادئ الاسلامية، كما يحارب الانسان عن أهله وحرمه.

٢ ـ (والغائر عند نزول الحقائق) والغائر: ذو الغيرة لحماية ما يعز عليه في المواقف التي تقتضي ذلك، كالدفاع عن الحقائق الاسلامية.

٣ ـ (من أهل الحفاظ) وهم الذين يحافظون على العهد ويلتزمون بالوفاء للمبادئ التي يؤمنون بها.

٤ ـ (العار وراءكم) لمن يتزعزع ايمانه في الخيار بين الصمود في الحرب؛ لاعتقاده بالمبادئ، أو الهروب منها خوفا من الموت، فإنّ الهارب ينكر واجبه الوطني والديني، فيكون عاراً عليه في تاريخ حياته.

٥ ـ (والجنّة أمامكم) في الخوض في الحرب العادلة لنيل إحدى الحسنيين؛ اما النصر أو الشهادة.

وبهذه النقاط الخمس حدد الامام الاهداف العادلة في هذه الحرب الاسلامية العقائدية، ويظهر من الجملة الأخيرة: (العار وراءكم والجنّة أمامكم) أنّها كانت آخر كلمة أطلقها الامام عليه السلام قبل الدخول في الحرب.

[١٧٢]

ومن خطبة له عليه السلام :

تتضمن حمد الله ويوم الشوري والاستعداء على قريش واصحاب الجمل، والعقوبة الاسلامية العادلة.

(ط - ١٧٢/١) حمد الله:

اَلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي لاَ تُوَارِي(١) عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلاَ أَرْضٌ أَرْضاً.

استفتح المقطع بحمد الله وقد أشار من صفات الذات المقدسة الموجبة للحمد الىٰ امرين مترابطين بقوله:

(الحمد لله الذي لا تواري عنه سماءٌ سماءً، ولا أرض ارضاً) فإنّ وجود السماوات والارضين باختلاف طبقاتها أدلّة واضحة تدل على وجود علّة خالقة لها، وتنتهي العلل كلها الى واجب الوجود تعالى.

وطبيعة هذين المخلوقين (السماء والارض) حجبهما ظاهرهما المحسوسين للانسان، فلا علم له باعماق السماوات التي لاترى بالحس، فيكون ابعد طبقات السماء متواريا عن أقربها، وكذلك الارض فإنّ أبعد طبقاتها التي هي نواة الارض متوارية عن أقربها إلىٰ الحس، وهي سطح الارض الذي يعيش عليها الانسان.

وهذه الطبقات بمجموعيهما لها آثار محسوسة تكشف عن قدرة، أو حيرة تنتهي إلىٰ الله سبحانه، ومما ذكرنا ظهر ما في كلام الشارح ابن ابي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في المقام، حيث قال:«هذا الكلام يدل على إثبات أرضين بعضها فوق بعض . كما أنّ السماوات كذلك ولم يأت في الكتاب العزيز ما يدل على هذا إلا قوله تعالى :﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾(٢) ، وهو قول كثير من المسلمين . وقد تأول ذلك أرباب المذهب الاخر القائلون بأنها أرض واحدة ، فقالوا : إنها سبعة أقاليم ، فالمثلية هي من هذا الوجه ، لا من تعدد الأرضين في ذاتها . ويمكن أنّ يتأول مثل ذلك كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، فيقال: إنها وإن كانت أرضا واحدة ، لكنها أقاليم وأقطار مختلفة ، وهي كرية الشكل ، فمن على حدبة الكرة لا يرى من تحته ، ومن تحته لا يراه ، ومن على أحد جانبيها لا

---

(١) في ب: يواري، وفي هـ. ب: لا يستر.

(٢) سورة الطلاق : ١٢ .

يرى من على الجانب الآخر والله تعالى يدرك ذلك كله أجمع ، ولا يحجب عنه شئ منها بشئ منها».[١]

للمسؤولية فريضة اسلامية ثابتة عند اجتماع أسبابها، وقد سعى في تحمّل هذه المسؤولية الانبياء، قال ابو الانبياء ابراهيم: ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾[٢].

ومن هذا المنطلق طالب الامام بحقه في يوم الشورىٰ، حيث وجد الفرصة لتطبيق حكم الله سبحانه على الارض بهذه المسؤولية التي اجتمعت اسبابها بالشورى المقترحة، واستخدم الامام الطرق التي شرعها الاسلام في إقامة الحجة في مؤتمر الشورى هذا، كما هو مشروح في التاريخ.

(١ / ١٧٢ ـ ط) اتهامات باطلة:

مِنْها: وقالَ قائِلٌ[٣]: إنَّكَ على هَذَا الأَمْرِ ياٱبْنَ أَبِي طالب[٤] لَحَرِيصٌ، فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ ـ وٱللّٰهِ ـ أَحْرص[٥] وأَبْعَدُ، وأنا أَخَصُّ وأَقْرَبُ، وإنَّما طَلَبْتُ حَقّاً لِي[٦]، وأَنْتُمْ تَحُولُونَ[٧] بَيْنِي وبَيْنَهُ، وتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ[٨] بالْحُجَّةِ في ٱلْمَلإِ[٩] الحَاضِرِينَ هَبَّ[١٠] لا يَدْرِي[١١] ما يُجِيبُنِي بِهِ[١٢].

من طبيعة المؤتمرات: قيام المعارضة بأي وسيلة توجب تنحية المعارض الذي لا ترغب فيه، ومنها: الاتهامات الباطلة والدعايات الكاذبة، ومن هذه الاتهامات العامة: عدم الخبرة للمتصدي لتلك المسؤولية كصغر السن والشباب، وقد اشار الامام في هذا المقام الىٰ اتهام خاص وهو الحرص، واجاب عنه في نقاط:

ـ(وقد قال قائل: إنّك علىٰ هذا الامر يا ابن أبي طالب لحريص) وهو اتهام ضد المرشّح

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٣٠٤.
(٢) الفرقان ٢٥:٧٤.
(٣) في أ ود: وقال لي قائل، وفي هـ. د: وقد قال لي قائل ـ ص، وقد قال قائل ـ ح ب ل.
(٤) في ب: إنّك يابن أبي طالب على هذا الأمر، وفي هـ. د: انّك يابن أبي طالب على هذا الأمر ـ ش.
(٥) في ط: لأحرص.
(٦) في هـ. ص: قد يقال طلبة الانتصاف من قوم موتى ليس إلّا بمؤاخذة في الآخرة، فهو دعاء بالعذاب.
(٧) تحولون: تمنعون.
(٨) في هـ. ب: قارعته وضاربته وجادلته.
(٩) في هـ. ب: جماعة الاشراف.
(١٠) في أ وص ود: بهت، وفي هـ. ب: أي طفق.
(١١) في هـ. د: كأنّه بهت لا يدري ـ ص ح ش، هب لا يدري.
(١٢) ممّا يجبني به ـ ن.

للخلافة بأمر منافٍ للمسؤولية.

فان المسؤولية في اعتقاداتهم تقتضي عدم الحرص على هذه الخلافة.

وقد اجاب الامام عليه السلام عن هذا الاتهام بامور:

الأوّل: (فقلت: بل أنتم والله لأحرص) مؤكداً جوابه بالقسم؛ لان هذا الاتهام بالحرص، شأن كل الاتهامات غير المدعومة بالحجة تعبّر عن نفسية المتهم، فإنّ السارق يرى أن كل حركة من الناس هي محاولة للسرقة، والكاذب لا يصدّق احداً قط؛ لاعتقاده أنهم يكذبون مثله.

الثاني: (وأبعد) عن استحقاق الخلافة؛ لعدم تواجد المؤهلات الموجودة في شخص الامام في غيره من المرشحين.

الثالث: (وأنا أخص) لتواجد المؤهلات المطلوبة في القيادة الابراهيمة في قوله تعالى:﴿اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين﴾[1].

وقد كرم الله وجهه من السجود لاصنام الكفر منذ صباه، وهو اقدم من تخرّج من مدرسة الرسول صلى الله عليه وآله.

الرابع: (وأقرب) أي الىٰ الرسول صلى الله عليه وآله بالنسب والصهر.

وهذه الادلة الاربعة كافية في ثبوت المؤهلات التي ترشّحه للخلافة، دون غيره ممن لم يتوفر فيهم ولا واحدة منها من المرشحين لها.

وفي نفس الوقت تثبت أن المسألة ليست مسألة حرص على الخلافة، بل هي لتحقيق اهداف الخلافة من تطبيق حكم الله على الارض.

وعن موقف المعارضة من خلافته قال:

١ ـ (وإنما طلبت حقا لي) باجتماع المؤهلات لتحمّل المسؤولية الاسلامية بعد اجتماع أسبابها.

٢ ـ (وأنتم تحولون بيني وبينه) بهذه الاتهامات الباطلة ومنها: الحرص على الدنيا؟!

٣ ـ (وتضربون وجهي دونه) بالاتهام بامور توحي بعدم التركيز على المسؤولية المطلوبة بأن يتحول وجه الكلام إلىٰ شئ آخر دون العمل بالواجب، والنزول إلىٰ الجدال في امور جانبية. وعن نتيجة هذا الاتهام وجوابه قال:

٥ ـ (فلما قرعته بالحجة) التي كشفت عن اهداف هذا الاتهام .

---

(١) البقرة ٢: ١٢٤.

(في الملأ الحاضرين) للشورى (هب) أي صاح من الغضب متكلّما بكلام مهمل؛ لانه لم يتوقع هذه الحقيقة التي انكشفت للملأ.

(لا يدري ما يجيبني به) كما هو الحال في الموقف الصريح القائم على الحجة والصدق والمسند بالادلة فيما يواجه الحق بالحقائق والارقام، فلا يكون للخصم جوابٌ في المقام.

(٣/ط - ١٧٢) الاستعداء على قريش:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِدُكَ[١] على قُرَيْش ومَنْ أَعْانَهُمْ، فإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمي[٢]، وصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتي[٣]، وأَجْمَعُوا على مُنَازَعَتي أمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قالُوا: أَلاَ إِنَّ في ٱلْحَقِّ[٤] أَنْ تَأْخُذَهُ وفي ٱلْحَقِّ أَنْ تَتْرَكُهُ[٥].

يستعرض المقطع موقف الامام من مؤامرات قريش لمعارضة الامام متوجّهاً إلىٰ الله سبحانه ومشيراً إلىٰ الاسباب التي دعته إلىٰ الاستعداء إلىٰ الله منهم، وهذا يكشف عن شدة المحنة التي عاشها آنذاك؛ اذ لم يكن له ملجأ سوى الله، فقال:

(اللهم إني استعديك على قريش ومن أعانهم) فإنّ قادة المعارضة كانت من قريش والقاعدة من غيرهم ممّن شاركهم وعاونهم في العداء.

وعن أسباب هذه الشكوىٰ إلىٰ الله سبحانه، قال:

أوّلاً: (فإنهم قطعوا رحمي) فإنّ قريش أعلنت قيادة المعارضة على أُسس قبلية، وهي قرب الرحم إلىٰ رسول الله ﷺ بالنسب والحسب، وباعتبارهم صحابة كرام.

والأمران معاً يوجبان رعاية ما توجب عليها بالنسبة إلىٰ غيرهم ممن يجمعه واياهم النسب والحسب، وهو في حق الامام واضح من تاريخ حياته، وصلته القريبة بالرسول القائد، فهم باعلان المعارضة قطعوا صلة الرحم التي ادّعوها لأنفسهم.

ثانيا: (وصغّروا عظيم منزلتي) لانه اول من تخرج من المدرسة النبوية صبيّاً وهو ايضاً صهر الرسولﷺ والمدافع عن الاسلام في كلّ مراحله من الغزوات في عصر الرسولﷺ

---

(١) في هـ. ب: استعديت: استعنت، وفي هـ. د: استعينك ـ ب.

(٢) في هـ. ص: قطعوا رحمي: إشارة إلى قوله تـعالىٰ: ﴿وأُولوا الأرحـام بـعضهم أولى بـبعض﴾ الانفال:٨ / ٧٥.

(٣) في هـ. ص: صغروا عظيم منزلتي: هـي وجـوب طـاعته ومـتابعته فـي الأقـوال والأفـعال الشرعية والرجوع إليه عند الاشكال، فقد صار حكمه في ذلك عند غير الشيعة.

(٤) في هـ. د: إلّا ان الحق ـ ب.

(٥) في هـ. ب: المعنى انّهم قالوا: إنّك تستأهل الإمامة ولكـن البـيعة سـبقت لأبـي بكـر، وفـيه اشارةقول النبيّ ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».

كما هو مشروح في السيرة. وتعظيم هذه المنزلة يكون بالاعتراف بها وليس بإعلان الحرب ضدها. وعلى العكس فان اعلان الحرب ضده هو تصغير لهذه المنزلة التي لا يمكن أن ينكرها احد في التاريخ والسيرة.

ثالثا: (وأجمعوا على منازعتي أمرا هو لي) فتشكّلت جبهة واحدة للمنع من وصول الامام الى الحكم بالاتهامات الباطلة كالحرص على الخلافة ونحوها، مع علمهم باجتماع مؤهلات القيادة فيه لتاريخه المشرق في الاسلام، وانه لا يستهدف من الخلافة سوى تطبيق حكم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وعن نتيجة هذا الاجماع، قال اخيراً:

(ثم قالوا إلّا إنّ في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه) حيث أنّ هذا الاقتراح يعني أنّ الخلافة انما هي امر عادي يجوز في الوصول اليها استخدام الآراء الشخصية كما يجوز اخذها ولو بالغلبة والسياسات والمؤامرات، أو تركها.

وهذا يستلزم أنّ الخلافة ليست مسؤولية دينيّة يجب أن يقوم بها من تجتمع فيه المؤهلات المطلوبة من العلم والعمل. والانسان المسؤول المؤمن بأهدافه ليس له أن يترك المسؤولية عند اجتماع اسبابها.

فإنّ اقتراحاً كهذا في نفسه جهل بمسؤولية القيادة الاسلامية.

وممّا ذكر يظهر ما في كلام الشارح ابن ابي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) حيث قال:« ثم قالوا : ألا إنّ في الحق أنّ تأخذه وفى الحق أنّ تتركه " قال: لم يقتصروا على أخذ حقي ساكتين عن الدعوى ، ولكنهم أخذوه وادعوا أنّ الحق لهم . وأنه يجب على أنّ أترك المنازعة فيه ، فليتهم أخذوه معترفين بأنه حقي ، فكانت المصيبة به أخف وأهون . واعلم أنه قد تواترت الاخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول ، نحو قوله : " ما زلت مظلوما منذ قبض الله رسوله حتى يوم الناس هذا " . وقوله : " اللهم أخز قريشا فإنها منعتني حقي ، وغصبتني أمري " . وقوله : " فجزى قريشا عنى الجوازي ، فإنهم ظلموني حقي ، واغتصبوني سلطان ابن أمي " . وقوله ، وقد سمع صارخا ينادى : أنا مظلوم فقال: " هلم فلنصرخ معا ، فإني ما زلت مظلوما " . وقوله : " وإنه ليعلم أنّ محلى منها محل القطب من الرحى " . وقوله : " أرى تراثي نهبا " . وقوله : " أصغيا بإنائنا ، وحملا الناس على رقابنا " . وقوله : " إنّ لنا حقا إنّ نعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ، وإن طال السرى " . وقوله : " ما زلت مستأثرا على ، مدفوعا عما أستحقه وأستوجبه " . وأصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الامر بالأفضلية والأحقية ، وهو الحق والصواب فإن حمله على الاستحقاق بالنص تكفير أو تفسيق

لوجوه المهاجرين والأنصار، ولكن الامامية والزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها، وارتكبوا بها مركبا صعبا. ولعمري إنّ هذه الألفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم، ولكن تصفح الأحوال يبطل ذلك الظن، ويدرأ ذلك الوهم، فوجب أنّ يجرى مجرى الآيات المتشابهات الموهمة مالا يجوز على الباري، فإنه لا نعمل بها، ولا نعول على ظواهرها، لأنّا لمّا تصفحنا أدلة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ، وأن تحمل على التأويلات المذكورة في الكتب».(١)

قال الجلالي: أنّ مقتضىٰ القواعد الاصولية التي لا يختلف فيه اثنان هو حمل اللفظ على الظاهر ما لم يردع عنه دليل. وقد اعترف أنّ «هذه الالفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم» ثمّ قال: «ولكن تصفح الاحوال يبطل ذلك الظن» ولا أدري أيّ ظن يبطله؟

وقد ذكر اموراً ثلاثة، هي: النص والتكفير أو التفسيق لوجوه المهاجرين والانصار.

أما التكفير، فليس من مذهب أغلب الامامية والزيدية حيث عندهم الاجماع على الاسلام بنطق الشهادتين، فالامر يدور بين امرين لا ثالث لهما: امّا النص أو التفسيق، ولعمري اذا لم يكن الخروج على الامام بعد انعقاد البيعة فسقا، فما هو الفسق إذاً؟

وبماذا يوصف نكث البيعة؟ والبغي على الامام؟ فإنّ وصف الفاسق ينطبق انطباقا تاماً على من لم يحكم بما انزل الله عن علم وعمد، وقد قال الله تعالى:﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأُولئك هم الفاسقون﴾(٢).

والباغي على الامام والشاهر للسيف ضدّه ليس حكما بما انزل الله، بل قد اوجب الله طاعة اولي الامر فقال: ﴿أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾(٣).

ويختلف حال هؤلاء المحاربين عن غيرهم من وجوه المهاجرين والانصار الذين لم يبايعوا ولم يشهروا السيف في وجه من انعقدت له البيعة، وعليه فيبقىٰ النص بلا معارض، وعليه فلابدّ من تفسيق من خرج على الامام.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ثم نعود إلى خبرهما: قال: أبو مخنف: فلما أقبل طلحة والزبير من المربد، يريدان عثمان بن حنيف، فوجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتى انتهوا إلى موضع

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩: ٣٠٦ ـ ٣٠٧.
(٢) المائدة ٥: ٤٧.
(٣) سبأ ٣٤: ٥٩.

الدباغين ، فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف ، فشجرهم [١] طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة ، فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة ، فأخذوا إلى مقبرة بني مازن ، فوقفوا بها مليا حتى ثابت إليهم خيلهم ثم أخذوا على مسناة البصرة ، حتى انتهوا إلى الرابوقة ثم أتوا سبخة دار الرزق ، فنزلوها . قال: وأتاهما عبد الله بن حكيم التميمي لمّا نزلا السبخة بكتب كانا كتباها إليه ، فقال لطلحة : يا أبا محمّد ، وأمّا هذا كتبك إلينا ؟ قال: بلى ، قال: فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله ، حتى إذا قتلته ، أتيتنا ثائرا بدمه ! فلعمري ما هذا رأيك ، لا تريد إلا هذه الدنيا . مهلا ! إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة ، فبايعته طائعا راضيا ، ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا في فتنتك ! فقال: إنّ عليا دعاني إلى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت لو لم أقبل ما عرضه على لم يتم لي ، ثم يغري بي من معه . قال: ثم أصحبنا من غد فصفا للحرب ، وخرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه فناشدهما الله والاسلام ، وأذكرهما بيعتهما عليا عليه السلام فقالا : نطلب بدم عثمان فقال لهما : وما أنتما وذاك أين بنوه ؟ أين بنو عمه الذين هم أحق به منكم ! كلا والله ولكنكما حسدتماه ، حيث اجتمع الناس عليه ، وكنتما ترجوان هذا الامر ، وتعملان له ! وهل كان أحد أشد على عثمان قولا منكما فشتماه شتما قبيحا ، وذكر أمه ، فقال للزبير : وأمّا والله لولا صفية ومكانها من رسول الله فإنها أدنتك إلى الظل ، وأن الامر بيني وبينك – يا بن الصعبة – يعنى طلحة – أعظم من القول – لأعلمتكما من أمركما ما يسوءكما . اللهم إني قد أعذرت إلى هذين الرجلين ! ثم حمل عليهم ، واقتتل الناس قتالا شديدا ، ثم تحاجزوا واصطلحوا على أنّ يكتب بينهم كتاب صلح فكتب : هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة مير المؤمنين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما ، أنّ لعثمان بن حنيف دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر ، وأن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة ، ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا فرضة ولا سوق ولا شرعة ولا مرفق ، حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فإن أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمة ، وإن أحبوا لحق كلّ قوم بهواهم وما أحبوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامة وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه ، وأشد ما أخذه على نبي من أنبيائه ، من عهد وذمة .

---

(١) شجره بالرمح : طعنه .

وختم الكتاب ، ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الامارة وقال: لأصحابه : الحقوا رحمكم الله بأهلكم ، وضعوا سلاحكم ، وداووا جرحاكم ، فمكثوا كذلك أياما . ثم إنّ طلحة والزبير قالا : إنّ قدم على ونحن على هذه الحال من القلة والضعف ليأخذن بأعناقنا فأجمعا على مراسلة القبائل واستمالة العرب ، فأرسلا إلى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف ، يدعوانهم إلى الطلب بدم عثمان ، وخلع على ، وإخراج ابن حنيف من البصرة . فبايعهم على ذلك الأزد وضبة وقيس بن عيلان كلها إلا الرجل والرجلين من القبيلة ، كرهوا أمرهم فتواروا عنهم ، وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم فجاءه طلحة والزبير إلى داره ، فتوارى عنهما ، فقالت له أمة : ما رأيت مثلك ! أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما ! فلم تزل به حتى ظهر لهما ، وبايعهما ومعه بنو عمرو ابن تميم كلهم وبنو حنظلة إلا بني يربوع ، فإن عامتهم كانوا شيعة علي عليه السلام وبايعهم بنو دارم كلهم إلا نفرا من بني مجاشع ذوي دين وفضل . فلما استوسق لطلحة والزبير أمرهما ، خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ، ومعهما أصحابهما ، قد ألبسوهم الدروع ، وظاهروا فوقها بالثياب ، فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر ، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه ، وأقيمت الصلاة ، فتقدم عثمان ليصلي بهم فأخره أصحاب طلحة والزبير ، وقدموا الزبير فجاءت السبابجة ، وهم الشرط حرس بيت المال . فأخرجوا الزبير ، وقدموا عثمان ، فغلبهم أصحاب الزبير ، فقدموا الزبير وأخروا عثمان ، فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع ، وصاح بهم أهل المسجد : ألا تتقون أصحاب محمّد وقد طلعت الشمس ! فغلب الزبير فصلى بالناس ، فلما انصرف من صلاته ، صاح بأصحابه المستسلحين : أنّ خذوا عثمان بن حنيف ، فأخذوه بعد أنّ تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما ، فلما أسر ضرب ضرب الموت ، ونتف حاجباه وأشفار عينيه وكل شعرة في رأسه ووجهه ، وأخذوا السبابحة وهم سبعون رجلا ، فانطلقوا بهم وبعثمان ابن حنيف إلى عائشة فقالت لأبان بن عثمان : اخرج إليه فاضرب عنقه ، فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله . فنادى عثمان : يا عائشة ، ويا طلحة ويا زبير ،أخي سهل ابن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة ، وأقسم بالله إنّ قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم ، فلا يبقى أحدا منكم . فكفوا عنه ، وخافوا أنّ يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة ، فتركوه . وأرسلت عائشة إلى الزبير أنّ أقتل السبابجة فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك . قال: فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم ، ولى ذلك منهم عبد الله ابنه ، وهم سبعون رجلا وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال . قالوا : لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين ، فسار إليهم الزبير

في جيش ليلا ، فأوقع بهم ، وأخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبرا .

قال: أبو مخنف : فحدثنا الصقعب بن زهير ، قال: كانت السبابجة القتلى يومئذ أربعمائة رجل قال: فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر كان في الاسلام وكان السبابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبرا . قال: وخيروا عثمان ابن حنيف بين أنّ يقيم أو يلحق بعلي ، فاختار الرحيل ، فخلوا سبيله ، فلحق بعليعليه‌السلام ، فلما رآه بكى ، وقال: له : فارقتك شيخا ، وجئتك أمرد . فقال: على : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قالها ثلاثا».[1]

(٣/ ط - ١٧٢) اصحاب الجمل:

وَمنْها في ذِكْرِ أَصْحابِ الجَمَلِ:

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ ٱللّه صلّى ٱلله عَلَيْهِ وآلِهِ[2] كَما تَجُرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ. فَحَبَسا نِساءَهُما فِي بُيُوتِهما، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم[3] لَهُما وَلِغَيْرِهِما؛ فِي جَيْش ما مِنْهُمْ[4] رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ؛ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ؛ فَقَدِمُوا[5] عَلَى عامِلِي بِهَا[6]، وَخُزَّانِ بَيْتِ مالِ المُسْلِمينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِها[7]، فَقَتَلُوا طائِفَةً صَبْراً[8]، وَطائِفَةً غَدْراً.

يستعرض هذا المقطع الاخير المفارقات في مواقف أصحاب الجمل، وعدّ منها:

الأوّل: اهانة حرمة الرسول (فخرجوا يجرّون حرمة رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله كما تجرّ الأمة عند شرائها متوجّهين بها إلى البصرة).

وفي التاريخ أنّ مبادرة الخروج لم تكن من السيدة عائشة، بل كانت بتحريض من المعارضة، وخاصة عبد الله بن الزبير، والتي تعد عائشة خالة له. وانما جُلبت في هذه المعركة للدعاية فقط، واستشهد الامام على دعواه هذه بقوله:

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٣١٨ ـ ٣٢٢.

(٢) في هـ . ب: يعني زوجته عائشة، قال الله تعالىٰ ﴿وقَرْن في بيوتكنَّ﴾ الاحزاب:٣٣ /٣٣، وقد أخرجاها لأجل أنفسهما، أي: طلحة والزبير، ولأجل فتنة هيّجاها.

(٣) في هـ . ب: زوجة.

(٤) في هـ . ب: ليس منهم.

(٥) في هـ . ب: يعني جيش طلحة والزبير.

(٦) في هـ . ب: بالبصرة.

(٧) في هـ . ب: أهل البصرة.

(٨) في هـ . ب: أي اسيرا مغلولين بين الناس.

الثاني: (اهانة السيدة عائشة:

(فحبسا نساءهما في بيوتهما ، وأبرزا حبيس رسول الله ﷺ لهما ولغيرهما) فاذا كان المنطق في خروج السيدة عائشة في هذا الحرب منطق المسؤولية للمسلمين وللمسلمات جميعا فكان مشاركة غيرها من النساء من امهات المؤمنين وغيرهن أيضاً مطلوبة.

وان كانت على اساس العادات العربية فهي تمنع من مشاركة النساء اطلاقا خوفا من لحوق الخزي بهن ووقوعهن في الاسر.

مع أنّ قيادة المعارضة طلحة والزبير لم يجلبا نساءهما الى المعركة، وهذا تناقض في المواقف لا مبرّر اسلاميّ له.

ومن ذلك كله يستنتج أنّ إشراك السيدة عائشة بالذات ـ بحكم صغر سنّها، وان وجودها في الحرب غالبة أو مغلوبة ـ يكون من صالح المعارضة بالدعاية ضد الامام، سواء كانت غالبة أو مغلوبة، وان صح هذا الظن فيكون اشراكها في الحرب اهدار لحرمة زوجات الرسول، وتعريضها للمخاطر المتوقعة في الحرب، وقد اكرمهن الله واكرمهن الرسول ﷺ والحبس أي الاختصاص بالرسول، ومن أجل ذلك لم يجز لأحد زواجهن من بعده ﷺ.

الثالث: البيعة: (في جيش ما منهم رجل إلّا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره) .

فان الجيش المعارض كانت القيادة فيه قد بايعت عليا في المدينة، وتبعهم في ذلك اتباعهم ولم ينكر احد منهم أصل البيعة كما هو مشروح في التاريخ، فليراجع.

الرابع: القتل صبراً وغدراً (فقدموا على عاملي بها وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبرا وطائفة غدرا) حيث أنّ قيادة المعارضة دخلت البصرة وقتلوا فيها اربعمئة رجل من خزان بيت مال المسلمين. وغيرهم من أهل البصرة صبراً، والقتل صبراً هو القتل بعد الأسر. والقتل غدراً هو الاغتيال من دون أسر كما هو مشروح في التاريخ، فليراجع.

وفي هذه المواقف تعدّيات معلنة على الحكم الاسلامي، فإنّ قتل شخص واحد مهما كان مصدره يستحق المحاكمة والعقوبة الاسلامية العادلة، فكيف بهذه الاعداد الهائلة من المسلمين ومن دون مبرر سوى حبّ الاستيلاء على الحكم بالغلبة؟!

(٤ / ط - ١٧٢) العقوبات الاسلامية:

فوَاللهِ إنْ[١] لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنْ المُسْلِمين إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ[٢] لِقَتْلِهِ، بِلاَ جُرْمٍ جَرَّهُ[٣]، لَحلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الجَيْشِ كُلِّهِ؛ إِذْ حَضَرُوهُ[٤] فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسانٍ وَلاَ يد[٥]، دَعْ ما إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بهَا عَلَيْهِمْ!

إنّ العقوبة الاسلامية العادلة التي يقتضيها موقف الحكم الاسلامي تجاه أصحاب الجمل جرّاء التعديات على النفوس الاسلامية المحترمة بالقتل صبراً والاغتيال غدرا قد وردت في الدين، وهي احدى نقاط ثلاث:

الأوّل: (فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جره) فإنّ الاعتداء بالقتل اذا اجتمعت فيه الشرائط الموجبة للعقوبة الاسلامية يجب تنفيذ العقوبة فيه، سواءً حصل الاعتداء على شخص واحد او لا، قال تعالى:﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا﴾[٦].

وطبيعيّ أن العقوبة تتعدد بالشرائط المشروحة في الفقه، والتي اهمها: التعمد.

الثانية: عقوبة القاتل (لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه اذا حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد)؛ فإنّ الحرب حينئذ ليست بين افراد، بل بين جيش مقاتل على نفس الاهداف والمقاصد، فإنّ القاتل الذي يأمر بالقتل والذي يقوم بتنفيد الامر بفعل القتل شركاء في دم المقتول ظلماً وعدواناً، فإنّ مع العلم بالعدوان والظلم يجب الانكار باللسان أو اليد عمّن هو بريء، فلا جرم اعظم من القتل في تلك الحالة.

الثالثة: جريمة الجيش المقاتل (دع ما إنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم) فإنّ المقتولين على أقل الفروض ـ اربعمئة بالاضافة إلىٰ غيرهم من المسلمين من اصحاب عثمان بن حنيف في البصرة، كما هو مشروح في التاريخ.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ويسأل عن قوله عليه السلام : " لو لم يصيبوا إلا رجلا واحدا لحل لي قتل ذلك الجيش بأسره ، لأنهم

---

(١) لم ترد «ان» في أ وص.
في هـ. ب: روي بكسر الهمزة وفتحها، والكسر هو الصواب و«إنّ» مخففة من المثقّلة، أي: والله إنّ الأمر والشأن لو لم يقتلوا إلّا رجلاً واحداً لحلّ لي قتلهم.
(٢) معتمدين : قاصدين .
(٣) جرّه: جناه.
(٤) في هـ. ب: أهل البصرة.
(٥) في ط : بيد، وفي هـ. د: ولا بيد ـ ض ب .
(٦) المائدة ٥: ٣٢.

حضروه فلم ينكروا ″ فيقال: أيجوز قتل من لم ينكر المنكر مع تمكنه من إنكاره ؟ والجواب أنه يجوز قتلهم ، لأنهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا ، فإنهم إذا اعتقدوا إباحته فقد اعتقدوا إباحة ما حرم الله إ فيكون حالهم حال من اعتقد ان الزنا مباح أو أنّ شرب الخمر مباح . وقال القطب الراوندي : يريد أنهم داخلون في عموم قوله تعالى :﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أنّ يقتلوا أو يصلّبوا﴾[1] . ولقائل أنّ يقول : الاشكال إنما وقع في قوله : ″ لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا لحل لي قتل ذلك الجيش بأسره ″ لأنهم حضروا المنكر ولم يدفعوه بلسان ولا يد ، فهو علل استحلاله قتلهم بأنهم لم ينكروا المنكر ، ولم يعلل ذلك بعموم الآية».[2]

قال الجلالي: والحق ما ذهب اليه الراوندي، فإنّ التعليل ليس منسوبا إلىٰ الامام، وانما يريد أنّ حكم العقوبات الاسلامية ينطبق على كلّ من تلبّس بجريمة القتل عن علم وعمد، سواءً كان اشخاصا من القيادة أو الجماعات المؤتمرة بأمرها عن علم ببراءة المقتولين والعمد في القتل؛ لانهم شركاء في دم المظلومين، وهم بحكم كونهم طبقة محاربة ينطبق عليها حكم الله المذكور للمحاربين، والله العالم.

ولا محيص في المقام من ذكر ماورد في ذلك من روايات التأريخ، فراجع ما قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة ٩: ٣١٠، وما بعدها.

---

(١) سورة المائدة: ٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٩ : ٣٠٩ ـ ٣١٠.

[١٧٣]

ومن خطبة له عليه السلام:

في رسول الله، صلى الله عليه وآله ومن هو جدير بأن ينصب للخلافة، وفي هوان الدنيا.

تتضمن خصائص الرسول، والامام القائد، والبغاة، والرؤية الواضحة في الحرب والحياة في الدنيا.

(ط - ١/١٧٣) **رسول الله:**

أَمِينُ[1] وَحْيِهِ، وخاتَمُ رُسلِه، وبَشيرُ رَحْمَتِهِ، ونَذِيرُ نِقْمَتِهِ.

سرد في مفتتح المقطع من خصائص الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله أربع، هي:

١ ـ (أمين وحيه) حيث حمل الرسالة الالهية وبلّغها بأمانة في المجتمع الاسلامي بصورة كاملة.

٢ ـ (وخاتم رسله) قام بدوره بتبليغ احكام الدين، وبرسالته كمل دور الرسالة بالتبليغ لاحكام الله سبحانه، قال سبحانه: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾[2]

٣ ـ (وبشير رحمته) قال تعالى:﴿وما ارسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾[3].

٤ ـ (ونذير نقمته) قال تعالى:﴿يا ايها النبيّ انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا إلىٰ الله باذنه وسراجا منيرا﴾[4].

(ط - ٢/١٧٣) **من خصائص الامام:**

أَيُّها النّاسُ إِنَّ أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وأَعْلَمُهُمْ[5] بأَمْرِ ٱللهِ فيهِ.

وذكر من خصائص الامام الذي يستحق القيادة الاسلامية العليا ثلاثة، بقوله:

(أيها الناس، إنّ أحق الناس بهذا الأمر) أي الخلافة الاسلامية، من تجمّعت فيه الصفات التالية:

أوّلاً: القوة (أقواهم عليه) فإنّ القوة الجسمية في تنفيذ حكم الله امر ضروري في أداء

---

(١) في هـ. ب : الذي يؤمن منه.

(٢) المائدة ٥: ٥.

(٣) الأنبياء ٢١: ١٠٧.

(٤) الأحزاب ٣٣: ٤٦.

(٥) في ب وص: أعملهم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: أعلمهم، وفي هـ. ب : واعملهم ـ ش.

المسؤولية، حيث أنّ الضعيف نفسياً يقع تحت تأثير غيره ممن يحاول فرض إرادته على القائد، ولا تخلو من ذلك قيادة وسياسية في الحياة، فاذا كان القائد له شخصية قوية فانها تمنع من نفوذ أيّة قوة أُخرى في إرادته.

ثانيا: العلم (وأعلمهم بأمر الله فيه) فإنّ الجهل بالثوابت الاسلامية يجعل القائد في حاجة الى غيره ممن هو أعلم بالموضوع منه. واصحاب النفوذ يستخدمون ذلك منفذاً لفرض ارادتهم على القائد.

وهذان الأصلان أساسيان في الامام القائد، حيث أنّ فقدان أيّ واحد منهما يوجب آثاراً تؤدي الى الانحراف عن الاهداف الاسلامية التي بشّر بها النبيّ ﷺ.

(٣ / ط - ١٧٣) البغاة:

فإنْ شَغَبَ[1] شاغِبٌ ٱسْتَعْتَبَ[2]، فإنْ أَبَى قُوتِلَ، ولَعَمْرِي لَئِنْ كانَتِ الْإمامَةُ لا تنْعَقِدُ حَتَّى تَحْضُرُها عامَّةُ النَّاس فما[3] إلى ذَلِكَ سَبِيلٌ، ولكِنْ أَهْلُها يَحْكُمُونَ على مَنْ غابَ عَنها، ثُمَّ لَيْسَ لِلشّاهِدِ أنْ يَرْجِعَ، ولا لِلْغائِبِ أنْ يَخْتارَ.

ألا وإنِّي أُقاتلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ٱدَّعَى ما لَيْسَ لَهُ[4]، وآخَرَ مَنَعَ ٱلَّذِي عليْهِ[5].

وسرد من خصائص البغاة على الحكم الاسلامي وآثار البغي وعقوبة البغاة في نقاط:

١ ـ الشغب (فإن شغب شاغب استعتب) والشغب: الميل عن الطريق بإثارة الفتنة؛ فإنّ الباغي ينحرف عن الطريق المسلوك اسلاميا، ثم يثير الفتنة في وجه الحكم القائم ليمنع عن استمرارية أهداف الحكم.

واشار إلىٰ موقف الحاكم المسلم منها أن يستعين بالعنف على الانحراف والدعوة بالرجوع الى طريق الحق بالطرق المطلوبة لارجاع من ينحرف حتى يتضح الحق له وللتاريخ.

٢ ـ البغي، باعلان المعارضة المسلحة (فإن أبى قوتل)؛ إذ ليس بعد الدعوة إلىٰ الرجوع الىٰ الحق ورفض الباغي له بالمعارضة المسلحة سوى القتال ضدّه، كما امر الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى

---

(١) الشغب: تهييج الفساد، وفي هـ. ب : شاغب: غالب . الشغب: المسترخي الشنيع.
(٢) أي طلب منه الرضا بالحقّ، وفي هـ. ب : استرضي.
(٣) في هـ. د: مالي إلىٰ ن ف .
(٤) في هـ. ب : معاوية.
(٥) في هـ. ب : طلحة والزبير.

ٱلْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلتي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[١].

٣ ـ بيعة عامة الناس (ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس فما إلى ذلك سبيل) يشير بذلك إلىٰ دعاوى المنشقين في كلّ عصر ، وهي أنّ الطائفة المنشقة لا تؤمن بقيادة القائد المنتخب، ولهذا الامتناع فهم يحاربون القائد وان كان منتخبا من قبل الاخرين؛ لانه لم يكن منتخباً من قبل هؤلاء المنشقين.

والامام يرد هذه الدعوى بان البيعة للقيادة يستحيل أن تنعقد من قبل عامة الناس فردا فرداً، بل لابد من طائفة تمثّلهم، فان من المستحيل أن يحصل من يُنتخب من قبل الجماهير بصورة مئة في المئة من الاراء، بل لكل حكم في التاريخ معارضة معلنة أو خفية، فالعبرة في البيعة في عصرنا بأغلبية الاراء وفي تحديد ذلك خلاف، وقد انتهى اغلب أعضاء الامم المتحدة إلىٰ التعويل على الاغلبية بـ ٥١ ٪ من مجموع الاصوات، وبعضها إلىٰ ثلثي الاصوات وما شابه، وما ذلك إلّا لما اسسه الامام من استحالة الحصول على جميع الاصوات.

وفي التاريخ الاسلامي كذلك، فانه لم تنعقد حكومة بمشاركة الجميع، فإنّ خلافة أبا بكر في السقيفة انعقدت ببيعته اثنين من المهاجرين هما عمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح، بالرغم من المعارضة العامة للانصار وكثير من المهاجرين، وغياب أهل البيت عليهم السلام لانشغالهم بتغسيل النبيّ.

وخلافة الخليفة الثاني عمر كانت بالنصب بالنص من واحد، وهو الخليفة الأوّل: فإن اعتبر النص بيعة فانها كانت بيعة من واحد فقط.

وفي خلافة الخليفة الثالث عثمان انعقدت البيعة من اصحاب الشورى، وهم على اختلاف الروايات لا يتجاوزون ستة أشخاص.

وفي خلافة الامام علي كانت البيعة عامة في مسجد رسول الله من قبل الجمهور، وكان عدد المبايعين اكثر عدداً من اي خليفة قبله، واشار إلىٰ أنّ البيعة لمن قبله من الخلفاء كانت ملزمة للمسلمين.

والى نتيجة البيعة اشار بقوله :

أوّلاً ـ العموم: (ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها)، فإنّ أهل البيعة من الذين لهم الاهلية في ذلك اذا قاموا بالبيعة تكون ملزمة لهم أوّلاً، ولمن لم يحضر البيعة ثانيا.

---

(١) الحجرات ٤٩:٩.

ثانيا: اللزوم (ثم ليس للشاهد أن يرجع) فإنّ ذلك نكثٌ للبيعة؛ اذ يكون بحكم الانكار بعد الاقرار في الحكم، وقد حصل هذا النكث من طلحة والزبير في البصرة.

ثالثا: اللزوم للغائب (ولا للغائب أن يختار) ممّن لم يكن حاضراً وشاهدا في مجلس البيعة، وقد حصل ذلك من معاوية في الشام.

وذلك كله لان البيعة قرار مصيري يتعلق بها مصير الدين الاسلامي والامة، فلابدّ أن يكون القرار فيه باتّاً.

ثم ختم المقطع بحقيقة المعارضة لحكمه، وأنها تتكون من طائفتين، اشار اليهما بقوله: (ألا وإني أقاتل رجلين):

الطائفة الأولى: من تدعي الشيء من دون استحقاق (رجلا ادعى ما ليس له)، فإنّ معاوية ادعى المطالبة بدم عثمان، وانما ذلك لاهله وليس لغيرهم دعوى الخلافة بذلك، مع انه ليس اهلا لها.

الطائفة الثانية: من تدعي الخلافة بعد أن منعت بيعته الخلافة لغيره، فهو يريد بذلك نقضه ونكثه، فإنّ كلا من طلحة والزبير بايعا لعلي في المدينة ثم نكثا البيعة التي لزمتهما وهما في البصرة، والله العالم.

(٤ / ط - ١٧٣) في ساحة الحرب:

أوصِيكُمْ[١] عِبَادَ ٱللهِ[٢] بِتَقْوَى ٱللهِ، فإنّها خيرُ ما تَوَاصَى الْعِبادُ بِهِ، وخيرُ عَوَاقِبِ الأُمُورِ عِنْدَ اللهِ، وقدْ فُتِحَ بابُ الحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبينَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ[٣]، ولا يَحْمِلُ[٤] هَذَا العَلَمَ[٥] إلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ[٦] والْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ[٧]، فامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وقِفُوا عِنْدَ ما[٨] تُنْهَوْنَ عنْهُ، ولا تَعْجَلوا في أمْرٍ حَتّى تَتَبَيَّنُوا؛ فإِنَّ لَنا مَعَ كُلِّ أمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً[٩].

يتضمن المقطع اهم ما يفتقر اليه المحارب في ساحة الحرب، وهي الرؤية الواضحة

---

(١) في ط زيادة: عباد الله.
(٢) في د زيادة: عباد الله، وفي هـ. د: أوصيكم بتقوى الله ـ ش.
(٣) أي من يصلّي إلىٰ القبلة.
(٤) في هـ. د: وروي ولا يحملن هذا العلم ـ ر.
(٥) في ب: العلم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: زيادة: والعَلَم. وفي ص: كتب على «العلم»: نسخة.
(٦) أي ليس حملنا لهذا العلم عن جهل أو غفلة عن أحكام الله.
(٧) في أ زيادة : له.
(٨) في ص : عمّا.
(٩) في هـ. ب، وفي نسخة: عِبَراً، وفي هـ. ب : غيراً، أي: تغيّراً، وفي هـ. د: في حاشية ش : عبراً.

للاسباب والوسائل والنتائج، واستفتح ذلك بالوصية بالتقوى محددا الوسيلة والهدف بقوله:

أوّلاً: (أوصيكم بتقوى الله؛ فإنها خير ما تواصى العباد به)؛ لان التقوى الوسيلة الحقيقية في الوصول إلىٰ الاهداف الاسلامية.

وثانيا: (وخير عواقب الأمور عند الله) باعتبار أنّ التقوى هو الهدف التي يحقق مرضاة الله التي يتوخاها المسلم في حياته، لكونه خير في عواقب الامور.

واشار إلىٰ حالة الحرب التي تواجه المسلمين في عصره بقوله:

(وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة) المسلمين الذين يتوجهون في صلاتهم إلىٰ القبلة، فإنّ حرب الجمل اولى الحروب الاهلية بين المسلمين، وحيث أنّ هذا النوع من الحرب لم تتحقق من قبل في تاريخ الاسلام ، عقّب ذلك بما يقتضيه الرؤية الواضحة للاسباب والاهداف، وعن الرؤية الواضحة وأصحابها قال:

(ولا يحمل هذا العلم) وهو لواء الحرب في الحرب الاهلية إلّا من تتواحد فيه الصفات التالية:

أوّلاً: (إلّا أهل البصر) بحقائق الامور الداعية إلىٰ هذه الحرب الاهلية، وليس للعواطف.

ثانيا: (والصبر) فإنّ الحرب لا ينتج النصر إلّا بالصبر على المقاومة.

ثالثا: (والعلم بمواضع الحق) التي يدعوا لمن يؤمن بحقيقة الاستشهاد في سبيل تحقيقها، وان يوقف حياته لذلك ؛ فان الحرب العقائدية لا تعرف للنصر سوى احدى الحسنيين.

وللانظباط العسكري المطلوب اصدر الاوامر العسكرية التالية:

الأوّل: (فامضوا لما تؤمرون به) فإنّ القيادة العسكرية الحكيمة لا تأمر إلّا بما فيه مصلحة الاسلام والمسلمين لتحقيق الاهداف العقائدية.

الثاني: (وقفوا عندما تنهون عنه) فإنّ النصر ليس فيما يراه الجندي في المعركة نصراً، بل ما يراه القائد العسكري نصرا وان كان تكتيكا عسكريا.

الثالث: (ولا تعجلوا في أمر حتى تتبينوا) في القرارات التي تناط بالجندي في ساحة المعركة فيجب التبين للحقائق من دون استعجال في القرار، فإنّ العجلة في أي قرار غالبا مّا يصحب الندم.

وهذه الاوامر العسكرية الثلاث نقاط هامة في نجاح أي عسكري.

وعن موقفه القيادي قال:

(فإن لنا مع كلّ أمر تنكرونه غِيَرا) الغِيَر: التغيير، فإنّ هذه الاوامر العسكرية يجب أن تنفذ باعتبارها اوامر عسكرية، وفي نفس الوقت للمأمورين الحق والحرية في ابداء آرائهم الخاصة للقيادة للنظر فيها وتعديل القرارت والمفترحات قبل تنفيذها؛ لئلا يحصل ما ليس نافعا مما قد تجلب الضرر على الجيش أو الاهداف، وللجيش المناقشة مع القيادة: واذ لم تتيسر له المناقشة فيجب التنفيذ.

(٥/١٧٣ - ط) من خصائص الدنيا:

أَلاَ، وإنَّ هذِهِ الدُّنْيا التي أَصْبَحتمْ تَتَمَنَّوْنَها وتَرْغَبُونَ فِيها، وأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، ولا مَنْزِلكُمُ الذي خُلِقْتُمْ لَهُ، ولا الَّذِي دُعِيتمْ إليْه.

أَلاَ، وإنَّها لَيْسَتْ بِباقِيَةٍ لَكُمْ، ولا تَبْقُونَ عليْها، وهيَ وإنْ غَرَّتْكُمْ منها، فقدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّها.

يتضمن المقطع الاخير بعض خصائص الدنيا واللوازم العلمية بازائها، وختم المقطع بالدعاء.

والى خصائص الدنيا اشار:

١ ـ (ألا وإن هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها) فإنّ الانسان يتمنى كلّ شئ في الدنيا كما يريد، وما كلّما يتمنى المرء يدركه.

٢ ـ (وترغبون فيها) في نعمها بالتكاثر بالاموال والانفس والثمرات والمناصب والعناوين الخيالية الفارغة عن العمل الانساني الهادف.

٣ ـ (وأصبحت تغضبكم) فما أن تفقد احدى تلك النعم المادية والخيالية حتي تسبب الغضب، ويرتكب المعجب بالدنيا المحارم.

٤ ـ (وترضيكم) حينما تتيسر لكم تلك النعم، وكانها تخلدكم في الحياة، وما هي الا لمحة بصر من العمر.

٥ ـ (ليست بداركم) ومن يشك في ذلك فلينظر إلىٰ عامة الاموات من عائلته ومعارفه واصدقائه.

٦ ـ (ولا منزلكم الذي خلقتم له) حيث قال تعالى:﴿ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين﴾[1].

(١) البقرة : ٣٦.

٧ ـ (ولا الذي دعيتم إليه) حيث قال تعالى:﴿وان الاخرة هي دار القرار﴾[١].

٨ ـ (ألا وإنها ليست بباقية لكم) كما لم تبق لغيركم من الافراد والامم.

٩ ـ (ولا تبقون عليها) فإنّ ﴿ كلّ نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة﴾ [٢].

١٠ ـ (وهي وإن غرتكم منها فقد حذرتكم شرها) قال تعالى:﴿وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله﴾[٣].

وهذه الحقائق العشر للدنيا باقية في نفس الانسان مادام يعيش فيها.

(٦/ط - ١٧٣) اللوازم العملية:

فَدَعُوا غُرُورَها لِتَحْذِيرِها، وإطْماعَها لِتَخْوِيفها، وسابِقُوا فِيها إلى الدَّارِ التي دُعِيتُمْ إلَيْها، وٱنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْها، ولا يَخْنِن[٤] أحَدُكُمْ خَنِينَ الأَمَةِ على ما زُوِي[٥] عنْهُ مِنْها، وٱسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ الله عليْكُمْ بالصَّبْرِ على طَاعَةِ الله، والُمحافَظَةِ على مَا ٱسْتَحْفَظَكُمْ منْ كِتابِهِ.

ألاَ، وإنَّهُ لا يَضُرُّكُم[٦] تَضْيِيعُ شيءٍ منْ دُنْياكُمْ بعْدَ حِفْظِكُمْ قائِمةَ دِينكُمْ، ألاَ وإنَّهُ لا يَنفعكُم بعْدَ تَضْيِيع دِينكُمْ شيءٌ حافَظْتُمْ عليهِ منْ أمْرِ دُنْياكُمْ، أخَذَ الله بِقُلُوبِنا وقُلُوبِكُمْ إلى الحَقِّ، وألْهَمَنا وإيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

وعن اللوازم العملية تجاه هذه الدنيا قال:

١ ـ (فدعوا غرورها لتحذيرها) فان مغريات الحياة في انفسها محذّرات عن عواقب الغرور وهو التعرض للهلاك بمعرفة اثار هذه المغريات لمن سبق وعاصر في نفسه واهله ومجتمعه وصحته ومستقبله.

٢ ـ (وأطماعها لتخويفها) فإنّ الطمع فيما يتمناه الانسان من الكذب مقرون بالتكذيب الصادق عمليا بدراسة التاريخ لما شابه من الحالات لغير الانسان.

---

(١) المؤمن : ٣٩.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) الحديد : ١٤.

(٤) في ص: لا يحنن. وفي هـ. ص: لا يخنن، وفي هـ. ب: ولا يحِنَّنَّ، والحنين والخنين واحد، ولا يخنن بالحاء. ولا تخنن ـ بالخاء المعجمة ـ كالبكاء في الأنف، والخنّة: كالغنة، وفي هـ. أ: الخنين: البكاء في الأنف، وفي هـ. د: الحنين بالحاء المهملة ـ م ب ك ر.

(٥) في هـ. ب : قبض .

(٦) في أ : تصبّركم.

٣ ـ (وسابقوا فيها إلى الدار التي دعيتم إليها) وهي الجنّة، قال تعالى:﴿انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار﴾(١).

٤ ـ (وانصرفوا بقلوبكم عنها) لان التوجه اليها إلىٰ الامور المادية بالقلب يستدعي حبها في الحياة، والانصراف عنها يوسع للانسان التركيز على المسؤوليات الانسانية.

٥ ـ (ولا يخنن أحدكم خنين الأمة على ما زوي عنه منها) والخنين: صوت يخرج من الانف عند البكاء، والحرة تأنف من ذلك، دون الامة، والزوي: النقنص ممّا تراه الامة شيئا جليلا من الامور المادية، وتستنكف الحرة من هذه المغريات المادية مهما عظمت في اعين الاخرين؛ لما تتمتع به من الكرامة والشرف.

٦ ـ (واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله) فإنّ الله سبحانه اكرم الانسان بالعقل والصحة والسلامة، وتمام ذلك يكون بالصبر على المكاره التي تواجه الانسان في الحياة.

٧ ـ (والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه) فإنّ القرآن الكريم هو الدستور الاسلامي الخالد في الحياة للتوازن بين الحاجة المادية والروحية للانسان، وقد أمر الله بالمحافظة على ذلك في العمل؛ محافظةً على هذا التوازن الذي يفتقر اليه أي انسان في الحياة.

ثم اشار إلىٰ نتيجة هذا التوازن في الحياة بقوله:

٨ ـ (ألا، وإنه لا يضركم تضييع شئ من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم) فإنّ قائمة الدين هي الثوابت الاسلامية التي بها يتقوم الدين، فإنّ اركان الاسلام هي التي توجب هذا التوازن، واهم اثر للاسلام في الحياة هو هذا الاثر، فاذا حصل فلا يهم ما يفقده الانسان من الماديات والعناوين التي تزول.

٩ ـ (ألا، وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شئ حافظتم عليه من أمر دنياكم) فإنّ اختلال هذا التوازن يوجب نقصا نفسيا في الروح والجسد، ومع انحرافهما لا يبقى للانسان راحة روحية وان تيسرت له كلّ الماديات والعناوين الخيالية، فإنّ السلطان لا يأكل اكثر مما يأكله الانسان العادي، وليس للانسان العادي ما لاصحاب الاموال من الهموم والغموم التي تنغص راحتهم ما داموا في الحياة.

١٠ ـ وختم هذه اللوازم العلمية في الحياة بالدعاء بقوله:

---

(١) المؤمن : ٣٩.

(أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر) فإنّ اتباع الحق في العقيدة يستلزم الصبر في العمل، ولا يكون ذلك الا بالاستعانه بالله سبحانه.

ومعرفة هذه النقاط العشر يجعل الانسان موفّقا في التوازن بين متطلبات الروح والجسد ممّا يفتقر اليه الانسان في الحياة.

ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله:

وقد قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلىٰ البصرة لقتاله. وتتضمن ثوابت من الامام ودوافع طلحة ومواقفه المتضادة في حياة عثمان وبعد مقتله.

(ط - ١/١٧٤) ثوابت الامام:

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالحَرْبِ[١]، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ؛ وَأَنَا عَلَى مَا وَعَدَنِي[٢] رَبِّي مِنَ النَّصْرِ.

في المقطع اشارة إلىٰ ثوابت ثلاث، وصفات أكد عليها حياة الامام منذ الولادة حتى الشهادة، وهي:

الأوّل: الشجاعة (قد كنت وما أهدد بالحرب) فإنّ التهديد انما يؤثر في الحياة، والامام كان معروفا بصفة الشجاعة منذ صغره، وتاريخ حياته يدل على هذه الحقيقة في مبيته على فراش النبي ليلة الهجرة، ومواقفه في الغزوات الاسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وآله ومقاومته كلّ المغريات المادية والعناوين الخيالية في الحياة.

الثانية: القوة (ولا أرهب بالضرب) فإنّ الرهبة خوف ينشأ من ضعف النفس مما يوجب ذلك، والضرب بالسيف في سبيل الله امر اعتاده الامام في حياته.

الثالث: الرؤية الواضحة في الحياة (وأنا على ما قد وعدني ربي من النصر) حيث قال سبحانه﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم﴾[٣].

وهذه الصفات الثلاث وجب التاكيد عليها فيما وجهه طلحة من رسالة اعلان الحرب.

(ط - ٢/١٧٤) دوافع طلحة:

وَاللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً[٤] لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ[٥] بِدَمِهِ؛ لأَنَّهُ

---

(١) في هـ. ص: قوله عليه السلام: «قد كنت وما أُهدد بالحرب» قال الرضي الاسترابادي في شرح الكافية أن الواو قد تدخل على الجملة التي هي خبر كان كما تدخل على الجملة الحالية تشبيها لها بها كقول عليّ عليه السلام: «قد كنت وما أُهدد بالحرب» وكقول العرب: قد كنت وما يفاد بي البعير، وقد كنت وما أخشى الذئب، هذا حاصل ما ذكره.

(٢) في د: ما قد وعدني وفي هـ. د: ما قد وعدني ـ ب ض.

(٣) محمد: ٧.

(٤) في هـ. ب: أي طلحة يجرّد بالسلاح في وجهي، والتجرّد: التعرّي، أي: أظهر مطالبته بدم عثمان.

مَظِنَّتُهُ[١]؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ[٢]، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ[٣] فِيهِ لِيَلْتَبِسَ[٤] ٱلْأَمْرُ، وَيَقَعَ الشَّكُّ.

ويتضمن المقطع الاشارة إلىٰ دوافع شخصية لطلحة في قيادة الحرب الاهلية في البصرة من جانبه، مؤكدا بالحلف بقوله: (والله ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمان) في اعلان الحرب الاهلية إلّا للاسباب التالية، وهي:

أوّلاً: التجرد، كناية عن سل السيف (إلّا خوفا من أن يطالب بدمه؛ لأنه مظنته) فإنّ طلحة كما هو مشروح في التاريخ كان من دعاة المعارضة ضد عثمان في حياته، ومن المانعين عن دفنه لمدة ثلاثة أيام، والآمر برمى الجنازه بالحجارة، وكل واحدة من هذه الاعمال مظنة أن يطالب بدم عثمان، فانها اعمال واضحة بأنها من المواقف العدائية ان لم تثبت المباشرة بالجريمة، فان الخوف من الاتهام طبيعي لمن تلبس بهذه الاعمال العدوانية.

ثانيا: (ولم يكن في القوم أحرص عليه منه) فإنّ الثائرين على الخليفة عثمان كانوا خليطا من المصريين الثاثرين الناقمين من امارة عمال عثمان ومن غيرهم، وكان في الناقمين اناس من أهل المدينة ومنهم ام المؤمنين عائشة وطلحة، فلم يكن طلحة الوحيد بينهم، ولكنه كان احرص عليه من القوم كلهم كما في رواية الطبري عن السيدة عائشة.

ثالثا: (فأراد أنّ يغالط بما أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك) فالهدف من مطالبة طلحة بدم عثمان بعد ما صدر منه من الاعمال العدوانية في حياته وبعد وفاته، لابد وان يكون لامر اخر غير الحقيقة وهو محاولة خلط الاوراق، فان الموقف المتأخر يناقض المواقف المتقدمة، فان الجمع بينها جميعا يوجب اللبس والشبهة على الاخرين، وبالنتيجة يقع الشك في انه كان قد قام بشيء من الاعمال العدوانية ضد الخليفة عثمان.

وقد اشار ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) الى تفصيل مواقف طلحة تجاه الخليفة عثمان في حياته، ومنعه من دفنه ثلاثة ايام بعد وفاته وامره برمي جسده بالحجارة، فقال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« ذكر ما كان من أمر

---

(٥) في ص: يطلب. وفي هـ. ص، وفي نسخة: يطالب.
(١) في هـ. ب: موضعه.
(٢) في ب: أحرص منه عليه، وفي هـ. د: أحرص منه عليه ـ ش.
(٣) في هـ. ب: جمع.
(٤) في ب: ليلبس، وفي هـ. ب، وفي نسخة: ليلبّس وليلتبس، وفي هـ. د: ليلبس ـ ح وحاشية ش.

طلحة مع عثمان ، ذكر أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري في كتاب التاريخ قال: حدثني عمر بن شبة ، عن علي بن محمّد ، عن عبد ربة ، عن نافع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن حكيم بن جابر ، قال: قال: عليعليه السلام لطلحة وعثمان محصور : أنشدك الله إلا رددت الناس عن عثمان قال: لا ، والله حتى تعطي بنو أُميّة الحق من أنفسها».[١]

وقال ابن أبي الحديد أيضاً، ما نصّه:«وروى الطبري أيضا ، قال: قال ابن عباس رضي الله عنه : لمّا حججت بالناس نيابة عن عثمان وهو محصور ، مررت بعائشة بالصلصل [٢] ، فقالت : يا بن عباس أنشدك الله ! فإنك قد أعطيت لسانا وعقلا ، أن تخذل الناس عن طلحة ، فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان وأنهجت [٣] ، ورفعت لهم المنار ، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حم ، وإن طلحة – فيما بلغني – قد اتخذ رجالا على بيوت الأموال ، وأخذ مفاتيح الخزائن وأظنه يسير إنّ شاء الله بسيرة ابن عمه أبى بكر ، فقال: يا أمة ، لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا ، فقالت : إيها عنك يا بن عباس ، إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك.[٤]

وروى المدائني في كتاب مقتل عثمان إنّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام ، وأن علياعليه السلام لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسة أيام ، وأن حكيم بن حزام أحدأسد بن عبد العزى ، وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعليعليه السلام على دفنه ، فأقعد طلحة لهم في الطريق ناسا بالحجارة ، فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينة يعرف بحش كوكب [٥] كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلما صار هناك رجم سريره ، وهموا بطرحه ، فأرسل عليعليه السلام إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه ، فكفوا ، فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب .

وروى الطبري نحو ذلك ، إلا أنه لم يذكر طلحة بعينه ، وزاد فيه أنّ معاوية لمّا ظهر على الناس ، أمر بذلك الحائط فهدم حتى أفضى به إلى البقيع ، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٥.

(٢) صلصل : موضع بنواحي المدينة القديمة على سبعة أميال منها ، نزل صلى الله عليه وآله يوم خرج من المدينة إلى مكة عام الفتح ، قال عبد الله بن مصعب الزبيري : أشرف على ظهر المدينة هل ترى برقا سرى في عارض متهلل نصح العقيق فبطن طيبة موهنا ثم استمر يؤم قصد الصلصل.

(٣) أنهج الطريق : وضح .

(٤) تاريخ الطبري ١: ٣٠٣٤، طبع أوروبا .

(٥) حش كوكب : موضع عند بقيع الغرق ، ذكره ياقوت ، وقال: اشتراه عثمان بن عفان ، وزاده في البقيع ، ولما قتل ألقى فيه ، ثم دفن في جنبه .

حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين . وروى المدائني في هذا الكتاب ، قال: دفن عثمان بين المغرب والعتمة ، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وابنه عثمان وثلاثة من مواليه ، فرفعت ابنته صوتها تندبه ، وقد جعل طلحة ناسا هناك أكمنهم كمينا ، فأخذتهم الحجارة ، وصاحوا : نعثل نعثل [١] فقالوا : الحائط الحائط فدفن في حائط هناك . وروى الواقدي ، قال: لمّا قتل عثمان تكلموا في دفنه ، فقال: طلحة : يدفن بدير سلع يعنى مقابر اليهود . وذكر الطبري في تاريخه هذا ، إلا أنه روى عن طلحة فقال: قال: رجل : يدفن بدير سلع – فقال: حكيم بن حزام : والله لا يكون هذا أبدا وأحد من ولد قصي حي ، حتى كاد الشر يلتحم ، فقال: ابن عديس البلوى : أيها الشيخ ، وما يضرك أين دفن قال: لا يدفن إلا ببقيع الغرقد [٢] حيث دفن سلفه ورهطه ، فخرج به حكيم بن حزام ، في اثنى عشر رجلا ، منهم الزبير بن العوام ، فمنعهم الناس عن البقيع ، فدفنوه بحش كوكب». [٣]

كما نقل الطبري (ت / ٣١٠) موقف الامام في احباط سياسة طلحة ضد الخليفة عثمان فقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«وروى الطبري في التاريخ أنّ عثمان لمّا حصر ، كان عليﷺ بخيبر في أمواله ، فلما قدم أرسل إليه يدعوه ، فلما دخل عليه قال: له : إنّ لي عليك حقوقا : حق الاسلام ، وحق النسب ، وحق مالي عليك من العهد والميثاق ، ووالله أنّ لو لم يكن من هذا كله شئ وكنا في جاهلية ، لكان عارا على بني عبد مناف أنّ يبتزهم أخو تيم ملكهم – يعني طلحة – فقال: لهﷺ سيأتيك الخبر ، ثم قام فدخل المسجد ، فرأى أسامة بن زيد جالسا ، فدعاه فاعتمد على يده ، وخرج يمشي إلى طلحة ، فدخل داره ، وهي دحاس [٤] من الناس ، فقامﷺ ، فقال: يا طلحة ، ما هذا الامر الذي وقعت فيه ؟ فقال: يا أبا الحسن ، أبعد ما مس الحزام الطبيين ! فانصرف عليﷺ ولم يحر إليه شيئا حتى أتى بيت المال ، فنادى : افتحوا هذا الباب ، فلم يقدروا على فتحه ، فقال: اكسروه ، فكسر فقال: أخرجوا هذا المال ، فجعلوا يخرجونه وهو يعطي الناس ، وبلغ الذين في دار طلحة ما صنع عليﷺ ، فجعلوا يتسللون إليه حتى بقي طلحة وحده ، وبلغ الخبر عثمان ، فسر بذلك ، ثم أقبل طلحة يمشي عامدا إلى دار

(١) نعثل : رجل من أهل مصر ، كان طويل اللحية ، وكان شاتموا عثمان (رض) يسمونه بـذلك اللسان .
(٢) أصل البقيع في اللغة ، المـوضع الذي فـيه أروم الشـجر ، والغـرقد كـبار الشـجر المسـمّى بالعوسج . وهو مقبرة أهل المدينة (ياقوت) .
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٦ ـ ٨.
(٤) دحاس من الناس ، أي ممتلئة .

عثمان ، فاستأذن عليه ، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين ، أستغفر الله وأتوب إليه ، لقد رمت أمرا حال الله بيني وبينه . فقال: عثمان : إنك والله ما جئت تائبا ، ولكن جئت مغلوبا ، الله حسيبك يا طلحة».[١]

قال الجلالي: ولعل هذا هو السبب الحقيقي الذي دعا طلحة لاعلان الحرب ضد الامام، حيث انه فوت عليه النصر في وقت سابق بالقضاء على العصب الاقتصادي الذي كان يطمع طلحة أن يستخدمها لمصلحته، والله العالم.

(٣ / ط - ١٧٤) تحليل المواقف:

وَوَاللهِ مَا صَنَعَ[٢] فِي أَمْرِ عُثْمانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاَثٍ[٣]:

لَئِنْ كَانَ ٱبْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ[٤] قَاتِلِيهِ، وَأَنْ يُنَابِذَ[٥] نَاصِرِيهِ.

وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ[٦] عَنْهُ، وَالْمُعَذِّرِينَ[٧] فِيهِ.

وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ ٱلْخَصْلَتَيْنِ؛ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ، وَيَرْكُدَ[٨] جَانِباً، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ.

فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاَثِ؛ وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

وفي تقييم المواقف المتعارضة لطلحة تجاه الخليفة عثمان في حياته اشار الامام إلىٰ المحتملات الاتية:

الأوّل: القاتل (لئن كان ابن عفان ظالما – كما كان يزعم – لقد كان ينبغي له أن يؤازر قاتليه أو ينابذ ناصريه) فان طلحة لم يباشر القتل ولكنه في نفس الوقت كان صوت المعارضة ضد الخليفة عثمان، مستندا الى أنّ عثمان كان ظالما ومحاربة الظلم من الثوابت الاسلامية، ولكنه بعد مقتل عثمان لم يؤازر القتلة ولم يساعدهم، كما لم يساند من نصر

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٨، عن تاريخ الطبري ١ : ٣٠٧١ – ٣٠٧٢.
(٢) في هـ . ب : طلحة.
(٣) في هـ . ب : أي حادثة واحدة.
(٤) في هـ . ب : يعاون.
(٥) في أ ود: أو ينابذ، هـ . ب : أي: يحارب، في هـ . د: وان ينابذ ـ ض ح ل ش، أو أن ينابذ ـ ب.
(٦) في هـ . ب : الذي يكف الغير عن شيء ويزجره.
(٧) في هـ . ب : المعذرين.
(٨) في هـ . ب، وفي نسخة: ويركب، وفي هـ . ب : يسكن: يلبث.

الخليفة من الامويين ومنهم مروان، بل تعاهد معهم في الحرب ضد الامام.

وهذان موقفان متناقضان بالنسبة إلىٰ الظالم.

الثاني: نصر المقتول (ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه) والنهنهة: الزجر عن الشيئ بالتعاطف وقبول العذر، فإنّه لم يصدر من طلحة زجر القتلة، بل بادر الى مواقف عدائية بالمنع من دفن عثمان الخليفة ثلاثة ايام، وامر برمي الجنازة بالحجارة مما يدل على العكس، فهذان موقفان متناقضان بالنسبة إلىٰ المظلوم.

الثالث: الشك (ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانبا ويدع الناس معه) والركود: السكون بعدم المشاركة لا سلبا ولا إيجابا، وهذه ايضا مناقضة للمواقف المعارضة في حياة عثمان ثم المواقف العدائية بعد قتله.

وعن هذه المجملات الثلاث قال:

(فما فعل واحدة من الثلاث) فانه لم يفعل ايا من الثلاث كما اثبت تاريخ حياته، فلم ينصر قتلة عثمان بعد مقتله، ولم ينصر عثمان في حياته، وترك ناصري عثمان بعد وفاته، بل اتخذ موقفا جديداً معلنا صيرحا لا مجال للاحتمال فيه وهو:

الرابع: المعارضة المسلحة، حيث قام طلحة بموقف جديد يختلف عن المواقف الثلاث المذكورة وصفها الامام بقوله:

(وجاء بأمر لم يعرف بابه ، ولم تسلم معاذيره) وهو المعارضة المسلحة ضد الامام الذي بايعه هو فمن بايع، فإنّ هذه المعارضة المسلحة بدعة جديدة للوصول إلىٰ الحكم لم يسبق لها سابق في الاسلام، حيث أن الاعذار التي برر بها المعارضة المسلحة لم تسلّم، لدحض الامام لها.

[١٧٥]

ومن خطبة له عليه السلام :

في الموعظة وبيان قرباه من رسول الله، وتتضمن حالة عامة الناس والخاصة ومنابع علم الامام والمثال القدوة.

(١ / ط - ١٧٥) **عامة الناس:**

أَيُّهَا الغافلون[١] غَيْرُ المَغْفُول عَنْهمْ، والتَّارِكُونَ، والمَأخُوذُ[٢] مِنْهُمْ.

مالِي أرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِين، وَإِلَى غَيْرِه رَاغِبِين! كأَنَّكُمْ نَعمٌ أَرَاحَ[٣] بِها سائِمٌ إِلَى مَرْعىً وَبيٍّ[٤]، وَمَشْرَبٍ دَوِيّ[٥]؛ إنَّما[٦] هي كَالمَعْلُوفَةِ للمُدَى[٧]؛ لَاتَعْرِفُ مَاذا يُرَادُ بهَا! إذَا أُحْسِنَ إلَيْهَا تَحْسِبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا[٨]، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا.

الصفة الغالبة لعامة الناس هو التأثر بالحياة المادية التي يعيشونها، وهي تستلزم صفات عامة اشار اليها بقوله:

ـ (ايها الناس) من دون استثناء للجنس أو القبيلة أو الطائفة، فإنّ عامة الناس جميعا يتصفون بما يأتي:

١ ـ (غير المغفول عنهم) فهم يتصورون أنّ حياتهم لا مسؤولية فيها، مع أنّ التاريخ سيحاسبهم على كلّ صغيرة وكبيرة، ويعذرهم فيما لهم العذر فيه، ويؤاخذهم على تقصيرهم كنقطة سوداء في تاريخهم، وهذا كله قبل حساب الله يوم الحساب الذي ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا احصاها﴾[٩].

٢ ـ (والتاركون المأخوذ منهم) فإنّ عامة الناس يلهث وراء الماديات من الاموال

---

(١) في ط: أيّها الناس وفي هـ. د: أيها الناس ـ ح، وفي هـ. ب : التاركون الغافلون الذين تركوا ما يخبر عليه السلام.
(٢) في هـ. د: والتاركون المأخوذ ـ ض ب .
(٣) في هـ. ب : راح، من الرواح، أراح واستراح بمعنى واحد الإراحة: الاستراحة، إلّا أنّ الاراحة متعدية.
(٤) في هـ. أ: وبيّ ووبيء ـ معاً ـ في هـ. ب : من الوباء الذي يأتي بالوباء: أي ذي وباء.
(٥) في هـ. د: وشرب روي ـ هامش ن، وفي هـ. ب : الشرب الدويّ: الذي يمرض.
(٦) في ط : وانما .
(٧) في هـ. ب : للسكين، وفي هـ. ص: جمع مديةٍ: السكين.
(٨) أي: لا تنظر إلى عواقب أمورها، فلا تعد شيئاً لما بعد يومها.
(٩) الكهف: ٤٩.

والعناوين، ولكن شيء منهما لا يبقى لهم إلىٰ الابد، بل يؤخذ منهم ويعطى إلىٰ غيرهم بالارث أو بالغلبة والثورة، وتاريخ الافراد والاغنياء والملوك خير شاهد على ذلك.

٣ ـ (ما لي أراكم عن الله ذاهبين) فإنّ العبرة بالتاريخ تقتضي التوجه إلىٰ الله سبحانه والالتزام بالثوابت التي بني عليها الاسلام، مع أنّ عامة الناس يحزنهم فوات الماديات والعناوين، وبدل أن يذهبوا الى الله بتطبيق احكامه فانهم يعرضون عن الله باللهو عنه، وهذا ممّا يوجب العجب.

٤ ـ (وإلى غيره راغبين) من المغريات المادية في الحياة من الاموال والعناوين، وما اكثرها اثراً من نفوس عامة الناس؟!

ثم اشار إلىٰ أنّ هذه الحالة الغالبة في عامة الناس تشابه حالة الحيوانات والبهائم، فانها لا تهتم في حياتها لسوى الماديات التي تنفعها، وهي المأكل والمشرب، ولعلها تتفوق على الانسان في عدم السعى الى العناوين الخيالية، ولعل لها في عوالمها عناوين خيالية ولكن لا تغتر بها، فان المحسوس للانسان أنّ الحيوانات على اختلافها من طيور وبهائم وانعام وغيرها تشترك في اهتمامها بالماديات التي يهمها، وخص منها الانعام من الابل والبقر والغنم التي كانت كثيرة في حياة العرب آنذاك وحتى اليوم، وقد شبّه عامة الناس بها في نقاط:

١ ـ (كأنكم نعم أراح بها سائم) والنعم: الانعام التالية؛ الابل والبقر والغنم، أو الغنم خاصة لكثرة الرعي لها في الحياة، لا لغرض دون ذبحها واكل لحمها، دون الابل فان لها منافع الحمل للاثقال، ودون البقر لان لها منافع استخدامها للحرث وان أمكن أكل لحمهما، اما الغنم فلا منفعة لها سوى ذلك، والسوم: الرعي واخذ الراعي اياها.

٢ ـ (إلى مرعى وبي ومشرب دوي) والمرعى: ما تعده الطبيعة لرعي الانعام من الكلأ، والوبي: ما يوجب داء الوباء بسبب فساد المرعى والامراض، والشرب: محل شربها الماء، والدوي: ما فيه الداء الموجب لمرضها.

٣ ـ (إنما هي كالمعلوفة للمدى) فإنّ النعم التي تؤخذ الى المرعى وتعطى لها الحرية في الاستفادة من الكلأ والماء ليس رحمة بها بل لاستخدامها لحاجة غيرها، فان مصيرها المدى أي السكّين المعد للذبح من اجل استهلاكها.

٤ ـ (لا تعرف ماذا يراد بها) لان همّها ليس إلّا ما ترى من المحسوسات، وهي الاكل والماء، وغفلة عما في الكلأ من الوباء أو الماء من الداء، ولا ما يتعقبها من الذبح .

وعن نتيجه هذه الغفلة المحسوسة في الحيوانات قال:

٥ ـ (إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها وشبعها أمرها) فهي لا ترى نظرة إلىٰ المستقبل في حياتها قط، فاذا وجدت ما يؤمن حاجتها المادية في اليوم تظن أنّ حياتها قد تأمن بسبب ذلك اليوم من دون حاجة إلىٰ نظرة الى المستقبل، وأنها اذا شبعت فهو المطلوب لها دون غير ذلك، وليس لها اهتمام في اي شئ اخر في المستقبل.

وهذه النقاط الخمس حقائق في حياة الحيوانات والانعام عامة والاغنام خاصة، باعتبار كثرتها في حياة العرب.

وعامة الناس لا يرون الامور إلّا بهذا المنظار، واذا امنت لهم هذه الحاجات المادية البحتة اقتنعت ولم تفكر في مستقبل امرها، وقليل في كلّ مجتمع من ينظر إلىٰ عواقب الامور، فلا تغريه ما يلهيه عن مستقبله مما يفتقر اليه في الحياة الشخصية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، قال تعالى:﴿ان اولياؤه إلّا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾[١].

(٢ / ط - ١٧٥) منابع علم الامام:

وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أن أُخْبِرَ[٢] كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ ومؤلِجِهِ وَجَمِيع شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ؛ ولَكِن أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فيَّ[٣] برَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم. أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ[٤] إِلَى الخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ[٥] ذَلِكَ مِنْهُ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ، وَاصْطَفاهُ على الخَلْقِ، ما أَنْطِقُ إِلَّا صادِقاً؛ وَلَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ[٦] كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَي مَنْ يَنْجُو، وَمآل هَذَا الأَمْرِ؛ وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ على رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهَ[٧] في أُذُنَيَّ، وَأَفْضى بِهِ إِليَّ.

ويتضمن المقطع الثاني علم الامام ومنابعه ودوره في المحافظة عليه وعن كثرة علمه وحدوده قال مؤكدا بالقسم:

(والله لو شئت أنّ أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت) فإنّ دائرة علمه عن احوال اصحابه لا ينحصر بتاريخ ماضي حياتهم والحاضر الذي يشاهده الجميع، بل المستقبل الذي هو من الملاحم، وانه ـ لو اراد ـ أخبر عن امور ثلاثة هي:

---

(١) الأنفال : ٣٤.

(٢) في هـ ب في نسخة: أخبّر .

(٣) في هـ . ب : أن يضيع حقّي الثابت عليكم من رسول الله صلى الله عليه وآله .

(٤) في هـ . ب، وفي نسخة: الّا واني مفضٍ، وفي هـ . ب : يقال: «أفضيت إليه بسرّي: إذا خلوت معه فيه». ومفضيه: موصله، وفي هـ . د: وروي إني مفض ـ هامش ن ر.

(٥) في هـ . د: نؤمن ـ م ن .

(٦) في ب : ذلك.

(٧) في هـ . ب : أي صبّه .

أوّلاً: الماضي (مخرجه) بالاعتبار عن موضع خروجه بتاريخ حياته في الماضي وطبيعة اعماله العارضة.

ثانيا: الحاضر (ومولجه) وهو موضع الولوج أي الدخول في المواقف التي يتخذها حاليا سواءً اظهرها ام اخفاها نقاقا او عداء أو حياءً أو جبنا.

ثالثا: المستقبل (وجميع شأنه) في المستقبل مما لا يعلمه الاصحاب، ويدل على ذلك تاريخ حياتهم في الماضي ومواقفهم في الحاضر فان المستقبل يبتني على الحاضر، والحاضر على الماضي في سلسلة مترابطة، وكل اناء بالذي فيه ينضح.

وهذا امر طبيعيّ للأب الذي يربي أولاده فيعرف ماضيه وحاضره ويتنبأ بمستقبله استناداً إلىٰ ما يراه من عمله في الحاضر خيرا أو شرا في سلسلة مترابطة بين الحالات الثلاث.

والقائد الذي يعيش مع اصحابه يعرف من احوالهم الخاصة والحاضرة ما يكشف عن ادوارهم في المستقبل.

والامام لم يكتف بهذه المعرفة الشخصية بل اشار إلىٰ منبع علمه بأنه انما يستند إلىٰ ما أخبر به النبيّ ﷺ، ولا عجب ممن تربى مع النبيّ ﷺ منذ الصغر أن يسمع منه ما لم يسمعه غيره من كبار الصحابة الذين لم تتيسر لهم هذه الفرصة.

واشار الامام إلىٰ انه يمتنع عن اعلان هذه المعلومات المورثة بقوله:

(ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله ﷺ) وذلك لأنّ المستمع لهذه الاخبار احد ثلاثة اصناف:

الأوّل: من لا يؤمن بالامام، فيكون له من الطبيعي أن يتهم الامام بالكذب، ولا كلام معهم.

الثاني: من يؤمن بالامام ولكن يعتبر هذه الاخبار من اخبار الغيب التي لا يعلها إلّا الله تعالى.

الثالث: الخاصة من اصحاب الامام المعتقدين به اماما صادقا ولا يعتبرون هذه الاخبار من الاخبار بالغيب.

وهذا الصنف الثاني: يحصل له الشك بشبهه علم الغيب، ويوجب الكفر بالرسول ﷺ بسبب اعتقادهم بان الاخبار بها اخبار بالغيب، وقد قال تعالى:﴿وعنده مفاتح الغيب لا

يعلمها إلّا هو﴾(١).

مع أنّ الله سبحانه وصف نفسه بقوله:﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا إلّا من ارتضى من رسول﴾(٢).

فإنّ هذا ليس من الغيب الذي استأثره الله لنفسه، بل علّمه رسول الله ﷺ، وهو بدوره علّم الامام.

والصنف الثالث: الخاصة في اصحاب الامام الذين يعتقدون به اماما صادقا، فهم لا يعتبرون ما اخبر به الامام علما بالغيب، بل العلم الذي علمه النبيّ ﷺ اياه، فهو علم مترتب على المعرفة بالاسباب الطبيعية، ومن أجل ذلك خص هذا الصنف الثالث وقال:

(ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه) فلا خوف منهم من الانحراف لاعتقادهم بصدق الامام وان العلم ليس بعلم غيب، بل من الملاحم المورثة عن منبع موثوق يتصل بالنبيّ ﷺ الذي علمه الله ذلك، والملاحم المشار اليها مذكورة في سيرته ومواضع في هذا الكتاب منها:

١ ـ ملحمة البصرة (راجع: الخطبة).

٢ ـ مصير بني أُميّة (راجع: الخطبة).

وعن خصائص منابع علم الامام أكد بالقسم قوله:

١ ـ (والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق) وهو الرسول القائد الذي لا اعز منه في حياة الامام.

٢ ـ (ما أنطق إلّا صادقا) فليس أي وقع لإنكار من لا يعتقد بقيادة الامام.

٣ ـ (وقد عهد إلي بذلك كله) فإنّ ذلك عهد شخصي من قائد اعلى إلىٰ من ينوبه في قيادة الامة.

٤ ـ (وبمهلك من يهلك) في المستقبل لتبنيه المواقف المنحرفة التي تؤدي إلىٰ الهلاك.

٥ ـ (ومنجى من ينجو) من المارقين والفاسقين ممن لا تؤثر فيه المغريات المادية في المستقبل ويستقيم في حياته على الثوابت الاسلامية كعمار بن ياسر واظرابه.

٦ ـ (ومآل هذا الأمر) وهو الخلافة.

وقد اشار إلىٰ انتصار الامويين في الغلبة على الحكم في خطبه، وكل ذلك مشروح في

---

(١) الأنعام : ٥٩.

(٢) الجن : ٢٥.

تاريخ حياته، فراجع موارد الاعتبار.

ولخص ذلك بقوله: (وما أبقى شيئا يمر على رأسي إلّا أفرغه في أذني وأفضى به إلي) وبالنتيجة ليس ما اخبر به علما بالغيب بل ما اخبر به النبيّ ﷺ وسمعه باذنه طيلة حياته التي قضاها معه منذ الصبا.

(٣ / ط - ١٧٥) المثال القدوة:

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي وَٱللهِ ما أَحُثُّكُمْ على طاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْها، وَلَا أَنْهاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَناهَى قَبْلَكُمْ عَنْها.

وختم المقطع بالمثال الصالح الذي يجب أن يقتدى به في الدعوة إلىٰ الله بتطبيق الداعي بنفسه ما يدعوا اليه، وعلى ذلك كانت سيرة الرسول القائد واتبعه الامام في حياته، فما من غزوة إلّا اشتركا فيه طوعا، والاحتمال قائم بان يصبهما ما يصيب غيرهمامن المشاركين، والامام هنا يؤكد بحرف التاكيد والقسم بانه التزم بهذه السنة النبوية في حياته فقال:

أوّلاً: (أيها الناس، إني والله ما أحثكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها) بالعمل بها بنفسي تأسياً بالثوابت الاسلامية بان الآمر يجب أن يعمل بما يأمر به، ولما ذم القرآن الدعاة غير العاملين بقوله: ﴿اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم﴾[1].

ثانيا: (ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهي قبلكم عنها) فإنّ النهي كذلك كالامر تماماً، والقيام بالفريضة الاسلاميه من الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من دون عمل بالمحتوى استهزاء بهما عمليا، كما قال تعالى:﴿كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾[2].

وسيرة الامام في حياته الشخصية والعائلية والاجتماعية والسياسية كانت كما هي سيرة النبيّ ﷺ من المشاركة التامة في الاحداث عن وعي وثبات قبل غيره من المشاركين.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:« جملة من أخبار علي بالأمور الغيبية، وقد ذكرنا فيما تقدم من أخباره ﷺ عن الغيوب طرفا صالحا، ومن عجيب ما وقفت عليه من ذلك قوله في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم وهو يشير إلى

---

(١) البقرة: ٤٤.

(٢) الصف : ٣.

القرامطة [١] : ينتحلون لنا الحب والهوى ، ويضمرون لنا البغض والقلى ، وآية ذلك قتلهم وراثنا ، وهجرهم أحداثنا (. وصح ما أخبر به ، لان القرامطة قتلت من آل أبي طالب عليه السلام خلقا كثير ، وأسماؤهم مذكورة في كتاب) مقاتل الطالبيين (لأبي الفرج الأصفهاني . ومر أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي في جيشه بالغري [٢] وبالحاير [٣] ، فلم يعرج على واحد منهما ولا دخل ولا وقف . وفي هذه الخطبة قال: وهو يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة : كأني بالحجر الأسود منصوبا هاهنا . ويحهم إنّ فضيلته ليست في نفسه ، بل في موضعه وأسه ، يمكث هاهنا برهة ، ثم هاهنا برهة – وأشار إلى البحرين – ثم يعود إلى مأواه ، وأم مثواه . ووقع الامر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السلام . وقد وقفت له على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم ، فوجدتها تشتمل على ما يجوز أنّ ينسب إليه وما لا يجوز ينسب إليه ، ووجدت في كثير منها اختلالا ظاهرا ، وهذه المواضع التي أنقلها ليست من تلك الخطب المضطربة ، بل من كلام له وجدته متفرقا في كتب مختلفة ، ومن ذلك أنّ تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه ، وهو يخطب على المنبر ويقول :) سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة ، أو تهدى مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها ، ولو شئت لأخبرت كلّ واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه (. فقال: فكم في رأسي طاقة شعر ؟ فقال: له : وأمّا والله إني لأعلم ذلك ، ولكن أين برهانه لو أخبرتك به ولقد أخبرتك بقيامك ومقالك . وقيل لي إنّ على كلّ شعرة من شعر رأسك ملكا يلعنك وشيطانا يستفزك ، وآية ذلك أنّ في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويحض على قتله . فكان الامر بموجب ما أخبر به عليه السلام ، كان ابنه حصين – بالصاد المهملة – يومئذ طفلا صغيرا يرضع اللبن ، ثم عاش إلى أنّ صار على شرطة عبيد الله بن زياد ، وأخرجه عبيد الله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ويتوعده على لسانه إنّ أرجأ ذلك ، فقتل عليه السلام صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة

(١) يرجع مذهب القرامطة إلي كبيرهم الحسن بن بهرام الجنابي أبو سعيد ، كان دقاقا من أهل جناية بفارس ، ونفى فيها ، فأقام في البحرين تاجرا ، وجعل يدعو العرب إلى نحلته ، فعظم أمره ، فحاربه الخليفة مظفر الحسن وصافاه المقتدر العباسي ، وكان أصحابه يسمونه السيد . استولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين ، وكان شجاعا ، قتله خادم له صقلي في الحمام بهجر، مات سنة ٣٠١، وانظر تاريخ ابن الأثير .

(٢) الغري ، واحد الغريين ، وهما بناءان كالصومعتين ، كانا بظهر الكوفة ، قرب قبر علي عليه السلام (مراصد الاطلاع) .

(٣) الحاير ، بعد الألف ياء مكسورة : موضع قبر الحسين عليه السلام . ذكره ياقوت .

في ليلته . ومن ذلك قوله عليه السلام للبراء بن عازب يوما : يا براء ، أيقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره ! فقال: البراء : لا كان ذلك يا أمير المؤمنين . فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك ، ويقول : أعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأقتل دونه . وسنذكر من هذا النمط – فيما بعد إذا مررنا بما يقتضى ذكره – ما يحضرنا إنّ شاء الله».[1]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ١٣ ـ ١٦.

[١٧٦]

ومن خطبة له عليه السلام:

وفيها يعظ ويبيّن فضل القرآن وينهى عن البدعة ويوضح رسالة القرآن ولوازم الطاعة والتحذير عن المعصية وعن هوى النفس.

(ط - ١/١٧٦) رسالة القرآن:

انْتَفِعُوا بِبَيانِ اللهِ[1]، واتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللهِ، واقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللهِ؛ فإِنَّ اللهَ قدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بالْجَلِيَّةِ[2]، وأخَذَ[3] عَليكُمُ الحُجَّةَ، وبَيّن لكُمْ مَحَابَّه[4] منَ الأَعمالِ، ومَكارِهَهُ مِنْها؛ لِتَتَّبِعُوا هٰذهِ وتَجْتَنِبُوا هذهِ، فإِنّ رَسُولَ الله صلّى اللهُ علَيْهِ وآلِه كانَ يَقُولُ: «انَّ الجنَّةَ حجبت[5] بالْمَكارِهِ، وان النَّار حفّت بالشَّهَوَات».

اشار في مفتتح المقطع إلىٰ ثلاثة اهداف رئيسية لرسالة القرآن الكريم هي:

الاول: البيان، وهو الايضاح للاهداف الحكيمة التي تدعوا اليها رسالة القرآن.

ثانيا: الموعظة، وهي التذكير بما يصلح السيرة من الاوامر والنواهي في القرآن.

ثالثا: النصيحة، وهي الارشاد إلىٰ ما يفتقر اليه الانسان في حياته من التوازن بين ما يفتقر اليه الروح والجسد في الدنيا.

ثم اشار إلىٰ ما انزله الله سبحانه في القرآن الكريم لتحقيق هذه الاهداف الرئيسية الثلاث فقال:

١ ـ (انتفعوا ببيان الله) حيث اوضح سبحانه تعالى فيما انزله من الوحي والقرآن كل ما يفتقر اليه الانسان في حياته.

٢ ـ (واتعظوا بمواعظ الله) حيث ذكر الانسان بالثواب والعقاب المترتبة على الاعمال

---

(١) أمر عليه السلام أوّلاً بالانتفاع من القرآن مثل قوله تعالىٰ: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾ النساء: ٤ / ٥٩. وقوله: (ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر...) النساء: ٤ / ٨٣.
ثم أمر ـ ثانياً ـ بمثل: ﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ النحل: ١٦ / ٩٠.
وأمر ـ ثالثاً ـ بمثل قوله: ﴿فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك ولا تطغوا﴾ هود: ١١ / ١١٢، ومثل: ﴿تعالوا أتل ما حرَّم ربّكم عليكم ... إلىٰ قوله: لعلّكم تعقلون﴾ الانعام: ٦ / ١٥١.

(٢) الاعذار الجلية، وفي هـ. ب : الواضحة.

(٣) في ط : واتخذ.

(٤) في هـ. ب : التي أحبّها الله .

(٥) في د: حفّت، وفي هـ. د: حجبت ـ ف ن ل ش .

في الحياة في الدنيا والاخرة.

٣ ـ (واقبلوا نصيحة الله) التي ترشد إلىٰ ما فيه الخير للانسان في نفسه واسرته ومجتمعة في الدنيا والعقبى.

ثم سرد الاثار الملازمة مع هذه الثوابت الثلاث على سبيل اللّف والنشر المشوّش فقال:

أوّلاً: (فإن الله قد أعذر إليكم بالجلية) والجلية والجلاء: الظهور، فإنّ التعذير وهو ارتفاع اللوم من اثار الاخير، وهو النصيحة، فلا يبقى بعد النصيحة عذر في المقام حيث يرتفع اللوم، ولا يمكن الاعتذار بالجهل لسبق النصيحة في القرآن الكريم.

ثانيا: (واتخذ عليكم الحجة) وهي البرهان، حيث يتضمن القرآن الكريم الحجج من المواعظ التي سردها عن التاريخ، والامثال في الامم السالفة، وفي الانفس والآفاق، والحجة من الاثار اللازمة للموعظة، فإنّ الموعظة لا تكون مؤثرة في النفوس من دون دعمها بالحجج المقنعة.

ثالثا: (وبين لكم محابه من الأعمال ومكارهه منها) والبيان: الايضاح، فإنّ الله سبحانه اوضح في القرآن الكريم بتلاوته ما هو محرّم على الانسان من الكبائر، وسرد الواجبات وكذلك مكارم الاخلاق ومساوئها، وهذه الاوامر والنواهي الواضحة من لوازم البيان للاهداف الاسلامية المشار اليها في القرآن.

ثم اشار إلىٰ أنّ البيان ليس لمجرد البيان نظريا من دون اي عمل، بل لابد من أن يستتبعه العمل، فلا قيمة للاعتقاد بالنظرية المجردة عن العمل على مقتضاها، وذلك بقوله: (لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه)، فلم يذكر ما هو المحبوب عند الله تعالى من الاعمال إلا لاجل أن يتابع عليها في الحياة كما لم يذكر ما يكره منها في القرآن الكريم الّا لاجتنابها.

وختم المقطع بالتاكيد على اهمية العمل في حياة المسلم المعتقد بحديث الرسول القائد بقوله:

(فإن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن الجنّة حفّت بالمكاره وإن النار حفّت بالشهوات»)؛ فإنّ ما يستوجب الجنّة هو العلم والعمل، والعمل بالطبع يستثقله الانسان في الحياة، فيتكاسل عنه، فلابدّ من الصبر على العمل الذي يكرهه الانسان حتى يحصل على الثمرة، وهو الدخول في الجنّة.

وكذلك أنّ ما منع عنه الانسان من المحرمات ممّا تستسيغه النفس، والجري وراء ما تستسيغه النفس يستلزم الدخول في النار.

وقد شرح الامام ذلك في المقطع الاتي:

(٢/ ط - ١٧٦) **لوازم الطاعة والمعصية:**

وٱعْلَمُوا أَنَّهُ ما مِنْ طاعَةِ الله شَيْءٌ إِلَّا يَأتي في كُرْهٍ[1]، وما منْ مَعْصِيَةِ الله شيءٌ إِلَّا يأتي في شَهوَةٍ، فَرَحم اللهُ امرأً[2] نَزَعَ عنْ شَهْوَتِهِ[3]، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِه؛ فإنَّ هذهِ النَّفْسَ أبْعَدُ شيء مَنْزَعاً[4]، وإِنَّها لا تَزَالُ تَنْزِعُ[5] إلَى مَعْصِيَةٍ في هَوىً.

شرح في هذا المقطع لوازم الطاعة والمعصية والواجب الاسلامي في نقاط بقوله:

١ ـ (وأعلموا أنه ما من طاعة الله شئ إلّا يأتي في كره) حيث أنّ الانسان بطبعه لا يريد تحمل المسؤولية مهما كانت، وطاعة الله سبحانه ـ كطاعة أي قانون ـ يستلزم لوازم إيجابية وسلبية، فمن الايجابيات ما يترتب عليها الثواب في الدنيا والاخرة، ومن السلبيات ما يترتب عليها من المؤاخذات في الدنيا والاخرة.

وبما أنّ الطاعة مخالفة لطبيعة النفس، فتكون فيها كره، واقلها كره العمل من الذي يستوجبه الطاعة، والانسان العاقل يميز بين لوازم الطاعة الايجابية والسلبية فيرى ما له منها وما عليه كما هو الحال في أيّ قانون يحكم المجتمع.

٢ ـ (وما من معصية الله شئ إلّا يأتي في شهوة) فإنّ الانسان حريص على ما منع، والنفس الانسانية ترغب إلىٰ أن تؤمن شهواتها المادية من دون أي اعتبار لمصدرها وطريق الوصول اليها، والمعصية من الطريق التي منع الله عنها كما يمنع القانون عن اية رغبة شخصية لتأمين ما يريده الانسان تحقيقها عن طريق غير قانوني، فيحدد لها العقوبات القانونية.

ومعصية الله سبحانه اشد عقوبة في الدنيا والاخرة.

وعن الواجب الاسلامي بالنسبة إلىٰ الطاعة والمعصية قال:

أوّلاً: (فرحم الله رجلا نزع عن شهوته) والنزع: الامتناع من متابعة الشهوات النفسية والرغبات الشخصية التي تتعدى القانون الاسلامي.

ثانيا: (وقمع هوى نفسه) حيث أنّ مبدأ هذه الشهوات هي هوى النفس الامارة بالسوء، فالمسؤولية الاسلامية تقتضي تهذيب النفس والجامها بلجام ارادة الانسان وقمع هوى

---

(١) في هـ. ب : قهرٍ.
(٢) في أ وجـ: رجلاً.
(٣) والعبارة في ب هكذا: فنزع رجل عن شهوته. وفي هـ. ب : قهر، وفي هـ. ص: النزع التشوّق والميل.
(٤) في هـ. ب : أي : نزاعاً.
(٥) في هـ. ب : تميل إلى المعصية.

النفس من اصولها ليأمن شرها في السلوك في الحياة نتائجها في الاخرة.

(٣/ط - ١٧٦) **الحذر من النفس:**

واعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ: أنَّ المُؤمنَ لا يُمسِي ولَا يُصْبِح[١] إلّا وَنَفْسهُ ظَنُونٌ[٢] عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً[٣] عَلَيْها، ومُستَزِيداً لهَا، فَكُونُوا[٤] كالسَّابِقِين قَبْلَكُمْ والْماضينَ أمامَكُمْ، قَوَّضُوا[٥] منَ الدُّنْيا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وطَوَوْها طَيَّ المَنازِلِ.

ثم اشار إلىٰ ضرورة قمع هوى النفس بقوله:

(وإنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى) والنزع: الانتهاء فانّ النفس بحكم طبيعتها لها طلباتها من المعصية المستندة إلىٰ هوى النفس، فلابدّ من قمعها.

وختم المقطع بقاعدة هامة في حياة الانسان المسلم تجاه النفس بالحذر منها في كلّ حال من حالات الحياة، فقال:

(واعلموا عباد الله أنّ المؤمن لا يصبح ولا يمسي) ففي كلّ الحالات من الليل والنهار يجب أن يتخذ المسلم المسؤول المواقف الحذرة الاتية:

أوّلاً: سوء الظن بالنفس (إلّا ونفسه ظنون عنده) والظن: التهمة فيما تدعو اليه النفس الانسانية، فلابد وان يكون موضع التهمة حتى تثبت الحقيقة، فاما أن يوافق أو يخالف ما تدعوا اليه النفس.

ثانيا: (فلا يزال زاريا عليها) والزراية: العيب، فإنّ نتيجة سوء الظن برغبات النفس الاعراض عن تلك الرغبات باستمرار مهما كانت قوية.

ثالثا: (ومستزيدا لها) بطلب الزيادة في معارضة رغبات النفس بدراسة اعمق للاسباب الداعية الى تلك الرغبات وآثارها، فإنّ كانت رغبات تخدم مصلحة فيتبعها، وان كانت رغبات تترتب عليها مفاسد يتركها.

وبالاجمال، فان المسلم المسؤول لاينقاد لرغبات النفس انقيادا أعمى.

---

(١) في أ: لا يصبح ولا يمسي.
(٢) في هـ. ب: فاعل والظنون مبالغة، أي: متهم، لنفس المؤمن ظنون عنده، أي: معهم على كلّ ما تبدي، وفي هـ. ص: أي متهمة.
(٣) هـ. ب: فلا يزال زارياً، أي عائباً، فإنّه إمّا مقصرٌ أو متعدٍّ، إلّا من عصمه الله.
(٤) في ص: وكونوا.
(٥) في هـ. أ: ارتحلوا، وفي هـ. ب: مفعول محذوف، أي: قوّضوا خيامهم طوعاً ورغبة، مثل من يقوص خيمته من منزل إذا أراد الرحيل، يقال: قوضت البناء أي نقضته من غير هدم، وفي هـ. ص: تقويض الخيام: نقضها وقد لاحظ تشبيه أهل الدنيا بالمسافرين.

وحيث أنّ في حياة المسلمين الاوائل امثلة حية لتقييم رغبات النفس والعمل بما تقتضيه المواقف قال:

(فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين أمامكم) من الصحابة والصالحين، حيث وقفوا مواقف عادلة تجاه رغبات النفس. فان دراسة حياتهم يعطينا درساً عمليا في اهم رغبات النفس وهي حبّ الدنيا، فقال:

(قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طي المنازل) التقويض: قلع الشئ من الاساس، فانهم نظروا إلىٰ الدنيا كما ينظر المسافر في سفره، فإنّه يعد ما يفتقر اليه في الطريق من الخيام لاستخدامها في السفر، وبعد أن يريد الارتحال من املكان الذي نصب فيه الخيام قلعها من اساسها واستخدامها في رحلته إلىٰ المنزل الاخر، وطوى تلك الخيام في كلّ مرحلة حتى ينتهى السفر بطي المنازل كلها فيتركها جانبا.

وكذلك حال المؤمن في الدنيا، فهو يستعد للدنيا بما يفتقر اليه من السكن وغيره في رحلة العمر ولا يجعل نفسه عبدا لها، بل يستخدمها بمقدار ما يحتاج اليها في هذه الرحلة ويتركها في المدن التي يرحل اليها حتى تنطوي رحلة الحياة في الدنيا إلىٰ الابد.

ولولا هذه الرؤية الواضحة للدنيا في حياة الانسان لأصبح الانسان عبداً للدنيا وما فيها .

ومن المغريات التي تدعوا اليها: هوى النفس، قال تعالى:﴿ان النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربي﴾[1].

خصائص القرآن:

(٤ / ط - ١٧٦) خصائص القرآن الذاتية:

واعْلَموا أنْ هَذا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لا يَغشُّ[2]، والْهَادِي الَّذِي لا يُضِلُّ، والُمحَدِّثُ الَّذِي لا يَكْذِبُ[3]، وما جالسَ هَذَا الْقُرآنَ أحَدٌ إلّا قامَ عَنْهُ بِزِيادَةٍ أوْ نُقْصَانٍ؛ زِيادَةٌ في هُدىً، أوْ نُقْصَانٌ[4] منْ[5] عَمىً.

---

(١) يوسف : ٥٣.
(٢) في هـ. ص: الغِش ضد النصح.
(٣) في ب: لا يكذِّب، وفي هـ. د: لا يكذب من باب التفعيل ـ ش.
(٤) في ب : ونقصان.
(٥) في ب: في، وفي هـ. ب، وفي نسخة: من.

للقرآن خصائص ذاتية ثلاث أشار اليها بقوله:

١ ـ (واعلموا أنّ هذا القرآن) باعتباره وحيا الهيا، هو خاتم الكتب السماوية ويتمتع بخصائص في نفسه هي:

أوّلاً: (هو الناصح الذي لا يغش) كما هو المفروض في كلّ ناصح، حيث أنّ احكامه تتصف بالصراحة في المنطق من دون استخدام اشارات، وكما هو الحال في القوانين الوضعية ففيه صراحة بقتل العدوّ لئلا تكون فتنة، والقوانين تستخدم كلمة الدفاع في الظاهر وتفعل اشد من القتل تحت هذا العنوان الانساني فتزيد الفتنة.

ثانيا: (والهادي الذي لا يضل) ففيه الهداية إلىٰ معرفة الانسان المهتدي لدوره الانسان في الحياة، ممّا ينفع نفسه ولمجتمعه، وليس مهتما بدوره المادي الحيوان فقط كالبهائم.

ثالثا: (والمحدث الذي لا يكذب) ففي قصص الحق التي قصها القرآن من الحقائق التاريخية التي تحققت في التاريخ، وليس اساطير خيالية كما يتخيلها الشعراء ورواة الحكايات.

وهذه الحقائق الذاتية للقرآن باعتباره وحي الهي يميزه عن غيره من الكتب التي تستخدم ـ ولربما لاهداف ثقافية حسنة ـ بعض الصفات المضادة كالغش والتضليل والكذب، حيث ترى الفلسفات الاخرى ـ ما عدى الوحي ـ أنّ الغاية تبرر الواسطة، والاسلام ينفي هذه الفكرة من اساسها؛ لان ما يتحقق بوسيلة غير قانونية هو أمر غير قانوني ايضا.

وعن نتيجة هذه الخصائص الذاتية قال:

(وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان:) وفسرهما بقوله:

أوّلاً: (زيادة في هدى) باعتباره خاتم الاديان السماوية، فمن اهتدى به من الاديان الاخرى التي تشارك القرآن في بعض المبادي فيكون القرآن زيادة فيها؛ لاستكماله العقيدة والشريعة بتطبيق حكم الله على الارض.

ثانيا: (أو نقصان في عمى) حيث يؤكد القرآن على العلم والتعليم، بما لا مثيل له في الاديان السماوية الاخرى، بل ولا الافكار والفلسفات الوضعية التي تستخدم مفاهيمها في استغلال الانسان المستضعف، وهي وان كانت ترفع شعارات العلم والتثقيف ولكنها في الواقع العملي تجعل الانسان المستضعف غير قادر على مواكبة العلم كما يتيسر لغيره من الاغنياء.

الاثر العملي للقرآن:

وٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ على أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ منْ فاقَةٍ[١]، ولا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرآنِ منْ غِنىً، فاسْتَشْفُوهُ منْ أدْوائِكمْ، وٱسْتَعِينُوا بهِ على لَأْوائِكُمْ[٢]، فإِنَّ فِيهِ شِفاءً منْ أكْبَرِ الدَّاءِ وهُوَ الكُفْرُ والنِّفاقُ والْغَيُّ والضَّلَالُ، فاسْأَلُوا[٣] اللهَ بِهِ[٤]، وتَوَجَّهُوا إِليْهِ بحُبِّهِ، ولا تَسْأَلُوا بِهِ[٥] خلْقَهُ، إِنَّهُ ما تَوَجَّهَ الْعِبَاد إلى اللهِ بِمِثْلِهِ.

وعن الاثر العملي للقرآن اشار إلىٰ حرية الفكر من التقليد الاعمى قال:

(واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة) وهي الحاجة لاستكمال القرآن ما يفقر اليه الانسان في حياته الروحية والمادية من الشريعة والعقيدة.

(ولا لأحد قبل القرآن من غنى) حيث لا يستغنى الانسان في الحياة من المبادئ الروحية والمادية، فلا يمكن للقوانين الوضعية أن تغني عن المبادئ الروحية ولا العكس.

والى نتيجة ذلك في حياة الانسان اشار بقوله:

١ ـ (فاستشفوه من أدوائكم) المادية والروحية؛ لانه شفاء لهما معاً، والمجتمع لا يصلح بدونهما.

٢ ـ (واستعينوا به على لأوائكم) وهي طوارق الدهر السائدة التي تواجه حياة أي انسان في الحياة.

وعن السبب في هذه الحقيقة العملية للقرآن قال:

(فإن فيه شفاء من أكبر الداء) الذي يخلي الانسانية من الانسان ويجعله في صف البهائم، وذلك الداء يتكوّن من مواد اربعة، هي:

أوّلاً: (وهو الكفر) وهو الغطاء لغة، حيث أنّ الكافر يغطي عقله من الاستخدام، وهو تنكر لانسانيته.

ثانيا: (والنفاق) وهو اظهار الايمان باللسان من دون اعتقاد، فهو تنكر لحقيقة الانسانية.

ثالثا: (والغي) وهو الانقياد لهوى النفس من دون اعتبار اخر، فهو تنكر لحقيقة الانسانية أيضاً.

---

(١) أي: حاجة إلى هادٍ غيره، وفي هـ. ب : فقر.
(٢) في هـ. ب : شدّة، وفي هـ. ص: هي الشدة.
(٣) في أ: واسألوا.
(٤) أي: اطلبوا سعادة الدنيا والآخرة باتباعه.
(٥) في هـ. ب، وفي نسخة: زيادة: من .

رابعا: (والضلال) وهو الميل عن طريق الحق بعد معرفته. وأخّرها باعتباره نتيجة ما تقدم من المواد الثلاث، فان كل واحدة منها في واقعها تنكر لانسانية الانسان وعمل بما يخالفها من القوى البهيمية والسبعية، والتي تعم الحيوانات كلها.

وعن الواجب الاسلامي تجاه ذلك قال:

١ ـ (فاسألوا الله به) فإنّ القرآن الوسيلة لمعرفته تعالى والطريق اليه.

٢ ـ (وتوجهوا إليه بحبّه) فإنّ التوجه إلىٰ الله بغير حبّه لا يكون توجّها كاملاً، وهو يستلزم العمل على تطبيقه في الحياة.

٣ ـ (ولا تسألوا به خلقه) بان يتخذ وسيلة للرزق كما عليه الحال في عصرنا من بعض القرّاء الذين يكتسبون به في المناسبات، فلا يكون القرآن لهم الا زينة للمجالس.

وعن السبب في هذا الواجب الاسلامي تجاه القرآن قال:

(إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله) انّ الدستور الوحيد الذي يستحق التوجه إلىٰ الله به هو القرآن باعتباره الدستور الجامع في الحياة بين العلم والعمل، فلا يستحق غيره من الدساتير المتقدمة عليه ولا المتاخرة عنه التطبيق في الحياة سواه.

(٦ / ط ـ ١٧٦) الاثر الاخروي للقرآن:

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ[1]، وما حل[2] مُصَدِّقٌ، وأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرآنُ يَوْمَ الْقِيامَةِ شفِّعَ فيهِ، ومَنْ مَحَلَ بِهِ ٱلْقُرْآنُ يَوْم ٱلْقِيامَةِ صُدّقَ عليْهِ، فإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ: «ألا إنَّ كُلَّ حارِثٍ[3] مُبْتَلىً في حَرْثِهِ وعاقِبَةِ عَمَلِهِ غيرَ حَرَثَةِ ٱلْقُرْآن» فَكُونُوا منْ حَرَثَتِهِ وأَتْبَاعِهِ، واسْتَدِلُّوهُ على رَبِّكُمْ[4]، وٱسْتَنْصِحُوهُ[5] على أَنْفُسِكُمْ، وٱتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ[6]، واسْتَغِشُّوا[7] فيهِ أَهْوَاءَكُمْ[8].

واشار إلىٰ الاثر الاخروي للقرآن، وهو الحجة في يوم القيامة بقوله:

---

(١) في د: شافع ومتشفع، وفي هـ. د: شافع مشفع ـ ف ن ش.

(٢) ومحل : غمز، وفي هـ. ب يقال: محل فلان بفلان: إذا قال فيه قولاً وأوقعه في المكروه، وفي هـ. د: ماحل مصدق ـ ف ن، قائل مصدق ـ ش، وفي هامش ف: وقائل. وفي د: وقائل ومصدق، و.

(٣) في هـ. ب: كاسب.

(٤) في هـ. ب: على طاعة ربكم.

(٥) في هـ. ب: اطلبوا النصيحة.

(٦) أي: إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ.

(٧) في ب: واغتشوا: أي ظنوا فيها الغش وارجعوا إلى القرآن، وفي هـ. د: واغتشوا ـ ر ل ش.

(٨) في هـ. ب: اغتشوا، أي: اتخذوا آراؤكم غاشية.

(واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق) ثم فسر هذين بقوله:

أوّلاً: (وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع) وذلك بالشهادة في يوم القيامة على صدق القارئ له. قال تعالى عن يوم القيامة: ﴿يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعلمون﴾[1].

ثانيا: (ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه) والمحل: الطرد حتى الاعياء، فإنّ من لم يعمل به يكون مطرودا عنه يوم القيامة، فإنّ موقف القرآن يكون مصدقاً من قبل الله تعالى لمكان الشهادة عليه.

ثم شرح موقف يوم القيامة بقوله:

(فإنّه ينادي مناد يوم القيامة : «ألا أنّ كلّ حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن ») فإنّ النداء عام للناس اجمعين، بان نتائج الاعمال تفتقر إلىٰ الابتلاء وهو الامتحان لتمييز الصحيح من غيره من الاعمال حتى تظهر العاقبة والنتيجة للعمل، وهذا لا ينطبق على العامل بالقرآن؛ لان عمله دليل ظاهر عليه، فإنّ الانسان اما عامل به أو لا، وعمله له اثاره النفسية من الاطمينان مما لا يوجد في غير العامل، والله العالم.

وعن الموقف الاسلامي المطلوب تجاه القرآن سرد نقاطاً بقوله:

أوّلاً: (فكونوا من حرثته) حيث أنّ العمل به بالقرآن في الدنيا يكون حرثا له في الاخرة.

ثانيا: (وأتباعه) لان متابعة القرآن في الحياة يوجب الاطمئنان للانسان في الدنيا والاخرة.

ثالثا: (واستدلوه على ربكم) باعتباره خاتم الوحي الالهي في معرفة الله سبحانه.

رابعا: (واستنصحوه على أنفسكم) لانه منبع زلال النصيحة الخالصة الالهية.

خامسا: (واتهموا عليه آراءكم) حتما اذا لم توافق الاراء مع ظاهر القرآن، فيحب تصحيح الاراء الانسانية؛ لانها عاجزة عن معرفة الوحي الالهي.

سادسا: (واستغشوا فيه أهواءكم) فيما اذا دعى هوى النفس الانسانية إلىٰ ما يخالف الحقائق القرآنية فيجب تفهم الهوى بالغش؛ للعلم بان الرغبات الانسانية لا تضاهي الحكم الالهية التي ابتنت عليها حقائق القرآن.

وهذه المواقف الستة تجعل الانسان في حصانة من الانحراف عن التوجيه السماوي

---

(١) العنكبوت : ٥٥.

في الحياة.

(٧ / ط - ١٧٦) العمل لأهداف الاسلام:

العَمَلَ .. العَمَلَ[١]، ثُمَّ النِّهايَةَ.. النِّهايَةَ[٢]، والاِسْتِقامَةَ.. الاِسْتِقامَةَ[٣]، ثُمَّ الصَّبرَ.. الصَّبرَ، والْوَرَعَ.. الْوَرَعَ؛ إنَّ لَكُمْ نَهايةً فانْتَهوا إلى نَهَايَتِكُمْ، وإنَّ لكُمْ عَلَماً[٤] فاهْتَدُوا بِعَلمِكُمْ، وإنَّ لِلإسْلَامِ غايَةً فانْتَهُوا إلى غايَتِهِ[٥]، وٱخْرُجُوا إلى ٱللهِ بِمَا[٦] ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ.

أنا شاهِدٌ[٧] لَكُمْ، وحَجِيجٌ[٨] يَوْمَ الْقِيامَةِ عَنْكُمْ.

انّ أي مبدأ يتخذه الانسان في حياته يفتقر إلىٰ تطبيق في الحياة بالعمل حتى الوصول إلىٰ الغاية المطلوبة له فيها والوصول اليها يبتغي العمل، كما يفتقر الانسان في طريق السير التكاملي نحو الهدف الى صفات تساعده على السير إلىٰ التكامل المطلوب.

وقد اشار الامام إلىٰ نقاط خمس ضرورية في سلوك الانسان نحن الكمال على سبيل الاغراء، فقال:

أوّلاً: (العمل العمل) فإنّ المبدأ الذي يقصده الانسان من دون عمل يكون مبدأ ميتا.

ثانيا: (ثم النهاية النهاية) بالتركيز على الاهداف التي يتطبله ذلك المبدأ في الحياة، فلا يكون العمل روتينا محضا خاليا من الروح المطلوبة للعمل.

وعن الصفات المطلوبة في حال السلوك قال:

ثالثا: (والاستقامة الاستقامة) فإنّ العمل الناقص عديم الفائدة.

رابعا: (ثم الصبر الصبر) فلابدّ من أي عمل من الصبر على العمل حتى يتحقق النجاح.

خامسا: (والورع الورع) فإنّ العمل من دون ورع يفقد الواقعية المطلوبة فيه.

فإنّ هذه النقاط الخمس ما تميز المسلم الملتزم عن غيره، فإنّ من يفقد بعضها في الحياة يتعثر في ركب الحضارة الاسلامية.

---

(١) في هـ. ب: أي الزموها.
(٢) في هـ. ب: ثم اقصدوا الغاية.
(٣) في هـ. ب: إعملوا له.
(٤) في هـ. ب: اماماً، وفي هـ. ص: انما يعني نفسه عليه السلام تمت من الشرح.
(٥) في هـ. ص: هي اداء الواجبات واجتناب المحظورات وأوضح ذلك بقوله: واخرجوا إلى الله.
(٦) في أ وب : ممّا.
(٧) في ط : شهيد، وفي هـ. د: شهيد ـ ن ب .
(٨) في هـ. ب: أي مخاصم ومجادل .

ثم شرح عليه السلام ذلك بقوله:

١ ـ (إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم) وهي الاهداف الاسلامية المشروحة في القرآن والسنة، فلا ينبغي التوقف قبل الوصول اليها؛ لان الاسلام لا يرضى بانصاف الحلول.

٢ ـ (وإن لكم علما فاهتدوا بعلمكم) والعلم: ماينصب رمزاً للاهتداء به، كالراية للدول، ولا شك في أنّ القرآن والسنة علمان، ولكن الظاهر انه يعني به القائد الداعي اليها كما قد يشير اليه كلامه الاتي، واخر كلامه ايضا.

٣ ـ (فاهتدوا بعلمكم) فإنّ دور القائد هو الاهتداء به كما يهتدى بالعلم في ساحة الحرب أو غيرها؛ لانه الرمز ومتى أخفق كانت به خسارة المعركة، فلا يقوم بها إلّا القادر على حياطتها وحصانتها.

٤ ـ (وإن للاسلام غاية فانتهوا إلى غايته) لان الاهداف الاسلامية ومنها تطبيق العدالة في المجتمع غاية الاسلام، والعمل الذي لا يؤدي إلىٰ هذه الغاية لا يكون إلّا عملا خداجا.

٥ ـ (واخرجوا إلى الله بما افترض عليكم من حقه وبين لكم من وظائفه) فإنّ حقوق الله سبحانه بالعبودية له يستلزم الوفاء بالطاعة لما جعله فرضا على العباد من العبادات والحقوق الشرعية التي تؤمن حاجة المجتمع الاسلامي عامة.

وقد بين سبحانه وتعالى في القرآن الكريم اصول المجتمع الاسلامي العادل عباديا واقتصاديا وسياسيا.

وهذه النقاط الخمس اصول ثابتة في الاسلام لا يجب أن يغفل عنها أي مسلم ملتزم، فيعرف الاهداف الاسلامية والقائد الذي يدعوا اليها، والطاعة للقائد والاهداف والعمل بالواجبات الاسلامية العبادية والاقتصادية والسياسية كلها.

ثم ختم المقطع بدوره كقائد اعلى في المجتمع باعتباره العلم الداعي إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله بقوله: (أنا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم) فإنّ القائد مسؤول عن المجتمع الذي يقوده، ومن المسؤوليات الشهادة على اعمالهم والحجة لما قاموا بها، فهو باعتباره القائد يقوم بالامرين في السير على خطاه في الحياة فقد قال تعالى:﴿يوم ندعوا كلّ اناس بامامهم﴾[1].

فيكون من مسؤوليات الامام يوم القيامة الشهادة واقامة الحجة على ما قاد به المجتمع الاسلامي الذي قاده، كما هو مسؤول في التاريخ.

---

(١) الاسراء : ٧١.

(٨/ط - ١٧٦) الاستقامة:

أَلا وإنَّ القَدَرَ السَّابِقَ قدْ وَقَعَ، والقَضاءَ المَاضيَ قدْ تَوَرَّدَ[١]، وإنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَّةِ ٱللهِ وحُجَّتِهِ، قالَ اللهُ تَعالىٰ[٢]: ﴿إنَّ الّذين قالوا ربُّنا ٱللهُ ثم ٱسْتقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنَّة التي كُنتم توعَدون﴾[٣] وقد قُلْتُمْ رَبُّنا ٱللهُ، فاسْتَقِيمُوا على كتابِهِ، وعلى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وعلى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ منْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لا تَمْرُقُوا[٤] مِنْهَا، ولا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، ولا تُخَالِفُوا عَنها، فإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ[٥] بهِمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

واشارعليه السلام إلىٰ اهم ما هو من لوازم العمل وهو الاستقامة لمن يؤمن بمبدأ له في الحياة، وحيث أنّ الانسان المسلم اختار الاسلام كمبدأ في الحياة، فإنّ العمل له مستلزمات يجب تطبيقها واهمها الاستقامة على المبدأ، وقد شرحهاعليه السلام بقوله:

١ ـ (ألا، وإن القدر السابق قد وقع) والقدر السابق: ما قدره الله سبحانه للانسان في حياته، فإنّ الوقت الذي يخطب فيه هو ساعة العمل والتطبيق لتلك الاحكام المقدرة، حيث أنّ المطلوب العمل بها في وقتها الان، فإنّ النظرية لا بد لها من تطبيق في وقت الحاجة اليها، وهي ساعة العمل.

٢ ـ (والقضاء الماضي قد تورد) أي ورد متسلسل الاحداث شيئا فشيئا من دون مباغتة، فأبى الله ان يجري الامور إلّا باسبابها.

٣ ـ (وإني متكلم بعدة الله وحجته) والعدة: ما وعد الله سبحانه في القرآن الكريم الذي هو حجة الله على الخلق اجمعين، ثم اورد الحجة منه بقوله:

(قال الله تعالى:﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تخزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون﴾[٦].

وهي تشير إلىٰ المبدأ وهو العقيدة (ربنا الله) والعمل وهو الاستقامة، ونتيجتهما وهي ثلاث: عدم الخوف وعدم الخزن والبشارة بالجنة من الملائكة.

---

(١) في هـ. ب: أي ورد الحكم الالهي شرعاً ولا حاجة إلى بدعة.
(٢) في ب: عزّوجلّ وفي ص: جل ذكره.
(٣) فصّلت: ٤١ / ٣٠.
(٤) في هـ. ب: أي لا تخرجوا من عبادة الله مروق السهم من الرمية.
(٥) في هـ. ص: بفتح الطاء انقطع يريد بضم الهمزة فهو منقطع به إذا لم يجد بلاغاً ووصولاً إلىٰ المقصد، انتهى من الشرح.
(٦) فصلت : ٣٠.

وعن تطبيق هذه الآية في ساعة العمل قال:

ـ (وقد قلتم ربنا الله) وهو الركن الأوّل في أي حركة يبدأ بالاعتقاد بالمبدأ.

ـ (فاستقيموا) وهو الركن الثاني الذي يجب فيه تطبيق العمل، ومن اهم لوازمه الاستقامة.

وعما يجب الاستقامة عليه اشار إلىٰ ثلاث نقاط:

أوّلاً: (على كتابه) باعتبار القرآن الدستور الاسلامي الخالد عقيدة وشريعة.

ثانيا: (وعلى منهاج أمره) ممّا امر به في القرآن وشرحها الرسول القائدﷺ بالسنة.

ثالثا: (وعلى الطريقة الصالحة من عبادته) فإنّ العبادة عمل اسلامي وللعمل لوازم بدونها لا يكون صالحا، فان العبادة رياءً ليست الطريقة الصالحة، وكذلك العمل الاسلامي بطرق اخرى لا تحقق الاهداف الاسلامية، وقد اشار إلىٰ اهمها في المقطع الثاني بقوله:

(٩ / ط - ١٧٦) الاخلاق الاسلامية:

ثُمَّ إِيَّاكُمْ وتَهْزِيعَ[١] الْأَخْلَاقِ وتَصْرِيفَها[٢]، واجْعَلُوا ٱللِّسَانَ واحِداً، ولْيَخْتُزِن الرَّجُلُ[٣] لِسَانَهُ، فإِن هَذَا ٱللِّسَانَ جَمُوحٌ[٤] بِصَاحِبِهِ، واللهِ ما أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعَهُ[٥] حَتى يَخْتزُنَ[٦] لِسانَهُ، وإِنَّ[٧] لِسَانَ المُؤْمِنِ مِنْ ورَاء قَلبِهِ، وإِنَّ قَلْبَ المُنافِقِ منْ ورَاءِ لِسَانهِ، لِأَنَّ المُؤْمِنَ إذا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ في نَفْسِهِ، فإِنْ كانَ خيراً أَبْدَاهُ، وإِنْ كانَ شَرّاً وَاراه، وإِنَّ المُنافِقَ يَتَكَلَّمُ بمَا أَتى علىٰ لِسَانهِ، لا يَدْرِي ماذا لهُ وماذا عَلَيْهِ.

وَلَقَدْ[٨] قالَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ: «لا يَسْتَقِيمُ إيمَانُ عَبْدٍ حَتى يَسْتَقيمَ قَلْبُهُ، ولا يَسْتَقيمُ قَلْبُهُ حَتّى يسْتَقيمَ لِسانُهُ» فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللهَ، وهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ منْ دِماءِ المُسْلِمينَ وأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَان منْ أعْرَاضِهمْ[٩] فَلْيَفْعَلْ.

ان في الطرق غير الصالحة في عبادة الله، اشارة إلىٰ بطلان الاعتقاد بأنّ الغاية تبرر

(١) في هـ . ب: اياكم وتهزيع الأخلاق: تغييرها عن محاسنها إلى مساوئها.

(٢) في ب: وتصرفها.

(٣) في ب: اختزن رجل، وفي ط: فليخزن الرجل، وفي هـ . ب: دعاء من الخرانة، وفي هـ د: ليخزن الرجل ـ ن ب ح ض ل.

(٤) في هـ . ب: الجموح من الفرس: التي تعرّ فارسها وتقلبه، ومن الرجال الذي يركب هواه.

(٥) في ب: ينفعه .

(٦) في ط: يخزن، وفي هـ . د: يخزن ـ ص . ب .

(٧) في أ : فان.

(٨) في أ وب: وقد، وفي هـ د: لقد ـ ض ح ب.

(٩) في هـ . ب: عيبهم.

الواسطة، فإنّ الاخلاق الاسلامية تبتني على الغاية والهدف في الاسلام، ولا يمكن الوصول إلىٰ الاهداف العليا الاسلامية من دون تطبيق الاخلاق الاسلامية في الوسائل الموصلة اليها، ومن اهم الطرق غبر الصالحة الكلام الفارغ عن العمل، وقد شرح ذلك محذراً بقوله:

أوّلاً: ـ (ثم إياكم وتهزيع الأخلاق) والهزع: النزع والكسر، وذلك بنقض قوانين الاخلاق الاسلامية ونزعها بتجميدها في فترة الحرب مثلا، باعتقاد ان الغاية وهي النصر في الحرب تبرر الواسطة وهو الوسيلة، بطرح القيم الاخلاقية جانبا في سبيل تحقيق تلك الاهداف، فإنّ الاخلاف الاسلامية يجب أن يحافظ عليها في الحرب وغيره بدون استثناء.

ثانيا ـ (وتصريفها) والصرف: القلب بتوجيه عسكري يبرر نقض القانون الاخلافي في الاسلام؛ فإنّ هذا النصر بقلب الاحكام الاسلامية وان كان نصرا ماديا فيها، لا يبرر ترويع الاطفال والنساء في الحرب والتعذيب الروحي والجسدي في الحرب الاسلامية وان توقف النصر على ذلك؛ لانها وسائل غير مشروعة اسلاميا، والتوجيه بحصول النصر بها مرفوض في الاسلام مبدئياً.

والدعايات الفارغة الكاذبة من اهم ما يستخدم في الحرب للايقاع بالعدو، وقد اشار الامام إلىٰ انها لا تثمر ثمرتها المطلوبة، فانها انما تخدع السذج فقط، والانسان المخدوع حينما يعرف الحقائق يكون اشد على من خدعه مهما كانت مبرراته، كما هو مجرب في الحياة. ولذلك شرح الامام بنوع من التفصيل أن الاهداف الاسلامية انما تتحقق بالعمل وليس بالكلام والدعايات فقال:

١ ـ (واجعلوا اللسان واحدا) فإنّ الوحدة في القول المبتني على العقيدة يوجب النصر، وبما أنّ من الطبعيي انه لا يمكن ان تتحقق الوحدة مئة في المئة، فلا بد أن تتبع الاقلية في الرأي للأغلبية في الراي، وأنّ فرض رأي الاقلية على الأكثرية لابد وان يبوء بالفشل والفساد على الجميع، فلابدّ من الرضوخ لراي الاكثرية التي بها يكون النجاح.

٢ ـ (وليخزن الرجل لسانه) من الانتقاد في المواضع التي لا فائدة من النقد إلّا شق وحدة الصف والتفرقة، وكذلك الدعايات التي لا واقع لها، وعن سبب ذلك قال:

٣ ـ (فإن هذا اللسان جموح بصاحبه) والجمح: التمرد، وخاصة في الفرس، فانه حينما يتمرد على صاحبه يجري على هواه تمرداً، وكذلك اللسان اذا اطلق عنانه فانه يتكلم على هواه ما يضر بصاحبه، فلابد من ضبطه بقلة الكلام وكثرة العمل.

٤ ـ (والله ما أرى عبدا يتقي تقوى تنفعه حتى يختزن لسانه) وهذا التأكيد بالقسم يؤكد على الصلة الوثيقة بين التقوى وقلة الكلام، فإنّ التقوى لا تنفع مع كثرة الكلام، فانه لابد وان يقع فيه اخطاء، والتاريخ يشهد بكثرة من وقع ضحية الكلام، حيث انه كان يعتقد انه صدر منه مزاحاً واتخذ عليه حقيقة، والله العاصم.

٥ ـ (وإن لسان المؤمن من وراء قلبه) حيث أنّ المؤمن يتحرك على اساس عقيدة ثابتة نابعة من القلب لا تتغير. فيكون لسانه ايضا كذلك فانه يعكس العقيدة على اللسان والافعال، ولا يمكنه أن يفصل بينهما، فمن يؤمن بحرمة السرقة لايسرق ولا يتكلم عن السرقة؛ لتلازم العقيدة والافعال والاقوال عند المؤمن.

٦ ـ (وإن قلب المنافق من وراء لسانه) حيث أنّ المنافق ليس له عقيدة ثابتة تدفعه الى الحق والصدق، وانما له هدف واحد هو تحقيق مصلحته الشخصية ،رفطبيعي أن يحصل التناقض بين اقواله وافعاله، ومن اجل ذلك يكون اكثر كلاما، ولا يتبعه عمل ولا يصدقه الفعل.

ثم فسر عليه السلام ذلك بقوله:

٧ ـ (لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه، فإنّ كان خيرا أبداه، وإن كان شرا واراه) فالدافع للكلام عند المؤمن ليس الكلام نفسه، بل الحكمة الداعية إلىٰ الكلام، وبما أنّ الحكمة رضى الله تعالى في الاقوال فلابدّ للمؤمن ان يتدبر قبل التكلم: فإن كان لعمل خير تكلم به وابدى ما في نفسه بالقول، وان كان الكلام لا ينتج الخير لم يتكلم وواری ما في نفسه من الاخرين.

٨ ـ (وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وما ذا عليه) حيث انه لا يعتقد المسؤولية لأقواله، فيطلق الكلام من دون تدبّر إلّا لما يخدم مصلحته الشخصية.

ومن هذه الناحية فانه لا يدري ما ذا له ويجيئه باستحقاق وماذا عليه من جراء الكلام من عقوبة الله والتاريخ.

ثم ايّد ما ذكره عليه السلام بكلام الرسول القائد صلى الله عليه وآله:

٩ ـ (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه») وذلك للترابط بين العقيدة والعمل، فإنّ الاعتقاد الذي لا يتبعه العمل ليس اعتقاداً حقيقيا، وكذلك العمل الذي لا يبتني على الاعتقاد ليس عملا بالواجب، بل صدفة صادف ما هو الواجب، وكم فرقٌ بينهما!

ومن أجل ذلك جاءت في روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ: «الايمان هو الاعتقاد بالجنان

والعمل بالاركان والقول باللسان». فإنّ الاخلال باحدى هذه الاركان نقص في مرتبة من مراتب الايمان كما شرحته في المعجم ،فراجع.

١٠ ـ (وختم المقطع بالدستور العملي في ساحة الحرب بقوله:

(فمن استطاع منكم أن يلقى الله تعالى وهو نقيّ الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من أعراضهم فليفعل) وفي ذلك تأكيد لأمور:

أوّلاً: الاستطاعة (فمن استطاع منكم) حيث أنّ الحرب حالة غير طبيعية تحكمها الطواري التي تتطلب مواقف لا يمكن التحكّم فيها كاملاً، فلابدّ بالعمل بالمستطاع في الساحة.

ثانيا: الحرب العقائدية (ان يلقى الله تعالى)، وبهذه تمتاز الحرب الاسلامية عن غيرها من الحروب المادية التي لا تطلب رضى الله، بل مجرّد النصر المادي فقط.

ثالثا: تجنّب القتل (وهو نقيّ الراحة من دماء المسلمين) غير المحاربين، فإنّ الهدف من الحرب هو البغاة المعتدين من المسلمين، دون غيرهم.

رابعا: عدم التعدي على الاموال (واموالهم) فإنّ الحرب ضد البغاة لابد وان يكون محصورا على قلع مادة الفتنة لمحاربة الفئة الباغية، من دون تعدّ على الاموال، فإنّ الخلق الاسلامي للمحارب المسلم ان يكون (سليم اللسان من اعراضهم) فإنّ الكلام البذيئ على البغاة والدعايات الباطلة لا تخدم القضية الاسلاميه أن لم تضر بها.

(فليفعل) ما هو الواجب الاسلامي في ساحة المعركة من منطلق اسلامي على الثوابت الخمس المشار اليها، وسيرة الامام في ذلك مشروحة في مواضعها بتفصيل.

(١٠ / ط - ١٧٦) الشرعة والبدعة:

واعْلَمُوا عِبادَ اللهِ أَنَّ المُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ[١] ما[٢] اسْتَحَلَّ عاماً أَوَّلَ، ويُحَرِّمُ الْعَام ما حَرَّم عاماً أَوَّل[٣]، وإِنَّ ما أَحْدَثَ النَّاس لا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، ولكِن الحَلَالُ ما أَحَلَّ اللهُ، والحَرَامُ ما حَرَّمَ اللهُ.

ان من لوازم الاستقامة الالتزام بالثوابت الاسلامية في كلّ زمان ومكان، فإنّ الثوابت

---

(١) في هـ. ب في نسخة: السنة.
(٢) في هـ. ب: الذي.
(٣) في هـ. ب: يقول :المؤمن لا يستحل شيئاً إلّا بعد العلم بأنّه حلال، أو بنص القرآن أو بنص النبيّ، ولا يحرّم شيئاً إلّا بعد العلم بأنّه حرام إلّا بنص وعلم، لا بالقياس فيستحل شيئاً عاماً ويحرّم عام آخر.

الاسلامية لاتتغير بتغير الزمان والمكان سواءً في ذلك ما احلّه الله كالبيع والصدق، وما حرمه كالربا والكذب، وما عدى الحلال والحرام فقد جعل الله سبحانه الناس في سعة منه، وقد تكفل القرآن الكريم والسنة المطهرة تبيان الأوليين وترك الاخير إلىٰ اختيار الناس حسب مصالحهم. وما شرعه الله سبحانه من الحلال والحرام ثابت لا يتغير، وكلّما جاء مناقضا لما شرعه الله سبحانه فهو بدعة؛ لاحداثها في الدين ونسبتها إلىٰ الدين ما ليس في الدين.

ويستعرض هذا المقطع هذه الحقائق التي فيها العبرة للسلوك في الشرعة وترك البدعة، فقال:

١ ـ (واعلموا عباد الله) أنّ من لوازم الاستقامة العمل بالشرعة وترك البدعة، وأتبعه بقوله:

٢ ـ (أن المؤمن يستحل العام ما استحل عاما أول) مستمرا على ما شرعه الاسلام في كلّ زمان، باعتباره اصلا ثابتا، فيحلل البيع على انواع التجارات، وكذلك (ويحرم العام ما حرم عاما أول) لان الربا محرم في الثوابت لا يتغير على تغير الزمان.

والى البدعة اشار بقوله:

٣ ـ (وإن ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئا ممّا حرم عليكم) فإنّ الحوادث الجديدة اذا كانت مناقضة للثوابت الاسلامية فتعتبر بدعة لا شرعية لها، فلا يتغير حكم الله الثابت بالبدعة بسبب ما يحدثه الناس؛ لان الحكم الاسلامي في الثوابت مبنتن على الوحي وليس على ارادة الانسان، واما نص الاسلام على حليته وحرمته فيكون خارجا عنهما مباحاً، وليس هذا محل الكلام.

٤ ـ (ولكن الحلال ما أحل الله) في القرآن الكريم وسنة النبيّ العظيم.

٥ ـ (والحرام ما حرم الله) كذلك، وشرحته السنة المطهرة.

وما عداهما يكون مباحاً.

وهذه النقاط الخمس من خصائص الحكم الالهي الثابت الذي لا يتأثر بالزمان والمكان، والحكم بها ونطبيقها فرض على كلّ مسلم في حياته، فقد قال تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1].

(١١ / ط - ١٧٦) الحجة الشرعية:

---

(١) المائدة : ٤٤.

فَقدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وضرَّسْتُمُوها[١]، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ وضُرِبَتْ الأَمْثال لكُمْ[٢]، ودُعِيتُمْ إلى الْأَمْرِ الوَاضِحِ، فَلَا يصمُّ عَنْ ذَلِكَ إلّا أَصَمٌّ[٣]، ولا يَعْمَى عنه[٤] إلَّا أعْمَى، ومَنْ لمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بالْبَلَاءِ والتجارِبِ لمْ يَنْتَفِعْ بشَيْءٍ منَ الْعِظَةِ، وأتَاهُ التقْصِيرُ[٥] منْ أمامِهِ[٦]، حتّى يَعْرِفَ ما أنْكَرَ ويُنْكِرَ ما عَرَفَ، وانّما[٧] النّاس رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، ومُبْتَدِعٌ بِدْعةً ليْسَ معَهُ منَ اللهِ بُرْهانُ سُنَّةٍ، ولا ضِياءُ حُجَّةٍ.

واشار الامام إلىٰ قيام الحجّة الشرعية بالنسبة إلىٰ الثوابت الاسلامية، بقوله:

١ ـ (فقد جربتم الأمور) والتجربة: الاختبار، حيث اختبر المخاطبون الاقوال المتناقضة من اعداء الامام في الحرب والسلم بتفصيل يذكره التاريخ.

٢ ـ (وضرستموها) فإنّ التجربة كانت شخصية مباشرة لمن قام بها، ولعله يقصد مشاركة المخاطبين في الحرب الاهلية أو دراستهم للمواقف المتناقضة من اعداء الاسلام.

٣ ـ (ووعظتم بمن كان قبلكم) من الامم، وخاصة اليهود، في مخالفتهم لقيادة موسى حتى وقعوا في التيه اربعين سنة، وغيره من الانبياء والامم المذكورة قصصهم في القران.

٤ ـ (ودعيتم) أي من الامام نفسه في الدفاع عن حريم الاسلام، فلا مجال للعذر بالجهل حيث تقدمت التجربة والوعظ، ولابفقدان القيادة حيث أنّ الدعوة قائمة.

٥ ـ (إلى الأمر الواضح) لقيام البدعة بالانحراف عن الثوابت الاسلامية حيث أنّ معاوية يخطط لقلب الحكم من الشورى إلىٰ الملوكية، ان كانت الخطبة في الحرب.

وهذه النقاط الخمس توجب اتخاذ مواقف جادة ضد التلاعب بالثوابت الاسلامية تحت أي شعار كان.

والى الواجب الاسلامي في مثل هذه المواقف اشار بقوله:

١ ـ (فلا يصم عن ذلك إلّا أصم) لامكان التجربة والتوعظ والدعوة إلىٰ المقاومة.

---

(١) في هـ. ب: ضرستموها، أي: جربتموها وعضضتموها بالأضراس، وفي هـ. ص: أي: اختبرتموها.

(٢) في ط: لكم الأمثال، وفي هـ. د: لكم الأمثال ـ ح ض ب .

(٣) في هـ. ص: أي من هو حقيق أن يقال عنه: إنّه أصم.

(٤) في ص: عنه، وفي هـ. د: عن ذلك ـ ب .

(٥) في ب وص: النقص، وفي هـ. ب، وفي نسخة: التقصير، وفي هـ. د: النقص ـ ض ش وهامش م، ويروى النقص ـ ع.

(٦) أي كان التقصير بادئاً أمام عينه فيأخذه أخذ عزيز مقتدر، فعند ذلك يعرف ما كان ينكر من الحق وينكر ما كان عرف من الباطل.

(٧) في ط : وان .

٢ ـ (ولا يعمى عن ذلك إلّا أعمى) بصيرة في الامر الواضح الذي لا خفاء فيه لمن يتبصر الامور.

٣ ـ (ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيئ من العظة) فإنّ البلاء الذي هو الامتحان المتعقب بالتجارب المتقدمة عليه يستلزم الاتعاظ، فاذا لم يؤثر ذلك فلا فائدة للوعظ بعده.

وعن نتيجة ذلك قال:

٤ ـ (وأتاه التقصير من أمامه حتى يعرف ما أنكر، وينكر ما عرف) حيث انه قد قصّر في واجبه الاسلامي، حيث كان يبصر العدو يظهر امامه ويتخاذل في مقاومتة العدوّ بانكار المعروف الذي هو عرفه من قبل، وقبول المنكر الذي انكره من قبل، وهذا يعني التقصير المتعمد.

وعن اثر الحجة الشرعية في مثل الموقف قال:

(وإنما الناس رجلان) في مواقف الامتحان لا ثالث لهما:

الأوّل: (متبع شرعة) حيث انه يعرف الثوابت الاسلامية معرفة كاملة، ويعرف الواجب الاسلامي بالدعوة الى اتباع ما شرعه الله في القرآن وسنه النبي في السنة بعد قيام الحجة الشرعية عليه بالتجربة والوعظ والدعوة.

الثاني: (ومبتدع بدعة) وهي احداث امر في الدين ما ليس من الدين مناقضا للثوابت الاسلامية.

وطبيعة المتبع انه (ليس معه من الله سبحانه برهان سنة) لان احداث ما ليس من الدين في الدين نقض لما سنّه الله سبحانه من البرهان الواضح.

و(ولا ضياء حجة) شرعية تؤيد البدعة التي يتزعمها، فيكون متبعا لهوى النفس الامارة بالسوء.

والخيار في الموقفين انما هو بين الانسان الانخراط في حزب الرحمن او الشيطان، والله المستعان.

(١١ / ط ـ ١٧٦) القرآن:

وإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لمْ يَعِظْ أحداً بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ؛ فإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ المَتينُ، وسَبَبُهُ[١]

(١) في ب: وسننه، وفي هـ. ب: وسببه.

الأمينُ[١]، وفيهِ رَبيعُ الْقَلْبِ[٢]، ويَنابِيعُ الْعِلْمِ، وما لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غيرُهُ[٣]، معَ أَنَّهُ[٤] قدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ[٥]، وَبَقِيَ ٱلنَّاسُونَ أَوِ الْمُتَناسُونَ[٦]، فإذا رَأَيْتُمْ خَيْراً فأَعِينُوا عَلَيْهِ، وإذا رَأَيْتُم شَرّاً فاذْهَبُوا عنهُ، فإنَّ رسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ كانَ يَقُولُ: «ياأبْنَ آدَمَ اعْمَلِ الخيرَ ودَعِ الشَّرَّ فإذاً أَنْتَ جَوَادٌ قاصِدٌ»[٧].

تتضمن بعض خصائص القرآن وموقف المسلمين منه والهدف السامى للقرآن في الحياة.

واستفتح المقطع بقوله:

(وإن الله سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن) فإنّ الاديان السماوية السابقة لم تستكمل متطلبات العقيدة والشريعة في الحياة، ولم يتمكّن احد من الانبياء قبل نبينا محمّدﷺ من اقامة حكم الله على الارض، فإنّ موسى مات في التيه ولم يعرف قبره، وان عيسى رفع إلىٰ السماء، ولكن نبي الاسلام تمكن من ذلك، فليس احد من الانبياء قد اعطي مثل هذا القرآن الجامع بين العقيدة والشريعة.

و سرد من حقائق القرآن بقوله:

١ ـ (فإنّه حبل الله المتين) في العقيدة والشريعة التي تتكفل سعادة حياة الانسان.

٢ ـ (وسببه الأمين) والسبب: ما يتوصل به، فإنّ بالقرآن يتوصل إلىٰ السعادة في الدنيا والاخرة.

٣ ـ (وفيه ربيع القلب) حيث أنّ القلوب تحيى بذكره كما يحيى الارض في الربيع.

٤ ـ (وينابيع العلم) ممّا يفتقر اليه الانسان في حياته كي يؤدي واجبه الانساني في الحياة.

٥ ـ ونتيجة ذلك كلّه أنه (وما للقلب جلاء غيره) فإنّ الحلول المقترحة في القوانين

---

(١) في هـ. ص أي يؤمن انقطاعه بمن تعلّق به.

(٢) في هـ. ص: ربيع القلب لأن القلب يحيى به كما يحيى الانعام برعي الربيع وينابيع العلم وذلك لأنّه تتفرع عنه كما يخرج الماء من الينبوع وتتفرع إلىٰ الجدول انتهى من الشرح.

(٣) في هـ. ب: القرآن جلاء للقلب، بأنه يذهب الشكوى، من جلوت السيف بالصقل، وجلوت البصر بالكحل.

(٤) في ص: على انّه.

(٥) في هـ. ب: المتعظون.

(٦) في أ وص ود: والمقاسون، وفي هـ. د: أو المتناسون ـ ص ب ح ش، وفي هـ. ب: الناسون: الذين أنتفى تجدد العذر منهم بعد.

(٧) في هـ. ب: الفرس المستقيم.

الوضعية نابعة من المصالح التي تسيطر على حياة اصحابها، وليس لطلب الحقيقة وتحقيق العدالة في نفسها، والحلول المقترحة من الاديان السابقة لم تتمكّن من التطبيق لها في الحياة، والقرآن هو القانون الالهي الديني الوحيد الذي تمكّن من تطبيقه على الارض.

وعن موقف المسلمين المتقدمين والمعاصرين قال:

١ ـ (مع أنه قد ذهب المتذكرون) من الصحابة المتقدمين الذين بجهودهم ودمائهم وصل القرآن الينا؛ لانهم تذكروا القرآن وعملوا به في كافة مجالات الحياة.

٢ ـ (وبقي) في عصر الامام طائفة من المسلمين لا يخلوا حالهم من حالتين:

يجمعهم انهم لا يذكرون القرآن كدستور للحياة، فهم اما (الناسون) للثوابت الاسلامية التي دعا اليها القرآن.

(والمتناسون) لتلك الثوابت بسبب عوامل خارجية أو شخصية، فضلوا بنسيان القرآن؛ لانهم وجدوه حجر عثرة في سبيل مصالحهم.

وطبيعي أن هذين الموقفين يستلزم تحديد مواقفنا منها.

ولذلك ختم المقطع بالواجب الديني وهو تحقيق الهدف الاسلامي الأوّل للقرآن بقوله:

١ ـ (فإذا رأيتم خيرا فأعينوا عليه) فإنّ كلّما يدعوا اليه القرآن خير في نفسه وخير للانسان لنفسه ومجتمعه في حياته كلها، والمجتمع العام كله.

٢ ـ (وإذا رأيتم شرا فاذهبوا عنه) فلا تقاربوه شخصيا، ولا ترضوا به قلبيا، بل اعرضوا عنه عملياً كما يقتضيه الواجب الاسلامي في النهي عن المنكر في الدرجات المشروحة في الفقه الاسلامي.

وختم المقطع بما رواه عن الرسول صلى الله عليه وآله بقوله:

(فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: «يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشر فإذا أنت جواد قاصد») والجواد: الشخص النجيب من الخيل، والقاصد: المستقيم، فإنّ العامل في الدنيا للحياة يجب أن يسير كما يسير الجواد في طريق السفر، بان يتصف بامرين:

الأوّل: أن يكون سائراً، ولا يتوقف عن السير إلّا لضرورة.

الثاني: أن يكون قاصداً اي مستقيما في السير إلىٰ مقصده، فلا يسير على جهالة، فلابدّ للمسافر من مبدأ وطريق وهدف، وكذلك الانسان لابد أن يتحرك في مبدأ الخير ويسير بدون توقف نحو الهدف الذي هو الخير، والله الموفق.

($\frac{١٢}{ط - ١٧٦}$) انواع الظلم:

أَلَا وإِنَّ الظُّلْمَ ثلاثةٌ: فَظُلْمٌ لا يُغْفَرُ، وظُلْمٌ لا يُتْرَكُ، وظُلْمٌ مَغفُورٌ لايُطْلَبُ.

فأَمَّا الظُّلْمُ الذِي لا يُغْفَرُ: فالشِّرْكُ باللهِ قال اللهُ: (إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)(١).

وأَمَّا الظُّلْمُ الذِي يُغْفَرُ، فَظُلْم الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْض الْهَناتِ(٢).

وأَمَّا الظُّلْمُ الذِي لا يُتْرَكُ، فظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً(٣)، اَلْقِصَاصُ هُناكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بالمُدَى(٤)، ولا ضَرْباً بالسِّيَاطِ، ولكِنَّهُ ما يُسْتَصْغَرُ ذلِكَ معَهُ.

الظلم لغة: هو الميل عن المقصد بوضع الشئ في غير موضعه، ومنه الجور وعدم الانصاف في الحقوق والواجبات المفروضة، وقد قسم الامام الظلم إلىٰ انواع ثلاثة بقوله:

(ألا وإن الظلم ثلاثة) ثم عددها بقوله:

١ ـ (فظلم لا يغفر) مهما حاول الظالم التخلص منه.

٢ ـ (وظلم لا يترك) حيث يبقى اثر الظلم وان غفر الله الذنب.

٣ ـ (وظلم مغفور لا يطلب) لا من الله سبحانه لانه غفره، ولا من غيره لانه ظلم للنفس.

فإنّ هذه الانواع الثلاثة من الظلم مختلفة من حيث الطبيعة والاثار، وان اشتركت في انها جميعا وضع للشئ في غير موضعه، وقد شرح الامام ذلك بتفصيل بقوله:

الظلم الأوّل:

قال عليه السلام :(فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله ، قال الله تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك﴾(٥).

فإنّه صرح بان الشرك لا يغفر قط، وفي بيان ذلك كلام بين المتكلمين، ذكرناه في شرح التحريد، فراجع، وبالاجمال: فممّا اتفقت عليه الكلمة بان الذنوب تغفر بالتوبة، ومنها: الشرك، وما اكثر المشركين الذين تابوا في صدر الاسلام! مع انه سبحانه قال:﴿ان الله يغفر الذنوب جميعا﴾(٦).

واختلف المفسرون والمتكلمون في شرح ذلك إلىٰ اقوال :

---

(١) النساء: ٤ /٤٨.

(٢) في هـ. ب: الهنات: الأُمور المنكرة ولا تستعمل إلّا في الشر.

(٣) في أ ون واما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، قيل: واما الظلم الذي يغفر، وفي هـ. د: العبارة فيها تقديم وتأخير في النسخ.

(٤) في هـ. ب: المدية: الشفرة، والجمع: المدى.

(٥) النساء : ١١٦.

(٦) الزمر: ٥٣.

منها: أنّ المراد الشرك الذي لا يتعقبه التوبة، وهذا كما ترى خلاف اطلاق الاية الكريمة .

ومنها: أنّ الغفران بمعنى الستر، وان الله لا يستر المشرك في يوم القيامة، بل يفضحه دون غيره. وهذا ايضا كما ترى خلاف اطلاق الاية.

والظاهر – والله العالم – أنّ الشرك على نوعين:

الاول: الشرك النابع من اعتقاد من القلب الذي يلازم القول والعمل على طبقه، ويختص بالعالم العامد، وهم القلة من المشركين .

والثاني: الشرك الذي هو قول أو عمل غير نابع عن اعتقاد كما هو الاكثر من المشركين والذين هم يوصفون بالجهل عن قصور أو تقصير من دون عمد او انعقاد قلب، فهم حينما ينتبهون يهتدون، وهذا ممّا يغفر بالتوبة، دون الأوّل؛ لتلازمة مع حياة المشرك في الدنيا والاخرة، ويشترك المنافق مع هذا في العقيدة والعمل دون القول ولولا اظهاره الشهادة قولا لكان حاله حال المشرك الأوّل، وقد وصفهم الله بأوصاف شديدة اقرب إلىٰ الشرك من الايمان.

فالمشرك الذي لا يغفر له هو هذا النوع الأوّل من الشرك دون الثاني، وتفصيل ذلك في شرحنا على كشف المراد، فليراجع.

الظلم الثاني:

واكتفى الامام فيه بقوله:

(وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات) والهنة: الشيئ اليسير، فإنّ ما يصدر من فعل أو قول من الانسان على نفسه يعتبر يسيراً بالنسبة إلىٰ حقوق الله وحقوق الناس، فإنّه يفعله الظالم بوضع الشيئ في غير موضعه، أو يفعله الظالم من ارتكاب بعض المحرمات كما يضر نفسه بها، فهو ظالم لنفسه مضيع لحقوقه الخاصة، وهو مسؤول عند الله بعدم اداء واجبه الانساني تجاه نفسه، والله يغفر ذلك؛ لانه ضيّع على نفسه حقا لنفسه، ولم يؤثر على غيره من افراد المجتمع، ويدخل في هذا القسم تضييع الواجبات من العبادات فهي ارتكاب لأمرين:

احدهما: عصيان امر الله سبحانه، وهو ذنب يغفره الله بالتوبة.

وثانيها: اضرار بنفسه حيث خسر فائدة روحية كان يفتقر اليها في حياته، قال

تعالى:﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سسئيآتكم﴾[١].

الظلم الثالث:

قال عنه الامام عليه السلام:

(وأما الظلم الذي لا يترك، فظلم العباد بعضهم بعضا) فإنّ هذا الظلم ليس ضرراً شخصيا على النفس، بل هو اضرار بالاخرين وتعدٍ على حقوقهم، واضاعة الحقوق لا يمكن اهمالها ولا جبرانها بالتوبة فقط، بل لا تترك الا باداء تلك الحقوق لاصحابها الشرعيين، ويدخل في هذا كلّ المحرمات الكبيرة على خلاف بين الفقهاء في تحديدها. ولبيان الفرق بين الصغيرة والكبيرة راجع المادة في المعجم، فإنّ الكبائر من المحرمات على اختلاف انواعها ولا تختص بالانسان المرتكب لها وحدها، بل تتعدى للاخرين فتضيع حقوقهم المادية بالعمل كالسرقة او بالحقوق الادبية.

ولا يمكن أن يترك شئ منها من دون ارضاء لها باداء الحق الى أصحابه والحدود والديات المشروحة في العقوبات للاسلامية.

ثم اشار إلىٰ العقوبة في القيامة بقوله:

١ ـ (القصاص هناك شديد) وليس كالقصاص في الدنيا حيث يكون ممثلا للذنب كالقتل.

٢ ـ (ليس هو جرحا بالمدى) وهو السكين الذي يؤثر اثراً جسميا في البدن للقاتل فقط.

٣ ـ (ولا ضربا بالسياط) الذي يضرب بها الزاني مئة جلدة عقوبة على ارتكاب الجريمة.

٤ ـ (ولكنه ما يستصغر ذلك معه) لان القصاص في الاخرة خالد بخلود الانسان، فلا يخفف عنه العذاب مهما كان.

(١٣ / ١٧٦ - ط) الجماعة والفرقة:

فإيَّاكُمْ والتَّلَوُّنَ في دِينِ اللهِ[٢]، فانَّ جَماعَةً فِيما تَكْرَهُونَ منَ الحَقِّ خَيرٌ منْ فِرْقَةٍ فِيما

---

(١) النساء: ٣٦.

(٢) في هـ. ص: أعلم انّه عليه السلام يشير في كلّ هذا الكلام إلى الاُمور التي ظهرت بعد ذلك من جماعة من الصحابة ويحذر منها على جهة (اقتصاص) الملاحم وتعريف أسباب الفتنة، والله أعلم.

تُحِبُّونَ منَ الْبَاطِلِ، وإنَّ[(١)] اللهَ سُبْحانَهُ لمْ يُعْطِ أحَداً بِفِرْقَةٍ خيراً مِمَّنْ مَضَى ولا مِمَّنْ بَقِيَ.

وختم المقطع بالعبرة من انواع الظلم وعقوباتها مشيراً إلىٰ النوع الثالث بالانحراف عن الدين بالفرقة التي تؤثر على المجتمع الاسلامي كلّ وليس من الظلم على النفس فقط حتى يكون مغفوراً؛ لانه انحراف عما امر الله سبحانه به، وهي الاعتصام به واوامره بقوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ [(٢)].

والفرقة انحراف عن هذه الثابتة الاسلامية، وقد ذكر ذلك في نقاط بقوله:

الاولى: ـ (فإياكم والتلوّن في دين الله) بالانقلاب من لون إلىٰ اخر، ومن موقف إلىٰ ضده، مع أنّ الثوابت الاسلامية في دين الله واضحة ومنها الاعتصام بحبل الله والوحدة بين المسلمين.

هذا من الناحية العقائدية، ثم اشار إلىٰ أثرها في المجتمع بقوله:

الثانية: ـ (فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل) لان الباطل لابد وان يزول وينكشف حقيقته آجلا ام عاجلاً، وتحل بعده اللعنة على الفاعل، على عكس قول الحق ولو كان في موقع غير مرغوب فيه لاسباب شخصية أو اجتماعية، فانه يوجب أن يذكر مع التقدير والاحترام لدى الاخرين مدى التاريخ.

وقد استشهد على ذلك بالتاريخ بقوله:

الثالثة: (وإن الله سبحانه لم يعط أحدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي) فإنّ دراسة التاريخ العام للامم التي مضت ودراسة التاريخ القريب من عصر الامام في المعارضين لحكم النبيّ ﷺ ومن بعده توقفنا على أنّ الامم انما تنجح على غيرها بوحدة الكلمة من انفسها وان اختلاف الكلمة مهما كان السبب المبرر له يكون سببا للتشتت في الداخل والانشقاق الداخلي يوجب الوهن ويشجع العدوّ المتربص على استخدام القوة، وفي ذلك يكون الخسران للامة جميعا بسبب الفرقة الحادثة.

ومن يدرس التاريخ المعاصر يجد هذه حقيقة لا تنكر لمن يتبصر، والله أخبر.

(١٣ / ط ـ ١٧٦) امتحان الاستقامة:

يا أيُّها النَّاسُ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وأكلَ قُوتَهُ، واشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ[(٣)]، وبَكَى على خَطِيئَتِهِ فكانَ[(٤)] منْ نَفْسِهِ في شُغُلٍ، والنَّاسُ مِنْهُ

---

(١) في ص: فان.

(٢) ال عمران: ١٠٣.

(٣) في ب: بطاعته، وفي هـ. د: بطاعته ـ ش.

في رَاحَةٍ.

وينص هذا المقطع على امتحان الاستقامة للمعارضة التي تؤمن بانها على حق في المعارضة وتجد نفسها امام طريقين:

الأوّل: طريق المعارضة المسلحة؛ لانهاترى نفسها على حق، مع أنّ هذه المعارضة تؤدي الى الفرقة التي نهى عنها الامام بما فيه الكفاية.

الثاني: طريق المعارضة السلمية بالاستقامة على حقوقها من دون أن يؤدي إلىٰ الفرقة المنهي عنها.

وهنا يكمن نقطة الامتحان؛ فإنّ مبتغي الفرقة يعلنون المعارضة المسلحة، والمستقيم على الثوابت الاسلامية يستقيم على الالتزام بحقوقه وبيان وجهة نظره، والامتحان بمواقفه العملية من دون اية مقاومة مسلحة تؤدى إلىٰ الفرقة.

وعلى هذا الطريق كانت سيرة الامام والائمة من أهل البيت عليهم السلام فيما لم يجتمع الرأي العام معها في المواقف.

واشار الامام إلىٰ الامور المطلوبة في مثل هذا الموقف بقوله:

١ ـ (يا أيها الناس) الذين في موقف الامتحان بين الفرقة وبين الاستقامة من دون فرقة.

٢ ـ (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس) فإنّ الموقف يستدعي محاسبة النفس في المواقف، ومن عيوب النفس الدعوة إلىٰ الفرقة التي تجلب الشر على الجميع ويكفي ذلك سببا لتجنبها.

٣ ـ (وطوبى لمن لزم بيته) ولم يعلن المعارضة المسلحة حيث لا توجد مبرراتها.

٤ ـ (وأكل قوته واشتغل بطاعة ربه) بالطرق الاخرى المتيسرة له من المعارضة العملية بالاستقامة من دون دعوة إلىٰ الانشقاق بل بالتوعية الاسلامية الصادقة عمليا.

٥ ـ (وبكى على خطيئته) من الاخطاء التي تعرض في الحياة ولا يخلو منها حياة اي انسان.

وعن نتيجة هذا الموقف المطلوب اشار إلىٰ امرين:

احدهما: (فكان من نفسه في شغل) فلا يكون عاطلا عن العمل، فإنّ العطل يوجب التنفكر والتخطيط بالمقاومة المسلحة.

---

(٤) في ص : وكان.

وثانيهما: (والناس منه في راحة) لما توجبه الثورة من المشاكل.

[١٧٧]

ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين:

فأجْمَعَ رَأيُ مَلاَئِكُمْ(١) على أن اخْتارُوا رَجُلَيْنِ(٢)، فأخَذْنا عَليهما أنْ يُجَعْجِعَا(٣) عِنْدَ الْقُرْآنِ ولا يُجاوِزَاهُ، وتكُونَ(٤) ألْسِنَتُهُما معَهُ، وقُلُوبُهُما تَبَعَهُ، فَتاهَا(٥) عنْهُ، وتَرَكَا الحَقَّ وهُما يُبْصِرَانه، وكانَ الجَوْرُ هَوَاهُما، والإعْوِجَاجُ دَأْبَهُما(٦)، وقدْ سَبَقَ اسْتِثْناؤُنا(٧) عَلَيْهما في الْحُكْمِ بالْعَدْلِ، والْعَمَلِ بالحَقِّ سُوءَ(٨) رَأيِهما، وجَوْرَ حُكْمِهمَا، و(٩)الثقَة(١٠) في أيْدِينَا لأنْفُسِنا(١١) حِينَ خالَفَا سَبِيلَ الحَقِّ، وأتَيا بِما لايُعْرَفُ منْ مَعْكُوسِ(١٢) الْحُكْمِ.

(١/ ط - ١٧٧) في معنى الحكمين:

ملخص مسألة التحكيم أنّ معاوية لما ظهرت له امارات النصر في جيش الامام العقائدي استخدم وسيلة رفع المصاحف اعلانا التسليم بالنزول إلىٰ ما يحكم به القرآن، وبذلك حصل الانشقاق في جيش الامام بين من اثر ذلك فيه ورآه دعوة صادقة للسلم، وبين من رفضها ومنهم الامام باعتبارها خدعة سياسية.

وقد اثرت هذه الدعاية في الاكثرية التي ربما تعبت من الحرب فضغطت على الامام بالرضوخ للدعوة فقبلها بشروط وتفاصيل مذكورة في التواريخ، فراجع موارد الاعتبار.

وكانت نتيجة التحكيم فرصة مواتية لاستعداد جيش معاوية واحداث المزيد من الانشقاق في صفوف جيش الامام، وذلك حينما اجتمعا الحكمان فطلب عمرو بن العاص من أبي موسى خلع كلي الزعيمين، وتقدم إلىٰ موسى الاشعري بان يخلع الامام أولاً، ثم

---

(١) في د: مَلَئِكُمْ، وفي هـ. ب: الملأ: أشراف القوم.
(٢) في هـ. ب: الرجلان اللذان اختارهما أصحاب علي بصفّين للتحكيم.
(٣) في هـ. ب: الجعجعة: الحبس، وهو ـ في الأصل ـ الموضع العتيق الخشن، وجعجع بهم: أي: أناخ بهم وألزمهم الجعجعة، وفي هـ. ص: ان يحبسا أنفسهما وآراءهما، من الشرح.
(٤) في ب: ويكون.
(٥) في هـ. ب: تحيّرا.
(٦) في ط: رأيهما، وفي هـ. أ، وفي نسخة: رأيهما.
(٧) في هـ. ب، وفي نسخة: استعيافنا.
(٨) في هـ. ب: «استثناء» فاعل، و«سوء» مفعول.
(٩) في هـ. ب: «الواو» للحال.
(١٠) في هـ. د: وروي والبقية ـ ر.
(١١) أي: الحجة في رفض حكمهما في أيدينا، وعبّر عن الحجّة بالثّقة، أي: السبب الموثوق به.
(١٢) في هـ. ب: العكس: ردّك الشيء آخره إلى أوّله.

لم يخلع عمرو معاوية، واستعرت الحرب مع الفرق المنشقة بدل اندلاعها مع جيش العدوّ، وانتهت بمقتل الامام علي بيد الفرقة المنشقة التي عرفت بالخوارج سنة ٤٠ هـ.

وخلال هذه الفترة التي دامت حوالى ثلاث سنين كانت الدعايات السياسية واسعة النطاق في المجتمع الاسلامي وقد تضمن كلام الامام هذا وكانه يخاطب الخوارج المتقدمين يقبول التحكيم بشرح موقفهم أوّلاً، ثم موقف الحكمين ثانيا، ثم موقف الامام نفسه اخيرا.

موقف دعاة التحكيم:

ولخص موقف دعاة التحكيم من اصحابه بقوله:

(فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين) وهي تتضمن ثلاث نقاط:

أوّلاً: الاجماع، فلم يكن هذا الرأي منهم لفرد يمكن اهماله.

والاجماع لغة: العزم والاتفاق، وفي كلماتهم المنقولة في التاريخ لحن التهديد بالرضوخ للتحكيم أو قتل القائد، فهو ابعد خطرا من الاجماع.

ثانيا: (رأى الملأ) وهو الكثرة من الافراد، فلم يكن العزم من القلة بل الكثرة التي لا يمكن اتخاذ قرار ضدها، فان اي قرار كذلك يوجب التسريع في الفرقة.

ثالثا: (على أنّ اختاروا رجلين) وهذا الاقتراح هو انتخاب شخصين لا اكثر.

وحيث أنّ هذه النقاط الثلاث هي راي الاغلبية من اصحاب الامام لم يكن بدٌّ من قبولها؛ لان رفضها يعنى التسريع في الانشقاق في جيش الامام الذي يخطط له العدوّ، ولا محيص سوى قبوله مما يظهر أنّ المحاربين اجمعوا في ضجر من الحرب كما هي طبيعة الحروب التي تستنفذ جهود المحاربين.

وعن **شروط التحكيم**، قال:

الأوّل: ـ (فأخذنا عليهما أنّ يجعجعا عند القرآن) والجعجعة: الوقوف عند الارض، فالشرط الأوّل، هو الحكم بما انزل الله في البغاة، وهي أن يرجع إلىٰ الحكم الاسلامي كما قال سبحانه:﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيْ إلىٰ امر الله﴾[1].

الثاني: ـ (ولا يجاوزاه) المجاوزة: التعدي، فالشرط الثاني هو أن لا يتعدى الحكمان صلاحيتهما بالرجوع إلىٰ غير حكم القرآن في البغاة.

الثالث : ـ (وتكون ألسنتهما معه) فلا ينطقان بغير ما حكم الله، وهذا الشرط الثالث

---

(١) الحجرات : ٩.

سهل بالنسبة الى ما عداه، لان ما لا يوافق القرآن باطل.

الرابع: ـ (وقلوبهما تبعه) فلا يكون لامرهما دعوى أن ما قصداه يخالف ما اتفقا عليه في النطق، وهذا الشرط الرابع ينفي أي دعوى يخالف المنطوق في التحكيم.

وهذه الشروط الاربعة المشار اليها رسم واضح لصلاحية المتحاكمين، وبالنتيجة فان أي عمل أو قول يخالف هذه الشروط يكون لاغيا بالطبع.

وعن موقف الحكمين، قال:

١ ـ (فتاها عنه) والتيه: الضلال عن حكم القرآن في البغاة بتحكيم رايهما الخاص.

٢ ـ (وتركا الحق) حيث كانا يعرفان حكم الله سبحانه في البغاة في القرآن، وتركاه بالرجوع الى رأيهما الخاص.

٣ ـ (وهما يبصرانه) فإنّ التيه وترك الحق لم يكن عن جهل لهما، بل عن علم وعمد لعلم كلّ واحد منهما بما يحكم به القرآن من الرجوع إلىٰ حكم الله من قتال الباغي.

٤ ـ (وكان الجور هواهما) فهما معاً عدلا عن الحق وجارا في اتباع هواهما.

٥ ـ (والاعوجاج دأبهما) اذا انهما معاً من المنحرفين عن حق الامام كما هو مشروح في الموارد.

فهذه النقاط الخمس تبين أنّ موقف الحكمين لم يكن موقفا اسلاميا متفق عليه؛ لانهما قد تجاوزا صلاحيتهما.

وعن موقف الامام نفسه، قال:

الأوّل: (وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجور حكمهما) فإنّ الشروط المذكورة الزمت تحكيم القرآن فقط، وليس تحكيم الرجال .

وهذه الشروط تدعوا إلىٰ الحكم بالعدل الاسلامي المبتني على حكم القرآن والعمل بالحق كما امر به القرآن، وقد سبقت هذه الشروط على حكمهما برأيهما الذي هو راي سوء وحكم جور.

فحيث أنّ الشروط كانت قبل الحكم الجائر وهما خالفا الشروط فيكون الحكم المبتنى على غير الشروط المذكورة حكما باطلا لاغيا؛ لان الشرط اسبق من الحكم.

الثاني: (والثقة في أيدينا لأنفسنا) لان الشروط لم تنفذ من قبل الحكمين فنحن على رؤية واضحة لما قبلتا الاقتراح المبتني على تلك الشروط، فنثق بما نحن عليه من الحجة التي في ايدينا وهو النزول لحكم القرآن وليس حكم الرجال، والحجة لا تزال قائمة بلا معارض.

الثالث: (حين خالفا سبيل الحق) فإنّ الموقف الاسلامي يقتضي مواصلة سبيل الحق؛ لانهما خالفاه واتيا من قبل انفسهما برأي في تحكيم الرجال، ممّا يكن في الشروط اصلاً.

الرابع: (وأتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم) فانهما اتيا برأي جديد لم يعرف من قبل، ولم يطرح كشرط من الشروط، بل هو راي على عكس الحكم القرآني في البغي والبغاة من الرجوع الى كتاب الله سبحانه، فهو مرفوض من الاساس.

وهذه النقاط الاربعة تقتضي عدم الشرعية للتحكيم.

[١٧٨]

ومن خطبة له عليه السلام:

في الشهادة والتقوى. وقيل: انه خطبها بعد مقتل عثمان في اول خلافته، وتتضمن صفات الله سبحانه والشهادتين وحقيقة الدنيا والذنوب واثارها والفزع الله واثاره وموقفه من اصحابه

(١ / ١٧٨ - ط) الله ورسوله:

لايَشْغَلُهُ[١] شأنٌ[٢]، ولا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ[٣]، ولا يَحْوِيهِ مَكانٌ[٤]، ولا يَصِفَهُ[٥] لِسَانٌ، لايَعْزُبُ[٦] عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ المَاءِ، ولا نُجُومِ السَّماءِ، ولا سَوَافي[٧] الرِّيحِ في الهَوَاءِ، ولا دَبِيبِ[٨] النَّمْلِ على الصَّفَا[٩]، ولا مَقِيلُ[١٠] الذَّرِّ في اللَّيْلةِ الظَّلْماءِ، يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الأَوْرَاقِ، وخَفِيَّ طَرْفِ الأَحْدَاقِ[١١].

من صفات الله افتتح المقطع بسرد خمس من صفات الله السلبية فقال:

الأوّل: (لا يشغله شأن) وهو الحال، وما عظم من الامور؛ فإنّ رحمته وسعت كلّ شئ، والانشغال بحال دون حال عجز مادي، والله سبحانه منزه عنه.

الثاني: (ولا يغيره زمان) فإنّ التغيّر بسبب الازمان انما يعرض على الحادث، والله واجب الوجود.

الثالث: (ولا يحويه مكان) خاص؛ لان ذلك يستلزم الجسمية، والله منزه عنها.

الرابع: (ولا يصفه لسان) وصفا حقيقيا؛ لان الوصف الحقيقي يستلزم الاحاطة به أو

---

(١) في هـ. ص: لا يكون الاشتغال إلّا بإعمال الآلات البدنية من الأفكار والأركان في المفعول، وهذا المعنى محال في حقّه تعالي فلم يحصل في حقّه معنى الشغل ولا يتأتى، والله أعلم.
(٢) في د: لا يشغله شأن عن شأن.
(٣) في هـ. ص: لأنّه ليس بزمانيّ.
(٤) في هـ. ص: لأنّه ليس بجسم ولا عرض.
(٥) في هـ. ص: لأنّ كنه ذاته غير معلوم، وإنّما المعلوم منه إضافات وسلوب، انتهى من الشرح.
(٦) في أ وص: ولا يعزب. أي: لا يخفى.
(٧) في هـ. ب: السافيات والسوافي: الرياح التي تسفي التراب أي: تذريه.
(٨) أي: حركة النمل. من دبّ: إذا مشى ودرج.
(٩) في هـ. ب: الحجر الأملس.
(١٠) أي محل الاستراحة والمبيت. وفي هـ. ب: مقيل: موضع القيلولة، والذر: صغار النمل.
(١١) الحدقة : العين، وطرفه: الجفن.

بجميع مخلوقاته، والله سبحانه لا يحاط به لابكنه ذاته ولا بعدد مخلوقاته.

الخامس: علمه تعالى الذي احاط بكل شيئ، قال تعالى:﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[١].

وقد مثل لهذا العلم الواسع بصفات خاصة بالذات المقدسة بما يخرج عن الطاقة البشرية المادية، وذلك في نقاط:

١ ـ (ولا يعزب عنه عدد قطر الماء) النازل من السماء مطراً، قطرات متتابعات، فإنّ احصاء ذلك محال وان تمكّن العلم من تحديد نتيجة تجمع القطرات بالانج المكعب بعد نزولها.

٢ ـ (ولا نجوم السماء) فانها من الكثرة بما يعجز العلم من تحديدها استقصاءً وان وصل العلم الى نجوم مختلفة تصل ضوؤها إلىٰ الارض بعد ملايين السنين.

٣ ـ (ولا سوافي الريح في الهواء) والسافية: التي تسوق التراب وتحمله إلىٰ مكان اخر كالعواصف.

٤ ـ (ولا دبيب النمل على الصفا) وهو الصخر الاملس الذي لا يخلف الدبيب عليها اثرا محسوساً.

٥ ـ (ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء) والاقالة: النوم للاستراحة، والذر: النمل.

٦ ـ (يعلم مساقط الأوراق) التي تتساقط من الاشجار في الخريف.

٧ ـ (وخفي طرف الأحداق) والحدقة: العين، وطرفها: الجانب الخفي في الرؤية منها.

فان هذه الامور ممّا لا تدخل تحت الحس الانساني المادي قط، والله سبحانه يعلم بها وما هو اخفى منها.

(٢ / ط - ١٧٨) الشهادتان:

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ غيرَ مَعْدُولٍ بِهِ[٢]، ولا مَشْكُوكٍ فيهِ، ولا مَكْفُورٍ دِينُهُ، ولا مجْحُودٍ تَكْوِينُهُ[٣]، شَهادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وصَفَتْ دِخْلَتُهُ[٤]، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وثَقُلَتْ

---

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) في هـ. ب: أي: لا يسوّى بالله أحد، عدلت فلانا بفلانٍ: إذا سوّيت بينهما.

(٣) التكوين: الخلق.

(٤) في هـ. ب: الدخلة الضمير. والباطن، وفي هـ. ص: بكسر الدال: باطن الأمر ويجوز بـالضم، تمت من الشرح.

مَوَازِينُهُ.

وأشْهَدُ أنَّ مُحمّداً[١] عَبْدُهُ، ورَسُولُهُ الُمجْتبى[٢] منْ خَلاَئِقِهِ، والمُعْتامُ[٣] لِشَرْحِ حَقائِقِه، وَالُمخْتَصُّ بِعَقائِلِ[٤] كَرَامَاتِه، والمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ[٥] رِسَالاتِه، والمُوَضَّحَةُ بِهِ أشَرَاطُ[٦] الهُدَى، والْمجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ[٧] الْعَمَى.

في الشهادة الأولى ذكر الكلمة الطيبة مذيلة بلوازمها التي لا تنفك عنها، فقال:

(وأشهد أن لا إله إلّا الله) فإنّ كلمة التوحيد حصنه تعالى، ومن دخل حصنه أمن من عذابه، وأورد من لوازمها:

١ ـ (غير معدول به) بان يتخذ له عدلا ومثيلا، فلا يمكن التسوية بينه وبين أيّ شئ اخر.

٢ ـ (ولا مشكوك فيه) لان الشك انما ينبع من الجهل بالاثار، ومع العلم بالاثار الدالة عليه لامجال لذلك فيه.

٣ ـ (ولا مكفور دينه) والكفر: الغطاء، فإنّ الاعراض عن دينه غطاء للعقل في التفكير.

٤ ـ (ولا مجحود تكوينه) فإنّ كلّ ما في الكون خلقه الذي كونه بسلسلة من العلل والمعلولات المنتهية اليه.

وعقب هذه الصفات الاربعة بما ينتجه من اعتقاد الشاهد، بقوله:

١ ـ (شهادة من صدقت نيته) وليست الشهادة إلّا الشهادة الصادقة.

٢ ـ (وصفت دخلته) وهي باطن الامر، ممّا لا يظهر للعامة في الاعتقاد.

٣ ـ (وخلص يقينه) فإنّ الايمان وصل إلىٰ مرتبته القصوى فكانه حق اليقين.

٤ ـ (وثقلت موازينه) بسبب الاعتقاد الجازم بالله سبحانه وصفاته الذاتية التي توجب ثقل الميزان في يوم القيامة.

وفي الشهادة الثانية سرد صفات النبي القائد ﷺ في نفسه بقوله:

١ ـ (وأشهد أنّ محمّدا) باعتباره خاتم الانبياء الذي حمل رسالة خاتم الاديان.

---

(١) في هـ. ب: ﷺ .
(٢) في هـ. ب: المختار.
(٣) في هـ. ب: المختار، وفي هـ. ص: أي: المختار، والعيمة ـ بالكسر ـ: خيار المال، من الشرح.
(٤) في هـ. ب: كرائم، وفي هـ. ص: جمع عقيلة وهي الكريمة من كلّ شيء.
(٥) في ب: لمكارم. وفي هـ. ب، وفي نسخة: لكرائم.
(٦) في هـ. ب وص: علاماته.
(٧) في هـ. ب، وفي نسخة: غرابيب العمىٰ، وهو شديد السواد، وفي هـ. ص: شديد السواد.

٢ ـ (عبده) وليس لاعتقاد الالوهية والحلول فيه الا كفرا، بل هو عبد يوحى اليه.

١٣ ـ (ورسوله المجتبى من خلائقه) لاصطفائه دون سائر الخلق لتحمل الرسالة.

٤ ـ (والمعتام لشرح حقائقه) والعتمة: خبار المال، فإنّ الرسول اختير من قبل الله سبحانه لشرح حقائق الرسالة الاسلامية التي ينقلها.

٥ ـ (والمختص بعقائل كراماته) والعقيلة: الكريمة، والكرامة: الشرف، وقد اختص الرسول القائد ﷺ باكرم الشرف وهو كونه خاتم الانبياء.

٦ ـ (والمصطفى لكرائم رسالاته) والاصطفاء: الانتخاب والكرامة، أو هو الرسالة الخاصة للاديان.

٧ ـ (والموضحة به أشراط الهدى) حيث ان سنته المطهرة اوضحت علائم الهداية للانسانية في حياتهم، وحياته من الولادة حتى الوفاة.

٨ ـ (والمجلو به غربيب العمى) والغربيب: الشديد، والعمى: الظلمة، فإنّ شخصه الكريم ورسالته الكريمة جلت الحقائق عن اهداف الوحي الالهي للبشرية جمعاء.

فان كلّ واحدة من النقاط الثمان توجب الشهادة على نبوته الخاصة ﷺ.

(٣ / ط - ١٧٨) من خصائص الدنيا:

أَيُّها النَّاسُ: إنَّ الدُّنْيا تَغُرُّ المؤَملَ لَها والُمخْلِدَ[١] إلَيْها[٢]، ولا تَنْفَسُ[٣] بمَنْ نافَسَ فِيها[٤]، وتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عليْها.

ثم اشار إلىٰ ثلاث خصائص محسوسة للدنيا لمن يتأملها هي قوله:

(أيها الناس) سها أنّ هذه الخصال لا تخص طبقة دون طبقة مهما اختلفت في الوضائل، وهي:

أوّلاً: (إن الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد إليها) فإنّ التغرير من خصائص الدنيا لكل من يأمل الدنيا للدنيا ويخلد بالركون اليها، ظنّا منه بان المظاهر المادية في الدنيا خالدة.

ثانيا: (ولا تنفس بمن نافس فيها) والنفس: الظن والبخل، فإنّ الدنيا لا تمنع احداً من

---

(١) في هـ. ب: المستند.

(٢) في ب : فيها.

(٣) في هـ. د: لا تنفس من باب التفعيل ـ ر ل، وفي هـ. أ: التنفيس: الترفيه، وفي هـ. ب: لأنصف، يقال: نفس بكذا ينفس: إذا ظنّ في كذا: إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم، وروي: «لاتنفس» أي: لا تفرج، يقال: نفست بالشيء. ونفّس الله كربته، أي: فرّجها، وفي هـ. ص: نسخة ابن أبي الحديد: «ولا تنفس بمن نافس فيها»: أي: لا تظن به.

(٤) في هـ. ب: أي عليها.

التنافس في الدنيا بالاموال والانفس والعناوين ؛لوثوق الدنيا بانها ترجع اليها، فلماذا التنافس اذاً؟

ثالثا: (وتغلب من غلب عليها) والغلبة: الاخذ بالقهر، فإنّ الذين يغلبون على الدنيا بأية وسيلة ممكنة فانهم سوف يصبحون مغلوبين؛ لان الدنيا تغلبهم بالموت المحتوم، فلا يكون الغلبة إلّا للدنيا قطعا.

(٤/ط - ١٧٨) الذنوب واثارها:

وايْمُ اللهِ[١] مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ في غَضِّ نِعْمَةٍ منْ عَيْشٍ فَزَالَ عنهُمْ إلَّا بِذُنُوبٍ اجتَرَحُوها؛ لِأَنّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ للْعَبِيد، ولوْ أَنَّ النّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بهِمُ النِّقَمُ، وتَزُولُ عنهُمُ النِّعَمُ فَزِعُوا إلى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ منْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ[٢] منْ قلوبِهِمْ لَرَدَّ عليهِمْ كلَّ شارِدٍ[٣]، وأَصْلَحَ لهمْ كلَّ فاسِدٍ.

واشار إلىٰ الذنوب واثارها في الدنيا مقسما بالله تأكيداً بقوله:

(وأيم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم إلّا بذنوب اجترحوها) والغض: النضرة، والاجتراح: التلبس بالجريمة، فإنّ زوال النعمة نتيجة اهمال الواجب لاستمرار تلك النعمة، فكما انه لا تزول الصحة الا باهمال واجبات الوقاية والعلاج، كذلك النعم اذا لم يستمر الانسان في حفظها بالشكر واعطاء حقوق اصحابها لابد وان تزول.

وعن سبب هذا الزوال قال:

(لأن الله ليس بظلام للعبيد) فإنّه لا يريد زوال النعمة من احد، وانما تزول النعم لتحقق اسباب الزوال ومنها اهمال الواجب نحوها بالشكر والقيام بما يصلحها، وعن علاج الزوال قال:

(ولو أنّ الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم وولـه من قلوبهم لرد عليهم كلّ شارد، وأصلح لهم كلّ فاسد) فإنّ التوجه إلىٰ الله القادر على كلّ شئ سبب من اسباب الوصول إلىٰ ما يريده الانسان اذا كان الدعاء من صدق نية وصادراً عن القلب حقيقة؛ لان الله سبحانه ﴿يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء﴾[٤].

(٥/ط - ١٧٨) تجربة شخصية:

---

(١) في هـ . ب: أقسم انّه قط لم يكن غضّ نعمة فزال إلّا بذنب اجترحه.
(٢) في هـ . ب: تحيّر.
(٣) في هـ . ب: متفرّق.
(٤) النمل : ٦٢.

وإنِّي لأخشَى[١] عليكُمْ أنْ تَكُونُوا في فَتْرَةٍ[٢]، وقدْ كانَتْ امُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيها مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيها عِنْدِي غَيرَ مَحْمُودِينَ، ولِئنْ رُدَّ عَليكُمْ أمْرُكُمْ إنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ[٣]، ومَا عليَّ إلَّا الجُهْدُ[٤]، ولوْ أشَاءُ أنْ أقُولَ لَقُلْتُ عَفا الله عمَّا سَلَفَ»[٥].

وختم المقطع بحادثة شخصية لم يشرحها مخاطبا اصحابه بقوله:

١ ـ (وإني لأخشى عليكم أن تكونوا في فترة) من الزمن غلبتكم الجهالة.

٢ ـ (وقد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة) عن الواجب المفروض عليكم في الماضي بالنسبة الى مواقفهم المنحرفة عن الحق.

٣ ـ (كنتم فيها عندي غير محمودين) بسبب اهمالكم الواجب الاسلامي.

٤ ـ (ولئن رد عليكم أمركم إنكم لسعداء) فيما اذا طلبتم ذلك بالدعاء والاستغفار الموجب للسعادة في الدنيا والاخرة.

وقد اهمل الامام الاشارة إلىٰ الاشخاص والاسباب، والتاريخ قد اشار إلىٰ قيامه بواجبه الاسلامي بالرغم من تنكر الاصحاب بقوله:

(وما عليّ إلّا الجهد، ولو أشاء أن أقول لقلت: عفا الله عما سلف) وبقيت حقيقة الحال من الاسباب والنتائج مجهولة؛ لانه ارادها كذلك، ويكفي لنا درسا اذ يقول في مثل هذه المواقف التي انتهى امدها: «عفى الله عما سلف» وعسى أن يشملنا العفو للحق والخلق، امين رب العالمين.

---

(١) في هـ. د: لا أخشى ـ ب.

(٢) أي: فترة من عذاب ينتظر بكم عقاباً من الله.

(٣) في هـ. ب: جمع سعيد.

(٤) في هـ. ب: الجهد بالفتح المشقّة، وبالضمّ: الطاقة، وفي هـ. ص: بالضم الطاقة: أي بذل الجهد، تمت من الشرح.

(٥) في هـ. ص: قوله «عفى الله عمّا سلف» أجرى هذه الكلمة مجرى المثل وكنّى بها عن الإعراض عن ذكر إساءة الأمّة إليه باغتصاب حقّه وانّ الله عاقبهم بالفتنة.

ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب[(١)] اليماني فقال[(٢)]: هل رأيت ربك ياأمير المؤمنين[(٣)]؟ فقال عليه السلام[(٤)]: أفأعبد ما[(٥)] لا أرىٰ! فقال: وكيف[(٦)] تراه؟ قال[(٧)]:

لاَتُدْرِكْهُ[(٨)] الْعُيُونُ بِمُشاهَدَةِ الْعِيانِ؛ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإيمانِ، قَرِيبٌ مِنَ الأَشْياء غَيْرَ مُلاَمِسٍ، بَعِيدٌ مِنْها غَيْرَ مُبايِنٍ؛ مُتَكلِّمٌ بِلا رَوِيَّةٍ[(٩)]، مُرِيدٌ بلا هِمَّةٍ[(١٠)]، صانِعٌ لاَ بجارِحَةٍ[(١١)].

لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِالخَفاء، كبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالجَفاء، بَصِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالحاسَّةِ[(١٢)]، رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ.

تَعْنُو[(١٣)] الْوُجُوهُ لعَظَمَتِهِ؛ وَتَجِبُ[(١٤)] الْقُلوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

قال المامقاني (ت پ ١٣٥١ هـ): «ذعلب اليماني ـ بكسر الذّال المعجمة وسكون العين المهملة وفتح اللام بعدها باء ـ من اصحاب اميرالمؤمنين، ذو لسان فصيح بليغ في الخطب، شجاع القلب، وهو الذي قال لأميرالمؤمنين: ارايت ربّك يا اميرالمؤمنين؟ فقال: ويلك يا ذعلب ما كنت لأعبد ربا لم اره. وفي رواية انّه قال: أفأعبد ما لا أرى؟ قال: وكيف تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان، ثم أخذ

---

(١) في هـ. ص: الذعلب في الأصل: الناقة السريعة: وكذلك الذعلبة، فسمّى به انسان، تمت من الشرح.
(٢) في أ: ومن كلام له قاله لذعلب اليماني وقد سأله.
(٣) لم ترد «يا أمير المؤمنين» في أ.
(٤) في ص: عليه وعلى آله السلام.
(٥) في ص: من، وفي هـ. ص، وفي نسخة: ما.
(٦) في أ: فكيف.
(٧) في د: قال عليه السلام.
(٨) في ص: لا تراه، وفي هـ. أ، وفي نسخة: لا تراه، وفي هـ. ص، وفي نسخة: لا تدركه، وفي هـ. د: لاتراه ـ ن.
(٩) في هـ. د: متكلّم لا بروية ـ ض ب.
(١٠) في ط: لا بهمّة، وفي هـ. ب، وفي نسخة: لا بهمة، وفي هـ. د: لا بهمة ـ ح.
(١١) بلا جارحة ـ م ل، روي صانع لا بجارحة ـ ر.
(١٢) في هـ. ص: وذلك لانّه معنى كونه بصيراً: كونه عالماً بما يصح إبصاره وعلمه بذلك بذاته لا بآلة.
(١٣) في هـ. ب: تخضع، والعاني: الأسير.
(١٤) في ب وص: توجل، وفي هـ. ب: أي تخاف من الخوف.

في صفته جلّت عظمته وتعالى شأنه، قال ابن أبي الحديد: الذعلب في الاصل: النّاقة السريعة، وكذلك الذعلبة، ثم نقل فسمّي به انسان وصار علما، كما نقلوا بكراً عن فتى الابل إلىٰ بكر بن وائل، انتهى. وانّي اعتبر الرّجل حسن الحال». (١)

وعلق على ذلك التستري حفظه الله بقوله: «ذعلب اليماني، قال المصنف: «هو الذي قال لاميرالمؤمنين عليه السلام ارايت ربك؟ فقال عليه السلام: ويلك ما كنت لا عبد ربا لم اره، واني اعتبره حسنا. اقول: بل كان سيئا، ففي باب حدوث توحيد ابن بابويه أنّ اميرالمؤمنين عليه السلام لما بين علمه بالتوراة والانجيل والقرآن بحيث لو نطقت لصدّقته، قال ذعلب: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لاخجلنّه اليوم ـ الخبر». (٢)

انما تستخدم الباصرة في المحسوسات لاثبات وجود شئ لمحسوس، فاذا كان موجوداً فلابد وان يرى، واذا كان لا يرى الشى المحسوس في الباصرة فلابدّ من الحكم بانه معدوم غير موجود، وهكذا الحال في كلّ المحسوسات المادية بالحواس الخمس: الرؤية، والسماع، والشم، والذوق، واللمس.

ولكن الطريق في اثبات ما لا يكون محسوسا ليس هذه الحواس الخمس التي تختص بالمحسوسات، وانما يكون بطريق اثارها المحسوسة التي تدل على وجود الشى وعدم تلك الاثار الذي يدل على عدمه، وهذا هو شأن العقل في المجردات، فإنّه لا يعرف وجود العقل لا باثارها في التصرفات العقلانية، ولا يعرف وجود الكهرباء في الاسلاك إلّا بآثاره في المصابيح، وهكذا الشأن في كلّ المعقولات المجردة؛ اذا فالرؤية للشي انما يكون بالذات اذا كانت محسوسة وبالاثار اذا كانت معقولة.

رؤية الله: (١ / ط ـ ١٧٩)

ومن هذا المنطلق كان جواب الامام في هذا المقطع حسب شرح رؤية الله سبحانه بالاثار الدالة على وجوده تعالى، ولخصها بقوله:

(لا تراه العيون بمشاهدة العيان) لان العيون انما تشاهد المحسوسات فقط.

(ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان)، فإنّ العقول تدرك وجود المعقولات بالحقائق التي تدل على وجودها، وهي التي توجب الايمان بوجود الذات واجب الوجود المنتهي اليه جميع المعلولات في سلسلة مترابطة، فإنّه أبى أن يجرى الامور إلّا باسبابها.

---

(١) تنقيح المقال ١: ٤٢١، ط / النجف ١٣٤٩.

(٢) قاموس الرجال ٤: ٩١، ط / النجف.

ثم سرد من اوصاف الذات المقدسة الايجابية التي تضاد صفات المحسوسات فقال:

١ ـ (قريب من الأشياء غير ملامس) فإنّ الله أقرب الينا﴿ من حبل الوريد﴾ [١] ولكن ليس قربا ماديا كما هو الحال في المحسوسات المفتقرة إلىٰ لمس؛ لانه تعالى ليس بجسم.

٢ ـ (بعيد منها غير مباين) لان البينونة تستلزم البعد المادي، والله سبحانه اقرب إلىٰ الانسان في فكره في نفسه، وانما بعده بعد المجردات.

٣ ـ (متكلم لا بروّيّة) وهي التفكر؛ فإنّ كلّ متكلم يفتقر إلىٰ حضور المعنى في نفسه قبل أن يعبر عن ذلك بالفاظ تدل عليها، وكلامه سبحانه خلق للكلام بالارادة.

٤ ـ (مريد لا بهمة) وهي العزم على الشى، فإنّه تعالى اذا أراد شيئا قال له: ﴿كن فيكون﴾ [٢].

٥ ـ (صانع لا بجارحة) وهي العضو الانساني كاليدين، فإنّ صنعه ارادته من دون واسطة سواها.

٦ ـ (لطيف لا يوصف بالخفاء) واللطف في الاجسام: خفاء رؤيته على الباصرة، والله سبحانه لطيف من دون خفاء على البصيرة، وان خفي على الباصرة؛ لانه ليس بجسم.

٧ ـ (كبير لا يوصف بالجفاء) وهو الغلظة بسبب الحجم المادي بالنسبة إلىٰ الاجسام اللطيفة، والله سبحانه ليس بجسم حتى يوصف بالجفاء.

٨ ـ (بصير لا يوصف بالحاسة) حيث أنّ بصره للاشياء علمه بهذا بذاته وليس بالباصرة المادية التي هي واسطة للعلم بالمحسوسات، وعلمه تعالى ليس عن طريق المس.

٩ ـ (رحيم لا يوصف بالرقة) للقلب، كما هو في الانسان المادي، والرحمة من الله سبحانه انما هو باعتبار المطلوب من الاثار، وهي المغفرة والرضوان.

وصفات الذات المقدسة بهذه يستلزم النتيجة التالية:

١٠ ـ (تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته) تعنوا: اي تخضع، والوجب: الوجل، فإنّ من ينظر في اثار خلق الله العظيمة في الكون لا يسعه إلّا الخضوع على من خلقها في احسن نظام حاكم على الكون كلّه، ويستلزم هذا الخضوع الوجل من القدرة العليا الحاكمة في الكون؛ خوفا من عذابه وعقابة .

---

(١) سورة ق : ١٦.

(٢) النحل : ٤٠.

وبالاجمال، فليس مهمة الروية بالباصرة سوى التحقق من الاشياء المحسوسة خارجاً، والبصيرة ترى الله سبحانه بكثرة الاثار الدالة على وجوده في ذاته الموجبة للايمان بصفاته تعالى.

[١٨٠]

ومن كلام له عليه السلام في ذم أصحابه:

يتضمن العتب على جماعة خاصة ويقارن بين اصحابه واصحاب معاوية، وفي درجة الوعي الاسلامي بينهما.

(١/ط - ١٨٠) **في ذم العاصين من أصحابه:**

أَحْمَدُ ٱللهَ[١] عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ؛ وَعَلَى ٱبْتِلاَئِي[٢] بِكُمْ أَيَّتُهَا ٱلْفِرْقَةُ الَّتي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ؛ وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ.

إِنْ أُهْمِلْتُمْ[٣] خُضْتُمْ[٤]، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ[٥]، وَإِنْ ٱجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ[٦]، وَإِنْ أَجِئْتُمْ[٧] إِلَى مُشَاقَّةٍ[٨] نَكَصْتُمْ[٩].

لاَ أَبَا لِغَيْرِكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ، وَٱلْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ! المَوْتُ أَوِ الذُّلُّ لَكُمْ!

فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـ وَلَيَأْتِيَنِّي ـ لَيُفَرِّقَنَّ بَيْني وَبَيْنَكُمْ، وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ[١٠]، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ.

لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَما دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاَ مَحمِيَّةٌ[١١] تَشْحَذُكُمْ[١٢]!.

---

(١) في هـ. ص، وفي نسخة: الحمد لله.

(٢) في هـ. ص: ويروى: على ما ابتلاني، من الشرح.

(٣) في أ: أُهملتم، وفي هـ. ب: أترككم، وروي «أمهلتم» يقال: أمهلته: أي خلّيت بينه وبين الشيء، من المهلة.

(٤) في هـ. ب: خِضتم وخُضتم ـ معاً ـ، الخوض: الغوص.

(٥) في هـ. د: جرتم ـ م ك ر. وفي هـ. ب: خرتم وجُرتم ـ معاً ـ جرتم بالجيم: أي أعرضتم من جار عن الطريق. وخرتُمْ ـ بالخاء ـ: أي: ضعفتم وانكسرتم وقيل: خرتم ـ بالخاء ـ أي: صحتم من خار الثور يخور: إذا صاح.

في هـ. ص: خرتم: ضعفتم، ويروى «جرتُم» بالجيم: أي عدلتم عن الحرب فراراً، انتهى من الشرح.

(٦) في هـ. ب: طغيتم، وفي هـ. د: طغيتم ـ حاشية م.

(٧) في ط وظاهر أ: أجئتم، وفي هـ. ص، في نسخة الشرح : أجئتم، بالهمز، أي: أُلجئتم.

(٨) في هـ. ب: خلاف وعداوة.

(٩) في هـ. ب: رجعتم.

(١٠) في هـ. د: وأنا لكم قال ـ ب، واني لصحبتكم قال ـ ل ، وفي هـ. ب: مبغض.

(١١) في ط: حمية، وفي هـ. د: حمية ـ م ض ح، وفي هـ. ص، وفي نسخة: حمية، وفي هـ. ب: الحمية والمحمية، كلاهما مصدر «حميت عن كذا» أي: منه.

(١٢) في هـ. ب: شحذت السكّين، أي: حددته، وفي هـ. ص: يقال: شحذت النّصل: حددته.

استفتح الخطبة بالحمد على امر يكرهه حيث انه لا يحمد على مكروه سواه تعالى، ويقتضي السياق أن تكون الخطبة بعد مسألة التحكيم فقد تعرض لها في نقاط ثلاثة بقوله:

أوّلاً: ـ (أحمد الله على ما قضى من أمر) والقضاء: الحكم بوجود الاشياء قبل أن توجد بالارادة الالهية التي لا يعلمها إلّا هو.

ثانيا: ـ (وقدر من فعل) والتقدير: هو التقدير الالهي في فعل الاشياء خارجا بعد القضاء.

ثالثا: ـ (وعلى ابتلائي بكم) والابتلاء: الامتحان بالتواجد لاداء المسؤولية بين من لا يقدرها ولا يقوم بدوره المطلوب منه اسلاميا.

وهذه النقاط الثلاث تعبر عن العقيدة الاسلامية بالايمان بالقضاء والقدر، راجع المادة في المعجم.

وعلى الامتحان الذي يمر به كلّ انسان في حياته في سبيل اداء واجبه الاسلامي من القاعدة والقمة.

موجبات الفرقة:

وقد سرد من نقاط الجماعة التي تبين درجة الامتحان لاداء مسؤولية القيادة وانضباطهم العسكري بقوله:

(أيها الفرقة) فإنّ المخاطبين ليس جميع افراد الجيش بل طائفة خاصة لهم دور اساس في تحريك الجيش للعمل بواجبه وانهم لا ينقادون للاوامر القيادية كما هو المطلوب في الانضباط العسكرى.

وسرد من اسباب ذلك بقوله:

١ ـ (التي إذا أمرت لم تطع) مع أنّ واجب تسلسل االقيادات أن يطيع الادنى الاوامر الصادرة من الاعلى.

٢ ـ (وإذا دعوت لم تجب) أي الدعوة المفترض انها في الدعوة إلىٰ الحرب وعدم الاستجابة يكشف عن عدم استعدادها للتضحية من العمل بواجبها العسكري.

٣ ـ (إن أمهلتم خضتم) من الامهال، بمعنى التأخر، أو الاهمال بمعنى الترك، للواجب من الاستعداد للحرب إلىٰ الخوض في الحديث بغير امور الحرب.

٤ ـ (وإن حوربتم خرتم) والخور: الضعف والجبن من المحاربة في ساحة الحرب مع العدو.

٥ ـ (وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم) فإنّ عامة الناس في الجيش العقائدي

ينظرون الى اوامر القيادة العليا، فإنّ هذه الفرقة تقع حجر عثرة بين القيادة والقاعدة، وبالرغم من استعداد الجماهير الذاتية للحرب فانها تقوم بالطعن في الاوامر القيادية.

٦ ـ (وإن أجئتم إلى مشاقة نكصتم) والجئم: الالجاء، فإنّ في حالة اللجوء إلىٰ المشاقة وهي الحرب يكون موقف هذه الفرقة النكوص وهو الرجوع إلىٰ القهقرى وعدم المباشرة في الحرب.

فان هذه النقاط واضحة في الضعف، والجبن من هذه الفرقة التي تقوم بدور الوسيط بين القاعدة والقمة مع ايمانها بقيادة الامام العادلة.

ثم تساءل عن السبب في هذه المواقف اللامسؤولة بقوله:

٧ ـ (ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم ؟ الموت أو الذل) فإنّ النصر لا يأتي بالتمني والعدو لا يرحم أحدا، والحق لا يرجع إلّا بالجهاد من اجله .

وهذه حقائق يعرفها كلّ احد في حياته، فكيف تتغافل عنها هذه الفرقة؟ مع العلم بان الموقف المتخاذل يؤدي إلىٰ الموت أو الذل في اسر العدو.

٨ ـ (لا أبا لغيركم) لانكم تعتقدون في الحقيقة ولا تعملون بها، وغيرهم يعرف الحقيقة وينكرها.

وعن مواقفه الخاص تجاه هذه الفرقة قال مؤكدا بالقسم:

٩ ـ (فوالله لئن جاء يومي – وليأتيني – ليفرقن بيني وبينكم وأنا لصحبتكم قالٍ، وبكم غير كثير) وهذه تعبير عن غاية السأم من صحبة من لا يؤدي واجبه العسكري مع انه يتحمل هذه المسؤولية فإنّه قال اني كاره لهم لتخاذلهم عن مسؤولياتهم، وقوله: (غير كثير بكم) يعني به أنّ كثرتكم لا يغني؛ لانها كثرة لا عمل معها، فلا يعتبر القائد بسبب وجودكم صاحب جيش كثير؛ لتهاوتكم عن واجباتكم، وعقبها بقوله: (لله أنتم) وهي كلمة تعجب.

وختم صفات هذه الفرقة بسؤال استنكاري فقال:

١٠ ـ (أما دين يجمعكم ؟ ولا حمية تشحذكم؟) فإنّ المبادئ التي تؤمنون بها في الحصول على الحكم العادله تتطلب العمل والنصيحة، وهذه المبادى المطلوبة اما أن تكون مبادى عقائدية كما هو المفروض في الجيش العقائدي أو مبادى قومية، وهي الحمية القومية التي تشحذ الهمم أي تحثها على العمل بواجبها في الدفاع عن المصالح، وان هذه الفرقة تتصرف في تجاهلها الاوامر القيادية من دون اي انضباط عسكري وكأنه ليس لها مبادى عقائدية أو قبيلية.

وهذه الصفات العشر كافية للتذمر من الجيش الذي لا يؤدي واجبه العسكري

المفروض عليه أن يقوم بها كالانضباط العسكري.

(٢ / ط - ١٨٠) المقارنة بين الجيشين:

أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو ٱلْجُفَاةَ الطَّغَامَ[١] فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلاَ عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ ـ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ[٢] ٱلْإِسْلاَمِ وَبَقِيَّةُ النَّاسِ ـ إِلَى المَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ[٣] مِنَ ٱلْعَطاءِ، فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ!

إِنَّهُ لاَ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضاً فَتَرْضَوْنَهُ، وَلاَ سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ[٤]؛ وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ.

قَدْ[٥] دَارَسْتُكُمُ ٱلْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمُ[٦] ٱلْحِجَاجَ[٧]، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ[٨] مَا مَجَجْتُمْ[٩]، لَوْ كَانَ ٱلْأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ!

وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ، وَمُؤَدِّبُهُمُ ٱبْنُ النَّابِغَةِ!

وقارن الامام بين الجيشين: جيشه من اصحابه المؤمنين به، وجيش عدوه معاوية، وان نتيجة المقارنة تدعوا إلىٰ العجب، وقد ذكر مواد العجب في نقاط بقوله:

(أوليس عجبا أنّ معاوية) باعتباره فائد جيش العدو.

١ ـ (يدعو الجفاة) والجافي: الغليظ، وفيه الاشارة إلىٰ من لم يتخلق بالتهذيب الاسلامي أو الاعراف.

٢ ـ (الطغام) وهم اراذل الناس الذين يتصفون بالافعال غير المرغوب فيها.

٣ ـ (فيتبعونه) اتباع الجندي المتمتع بالانضباط العسكري.

٤ ـ (على غير معونة) وهي الزيادة على الرواتب المخصصة للجيش.

٥ ـ (ولا عطاء) وهو الراتب المخصص شهريا للجيش.

---

(١) في هـ . أ في نسخة: الطغاة، وفي هـ . ب: الطغام: أوغاد الناس والأراذل، ويوصف به الواحد.
(٢) في هـ . أ: أي: بقايا الإسلام، الترائك: بقايا الشّحذ، وفيه: الترائك من المراتع، والمرتع: الذي كان الناس يدعوه، وفي هـ . ب: التريكة: البيضة التي يتركها النعامة، والتريكة أيضاً: الدوحة التي لم تزرع. وتريكة الإسلام: بقيّة الإسلام.
(٣) في هـ . أ، وفي نسخة : بوظيفة.
(٤) في هـ . ب: فتحوطونه.
(٥) في ب : وقد.
(٦) في هـ . ب: علمتكم .
(٧) في هـ . ب: حجّة الله.
(٨) في هـ . ب: ساغ الشراب أي: سهل مدخله في الحلق.
(٩) في هـ . ب: مج الماء من فيه: رمى به.

وهذه الصفات في جيش العدوّ مناقض لاوصاف جيش الامام.

١ ـ (وأنا أدعوكم) باعتباري قائد الجيش.

٢ ـ (وأنتم تريكة الاسلام) اي خلف الاسلام، ولعنته كالبيضة التي تتركها النعامة لتنمو، فليس فيكم وصف الجفاء والغلظة.

٣ ـ (وبقية الناس) من الاطائب الذين بقوا على وجه الارض بعد فتاء الخلف الصالح، ولستم من الاراذل المعروفين بما لا يرغب فيه.

٤ ـ (إلى المعونة) زيادة على الراتب المخصص.

٥ ـ (وطائفة من العطاء) قسماً من الراتب الذي يستحقه الجيش.

هذه الصفات يجب أن تكون مشجعا لكم، ولكن النتيجة عكسية تماما حيث قال:

(فتفرقون عني وتختلفون علي) فان مورد العجب من هذه المقارنة أنّ اصحاب عليّ كانوا على رؤية واضحة واصحاب اعدائه كانوا على غير رؤية واضحة، والمطلوب ممن له رؤية واضحة أن يتحرك حسب رؤيته، فما السبب في هذا التناقض في الموقف؟ سوى حب السلامة من الحرب، وهذا يناقض المطلوب من الرؤية الواضحة في عدالة الحرب.

واشار إلىٰ نتيجة الموقف المتخاذل ونتائجها العكسية بقوله:

١ ـ (إنه لا يخرج إليكم من أمري رضى فترضونه) فلا يكون لكم الرضا بامر مني فترضونه.

٢ ـ (ولا سخط فتجتمعون عليه) فلا يكون لكم الرضى بامر فيه سخطكم، ففي الحالتين لا تطبقون الاوامر العسكرية الصادرة من القيادة، وتفقدون هذا الانضباط العسكري الذي يتمتع به العدو.

وعن نتيجة هذا الموقف المتخاذل قال:

٣ ـ (وإن أحب ما أنا لاق إلى الموت) حيث أنّ القيادة تفقد تأثيرها المطلوب عند فقدان ناصر ومعين .

والى مسؤولياته القيادية التي طبقها اشار بقوله:

الأوّل: (قد دارستكم الكتاب) أي درست القرآن الكريم وتثقفتم بالثقافة الاسلامية في القرآن.

الثاني: (وفاتحتكم الحجاج) المحاجة بالحجج الاسلامية مع العدوّ نظريا.

الثالث: (وعرفتكم ما أنكرتم) من الحقائق التي لم تعرفوها، ولعل اهمها أن جيش العدوّ يهدف الى تعويض نظام الشورى في الحكم إلىٰ الملوكية.

الرابعة: (وسوغتكم ما مججتم) بان رايتم الحقائق فصارت الدعايات الباطلة التي جعلت الشراب السائغ مجاً لا يطعم حلواً سائغاً للشاربين بعد بيان الحقائق.

وختم هذه المسؤوليات التي طبقها عن قيادته بقوله:

(لو كان الأعمى يلحظ أو النائم يستيقظ) اشارة إلىٰ الغاية القصوى من أداء المسؤولية القيادية من جانبه.

وهذه المسؤوليات التي طبقها مفقودة التي جانب جيش العدوّ؛ حيث أنّ قيادة جيش العدوّ لاتهتم بشيئ من المسؤوليات الاسلامية المذكورة للقائد التي اكد عليها الاسلام نظريا وطبقها الرسول القائد عمليا.

ولذلك ختم المقطع بقوله:

(وأقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية، ومؤدبهم ابن النابغة) أي ما اقربهم من الجهل بالثوابت الاسلامية في السلم والحرب؛ لان القيادة تفقد هذه الثوابت في نفسها كما هو معروف من تاريخ كلّ من معاوية وابن النابغة وهو عمرو بن العاص، كما هو مشروح في ترجمتهما في التواريخ.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«قوله : الموت أو الذل لكم ، دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الامرين ، كأنه شرع داعيا عليهم بالفناء الكلي ، وهو الموت ، ثم استدرك فقال: أو الذل ، لأنه نظير الموت في المعنى ، ولكنه في الصورة دونه ، ولقد أجيب دعاؤه‌ﷺ بالدعوة الثانية ، فإن شيعته ذلوا بعد في الأيام الأموية ، حتى كانوا كفقع قرقر(١)».(٢)

وقال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) أيضاً، ما نصّه:«فإن قلت : كيف قال: إنّ معاوية لم يكن يعطى جنده وأنه هو‌ﷺ كان يعطيهم ، والمشهور أنّ معاوية كان يمد أصحابه بالأموال والرغائب ! قلت : إنّ معاوية لم يكن يعطى جنده على وجه المعونة والعطاء ، وإنما كان يعطى رؤساء القبائل من اليمن وساكني الشام الأموال الجليلة ، يستعبدهم بها ، ويدعو أولئك الرؤساء أتباعهم من العرب فيطيعونهم ، فمنهم من يطيعهم حمية ، ومنهم من يطيعهم لأياد وعوارف من أولئك الرؤساء عندهم ، ومنهم من يطيعهم دينا ، زعموا للطلب بدم عثمان ، ولم يكن يصل إلى هؤلاء الاتباع من أموال معاوية قليل ولا كثير . ووأمّا أمير

(١) الفقع : ضرب من أردأ الكمأة ، والقرقر : المكان المستوى الأملس ، ويشبه الرجل الذليل ، فيقال: هو أذل من فقع بقرقر ، لان الدواب تنجله بأرجلها .
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٦٩.

المؤمنين عليه السلام ، فإنه كان يقسم بين الرؤساء والاتباع على وجه العطاء والرزق ، ولا يرى لشريف على مشروف فضلا ، فكان من يقعد عنه بهذا الطريق أكثر ممن ينصره وبقوم بأمره ، وذلك لان الرؤساء من أصحابه كانوا يجدون في أنفسهم من ذلك – أعني المساواة بينهم وبين الاتباع – فيخذلونه باطنا ، وإن أظهروا له النصر ، وإذا أحس أتباعهم بتخاذلهم وتواكلهم تخاذلوا أيضا وتواكلوا أيضا ، ولم يجد عليه صلوات الله عليه ما أعطى الاتباع من الرزق ، لان انتصار الاتباع له وقتالهم دونه لا يتصور وقوعه ، والرؤساء متخاذلون ، فكان يذهب ما يرزقهم ضياعا».[1]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ١٠ : ٧٠ ـ ٧١.

[١٨١]

ومن كلام له عليه السلام وقَد أَرْسَلَ رَجُلاً منْ أصحابه(١) يَعْلَم لَهُ عِلْمَ قَوْمٍ(٢) مِن جُنْد الكوفةِ(٣) هَمُّوا باللحاق بالخَوارِج وكانوا على خوْفٍ منه عليه السلام.

فلمّا عاد إليهِ الرَّجلُ قالَ لهُ:

أَأَمِنُوا(٤) فَقَطَنُوا(٥)، أم جبنوا فَظَعَنُوا(٦)! فَقالَ الرجلُ(٧): بل ظعنُوا يا أمير المُؤمنين.

فقال عليه السلام(٨):

بُعْداً لَهُمْ كَما بَعِدَت(٩) ثَمُودُا!.

أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ(١٠) الأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصُبَّتِ(١١) السُّيُوفُ عَلَى هاماتِهِمْ(١٢)؛ لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى ما كَانَ مِنْهُمْ.

إِنَّ الشَّيْطانَ الْيَوْمَ قَدِ ٱسْتَفَلَّهُمْ(١٣)، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّىءٌ مِنْهُمْ، ومُتَخَلٍّ عَنْهُمْ(١٤)؛ فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكاسِهِمْ(١٥) فِي الضَّلاَلِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ

---

(١) في هـ. د: لرجل أرسله ـ ف ن م.

(٢) في ط ود: زيادة: أحوال، والعبارة في أ هكذا:« ومن كلام له لرجل أرسله يعلم له علم»، وفي هـ. ص، وفي نسخة: لرجل أرسله ليعلم. وفي هـ. ص ـ أيضاـ: هو الخريت الناجي وأصحابه من بني ناجية الذين قتلهم معقل بن قيس الرياحي وقومه وباع سبيهم من مصقلة بن هبيرة الشيباني، وقد سبق ذكرهم. وفي هـ. د: علم قوم ـ ش.

(٣) في ط زيادة: قد.

(٤) في ب: آمنوا، وفي هـ. ب: تقديره: أ أمِنوا فسَكنوا، أمْ جبنوا فرحلوا. وفي هـ أ: وكانوا على خوف منه فلمّا عاد قال ذلك.

(٥) في هـ. ص: قطن الرجل بالمكان يقطن بالضم. أقام به وتوطّنه، انتهى من الشرح.

(٦) في هـ. ب: رحلوا.

(٧) في أ: فقال.

(٨) في ص: فقال عليه وعلى آله السلام.

(٩) في هـ. ب: هلكت.

(١٠) في هـ. ب: أشرعت الرمح إليه: سددته، وفي هـ. ص: سددت وجهه.

(١١) في هـ. ص: أي اعتورتها مسرعة كصب الماء.

(١٢) في ب: هامهم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: هاماتهم، وفي هـ. د: هامهم ـ ش ر.

(١٣) في أ وب ود: استقلّهم، وفي هـ. ب: أي استهزمهم، واستقلّهم أي: عدّهم قليلاً، وفي هـ. د: استفلهم ـ ح ب ض، وروى استفزهم ـ ر. واستفلّهم: أي هزمهم، واستفزهم: أي استخف بهم، وفي هـ. ص: أي وجدهم مفلولين، كذا فسروه، ويمكن عندي: انّه عليه السلام وجدهم فِلّاً لا خير فيهم، انتهى من الشرح.

(١٤) في هـ. ب: ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر، فلما كفر قال إنّي بريء منك﴾ الحشر: ٥٩

الحَقِّ، وَجِمَاحِهِمْ(١٦) في التِّيهِ.

الرسول هو عبدالله بن قعين الازدي روى تفصيل الخبر الذي كان من الخرّيت بن راشد الناجي احد بني ناجية قد شهد مع الامام صفين، وبعد التحكيم جاء في ثلاثين من اصحابه معارضا للامام وقاد المعارضة التي انتهت بمقتل الخرّيت، قتله النعمان بن جهبان الراسبي، وقتل معه في المعركة ١٧٠ شخصا، وذهب الباقون في الارض يمينا وشمالاً، يراجع تفصيل ذلك فيما ذكره الشارح (ت / ٦٥٦ هـ) ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣ ـ ١٢٨ وما بعده .

وسؤال الامام الرسول قائلاً: «أ أمنوا فقطنوا أم جبنوا فظعنوا ؟» والقطن: السكون في المكان، والظعن: الارتحال من المكان.

وبعد أن علم الامام بارتحالهم علم أنّ موقفهم انما هو موقف الخارج للحرب، فعلق على موقفهم بقوله:

١ ـ (بعدا لهم كما بعدت ثمود) اقتباس من قوله تعالى:﴿الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾(١٧).

وثمود قبيلة في وادي القرى بين الحجاز والشام نسبة إلىٰ ثمود بن عاد بن ادم بن سام بن نوح، والثمد: الماء القليل.

وكانت على عبادة الاصنام فارسل الله اليهم النبيّ صالح وامتحنوا بالناقة، وكفروا بالله فاخذتهم الصاعقة المقرونة بالصيحة والرجفة لما انكروا الرسالة، وابتعدوا عن الحق، يراجع: اوضح البيان، سورة هود، الايات: ٦٣ و٦٧، والاعراف: ٧٤ و٧٨، والذاريات: ٤٤.

وعن مصير الخرّيت واصحابه قال:

٢ ـ (أما لو أشرعت الأسنة إليهم) أي سددت نحوهم بعد اعلانهم الحرب بالخروج.

٣ ـ (وصبت السيوف على هاماتهم) الهامة: الرأس، والصب: استعارة عن سرعتها، كالماء، فإنّ مواقفهم ليست مواقف الوصول إلىٰ الحقائق بل اعلان الحرب من جانبهم .

/ ١٦ . وهو معاوية.

(١٥) في هـ. ب: الركس: ردّ الشيء مقلوباً، ومنه الإرتكاس، وهو الوقوع في الأمر الذي نجا منه . قال الله تعالىٰ: ﴿أركسهم بما كسبوا﴾ النساء: ٤ /٨٨، أي: ردّهم إلى شقوتهم، وفي هـ. ص: أي رجوعهم.

(١٦) في هـ. ب: إسراعهم في التحيّر، وفي هـ. ص: هو الغلو والإفراط، مستعار من جماح الفرس.

(١٧) هود : ٩٦.

وعن نتيجة مواقفهم قال:

٤ ـ (لقد ندموا على ما كان منهم) كما هو مصير اية اقلية تستخدم القوة ضد الاكثرية المسلحة.

وفي سبب مواقفهم قال:

٥ ـ (إن الشيطان اليوم قد استفلهم) أي وجدهم مفلولين منهزمين في مواقفهم المعارضة، وقال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ): «يمكن عندي أن يريد انه وجدهم فلّا لا خير فيهم، والفل في الاصل: الارض لا ثبات بها؛ لانها لا تمطر».

٦ ـ (وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم) وهو دور كلّ خارج بتشجيع ممن له مصلحة، وليس في مصلحة من يخدع، وبعد أن ينتبه المخدوع ويرجع إلىٰ الخادع باللوم يجيب الخادع بانك كنت احمقا، وهذا هو جزاء الخدعة، فيتبرأ منه ويتخلى عن نصرته.

وعن تقييم مواقفهم قال:

٧ ـ (فحسبهم بخروجهم) أي يكفيهم في تقييم مواقفهم الخروج وحده؛ فإنّ الخروج على الحكم العادل ظلم في نفسه وانحراف عن الثوابت الاسلامية.

ثم سرد النقاط التي تدينهم في مواقف الخروج بقوله:

أوّلاً: (بخروجهم من الهدى) حيث عرض الامام عليهم المناقشة في دراسة المواقف فرفضها الخرّيت رئيس الفرقة.

ثانيا: (وارتكاسهم في الضلال والعمى) والارتكاس: الرجوع بعد معرفة الامام وعرضه للمناقشة والبحث، فان الرجوع عن الحق ليس إلّا الضلال والعمى.

ثالثا: (وصدهم عن الحق) في قتل المسلمين الذين اعلنوا ولائهم للامام.

رابعا: (وجماحهم في التيه) والجماح: الغلو والتيه: الضلال.

وهذه النقاط تعرّف بتفصيل ما نقله الشارح (ت / ٦٥٦ هـ) عن الثقفي في رواية طويلة نكتفى بمقاطع منها، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:

[قصة الخريت بن راشد الناجي وخروجه على علي]

قال ابن هلال الثقفي: وروى محمّد بن عبد الله بن عثمان، عن أبي سيف، عن الحارث بن كعب الأزدي، عن عمه عبد الله بن قعين الأزدي، قال: كان الخريت بن راشد الناجي، أحد بني ناجية، قد شهد مع علي عليه السلام صفين، فجاء إلى علي عليه السلام بعد انقضاء صفين، وبعد تحكيم الحكمين في ثلاثين من أصحابه، يمشي بينهم حتى قام بين يديه، فقال: لا والله لا

أطيع أمرك ، ولا أصلى خلفك ، وإني غدا لمفارق لك ، فقال: له : ثكلتك أمك ! إذا تنقض عهدك ، وتعصى ربك ، ولا تضر إلا نفسك ، أخبرني لم تفعل ذلك ! قال: لأنك حكمت في الكتاب ، وضعفت عن الحق إذ جد الجد ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم ، فأنا عليك راد ، وعليهم ناقم ، ولكم جميعا مباين . فقال: له علي عليه السلام : ويحك ! هلم إلى أدارسك وأناظرك في السنن ، وأفاتحك أمورا من الحق أنا أعلم بها منك ، فلعلك تعرف ما أنت الان له منكر ، وتبصر ما أنت الان عنه عم وبه جاهل ، فقال: الخريت : فإني غاد عليك غدا . فقال: علي عليه السلام : اغد ولا يستهوينك الشيطان ، ولا يتقحمن بك رأى السوء ، ولا يستخفنك الجهلاء الذين لا يعلمون ، فوالله إنّ استرشدتني واستنصحتني وقبلت منى لأهدينك سبيل الرشاد . فخرج الخريت من عنده منصرفا إلى أهله . قال: عبد الله بن قعين : فعجلت في أثره مسرعا ، وكان لي من بني عمه صديق ، فأردت أنّ ألقى ابن عمه في ذلك ، فأعلمه بما كان من قوله لأمير المؤمنين ، وآمر ابن عمه أنّ يشتد بلسانه عليه ، وأن يأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته ، ويخبره أنّ ذلك خير له في عاجل الدنيا وآجل الآخرة . قال: فخرجت حتى انتهيت إلى منزله - وقد سبقني - فقمت عند باب دار فيها رجال من أصحابه ، لم يكونوا شهدوا معه دخوله على أمير المؤمنين عليه السلام ، فوالله ما رجع ولا ندم على ما قال: لأمير المؤمنين وما رد عليه ، ولكنه قال: لهم : يا هؤلاء ، إني قد رأيت أنّ أفارق هذا الرجل ، وقد فارقته علىأرجع إليه من غد ، ولا أرى إلا المفارقة ، فقال: له أكثر أصحابه : لا تفعل حتى تأتيه ، فإن أتاك بأمر تعرفه قبلت منه ، وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه ! قال: لهم : نعم ما رأيتم ، قال: فاستأذنت عليهم فأذنوا لي ، فأقبلت على ابن عمه - وهو مدرك بن الريان الناجي ، وكان من كبراء العرب - فقلت له : إنّ لك على حقا لإحسانك وودك وحق المسلم على المسلم . إنّ ابن عمك كان منه ما قد ذكر لك ، فأخل به فاردد عليه رأيه وعظم عليه ما أتى ، واعلم أنى خائف إنّ فارق أمير المؤمنين أنّ يقتلك ونفسه وعشيرته فقال: جزاك الله خيرا من أخ ! إنّ أراد فراق أمير المؤمنين عليه السلام ففي ذلك هلاكه ، وإن اختار مناصحته والإقامة معه ففي ذلك حظه ورشده . قال: فأردت الرجوع إلى علي عليه السلام ، لأعلمه الذي كان ، ثم اطمأننت إلى قول صاحبي ، فرجعت إلى منزلي ، فبت ثم أصبحت ، فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ، فجلست عنده ساعة ، وأنا أريد أنّ أحدثه بالذي كان على خلوة ، فأطلت الجلوس ، ولا يزداد الناس إلا كثرة ، فدنوت منه ، فجلست وراءه ، فأصغى إلى برأسه ، فأخبرته بما سمعته من الخريت ، وما قلت لابن عمه وما رد على ، فقال عليه السلام : دعه ، فإن قبل الحق ورجع عرفنا له ذلك وقبلناه

منه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فلم لا تأخذه الان فتستوثق منه ؟ فقال: إنا لو فعلنا هذا بكل من يتهم من الناس ملأنا السجون منهم ، ولا أراني يسعني الوثوب بالناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يظهروا لي الخلاف . قال: فسكت عنه وتنحيت ، فجلست مع أصحابي هنيهة ، فقال لي عليه السلام : ادن منى ، فدنوت ، فقال لي مسرا : اذهب إلى منزل الرجل فاعلم ما فعل ، فإنه قل يوم لم يكن يأتيني فيه قبل هذه الساعة ، فأتيت إلى منزله ، فإذا ليس في منزله منهم ديار ، فدرت على أبواب دور أخرى ، كان فيها طائفة من أصحابه ، فإذا ليس فيها داع ولا مجيب فأقبلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال: لي حين رآني : أوطنوا[1] فأقاموا أم جبنوا فظعنوا ؟ قلت : لا بل ظعنوا ، فقال: أبعدهم الله كما بعدت ثمود ! وأمّا والله لو قد أشرعت لهم الأسنة ، وصبت على هامهم السيوف ، لقد ندموا ، إنّ الشيطان قد استهواهم وأضلهم ، وهو غدا متبرئ منهم ، ومخل عنهم ، فقام إليه زياد بن خصفة ، فقال: يا أمير المؤمنين ، إنه لو لم يكن من مضرة هؤلاء إلا فراقهم إيانا لم يعظم فقدهم علينا ، فإنهم قلما يزيدون في عددنا لو أقاموا معنا ، وقلما ينقصون من عددنا بخروجهم منا ، ولكنا نخاف أنّ يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليهم من أهل طاعتك ، فائذن لي في اتباعهم حتى أردهم عليك إن شاء الله . فقال له عليه السلام: فأخرج في آثارهم راشدا ، فلما ذهب ليخرج قال: له : وهل تدرى أين توجه القوم ؟ قال: لا والله ، ولكني أخرج فأسأل وأتبع الأثر ، فقال: اخرج رحمك الله حتى تنزل دير أبي موسى ثم لا تبرحه حتى يأتيك أمري ، فإنهم إنّ كانوا خرجوا ظاهرين بارزين للناس في جماعة ، فإن عمالي ستكتب إلى بذلك ، وإن كانوا متفرقين مستخفين ، فذلك أخفى لهم ، وسأكتب إلى من حولي من عمالي فيهم . فكتب نسخة واحدة وأخرجها إلى العمال : من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من العمال ، وأمّا بعد ، فإن رجالا لنا عندهم تبعة ، خرجوا هرابا نظنهم خرجوا نحو بلاد البصرة ، فاسأل عنهم أهل بلادك ، واجعل عليهم العيون في كلّ ناحية من أرضك ، ثم اكتب إلى بما ينتهى إليك عنهم . والسلام .

فخرج زياد بن خصفة حتى أتى داره ، وجمع أصحابه فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال: يا معشر بكر بن وائل ، إنّ أمير المؤمنين ندبني لأمر من أموره مهم له ، وأمرني بالانكماش فيه بالعشيرة ، حتى آتي أمره ، وأنتم شيعته وأنصاره ، وأوثق حي من أحياء العرب في نفسه ، فانتدبوا معي الساعة ، وعجلوا . فوالله ما كان إلا ساعة حتى اجتمع إليه مائة

---

(١) وطن بالمكان ، أي أقام ، وانظر تاريخ الطبري ٥ :١١٥.

وثلاثون رجلا ، فقال: اكتفينا لا نريد أكثر من هؤلاء ، فخرج حتى قطع الجسر ، ثم أتى دير أبي موسى فنزله ، فأقام به بقيه يومه ذلك ، ينتظر أمر أمير المؤمنينعليه السلام . قال: إبراهيم بن هلال : فحدثني محمّد بن عبد الله ، عن ابن أبي سيف ، عن أبي الصلت التيمي ، عن أبي سعيد ، عن عبد الله بن وأل التيمي ، قال: إني لعند أمير المؤمنين ، إذا فيج [١] قد جاءه يسعى بكتاب من قرظة بن كعب بن عمرو الأنصاري – وكان أحد عماله – فيه : ذ لعبد الله على أمير المؤمنين من قرظة بن كعب ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأمّا بعد : فإني أخبر أمير المؤمنين ، أنّ خيلا مرت من قبل الكوفة متوجهة نحو نفر، وأن رجلا من دهاقين أسفل الفرات قد أسلم وصلى ، يقال: له : زاذان فروخ ، أقبل من عند أخوال له فلقوه ، فقالوا له : أمسلم أنت أم كافر ؟ قال: بل مسلم ، قالوا : فما تقول في علي ؟ قال: أقول فيه خيرا ، أقول : إنه أمير المؤمنينعليه السلام وسيد البشر ووصى رسول اللهصلى الله عليه وآله . فقالوا : كفرت يا عدو الله ! ثم حملت عليه عصابة منهم ، فقطعوه بأسيافهم ، وأخذوا معه رجلا من أهل الذمة يهوديا ، فقالوا له : ما دينك ؟ قال: يهودي ، فقالوا: خلوا سبيل هذا ، لا سبيل لكم عليه ، فأقبل إلينا ذلك الذمي ، فأخبرنا الخبر ، وقد سألت عنهم ، فلم يخبرني أحد عنهم بشئ ، فليكتب إلى أمير المؤمنين فيهم برأي أنته إليه ، إنّ شاء الله . فكتب إليه أمير المؤمنينعليه السلام : وأمّا بعد ، فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة التي مرت بعملك ، فقتلت البر المسلم ، وأمن عندهم المخالف المشرك ، وإن أولئك قوم استهواهم الشيطان فضلوا ، كالذين حسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ، فأسمع بهم وأبصر يوم تخبر أعمالهم ! فالزم عملك وأقبل على خراجك ، فإنك كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك ، والسلام».[٢]

وقال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرح نهج البلاغة، ما نصّه:«ثم إنّ النعمان بن صهبان الراسبي بصر بالخريت ، فحمل عليه ، فصرعه عن فرسه ، ثم نزل إليه وقد جرحه ، فاختلفا بينهما ضربتين ، فقتله النعمان وقتل معه في المعركة سبعون ومائة ، وذهب الباقون في الأرض يمينا وشمالا ، وبعث معقل الخيل إلى رحالهم ، فسبى[٣] من أدرك فيها رجالا ونساء وصبيانا ، ثم نظر فيهم ، فمن كان مسلما خلاه وأخذ بيعته ، وخلى سبيل عياله ، ومن كان ارتد عن الاسلام عرض عليه الرجوع إلى الاسلام وإلا القتل ،

---

(١) الفيج : رسول السلطان على رجله ، فارسي معرب «پيك» . تاج العروس ٢ : ٨٩. تكملة من تاريخ الطبري . ونفر : بلدة على نهر النرس .
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٣ : ١٢٨ ـ ١٣٢.
(٣) السبي : الأسر .

فأسلموا . فخلى سبيلهم ، وسبيل عيالاتهم ، إلا شيخا منهم نصرانيا يقال: له : الرملخس[١] بن منصور ، فإنه قال: والله ما زلت [٢] مصيبا مذ عقلت ، إلا في خروجي من ديني ، دين الصدق ، إلى دينكم ، دين السوء ، لا والله لا أدع ديني ولا أقرب دينكم ما حييت».[٣]

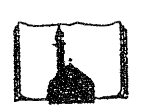
[١٨٢]

ومن خطبة له عليه السلام:

---

(١) كذا في تاريخ الطبري ٥ :١٢٨، وفي الأصول : الرملحس ، تحريف.
(٢) وفى الأصول : ما ظلت ، والصواب ما أثبتناه من الطبري .
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٣ : ١٤٢ ـ ١٤٣.

فهرس المحتوى



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0396

Sharna2